الدكتور عماد حاتم

أساطير اليونان





الدار العربية للكتاب


أساطير اليونان
www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

أساطير اليونان

الدكتور عماد حاتم

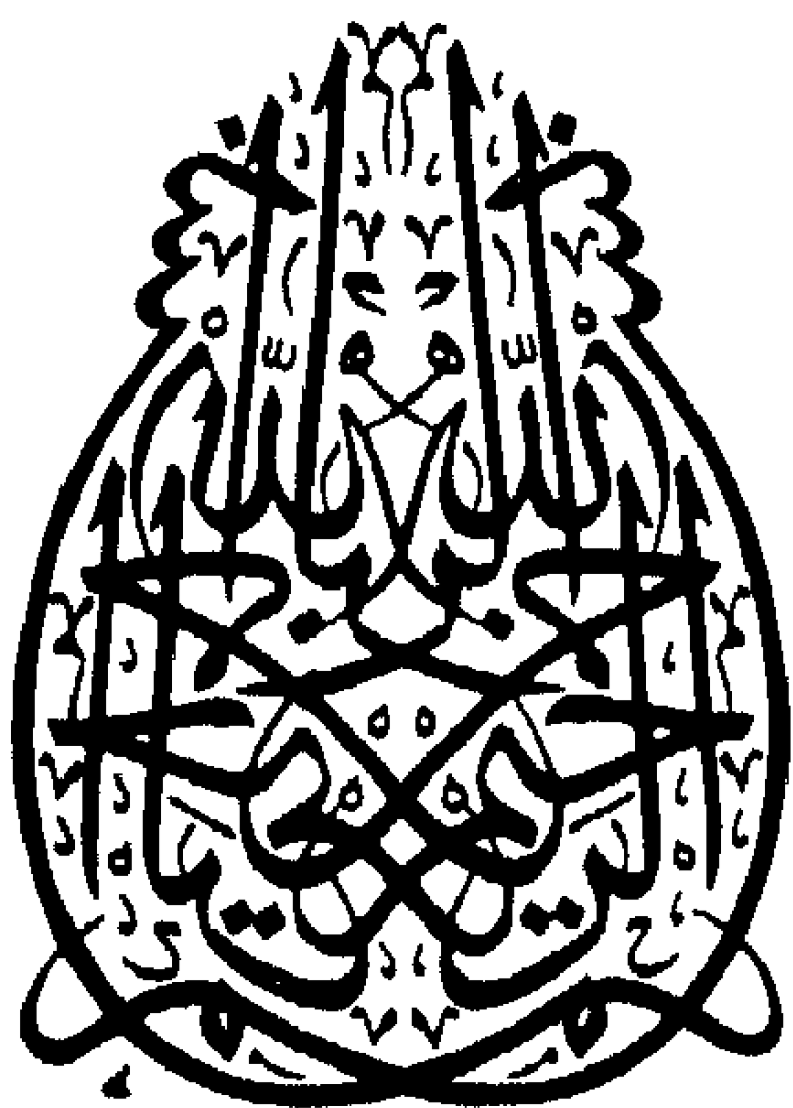


رقـم الايداع بدار الكتب الوطنيـة

88/548

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى





﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

سورة يوسف (الآية ١١١)

يونان

«موضع كان بأرض الروم به مدن وقرى كثيرة ، وانها منشأ الحكماء اليونانيين ، والآن استولى عليها الماء . من عجائبها ان من حفظ شيئاً في تلك الأرض لا ينساه أو يبقى معه زماناً طويلاً . وحكى التجار أنهم إذا ركبوا البحر وصلوا الى ذلك الموضع يذكرون ما غاب عنهم ، ولهذا نشأ بهذه الأرض الحكماء والفضلاء الذين لم يوجد أمثالهم في أرض أخرى إلاّ نادراً» .

من مادة «يونان» في «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني .

تقــديم

لماذا ندرس هذه الأساطير ؟

لعله التساؤل الأول الذي يتبادر الى أذهاننا ونحن نقلب صفحات هذا الكتاب . فقد عفى الزمن على هذه القصص والخرافات وتراكم فوقها غبار القرون وفصلنا عنها اختلاف العقيدة والتدرج في سلم الرقي الاجتماعي والتقدم العلمي الذي نقلنا الى عهد جديد أحلّ التفكير العلمي محل كل ضروب التفكير الأسطوري .

ويبدو لنا أن الإجابة على مثل هذا التساؤل تكمن في الأسطورة نفسها ويتحدد ذلك من خلال النقاط التالية :

فدراسة الأساطير ـ أولاً ـ تمثل التفاتاً نحو بواكير مراحل التفكير الإنساني ، عندما طرح الإنسان أسئلته الأولى حول ماهية الكون وأصوله ، والعلاقات التي تربط بين عناصره وتحدد علاقة الإنسان به ؛ وهي في شكل من أشكالها صورة من «أخبار الأوّلين» ، تلك الأخبار التي شغلت مجلدات كبيرة من مؤلفات الطبري والمسعودي وابن الأثير وابن كثير وسواهم من روّاد المؤرخين الذين استهلّوا كتبهم بأخبار الأقدمين وملوك بابل واليمن وفارس والروم واستخلصوا الكثير مما فيها من دروس ومواعظ وعبر وقدموا ألواناً من الأفكار والمعتقدات وما كان عليه الناس قبل أن يرسل الله تعالى نبيه محمّداً ﷺ برسالة السماء .

وإذا كان قدماء اليونانيين قد غابوا في غياهب التاريخ وانقطع الإيمان بأساطيرهم منذ قرون بعيدة فإن هذا النمط من التفكير الأسطوري لا يزال يمثل الهيكل الأساسي في بناء عدد من الديانات المعاصرة التي يدين بها ما يقارب نصف سكان الكوكب الأرضي وهو ما يجعل من المفيد الإطلاع عليه والتعرف على بعض مكوناته وخصائصه .

ثانياً : إن هذه الأساطير التي نسميها يونانية تتصل بثقافتنا العربية بأسباب جغرافية وتاريخية . فالمسرح الجغرافي الذي صيغت فوقه وسادته قروناً طويلة يفيض عن المسرح الصغير المعروف بالجزر اليونانية وشبه جزيرة البيلوبونيز ليشمل المناطق العربية الممتدة الآن على شواطىء المتوسط ـ شرقيه وجنوبه ، فقد كانت هذه المناطق تمثل في مجموعها وخلال أحقاب طويلة من التاريخ وحدة ثقافية متشابكة متفاعلة لم تلق بعد ما تستحقه من اهتمامات الدارسين .

وإذا كان جلجاميش البابلي وميلكارت الفينيقي يطلان علينا من خلال شخصيات هرقل وبيلليروفون وتيسيوس فإن أدونيس قد دخل بين آلهة الأساطير بشخصيته واسمه الكنعانيين ، بل ان هيرودوت يقول بصريح العبارة (الكتاب الثاني ، الفقرة ٥٠) «إن كل أسماء الآلهة تقريباً جاءت إلى بلاد الإغريق من مصر . . . فيما عدا بوسيدون ، وهو الإله الذي عرفوه من الليبيين» وتشير أحداث الأساطير إلى أن ليبيا كانت ميداناً رئيساً من ميادينها ففيها يعيش العملاق أطلس وتنتشر جنان الهيسبريد وفيها المعبر الى العالم السفلي وصحراؤها موطن الغورغونات والميدوزا ، فليس كثيراً أن يضيف هيرودوت بعد هذا : (الكتاب الرابع ، الفقرة ١٨٩) «إن الإسم ذاته الذي يطلق على درع أثينا ينم عن أن كساء تماثيل هذه الآلهة جاء من ليبيا . . . وأكثر من هذا فإن الغناء الطقسي ـ فيما أظن ظهر أولاً في ليبيا ، ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول» . أما بعثة قدموس التي جاءت الى اليونان من سوريا حاملة معها الأبجدية وألوان من المعارف والعلوم فقد خلدتها أسطورة قدموس التي انتهت ببناء طيبة ذات البوابات العليا . كما أشارت الأساطير الى تقدم العلوم الطبية في مصر عبر حكاية دواء السلوان الذي قدمته بوليدامنا ، ملكة مصر ، الى هيلين ، الملكة اليونانية . ولعل اختطاف زيوس لأوروبا الفينيقية أفضل تجسيد أسطوري للقاء السامي ـ اليوناني الذي كانت كريت أول ميادينه ، ففوق هذه الجزيرة ولدت اوروبا خيرة الأبطال الأماجيد الذين جسدوا القوة والعقل والحكمة .

ثالثاً ـ إن فهم جوانب كثيرة من الشخصية الثقافية الاوروبية يرتبط بفهم هذا التراث الأسطوري اليوناني القديم ، فالاوروبيون عامة يرون في اليونان باكورة صحوتهم الحضارية ويكمن في هذا سر الإهتمام الكبير الذي يبدونه نحو كل ما هو يوناني قديم ، فالفكر والأدب ـ بفنونه الملحمية والمسرحية والعاطفية ، والفلسفة والفنون بأنواعها التشكيلية والنحتية والمعمارية والموسيقى والنشاطات الاجتماعية والرياضية كانت ترتبط بهذه الأساطير . وعلى هذا الأساس تعرّف عليها أجدادنا العرب خلال احتكاكهم بالثقافة اليونانية . كما ان الأسماء الأسطورية التي نلتقي بها فوق صفحات هذا الكتاب أصبحت معيناً تستقي منه المسميات الكثيرة لمنجزات الحضارة الصناعية الحديثة ، بل إن مجموعات من النجوم صارت تحمل هذه الأسماء وانتقلت أسماء أخرى لتطلق على مساحات شاسعة فوق السيّارات التي تم التعرف عليها بعد غزو الفضاء .

يضاف الى هذا أن معرفة الأساطير تقدم لنا الكثير من أجل فهم آلاف القطع الفنية والروائع المعمارية والنحتية والنقشية التي نراها مبثوثة فوق مدننا القديمة وفي متاحفنا ، وقد صاغ أجدادنا هذه الروائع خلال فترات اتصالهم بالعالم اليوناني القديم فأصبحنا نلتقي بها فوق مساحات تتجاوز أضعاف ما نجده في اليونان نفسها فنجدها في أنطاكية وأفاميا والاسكندريةوشحات ولبدة وصبراته وتيمغاد وجميلة وشرشال وتيبازة وسواها من مدننا القديمة التي تمثل جزءاً هاماً من شخصيتنا الحضارية ؛ بل أن هناك من يرى في ملحمة هوميروس مفتاحاً لفهم بعض عناصر أدبنا الشعبي الذي عكسته السير ، وقد توقف بعض الباحثين أمام التشابه الواضح بين اوديسيوس وأبي زيد الهلالي وبين أغاممنون والسلطان حسن ، وهيلين والجازية وبريام والزناتي خليفة وأخيل ودياب بن غانم . . .

رابعاً : إن الأساطير ـ على الرغم من توالي الأزمنة ودورة العصور ـ لا تزال تتوهج بالمعاني الإنسانية العميقة بفضل وفائها للجوهر الإنساني الأصيل وحضها

الدائم على الإلتزام بالخير ومحاربتها لكل ضروب الشر والنقائص - ومن هذه الزاوية تكتسب الأساطير قيمة تربوية هامة فهي - بهذا المعنى - تأكيد على أن الإنسانية لم تحتفظ خلال مسيرتها الطويلة الا بما يضمن الارتقاء بالإنسان والتسامي به وليس صعباً على القارىء - أي قارىء - أن ينتزع هذه القشرة «الوثنية» الساذجة التي تكسو الأساطير ، والتي تجاوزها العقل والدين منذ عشرات القرون ، وينفذ الى معانيها العميقة النبيلة ، وقد أشرنا الى طرف من هذا في سياق الفصل التالي من هذا الكتاب كما أشرنا الى ما احتضنته الأساطير من طموحات العقل الإنساني نحو اقتحام المجهول وتجاوز حدود الواقع وتحقيق الأحلام الباهرة . . . ولو في الخيال ، مثلما توقفنا أمام ال اغة الفنية الرفيعة التي اتخذتها هذه الأساطير في الأدب والفنون الأخرى .

* * *

ومن المبالغة الادعاء بأن هذا الكتاب وحيد أو فريد في موضوعه فقد سبقته كتب أخرى الى تناول الأساطير اليونانية التي كانت منذ سنين عديدة موضع اهتمام الكتاب والأدباء والباحثين العرب ، غير أن كتابنا هذا حقق بعض الجديد في محاولة تفسير الأسطورة ومواكبة تطورها وفي مجال الإحاطة بها بالصورة الأشمل . والكتاب يبدأ بتمهيد تعرضنا فيه للأساطير من حيث أصولها وتطورها والأبعاد الإنسانية فيها ثم انتقلنا الى عرض هذه الأساطير من خلال بابين رئيسين عرضنا في الأول منهما - الآلهة والأبطال وانتقلنا في الثاني الى عرض «القصص اليوناني» من خلال توزعه الجغرافي فتمت لنا خمسة فصول هي : «رحلة الآرغو» ، «قصص طروادة»، «الأوديسية»، «أغاممنون وابنه اوريست» و«قصص طيبة» فمثلما تستقل كل واحدة من «السير» العربية بميدانها وموضوعها وأبطالها - كما هو الأمر في «سيف بن ذي يزن»، «سيرة عنترة»، «سيرة حمزة البهلوان»، «سيرة ذات الهمة» و«سيرة الهلاليين» الخ . . كذلك تستقل كل مجموعة من القصص اليوناني بمسرحها وموضوعها وإن كان بعض كبار الأبطال يلعبون دورهم في أكثر من واحدة منها ؛ كما حاولنا عرض أكبر عدد من الصور التي جسدت الأساطير وأبطالها في التماثيل

والنقوش الجدارية والرسوم على المزهريات وخرصنا على أن تعود بتاريخها الى عهود الإيمان بالأساطير ليكتمل لدى القارىء التصور الصحيح عن الصيغ التي اتخذتها في الفنون .

وقد اعتمدنا في هذا الكتاب على مجموعة وافية من المراجع وأخذنا نصوص الأساطير عن الطبعة الثالثة من كتاب البروفيسور ن . أ . كون الصادر بعنوان «أساطير ومعتقدات اليونان القديمة» كما اعتمدنا على كتابي آ . ف . لوسيف «الأسطورة اليونانية القديمة» و «هوميروس» وعلى عدد من المراجع العربية .

* * *

وأخيراً فمن الطبيعي أن لا يرغب الإنسان الراشد العاقل في العودة الى عهد طفولته البعيدة ، لكنه يأنس ـ دون شك ـ لمرأى الطفل الصغير في لهوه ومرحه ونشاطه ويبتهج لأسئلته الطفولية الساذجة ولمحاولاته تفسير ما يحيط به على طريقته الخاصة ؛ وهكذا المجتمعات ـ فاذا كنا قد أدركنا ـ في مدارج التطور الفكري والاجتماعي ـ مراحل الرشد فاننا نحس بمتعة كبيرة ونحن نقرأ الأساطير القديمة لنتأمل فيها طفولة المجتمع القديم وتفاسيره الغريبة لمختلف ظواهر الكون من خلال حكايات وأقاصيص تذاوب فيها سحر البناء وجاذبية التشويق بكثير من الأبعاد والمعاني التي تدفع بالإنسان الى التأمل والتفكير .

الدكتور عماد حاتم

طرابلس الغرب . نيسان ـ ١٩٨٦

الاسطورة اليونانية

أصلها ، تطورها ، أبعادها

الفهم الصحيح للاسطورة اليونانية ، أو غيرها من الأساطير القديمة ، يقتضي فهم تطور الفكر الإنساني منذ عهوده المبكرة وخلال آلاف السنين . فالاسطورة ـ في احدى صورها ـ تجسيد للحياة الإنسانية في بحثها وتعثرها وفي أفراحها وأتراحها وتطلعها الأبدي نحو الأفضل ، فهي تعكس مراحل الفكر الإنساني منذ بواكر تكونات الوعي ومنذ ان كانت «الآلهة» ألواناً من القوى السحرية الغامضة المخيفة الى أن صارت القوى الصديقة المناصرة للانسان في رحلة التطور الطويلة .

والأسطورة اليونانية التي بين أيدينا تمثل المرحلة المتأخرة من تاريخ الفكر اليوناني والهيئة التي اتخذتها مع تشكل نظام المدينة ـ الدولة ، وبعد ان صارت موضوعاً للأدب (الملحمي والمسرحي بشكل خاص) ومن هذه الأساطير ما اتخذ صيغته في العهد الكلاسيكي ـ الهيليني ـ الروماني ؛ وهذا يعني اننا ازاء المرحلة التي اتخذت الاسطورة فيها بناءها الفني الدقيق والمحكم واشتملت على عناصر التشويق والجاذبية والامتاع واغتنت بالمضامين الانسانية المختلفة التي أحسن الأدباء والفنانون استغلالها والتعبير من خلالها عن كثير من القيم والأفكار الأدبية والجمالية .

ولعلنا نظلم الحقيقة العلمية ، ونظلم الاسطورة نفسها ، اذا اكتفينا بالنظر اليها في هذه المرحلة الأخيرة من تاريخها وتوقفنا عند هذه الصورة المحببة الجذابة والمليئة بصور الخير والفداء والتي تمثل في خطوطها العامة انتصار الانسان على الطبيعة وعلى القوى الشريرة في المحيط وفي أعماق الانسان نفسه . فالاقتصار على هذه الجوانب يحول دون رؤية الأسطورة في تطورها ويحجب تلك الأحقاب

التاريخية الطويلة التي مرت بها وكانت سبباً في صياغة أشكال منها لا تزال تعبر عن نفسها في الصيغة الأخيرة من الاسطورة كما سنرى .

ويبدو لنا أن من الصواب دراسة الأسطورة من خلال المراحل الرئيسة الثلاث التي مر بها التفكير الإنساني ـ وهي التي نسميها اشتراطاً : المرحلة السحرية ، مرحلة «الأرواحية» ومرحلة العهد البطولي ، ومن المفيد الاشارة الى ملاحظات ثلاث يمكن ان تساعد على ادراك ما نود ان نخلص اليه في سياق هذا التحليل :

اولاً : ان الباحث في الأساطير يجد نفسه أمام ركامات لا نهاية لها من المواد المساعدة ، التي تختلط فيها الحفائر الأثرية بالنقوش بالتماثيل بالمواد اللغوية بالصياغة الأدبية وما الى ذلك ، وسنعتمد في دراستنا هذه على الأساطير نفسها قبل كل شيء ونستشهد في ما نقوله بالمواد التي تشتمل عليها نصوص هذا الكتاب أو ما ورد في مؤلفات الكتاب الاقدمين حول المعتقدات اليونانية . ففي اسطورة «خطف اوروبا» مثلاً يظهر زيوس أمامنا في هيئة ثور كدليل على ايغال الاسطورة في القدم ، وتلد اوروبا له ولدين ـ رادامانت ومينوس ـ يقومان بجلائل الأعمال كاشارة الى العهد «البطولي» المتأخر ؛ ويتم اللقاء فوق جزيرة كريت التي كانت مركز لقاء الحضارتين الفينيقية واليونانية ، ثم تعود الأسطورة لتغتني بمضمون جديد من خلال رحلة أخوي أوروبا للبحث عنها وما ينجم عن ذلك من ثمار حضارية تجسد اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب منذ آلاف السنين .

ثانياً : تطور الأسطورة يعكس تطور المجتمع الانساني وعلاقة الإنسان بالطبيعة والمحيط وبكلمة أدق ـ انتقال الانسان من التبعية الكاملة للطبيعة ومن النظر اليها كقوة مبهمة غامضة لا سبيل الى فهمها إلى السيطرة التامة على الطبيعة وتكييفها ثم رؤية الجوانب الايجابية فيها . وهذا يعني في المقياس الزمني ـ اجتياز آماد زمنية يصعب تحديد أي مرحلة فيها الا بعشرات الآلاف من السنين .

ثالثاً : اكتسبت الأسطورة الصياغة الجذابة الآسرة التي نلتقي بها في هذا الكتاب نتيجةً لعاملين : وصول التطور الأسطوري الى مرحلة النضج التي اتسمت بتركيز جميع الآلهة حول زيوس الذي يعيش بدوره فوق مكان مركزي من الكون ـ هو الاوليمب ، تحيط به مجموعة من الأنسباء والتابعين ليسيّر نظام الكون وفق نظام دقيق لا ينجرح ، وانطلقت خلالها الشخصية الفردية الانسانية من كثير من قيودها لتفرض سيادة الانسان البطل على الأرض ، والثاني : التدخل الأدبي في صياغة الأسطورة وتضمينها الكثير من المعاني الإنسانية النبيلة وهو ما كان نتاج مرحلة متأخرة وناضجة في التاريخ اليوناني ـ الأدبي منه والفلسفي ، وهي المرحلة التي بدأت اليونان فيها تترك لمساتها الواضحة على التراث الفكري الانساني ، والعربي منه أيضاً وهو ما استثار الكثير من آيات الإعجاب التي التقينا بلوحة منها في عبارة للقزويني جاءت في صدر هذا الكتاب .

ـ ٢ ـ

فدراسة الأسطورة تفترض النفاذ الى مراحل متقدمة في التاريخ وتلمس الخطوات الاولى للوعي الانساني واختراق الحجب نحو تلك الأحقاب الزمنية الأولى التي لا تزال معلوماتنا عنها محدودة الى حد بعيد ، وذلك عندما كانت حياة الإنسان شديدة الخضوع للتراب والأرض وتكاد تكون مشروطة اشتراطاً كلياً بما تجود به من ثمارها الجاهزة ـ النباتية منها والحيوانية .

ومهما كانت الخصائص التي تتسم بها هذه المرحلة فان ما يهمنا فيها ان الانسان لم يكن آنذاك يعي نفسه بعد كجوهر مستقل منفصل عن المحيط ، له حدوده الذاتية الخاصة ، وهو عاجز في الوقت نفسه عن ادراك جواهر الأشياء الأخرى ووعي ماهياتها واستقلاليتها وانفصال بعضها عن البعض الآخر ، فكل شيء يمكن ان يتصل بسواه عبر علاقات غريبة ولا منطقية في مفهومنا المعاصر ، وهذا ما جعل الانسان يسقط في تلك الفترة في أوهام التحولات والتشكلات

والاعتقاد بامكانية ان يتشكل أي مخلوق بصور مختلفة بل وان يكتسب خصائص المخلوقات الأخرى وماهياتها ، ومن هنا يأتي بالدرجة الأولى تصور اشتمال النباتات ، والجمادات أيضاً ، على عناصر الحياة القائمة في المخلوقات الحية .

يضاف الى هذا ان حياة الانسان كانت تقوم في هذه المرحلة المبكرة جداً على ما يسمىٰ بـ «الالتقاط» و «الصيد» في صوره البدائية وهذا ـ بكلمة أخرىٰ ـ يعني ان الانسان يتحصل على معاشه ومقومات وجوده من الطبيعة في هيئة جاهزة ، فهو لا يقوم بعد بالزراعة أو حتى بالرعي أي لم يتوصل بعد الى الخطوة الاولى من امكانية التدخل في الطبيعة عن طريق الفعل ولهذا كانت الأرض بالنسبة له ـ الأم الولود التي ينطلق منها كل شيء . أما العلاقة الوحيدة التي كانت مفهومة بالنسبة للانسان آنذاك فكانت «صلة الرحم» والروابط لديه مشحونة بالمضمون البيولوجي وكل ما يحيط به مليء بالمفاجآت والمخاطر الغامضة التي لا يرقى اليها فهمه . فالأرض بالنسبة لانسان تلك الفترة ـ قوة جبارة لا حدود لها تضج الحياة فيها وفي جميع عناصرها ـ بما في ذلك الجامدة ، والروح الحية مبثوثة في المحيط كله ، بل ويضيف الانسان فيضفي عليها جميعاً القدرة على التفكير والنطق ويحركها بقوىٰ خارقة موهومة وهو ما يزيد في الفوضى واللاتناسق القائمين في الطبيعة وما يضاعف قدرتها على اثارة الخوف والقلق في نفس الانسان من ذلك الكون الذي كان يبدو له مخيفاً بقدر ما كان مجهولاً .

ومن الصعب الجزم بأن الأسطورة بدأت في تلك الفترة فالتشخيص لم يكن قد بدأ بعد وكل ما هنالك ان عناصر الطبيعة عدت حية تقوم بينها علاقات الرحم حتى ان بعضها عد بالنسبة للآخر أبا أو ابناً أو أما أو ابنة والوعي الانساني يسمح باسقاط أي شيء على أي شيء فالحجر والشجر والنهر والجبل والسحابة والطائر ـ كل ذلك يمكن ان يكون حاملاً للخصائص الانسانية وان يحمل ماهيات ليست له في الأساس لتصبح جزءاً منه لا يتجزأ ، فهو بالتالي يحمل طاقة سحرية عجيبة مردّها ـ عجز الانسان عن الفصل بين العناصر الضمنية والمظهرية للأشياء كما أن جهله بالماهيات مثّل له الروح مبثوثة في كل شيء حتى نظر الى الجمادات على انها

قوى سحرية غامضة مهولة وأضفى عليها ضرباً من صفات الالوهية فزيوس مثلاً كان الأرض والسماء والريح والبرق والرعود والصواعق والعالم تحت الأرضي أيضاً وهو في الوقت نفسه الثور والكبش والذئب والعقاب بل والجندب والجعل بل ربما اتخذ شكلاً هندسياً . أما أبولون الذي تظهره أساطير المراحل المتأخرة تجسيداً للجمال والتناسق والبطولة ـ فكان في تلك العهود القديمة الظلام والضياء وكان الحياة والموت والسماء والأرض وكان أيضاً الخروف والذئب والفأر وعدداً من العناصر الأخرى . ولا تبتعد أثينا كثيراً عن هذه المقاييس ، فاذا كانت في المراحل المتأخرة ربة الحكمة والعدل وشفيعة من يستغيث بها في الحروب فانها كانت في تلك المراحل المبكرة تمثّل بعدد من عناصر الطبيعة وخاصة من ذلك الأفعى والبومة .

وهذا ما يفسر «تجسد» الآلهة في هيئات عجيبة في المراحل الأولىٰ ، فقد ظهر زيوس في هيئة صخرة وكرّموا هيرا في هيئة جذع شجرة بل وفي هيئة لوح خشبي (في جزيرة ساموس) وتبدّى ابولون في صورة حجر أيضاً كما ظهرت اخته ارتيميدا في هيئة عمود خشبي كما تصوروا أثينا أيضاً على هيئة قطع من الخشب أما حجر العرافة في دلفي فكان بالنسبة لهم مركز الأرض وتوهموه الحجر الذي لفته ريبا بالأقمطة ودفعت به الى زوجها كرون الذي كان يزدرد أطفاله خشية ان يخرج من بينهم من يزيحه عن عرشه . وكان اليونانيون يزينون ذلك الحجر بالأقمشة والكسوة الفاخرة وينسبون اليه مختلف ضروب السحر والكهانة والمعجزات ، ومن الملاحظ ان اليونانيين ـ وحتى بعد ان قطعت الاسطورة آلاف السنين من النظر ـ لم يكفوا عن تكريم آلهتهم ـ كزيوس وأفروديتا وهيرا وابولون واثينا ـ في هيئات صخور أو قطع خشبية قد تكون مشذبة أو متروكة على هيئاتها الطبيعية الاولى .

وبالاضافة الى هذا نسبت القوى السحرية الخارقة حتى الى أدوات جامدة استخدمها الأبطال خلال حياتهم ، فمن ذلك قوس هرقل وسهامه المسمومة التي تحمل الموت المؤكد الى من تصيبه حتى ان دم نيسيوس الذي اخترقه أحد هذه السهام صار يحمل قوتها السحرية القاتلة فكان فيه مقتل هرقل ، وكان ثمة في طروادة عبادة للسلاسل التي توهموا ان زيوس قيد بها هيرا لترويضها ووجدت شعيرات زعموا انها من جمّة ميدوزا وكانت في معبد لأثينا بأركاديا ، وأضفيت

القوى السحرية على الملابس التي حيكت لزوجة قدموس وللعقد الذي قدم لها هدية الزواج والتي وهبت لمعبد دلفي فيما بعد .

كما وأضفيت مثل هذه القيمة على النباتات فكان لأشجار الكرمة مثل هذه القوة السحرية التي اختلطت بعبادة ديونيسيوس ، وكانت المعابد تغطى بأوراق الكرمة وعساليجها كما اختص شجر السرو بالاحتفالات الجنائزية وجللوا بأغصانه توابيت الموتى ، وربما كان للون الفضي الذي يمتاز به ورق الحور وجذوعه في جعله لون الكدر والحزن فارتبط بالموت أيضاً كما عدوا شجرة الدلب تجسيداً لعدد من الآلهة وربطوا بها عبادة ابولون وهرقل بشكل خاص وجسدت لديهم عدداً من الأبطال كبروتيسيلاي وديوميد وهيلين وأنما ممنون ومينيلاوس .

وجعلوا لاتونا تلد طفليها ـ أبولون وارتيميدا ـ تحت شجرة الغار الدائمة الخضرة ، وحول ابولون محبوبته إلى هذه الشجرة وعقد أغصانها على هامته . أما شجرة البلوط فربطوا بها اسم زيوس حتى انهم نسبوا القدرة على كشف المستقبل الى بلوطة في دولون فكانوا يستطلعون الأنباء من حفيف أوراقها أو زقزقة اليمام فوق أغصانها أو خرير الساقية القريبة منها ، ولعل هذه الشجرة التي تغد ملكة أشجار الغابة كانت تصوراً لزيوس نفسه .

وأضفيت هذه الخاصة السحرية الحية على عالم الحيوان أيضاً ، ومما يستوقف النظر في الأسطورة اليونانية وغيرها من أساطير الشرق والغرب ، ذلك الموقف من الحية التي لعبت دورها المعروف في اسطورة جلجاميش فابتلعت الحشائش التي كان مقدراً ان تهب الخلود للبطل (فلا خلود لفان) . ويبدو أن القوى السحرية الخارقة التي تضفى على هذا الزاحف تعود الى نظرة الانسان إلى الأرض نفسها واعتبارها مصدر الحياة الأولى ، وبما أن الحية أول مولوداتها والاكثر التصاقاً بها فهي بالتالي الأقرب الى التزود بقدرات الأرض السرمدية الهائلة ، فهي تجسيد جبروت الأرض وحيويتها وحكمتها في الوقت نفسه ، ولهذا جعل اليونانيون من الحية مرافقة لأثينا واتخذ هيئتها عدد من الأبطال فاستحال قدموس وزوجته افعوانين وظهر يريختونيوس ثعباناً في مكان الطفل الذي كان في سلة أثينا وألحق الجنون بحاضنتيه لأنهما ارادتا الكشف عن حقيقته .

وأضفيت هذه القوى السحرية على عدد من الطيور كعقاب زيوس الذي يشير إلى أن زيوس نفسه كان يتصوَّر عقاباً في غابر الأزمان مثلما تصور اليونان آلهتهم في هيئات بجع وبوم وغربان وخيول ونمور وذئاب وفهود ، وكل هذه الحيوانات صارت من توابع الآلهة ومرافقيهم فيما بعد وارتبط كل واحد منها أو كل مجموعة بواحد أو أكثر من الآلهة .

بل وأضفيت هذه الخصائص السحرية على أعضاء الجسم البشري فرأس اورفيوس يطفو فوق المياه التي تحمله الى جزيرة ليسيوس حيث يجترح المعجزات ، وهامة زيوس تلد أثينا وفروة أسد نيميا تحمي هرقل من الأخطار ، وقد غلب ابولون خصمه مارسياس في مباراة للعزف فعاقبه بأن سلخ جلده وعلقه في مغارة فالجلد يتحرك راقصاً لدى سماع صوت المزمار وعينا الغورغونة تحيلان الناظر اليهما حجراً ولكل من السيكلوبات عين واحدة في جبينه فهي تحمل قوة سحرية تجعلها تقوم مقام العينين ولينكيوس ذو عينين نفاذتين تبصران ما بعد الحواجز وتنفذان الى أغوار الماء وقد شفّ الحب احدى الجنيات حتى تحولت الى صدى ومن أنياب التنين ولد محاربو قدموس الأبطال .

وهكذا تنتهي هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوعي الانساني وقد بثت الحياة في مختلف المخلوقات وأضفيت عليها القوة السحرية . وقد تبدو لنا هذه المرحلة موغلة في السذاجة والبدائية الا انها كانت متقدمة جداً في سلم الرقي البشري فهي بداية هامة من بدايات الوعي وايذان بالانتقال من حياة أدنى الى حياة القطيع نحو بدايات تكوّن المجتمع البشري الواعي ، وفيها فسّر الانسان الطبيعة بهذه القوة السحرية الجبارة والمخيفة فالكون في مجموعه عالم غامض مسحور يمثل وحدة حية ذات روح ، ووجه الأرض بما عليه من جداول وسواق وينابيع وأنهار وبحيرات وبطن الأرض بظلامه ودياميسه ومفاجآته والسماء بتقلباتها ورعودها وبروقها تشترك جميعاً في ذلك الغموض السحري المبهم المخيف ، الا ان الاسطورة بمفهومها الحديث لم تكن قد بدأت بعد .

- ٣ -

ويبدو ان الاسطورة قد بدأت في المرحلة التالية من تطور التفكير الانساني عندما أخذ الانسان ينتزع «فكرة» الشيء ويعزلها عن الشيء نفسه ، فكأنه قد خطا نحو فصل الروح عن ذلك الشيء . وقد كان انتزاع «الفكرة» أمراً مهما من اجل التوصل الى تنسيق ما لعمل المظاهر الجارية في الطبيعة وتفسير العوارض الكونية ثم إلى تنظيم نوع من الانتاج الواعي واحلاله محل «الانتاج العفوي» المعتمد على تحصيل ما تعود به يد الطبيعة . فاستخلاص الأفكار المتعلقة بالاشياء ووضع تصور عن الشيء أو الأداة وفائدتها قبل اختراعها كان مهماً من أجل التدخل في الطبيعة بهدف تحسين الوضع المعاشي للانسان . وهكذا ظهرت الزراعة في أول أشكالها وفي حدود ما تنتجه الفأس الصغيرة وبدأ استئناس الحيوان وتدجينه ولكن في حدود الكفاية الفردية . ويبدو ان الوصول إلى «فكرة» الشيء منفصلة عن الشيء نفسه كانت خطوة هامة في فصل «روح» الشيء الذي كان فيما سبق سحرياً مخيفاً خاصة وانه كان يتصوَّر بكامله حياً .

فهذا الفصل ـ بداية البناء الاسطوري على ما يبدو . ففي البداية تخيل الإنسان ان ثمة روحاً في الشيء اي أنه ينطوي على قوة كثيراً ما تكون خارقة وتتجاوز الامكانات الفيزيائية للشيء نفسه ، ولم يكن ذلك بالشيء المحدّد ذي الملامح الواضحة في بداية الأمر الا انه كان ما يسميه اليونانيون بالديمون Daimön ولنسمه الروح أو الشيطان أو العفريت أو التابع الثاوي داخل الشيء ومهما كانت تسميته فانه هو الذي سيتطور فيما بعد ليغدو زيوس أو بوسيدون أو أثينا أو سواهم . وربما ارتبط هذا الديمون في بداية الأمر بالصواعق والرعود وذلك بسبب حركيتها المباشرة الواضحة ، ولعلهم لهذا السبب عدّوا الاماكن التي تسقط فيها الصواعق مقدسة ، وعندما أحرقوا ضحايا حرب طيبة عزلوا كابانيوس فوق محرقة خاصة أحاطوها بنوع خاص من التبجيل لأنه رمي بصاعقة من يد زيوس . الا ان هذه السحرية الروحية ستنسحب فيما بعد على الجمادات أيضاً فاذا كان رمح أخيل يجندل الأعداء فيجعلهم تلالاً فوق ميادين الحرب الطروادية فانه بالاضافة الى ذلك يتمتع بقدرة روحية خارقة فهو يشفي جرح تيليف ببرادة من سنانه .

ان تصور روح الشيء منفصلة عنه يعني الوصول الى مستوى من التجريد لدى الانسان . وليس من حقنا ان نبالغ في تصوير هذه القدرة التجريدية لدى البدائي ولا ان نزيد من قدراته على اختزان المواد في الذاكرة ثم إصدار الأحكام على أساس اكتشاف الظواهر المشتركة بين الأشياء . فالعقل البشري في تلك الآماد السحيقة من التاريخ لم يكن قادراً بعد حتى على استنباط القوانين من المظاهر الطبيعية التي تتسم بدورتها الصحيحة المتناوبة . فقد مضت آلاف من سني التلقي والتأمل والانطباعات واختزان المعلومات حتى تكون لدى الانسان التصور الصحيح عن وجود السماء والأرض والسيارات .

بل ان الشمس نفسها لم تقبل على أنها تلك الذات المنفردة التي تدخل الاساطير بشخصيتها المتفردة الواضحة فثمة من النصوص ما يكفي للتدليل على ان الشمس في التصور اليوناني الغابر كانت تتطابق مع «النهار» وهو ما يفسّره التلقي الجسدي البيولوجي المباشر ، ومن المرجح ان الوعي البدائي لم ير فيها شمساً واحدة تتكرر كل صباح بل عدداً من الشموس يظهر بعدد الأيام أي بما لا حصر له في الشحرية وهى احدى لهجات حمير ـ في ظفار ـ لاتزال كلمة «الشمس» تعنى . . «اليوم» وسرى مثل هذا الشعور نحو القمر أيضاً فرأى الوعي الانساني في ظهور كل بدر قمراً جديداً لا علاقة له بسابقه وعد نقصانه اشرافاً على الانتهاء والتلاشي وقد حفظ الخيال الشعبي الضاحك طرفاً من ذلك في سؤال وجّه لجحا حول القمر القديم ومصيره عندما يظهر القمر الجديد فقال : يقطعونه ويصنعون منه نجوما !

لقد تدرج الانسان في سلم الرقي مرحلة بعد مرحلة وكان تجريد الـ Daimon إحدى هذه المراحل . وقد تصوّروه في بداية الامر منفصلاً مستقلاً مجرداً من الملامح والحدود، واذا كان الآلهة قد اتخذوا في المراحل الأخيرة هيئات البشر وصار بمقدور الانسان التعامل معهم رغم ظهورهم في هيئات مخيفة في بعض الأحيان ، فقد ظلوا يتجاورون في العقلية اليونانية مع هذه الديمونات الخارقة التي لا يستطيع الانسان لها دفعاً والتي تتجاوز دوماً امكاناته وطاقاته ، وأبطال الاسطورة يتعاملون معها كأمور مسلم بها .

ففي الاوديسية مثلاً يتعرّض أصحاب اوديسيوس لثيران هيليوس فيذبحون بعضها ويتعرّضون بسبب ذلك لغضب الآلهة ، ويفسر يوريلوخ لاوديسيوس عملهم بأن روحاً قد أوحى بذلك ، ويقابل تيليماخ أباه فيخشى أن تكون الأرواح هي التي صورت له ذلك وهماً لتضاعف من عذابه ، وتتحدث بينيلوب عن الكوارث التي أرسلتها لها الأرواح . والروح الشرير هو الذي أوصل اوديسيوس الى كاليبسو ، ويتساءل ايول عن الروح الشرير الذي أعاد اليه اوديسيوس ، ومثل هذا الروح هو الذي أنسى اوديسيوس معطفه في المعسكر فهو يتحدث بذلك الى الراعي ايڤميوس ؛ ويورد اسخيل مثل هذا التصور في مسرحه فيقول ان روحاً تسيّر ولدي اوديب فهما يتناحران على العرش ويعيد تيرسيوس هذه الفكرة فيجرد الشابين من أهلية تحمل السلطة لأنهما مسكنونان بالروح الشرير واندروماك ترى ان هذا الروح هو الذي انتهى بها الى العبودية .

بل ان الآلهة الذين وصل معظمهم الينا من خلال تصوير الشعر والأدب اليوناني الجميل وبالصورة الجذابة التي تلتصق بهم دون فراق ، حتى هؤلاء يحملون ملامح من ذلك الديمون المنفصل المستقل . ففي الشعر الهيليني كثيراً ما نقرأ استخدام صيغة الجمع مع اله الحب «ايروت» الذي يمثل كل حب ، فكل لقاء بين محبين كان يصور على انه «ايروت» خاص مستقل ، فهو بهذا اله اللحظة الآنية او ديمون اللحظة ولهذا كانت أعداده تستحيل على الحصر ، وقد أطلق بيندار على افروديتا اسم «أم آلهة الحب» ، وكان التعامل مع نيكي ـ ربّة النصر يتم على هذه الشاكلة ـ فصورتها تختلف باختلاف المحاربين وأعداد الانتصارات ولهذا كان احصاء اعدادها مستحيلاً .

فالديمون كان في بداية عهده تلك القوة الفجائية الغاشمة الفعالة التي يجهل الانسان عنها كل شيء والتي تكافأت عدداً مع اعداد القوى والاحداث الفجائية والأشياء المنفصلة التي تنتسب اليها ، وهي تتفاوت في مدى قدراتها وتأثيرها على الانسان الفرد وعلى المجموعات الانسانية بل وعلى البشرية بأسرها . ويبدو ان مرحلة «الأرواحية» تبدأ منذ أن يتحول هذا الديمون من قوة سديمية غامضة عديمة

الملامح الى قوة مستقلة محددة وفردية ، ولا شك ان الارض ـ الأم ، أصل كل شيء تختص بالقوة الأرواحية العظمى ، وهي تنفث هذه القوة الروحية الاسطورية الهائلة في كل ما يتصل بها ، كما انها تهب هذه القوة المهولة إلى كل مولوداتها وما تلفظه من أعماقها ، وقد كانت اسطورة انتيوس التجسيد البديع لذلك ، فهو لا يبرح قوياً قادراً قاهراً ما دام على اتصال بالأرض حتى اذا رفعه هرقل عنها أفقده قوته . وفي أعماق الأرض يظهر زيوس لدانايا في صورة مطر من ذهب فتلد البطل الماجد بيرسيوس .

وبهذا المنظور تظهر الأرض بداية كل البدايات ونهاية كل شيء وقد أشارت أعمال الأدباء الى هذه النقطة أكثر من مرة حتى ان التارتار يعد في نظر هسيود البداية والنهاية . ويحدثنا بافسانيوس عن نبع سحري يتفجر من الأرض تهبط هيرا اليه لتستحم فتعود عذراء في كل مرة ، وعندما تزوج زيوس أخرجت هيا له من الأرض تفاح الهسپريد الذي كان رمز السعادة والحب وكان في الوقت ذاته تجسيدهما المادي . وكهنت المويرات لام ميلياجر بوفاة ولدها حالما ينتهي اشتعال جمرة من نبات الأرض فأخذت المرأة الجمرة وأطفأتها حتى اذا غضبت على ابنها أشعلتها وختمت بذلك حياته . وتظهر هذه القوة الأرضية المروعة في مصير الاسرة الحاكمة في طيبة . فعندما تزوج قدموس أهدى زوجته هارمونيا عقدا جاءه تقدمةً من أوروبا أو أفروديتا . الا ان ذلك العقد ، ابن الأرض الخارج من أحشائها ، يحمل قوة مهولة كانت السبب في هلاك الاسرة القدموسية في طيبة . فالعقد ينتقل من هارمونيا الى سيميلا . . . الى جوكاستا الى اوريفيلا الى كاليرويا فيصيب كلا منهن بكارثة أشد هولاً حتىٰ يقدم العقد قرباناً الى معبد دلفي ، لكن ذلك لا ينهي اللعنة الموروثة التي لحقت بالاسرة المالكة التي احتازت كنزاً كان أخرى به ان يظل خبيئاً في أحشاء الأرض . فياللقوة السحرية الهائلة التي تحملها تلك الجزيئات المنتزعة من الأرض اننا نلمسها أيضاً في شخصيات المحاربين الذين انبثقوا من أسنان الافعوان الذي قتله قدموس وزرع أنيابه في التربة ذات الطاقة الخارقة وتتجلى لنا هذه القوة الخارقة للأرض في أشعار هسيود (الذي كان يميل في أشعاره الى البدايات الأرضية البعيدة الأغوار في التاريخ) والتي لقيت تصويرها لديه في

مخلوقات الليل والليل مولود من السديم الأرضي كما نعلم . بيد ان تلك المولودات التي خرجت من أعماق الأرض بقيت في ملامحها العامة قوى غاشمة لا حدود لقدراتها . انها تحمل تلك «الأرواحية» المرعبة في الوقت نفسه . فمن بينها المويرات ـ آلهات المصير ، والكيرات ـ خادماتهن المطيعات ، ونيميسيدا ـ ربّة الانتقام وعدد من المخلوقات المخيفة كالموت والنوم المصحوب بالكوابيس وايريدا ـ ربة الشقاق وربة الحزن والحسد وغيرها . ولا ينسى هسيود ان يخبرنا بمولودات انجبتهن هيا (من اوران) وهم العمالقة والسيكلوب والهيكاتونخير ـ ذوو الأذرع المئة ـ وهي في مجموعها أرضية المولد والمنشأ ، شديدة التدمير .

وفي هذه المرحلة من تاريخ الفكر اليوناني تخرج الايرينات ـ ربات الانتقام المروعات اللاتي تتلوى الأفاعي فوق رؤوسهن بدلاً من الشعر وتطوق خصورهن الثعابين ويحملن وجوه الكلاب ويرتدين الجلابيب السوداء ويطاردن المجرم الذي خرج على أعراف الأرض وقوانين القرابة ، وقد جسدت اسطورة اوريست ـ قاتل أمه تلك الاثارة التي حدثت للايرينات حاميات صلات الرحم القديمة قدم الانسان .

واذا فهمنا هذه القوة الأرواحية الهائلة التي يحملها باطن الأرض أدركنا السر في ولادة تلك المخلوقات الجهنمية الهائلة التي ينثرها الخيال في هيئة قوى شريرة مخيفة . فقد اقترنت ايخيدنا بتيفون لتلد مجموعة من المخلوقات المروعة فمنها الكلب الجهنمي كيربير ومنها افعوان ليرنا والخيميرا ذات الرؤوس الثلاثة والثعابين التي تنفث اللهب وأبو الهول الذي يفتك بمن لا يجيب بسرعة عن سؤاله ، وفي هذه الفترة تولد الميدوزا التي تسخط من ينظر في عينيها حجراً ومنها أيضاً يولد الحصان المجنح بيجاس وخريساوور المهول ، وتولد الهاريات ـ رموز العاصفة الرهيبة ويحدّثنا هسيود ـ في التيوغونيا ـ عن بداية كل شيء وانتسابه إلى الأرض ـ أم كل شيء . أما هو ميروس فيضيف الى مبتكرات هسيود جماعة من السيرينات اللاتي نصفهن للنساء ونصفهن للطيور واللاتي يفتن البحارة ثم يفتكن بهم ويزدردن لحومهم حتى صارت عظامهم جبلاً فوق الجزيرة كما يحدثنا عن سكيلا ذات الأذرع الاثنتي عشرة والأشداق الستة وعن دوامة هاريبدا التي تبتلع من يدنو منها .

ان هذه المرحلة مهمة جداً في بناء الاسطورة ، فلا يزال الغموض والجهل مسيطرين على وعي الانسان وهو يسقط الارواحية على القوى الكثيرة المجهولة التي لا يدرك كنهها ولا يعرف حدودها وفي الوقت لا يستطيع دفعها فهي تتمثل له وليدة قوة هائلة عظمى هي قوة الأرض ـ الأم (والتي سيتقلص دورها كثيراً عندما تؤول السلطة الى زيوس ـ الأب) ، وهي تلفت النظر بحجم الدور الذي تشغله في هذه المرحلة . وربما جاءت هذه الفكرة من سوريا حيث ظهرت «الأم الكبرى» تحت أسماء متعددة أهمها عشتار وكان أدونيس ـ السيّد ـ مرافقها ثم دخلت العبادة اليونانية فالرومانية بصورة رسمية فيما بعد وانعكس ذلك في قصيدة لقيان الشهيرة «الربّة السورية» ، وكانوا يتخيلونها أم الجبال والأنهار والبحار وأم المخلوقات الحية والالهة العظمى بينما لم تشغل رييا لدى اليونان سوى منصب الربة الاوليمبية . وكانت بلاد الشرق تحتفل بصورة دورية وبأشكال مختلفة بوفاة أدونيس ثم انبعاثه ومشاركة عشتار (تجسيد الكون والطبيعة) في افراح انبعاثه واتراح احتجابه .

واذا كانت الصور الأخيرة من أساطير اليونان قد أخضعت كل شيء لسلطان زيوس فان هنالك من الشواهد ما يكفي للاقتناع بان هذا الكون كان خاضعاً للقوة العظمى أو للربة الكبرى حتى ان صورة «أفروديتا الكونية» ظل يتردد وحتى آخر عهود الديانة اليونانية القديمة في مؤلفات هسيود فبارمينيد بل وافلاطون وارسطو وانتهاء بالافلاطونية الجديدة في العهد المسيحي .

وسيطرة فكرة الأم العظمى تعود في كثير من خيوطها إلى مرحلة ما يسمى بسيادة سلطة الأم في المجتمع وهو ما يمكن أن يقنعنا بقبول علاقات زواج غريبة قامت بين الآلهة ولا يمكن تفسيرها الا بمراحل غابرة جداً في حركة الفكر اليوناني كزواج رييا بابنها اوران لتلد منه اولاداً يتزاوجون فيما بينهم فيتزوج زيوس باخته هيرا وهو زواج لا يمكن قبوله في مراحل متقدمة من التفكير اليوناني وقد لمسنا في أساطير كثيرة الرفض المطلق لزواج الأب بابنته او الأخ بأخته وتجلت صورة الادانة لذلك في الفاجعة التي أنهى بها سوفوكل زواج اوديب من امه والذي انتهى الى أن شنقت الأم نفسها وفقأ الابن عينيه . وتظهر ملامح سيادة الأم في شخصية أرينا ـ

ملكة الثياكيين في الاوديسية . فهذه المرأة لم تكن فقط مجرد ربة للمنزل بل وملكة الثياكيين فجميع الرجال ـ لا زوجها فقط يهتدون برأيها ويطلبون منها المشورة وأمامها بالذاتي يرتمي اوديسيوس طلباً للحماية . ونلمس آثار هذه المرحلة في انتساب كثير من الآلهة والابطال الى امهاتهم ـ ابولون ، ابن لاتونا واخيل ابن فيتيدا ، وهناك من الاعياد ما يقام على شرف الربات دون سواهن . ويظهر هذا الدور الريادي للمرأة في امور أخرى يبدو دور الرجل ثانوياً فيها بل قد يكون الأب مجرد انسان عابر وهو ما نلمس آثاره حتى في العهود المتأخرة من الاسطورة . واذا كان لا يكفينا بحث تيليماخ عن ابيه للتأكيد على ذلك فهناك خروج تيسيوس من بيت أمه ايفرا الى ملك اثينا ايجيوس ليتعرف عليه بواسطة صندليه .

وتمدنا صور الأمازونات بدلائل جديدة على اولوية سيادة المرأة في المجتمعات القديمة . وقد اختلف المؤرخون في تحديد المكان الذي عشن فيه فافترضوا ان يكون ليسبوس او مناطق البحر الاسود او بلاد السكيف لكن ديودوروس الصقلي (الكتاب الثالث ، الفترة ٥٣) يقطع الجدل بقوله بوجودهن «في الأجزاء الغربية من ليبيا على أطراف المعمورة » ويذكر ان هؤلاء كن نسوة لا يختلطن بالرجال إلا لفترة قصيرة ومن اجل ضمان استمرار النسل ، وكن يقتلن المواليد الصبيان عند الولادة ويقضين جل اوقاتهن في التدرب على القتال وركوب الخيل وخوض المعارك . واذا كانت الاساطير التي بين أيدينا لم تصوّرهن الا من خلال انتصارات الرجال عليهن (انتصارت هرقل وتيسيوس وبيللير وفونت وأخيل) فالسبب في ذلك ان هؤلاء الاساطير كتبت جميعاً في العهد البطولي المتأخر ، عهد سيادة الرجل لا المرأة .

وعكست الاسطورة ايضاً حالات من علاقات زواج بين الهات وفانين من بني البشر وهو ما كان يبدو غريباً ـ اذا لم نقل مستهجناً ـ في عصر سيادة الرجل الا ان هذه العلاقات تحمل آثار تلك العهود القديمة ، وقد اورد هسيود عدداً من نماذجها وما نتج عنه من أطفال كزواج هارمونيا بقدموس ، وزواج ايوس ـ ربة الفجر ـ بأحد الفانين وكان ثمرته البطل ميمنون ـ ملك الاثيوبيين ، وزواج

افروديتا بأنخيس وقد أثمر الزواج اينياس الذي أسس روما فيها بعد وطالما تفاخر أباطرة روما فيما بعد بهذا الانتساب الخرافي الى افروديتا .

كان الانسان في تلك العصور البعيدة مسحوقاً امام القوة الكبرى التي هي الأرض والتي تتناثر روحها في الكثير من عناصرها التي رآها الانسان مضخمة مثيرة للهول . أما آخر آثار ذلك الانسحاق وتلاشي الأنا الانسانية بالمحيط الخارجي فتمثله القرابين البشرية التي عكست الاساطير بعض صورها القديمة . فقد تمت التضحية بيفغينيا لارتيميدا وبيوليكسينا لأخيل وضحّى مينوكوس ، ابن ملك طيبة بنفسه لانقاذ مدينته ، وضحت ماكاريا ، ابنة هرقل ، بنفسها للهدف نفسه . وقد استمرت هذه التضحيات والقرابين البشرية عهداً طويلاً فيما يبدو غير ان هوميروس بدأ يدينها عندما استهجن تضحية أخيل بالأسرى الطروادييين فوق محرقة باتروكل وغضب الآلهة على تانتالوس لأنه أطعمهم لحم ابنه ولعنوا اتريوس لأنه قدم لحم ولدي أخيه طعاماً لأبيهما ، وافتدت نيفيلا - ربة الغيوم ولدها بكبش وظهرت في ذلك كله دلائل الادانة لهذه العادة القديمة .

ومضت السنون ، وتقدم الانسان في مدارج التطور وتركت الأرواحية مكانها لمرحلة متقدمة جاءت نتيجة لارتقاء الانسان في السلم الفكري وتحقق نوع من السيطرة على الطبيعة ومن استقلالية الذات الانسانية واحترامها ، فبدأت تلك الصور الاسطورية الكئيبة الرهيبة تنسحب لتحل محلها اساطير مرحلة جديدة كان «البطل» الفردي محورها الرئيس ، مرحلة لم يلجأ فيها الى القتل الا عندما كان ذلك ضرورياً من أجل الخلاص من الحيوانات الخرافية واستئصال الشرور ومن أجل التصدي لأعداء الفرد والقبيلة والشعب .

- ٤ -

«فالارواحية» ، أو إصباغ الروح على المحيط الخارجي وجزيئاته كانت المرحلة الاولى المباشرة من صياغة الاسطورة وقد سادت في المرحلة الامومية

Matriarchate أو سيطرة الأم وانتقل المجتمع بعدها إلى عهد سيادة الأب حيث اتخذت الاسطورة شكلها الأخير الذي بين ايدينا وفي هذا العهد كفت المرأة ، وهي المنتج المباشر للجنس ، عن احتلال المركز الأساسي في المجتمع والمنظمة الموجهة لعلاقاته ـ وصارت الأولوية والقيادة فيه للرجل فهو العضو الأساسي في الانتاج و«بطل» المرحلة الجديدة ـ مرحلة استئناس المواشي واستكثارها ومرحلة استخدام الحديد وبالتالي تطوير الزراعة والانتقال نحو نظام جديد في الحياة ، نظام المجتمعات الرعوية ـ الزراعية بمعناها الواسع ثم الانتقال الى سلطة المدينة في أول تشكلاتها ، وهو ما يسمى بنظام البوليس .

وفي هذه المرحلة ظهر البطل القادر على اخضاع الطبيعة والتعامل بصورة جديدة مع مظاهرها التي كانت دوماً معادية لخيال الانسان البدائي تصعقه بقواها الخارقة وتجعله دائم التوجس من غموضها ووحشيتها وسطوتها .

فبدلاً من اولئك المردة وصغار الآلهة والعفاريت والقوى المتفرقة المشتتة يظهر بطل رئيس أول هو زيوس يدين له الآخرون جميعاً بالطاعة بينما يخرج هو ليتصدى لمختلف العناصر المخيفة والمروعة وضد العمالقة والجبابرة والسيكلوب فيقمعهم جميعاً ودون استثناء ويحشرهم في أعماق التارتار المظلم ليستقر بعد ذلك فوق قمة الاوليمب تحيط به بقية الآلهة وهو ما تغني به عدد من الشعراء مثل هسيود وهوميروس .

وينهج عدد من الآلهة منهجه في التصدي للقوى الشريرة . فأبولون يقهر التيفون ويقيم معبداً في المكان الذي جندله فيه كما يقوم بقتل اثنين من الجبابرة ـ أوتوس وايفيالت ـ اللذين نموا وترعرعا بسرعة خارقة للعادة وغرتهما قوتهما فاستطالا على الآلهة وبدآ يحلمان بالسيطرة على الأوليمب وانتزاع هيرا وارتيميدا من هناك ، بل ، ربما فكرا بالاطاحة بعرش زيوس نفسه . ويسير قدموس في مثل هذا الطريق فيقتل الأفعوان ويقيم مدينة في مكان المعركة ويتجه الأبطال على اثر هذه الخطى فيقتل بيرسيوس الميدوزا ويقتل بملليروفونت الخيميرا ويقتل ميلياچر الوحش الخرافي الذي عاث فساداً في المزروعات ، وعلى هذه الخلفية الواسعة من

الأبطال الأماجيد تبرز شخصيتان بارزتان تتوقف الأساطير امامهما بكثير من التفاصيل وهما شخصيتا هرقل وتيسيوس .

هذا الصراع بين العناصر البطولية الانسانية المظهر وبين القوى الشريرة العاتية والعائدة بجذورها إلى مملكة الحيوان والنبات والظلام لقي تجسيده في المعركة الطاحنة التي دارت بين اللابيغيين والقناطير وقد صورها اوفيد تصويراً مشوّقاً في احدى قصائده . وقد دارت المعركة في فيساليا بالقرب من جبل بيليون . وعلى الرغم من توحش اللابيغيين فقد ظهروا فيها بالقميص البشري بل ان ملكهم بيريفويوس كان صديقاً لتيسيوس بينما ظهر الأعداء ، القناطير ، في هيئات نصفها للبشر ونصفها للخيول (وتقول الاسطورة انهم يعودون بأصلهم إلى اقتران آثم بين الملك اكسيون وسحابة ظنها خطأً هيرا) . وقد برز هؤلاء خلال مأدبة العرس الذي أقامه ملك اللابيغيين فذهبت الخمرة والغطرسة بعقولهم القنطورية فدارت رحى حرب ضارية بين الجانبين انتهت باندحار القناطير وكانت مناسبة صور أوفيد خلالها وحشية القناطير وقواهم الجامحة غير المروّضة فكأن الشاعر قد صور في ذلك كله انتصار المجتمع في نقلته من المرحلة القديمة الوحشية الى مرحلة اكثر تحضراً .

وفي هذا المجتمع الجديد المتسم بكثير من العقلانية والتنسيق يظهر آلهة جدد هم الآلهة الاوليمبيون ؛ انهم أرباب العهد الجديد وقد اكتسبوا ادواراً تتفق وحال المجتمع الانساني الذي أبدعهم . فالآلهة الذكور يقومون بمهام الرجال وأعباء الملك بينما تسند للآلهة النسائية أدوار لم تكن معهودة في المراحل السابقة ، في عهود «الأم الكبرى» ، فهيرا تغدو ربة الزواج وحامية رباط الأسرة المكونة من الخلية الواحدة الصغيرة ، وتتخصص ديميترا في شؤون الزراعة واخصاب التربة وفي دورة الأرض والمواسم وتقطع أفروديتا صلاتها بدور الآلهة المتوحشة الشهوانية التي تلد وتدمر لتغدو آلهة الحب والجمال والتناسق وتصبح أثينا ربة الحكمة البتول وحامية الأبطال والمدائن والربة الجميلة المتعقلة التي تواجه فوضى اله الحرب الغاشم ـ آريس وتسقط على ابولون ملامح الجمال والتناسق ويتحول هرمز من اله جنسي بشع الى حام للصناعات والحرف والتجارة ويكلف بحماية الطرق والأسفار وبمرافقة أرواح الموتى في طريقها الموحش نحو مملكة الأشباح الدنيا . واذا كان هاديس قد

خطف بيرسيفونا وهبط بها الى الدياميس المظلمة فقد تدخل زيوس ليقسم حياة الآلهة بين مملكتي الظلمات وأضواء الشمس المشرقة لتعكس الاسطورة مرحلة عقلانية جديدة تفسر الدورة الأرضية بين الحياة والموت وهو ما كان انعكاساً لحياة المجتمع الزراعي .

وهذا الطور في حياة الاسطورة يعكس ايضاً تطوراً كبيراً في نظرة الانسان الى نفسه والى الكون المحيط به ، ففي هذه المرحلة يقف الانسان فوق الأرض مستقلاً شامخ الرأس وقد تحرر من كثير من قيوده ، وما كان هذا ليحدث الا بعد مراحل الانعتاق من الماضي المسحور بكل ما فيه من غموض وتشتت ومخاوف . وتبدأ في هذه المرحلة أول المشاعر بالمسؤولية الفردية ، فمن خلال أعماله وسلوكه يتسامى الانسان الى مراتب الآلهة أو يسف إلى دياميس مملكة هاديس .

وفي هذه المرحلة تنتهي سلطات المجتمع الأمومي الى الضمور . الا ان ازاحة المرأة الى المرتبة الثانية لم تتم دون صياغة اسطورة حافلة بالرمز ، فقد امر زيوس أخاه الحداد هيفست ان يصنع امرأة فاتنة أغدق الآلهة عليها أبدع ما في حوزتهم من جاذبية وسحر وقدمها هدية الى الانسان فكانت المرأة التي فتحت صندوق الشرور والكوارث ، وبهذا استحقت «باندورا» ان تكون رمز المرأة في المجتمع الأبوي ، المخلوقة الجامعة بين الفتنة والتهلكة ، بين السحر والمتعة والشر ، وكان ذلكِ ايذاناً بانتهاء سيطرة الأم إلى الأبد .

ولم يقتصر هذا الانقلاب الفكري على حياة الأبطال والآلهة فحسب بل وتجاوزهم إلى كل ميادين الحياة وتجلى ذلك في المعاني الجديدة التي اكتسبتها الطبيعة في الاساطير . فالطبيعة التي كانت في ما مضى مستودع القوى الشريرة المرعبة ومخزون الأهوال والمخاطر والمفاجآت الصاعقة ومستقر الغولات والعنقاوات والأفاعي الميدوزية بدأت الآن تكتسي بالاشراق والضياء والشاعرية والوضوح وتصبح قريبة من الانسان بل وموضوعاً يتغنى به الشعراء . فعرائس الجبال والسهول والبحيرات ومن يسمين بالاوكيانيدات أو عرائس البحر والنيريدات وجنيات المروج والغابات والتي كانت مخلوقات بشعة مخيفة اكتسبت الآن صوراً أقرب الى الود بعد ان زادت قدرة الانسان على اخضاع الطبيعة وبعد ان أصبح

الكون اكثر طواعية لارادته وانسجاماً مع متطلباته ، فبدلاً من نظرة التوجس والريبة التي كان الانسان ينظر بها إلى المحيط صار يحاول أن يتفاعل معه ويكيفه لمطالبه ويتذوق ما فيه من جمال . وهكذا لم يعد بوسيدون الآله الغاشم والحاكم المطلق الوحيد في عالم البحار بل وصار الى جانبه نيريوس ـ العراف الحكيم الذي ينصر الانسان ويرشده الى طريق الصواب وصارت بناته النيريدات ـ المساعدات الأبديات لبني الانسان، وانتشرت العرائس في كل الأرجاء كمصادر للشاعرية والجمال بل وصل الخيال الاسطوري في طموحه حتى الى تطويع الصواعق والبروق فلم تعد هذه العناصر مجرد ظواهر مخيفة خارقة للعادة لا منجاة من بطشها وجبروتها بل هي توابع لزيوس يتصرف بها حسب ارادته وهو من يعرف متى يرسلها والى من .

واحاطة زيوس بهذه المجموعة الكبيرة من العناصر والتابعين تدلل على خطوة تطويعية جديدة لعناصر الكون . فنيلي ـ ربة النصر لم تعد روحاً غامضة جامحة بل هي ربة مجنحة ترمز الى قوة زيوس ، وفيميدا التي كانت تمثل في الماضي قوة الأرض الغاشمة ومسلكها غير المفهوم تغدو ربة العدالة وناموس الأرض الدقيق وهي تقف الى جوار زيوس لترمز إلى المملكة القائمة على النظام ، ومن اقترانهما تولد الاورات ـ ربات أوقات السنة ـ وهن ربات فاتنات طيبات ، ميالات الى المرح ، يحمين نظام الكون وينزلن الامطار ويفتحن البوابات السماوية ويغلقنها وفقاً لقوانين قائمة على العقل والمنطق ، وبجوار زيوس ايضاً تقف هيبا ، ربة الجمال الخالد ، اما المويرات اللاتي كن ربات المصير المخيفات فصرن مرحات باسمات سعيدات محيطات بزيوس . وينحو ابولون هذا المنحى فهو محاط ايضاً بربات الفن الحكيمات الراقصات ، كما تحيط بافروديتا وابنها مجموعات من أرباب الحب العرابيد ، وتظهر بجوارهما الهاريات ، ربات التناسق الأبدي ، وهم يقضون معاً حياة لاهية راغدة لا تشوبها الأحزان والأكدار .

ومما يلفت النظر ان الآلهة أخذوا يهتمون بسعادة البشر وتيسير سبل العيش أمامهم ، فديميترا تقدم بذور الحنطة الى نيوبتوليم لينشر زراعتها في مختلف أرجاء الكون ، ويخرج هرمز وبان ليسرحا بقطعان الماشية وليحمياها ويقدم بروميثيوس

للبشر ثمار المعارف والعلوم ويسرق لهم النار ويعلمهم كيف يجابهون مشاكل الحياة وكيف يعالجون الأمراض ويقوم بوسيدون وأبولون ببناء أسوار طروادة ، وتستوقفنا قصة أمفيون خلال عملية البناء فقد كان يعزف موسيقا ، فتتحرك الأحجار طرباً وتخرج من تلقاء نفسها لتثبت في اماكنها في الاسوار ، واورفيوس يخضع الطبيعة والوحوش لسحر موسيقاه ويروّض هرقل أفراس ديوميد الضارية وأخيراً يظهر الصانع الماهر دايدالوس فيبني قصر اللابيرينت المذهل ويبني بداخله حلبة لرقص اريادنا ويطمح الى ابعد من ذلك فيصوغ الجناحين المكسوين بالريش ليطير بهما في أرجاء الفضاء .

لقد بدأت سيطرة العقل البشري على الكون وبدأت تستيقظ تطلعاته الطموحة الى السيادة واستئصال الشرور وازاحة العقبات والمثبطات .

ومن هذا المنطلق بالذات يمكننا أن نفهم الأسطورة ، أو الأساطير ، المتعلقة بهرقل والأسباب التي جعلت منه رأس أبطال اليونان، فهو يطهر الأرض من الشرور فيقضي على افعوان ليرنا وأسد نيميا ومهاة كيرنا وطيور الستيمفال وسوى ذلك من القوى المتوحشة ويعزز سلطة المجتمع الابوي بانهاء عهد سيطرة الأم وذلك باستيلائه على حزام هيبوليتا ، وفضلاً عن ذلك كله ينجز مغامرتين لم يقدر لأحد سواه أن يسمو إليهما فهو يحصل على تفاح الهيسبريد وينفذ إلى أعماق عالم الظلام ليخرج منه بالكلب الجنهمي كيربير . وأمثال هذه الخطوات الجريئة الطموحة ما كانت لتتحقق الا في مرحلة نضال الانسان من اجل السعادة والايمان المطلق بالقوة الانسانية التي لا حدود لها ، فلا عجب ان تقوم الاسطورة باصطفاء هرقل وان تختصه بمرتبة لم ينلها احد من الفنانين فتسمو به الى مراتب الآلهة وتضعه بين الخالدين في الاوليمب وتزوجه بهيبا ـ ربة الجمال الخالد .

وعلينا ألا ننسى ان هرقل استطاع ان يرفع القبة السماوية على منكبيه وهو أمر ما كان للانسان أن يفكر فيه خلال فترات الانسحاق السابقة تحت مختلف قوى المردة والميدوزات وأشباهها . أما الآن فقد انطلقت قوى الانسان الفرد وكان رفع السماوات اعظم تجسيد لذلك .

وفي هذه الفترة يبدأ الشعور بأن الأرض بكل اتساعها لم تعد كافية لتستوعب نشاط الانسان فيدخل الاساطير عنصر جديد يعكس تطلعات اليونان الى ما وراء حدود بلادهم فيجتمع الابطال اليونانيون كافة ليقوموا بحملة مشتركة الى ما بعد حدود عوالمهم المعروفة ، الى ما كانوا يتصوّرونه طرف الدنيا وهو بلاد كالخيدا الواقعة في القوقاز البعيدة حيث مثوى الجزة الذهبية ـ رمز الثراء والجبروت . ثم كانت الحرب الطروادية واحدة من نتائج الغزو اليوناني فتغدو حروب طروادة موضوعاً لمجموعة كبيرة من القصص الاسطوري الجذاب .

وتعكس الاساطير تمجيد البطولة في لوحات كثيرة تؤكد على الرجولة والقوة والصمود وتبين اندحار قوى الشر وهزيمتها امام جبروت الارادة البشرية وتحديها ، فقد صمّ بحارة أوديسيوس آذانهم عن غناء السيرينات الفاتن الخادع فألقين بأنفسهن في البحر واقتحم الارغوناويتون لأول مرة صخور السيمپليغاد المزمجرة المضطربة فكفت الى الابد عن التراطم والهدير وحل أوديب أحجية أبي الهول فاضطربت اركانه وطار ليلقي بنفسه الى البحر من شاهق .

هذا وتظهر سيطرة العلاقات الجديدة وطغيان مفاهيم المجتمع الأبوي القبلي الذي تسوده علاقات قائمة على أساس سلطة الأب في كثير من هذه الاساطير ، وهو ما يفسر ما نلاحظه كثيراً في الأدب اليوناني من انتقاص لقيمة المرأة فتيليماخ الفتى يرفع صوته عالياً في مجلس عام ليعرّف أمه بأنه هو السيد المطلق في المنزل خلال غياب أبيه وتتعرض الدانايات لعذاب أبدي قاس لانهن رفضن الزواج بمن لا يرغبن ، وأثينا تولد من هامة زيوس كتأكيد على امكانية الاستغناء عن المرأة حتى في صميم وظائفها كأنثى . ويتجلى الدور المركزي للأب كمحور تنتهي اليه جميع الخطوط ، فزيوس يحتل المركزي القطبي الاوليمبي وهو كبير الآلهة والآخرون تابعون له ـ فهم أخوة له أو ابناء أما كبار أبطال الاساطير فأولاده (من الفانيات) أو أحفاده ، فهو اذن رأس ذلك المجتمع القبلي الذي ينتظم الآلهة والبشر وزوجته هيرا شديدة الغيرة عليه ، ونلمس في غيرتها توق المرأة الى عهد السلطة الأم الذي انتهى ولم تبق منه غير وظيفة ثانوية للمرأة .

أما الاضطراب الذي نلمسه في صميم بعض الاساطير احياناً فمرده الى الانتقال بالاسطورة الى عهد جديد واحتفاظها ببعض عناصر الماضي . فنعرف مثلاً ان هرقل أصبح مخلداً فوق الاوليمب بينما يلتقي به اوديسيوس في مملكة الموتى ، وبروميثيوس يظهر مرة مخلداً في العقاب ومرة وقد نال حريته بفضل هرقل ، أما الغورغونات الثلاث فاثنتان منها خالدتان والثالثة مائتة وتظهر المويرات مرة بنات الليل ومرة بنات زيوس والعمالقة يظهرون مرة وقد أقحموا في التارتار ومرة وقد افلتوا منه .

هكذا تبلغ الاسطورة ذروة ما نسميه بالعهد البطولي ، الا انها تميل بعد ذلك الى الانحدار ، فتطور المجتمع وظهور طبقة أعيان الأرض والتجارة والنظام الملكي ومحافل المدن والتشابكات الاجتماعية الجديدة تنتهي بمجموعها الى نظام جديد بدأ يتجه بالآلهة نحو الغروب والتلاشي فزيوس يغدو مع الزمن ملكاً أو شبيهاً بأحد ملوك العهد المتأخر ويبدأ تصوير الآلهة بخطوط ساخرة بينما يتعاظم دور العقل البشري لينتهي الى الاقتناع بتهافت هذا النظام الوثني من أسسه . ويمكن التثبت من ذلك بمقارنة سريعة نجريها بين نظرة التوقير الكبير التي نظر هوميروس بها الى الآلهة وبين بدايات الشك والارتياب التي نلمسها في مسرحيات اسخيل الى ان يتحول الأمر إلى سخرية لاذعة من الآلهة وهجاء مر نقرؤه في أدب العهد الهيليني وخاصة لدى لقيان . فقد بدأ العقل البشري يحس بأنه أمام أوثان لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً بينما يتعاظم دور الشخصية الفردية واستقلالية العقل الانساني .

وهكذا يغدو زيوس شبيهاً بواحد من الملوك الخَرِفين وقد يقع في السهو ويتعرّض للغفلة حتى لتخدعه زوجته أو ابنته . أما الآلهة فيتعرضون للتصوير الكاريكاتوري الساخر وتسود بينهم الوان الشقاق والنزاع وتتجلى في مسلكهم كل صور الضعف الانساني ، وتسرف زوجاتهم الالهات في التبرج ، أما هم فينفقون وقتاً طويلاً حول موائد الطعام والشراب ويغلّبون هواهم على أداء واجباتهم ، بل ان هناك من الأبطال من يحاول تحديهم والنيل منهم فتغتر نيوبا بأعداد أولادها وبناتها وتستكبر على لاتونا ـ أم الولدين ـ وترى أنها أعلى منها مرتبة وأعز نفراً ،

ويحاول الساتير مارسيوس ان ينافس أبولون في العزف ويصطرع الفاني ايداس مع أبولون من اجل الظفر بامرأة فلما يترك لهازيوس ان تختار لنفسها تفضل الفاني على الاله وينجح سيزيف مرات في خداع الآلهة ويشتم اخيل ابولون لأنه اخفى هيكتور عن عينيه ويدخل ديوميد في صراع مع آلة الحرب آريس ويجرح افروديتا ويستهتر تانتالوس بقدرات الآلهة على المعرفة فيقدم لهم طعاماً بشرياً ليمتحنهم به . والحق ان هؤلاء المستكبرين . يلقون القصاص ـ فالآلهة بالنسبة للأساطير آلهة والبشر بشر، الاّ أن مواقف التحدي هذه تشير الى عهد جديد بدأت الاسطورة فيه تحتضر ، وربما كان ذلك العهد هو الذي نفح التراث العربي بمجموعة من الطرائف حول آلهة اليونان وأبطالها فمن ذلك ما أورده ابن دريد في «المجتبى» اذ قال إن «اكسيرجس عمل ثوراً من طين وقربه في اليوم الذي كان أهل بلده يقربون القربان لأصنامهم وقال : «قبيح أذبح الحي المتنفس لما ليس بحي ولا متنفس» ، «وكان ـ سطراطو ثيغوس ـ يطبخ قدراً فنفذ الحطب فقال لاراقلس (لهرقل) وهو بالقرب منه : يا أراقلس ، زعمت أنك جاهدت اثني عشر جهاداً ، فاجعل هذا الثالث عشر ، وأخذه فجعله تحت القدر» .

وتتجلى هذه النظرة الجديدة الى الآلهة في موقف اليونانيين من ديونيسيوس وبروميثيوس : فالأول يبدو وكأنه قام ليلغي الحدود بين الانسان والآلهة فهو الاله العربيد الذي يدعو إلى الاحتفالات ويعمل على تنظيمها ويجمع المجان حوله ، وقد انتشرت عبادته انتشاراً كبيراً في البلاد اليونانية وكانت الاحتفالات به تمثل شبه تحدٍّ للارستقراطية الاوليمبية . أما بروميثيوس فقد بقي خلال العهد البطولي بطوله مغلولاً الى صخرته الهائلة فوق جبال القوقاز (وهو ما جعل هوميروس يصرف عنه النظر) حتى اذا انتهت الحروب الطروادية وبدأت العلاقات الاجتماعية الجديدة وجدنا هرقل يتجه اليه ليحرره ويوافق زيوس على عقد الصلح معه ، وهذا يعني انتصار الفكر البروميثيوسي ، اي نهضة العملقة البشرية ولكن بعد ان تجردت من مضمونها الاسطوري الوثني الذي كان واضحاً في العهود الغابرة ، ففي بروميثيوس يتجسد الانسان المعتمد على عقله وذراعيه والذي ساد الطبيعة بعد ان كان عبداً لها ، ولهذا نجد اسطورة هذين الالهين ـ ديونيسيوس وبروميثيوس ـ

تحظى باكبر انتشار لها في العهود المتأخرة وخاصة لدى اسخيل ويوريبيد .

أما «الميتامارفوزي» التحولات من الهيئة البشرية الى صور الحيوان أو النبات ، والتي ترددت كثيراً لدى اوفيد فلعلها تعكس المرحلة الأخيرة من تفسخ الاسطورة وتحوّلها الى شيء من الماضي الذي جعله تعاقب الأزمنة «ذهبياً» ومصدراً للشوق والحنين . ويبدو ان الذاكرة الجماعية اليونانية قد اختزنت تصورات وأوهاماً عن الأيام الأسطورية التي بدت ـ بسبب من تقادم العهود ـ ساحرة، جذابة ومشرقة فالانسان يحن الى العودة اليها وكانت «التحولات» تعبيراً عن الحنين الى ذلك الماضي في زمن بدأت العلاقات الاجتماعية ترهق الانسان وتزداد فيها حياته سوءاً على نحو ما صورته «العهود الخمسة» التي حدثتنا عنها الاساطير .

ـ ٥ ـ

وهكذا فان قيمة هذه الاساطير كمعتقدات دينية تتجه الى الانحسار ، الا انها لا تزال ـ حتى أيامنا هذه ـ تتوهج بمعانيها الانسانية العميقة التي اكسبتها الخلود ولا تزال من أهم اسباب استمرارها ورسوخها في الخيال الانساني . فالاساطير تستمد ـ في العهد الحاضر ـ جاذبيتها من مصدرين : بنائها الفني وسحر الحكاية فيها واشتمالها على عناصر التشويق مضافة الى البعد الانساني في مضمونها والذي جعل منها معيناً لا ينضب بالنسبة للأدب والفكر والآثار الفنية الجميلة .

فمن هذه الأبعاد الانسانية النبيلة التوجه العام للاسطورة ، فهي بكل ما فيها تمجيدٌ للقيم الرفيعة في الانسان وحربٌ على النقائص والمثالب : فمنذ الخطوات الأولى للوعي الانساني برهنت الاسطورة اليونانية على ان مفردات الفضيلة والخير لم تتغير عبر التاريخ فالشجاعة والكرم والعفة والايثار والمروءة وحب الوطن والوفاء بالعهد واكرام الضيف وتوقير المسنين واغاثة الملهوف ومساعدة المستضعفين ومواساة المرضى وتربية الطفل على الخصال الحميدة ـ كل هذه مناقب كرمتها الاسطورة وحضت عليها مثلما أدانت الشرور بكل مفرداتها فشنأت الجبن

والجشع والغطرسة والغدر والخيانة والغرور والاستهتار بالقيم والتعالي على الآخرين وما إلى ذلك من مثالب . والملاحظ ان أهم أسباب اقتراب الاساطير من نفوسنا هو وفاؤها لقيم الخير وتجاوبها مع الجوهر النبيل في الانسان وهذا ما لا يتعارض مع قيمنا الدينية ، بل انها نفس القيم التي رفعنا بسببها الكثيرين من أجدادنا الجاهليين إلى أعلى مراتب التكريم ومنحناهم زوايا خالدة في قلوبنا ، فنحن نذكر بكثير من الفخر والاجلال حب الوطن والتفاني في الدفاع عنه لدى سيف بن ذي يزن ونتناقل أحاديث الفروسية والشهامة وعلو النفس لدى عنترة العبسي وسخاء اليد وكرم المسلك عند حاتم الطائي بل ونجعل من هؤلاء وأمثالهم قدوة لأطفالنا ، ولعل هذا ما يقرب الى نفوسنا شخصية هيكتور النبيلة الشجاعة وهو يتفانى حتى النفس الأخير في سبيل الدفاع عن وطنه ونكبر شجاعة اوديسيوس وحكمته وتفاني هرقل في سبيل خدمة الصالح العام والفدائيين الذين قدموا ارواحهم في سبيل نصرة الوطن . ومثلما نقف منبهرين أمام هيكتور واياكس وقد التقيا عدوين وافترقا صديقين وكل منهما يحمل هدية من صاحبه تدل على كرمه وكرم نفس عدوه هكذا أيضاً نقف بإعجاب امام البطل ياسون وهو يساعد العجوز الضعيفة حتى يقطع بها مياه النهر الجبلي الصاخب ، وعلى العكس من ذلك نقف بكل استنكار أمام لؤم بروكريست وبيريفيتيسيس وسينيوس وكل منهم يتفنن في تعذيب ضيوفه الابرياء وقتلهم كما نستنكر موقف الخطاب الذين تجمعوا يبددون أموال اوديسيوس الغائب ويفرضون على زوجته زواجاً لا تريده ونستهجن موقف ميديا وهي تقتل أخاها في سبيل زوجها ... ، وتتردد هذه اللوحات في الأساطير بين الاشراق والاظلام ، بين الخير والشر ونجد أنفسنا ننفعل بها كما انفعلت من قبلنا اجيال عديدة وذلك كبرهان على وحدة القلب الانساني وتأثره المشترك بهذه المعاني التي لولا توفرها في الاساطير لانقلبت الى حكايات باردة ، قد لا تستحق غير النفور والسأم والملل .

ويمكننا أن نضيف الى هذه القيم الانسانية أبعاداً أخرى عن حكمة الاقدمين الذين رأوا في الاساطير شيئاً أبعد بكثير من أن تكون مسرحاً للهو الآلهة ونشاطاتهم وصراعاتهم فضمنوها معانٍ لحركة الحياة نفسها وتفسيرات لم تفقد قيمتها وأصالتها حتى أيامنا هذه :

الجيش اليوناني يتوقف في الطريق الى طروادة رازحاً تحت ضروب من الكوارث والطاعون . ماذا حدث ؟ ارتيميدا تطالب بأضحيّةٍ بشرية . ومن تكون الضحية ؟ يفغينيا ، ابنة قائد الجيش ، ابنة اغا ممنون لا سواها ! أليس في هذا اختبار لصدق النية في القتال ؟ ان النصر لم يكتب دون تضحيات وعلى القائد ان يبدأ بنفسه ، وهكذا تتكرر الاسطورة اكثر من مرة فقبيل البدء في أي معركة مصيرية يجري اختبار المقاتلين فيضحي ابن ايتيو كل بنفسه مختاراً ، وتضحي ابنة هرقل بنفسها ويكتب النصر لجيشيهما . وقد كان نجاح اوديسيوس في سرقة تمثال اثينا من طروادة بداية النهاية بالنسبة للمدينة المجيدة وكأن الحكمة تقول ان الآلهة لن تساعدنا ما لم نساعد انفسنا وأن لا حياة لمدينة عجزت عن الحفاظ على تمثال ربتها . وهيلين التي جرفها حبها الى الشاطىء الآخر فنسيت الزوج والبيت والوطن لم تلبث ان عادت الى طبيعتها اليونانية عندما مالت الكفة ضد زوجها الطروادي فأخذت تساعد بني جلدتها فلا أمان للأعداء مهما تظاهروا بالود ، بل ان في موت باريس «حكمةً» محزنة ـ فقد ضرب هذا الفتى في العالم وحقق الأمجاد وتزوج أجمل امرأة في الدنيا وأشعل حرباً تطاحن فيها اكبر شعوب الأرض ، لكنه عاد أخيراً ليموت وحيداً في البريّة التي نشأ فيها ولم يبكه أحد غير زملائه الرعيان . وأمفياراي أهلك نفسه بيده عندما وافق على القبول بأي قرار تقضي به زوجته مهما كان فلم يكن عجيباً ـ وقد عطّل ارادته بنفسه ـ ان تقضي عليه زوجته بالهلاك . وقد ماتت زوجة اورفيوس فأذهلت الكارثة الزوج العاشق عن كل شيء وبرحت به لواعج الحزن حتى قرر الهبوط الى ديامیس الظلمات السفلى واستعادة زوجته . واستطاع الشاب المولّه المحزون ان يلين قلب هاديس الكالح بغنائه الشجي وبصدق شكواه وبلاغة ضراعاته حتى اذن له سلطان مملكة الموتى بأن يأخذ زوجته معه من مملكة الأموات وشرط عليه لتحقيق غايته الا يلتفت الى المرأة ولا ينظر في عينيها طيلة الطريق الممتدة بين الظلام والنور . ونفرح للنتيجة التي توصل اليها العاشق ونحس بانتصار العاطفة ، الا اننا نسير في موكب العودة مع البطل وندرك لهفته في النظر الى الزوجة المحبوبة ونود لو انه تريث قليلاً فقط قبل أن يتلفت الى الوراء . . . ولكن لا ، فقد نفذ صبر العاشق واتجه بنظره الى زوجته ليرى طيفها

الذي كان قريباً منه وقد أخذ يبتعد ويبتعد الى ان توارى في مملكة الأموات . ونحزن لاورفيوس ونكاد نحمله تبعة قتل زوجته وشقائه الجديد ولكننا لو تأملنا في الموضوع لأدركنا ما فيه من حكمة عميقة تقول بصوت حزين أنها قسمة الانسان على هذه الارض فلا أمل في الحياة الدنيا بعد الموت وعينا الحي والميت لا تلتقيان وان علينا ان نقبل الموت كحقيقة مثلما نقبل الحياة . واذا كانت باندورا قد فتحت القمقم العجيب جاهلة بما فيه فانطلقت منه جميع الشرور والكوارث لكنها سارعت الى اغلاقه فبقي في قرارته «الأمل» ليظل محرّك حياة الانسان على الأرض والشعاع الذي ينير الوجود . وتحاول أثينا أن تهب صفيتها بينيلوب جمالاً ساحراً يزيد زوجها اعجاباً بها فتغرقها في سبات عميق لتؤكد الاسطورة ان النوم وراحة البال والبدن ـ أول أسرار الجمال الجسماني ، وإذا كانت بينيلوب قد أنكرت زوجها بعد عشرين سنة من الفراق فقد بقي أمام اوديسيوس طريقة أخيرة ليعرف بنفسه فكشف لزوجته سر مخدعهما الزوجي فقطع بذلك كل شك وكأن الحكمة في ذلك ان لكل زوجين سراً لا يعرفه سواهما . ويظهر زيوس لمن فتنته من النساء في هيئات مختلفة فهو يأتي اوروبا في هيئة ثور ودانايا في هيئة مطر من ذهب وليدا في هيئة بجع جميل ، فكأنه يقتحم الأسوار الى المرأة بأساليب يصعب ردّها وهي القوّة والمال والجمال .

ويزيد من البعد الانساني لهذه الاساطير « أنسنة » الآلهة أنفسهم ، فهؤلاء لم يعودوا ، وخاصة في العهد المتأخر ـ آلهة بل بشراً في مستوى أعلى من القوة يمتازون على سواهم بالخلود ، ومن هذا المنطلق يصدر فهمنا لهؤلاء الآلهة وتعاطفنا معهم ، فنحن نتأثر للوحة الوداع الانساني بين هيكتور ـ الزوج المحب الحنون وزوجته الرقيقة اندروماك ، ونحس بالمشاعر نفسها نحو الربة العظمى ديميترا التي فقدت ابنتها بيرسيفونا . فديميترا تبدو في هذا الموقف انسانة بائسة ضعيفة جردتها المصيبة من كل عظمتها وجبروتها وحولتها امرأة ثاكل تثير التعاطف والمشاركة في كل قلب . ومن هذا المنطلق نتعاطف مع بروميثيوس الصامد ونطلق صيحة الفرح مع تيسيوس وقد جندل المنيوطور .

وهذه « الأنسنة » لم تكن انتقاصاً من قدر الآلهة بقدر ما كانت رفعاً لقيمة الانسان . الا ان اهم ما قدمته الاسطورة ـ اسناد المركز المحوري فيها للانسان نفسه ، فهو السيد على الارض والآلهة يتخذون أشكالهم وصورهم وأبعادهم من صورته. ونلاحظ هذا القبول بـ «ترابية» الانسان ومعدنه الأرضي في قصة ميداس الذي تمنى على ديونيسيوس ان يهبه قوة خارقة تتجاوز القدر الأرضي الترابي للانسان فاستحال كل شيء يلمسه الى ذهب ، وبذلك جنى على نفسه جناية كادت ان تودي به الى الموت . والانسان هو الذي شد من أزر زيوس في حربه مع العمالقة فتحقق النصر لكبير الآلهة بذلك واستطاعت ريا . ان تجد عقاراً شافياً يبريء من جميع الأسقام والأمراض لكنها لم تجد عقاراً يشفي من سهام البطل الأرضي هرقل، وبروميثيوس ظل مغلولاً الى صخرته دهوراً طويلة حتى حرره واحد من الفانين وخيّرت ماربينسبا بين اله وانسان فاختارت الانسان .

ومثلما كانت هذه الاساطير منبراً لتمجيد الانسان الأرضي والاشادة بامكاناته كانت أيضاً وعاءً للأحلام الانسانية العظمى وطموح الانسان الى تجاوز ذاته وواقعه عن طريق هذه الأحلام . فنحن نعيش الآن عصراً تجاوز الواقعُ فيه الخيال بينما تمثل الاساطير الخيالَ الذي تجاوز الواقع واقتحم الحدود والأسوار والامكانات ، فدايدالوس يطير في طبقات الفضاء وايكاروس يسعى الى بلوغ الشمس وبيجاس يطير بفارسه حتى يضاهي الشهب وبيرسيوس يطير بصندليه المجنحين وجعبته تتسع وتضيق تبعاً لمايوضع فيها مهما بلغ مقداره ، وتقوم الكيران في مصنع هيفست بنفخ النار بحركات ذاتية وتخرج من المصنع تماثيل تتحرك من تلقاء نفسها وتستنبط ميديا عقاراً عجيباً يعيد الشيوخ الى الصبا وينفذ الديو سكوري بأنظاره الى مابعد الجمادات وإلى أغوار الماء وتروّض الرياح في قربة جلدية فتسير بالبحارة حسب ما يريدون ، وهذه في مجموعها طموحات العقل الانساني الى تجاوز الواقع وما اكثر ما نجدها في الحكايات والسير الشعبية العربية .

ان اغتناء الاساطير بهذه الأبعاد الانسانية الاصيلة يفسر التفات الأدب والفكر والفنون اليها منذ العهود القديمة وحتى العصر الحاضر . فالأدب أفقد الاساطير تلك القشرة الطقسية القديمة ليحولها الى موضوعات حافلة بالعبر وأضاف

كثيراً من اللمسات الفنية التي لايمكن تفسيرها بغير الشعر: فالسيرينات يجتذبن البحارة العابرين الى الجزيرة ، الى مملكة الغناء السحرية التي تقوم الى جوارها تلال من عظام البحارة المقتولين وجماجمهم في تجاور « شاعري »بين فتنة الجمال وشناعة الموت ، كما ترتدي أسطورة نرسيس مثل هذا اللبوس ، فهو ضحية الأنانية الفاجعة التي بلغت الشخصية فيها غاية انقطاعها عن الآخرين ، فحتى في الطبيعة الساحرة لا يرى نرسيس الا نفسه ولهذا حكم على نفسه بالموت قبل أن تحكم عليه الحياة . وقد أشرنا الى أن الصياغة الاسطورية نفسها تؤخذ من الأدب لا من المأثورات الدينية نفسها ، بل إن الأدب هو الذي كان سبباً في خلود أمثال هذه الشخصيات الشهيرة كبروميثيوس ، اوديب ، أخيل ، سيزيف ، اوديسيوس وايلكترا والتي تحول بعضها الى رموز غنية بالدلالات ، كما استطاعت ملحمة الالياذة والاوديسية ان تضفي الصيغة الجذابة على مئات الاساطير وعلى الحرب اليونانية الطروادية . ومن حقنا ان نتوقف بقليل من الاستطراد أمام هذا الأثر الأدبي الفريد . فمهما بلغ اعجابنا به واشادتنا بقيمته الادبية فاننا لايمكن ان ننسى انه في الوقت نفسه تجسيد للوحشية الاوروبية في أول جولاتها مع آسيا . وانقسام الآلهة بين موالين لليونان وموالين للطرواد يبيّن مناصرة آلهة الشدة والعنف الى جانب الأولين وآلهة الفن والجمال الى جانب الطرواديين الذين كانوا أعلى كعباً في المستوى الحضاري . أما تدمير المدينة على تلك الصورة البشعة فكان فاتحة المآسي التي تعرضت لها مدن سامية عربية أخرى مثل قرطاج وانطاكية والقدس ووهران فيما بعد وأخيرا تدنيس أخيل لجثة عدوّه هيكتور وجرها وراء العربة حول اسوار طروادة لايمكن الا ان يثير في أذهاننا صور الدبابات الاسرائيلية وهي تخوض في دماء أطفالنا في المخيمات .

وإذا كان الأدب قد خلد بعض الشخصيات معتمداً على الاساطير فانه طرح أيضاً بعض النماذج الخالدة كانموذج « البطل التراجيدي » في مسرحية انتيغونا لسوفوكل . فصوت هذه الفتاة البريئة المظلومة لايزال يتناهى الينا عبر السنين معبراً عن الموقف الصعب عندما يكون على الانسان ان يختار بين « أمرين ـ أحلاهما مر » وقد علمنا سوفوكل ان مثل هذا الاختيار وقف على ذوي النفوس الكبيرة ، فهم

من يتوقفون أمام القبول بالواقع الفاجع (وهو خيار مر) وبين الاقدام على التضحية بالنفس (وهو أشد مرارة) واذا كان غالبية الناس يلجأون الى « الفرار » بدلاً من« الردى » فانتيغونا تسير بالقضية حتى نهايتها المأساوية وتشري راحة النفس بالموت، لانها إن فرت من مواجهة السؤال فهي عاجزة عن الفرار من نفسها ومن نداء الواجب الذي يحدوها الى الفعل .

ويخوض اوريست ذلك الصراع عبر معاناته الضمنية التي تصل به الى الجنون . فالايرينيات اللاتي صورهن اسخيل لسن الهات مرئيات بل هن لواعج الضمير ووخزاته الدامية في أعماق النفس الانسانية أثناء مواجهتها لحظات القرار الحرج . فقد أقدمت أم اوريست على ارتكاب جريمة شنعاء ، لقد خانت زوجها ثم قامت بقتله . فماذا يكون موقف اوريست من أمه وقد قتلت أباه ؟ وماذا يكون اختياره ! أيلجأ الى القرار ولكن اين يفر من ضميره ومن صوت أبيه وهو يستصرخه للانتقام . إن الدم يطالب بالدم وجريمة قتل الزوج تطالب بجريمة أشد هولا ـ جريمة قتل الأم ، ويتم التنفيذ .

ينقسم المحلفون أثناء محاكمة اوريست قسمين متساويين . ويحمل هذا رمزاً لانشطار الضمير الانساني الموزع بين دوافع الخير والشر . ويصمت الانسان عندما يطالب بالاجابة : أيبرأ اوريست أم لا يبرأ . لقد لجأ سكان أثينا منذ آلاف السنين الى ربتهم أثينا لترجح الكفة الى احد الجانبين لكن السؤال لايزال محيراً يستعصي على الاجابة النهائية حتى اليوم .

ولا تبتعد مأساة ميديا عن هذا كثيراً . فماذا يمكن للمرأة أن تقدم بعد أن ضحت في سبيل محبوبها بالأهل والشقيق والوطن واقدمت على الفرار معه وسفك دم بريئة وخيانة المعبد . ان نفس ياسون تتطلع الى عوالم جديدة واقتحام ميادين جديدة . الم يدفعه حب المغامرة يوماً الى خوض معتركات الموت من اجل الوصول الى كالخيدا ؟ فلم لا يتزوج ابنة ملك كورنيث ويغدو ملكاً . أين تذهب تضحيات ميديا اذن . لقد اجتاحت عاصفة الحقد في قلبها كل شيء وغطت على عاطفة الأمومة وحب الزوج فكان الانتقام على قدر الخيانة .

ومثلما لقيت هذه الاساطير انعكاسها في الأدب تجسدت أيضاً في الوان مختلفة من الفنون النحتية والتطبيقية والتشكيلية التي نجدها منثورة في جميع المناطق التي عاشت الحضارة اليونانية أو تأثيرها بشكل أو بآخر .

فالتماثيل والنقوش الجدارية واللوحات النافرة على جدران المعابد والمدافن والقصور والمسارح وتيجان الاعمدة القائمة في الشوارع والساحات العامة ومختلف الرسوم والاشكال فوق قطع السلاح وفوق الكؤوس والمزهريات والاواني بالاضافة الى اعداد لا حصر لها من الحلي والخواتم والقلائد والأحجار الكريمة الحافلة بالنقوش ، كل هذا يستلهم الاساطير القديمة ويرتبط فهمه الى حد كبير بفهم هذه الاساطير .

ومما يزيد في طرافة هذه الآثار الفنية وقربها منا ان الفنانين اليونانيين لم يعتمدوا ـ وخاصة في آثارهم النحتية الكثيرة ـ اسلوب التضخيم المبالغ فيه ولا الاشكال المسوخية لآلهتهم ، فالآلهة لديهم تكتسب الصورة الانسانية الطبيعية بأبعادها وتعابيرها وهو ما يزيدها قرباً من عالمنا ويجعلنا نرى فيها حركتنا ومشاعرنا الذاتية . فالفنانون القدماء أنطقوا الحجر والبرونز ومختلف المواد بمعان انسانية خالدة . أما البراعة التي صيغت بها هذه الروائع فلا حاجة الى الافاضة في الحديث عنها . وقد قال بلوتارك عنها في القرن الثاني الميلادي ـ وفي معرض حديثه عن أثينا في عهد بيركليس : « وفي ذلك العهد أخرجت القطع الفنية المتفردة بروعتها والتي لانظير لها في البساطة والسحر . . . فقد تجسدت فيها الفتوة الزاهرة وحفظت خلال وقت طويل ذلك المظهر المشرق وكأن روحاً نفخت فيها فهي لاتخضع لعاديات الزمن » ويبدو أن هذه الكلمات التي قيلت منذ عشرين قرناً تقريباً لم تفقد مغزاها حتى الآن . فقد وصل اليونانيون بروائعهم الفنية حدوداً من الكمال جعلت بعض النقاد يقول بأن الفن لايتطور وبأن أعظم الفنانين من استطاع أن يصل بفنه . . . الى مقاييس العهد اليوناني الغابر .

وعلى الرغم من اعتماد هذه الآثار على أساطير اليونان فاننا لانقرأ فيها الآن غير الأحاسيس البشرية التي نعانيها نحن فنبحث فيها عن معاني الشموخ والأمومة والصراع والمجد والصداقة والحزن ، فهي معاناة الذعر والقنوط في وجه ديركا

ولاوكوون وهي الفرح على وجه افروديتا يقابله الاحباط على وجهي هيرا وأثينا في تمثال «الربات الثلاثة» وهي لوحات الشموخ في تماثيل أبولون وأثينا وهرقل وسواهم . ونجد بين هذه الروائع التماثيل الفردية الجميلة كما نجد المجموعات الفريدة في جمالها كتماثيل «لاوكوون»، «مينيلاوس يرفع جثمان باتروكل»، «الربات الثلاث» و«ديركا» وسوى ذلك كثير .

ومثلما اجتذبت هذه الاساطير اهتمام الفنانين الاقدمين فان موضوعاتها بقيت المعين الذي استقى ويستقي منه فنانو العصور التالية فكان من هؤلاء ليوناردو دافنشي ، روبنس ، ڤان ديك ، رمبراندت وسواهم . ومن الملاحظ أن هناك موضوعات معينة استوقفت الفنانين بطرافتها وخصوبة الامكانات التي يمكن أن تقدمها للصياغة الفنية فتجسدت مرات عديدة وفي صورة مختلفة لدى فنانين مختلفين عبر مختلف العصور ، ومن ذلك موضوع « زيوس يخطف اوروبا »، « قضاءباريس » ، « عذاب الدانايات »، « أغاني اورفيوس »، « الربات الثلاث » وسواها .

. . .

وهكذا فقد كانت الاساطير نتيجةً لتطور فكري عريق ومتصل عبر مئات القرون وقد ارتبطت بالتطور الفكري للانسان وبعلاقته بالطبيعة والمحيط ، واستطاعت ـ خلال تاريخ البشرية ـ أن تغتني بمضامين جديدة ـ لتغدو أكثر تعبيراً عن عصرها وأدق تصويراً للمجتمع الذي أوجدها ؛ كما انها توصلت ـ خلال تطورها الكبير ، واسهام الشعراء والفنانين في صياغتها ـ الى ان تكتسي بلبوس فني جذاب وتتخذ بناءها الفني الدقيق وان تغتني بالمعاني الانسانية النبيلة التي جعلت منها أثراً خالداً في تراث الانسانية .

الباب الأول

الآلهة والأبطال



١) الآلهة

أصل الكون والآلهة

أخذت الأساطير المتعلقة بالآلهة وبقصة صراعهم مع العمالقة عن قصيدة «تيوغونيا» (أصل الآلهة) للشاعر هيسيود ؛ كما نقلت بعض هذه الروايات عن ملحمة هوميروس «الالياذة والاوديسية» وعن قصيدة «ميتامارفوز» (مسخ الكائنات) للشاعر الروماني اوفيدي .

في البدء كان السديم المظلم الأبدي اللامتناهي . فهو منبع حياة الكون ومنه انبثق كل شيء ـ الكون برمّته وجميع الآلهة الخالدين ومنه أيضاً كانت هيا ، فقد انبسطت جبارة فسيحة المدى تمنح الحياة لكل ما يدب أو يدرج فوقها او ينمو . وفي أغوارها السحيقة البعيدة عنا بعد السماء الصافية العزيزة المنال ، وفي عمق لا يسبر غوره ولد تارتار الكئيب ـ الهوّة الرهيبة الغارقة أبداً في الدياجير ، ومن السديم مصدر الحياة كان الحب ايروس ، القوة الجبارة القادرة على احياء كل شيء . ثم بدأ خلق الكون ، فأوجد السديم الأزلي الأبعاد المظلمة الخالدة ـ ايريب والليل الحالك ـ نيوكت . ومن الليل والظلام كان الضوء الخالد ايثير والنهار المشرق الوضاء ـ هيمير . وانتشر الضوء فوق العالم وأخذ النهار والليل يتناوبان .

وولدت الأرض الجبارة الطيبة السماء الزرقاء اللامتناهية ـ اوران وانتشرت السماء فوق الأرض ، وبأنفة رفعت قممها الجبال الشاهقة ، بنات الأرض وانفسح البحر الأزلي الخفقان . فالأرض ولدت السماء والجبال والبحر من غير أب .

وصار اوران ملكاً على الكون ، فتزوج من الأرض الطيبة وأولدها ستة أبناء وست بنات عمالقة جبابرة ، اما ابنها العملاق اوكيان ، والذي يحيط بالأرض كنهر عظيم لا شاطىء له فقد كان له وللالهة فيتيدا جميع ما على الأرض من أنهار تتدفق بأمواجها نحو البحر ، وكانت لهما الاوكيانيدات ـ ربات السحر . أما العملاق هيبيرون وتيّا فقد منحا العالم ـ الشمس هيليوس والقمر سيلينا والفجر اللازوردي ايوس القاني الحمرة (أفرورا). ومن أستري وايوس انحدرت جميع النجوم التي تتقد في السماء الليلية المظلمة وجميع الرياح : ريح الشمال العاصفة بوريوس والشرقية ايفر والجنوبية الرطبة نوت والغربية العليلة ـ زيفير وهي التي تأتي بالسحاب المطير :



كرون ، والد زيوس
(تمثال نصفي من القرن الثالث ق.م)

وبالاضافة الى العمالقة أنجبت الأرض ثلاثة من الجبابرة ـ السيكلونات ولكل واحد منهم عين واحدة في جبينه ، كما ولدت ثلاثة من المَرَدة العظام كالأطواد ، لكل منهم خمسون رأساً واسم واحدهم هيكاتونخير أي ذو الأذرع المائة لأنه كانت له مائة ذراع . لايمكن لشيء أن يقف أمام قوتهم الجبارة فقد كانت قدراتهم الوليدة لا تعرف حداً .

كان اوران يكره اولاده المردة فحبسهم في أعماق الأرض داخل الدياميس المظلمة ومنعهم من الخروج فضجت امهم الأرض بالحمل الرهيب المدفون في احشائها واستدعت أولادها العمالقة وحاولت إقناعهم بالثورة على أبيهم ، لكنهم كانوا يخشون أن يرفعوا أيديهم عليه ، الا أن أصغرهم كرون[1] الماكر استطاع ان

١ ـ كرون ـ الزمن الذي يطوي كل شيء . (خرونوس باليونانية ـ الزمن).

يحتال على أبيه وينتزع السلطة من يده ، وعقاباً على فعلته ولدت الهة الظلمة جمعاً غفيراً من الآلهة المروعين : تانات ـ الموت ، ايريدا ـ الفوضى ، اپاتا ـ الخداع ، كير ـ الدمار وهيپنوس ـ النوم المصحوب بأسراب الكوابيس الثقيلة الرهيبة ، ونيميسيدا التي لاتعرف الرحمة ـ ربة الانتقام والجرائم وغيرهم كثيرين . وهكذا فقد حمل هؤلاء الآلهة الرعب والفوضى والخداع والصراع والتعاسة إلى العالم الذي كان أبوهم كرون يحتل فيه عرش والده .

زيوس[١]

مولد زيوس

لم يكن كرون على ثقة من أن السلطان سيؤول إليه مع الأبد . فكان يخشى أن يتمرد ابناؤه ويلحقوه بالمصير الذي أودى بوالده إليه ولذلك أصدر أمره الى زوجته ريبا أن تحمل إليه أبناءها ليبتلعهم بلا رحمة ، فسيطر الرعب على ريبا وهي ترقب مصائر أبنائها . لقد ابتلع كرون خمسة منهم : هيستيا[٢] وديميترا[٣] وهيرا وآييد (هاديس) وبوسيدون[٤].

ولم ترض ريبا أن تفقد ابنها الأخير فمضت حسب نصيحة أبويها ـ السماء اوران والأرض هيبا ـ الى جزيرة كريت فوضعت طفلها زيوس في كهف عميق

---

(١) زيوس ـ جوبيتر عند الرومان .

(٢) هيستيا ـ ربة النار المقدسة وربة نيران المواقد وحامية المدن والحكومات . أخذت لدى الرومان تتحد مع الربة فيستيا ، الهة نار المواقد المنزلية .

(٣) الهة الخصب التي تمنح النمو لكل ما ينبت على الأرض والتي تمنح الخصب للأعشاب وتبارك عمل المزارعين . أطلق الرومان عليها اسم الهتهم القديمة ـ تسيريرا ـ الهة الخصب . انظر اسطورة ديميترا في الصفحات التالية .

(٤) يقابلهم عند الرومان : يونانا ، بلوتون ونبتون .

هناك ، وفي ذلك الكهف أخفته عن عيني أبيه القاسي ودفعت الى هذا بحجر طويل ملفوف بخرقة بديلاً عن ولدها فلم يلحظ كرون خديعة زوجته .

ونشأ زيوس بعد ذلك في جزيرة كريت ، حيث أشرفت الحوريتان أدراستيا وايديا على العناية به صغيراً فكانتا ترضعانه حليب العنزة المقدسة أمالفيا كما كانت أسراب النحل تحمل اليه العسل من المنحدرات العالية لجبل ديكتا . وكان



الحورية أدراستيا ترضع زيوس الصغير من قرن العنزة أمالفيا . خلف زيوس يظهر الإله الصغير بان وهو يعزف على مزماره (رسم جداري نافر من القرن الثاني ق.م).

الكوريت الفتيان يقفون عند مدخل الكهف ليضربوا على المتاريس بالسيوف كل مرة عندما كان الصغير يبكي ، لكي لايبلغ بكاؤه مسامع كرون فيلحقه باخوته وأخواته .

زيوس يزيح كرون . صراع آلهة الأوليمب مع العمالقة

وشب الاله زيوس الرائع الجبار واشتد عوده فثار على أبيه وأرغمه على أن يعيد إلى العالم من ابتلعهم من بنيه ، فصار كرون يلفظ من بين شدقيه ابناءه الآلهة الرائعين الوضاحين واحداً اثر الآخر وبدأ الآلهة صراعهم مع كرون ومع العمالقة للتربع على عرش الكون .

كانت المعركة ضارية رهيبة وقف ابناء كرون خلالها فوق جبل الاوليمب الشاهق يؤازرهم بعض العمالقة وفي مقدمتهم العملاق اوكيان وابنته ستليكس وأولادها الهدير والبأس والنصر . كانت المعركة قاصمة بالنسبة لآلهة الاوليمب فقد كان أعداؤهم العمالقة شداداً أقوياء . الا ان السيكلونات بادرت الى مساعدة زيوس فسقت له الرعود والصواعق وصار زيوس يرشق بها العمالقة . ودامت المعركة سنوات عشراً لم تمل كفة النصر الى أحد الجانبين . فقرر زيوس أخيراً أن يحرّر من أعماق الأرض الجبابرة الهيكاتونخير ذوي الأذرع المائة ويستصرخهم لنجدته . فخرجوا من الأعماق رهيبي السحنات ضخاماً كالأطواد واندفعوا نحو ميدان المعركة فكانوا يفصمون صلد الصخور عن الجبال ويكيلون بها العمالقة . وراحت الصخور تتطاير مائة مائة فوق العمالقة الطامحين نحو جبل الأوليمب . وأنّت الأرض وشحن الفضاء بقعقعة السلاح واضطرب كل شيء واهتز فؤاد تارتار من هول المعركة وراح زيوس يقذف بحمم الصواعق وهدّار الرعود . فمادت الأرض بالنيران المتأججة وغلت مياه البحار وانتشر الدخان والقار غطاء كثيفاً غطى كل شيء .

وانخذل العمالقة الشداد عند النهاية ، فقد خارت قواهم واندحروا ، فصفَّدهم أهل الاوليمب بالحديد وزجوا بهم في التارتار القاتم ، في أعماق الظلمات الأبدية ووقف الهيكاتونخير ، ذوو السواعد المائة على أبواب التارتار النحاسية ليحرسوها ، فهم يسهرون على ان لايتحرر العمالقة من جديد . وبهذا دالت دولة العمالقة .

الصراع بين زيوس وتيفون

إلا أن المعركة لم تنته عند هذا . فقد غضبت الأرض هيا من زيوس صاحب الاوليمب لقسوته في البطش بأبنائها العمالقة فاتحدت بتارتار المظلم وجاءت الى العالم بتيفون الرهيب ذي الرؤوس المائة . خرج تيفون من أحشاء الأرض مهولاً يحمل مئة من الرؤوس التنينية . وتماوج الهواء حاملاً صوت جئيره الوحشي ؛ كان يسمع في ذلك الصوت نباح الكلاب وصوت البشر وخوار الثور الهائج وزئير الاسد . كان اللهب المحرق يتصاعد من حوله وتميد الأرض تحت خطواته الثقيلة . فاهتزت قلوب الآلهة من شدة الخوف لكن زيوس ، مبدع الرعود انبرى له غير هياب والتحمت المعركة بينهما ، فأخذت الصواعق تتألق في يدي زيوس وتتفجر الرعود . وارتجت الأرض وطبقات السماء واكتنف الأرض لهيب أحمر كما حدث في معركة العمالقة ، وغلت مياه البحار لاقتراب تيفون منها ، وتناثرت مئات أقواس الصواعق النارية ، صواعق زيوس مبدع الرعود ، فكانت نيرانها تلتهم الهواء والغيوم الهائلة الدكناء . وأحرق زيوس رؤوس تيفون جميعها وأحالها رماداً فخرّ هذا على الأرض وفاض جسمه حرارة صهرت كل ما حوله . فرفع زيوس جثته وألقاها في غياهب التارتار المظلم من حيث جاء . لكن تيفون لايزال يهدّد الآلهة والأحياء من مثواه الأخير فهو الذي يثير العواصف والخراب ، ولقد اقترن بايخيدنا ، المرأة التي نصفها أفعى فأولدها الكلب اورفو ذا الرأسين والكلب الجهنمي كيربير والمياه السامة وهيميرا ، وهو الذي يزلزل الأرض في بعض الأحيان .

انتصر آلهة الأوليمب على أعدائهم ، فلم يكن لأحد بعد ذلك ان يناوىء سلطانهم ، فصار بوسعهم أن يسيروا العالم فاختص زيوس نفسه بالسماء وأخذ بوسيدون البحار وكانت المملكة السفلى ، مملكة أرواح الموتى من نصيب هاديس ، أما الأرض فغدت ملكاً مشتركاً بينهم .

وبالرغم من ان ابناء كرون قد توزعوا السلطة على الكون فلزيوس السيادة عليهم جميعاً ،

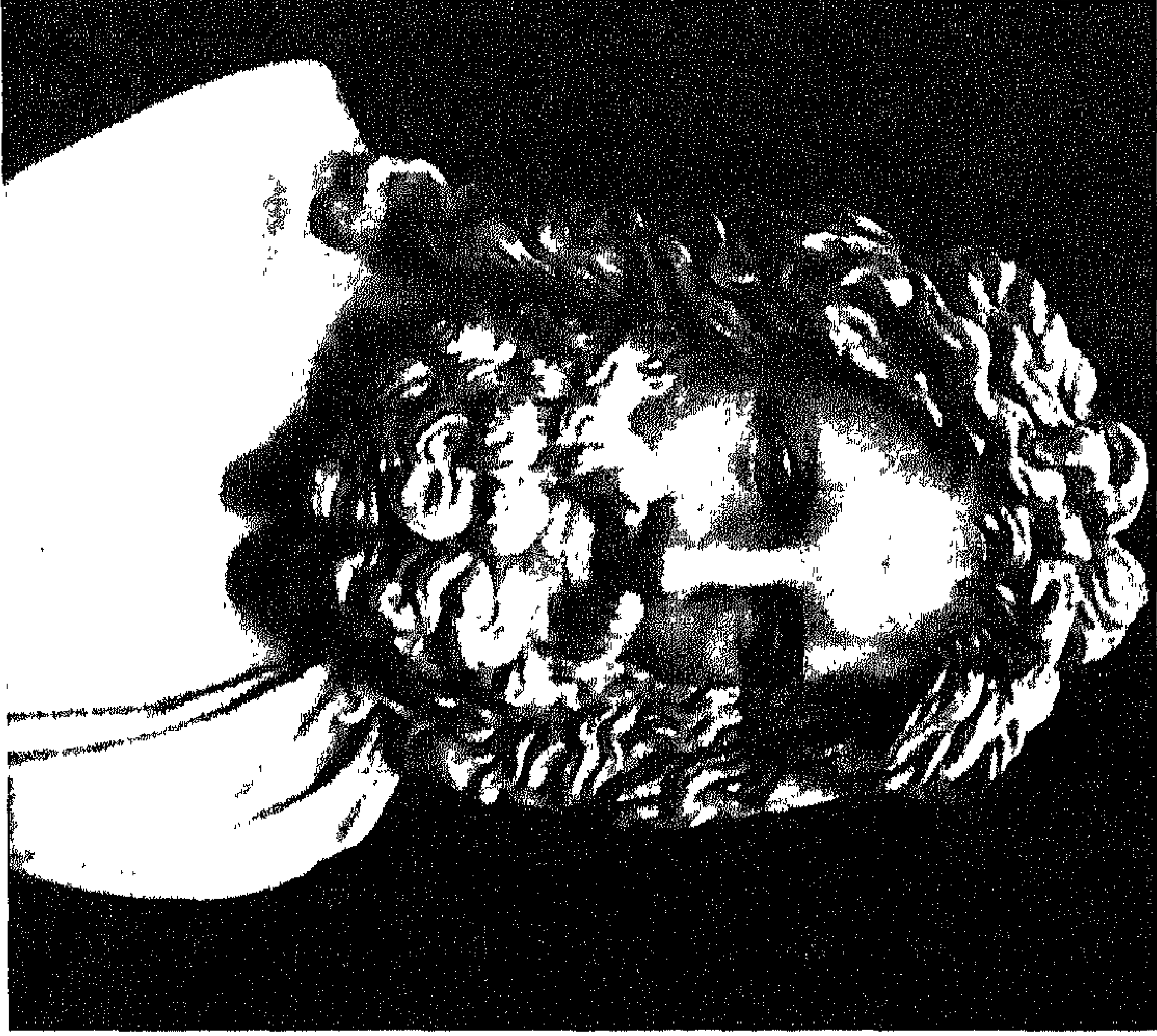
الاوليمب

عالياً فوق الاوليمب البهيج يجلس زيوس على عرش الملك محاطاً بأسراب الآلهة . في هذا المكان تقيم زوجته هيرا وأبولون ، ذو الشعر الذهبي الأجعد مع أخته ارتيميدا ، وأفروديتا الشقراء وأثينا ، ابنة زيوس الجبارة وكثير من آلهة آخرين . ثلاث من الاورات الفائقات الجمال يحرسن المدخل المؤدي الى جبل الاوليمب الشاهق وهن اللائي يرفعن الغمامة القاتمة التي تحجب البوابة عندما يهبط الآلهة نحو الأرض أو يصعدون إلى أبهاء زيوس المزدانة . السماء الزرقاء اللانهائية الأسبار تنبسط بعيداً فوق الأوليمب ومنها يتدفق النور الذهبي . لا مكان للامطار أو الثلوج في مملكة زيوس فالصيف المشرق اللألاء خالد هناك . وفي الأسفل تتجمع الغيوم فتحجب الأرض النائية أحياناً . وهناك فوق الأرض يخلف الخريف والشتاء الربيعَ والصيفَ كما تحل التعاسة والأحزان محل السعادة والأفراح . حقاً ان الآلهة يعرفون بعض الأحزان أحياناً لكن أحزانهم سرعان ما تنقشع لتحل محلها المسرات فوق جبل الأوليمب .

وفي الابهاء العسجدية التي شاءها هيفيست[1] بن زيوس ، يقيم الآلهة

---

١ ـ ڤولكان عند الرومان .





زيوس ـ مرسل الصواعق ، سيد الآلهة والبشر . (تمثال نصفي من القرن الرابع ق.م) الى اليمين ـ هيرا ـ سيدة الآلهة والبشر ، زوج زيوس . (تمثال نصفي يعود الى نهاية القرن الثالث ق.م).

المآدب ، فيجلس زيوس الأعظم فوق عرشه الذهبي الرفيع ويتقد وجهه الالهي الجميل الجبار بالعظمة وبالاحساس المتكبر الهادىء بالسلطان والعزّة . والى جانب عرشه تقف ايرينا ، ربة السلام . ونيكي ربة النصر المجنحة ورفيقة زيوس التي لا تفارقه . ها هي ذي هيرا الربة الفاتنة المجيدة ، زوجة زيوس تدخل . ان زيوس يكن لها عميق الاحترام والاجلال ، كما ينظر اليها جميع آلهة الاوليمب باحترام ومودة وعندما تدخل قاعة المآدب فتانة المحيا زاهية الملابس ينهض جميع من في المجلس لينحنوا أمامها ، أما هي فتمضي مزهوة بالجمال والكبرياء لتجلس على العرش الذهبي الى جانب عميد الآلهة والبشر . وبالقرب منها تقف رسولتها ايريدا ، ربة قوس قزح الخفيفة الجناحين والمتأهبة أبداً للانطلاق محمولة على جناحيها القزحيين فتمضي حتى أقصى أصقاع المعمورة لتنفيذ مشيئة هيرا .

وتبدأ المآدب فتقوم هيبا الفتية ، ابنة زيوس ، وهانيميد ، ابن ملك طروادة وحبيب زيوس الذي نال منه الخلود ، بحمل الامفروزيا والنكتار ـ مأكول الآلهة ومشروبهم ـ الى الموائد . وتبدأ راقصات فاتنات ومغنيات بامتاع الآلهة بالرقص والغناء . ان كلا منهن تمسك بيد رفيقتها فينطلقن معاً حلقات راقصة . اما الآلهة فيمتعون أنظارهم بحركاتهن البديعة وجمالهن الخلاب الأبدي النضرة ، وبهذا تزداد مآدب الآلهة وبهجة . وعلى هذه الأنغام وخلال تلك المآدب يناقش الآلهة جميع الأمور وفيها يقررون مصائر البشر .

ومن جبل الأوليمب ينثر زيوس هباته الى البشر ، ومنه ينشر على الأرض النظم والشرائع . مصير الكون مرهون بارادته : فالسعادة والشقاء والخير والشر والحياة والموت ملك يديه . وعلى مدخل قصره يستقر قدران هائلان يمتلىء أحدهما بهدايا الخير والآخر بهدايا الشر ، ومنهما يغترف زيوس الخير أو الشر ويرسله الى بني البشر . فالويل لمن كان نصيبه من قدر الشرور والويل لمن عصي



نيكي ـ ربة النصر (تمثال من القرن الرابع ق.م عثر عليه فوق جزيرة ساموتراكيا في بحر ايجة).

النظام الذي نشره زيوس على الأرض وأبى الخضوع لأحكامه ؛ إذ ذاك يقطب ابن كريون مابين حاجبيه الكثيفين فتجلل السماء بالسحب ، ويغضب زيوس العظيم فينتصب شعره رهيباً على رأسه وتتقد عيناه ببريق يأخذ بالأبصار ، ويشير اذ ذاك بصولجانه فتردد السماء هزيم الرعود وتضطرب الصواعق ويهتز الاوليمب الشاهق .

وزيوس لايقوم لوحده برعاية القوانين . فالى جانب عرشه تقف الربة

فيميدا حامية الشرائع . انها تدعو الى اجتماعات الآلهة فوق الاوليمب المشرق والى الاجتماعات الشعبية فوق الأرض وتسهر على سلامة النظام والأعراف . كما تقف ابنة زيوس ، الربّة ديكي ، فوق الأوليمب لتشرف أيضاً على تطبيق العدالة . فاذا ما نقلت إلى أبيها أن أحداً من القضاة قد تجاوز الشرائع الموضوعة أنزل زيوس به عقابه الشديد ، فعقابه مسلط على القضاة الظالمين ، والربة ديكي نصيرة الحق وعدوة الباطل .

يحفظ الاله زيوس النظام والأعراف في الكون ويرسل إلى البشر السعادة والأحزان . ولكن ، برغم ذلك ، فان من يقسم المصائر هن المويرات[1] العديمات الشفقة واللاتي يعشن فوق الاوليمب بل ان مصير زيوس ذاته رهن مشيئتهن . فللقدر سلطان على الفانين وعلى الآلهة وليس لأحد موئل من أحكامه الصارمة ، كما ليس لأية قدرة أو قوة ان تغير ولو ذرة واحدة مما هو مكتوب للآلهة وللفانين . وليس من سبيل الا ان تستسلم للقدر وتذعن لأحكامه . للمويرات فقط ان يعلمن بمشيئته فالمويرا كلوتو تغزل خيط حياة الانسان وتحدد مدى أيامه فإذا ما انقطع الخيط تمت الحياة . أما المويرا لاخيسيس فهي تسحب قسمة كل انسان في حياته من غير ان تنظر اليها . ولم يؤت أحد القدرة على تبديل ما حددته المويرات من أقدار ، ذلك لأن المويرا الثالثة ، أتروبوس تحمل ما قسمته أختاها لحياة الانسان الى بوق طويل ولا مفر الى ما حمل الى بوق القدر .

وفوق الاوليمب أيضاً تقيم تيوخي[2]، ربة القدر وربة السعادة والحظ . انها تنثر هباتها الى البشر من قرن الخيرات ، قرن أمالغيا ، العنزة التي أرضعت زيوس نفسه . وسعيد هو ذلك الذي يلتقي في طريق حياته بالالهة تيوخي ؛ لكن ما أندر ما يحدث ذلك وكم هو تاعس الذي تدير الالهة تيوخي له ظهرها فور أن تمنحه هداياها .

هكذا يحكم زيوس المجيد ـ رب الآلهة والبشر ـ من فوق جبل الأوليمب ، محاطاً بأسراب الآلهة الوضاحين ساهراً على الشرائع والانظمة في الكون بأسره .

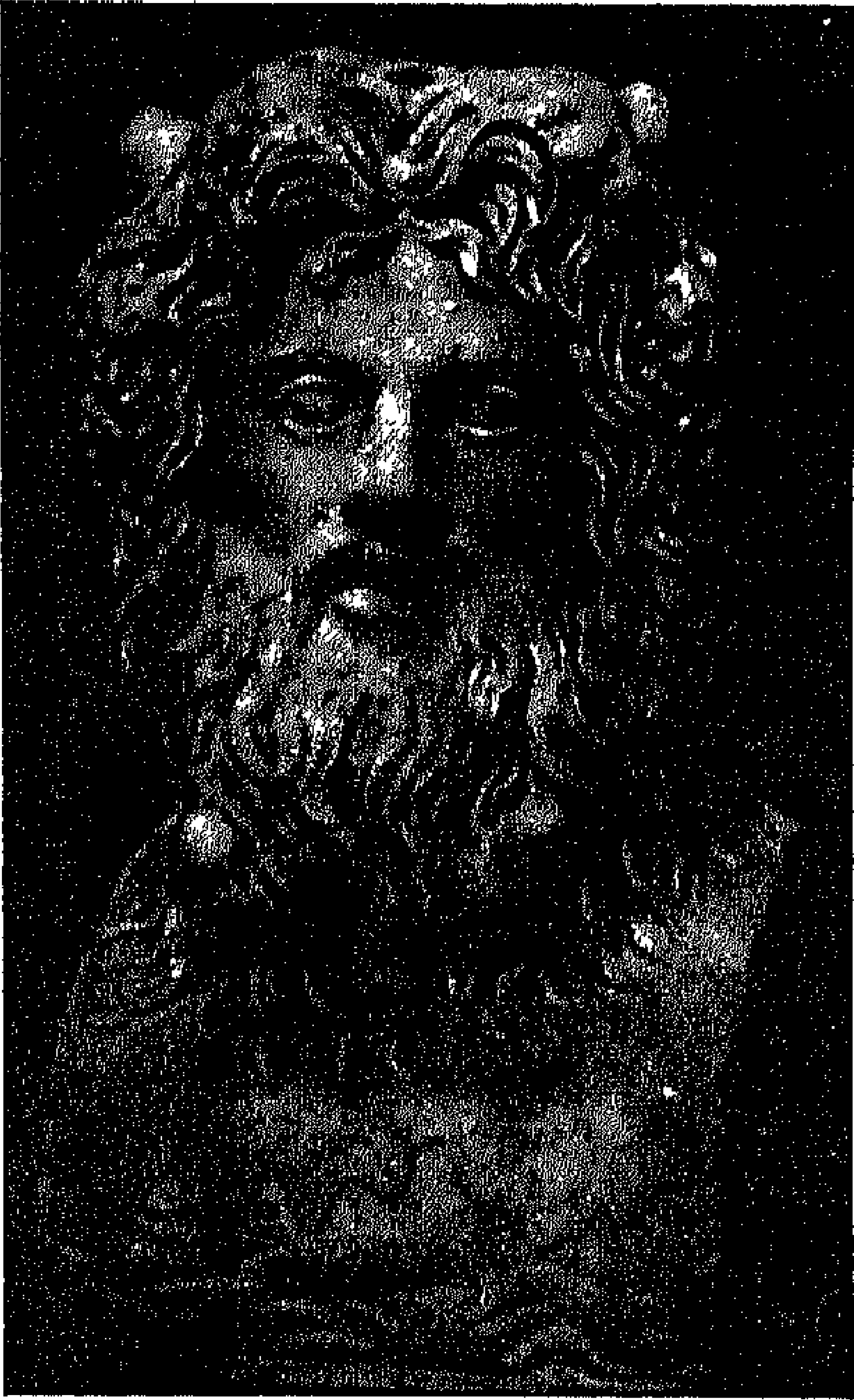
١ ـ الباركات لدى الرومان .

٢ ـ فورتونا لدى الرومان .

بوسيدون وآلهة البحر

عميقاً في غياهب البحر يقوم قصر خارق الفتنة ، قصر بوسيدون محرّك الأرض ، أخ زيوس مبدع الصواعق . وهو يبسط سلطانه على البحار فأمواجها رهن اشارة يده المسلحة بالخطاف المثلث الشعب . وإلى جانبه تعيش زوجته الفاتنة امفيترينا ، ابنة نيريوس ، شيخ البحر الخالد والتي اختطفها بوسيدون ، سلطان الأغوار البحرية من أبيها . لقد شاهدهاذات مرة تقود حلقة راقصة مع أخواتها النيريدات على شاطىء جزيرة ناكسوس فأسره جمالها وأراد أن يحملها معه على مركبته . الا ان امفيترينا اختبأت عند العملاق أطلس ، الذي يرفع القبة السماوية على منكبيه العظيمين . ومكث بوسيدون يبحث طويلاً عن الفتاة الرائعة دون جدوى ، وأخيراً هداه الدلفين الى مقرها فأثابه بوسيدون برفعه الى السماء وجعله نجماً من نجمومها . واختطف بوسيدون ابنة نيريوس الفاتنة واتخذها زوجة .

ومنذ ذلك الحين تقيم أمفيترينا مع زوجها في مملكة ما تحت البحار . تضطرب الأمواج عالياً فوق القصر وتحيط ببوسيدون جمهرة من آلهة البحر وكلهم خاضع لارادته ، فمنهم تريتون ، ابن بوسيدون ، الذي يثير هوج العواصف بأصواته الراعدة التي يطلقها من بوقه الصدفي ومنهم النيريدات ، أخوات امفيترينا ولبوسيدون سلطان على البحر لايرد ، فضدور الأمواج ، الأبدية الصخب ، تنشق عريضة لتفسح أمامه السبيل عندما يعتلي مركبته ذات الجوادين البديعين وينطلق فوق صفحة البحر . إنه يمضي مسرعاً كالطرف ، رائعاً كشقيقه زيوس ، الدلافين تتراقص من حوله وتبزغ الأسماك من أعماق البحر



اله بحري (تمثال نصفي من القرن الثاني عشر ق.م.)

لتتزاحم حول مركبته ، فاذا ما ضرب بخطافه المثلث الشعب ارتفعت الأمواج كالأطواد يتوّجها الزبد الأبيض وتضطرب العاصفة الهوجاء في البحر وترتطم الأمواج الهائلة بصخور الشاطىء فتهتز الأرض ، لكن بوسيدون يمسح بدبوسه الأمواج فتعود هادئة وتخمد العواصف فالبحر ساكن من جديد ، صقيل كصفحة المرآة ، أزرق اللون ، سحيق الأغوار ، تكاد لاتسمع همساته عند الشاطى .

كثير من الآلهة يحيط ببوسيدون ، ومنهم شيخ البحر ، العراف نيريوس ، الذي يرى مكنون الغيب . انه لايعرف الكذب أو الباطل ، فهو لايكهن للآلهة أو البشر الا بما هو حق . كما انه يقدّم النصح الحكيم ، وله خمسون ابنة فائقة الجمال ، يتمايلن راقصات في احضان الأمواج ، فتشرق طياتها بجمالهن القدسي اذ تمسك كل منهن بيد شقيقتها ويخرجن معاً ليتابعن رقصهن فوق أمواج البحر المنسابة هادئة الى الشاطىء فتردد الصخور أنغام غنائهن الرقيق الشبيه بهمس البحر . وهن يحمين أصحاب السفن ويهبنهم الابحار السعيد .

والشيخ بروتيوس أيضاً واحد من آلهة البحر . انه كالبحر يبدل صورته وينقلب حيواناً أو تنيناً حسب هواه . وهو اله حكيم ايضاً ، وعليك فقط أن تعرف كيف تباغته فجأة وتسيطر عليه وترغمه على كشف مكنونات الغيب . والاله غلافك أيضاً واحد من مرافقي بوسيدون ، محرك الأرض . إنه حامي البحارة وصيادي الأسماك وهو كذلك ممن يعلمون بالغيب . فكثيراً ما خرج من الأعماق ليقدم نصائحه السديدة وليكهن للبشر الفانين . فما أشد آلهة البحر وما أوسع سلطانهم لكن بوسيدون المجيد يسيطر عليهم جميعاً .

ويحيط أوكيان[1] الأشيب الشعر بالبحار كلها وبالأرض برمّتها . انه الإله العملاق الذي يضارع زيوس جلالة وعظمة . وهو يعيش بعيداً على مشارف الكون لاتشغله أمور الأرض وما يجري فوقها . ولأوكيان ثلاثة آلاف من الأبناء ـ آلهة الأنهار ، وثلاثة آلاف من البنات ـ الاوكيانيدات ـ عرائس الجداول والينابيع . فيمنح أبناءه وبناته السعادة والبركة للغانين بمياههم الخالدة الحياة والجريان ، وهم يروون الأرض كلها ويسقون كل ما هو حي .

١ ـ كان اليونان يعتقدون أن ثمة حول الأرض تياراً هائلاً تدور مياهه في حركة أبدية .



بوسيدون ـ إله البحار .
(تمثال من القرن الثاني ق.م.)

مملكة هاديس (بلوتون) المظلمة[1]

وفي أعماق الأرض ، تنبسط مملكة هاديس الكالح ، شقيق زيوس ؛ وهي دوماً غارقة في الظلام والمخاطر الرهيبة ، ولا سبيل لأي خيط من أشعة الشمس المشرقة أن تنفـذ اليها . ويصل سطح الأرض بمملكة هاديس الهوى العميقة التي لاقرار لها ، وبداخلها تجري الأنهار الكدرة كما يجري فيها نهر ستيكس المقدس القارص البرودة والذي يقسم بمياهه حتى الآلهة .

وتترامى هناك أمواج نهري كوتسيت وأخيرونت ، وعلى شواطئهما المظلمة تتردد زفرات أرواح الموتى المليئة بالأحزان . وفي هذه المملكة تجري أيضاً مياه نبع ليتا ، التي تحمل نسيان كل ما هو أرضي . وفوق حقول مملكة آييد الغارقة في الدياجير والمغطاة بأزهار الاسفوديل[2] الذاوية تنتقل أشباح الموتى الباهتة . انهم يذوبون حسرات على حياتهم الخالية من المسرات ، المحرومة من الأنوار والرغائب . ضعيفةً ترتفع آهاتهم التي لا تكاد تسمع ، شبيهة بحفيف أوراق ذابلة يتلاعب بها هواء الخريف . لا عودة لأحد من مملكة الأحزان هذه ، فالباب يحرسه الكلب كيربير ذو الرؤوس الثلاثة والذي تتعلق برقبته أفاع تفح فحيحاً رهيباً . أما خارون الشيخ ، الصخري الفؤاد ، ناقل أرواح الموتى ، فإنه لايعيد من خلال مياه أخيرونت الكدرة أية روح ثانية الى حيث تشرق شمس الحياة الساطعة . فياللحياة الكئيبة التي تنتظر أرواح الموتى في مملكة هاديس المظلمة .

في هذه المملكة التي لا تلمس حناياها مسرّات الحياة الأرضية ولا أحزانها ، يبسط هاديس ، أخو زيوس سلطانه . إنه يجلس على عرشه الذهبي وبجانبه زوجته بيرسيفونا وتقوم على خدمته الايرنيات ـ ربة الانتقام الحجريات القلوب .

---

(١) كان قدماء اليونان يتمثلون مملكة أرواح الموتى مظلمة مخيفة ويتصوّرون « الحياة الثانية » شقاء أبدياً . لهذا يقول أخيل لاوديسيوس الذي استدعى طيفه من المملكة السفلى : « إن من الأفضل أن تكون أحقر أجير على الأرض على أن تكون ملكاً في مملكة هاديس ».

(٢) الزنبق البري .

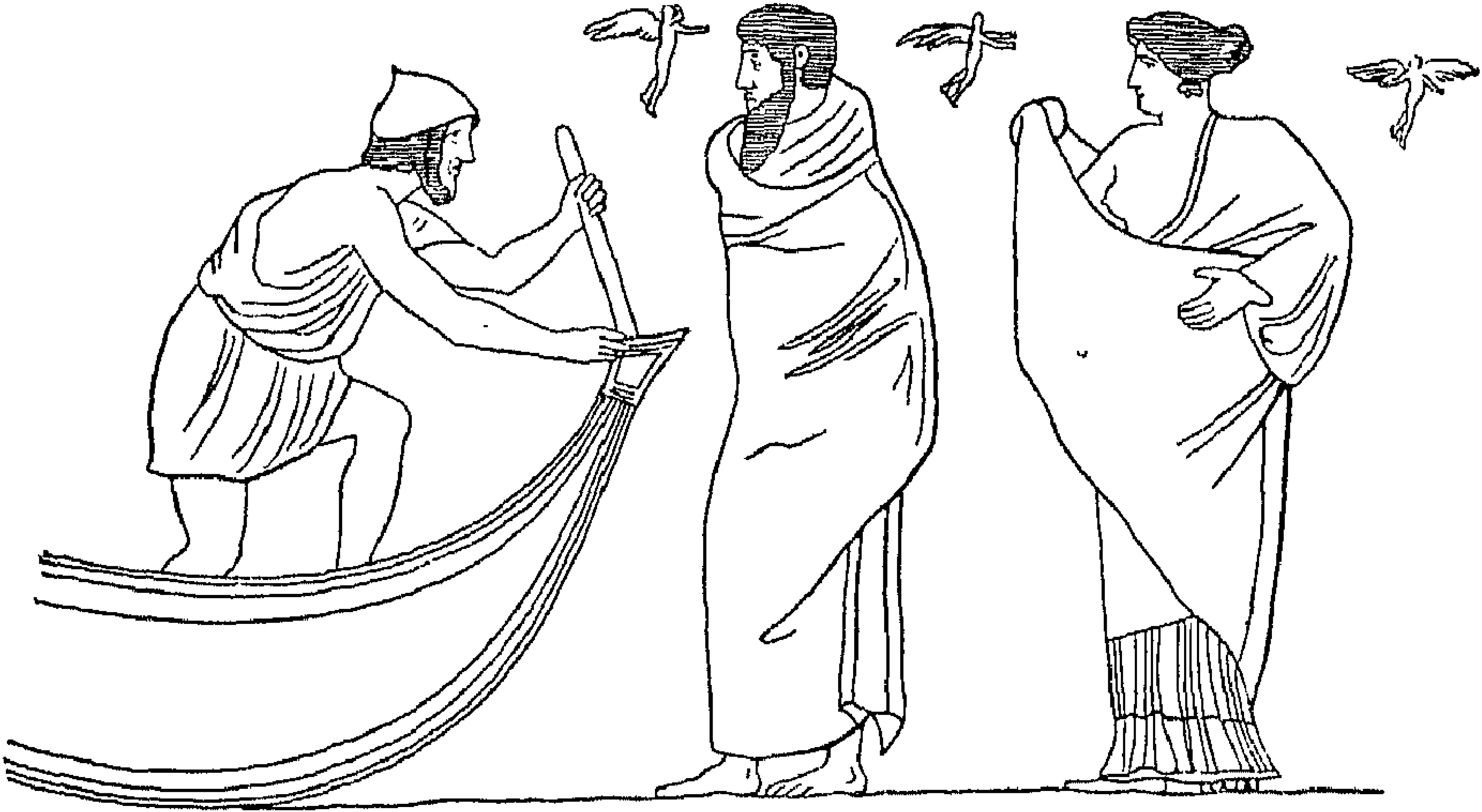


مملكة هاديس .
في الوسط يجلس هاديس وبيرسيفونا . والى يمينهما يظهر قضاة مملكة الموتى ـ تريبتوليم؛ اياكس ومينوس ، وظهر فوقهم ريس وميرتيل وتحتهم ثلاث من الدانايات ظهرت الى يسارهن الهة تمتطي ظهر وحش خرافي كما ظهر هرقل وهو يقمع الكلب الجهنمي كيربير ، ومن بعده ظهر سيزيف يدفع الصخرة وفوقه الديوسكوران واورفيوس حامل القيثارة . وأخيراً ظهرت في الأعلى ميغارا والهرقليدات .

انهن رهيبات ، يطاردن المجرم بالسياط والأفاعي ولايمنحنه هنيهة من راحة ، وينزلن عليه عذاب الضمير ، وما من ملاذ يلجأ اليه من عذابهن فهن ملاقيات ضحيتهن أنى كانت . ويجلس مينوس وورامادانت ، قاضيا مملكة الموتى بالقرب من عرش هاديس . وهنا أيضاً ، وبالقرب من العرش ، يبدو تانات ، اله الموت ، بجناحيه الأسودين الهائلين ، وبُرْده الأسود والسيف مشهر في يده . جناحاه ينثران

برودة الموت عندما يطير نحو مهد المحتضر ليحتصد بسيفه باقة من شعر رأسه وينتزع روحه . وتبدو الكيرات الكالحات قريباً من تانات . انهن يطرن فوق ميادين القتال خفيفات سريعات ، وتتهلل أساريرهن لمرأى الأبطال المحاربين يتساقطون واحداً تلو الآخر فينقضضن بشفاههن الدموية الحمرة على الجراح ليمتصصن بشراهة دماء المحاربين الفوارة وينتزعن منهم الأرواح .

في هذه المملكة ، وقريباً من عرش هاديس يبدو الإله الفتي هيبنوس . انه يحلّق فوق الأرض غير مسموع الصوت يحمل بيده تيجان أزهار الشقائق فيسكب من قرنه شراب النوم ويلمس برفق عيون الناس بعصاه السحرية فيسري النعاس في عيونهم ويغلق أجفانهم بهدوء ويغرقهم في سبات معسول . إنه شديد البأس



خارون ـ ناقل أطياف الموتى عبر نهر أخيرونت
في مملكة هاديس السفلى ؛ يقف أمامه طيفان وقد حلقت فوقهما أشكال مجنّحة لأرواح الموتى .
(رسم على مزهرية).

فليس بمستطاع أحد من الفانين أو الآلهة مقاومته ، ولا حتى مبدع الرعود يمكنه ذلك ، فهيبنوس يغلق حتى عينيه الرهيبتين ويغرق في سبات عميق .

آلهة النوم تنتشر أيضاً في الممالك الغارقة في الظلام ، فمنهم من يمنح الأحلام المفرحة المثيرة للتفاؤل ، ومنهم أيضاً آلهة الأحلام الرهيبة القاتلة التي تخيف البشر وتثير قلقهم . وهناك آلهة الأحلام الخادعة التي تجر الانسان الى الخطأ وقد تودي به الى التهلكة .

مليئة بالظلمات والمخاوف مملكة هاديس . وهناك في ظلامها الدامس يتجول شبح ايمبوس الرهيب ، ذو القوائم الحمارية ، انه يغوي بمكره الناس في أماكن منقطعة في دجنة الليل فيمتص دماءهم ويلتهم أجسادهم ، وهناك أيضاً تخطر لاميا الرهيبة . إنها تدخل ليلاً مراقد الامهات السعيدات فتخطف اطفالهن لتمتص دماءهم ، أما الالهة هيكاتا فهي المسيطرة على جميع الأشباح والأرواح الشريرة . إن لها ثلاثة أجساد وثلاثة رؤوس وهي لاتخرج الا بعد أن يحتجب القمر وتشتد حلكة الليالي فتطوف في الدروب وقريباً من المقابر تواكبها كلابها[1] الستيكية فترسل الرعب والأحلام الرهيبة الى الأرض وتهلك الناس ، وهي تستدعى لتقديم العون في أعمال السحر بالنسبة لأولئك الذين يجلّونها ويضحّون لها بالكلاب على المفارق حيث تتشعب طرق ثلاث .

ما أفظع مملكة هاديس وما أشدها مقتاً على قلوب البشر .

---

١ ـ هي الكلاب الرهيبة التي تستوطن مملكة هاديس السفلى وقد خرجت من شواطىء نهر ستيكس .

هيرا[1]

تقوم الالهة هيرا المجيدة ، زوجة زيوس ، حاملة الترس الأعظم ، بحماية الزواج وحفظ قداسة رباطه واتثاقها . وهي تبهج قلوب الزوجين بمنحهما الذرية الوفيرة ، وتبارك الأم عند وضعها طفلها .

لما انهزم كرون أمام زيوس وأرغم على لفظ هيرا وإخوتها حملتها أمها رييا الى أقاصي الأرض ، نحو اوكيان ، الشيخ حيث عنت فيتيدا بتنشئتها ، وهناك عاشت الالهة المجيدة ردحاً طويلاً من الزمن في راحة وهدوء ، بعيداً عن جبل الاوليمب ، ثم شهدها زيوس ، مرسل الصواعق ، فأحبها وخطفها من فيتيدا ، واحتفل الآلهة بعرس زيوس وهيرا احتفالاً فريداً فألبستها ايريدا وربات الغناء زاهي الملابس ، وجلست هيرا على عرشها الذهبي الى جانب زوجها فكانت تتألق روعة بجمالها المتكبر النضير بين أسراب الآلهة . وقدم كل اله هديته الى هيرا المجيدة ، اما الالهة هيبا ـ الأرض فأخرجت من أعماق ترابها شجرة تفاح بديعة وذهبية الثمار هدية لهيرا ، وراح كل ما في الطبيعة يهتف بمجدها ومجد زوجها زيوس .

تنشر هيرا سلطانها على جبل الأوليمب الشاهق ولمشيئتها تخضع الرعود والبروق كما تخضع لمشيئة زوجها . وبكلمة منها تغطي السماء قاتمات السحب المطيرة ، وبإشارة من يدها تضطرب العواصف الهوجاء .

ما أعظم ما اختصت به هذه الالهة من الفتنة والبهاء . إنها نجلاءُ العينين وردية الذراعين ، تتناثر من تحت اكليلها ضفائر شعرها الجميل كالامواج وتطوف بناظريها أحاسيس القوة والسلطان الهادىء . وجميع الآلهة يكنّون لها الاحترام ،

١ ـ هيران (يونانا لدى الرومان) الهة السماء ، حامية الزواج ، وحامية الامهات عند الوضع . كانت تتمتع بقداسة خاصة في سبارطة ، كورنيث واوليمبيا وفي آرغوس حيث أقيم معبدها الشهير . وينعكس في الأساطير المتعلقة بها وضع المرأة في اليونان ، فنجد هيرا خاضعة لزوجها مثلما كانت المرأة اليونانية خاضعة لزوجها ودونه في المرتبة . وقد بقيت بعض آثار التوتمية في عبادتها فكانت تمثل أحياناً ولها رأس فرس ، وهو ما يشير الى أن هيرا ـ واحدة من أقدم آلهة اليونان .

ويجلّها أيضاً زوجها مطارد السحاب ، وكثيراً ما يسترشد برأيها . لكن ما أكثر ما يحتدم بينهما الشقاق إذ تخرج هيرا على رأي زوجها أو تعارضه في مجالس الآلهة ، فيثور غضبه ويهدد زوجته بألوان العذاب ، فتصمت الالهة وتخنق غيظها ، فهي تذكر كيف تعرضت يوماً لضربه وكيف أوثقها ذات مرة بالسلاسل الذهبية وعلقها بين السماء والأرض بعد أن ربط برجليها سنداناً حجرياً هائلاً .

وهيرا شديدة البأس، لا تجاريها في ذلك أية من الالهات . انها تنحدر من على جبل الأوليمب فوق مركبة يجرها حصانان خالدان باديا القوة ، ترفل في ملابسها الطويلة التي حاكتها أثينا بيديها . عربتها مصنوعة من الفضة تتألق دعائمها بالنحاس أما عجلاتها فمن الذهب الخالص . ويفوح عاطر الروائح فوق الأرض التي تلمسها هيرا ويحني كل مخلوق رأسه اجلالاً لها .

أيو

عن قصيدة اوفيدي « ميتامارفوز »

كثيراً ما تعرضت هيرا لاهانات زوجها زيوس . فقد حدث مثل ذلك عندما أغرم زيوس بالحسناء ايو وأحالها بقرة بغية إخفائها عن عيني زوجته . الا ان مرسل الصواعق لم يتمكن من انقاذ ايو بذلك فقد وقعت نظرات هيرا على البقرة الناصعة البياض فطلبت الى زوجها اهداءها ، ولم يكن بوسع زيوس رفض طلب زوجته ، ولما آلت البقرة الى هيرا ارسلتها الى أرغوست ، ذي المائة عين[1]، فراحت ايو تكابد صروف المعاناة مدة طويلة وهي عاجزة عن الشكوى الى احد فقد فارقتها موهبة الكلام بعد ان استحالت بقرة . ولم يكن لها ان تفلت من ارغوست اذ كان لايطرف له جفن ان ليلاً وان نهاراً . ولما شهد زيوس آلامها دعا بابنه هرمز وأمره باختطافها .

---

١ ـ ارغوست ذو الاعين المئة رمز للسماء ذات النجوم .



الثعبان بيغون يطارد لاتونا وولديها - ابولون وارتيميدا .
(رسم على مزهرية) .

وانطلق هرمز ، وبسرعة فائقة أدرك قمة الجبل الذي يقيم فوقه ارغوست، ذو العيون المائة بالحراسة . وصار يغمره بالاحاديث المعسولة حتى إذا أسبلت أجفانه أخرج هرمز سيفه المقدس وأطاح برأس ارغوست بضربة واحدة فغدت ايو حرة . لكن زيوس لم يفلح في انقاذها من غضب هيرا بهذه الطريقة ؛ فقد سلطت الالهة على إيو ذبابة رهيبة راحت تلح بعقصاتها عليها حتى جعلتها ذاهلة من شدة العذاب وأخذت تطاردها من أرض الى أرض ، فلم تجد المسكينة لنفسها ملاذاً فكانت تمضي في جريها من مكان الى مكان والذبابة من فوقها تغمس قرصاتها في جسمها التاعس فتكويه كي الحديد المحمى . فأي مكان لم تتجه اليه ايو في جريها ! وأية أرض لم تطرقها ! وأخيراً ، وبعد طويل من الزمن وصلت أرض السكيف في أقاصي الشمال ، واقتربت من الصخرة الهائلة التي كان العملاق بروميثيوس مشدوداً اليها . فأنبأ التاعسة بأنها لن تجد لنفسها خلاصاً إلا في أرض مصر . وهناك ، وعلى شاطىء النيل المبارك أعادها زيوس الى هيئتها الأولى ، وهناك وضعت ابنها ايباف فكان أول ملك على مصر وجدّ أجيال الأبطال الأماجد الذين كان منهم ، هرقل ، بطل الاغريق العظيم .

ابولون[1]

مولد أبولون

ولد إله النور أبولون الذهبي الشعر في جزيرة ديلوس . لم تستطع أمه لاتونا ان تجد لنفسها ملاذاً بعد أن تعرّضت لغضب الالهة هيرا ، فراحت تضرب في أنحاء الأرض يطاردها التنين بيفون ، رسول هيرا ، الى أن اختفت في جزيرة ديلوس التي كانت تتهادى في تلك الأيام فوق أمواج البحر الهائج . فما ان وضعت لاتونا قدمها على جزيرة ديلوس حتى ارتفعت العمدان الهائلة من أغوار البحر وثبتت الجزيرة الموحشة فاستقرت في ذلك المكان حيث لاتزال قائمة . وراح البحر يضطرب حول الجزيرة وترتفع الصخور عارية لاينبت فوقها شيء فلم يكن لغير طيور البحر ان تجد لنفسها مكاناً فوق هذه الصخور فكانت صيحاتها الثاقبة تتردد بين جنباتها ، ولكن ها قد ولد اله النور ففاضت سيول الضياء وغمرت كل مكان وغطت صخور ديلوس وكأنها من نضار . وأخذت صخور الشاطىء وجبل كينت والبحر والوادي تزهر وتتألق وارتفعت أصوات الربات المتحشدات فوق الجزيرة هاتفة بمجد الاله الوليد وأخذن يحملن اليه الامفروزيا والنكتار ، وشاركت الطبيعة كلها فرحة الآلهة .

---

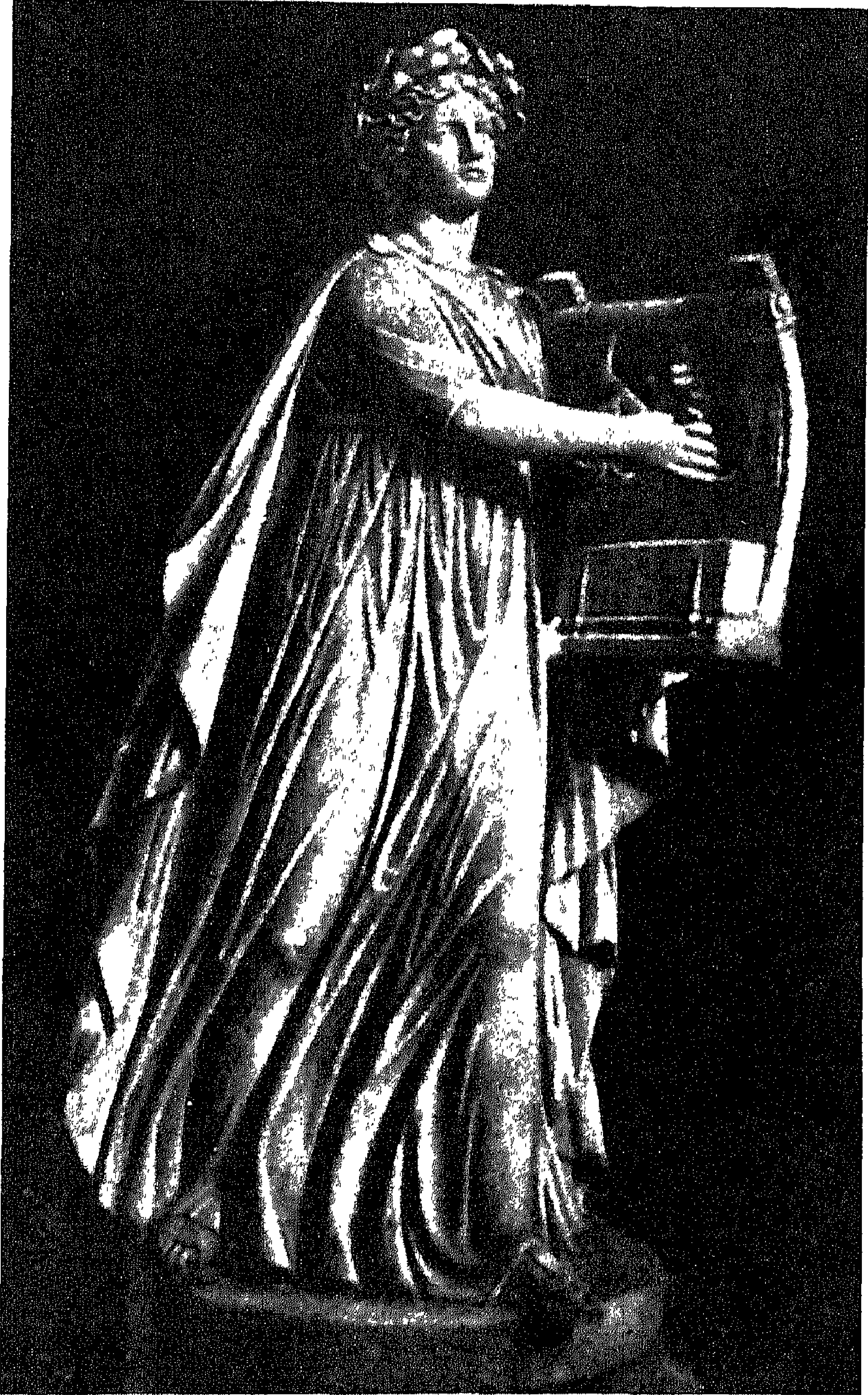
١ ـ أبولون ـ واحد من أقدم آلهة اليونان . بقيت عبادته تحمل آثار التوتمية فكانوا في أركاديا يعبدونه ممثلاً في هيئة كبش . وكان أبولون في بداية عهده الاله الذي يحمي القطعان ثم أصبح إله النور وصار بعد ذلك حامي المهاجرين فحامي المستعمرات اليونانية ثم غدا حامي الفنون والشعر والموسيقى ؛ وصار بعد ذلك الهاً يتنبأ بالمستقبل فكانوا في جميع أرجاء العالم القديم يقدسون معبده في دلفي ، حيث كان السدنة العرافون يكهنون . وكانت نبوءاتهم تقدم من طرف عرافين كانوا على اطلاع دقيق على كل ما يجري في اليونان ، أما نبوءاتهم فكان بالامكان تفسيرها على وجهين . فقديماً كانت تنتشر النبوءة التي قدمت في دلفي الى كريز ـ ملك ليديا أثناء حروبه مع فارس ، فقد قيل له : « إنك اذا ما قطعت نهر غاليس دُمّرتْ مملكة عظيمة ! » لكنهم لم يحددوا أيدمّر مملكته أم مملكة عدوّه ؟

الصراع بين أبولون وبيفون
وتأسيس معبد دلفي

وانطلق ابولون الفتي الوضاح في السماء اللازوردية حاملاً قيثارته بين يديه ، وقوسه الفضي معلق بكتفه وسهامه الذهبية تصلصل في كنانته . وراح يتسامى عالياً في الفضاء مزهواً باسماً مهدداً كل الشرور وكل ما جاءت به الظلمة . كان يسعى الى هناك ، حيث يعيش بيفون الرهيب مطارداً أمه لاتونا ، لقد أراد أن يقتص منه على منالها من أذاه .

وسرعان ما بلغ أبولون الكهف المظلم حيث يعيش بيفون . الصخور الشامخة في كل مكان تكاد تلاطم السماء والظلام ناشر برديه في الكهف وفي القاع يضطرب السيل الجبلي الهادر الأشيب من الزبد وفوق سطحه يتكاثف الضباب . وزحف بيفون من بؤرته الرهيبة فكان جسده المغطى بالحراشيف يتموج بين الصخور حلقات لاحصر لها . وأخذت الصخور والشوامخ تميد من تحته أو تضطرب في مستقرها . وأخذ بيفون اللاهث غضباً يمحق كل ما أمامه وينشر فيما حوله الفناء ، فراحت ربات البحر وكل حي يطلب لنفسه النجاة مشلولاً من شدة الرعب وانتصب بيفون هائلاً غاضباً وفغر شدقه العظيم ليبتلع ابولون الذهبي الشعر فأنّت ثنايا القوس اللجيني وتألق في الفضاء سهم ذهبي وقاد كالشرر ، نافذ لايعرف الخطأ وتلاه ثان فثالث . وصارت السهام تنهمر كالمطر على بيفون الى ان انطرح على الأرض خامد الأنفاس . وصدح ذو الشعر الذهبي ، قاهر بيفون بأغنية النصر الرائعة (بييان) ورددت الأغنية أوتار القيثارة الذهبية . وأودع أبولون الأرض جسد بيفون في ذلك المكان حيث تقوم دلفي المقدسة وأسس هناك معبداً ومكاناً للكهانة بغية أن يستجلي فيه الناس رغبات أبيه زيوس .

ولمح أبولون على الشاطىء سفينة لبحارة من كريت فقذف بنفسه في البحر على هيئة دلفين فبلغ السفينة وانبثق من بين الأمواج كنجم مذنب ثم تسلق مؤخرة السفينة ، وأوصل البحارة الى مرفأ مدينة كريسا ثم قادهم عبر الوادي الخصيب وهو يترنم على قيثارته الذهبية الى ان بلغ بهم دلفي فجعلهم أول كهنة في معبده .



أبولون ، اله الفنون واله النور يعزف على القيثارة .
(تمثال من بداية القرن الثاني ق.م.)

دافنا

عن قصيدة اوفيدي « ميتامارفوز »

الحزن أيضاً يعرف طريقه إلى قلب أبولون البهي الطلعة ، فما ان بدأ انشاد فرحة النصر على بيفون حتى غدا فريسة الأحزان . كان يقف على جسد الافعوان الصريع مزهواً بقوته عندما لمح ايروت ، اله الحب الفتي واقفاً بالقرب منه وقد صوب اليه قوسه الذهبي الصغير ، فضحك ابولون وابتدره بقوله :

ـ ما لك ولهذا السلاح الرهيب أيها الغلام ! الأولى ان ترميني بمثل السهام الذهبية الفتاكة التي صرعت بها بيفون منذ لحظات . أتحسب أن لمثلك أن يضارعني في رمي السهام ـ أم أنك تطمح الى بلوغ ما سمَوْت إليه من مجد .

فأجاب ايروت باستعلاء وقد لمست الاساءة كبرياءه : ـ سهامك يا أبولون نافذة أبداً لاتخيب ، لكن سهمي أيضاً سيخترق فؤادك .

وصفق ايروت بجناحيه الذهبيين فكان بعد لحظة فوق قمة جبل بارناس الشاهق ، وهناك أخرج من كنانته سهماً يجرح القلب ويثير فيه الحب رمى به قلب أبولون المجيد فاخترقه ، ولم يلبث أبولون أن التقى بدافنا ذات الجمال الفتان فأحبها ، غير أنها كانت عالقة القلب بحب رجل آخر وكانت مخطوبة له ، فما أن شهدت أبولون يقترب منها ونداء الحب في عينيه حتى أجفلت وفرت من أمامه فانطلق في اثرها وهو يصيح :.

ـ قفي ايتها الربّة الرائعة ، مالك تفرين مني كالنعجة التي يطاردها الذئب . مالك تطيرين كالحمامة التي تحاول الافلات من الصقر . انا لست عدواً لك . انظري . لقد أدمت قدميك أشواك العليق الحادة ، ايه ، قفي ، تمهلي ، فأنا أبولون ابن زيوس ، ولست واحداً من الرعاة الفانين .

لكن الفتاة حثت خطاها مسرعة فأسرع أبولون في اثرها وكأنه محمول على الأجنحة . ها هوذا قد اقترب منها حتى بدأت تحس بأنفاسه فخانتها قواها وأخذت تضرع إلى أبيها قائلة :

- أبي بينيوس . مد لي يدك بالعون ! انشقي بسرعة ايتها الأرض وابتلعيني ، أو لتتحول هيئتي هذه فهي لاتجر علي سوى الآلام .

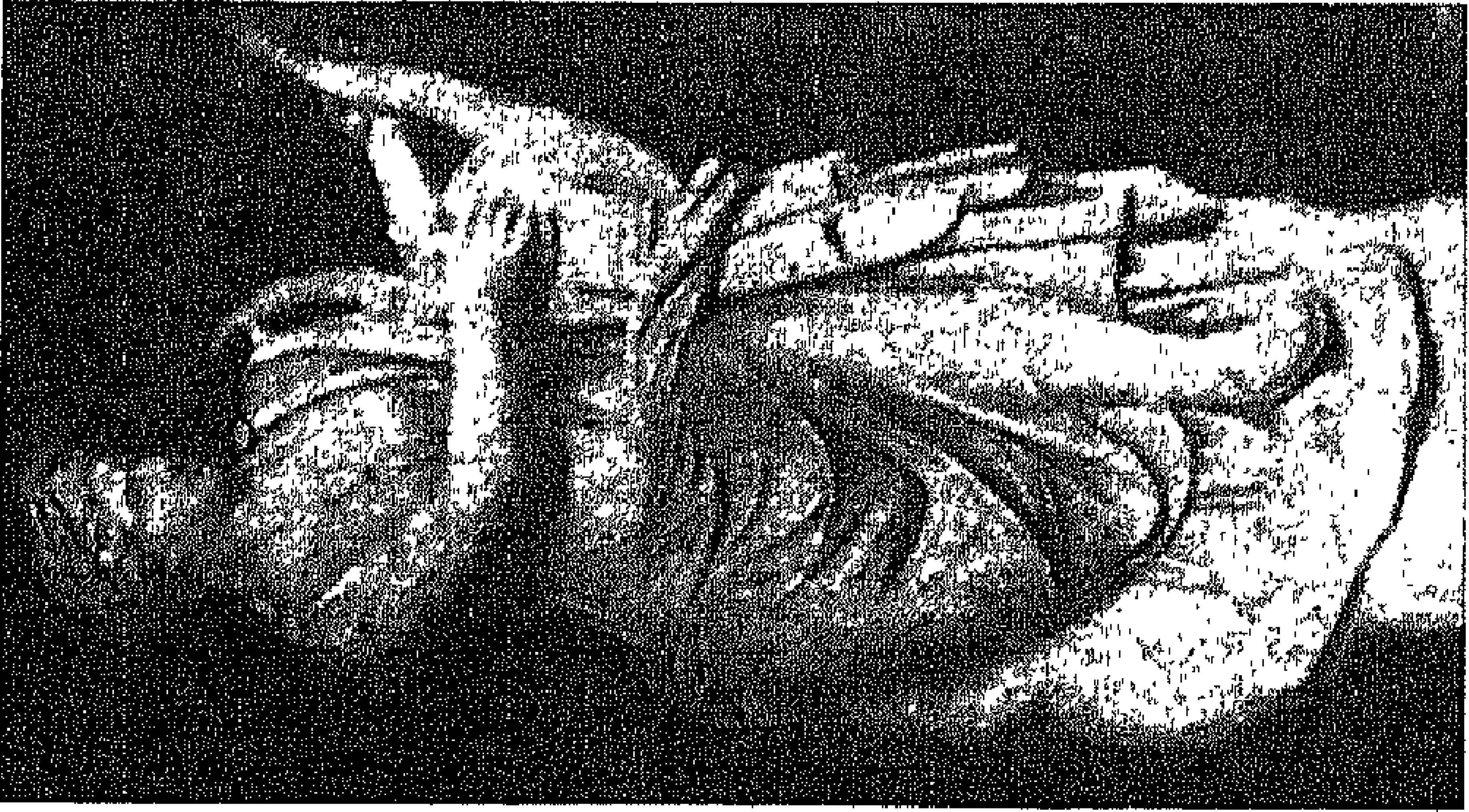
وما أتمت الالهة الفاتنة ضراعتها حتى دب النمل في أطرافها واكتسى جسمها بالقشور وتحول شعرها أوراقاً من الغار وارتفعت يداها الى السماء فاستحالتا غصنين . ووقف ابولون طويلاً يتأمل الشجرة الخضراء وتمتم :

- فلتزين هامتي ولو اكليل من أغصانك ، ولتزين بأوراقك قيثارتي وكنانتي منذ الآن ، ولتظل أوراقك أبدية الخضرة يا شجرة الغار .

وبهدوء ، تمايلت أغصان الشجرة وكأنها ترد على كلمات أبولون ، ومالت ذروتها الخضراء دلالة الرضى والقبول .







من اليسار الى اليمين ـ تيربسيخورا ـ ربة الرقص تعزف على القيثارة وتظهر من بعدها تاليا ـ ربّة الملهاة والدف في يدها ويظهر القناع الساخر الى جانبها ، وتليها اورانيا ـ ربة الفلك وهي تمسك لفافة مخطوطة بيدها .

(تماثيل من القرن الثالث ق.م.)

أبولون في خدمة أدميت

كان على أبولون ان يتطهر من دم بيفون وهو الذي يطهر مَن يسفك الدماء ، ولذلك هاجر بأمر من زيوس الى فيساليا حيث صار يرعى قطعان الملك أدميت ، فكان يخرج بالمواشي الى المراعي وهناك يعزف على شبابته القصبية أو قيثارته الذهبية فتخرج الوحوش من بين الأدغال وتقبل إليه مفتونة بموسيقاه وتخالط الفهود والأسود القطعان وتجري نحوه الغزلان والوعول مسحورة بألحانه حتى ساد الظلام والسعادة كل مكان وعمت البركات بيت أدميت : فكانت محاصيله فريدة بين المحاصيل وقطعانه خير ما في فيساليا ، وكان هذا هبة من الإله الذهبي الشعر ، كما ساعد ابولون ادميت على الفوز بالكسيتا ابنة بيليوس ، ملك ايولك . اذ كان والدها قرر الا يزوجها الا لذلك الذي يستطيع ان يربط الى عربته أسداً ودباً . فنفث ابولون الملك المحبوب بقوة لاتقهر فتمكن هذا من انجاز ما اشترطه بيليوس . وأمضى أبولون في خدمة ادميت سنوات ثمانية عاد بعدها الى دلفي بعد أن أتم خدمته التي فرضتها عليه الكفارة .

يقضي ابولون الربيع والصيف في دلفي.. فاذا ما أقبل الخريف وذبلت الأزهار واصفرت الأوراق على أغصان الأشجار واقترب فصل الشتاء البارد الذي يغطي بثلوجه قمة بارناس شد أبولون مركبته التي تجرها البجعات الناصعة البياض وانطلق الى أرض الهيپيربوري ، أرض الربيع الخالد ، وهناك يمضي فصل الشتاء بطوله ، فاذا ما عادت النضرة لتكسو كل شيء في دلفي وتفتحت الأزهار تحت أنفاس الربيع الحية واستتر وادي كريسا بغطاء فاقع الألوان ، عاد ابولون على مركبته الى دلفي لينبىء الناس بارادة زيوس ، وعند ذلك يحتفل بعودته فيمضي الربيع والصيف في دلفي ، ويقوم أحياناً بزيارة مسقط رأسه ديلوس حيث أقيم له معبد أيضاً .

أبولون وربات الفن

في الربيع والصيف وعلى سفوح هيليكون المكسوة بالغابات حيث تجري مياه نبع هيبوكرينا المقدسة محدثة خريراً مبهماً وفوق جبل بارناس الشامخ بالقرب من مياه كاستيل الرقراقة الطاهرة يقيم ابولون حفلاته الراقصة مع تسع من ربات الفن . انهن بنات زيوس ومنيموسينا[1] الفاتنات ، مرافقات ابولون الخالدات ؛ انه يمسك برأس حلقات رقص الربات ويرافق غناءهن بأنغام قيثارته الذهبية ، ثم يسير في مقدمة الحلقة الراقصة متوجاً باكليل الغار تتبعه الربات التسع - كاليوبّا - ربة الشعر القصصي ، ايوتيربا - ربّة الشعر العاطفي ، ايراتو - ربّة النسيب ، ميلبومينا - ربّة الدراما ، تاليا - ربّة الكوميديا ، تيربسيخورا - ربّة الرقص ، كليو - ربّة التاريخ ، اورانيا - ربّة الفلك ، وبوليهيمنا - ربّة الاناشيد المقدسة . جوقتهم تغني بعظمة والطبيعة كلها تنصت مسحورة الى غنائهم الالهي .

ويصمت كل من فوق الاوليمب اذ يظهر ابولون بين أسراب الآلهة برفقة ربات الفن ، وتتعالى ألحان قيثارته مصحوبة بغناء الربات . اذ ذاك ينسى أريس ضجيج المعارك الدامية وتخبو الصواعق في يدي زيوس ويطوي الآلهة نزاعاتهم ويسود السلام والهدوء فوق الأوليمب ، ويسدل نسر زيوس جناحيه وينكس رأسه ويغلق عينيه الحادتين ويتلاشى صوته الرهيب ويغفو فوق صولجان سيده ، وتتحرك حلقة الراقصين اللألاءة نحو قاعة الآلهة وتشترك فيها جميع ربات الفن وتنضم اليهن افروديتا الخالدة الصبا ، وآريس وهرمز ، وتتقدم الجميع ارتيميدا العذراء ، اخت ابولون ، فعلى انغام قيثارته يرقص الآلهة الشبان سابحين في أمواج النور الالهي .

---

١ - منيموسينا - ربّة الذاكرة .

اوتوس وايفيالتوس

ينقلب ابولون رهيباً إذا غضب ؛ واذ ذاك لا تعرف الرحمة سهامه الماضية التي اودت بحياة الكثيرين . وكان من ضحاياها اوتوس وايفيالتوس ، ولدا اولويوس ، اللذان غرتهما قوتهما فاستطالا على الآلهة . لقد امتازا منذ الطفولة بطول القامة وصلابة العود ، وبالشجاعة التي لا تعرف حدوداً فلما بلغا سن الشباب أخذا يتحديان الآلهة قائلين :



مارسيوس يعثر على الشبابة التي رمتها أثينا

(رسم على مزهرية) .

ـ ايه ، امهلونا فقط حتى ندرك مدارك الرجال ونستحوذ على قوتنا الخارقة فنرفع اذ ذاك جبال الأوليمب، بيليون وأوسّا[1] ونكدسها واحداً فوق الآخر فنبلغ من فوقها السماء وعند ذلك ننتزع منكم يا آلهة الاوليمب ـ هيرا وارتيميدا .

بهذا راح العاتيان يهددان آلهة الاوليمب كما فعل العمالقة من قبل ، ثم جنحا بعد ذلك الى تنفيذ ما هددا به ، فقيدا اريس ، اله الحرب الشديد بالسلاسل ، وحبساه ثلاثين شهراً في سجن من النحاس ، وكان عليه ان يتذوق طويلاً مرارات سجنه لولا ان اختطفه هرمز السريع القدمين بعد أن كلت قواه . كان اوتوس وايفيالتوس شديدي العزيمة ، لكن ابولون لم يحتمل تهديدهما فتصدى لهما ورماهما بنباله المهلكة .

---

١ ـ جبال ضخمة جداً تقع على شواطىء بحر ايجه في فيساليا .

مارسيوس

وأنزل ابولون عقابه الشديد بالساتير الفريجي مارسيوس عندما اجترأ هذا على تحديه في الموسيقى . وضاق خامل القيثارة ذرعاً بذلك التحدي . لقد عثر مارسيوس أثناء تجواله في فريجيا على شبابة قصبية اخترعتها أثينا ثم نبذتها بعيداً لما رأت ان العزف عليها ينال من جمال وجهها القدسي ؛ وقالت :

ـ لتنزل الويلات بمن يرفع هذه الشبابة .

ورفع مارسيوس الشبابة غير عالم بما قالته اثنيا ، وبعد حين برع في العزف عليها واجتذب اليه الاسماع فصار الجميع يصغون الى موسيقاه الشجية وهو ما جعله يزهو بفنه ويستفز اله الموسيقى الى نزاله .

وظهر ابولون الى الميدان في مسوح طويل بديع ، يكلل رأسه الغار وتتلألأ في يده القيثارة فبدا ماريوس قميئاً ضئيلاً أمامه لكنه بقي مصراً على التحدي ؛ غير أن ألحان شبابته لم تكن شيئاً امام الألحان الرائعة التي راحت تصدرها أوتار قيثارة ابولون . وهكذا عقد النصر لابولون فأمر ، وقد أغضبه التحدي ، ان يعلق مارسيوس التاعس ، من يديه وأن يسلخ جلده حياً فكان في هذا جزاؤه على استكباره ؛ وعلق الجلد في مغارة قريبة من كيلين في فريجيا ، ورووا بعد ذلك ان الجلد كان يقوم دوماً بحركات تشبه الرقص عندما تصل المغارة الحان الشبابة القصبية الفريجية ، لكنه كان يجمد بلا حراك عندما تصله ألحان القيثارة الرائعة .

اسَكليبوس (ايسكولاب)

لم يكن ابولون بالاله المنتقم فقط ، اذ ان سهامه لا تحمل الموت فحسب ، بل والشفاء من الأمراض . فاسكليبوس ـ اله الطب والأطباء ـ ابنه ، وقد نشأه القنطور خيرون الحكيم فوق سفوح بيليون . ونبغ الفتى تحت اشراف القنطور ورعايته وحذق فن الطب حتى لم يعد يشفي من الامراض فقط بل ويقيم الأموات ؛ وبذلك أثار حفيظة هاديس ، خازن مملكة الموتى ومرسل الصواعق زيوس لأنه خرق النظام والأعراف الكونية . فسلّط عليه صاعقة أوردته حتفه لكن البشر قدسوه من بعد موته وجعلوه الشافي من الأمراض فكرموه ، وأقاموا على اسمه المعابد وكان من بينها معبد اسكيبوس في ايبيداڤرا .



اسكليبوس ـ اله الطبابة .

(تمثال من القرن الرابع ق . م) .

كانت عبادة ابولون معروفة في جميع أرجاء اليونان ، فكان بالنسبة لهم ملك النور ، ومطهر الانسان من آثام الدم المراق ، والمحيط برغائب أبيه زيوس ، ومنزل العقاب بالمجرمين ومرسل الأمراض والشافي منها . كما كان راعي الشبيبة وحامي البحارة وشفيع المدن والمستعمرات الجديدة ، وكان الى جانب ذلك صاحب القيثارة وعميد ربات الشعر ، يبسط حماسية على الشعراء والمغنين والموسيقيين ، وكان من ناحية التقديس يقف في مستوى ، زيوس ، مرسل الصواعق .

ارتيميدا[1]

ولدت الالهة الفاتنة ارتميدا فوق جزيرة ديلوس مع أخيها ابولون الذهبي الشعر فهما توأم ، توحد بينهما أعمق مشاعر الود والصداقة ويكنان لأمهما لاتونا أعمق الحب .

ارتيميدا تمنح الحياة لكل شيء ، فهي ترعى كل ما يدب على الأرض أو ينبت في المروج والغابات . وهي تعنى بالحيوانات البرية وبقطعان المواشي وبالبشر ، كما أنها تبعث الحشائش والازهار والأشجار على النمو وتبارك المواليد والأعراس والزواج ، وتكرّمها النساء اليونانيات ويحملن اليها أثمن الهدايا فهي التي تبارك زواجهن وتكلله بالسعادة كما أنها ترسل الأمراض وتبرىء منها .

انها خالدة الصبا ، وضاءة كيوم مشرق ، تعلق قوساً وكنانة بكتفها وتحمل بيدها رمحاً وتنطلق الى الصيد في الغابات الكثيفة وفوق السهول الواسعة الغارقة في ضياء الشمس ، فهي الالهة القناصة ـ يحف بها سرب من الحوريات وعرائس الجبال وهن ينتقلن بسرعة فوق الهضاب الجبلية وبين الوديان وتسير في مقدمتهن ارتيميدا فاتنةً عزيزة النفس ترتدي رداءً قصيراً لا يتجاوز الركبتين ، وليس لوعل شارد أو غزال مذعور أو خنزير هائج مختبىء بين شجيرات القصب منأى من

---

١ ـ ارتيميدا (ديانا لدى الرومان) ـ واحدة من أقدم ربات اليونان ، ويمكن الافتراض بأنها كانت في بداية الأمر حامية الحيوانات ـ الأهلية منها والبرية . وكانت في العصور الغابرة تمثل أحياناً على هيئة حيوان ، كدبة مثلاً . فعلى هذه الصورة ظهرت ارتيميدا البراواورونية في أتيكا غير بعيد عن أثينا . وصارت ارتيميدا بعد ذلك حامية الأم عند وضعها وهي التي تهب الولادة السليمة . وبما أنها كانت أخت ابولون، اله النور ، فقد كانت تعد ربّة القمر ، فاتحدت بذلك مع الربة سيلينا . وكانت عبادتها من اكثر العبادات انتشاراً في اليونان . وكان معبدها في مدينة ايفيس (ارتيميدا الايفية) .

سهامها النافذة . وتنطلق الجنيات ـ مرافقات ارتيميدا فيتعالى المرح والصراخ ويتردد نباح الكلاب بعيداً بين الجبال ،

فاذا ما كلت الربة من عناء الصيد سارعت صحبة رفيقاتها الى دلفي المقدسة ، نحو أخيها المحبوب ابولون ـ مرسل

السهام ، وهناك تعقد الحلقات الراقصة مع الحوريات وربات الفن على وقع الالحان الشجية المنبثقة من قيثارة أبولون الذهبية . وتمسك ارتيميدا برأس الحلقة الراقصة بديعة هيفاء ؛ انها أجمل الالهات



ارتيميدا ، الربة ـ القناصة ، وكنانتها خلف كتفها .
(تمثال من القرن الرابع ق.م) .

وربات الفن جميعاً ، وهي تفرعهن طولاً بمقدار الرأس ، وتؤثر الاستراحة بعيداً عن أنظار الفانين ، في أحضان الكهوف الناضحة بالبرودة والانسام العليلة والمكللة بالخضرة . والويل لمن يفسد عليها راحتها لقد هلك بسبب ذلك اكتيون الشاب ، ابن اوتونويا ، ابنة قدموس ، ملك طيبة .

أكتيون

عن قصيدة أوفيد «متيامارفوز»

خرج اكتيون مرة مع رفاقه للصيد في غابات كيثيرون . وحل وقت الظهر القائظ فتفرق الصيادون المتعبون في ظلال الغابة الظليلة طلباً للراحة . أما اكتيون الشاب فانفصل عنهم ومضىٰ ينشد مكاناً بارداً في وديان كيثيرون فأطل على وادي غارغافيا[1] الأخضر الزاهر ، وادي الالهة ارتيميدا . كانت أشجار الدلب والسرو ترتفع في الوادي باسقة كثيفة وتتماوج الحشائش الخضراء مختلطة بألوان الزهور الزاهية . وفي أحشاء الوادي يتردد خرير ساقية صغيرة ويخيم الصمت والهدوء والبرودة على كل شيء . وتحت منحدر شديد الميل شاهد اكتيون كهفاً رائعاً يبطنه الاخضرار فسار نحوه غير عالم بأن ارتيميدا ، ابنة زيوس تلجأ اليه طلباً للراحة والهدوء .

كانت ارتيميدا قد دخلت الكهف لحظة وصله اكتيون ، وكانت قد ناولت قوسها وسهامها الى واحدة من الحوريات وتهيأت للاستحمام فنزعت الحوريات حذاءها وعصبن شعرها وكن على وشك المضي الى النهر لاغتراف مائه البارد عندما أطل اكتيون على مدخل الكهف ، فأطلقت الحوريات صرخة ثاقبة والتففن حول ارتيميدا ليحجبنها عن نظرات ذلك الفاني . وأضاءت حمرة الغضب وجه ارتيميدا مثلما تضيء الشمس المشرقة بحمرتها الغيوم . واتقدت عيناها فزادتها جمالاً على جمال . وفي سورة الغضب احالت الصياد التاعيس وعلاً فتشعبت القرون على رأسه وتطاولت عنقه وضاقت أذناه واستحالت يداه ورجلاه إلى أطراف وعل جميل كما اكتسى جسمه بوبر ناعم . وأسلم الوعل المذعور أقدامه للريح حينما رأى صورته

---

(١) واد في بيوتيا ، تجري مياهه ساقية صغيرة على طول الوادي .

المنعكسة في الماء فأراد أن يصيح : «يا ويلتاه» لكنه فقد القدرة على النطق ، وتساقطت العبرات من عينيه ، ولم يبق منه بشري غير عقله . ماذا له أن يعمل ؟ أين المفر .

وتنسمت الكلاب رائحة الوعل فلم تميّز فيه صاحبها بل اندفعت في اثره تنبح نباحاً رهيباً . وانطلق الوعل الجميل كالريح يقطع وهاد كيثيريون وتلالها ويطوي الغابات والسهول وسفوح الجبال وقرناه المتشعبان يستقران على ظهره وتعدو في اثره الكلاب ، ثم اقتربت منه أخيراً وأطبقت بأنيابها على جسده التاعس تعمل فيه عضاً ونهشاً . انه يريد أن يصرخ بها ـ . . ارحميني فأنا صاحبك اكتيون !» لكن صدره لا ينشق الا عن الأنين الحزين الذي يضم الصوت البشري في طياته . وخر اكتيون الوعل على ركبتيه الأماميتين تنطق عيناه باليأس والرعب والضراعة ، فقد دنت النهاية الرهيبة .

واشفق رفاق اكتيون لأنه غاب عنهم ولم يشاهدوا ذلك الصيد الثمين ، ولم يعرفوا انه كان يمثل نهاية اكتيون الذي أزعج ارتيميدا ؛ الانسان الوحيد الذي اكتحلت عيناه بمرأى الجمال الالهي لابنة زيوس ولاتونا .

اثينا ـ بالادا[1]

مولد أثينا

ولدت أثينا من هامة زيوس نفسه . فقد كشفت له المويرات يوماً ان الربة ميتيس تلد طفلين ـ أثينا وطفلاً آخر خارق الذكاء والقوة يزيح زيوس عن عرشه ويجرده من سلطانه على الكون . فسيطر الخوف على قلب زيوس وطمع في تفادي ذلك المستقبل الرهيب فغمر ميتيس بكلامه المعسول ثم ابتلعها قبل ان تنجب ابنتها اثينا ، ولم يمض غير قليل من الزمن حتى أحس بصداع رهيب ، فدعا ابنه هيفيست وأمره أن يشق رأسه ويخلصه من آلامه المبرحة فرفع هيغست الفأس وضرب زيوس ضربة هائلة فلق بها رأسه من غير أن يؤذيه . ومن رأس مبدع الصواعق طفرت الى العالم الالهة أثينا ـ بالادا الشديدة البأس ، القوية المراس ومثلت أمام أعين الآلهة المفتونين مدججة بالسلاح تتألق خوذتها على رأسها ويلمع الرمح والترس في يديها . وأوقع رمحها الهلع في كل قلب كما انبثقت صرختها الثاقبة ففلقت بطن السماء وزُلزل الاوليمب وارتجت الأرض ، ووقفت امام الآلهة رائعة مهيبة يتألق ناظراها الزرقاوان بالحكمة السماوية ويشرق محياها بالجمال السماوي الطاهر الجليل . وارتفعت الألسنة تلهج بمجد أثينا ـ ربة الحكمة والمعرفة ، المحاربة التي لا تقهر ، وليدة هامة زيوس وابنته المحبوبة وحامية المدائن .

---

١ ـ كانت اثينا تختص بحمايتها كل شعب أقام تمثالاً لها أو لصديقتها المحبوبة بالادا . وتقول الاساطير ان اثينا كانت تلاعب مرة صديقتها هذه فقتلتها عن غير عمد فحزنت عليها كثيراً ونحتت لها تمثالاً من الخشب ووضعته أمام زيوس فرمى به الى أرض طروادة حيث أقيم له هيكل صار حرزاً للبلاد وحامياً لها فامتنعت على اليونان سنين طويلة حتىٰ سرق اوديسيوس وديوميد التمثال فكان ذلك سبب نكبة المدينة على نحو ما ستطالعنا «الالياذة» في الصفحات المقبلة .



أثينا. الخوذة على رأسها، ونيكي - ربة
النصر في راحة يدها اليمنى. ويظهر الى جانب أثينا ترسها وافعوانها.
(نسخة من تمثال للنحات فيديوس (القرن الخامس ق.م) محفوظ في البارثيون في أثينا).

تشمل أثينا أبطال اليونان برعايتها. وتمنحهم نصحها الحكيم وتشد أزرهم في الملمات وهي المحاربة الشديدة ، انها تحمي المدائن والأسوار وتهب المعرفة والحكمة وتعلم البشر الفنون والصناعات ، وليس في وسع أحد من الفانين ان يسمو اليها في فن الحياكة ، والجميع يعلمون خطر تحديها في هذا الميدان كما يعلمون ما حل بأراخنا ، ابنة ايدمون ، التي طمحت أن تفوق أثينا في هذه الصنعة .

أراخنا

عن قصيدة اوفيد «ميتامارفوز»

اشتهرت أراخنا في جميع أصقاع ليديا[1] بصناعتها المتقنة حتى كانت تجتمع اليها الجنيات من جبال تمول وشطآن باكتول الذهبية ليمتعن أبصارهن بثمرات يديها فقد كانت تصنع الانسجة الشفافة كالنسيم من خيوط رقيقة كالضباب . الا انها أعجبت بنفسها وافتخرت بأن أحداً في الكون لا يجاريها في فن النسيج حتى انها صرحت ذات مرة :

ـ فلتحضر أثينا بنفسها الى مباراتي ، فليس لها أن تهزمني ولست أخشاها .

فظهرت لها أثينا في صورة عجوز شيباء محنية الظهر تميل على عكازها وقالت لها :

ـ أراخنا ، ان السنين لا تأتينا بالشرور فقط بل وتحمل الينا الخبرة أيضاً ، فاصغي إلى نصحيتي وتطلعي الى ان تتفوقي على الفانين دون غيرهم بصناعتك ولا تستعدي الآلهة بل توسلي اليها بتواضع وخشوع ان تغفر لك ما سلف من ذنبك، فهي شفيعة التائبين .

سقطت الخيوط الناعمة من يدي أراخنا واتقدت عيناها بجمر الغضب وأجابت العجوز بادية الاعتزاز بنفسها :

ـ أنت خرقاء ايتها العجوز فقد ذهبت برشدك الأيام ، اقرئي نصائحك هذه على كنأتك وبناتك أما أنا فدعيني وشأني ، فبوسعي أيضاً ان استنصح لنفسي بنفسي ، ليكن ما أردته ، ما لأثينا لا تأتي ، ما لها راغبة عن نزالي !

فصاحت أثينا وقد استعادت هيئتها الأصيلة : أراخنا أنني هنا !

وانحنت الجنيات وبنات ليديا أمام ابنة زيوس المجيدة وهتفت بالدعاء

---

١ ـ مملكة في آسيا الصغرى قضى الفرس عليها في القرن السادس ق.م .

لها . الا اراخنا فلم تنبس بشيء ، واتقد وجه أثينا بالغضب مثلما يتقد الشفق السماوي بحمرة الصباح الفانية عندما يرفرف ايوس ، اله الفجر اللازوردي بجناحيه اللألاءين طائراً نحو السماء ، ومضت أراخنا في غيّها فأصرت على تحدي أثينا .

وبدأت المباراة فنسجت أثينا بساطاً مدهشاً صورت في وسطه الاكروبول العظيم وطرزت فوقه قصة نزاعها مع بوسيدون من أجل الهيمنة على أتيكا . كان ثمة اثنا عشر من آلهة الاوليمب الصبوحي الوجوه ومن بينهم زيوس ، وقد انتظموا حكاماً في ذلك النزاع . وجرّد محرك الارض بوسيدون خطّافه المثلث الشعب وضرب به صخرة فتفجر النبع المالح من الصخرة الجدباء أما أثينا فبدت والخوذة على رأسها والترس في يدها وقد جردت رمحها ودفعته عميقاً في باطن الأرض فانبثقت منها شجرة الزيتون المباركة ، وأقر الآلهة لأثينا بالنصر معترفين بان هديتها لأثينا أجل قيمة[1] كما طرزت فوق زوايا البساط عقاب الآلهة للعتاة الجاحدين وأحاطته باكليل من ورق الزيتون . أما أراخنا فطرزت على بساطها لوحات شتى من حياة الآلهة الخالدين أظهرتهم فيها ضعفاء عبيداً للشهوات البشرية ، وأحاطته باكليل من أزهار اللبلاب المتعانقة فكانت ما قدمته شيئاً يفوق الوصف ، الا انه يحمل شيئاً من الامتهان للآلهة بدلاً من الاجلال والتكريم ، فغضبت أثينا غضباً شديداً وضربت أراخنا بالنول، ولم تتحمل التاعسة ما أحاق بها من عار فجدلت حبلاً وجعلت منه مشنقة علقت بها نفسها ، لكن أثينا حرّرتها من المشنقة وقالت لها :

ـ بل دومي حيّة ايتها المتغطرسة ، لكنك لن تبرحي معلقة هكذا الى الأبد تحيكين النسيج ويتصل ذلك في نسلك .

وسقت أثينا أراخنا عصارة حشيشة مسحورة فتقلص جسمها على التو وتساقط شعرها الكثيف عن رأسها واستحالت عنكبوتة ، فهي منذ ذلك الحين والى الابد تتولى في شباكها التي تحوكها بيديها كما كانت تفعل في حياتها .

١ـ قام النحات اليوناني الأشهر فيديوس بتصوير الصراع بين أثينا وبوسيدون على السطح الداخلي لمعبد البارنثيون في أثينا ، وبقي ذلك التصوير الى يومنا هذا الا انه في حالة تخرب شديدة .

هرمز[1]

ولد هرمز ، ابن زيوس ومايا في كهف بجبل كيلينا في اركاديا . وهو رسول الآلهة ينتقل بسرعة الخاطر من الأوليمب حتى أبعد أصقاع الكون منتعلاً صندليه المجنحين ، حاملاً صولجانه الذي ينعقد عليه الافعوانات فقد رأى مرة حيتين تقتتلان فأدنى منهما عصاه فالتفتا عليها وصارتا من ذهب فغدت عصاه تلك رمزاً للسلام . وهرمز يحمي الدروب والمسالك ، فالجرمات[2] المقامة على اسمه تنتشر فوق الطرق والمفارق وعلى مداخل البيوت في جميع أنحاء اليونان ، وهو كذلك يحمي حياة المسافرين والرحالة ويرافق أرواح الموتى في طريقها الأخير الى مملكة آييد المظلمة ويطفىء أعين الناس باشارة من عصاه الذهبية ويغرقهم في سبات عميق ، وهو حامي المسالك وشفيع المسافرين ورب التجارة والمرابح ، فهو يهب الأرباح ويوزع الثروات . وهو الذي استنبط الموازين والأعداد والأبجدية وعلمها البشر ، وهو أيضاً رب البيان والبلاغة ورب المداهنة والمكر في الوقت نفسه . ولا يمكن لأحد أن يبزه في الخفة والرشاقة وحتى في السرقة فهو لص لا يجارى في خفة اليد . وهو الذي انتشل مرة ـ وعلى سبيل المزاح ـ صولجان زيوس والخطاف المثلث الشعب من يد بوسيدون والقوس والسهام الذهبية من أبولون والسيف من آريس .

١ ـ هرمز (ميركوري لدى الرومان) واحد من أقدم آلهة اليونان كان في بداية أمره حامياً للقطعان ولذلك مثلوه أحياناً ممسكاً بخروف في يده . وهو يظهر في قصص هوميروس رسولاً للآلهة ومرافقاً أرواح الموتى الى مملكة هاديس السفلىٰ . كان هرمز حامي الرحالة وأصبح بعد تطور التجارة في اليونان حامي التجارة وبالتالي اله الغش والمساومة والخداع وحتى السرقة ، يضاف الى ذلك انه كان راعي الشبيبة ورياضيي ألعاب القوى والرشاقة فكانت تماثيله توضع في مدارس الرياضة وساحات الجمباز وفي الامكنة التي تعلَّم فيها المصارعة والملاكمة ورمي القرص والجري والقفز وسوىٰ ذلك . وبعد اخضاع الامبراطورية الفارسية من قبل الكسندر المكدوني (نهاية القرن الرابع ق . م .) وابتداء ظهور الممالك اليونانية في آسيا ومصر صار هرمز يوحَّد مع الاله المصري توت ، اله المعرفة والسحر ، فغدا اله السحر والتنجيم ، وبدأوا عند ذلك بتسميته الاله المثلث الأمجاد .

٢ ـ الجرمات ـ عمدان حجرية كان رأس هرمز يُساط فوقها .

هرمز يسرق بقرات أبولون

ما ان ولد هرمز في كهف كيلنيا حتى فكر بالقيام بأول عملية من سرقاته . فقرر أن يسطو على بقرات ابولون وكان آنذاك يرعى قطعان الآلهة في وادي پياريا في ماكدونيا ، فتخلص من أقمطته بهدوء كي لا تراه أمه وانساب برشاقة من سريره ثم تسلل الى باب الكهف حيث وجد سلحفاة فأخذها ومدّ على درعها أوتاراً شجية الألحان فكانت أول آلة موسيقية ، ثم تسلل الى الكهف من جديد فخبأ القيثارة في سريره وانطلق بعد ذلك يسابق الريح في وادي پياريا ، وهناك اقتطع خمس عشرة بقرة من قطيع أبولون وربط الى أطرافها قصباً وأغصاناً تمحو آثار سيرها وساقها بسرعة نحو البيلوبونيز ، وعندما تأخر المساء التقى في طريقه ببيوتيا بشيخ يعمل في كرم للعنب فقال له :

ـ اليك ببقرة من هذا القطيع على ان تعاهدني بالا تخبر أحداً بأنك رأيتني هنا .

فرح الشيخ بالأعطية الثمنية ووعد بما طلب منه فتابع هرمز طريقه لكنه لم يقطع غير قليل من الطريق عندما خطر له أن يمتحن الشيخ وصدقه في الوفاء بالوعد ، فغيّر من هيأته وأخفى القطيع في الغابة وعاد الى الشيخ فسأله .

ـ أخبرني ، ألم تر صبياً يسوق بقرات من هنا ؟ سأمنحك ثوراً وبقرة اذا ما أخبرتني في أي اتجاه ساقها .

ولم يطل تردد الشيخ ، فقد طمع بالحصول على الثور والبقرة ولذلك أشار الى الاتجاه الذي سلكه الصبي ، فغضب هرمز عليه أشد الغضب وأحاله صخرة صماء لكي يصمت الى الأبد ويتذكر معنى الوفاء بالعهد .

وعاد هرمز بعد ذلك الى البقرات فتوغل بها بعيداً إلى أن اوصلها بيلوس ، وهناك قدم اثنتين منها قرباناً للآلهة وأخفى آثار القربان وخبأ باقي القطيع في المغارة بعد أن أدخلها اليها سائرة الى الخلف لتبدو خارجة من المغارة لا داخلة اليها .



هرمز ـ رسول الآلهة وحامي التجارة

(تمثال من القرن الرابع ق .م . عثر عليه أثناء الحفريات في مدينة هركولانوم الرومانية) .

وبعد أن أتم هرمز ذلك كله عاد هادئاً الى أمه مايا ورقد في سريره بهدوء بعد أن لف نفسه بالأقمطة .

لكن مايا اكتشفت غياب ابنها فعنفته بقولها :

ـ يالسوء ما فعلت . لم سرقت بقرات أبولون ، انه سيغضب بلا شك ، وأنت تعرف كم هو رهيب في غضبه ، أم انك لا تخشىٰ سهامه الصائبة !

فأجاب هرمز بقوله : ـ لست أخشىٰ ابولون ، وليغضب ماشاء له الغضب ، واذا ما عنّ له ان يؤذيك أو يؤذيني اقتصصت منه بسرقة معبده في دلفي وسطوت على كل ما يملكه من ركائز وذهب وفضة ورياش .

أما أبولون فكان قد لحظ اختفاء بقراته فانطلق يبحث عنها لكنه لم يعثر لها على أثر ، الى ان قاده الهدهد الى پيلوس ، لكنه لم يعثر عليها حتى هناك لانه لم يدخل المغارة التي كانت الآثار تقود منها لا اليها .

وأخيراً وبعد بحث لا غناء فيه وصل الى كهف مايا ، وأحس هرمز بدنوه فغاص في سريره وشد على نفسه الأقمطة . واقتحم ابولون الغاضب الكهف فرأى هرمز غارقاً في نوم بريء فانهال عليه بقارص القول وراح يطالبه باعادة البقرات ، لكن هرمز أنكر كل شيء مؤكداً لأبولون انه لم يفكر حتى بسرقة البقرات ، وانه يجهل مقرها كل الجهل ، لكن ابولون صاح به وقد استشاط غضباً :

ـ أصغ ايها الغلام ، اعد الي بقراتي والا قذفت بك الى أعماق التارتار المظلم حيث لا يشفع لك أبوك أو أمك !

فاجابه هرمز : ـ لم تقع عيني على بقراتك يا ابن لاتونا ولم يخبرني أحد بأي خبر عنها . أتحسب ان هذا ما يشغلني ؟ هناك أمور أخرى تشغلني فليس لي ما افكر به غير النوم والأقمطة وحليب أمي . لا . اقسم لك بانني لا اعرف شيئاً عن هذا الأمر ولم ار اللص الذي سرق بقراتك .

وأخفقت جميع محاولات أبولون ـ على حرارتها ـ في معرفة شيء من هرمز الماكر ، حتى اذا يئس من الحصول على أية نتيجة مد يده فانتزع هرمز من مهده

وأرغمه على الذهاب في أقمطته ليمثل أمام الأب زيوس ليبت في أمرهما . ووصل الاثنان الى الاوليمب وهناك أمعن هرمز في انكاره ولفه ودورانه غير ان زيوس أمره برد البقرات المسروقة .

ومضى هرمز بابولون من الاوليمب فانحدر به الى بيلوس ومرّ على الكهف في طريقه فأخذ القيثارة التي صنعها من درع السلحفاة ، وفي بيلوس أرشد ابولون الى مخبأ البقرات وبينما كان ابولون منصرفاً إلى إخراجها جلس هرمز على صخرة قريبة وأخذ يعزف على القيثارة فترددت ألحانها الشجية ترفرف على الوادي والشاطىء الرملي ، وأنصت ابولون مفتوناً بالعزف الساحر فقدم الى هرمز جميع البقرات المسروقة نظير الآلة الموسيقية ، وصنع هرمز لنفسه مزماراً يسلي به نفسه أثناء رعاية قطعانه فكان المزمار أحب الأشياء إلى قلوب رعاة اليونان .

ينطلق هرمز في الفضاء بسرعة الخاطر ، وتقوم تماثيله في جميع الباليسترات[1] وهو إله الرياضيين الفتيان ، فهم يلجؤون اليه طلباً للعون قبيل البدء بالمصارعة أو مباريات الجري .

كان الجميع يقدسون ذلك الاله الفتي الذي أثبت منذ طفولته المبكرة حذاقته ومهارته ، فيكرمه المسافرون والباعة المتجولون والخطباء والتجار والرياضيون بل واللصوص في بعض الأحيان .

---

١ ـ بالقرب من مدارس اليونان القديمة كانت تقوم ساحات خاصة تحاط غالباً بالاعمدة ويجري فوقها التدريب على المصارعة والملاكمة وسواها . وكانت هذه الساحات تدعى بالباليسترات .

آريس[1]، أفروديتا[2]، ايروت[3] وهيميني

آريس

آريس ، هو إله الحرب الغاشم ، وهو ابن زيوس وهيرا ، وأبوه لايحبه بل انه أمقت الآلهة إلى نفسه بسبب تعطشه الشديد للدماء ، فلو لم يكن آريس ابنه لنبذه منذ زمن بعيد إلى أعماق التارتار المظلم حيث يثوي الجبابرة ، اذ لا شيء سوى المعارك الدامية يستهوي قلب ذلك الإله الغاشم . إنه يطير عبر صليل الأسلحة وهدير المعارك وآهات المحتضرين مدججاً بسلاحه اللامع وترسه العظيم يتبعه ولداه ديموس وفوبوس ـ الهول والرعب، تواكبهم ايريدا ـ ربّة العداء واينيويو ، الربة التي تبذر المقاتل . ويحتدم أوار المعركة ويتساقط القتلى مصعدين الزفرات فتقر عينا آريس ويتهلل وجهه عندما يحتز عنق أحد المحاربين بسيفه الرهيب وتتخضب الأرض بالدم الأحمر المهراق . انه يعمل ضرباته يميناً وشمالاً دون تمييز وترتفع اكوام القتلى حول ذلك الإله الحجري الفؤاد .

ما أشده فتكاً ذلك الإله الجبار ، لكن النصر لايقف دوماً الى جانبه فهو كثيراً ما يضطر الى التقهقر في ميدان الوغى ويخلي الساح لأثينا ـ بالادا ، ابنة زيوس المقاتلة . انها تهزمه مسلحة بحكمتها وبايمانها الهادىء بنفسها . كما أن الأبطال من البشر الفانين يحققون الانتصار عليه اذا ما بادرت اثينا لنصرتهم . فبهذا استطاع ديوميد أن يجرح آريس برمحه النحاسي تحت أسوار طروادة إذ كانت أثينا هي التي

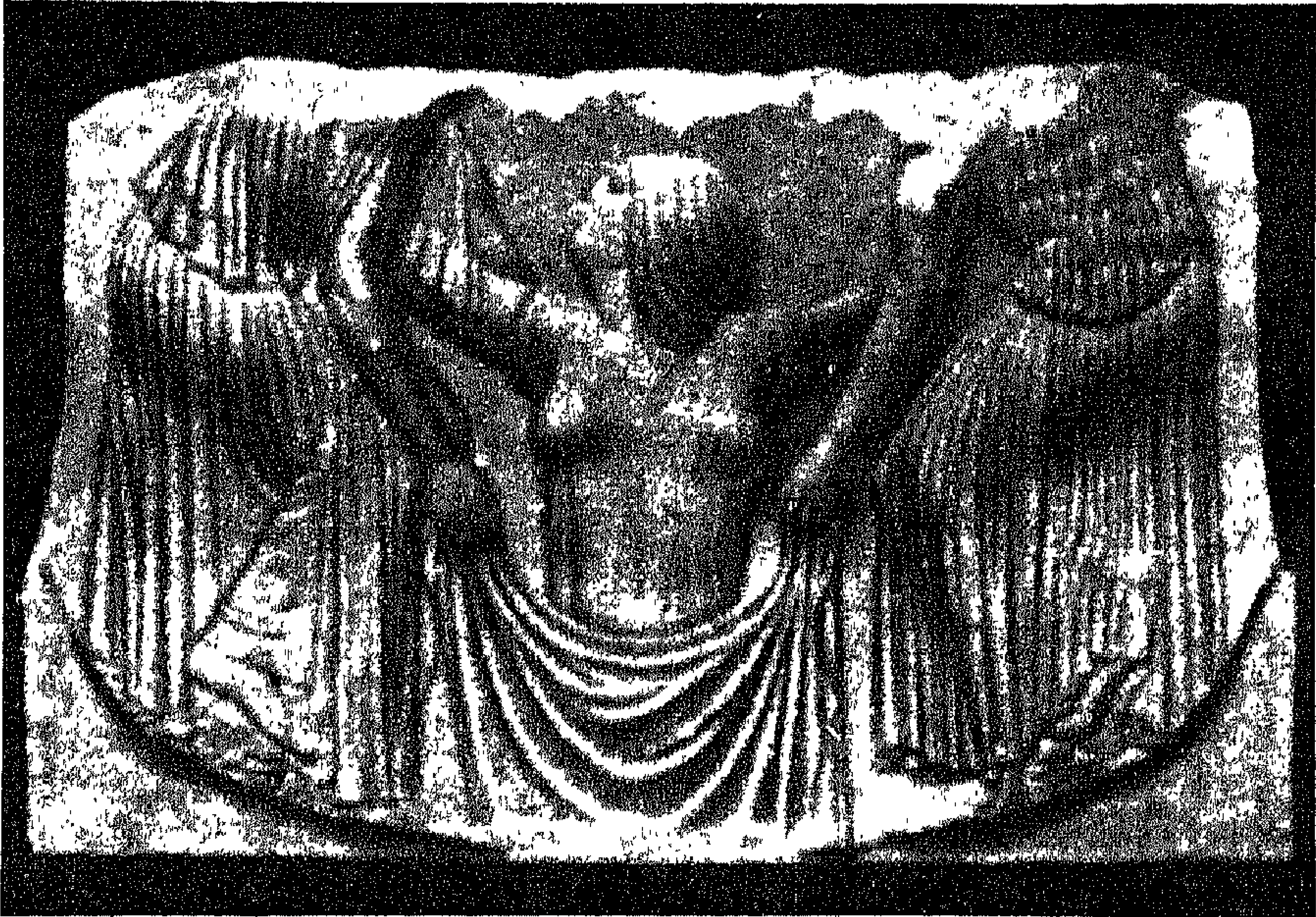
---

١ ـ آريس (مارس لدى الرومان)، اله الحرب ، حامل الموت والدمار والقدوة المثلى بالنسبة لمحاربي اليونان القدماء . كان أقل مرتبة من سواه بالنسبة لليونانيين ويظهر ذلك في قولهم أن زيوس لم يكن يشمله بحبه لأنه دوماً يضمر الشر في نفسه ويقتل الناس ويفرح عندما تسيل انهار الدماء البشرية .

٢ ـ أفروديتا ـ هي ڤينيرا لدى الرومان اما ايروت فهو أمور أو كوبيدون وكان هيميني اله الزواج عند الرومان

وجهت الرمح فانطلقت صرخة الإله الجريح وترددت بين جنبات الجيشين الطروادي واليوناني . لقد انتزعت الطعنة من صدر آريس المدرع بالنحاس صرخة تعدل جلبة عشرة آلاف محارب اشتبكوا معاً في معركة طاحنة ، وارتعدت فرائص اليونانيين والطرواديين من الرعب أما آريس فطار مضرجاً بدمائه ملفوفاً بغيمة داكنة إلى أبيه زيوس ليشكو اليه أثينا لكن أباه لم يستمع إلى شكواه بسبب حبه الشديد للحروب والفواجع .

وحتى اذا التقت أثينا بأفروديتا ـ زوجة آريس الرائعة بين الآلهة والتي تنهد أحياناً لنصرة زوجها عندما تشتبك المعارك فان المعركة تنتهي بانتصار اثينا ابنة زيوس ، والأثيرة الى قلبه . فأثينا المحاربة الباسلة تصرع ربة الحب أفروديتا بضربة واحدة فتطير الآلهة الفاتنة ، الخالدة الصبا ، نحو الاوليمب ندية العينين ، تلاحقها قهقهات أثينا المنتصرة وسخرياتها .



أفروديتا ـ الهة الجمال والحب ، خارجة من لجة البحر التي ولدتها ووقفت وصيفتاها تضعان عليها الرداء .
(رسم نافر من بداية القرن الخامس تحطم القسم الأعلى منه).

أفروديتا[1]

ليس لأفروديتا ، الربة النسيمية الرقيقة ، ان تشارك في صراع الحروب فسلطانها يسري على قلوب الآلهة والبشر الفانين ، وهي تبسط سيادتها على الكون بفضل قدرتها هذه ، فليس لأحد ، حتى من الآلهة ملاذ مما تشاؤه ما خلا أثينا وهيستيا وارتيميدا فهن الوحيدات اللاتي لايخضعن لارادتها . وأفروديتا ـ بقامتها الهيفاء وجسدها المتناسق وتقاطيع وجهها الرقيقة وبموجة الشعر الذهبي الناعم المعقود كالاكليل فوق رأسها الجميل ـ مثال للجمال القدسي وللشباب الخالد النضر. وتزداد الشمس إشراقاً، والزهور تفتحاً عندما تسير هذه الربة الرائعة بجمالها وبثيابها اللألاءة . وعندما تتجول في الغابة تفر إليها الضواري من الأوكار وتطير اليها أسراب الطيور وتتململ الأسود والفهود والنمور والدببة عند قدميها ، فهي تسير بين وحوش البرية عزيزة بجمالها الفاتن تخدمها مرافقاتها الاورات والهاريات ـ ربات الجمال والتناسق . انهن يلبسنها جميل الثياب ويسرّحن شعرها الذهبي ويتوجن رأسها بالاكليل البراق .

ولدت افروديتا ، ابنة اوران ، بالقرب من جزيرة كيثارا ، من زبد أمواج البحر وحملها النسيم العليل حتى جزيرة قبرص[1] وهناك أحاطت الاورات بربة الحب الخارجة من الأمواج وغمرنها برداء ذهبي الخيوط وتوجنها باكليل من الزهور الشذية العبير، فامتلأ الهواء بطيب الشذى، وسار ايروت وهيميروت[2] بالالهة الرائعة الى جبل الاوليمب فهي تقيم منذ ذلك الحين خالدة الصبا ، رائعة بين الالهات .

---

١ ـ أفروديتا ـ كانت في بداية عهدها الهة السماء ومرسلة الأمطار والهة البحر على ما يبدو ، وكان للاساطير الشرقية أثر كبير على الاسطورة المتعلقة بها ، وبخاصة من ذلك اسطورة عبادة عشتار عند الفينيقيين ، ثم أصبحت أفروديتا شيئاً فشيئاً الهة الحب ، وايروت (أمور)، اله الحب هو ابنها .



أفروديتا الهة الجمال والحب . (نسخة من تمثال للنحات براكسيتيل ، صنعها لمدينة كنيدوس في القرن الرابع قبل الميلاد).

بيجماليون

عن قصيدة اوفيد « ميتامارفوز »

تهب أفروديتا السعادة لمن يخلص في ودها . وهكذا وهبت السعادة لبيجماليون ، الفنان القبرصي الأعظم . كان بيجماليون هذا يمقت النساء فعاش وحيداً عازفاً عن الزواج . وقد نحت مرة من العاج تمثالاً لفتاة ساحرة الجمال فكان التمثال يبدو في غرفة النحات وكأنه يختلج بالحياة أو أن الفتاة تتنفس أو هي موشكة على ان تتحرك وتدنو منه وتخاطبه . كان الفنان يمضي الساعات الطويلة ممعناً نظره في تمثاله حتى وقع أخيراً في هواه ؛ في هوى الفتاة التي صاغتها يداه ، فأخذ يزينها بالزنانير والعقود والحلي ويغمرها بفاخر الملابس ويتوج رأسها بأكاليل الورود وكم مرة همس في أذنها :

ـ آه ، كم كنت لأصبح سعيداً لو كنت حية ، او لو استطعت الرد على نجواي .

ولكن التمثال يظل على صمته الأبكم .

وحل عيد أفروديتا فضحى بيجماليون امام آلهة الحب بعجلة بيضاء مذهبة القرنين وبسط يديه أمامها وراح يهمس ضارعاً :

ـ أيها الآلهة الخالدون ، وأنت يا ربة الجمال الشقراء ، يا أفروديتا ، ما دمتم قادرين على منح سائلكم ما يتمناه فهبوني زوجة تشبه بروعتها تمثال تلك الفتاة الذي صنعته بيدي .

ولم يجرؤ بيجماليون على ان يطلب من الآلهة نفخ الحياة في تمثاله فكان يخشى إغضاب آلهة الأوليمب بمثل هذا المطلب . والتمعت شعلة التضحية امام تمثال أفروديتا وبذلك أفهمته الآلهة قبول طلبه .

رجع بيجماليون الى منزله واقترب من تمثاله الجميل . ويا لدهشته وسعادته اذ رأى التمثال يبعث حياً ، فقلبه ينبض وتلتمع في عينيه الحياة . وهكذا منحت أفروديتا بيجماليون زوجة بديعة الجمال .

---

١ ـ كثيراً ما أطلقوا على افروديتا اسم كيبريدا نسبة الى جزيرة قبرص .

٢ ـ هيميروت ـ اله الحب الشهواني .

نرسيس

عن قصيدة اوفيد « ميتامارفوز »

تقتص أفروديتا ، آلهة الحب الشقراء ، ممن يرفض هباتها ويجحد قدرتها ، فهكذا عاقبت ابن اله الانهار كيفيسيوس والجنية لافريونا ، نرسيس الجميل ، البارد القلب ، المغرور . لقد كان مشغوفاً بنفسه لايجد سواها جديراً بالاهتمام .

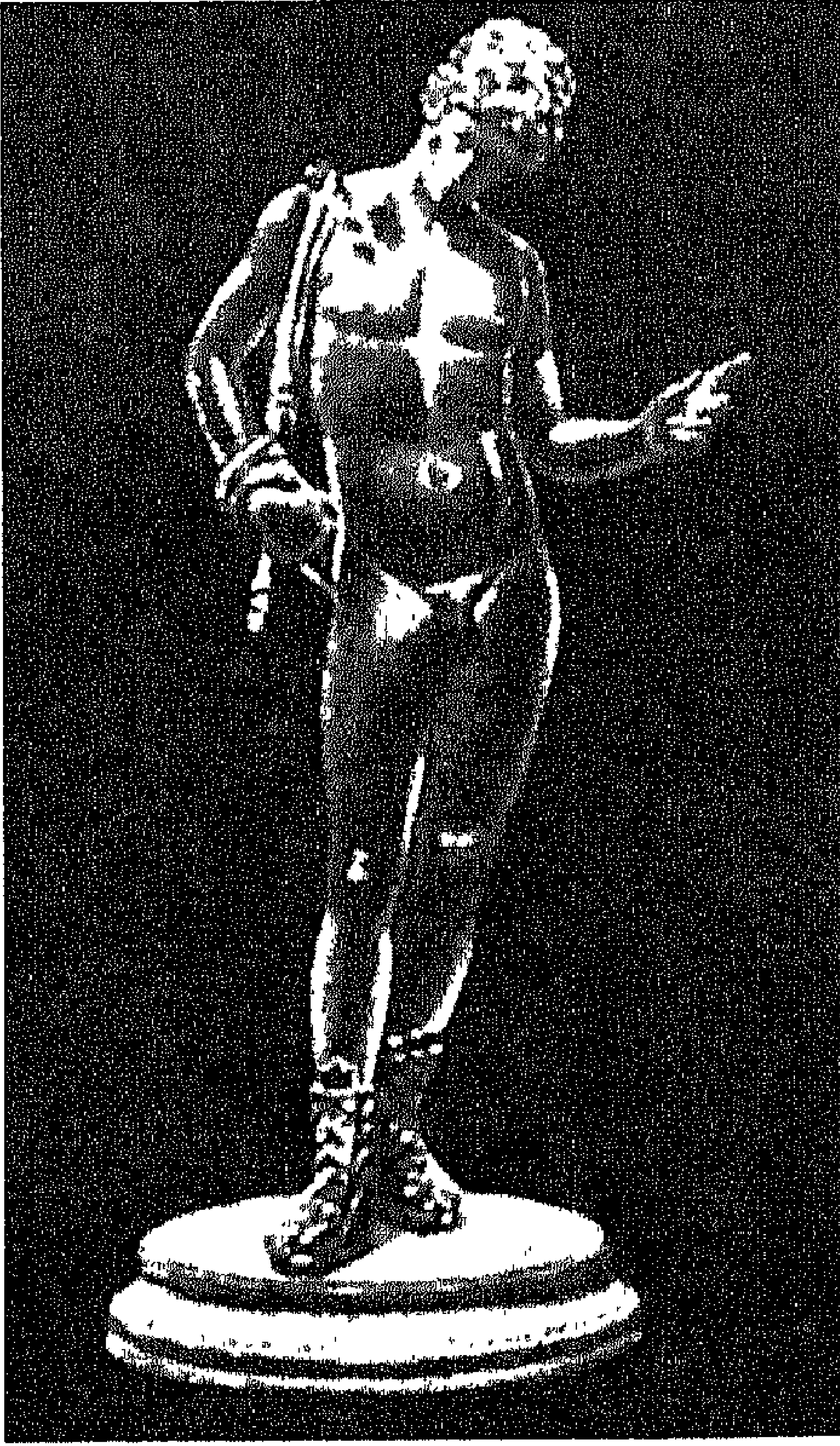
شاهدته الجنية ايخا ، ربة الصدى ، مرة وقد تاه في الغابة أثناء الصيد ، لكنها لم تستطع مبادأته الحديث فقد عاقبتها هيرا بالصمت الأبدي فكانت تجيب على الاسئلة بترديد مقاطعها الأخيرة فقط . ومن المخبأ الثاوي في اعماق الأجمة الكثيفة راحت ربّة الصدى ترقب الشاب الجميل الرشيق وترمقه بنظرات الافتتان والحب . اما نرسيس فردد نظره فيما حوله حائرا أي اتجاه يسلك فصاح :

- أي ، من هنا ؟

- هنا ، أجابت ربّة الصدى .

أدار نرسيس نظراته فيما حوله، نظرات مذهولة فلم تقع على أحد ، وقد أدهشه ذلك فصاح : - الى هنا ، أسرع إليّ !

وأجابت ربة الصدى :
- إليّ !



نرسيس

(تمثال صغير من البرونز ؛
من القرن الثاني قبل الميلاد).

وهرعت من أعماق الغابة باسطة ذراعيها ، لكن الشاب الفاتن صدها عنه حانقاً مغروراً ، وابتعد مسرعاً ليختفي بين طيات الغابة الكثيفة .

واخفقت الجنية التاعسة المنبوذة في ظلام الغابة . إنها تعاني لذعات حبها لنرسيس وتحتجب عن الظهور أمام أي مخلوق قانعة بالرد على أي صوت بصوتها المكدور .

أما نرسيس فظل كعادته مغروراً عابداً لذاته ، موصداً قلبه أمام همسات الحب ، فحمل غروره التعاسة إلى قلوب الكثيرات من الجنيات وعرائس الغابات ، الى أن صاحت به احداهن :

ـ فليحرق الحب قلبك يا نرسيس ، ولتكن منبوذاً ممن تقع في هواه .

وكان ما تمنته عروس الغابة . اذ حل غضب افروديتا على نرسيس لرفضه هباتها فعاقبته . فقد ذهب مرة أثناء الصيد إلى أحد الجداول ليطفىء ظمأه بالماء البارد . كانت مياه الجدول رقراقة شفافة تنعكس في صفحاتها الصافية السماء الزرقاء وأشجار السرو الباسقة والشجيرات النامية فوق الشاطىء فلم يكن أي راع او عنزة برية قد مس تلك المياه كما لم يحمل النسيم اليها بعد وريقات الزهور النضيرة . وانحنى نرسيس على الجدول معتمداً بذراعيه على حجر نافر من الماء فتلألأت صورته في الماء بكل جمالها وبهائها ، واذ ذاك حل عليه عقاب أفروديتا .

ها هو ذا يتأمل صورة بافتتان عجيب ويحس بحب جارف يجتاح فؤاده فيرسل الى صورته نظرات متيمة ويومي اليها ويفتح لها ذراعيه ويدعوها . ثم يميل على صفحة الماء ليقبلها ، فتتلقاه صفحة الماء البارد الصافية ، ويذهل نرسيس عما يحيط به ، فهو لا يريم بنظره عن الصورة الآسرة ولايحيد عن الجدول . لقد عافت نفسه الطعام والشراب والنوم ، فصاح أخيراً وقد هده القنوط :

ـ ايه ، من ذا الذي يعاني ما أعانيه . إن ما يفصلني عنك ليست الجبال ولا البحار بل صفحة من الماء ومع هذا فأنا عاجز عن لقياك . هيا أخرجي الي من الماء .

ويغرق الفتى في تفكيره وهو مشدود الى الصورة ، ثم تخامره أخيراً فكرة مخيفة فيهمس وقد انحنى على الماء :

ـ ويلاه ، لعلي وقعت في هوى نفسي . فأنت ـ أنا ! إنني أحب نفسي . وأحس انه لم يبق لي في الحياة الا القليل . وما أن تتم أيامي حتى أذوي وانتقل الى مملكة الأشباح المظلمة . الموت لا يخيفني فهو يحمل لي نهاية ما أنا فيه من عذاب .

وتخون نرسيس قواه فيشحب لونه ويحس بدنو ساعته لكنه برغم ذلك لا يكل من النظر الى صورته ولا يستطيع عنها فكاكاً . ويبكي الفتى فتتساقط دموعه في مياه الجدول الصافية وتتسابق الحلقات فوق صفحة الماء ويضطرب جمال الصورة ويصيح نرسيس بخوف :

ـ ايه ، أين انتِ . عودي . قفي ، لا تتركيني ، فكم يخيفني الهجر ، أوه ، مكنيني ، ولو من النظر إليك .

ويهدأ الماء من جديد ، ومن جديد تعود الصورة فيحدق نرسيس فيها غير كليل الطرف . انه يتلاشى كقطرات الندى فوق زهور انفذت الشمس فيها أشعتها المحرقة . وتشهد الجنية التاعسة عذاب نرسيس فتذوب ألماً ولوعة لعذابه لأنها لاتزال على حبه :

ويصيح الفتى : ـ اواه ، يا لأحزاني .

ـ أحزاني ! تجيب ربة الصدى .

ويهمس نرسيس أخيراً بصوت واهن وهو ينظر الى صورته الجميلة :
ـ الوداع .
ومن جديد يتردد صوت ربة الصدى واهياً يكاد لايسمع :
ـ الوداع .

مال نرسيس برأسه على أعشاب الشاطىء الخضراء وغشت عينيه ظلمة الموت . لقد فارق الحياة فبكته جنيات الغابة وذرفت دموعها ربّة الصدى . وحفرت الجنيات ضريحاً ليدفنه فيه لكنهن عندما جئن ليأخذن جثته لم يجدنها . وفي ذلك المكان حيث مال رأس نرسيس على الأعشاب نمت زهرة شذية ـ إنها زهرة النرجس ، زهرة الموت .

أدونيس[1]

عن قصيدة اوفيد « ميتامارفوز »

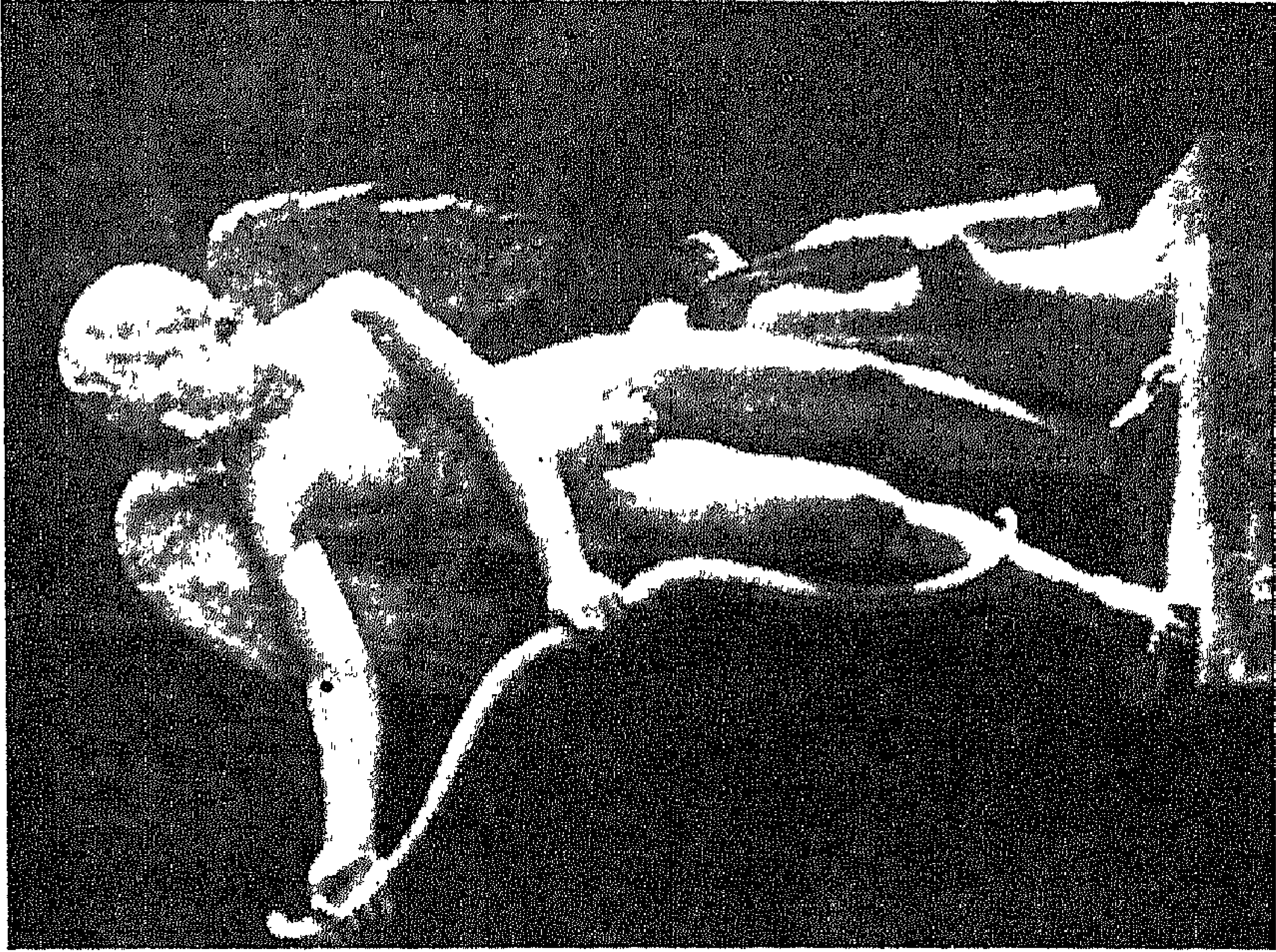
الا ان الالهة التي قضت على نرسيس بالموت حباً ، وقعت فريسة الحب وكتب عليها ان تذرف الدمع على من اختاره قلبها اذ تولهت بغرام ادونيس ، ابن الملك القبرصي والذي لم يوهب أحد من الفانين جماله حتى انه فاق آلهة الاوليمب بروعته وبهائه . لقد نسيت افروديتا من أجله باتموس وجزيرة كيثارا البديعة ، بل وآثرت الحياة بقربه على حياة الأوليمب المشرق. فكانت تقضي جل أوقاتها معه فترافقه الى الصيد في جبال قبرص وغاباتها كما تفعل الحسناء ارتيميدا . وذهلت العاشقة عن جمالها وعن حلاها الذهبية وراحت تمضي ايامها تحت أوار الشمس

١ ـ استمد اليونانيون اسطورة ادونيس وافروديتا من الفينيقيين . واسم ادونيس فينيقي وليس يونانياً ويعني « السيد » وتتفق هذه الاسطورة مع الاسطورة البابلية حول عشتار وتموز الجميل الذي يموت ليبعث كل ربيع .

اللافحة وعبر سيول الأمطار في صيد الأرانب والغزلان والوعول عازفة عن قنص الاسود والدببة والخنازير البرية . وكانت تطلب من ادونيس ان يتحاشى الاسود والخنازير لئلا يقع له أي مكروه . ونادراً ما كانت الالهة تحيد بأنظارها عن فتاها الجميل فاذا ما غابت عنه أحياناً توسلت اليه ان يتذكر مطلبها ويلزم الحذر من الحيوانات الكاسرة .

ومرة ، وبينما كانت الالهة غائبة تنسمت كلاب ادونيس أثر خنزير هائل الحجم فتعقبته وفرح صاحبها بالطريدة الثمينة ولم يكن يعلم انها خاتمة عهده بالصيد ، فقد صار نباح الكلاب يقترب منه شيئاً بعد شيء ثم ظهر الخنزير الضخم من خلال الشجيرات ، لكن ما ان رفع أدونيس رمحه ليغرسه في صدر الوحش الهائج انقض عليه الخنزير بنابيه الفتاكين فجرحه جرحاً قاتلاً قضى على أثره .

ولما بلغ افروديتا مصرع حبيبها هبت بنفسها الى جبال قبرص لتبحث عنه ملتاعة محسورة . فسارت فوق الجبال الشديدة الانحدار وقطعت المسالك المظلمة وطافت فوق جروف الهوى العميقة فمزقت الأشواك وشظايا الحجارة قدميها الناعمتين وتناثرت قطرات دمها على الأرض تاركة آثار مسيرها انما اتجهت ، وأخيراً عثرت الالهة على حبيبها فأخذت تندب شبابه الغض الذي انطفأ في أوج نضرته ، وأمرت أن تزهر ورود الأنيمون الرقيقة من دمائه تخليداً لذكراه . أما الأمكنة التي تخضبت بقطرات دمها فأنبتت الورود القانية الحمرة كدم أفروديتا . ورق قلب زيوس لأحزان الربة المجيدة فأمره أخاه هاديس وزوجته بيرسيفونا ان يبعثا بأدونيس من مملكة الظلمات الى الأرض مرة كل عام . وهكذا صار أدونيس يقضي الشطر الأول من كل سنة في مملكة آييد والشطر الثاني فوق الأرض الى جوار أفروديتا . وتبتسم الطبيعة بأسرها اذ يعود الى الأرض والى أشعة شمسها المشرقة ، أدونيس الجميل ، حبيب أفروديتا الفتانة الشقراء .





الى اليمين ـ ايروت ، اله الحب (نسخة من تمثال للنحات بروكسيتيل من القرن الرابع ق.م.). الى اليسار ـ أدونيس (تمثال من القرن الرابع ق.م).

ايروت

لأفروديتا الرائعة سلطان مطلق على الكون ، ولها ، كما لزيوس مرسل الصواعق رسول تجري مشيئتها من خلاله ، ورسول افروديتا هو ابنها ايروت ، الصبي الممراح ، الماكر الرشيق الحركة القاسي الفؤاد . انه يطير محمولاً على أجنحة ذهبية لألاءة فيقطع القفار والبحار سريعاً خفيفاً كنفثة ريح ، تشتد قبضته الصغيرة على قوسه الصغير وتبرز من وراء كتفه أطراف السهام التي وضعها في كنانته وليس لأحد مفر من سهامه فهو يصيب هدفه دونما خطأ ولايقل حذاقة في الرماية عن أبولون الأشقر ، مبدع السهام نفسه . وتطوف بناظريه السعادة عندما يخترق سهمه الهدف فيميل برأسه إلى الخلف مطلقاً ضحكة النصر الصاخبة . سهامه ميمونة تحمل السعادة والأفراح ولكنها كثيراً ما تعقب الأحزان واللواعج وقد تحمل المنايا . لقد سببت الكثير من الآلام لأبولون الذهبي الشعر ، بل لزيوس مطارد السحب .

كان زيوس على معرفة بما سيسببه ابن افروديتا الساحرة من الأحزان والمتاعب فأراد ان يئده منذ مولده ، لكن أمه اخفته في غابة كثيفة وهناك قامت لبوتان وحشيتان بارضاعه ، فنشأ هناك وترعرع . انه يحلق في السماء فتياً جميلاً ينثر بسهامه السعادة والخير مثلما ينثر التعاسة والشرور .

هيميني

ولأفروديتا مساعد آخر هو الاله هيميني الذي يحلق بجناحيه الناصعي البياض فيقدم حفلات الأعراس وتزهو عالياً نيران مشاعل الزواج . اليه تتجه حلقات العذارى في الأعراس طالبات منه أن يحقق لهن الزواج ويبارك سعادة العروسين في الحياة .

هيفست[1]

فوق جبل الأوليمب كان مولد الإله هيفست، ابن زيوس وهيرا، اله النار، الإله الحداد الذي لا يجاريه في صناعته أحد . خرج إلى العالم ضعيفاً أعرج فاكفهر وجه أمه الالهة هيرا عندما قدمت الربات اليها صغيرها الدميم المهزول فأخذته من يده ورمت به من ذروة الأوليمب نحو الأرض القاصية البعد .

وطال سقوط الوليد التاعس في الفضاء الى أن استقر أخيراً في أمواج البحر المترامي الأطراف . وأشفقت عليه ربتا البحر ـ ايڤرييوتا ـ ابنة اوكيان العظيم وفيتيدا ـ ابنة نيريوس اله البحر العراف فرفعتاه ومضتا به بعيداً تحت مياه اوكيان الأشيب وربتاه هناك في كهف عسجدي فشب الإله هيفست أعرج دميم المظهر الا أنه كان مفتول الساعد عريض المنكبين شديد العنق طويل الباع ماهراً في صناعته ، فكم صاغ لمربيتيه ايڤرييونا وفيتيدا من بدائع الحلي الفضية والذهبية .

وكتم هيفست في قلبه حقده على أمه هيرا مدة طويلة ثم قرر أن ينتقم منها لأنها نبذته من ذروة الأوليمب ، فصنع أريكة ذهبية خلابة الروعة وأرسلها هدية إلى أمه . وثارت دهشة هيرا للهدية البديعة ، حقاً ، لم يكن لغيرها أن يجلس على مثل تلك الأريكة النادرة المثال . ولكن يا للهول ! ما أن جلست الإلهة عليها حتى التفت المكابح العاتية حولها فقيدتها الى الأريكة . وهب الآلهة لمساعدتها ، لكن جهودهم ضاعت عبثاً وعجزوا عن تحريرها وأدركوا آنذاك أن هيفست وحده القادر على تخليص أمه فهو الذي اخترع الأريكة .



هيفست ـ اله النار والحدادة .
(تمثال نصفي من القرن الرابع ق .م .)

---

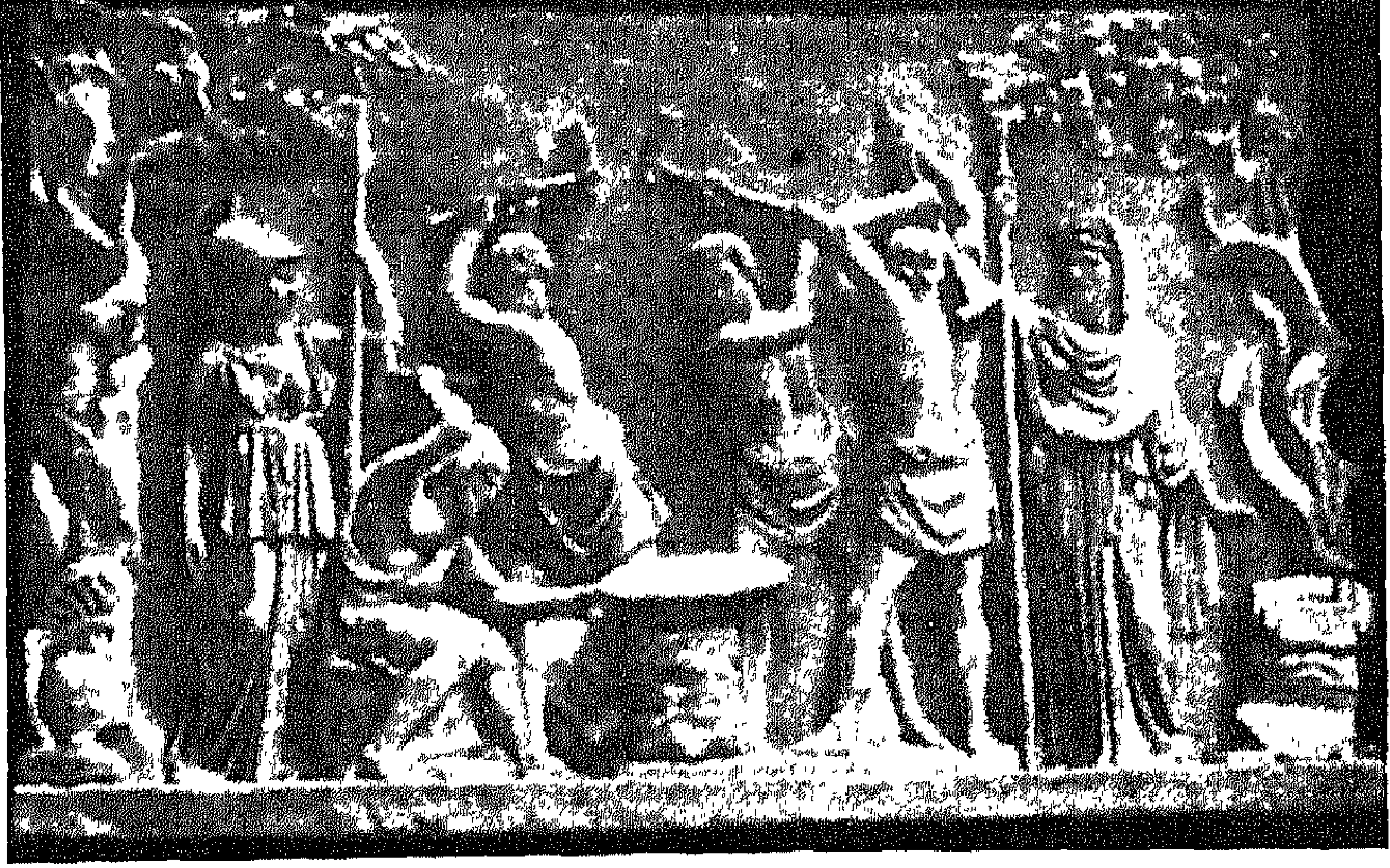
١ ـ هو ڤولكان لدى الرومان . كان في بداية عهده اله النار ، غير أنه غدا ، نتيجة لتطور الصناعة ، ولا سيما الحدادة ، الاله الذي يحمي التعدين . كان يلقى تكريماً أعظم في أثينا بشكل خاص لأن الصناعة فيها بلغت أعلى ذرواتها عما هي عليه في جميع الأصقاع اليونانية الأخرى .

وبعثوا على الفور بهرمز ، رسول الآلهة ليجيء بالاله ـ الحداد ، فانطلق الى شواطىء أوكيان في أقصى الكون فطوى اليابسة والبحر في لمح البصر إلى أن بلغ الكهف الذي يعمل هيفست بداخله وتوسل اليه طويلاً أن يذهب معه الى الأوليمب ، لكن إله الصناعة رفض طلبه ، فهو لا ينسى ما سببته له أمه من آلام . ولم تلن توسلات هرمز وضراعاته قلب الإله العظيم فهب ديونيسيوس ، اله الخمر الماجن لمؤازرته وصب لهيفست كأساً من الخمرة المعتقة أرفقها بضحكة ماجنة ثم تلاها بكأس ثانية فثالثة . ولعبت الخمرة برأس هيفست فصار بالإمكان التلاعب به حسب المراد . فرفعه هرمز وديونيسيوس على متن جحش واتجها به شطر الاوليمب ، وعلى هذه الصورة خرج هيفست نحو الجبل المقدس متأرجحاً على حماره ترافقه المينادات[1] اللاتي التفففن بأغصان الكرمة وحملن بأيديهن التروس[2] راقصات رقصات ماجنة . وراحت المشاعل تنشر الدخان واختلطت أصوات الصنوج بالضحكات وقرع الدفوف يتقدم الجميع ديونيسيوس المجيد وقد توج رأسه اكليل من أغصان الكرمة وأمسك بترس في يده . وانتهى الموكب العظيم الى جبل الأوليمب حيث حرر هيفست أمه في لحظة سريعة ولم يعد يذكر امتهانها له .

وأقام هيفست فوق الأوليمب حيث شاد للآلهة القصور الذهبية الفخمة كما شاد لنفسه قصراً من الذهب والفضة والبرونز . وهناك يعيش مع زوجته الفاتنة ـ هارينا ، ربة الجمال والتناسق .

هناك أيضاً يقوم مصنع هيفست حيث يقضي الإله معظم أوقاته في ذلك المكان العجيب . ففي وسط المصنع يقوم سندان هائل الحجم وفي الزاوية بوق تتقد النار بداخله ومنفاخ عجيب يخضع لمشيئة صاحبه فلا حاجة لتحريكه بالأيدي ، فما أن يأمره هيفست حتى يتحرك ليرسل النار الى البوق شعلة وقادة لامعة . وهيفست يعمل في مصنعه وقد غطاه العرق وسوده الغبار والسخام . وهناك تصوغ يداه الروائع الخارقة : الأسلحة الماضية والحلي الذهبية والفضية والكؤوس والأواني والعروش الذهبية العجلات والتي تتحرك من تلقاء نفسها فكأنها ذات روح .

(١) الميناد ـ مرافقات ديونيسيوس ، وتعني بالعربية الماجنات وسمين أيضاً بالثاكخيات .
(٢) الترس هنا قضيب ملفوف باللبلاب أو بجدائل الكرمة ينتهي بكوز صنوبر أو أرز في نهايته .



مصنع هيفست (نقش جداري نافر من القرن الثاني ق.م.)

وعندما يفرغ هيفست من عمله ويغتسل بحمام مقدس من العرق والسخام يمضي أعرج الخطى متمايل الجسم الى مأدبة الآلهة ، وغالباً ما يتدخل بما جبل عليه من دماثة ورقة فيحول دون وقد النزاع الموشك على الإشتعال بين أبيه وأمه . ويغلب الضحك على الآلهة عندما يشاهدونه يتماوج في سيره حول منصات المآدب ليصب النكتار المقدس، وهكذا يجبر الضحك الآلهة على نسيان شقائهم.
إلا أن هيفست يطلق العنان أحياناً لغضبه . فما أكثر الضحايا التي ذاقت لظى نيرانه أو ضربات مطرقته الرهيبة الخارقة . لقد هدأ بنيرانه أمواج كسانف وسيموئيس الهائجة على مشارف طروادة وضرب رؤوس الجبابرة الشداد بمطرقته .
مجيد هو الاله هيفست ، اله النار والصناعة ، الماهر اليدين . انه يهب الدفء والسعادة ، وهو رؤوم رحوم لكن انتقامه أيضاً شديد .

ديميترا[1] وبيرسيفونا

مجيدة هي الالهة ديميترا . إنها تنفخ في الأرض الخصب فلولا قدرتها المقدسة لما ارتفعت الغابات الكثيفة ولا انبسطت المروج ولا زهت الحقول العميقة التربة .

هاديس يخطف بيرسيفونا

عن نشيد لهوميروس

كان للالهة ديميترا ابنة ساحرة الجمال اسمها بيرسيفونا ، وكان أبو بيرسيفونا هو زيوس مرسل الصواعق . خرجت الالهة الصغيرة يوماً إلى وادي نيس[2] الجميل لتلهو مع صويحباتها الاوكيانيدات ، وراحت الفاتنة تنتقل من زهرة الى زهرة كفراشة خفيفة الجناحين وتقطف الورود الحمراء وزهور البنفسج الشذية والسوسن الناصع البياض ، وكانت تمرح لاهية عن كل شيء غير عالمة بالمصير الذي أعدها زيوس من أجله ، فلم يخطر ببالها أن زمناً طويلاً سيمضي قبل أن ترى ثانية أشعة الشمس الصافية وتتمتع بمرأى الزهور وتستنشق عبيرها الشذي . لقد زوجها زيوس لأخيه آييد الكالح الوجه ، سلطان مملكة أشباح الموتى فكان عليها أن تشاركه حياته في ظلام المملكة السفلى المحرومة من أشعة شمس الجنوب الدافئة .

---

١ ـ ديميترا (تسيريرا لدى الرومان) ـ واحدة من أكثر الهات اليونان قداسة ، فهي الهة الخصب والزراعة والمعبودة من قبل المزارعين . كانت بلاد اليونان بأسرها تحتفل بأعيادها الكثيرة العدد . ومما يشار اليه أن هذه الالهة كانت ثانوية المرتبة في قصائد هوميروس ، فاليونانيون لم يبدأوا بتقديسها كالهة سامية الأمجاد الا بعد أن فقد الرعي أهميته لديهم وصارت الزراعة شغلهم الأهم .

٢ ـ واد في منطقة ميجارا على شاطىء خليج سارونيك .

ولمح هاديس بيرسيفونا تلهو في ذلك الوادي فقرر اختطافها فطلب من الهة الأرض هيا أن تخرج زهرة بديعة الجمال ، فاستجابت له الأرض وانشق صدر الوادي عن زهرة فتّانة حمل النسيم شذاها العطر الى كل الأرجاء . وشاهدت بيرسيفونا الزهرة فامتدت يدها فقطفتها وفجأة انشقت الأرض وانغلقت أحشاؤها عن هاديس الكالح ، سلطان مملكة الأشباح فوق مركبته الذهبية . وأطلقت بيرسيفونا صرخة واحدة كانت كل ما استطاعت أن تفعله فرددت الصرخة جنبات الوادي ولم ير أحد كيف اختطفها هاديس فلم تقع عليه غير عين هيليوس ـ اله الشمس .

سمعت ديميترا استغاثة ابنتها فهرعت الى الوادي لتبحث عنها كل مكان ، وسألت صديقاتها عنها ، لكنها لم تعثر لها على أثر ، فلم تكن الأوكيانيدات عالمات بمكان اختفائها .

وأثقل الحزن قلب الأم الثاكل فراحت تضرب في الأرض متسربلة بالسواد ، ذارفة الدمع ، شاردة ذاهلة عن كل شيء مدة أيام تسع . وبحثت عن ابنتها في كُل مكان واستنشدت العون من كل من لقيته في طريقها . لكن أحداً لم يستطع أن يمد لها يده في محنتها . ولما كان اليوم العاشر وصلت الى هيليوس ـ إله الشمس ، فأخذت تبتهل إليه والعبرات تتناثر من مقلتيها :

ـ أي هيليوس ، أيها الساطع بالشعاع ، يا من تمخر عباب السماء فوق مركبتك الذهبية فتقطع الأرض والبحار وترى ما في الوجود كله فلا يخفاك شيء . إذا كان قلبك يرق ولو قليلاً لأحزان أم منكودة فأخبرني عن ابنتي بيرسيفونا وأين لي أن أبحث عنها . لقد سمعت صرختها ولا بد وأنها اختطفت فقل لي من فعل ذلك . لقد بحثت عنها في كل مكان ولم أهتد الى مكانها .

فأجاب هيليوس الساطع بالنور
- أيتها الإلهة السامية الجلال .
إنك تعرفين مقامك في نفسي وترين كم يشقيني أن أراك فريسة الأحزان . اعلمي أن زيوس مطارد السحب قد زوج ابنتك لأخيه هاديس الملك . لقد خطف هاديس بيرسيفونا ومضى بها الى مملكته الطافحة بالأهوال . اقهري حزنك المضني أيتها الإلهة فزوج ابنتك واحد من الأماجيد . إنه الأخ الأعظم لزيوس العظيم .



ديميترا - الهة الخصب والزراعة .
(تمثال من القرن الرابع ق.م.)

زادت أحزان الإلهة ديميترا لدى سماعها ما قاله هيليوس وحنقت على زيوس لأنه زوج ابنتها دون أن يستشيرها في ذلك ، فهجرت مجالس الالهة وغادرت جبل الأوليمب المشرق واتخذت هيئة واحدة من الفانيات واتشحت بالسواد وراحت تطوف بين البشر ذارفة مر الدموع .

وكفت الأرض عن الخصب وذوت الأوراق على أغصان الشجر ثم تساقطت فانتصبت الأشجار عارية في الغابات والبساتين وذبل العشب ولوت الأزهار تيجانها الفاقعة الألوان وذوت ، وخلت الحدائق من الثمار وخوت حقول الكرمة الخضراء واختفت عناقيدها الكبيرة الشهية ، ويبست وجوه الحقول فلم تنبت فوقها عشبة واحدة . وجمدت الحياة فوق الأرض وخيم الجوع وارتفع البكاء من كل جنب وأحدق نذير الفناء فوق الجنس البشري ، لكن ديميترا لم تر شيئاً من ذلك فقد كانت غارقة في أحزانها على ابنتها الحبيبة .

وأخيراً وصلت ديميترا الى مدينة ايليفسين وهناك جلست تحت سور المدينة في ظل شجرة زيتون فوق «صخرة الأحزان» قريباً من «بئر العذارى» .

وهدأت الإلهة في مكانها فكأنها تمثال من الحجر ، وتساقطت أردان ثوبها السوداء طويلة فلامست الأرض ، ومال رأسها الى الجانب وتساقطت عبراتها على صدرها ، وهكذا مكثت الالهة طويلاً على جلستها وحيدة لا تعرف العزاء .

وهناك شاهدتها بنات كيليوس ، ملك ايليفسين فعجبن من أمر المرأة الباكية الجالسة عن النبع مجللة بالسواد ، فتقدمن منها وسألنها مشفقات عن أمرها ، لكن الإلهة ديميترا لم تكشف عن نفسها بل أجابت بأن اسمها دييو وانها من كريت وان قطاع الطريق قد سبوها لكنها تمكنت من الفرار من أيديهم ووصلت بعد تطواف طويل الى ايليفسين . وطلبت من الفتيات أن يأخذنها الى بيت أبيهن كيليوس ورضيت أن تعمل هناك خادمة للأم ومربية للأطفال فجاءت الفتيات بها الى أمهن ميتانيرا .

لم تكن بنات كيليوس عالمات بأنهن أتين بالآلهة المجيدة الى بيت أبيهن، لكنهن رأين أن المنزل قد أشرق بالنور الوضاء عندما لامست الالهة عتبة الباب بهامتها ، ونهضت ميتانيرا لاستقبال الالهة فقد أدركت أن بناتها لم يجئن بواحدة من الفانيات ، فانحنت الملكة انحناءة عميقة أمام القادمة الغريبة وسألتها أن تجلس مكانها على العرش فرفضت ديميترا وجلست صامتة فوق مقعد الخادمة المتواضع ذاهلة عن كل ما يجري حولها . أما يامبا المرحة خادمة ميتانيرا فقد حاولت إدخال المسرة الى قلب الغريبة بعد أن لحظت ما هي عليه من حزن وراحت تخدمها وسيدتها ميتانيرا بمرح وبشاشة وتطلق ضحكاتها وتوزع فكاهاتها حتى ابتسمت ديميترا لأول مرة منذ أن اختطف هاديس القاسي ابنتها بيرسيفونا ، وقبلت ـ لأول مرة ـ أن تمس الطعام .

وأقامت ديميترا في بيت كيليوس مربية لابنه ديموفونت ، وأرادت أن تمنح الصغير الخلود فكانت تحمله على صدرها المقدس وتضعه على ركبتيها فيتلقى أنفاسها الخالدة ، وكانت تدهن جسمه بالامغروزيا فإذا ما هدأ الليل واستسلم

البيت للرقاد وضعت الصغير في الموقد المشتعل بالنيران بعد لفه بالأقمطة ، لكن ديموفونت لم يحصل على الخلود ، اذ أن ميتانيرا رأت ابنها ذات مرة راقداً في الموقد المضطرم بالنار فخافت خوفاً شديداً وتوسلت الى الالهة أن تكف عن ذلك .
فغضبت ديميترا من الملكة وأخرجت الصغير من الموقد وصاحت بأمه :
ـ أيتها الغبينة . انما أردت ان امنح ابنك الخلود . اعلمي انني ديميترا التي تهب القوة والسعادة لجميع الفانين والخالدين .

وكشفت ديميترا لكيليوس وميتانيرا عن سرها واستعادت هيأتها السابقة ، وغرقت حجرات القصر في النور الإلهي ، ووقفت ديميترا مجيدة رائعة تتناثر ضفائر شعرها الذهبي على كتفيها وتطوف أنوار الحكمة المقدسة بناظريها وتتماوج ملابسها بالأنسام العطرة ، وخرت ميتانيرا وزوجها ـ راكعين أمامها .

وأمرت ديميترا أن يبنى لها معبد في ايليفسين عند نبع كاليخورا حيث بقيت مقيمة هناك، وقريباً من ذلك المعبد صارت الالهة تحتفل بأعيادها المتوالية .

لكن أحزان ديميترا لم تفارقها ولم يفارقها حقدها على زيوس فبقيت الأرض مجدبة مثلما كانت واشتدت قبضة الجوع اذ لم تنبت الحقول عشبة واحدة . وعبثاً راحت الثيران تشد المحاريث الثقيلة لتشق الحقول فلم تكن لأعمالها ثمرة . وهلك كثير من الشعوب وتصاعدت أنات الجياع الى السماء لكن ديميترا لم تكن لتفهمها .
وأخيراً توقفت أبخرة الضحايا الأرضية الى الآلهة الخالدين وخيم نذير الفناء فوق كل مخلوق ولم يكن مطارد السحب زيوس العظيم ليقبل بهلاك البشر فأنفذ ايريدا ، رسولة الآلهة الى ديميترا ، فصفقت الرسولة بجناحيها القزحي الألوان وطارت الى مدينة ايليفسين نحو معبد ديميترا فدعتها وابتهلت اليها أن تعود الى أسرة الآلهة فوق الأوليمب ، ولم تفقد ديميترا توسلاتها ، فبعث زيوس اليها آلهة آخرين لكنها رفضت العودة الى الاوليمب قبل أن تعود ابنتها اليها .

اذ ذاك أرسل زيوس رسوله هرمز الى أخيه هاديس ، فانحدر هرمز الى الجحيم الطافح بالأهوال ومثل أمام سلطانه لينقل اليه رغبة زيوس .

قبل هاديس بأن يسمح لبيرسيفونا بالخروج الى أمها لكنه أعطاها حبة من الرمان ، رمز الوثاق الزوجي فابتلعتها قبل خروجها . وصعدت بيرسيفونا الى عربة زوجها الذهبية برفقة هرمز وانطلقت جياد هاديس المخلدة فطوت كل العقبات وكانت في ايليفسين بعد ومضة عين .

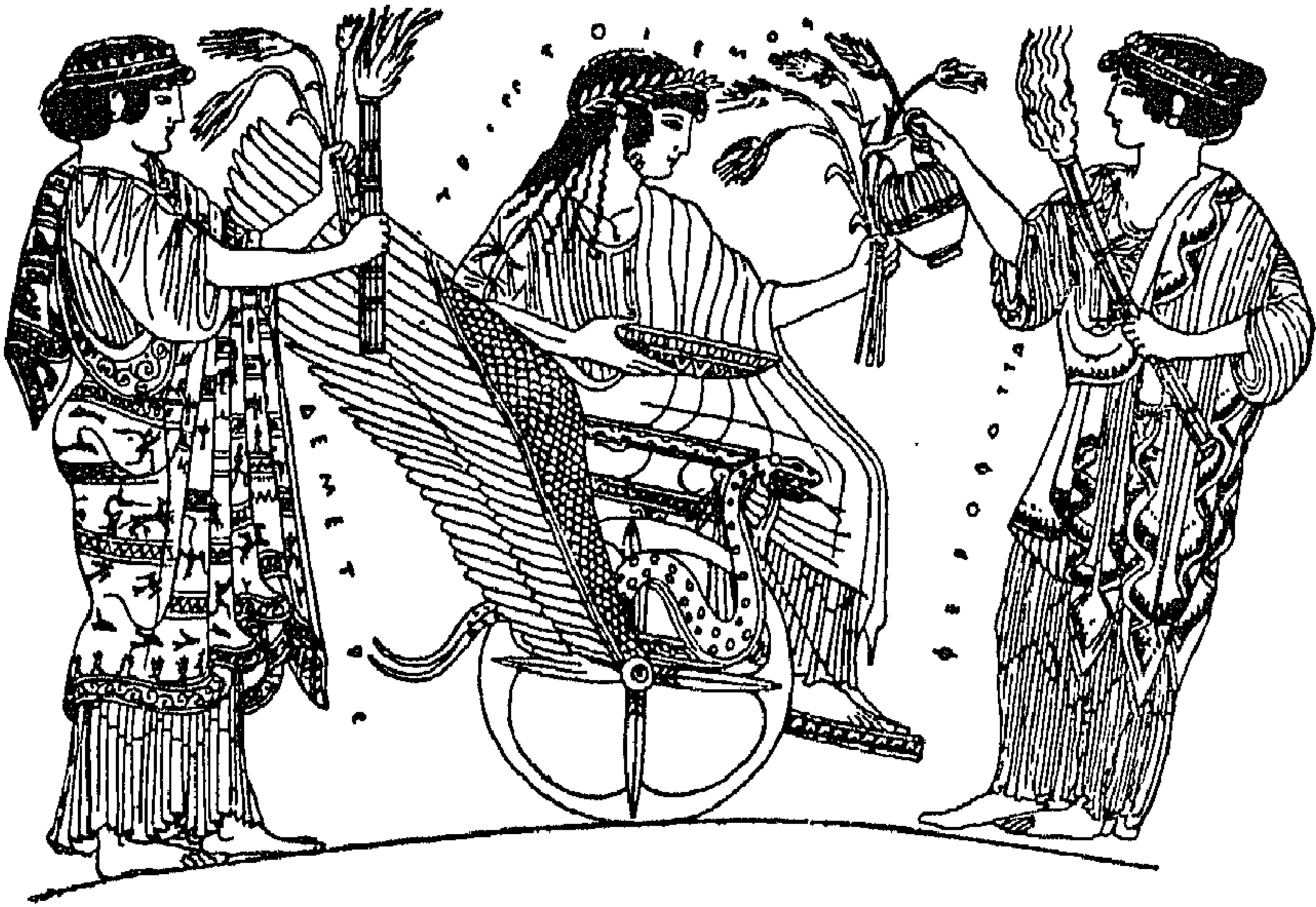
ذهلت ديميترا عما حولها في غمرة السعادة وهرعت الى لقاء ابنتها ولفتها بأحضانها ، وعادت معها الى جبل الأوليمب ، اذ ذاك قرر زيوس العظيم أن تقضي بيرسيفونا ثلثي العام مع أمها وأن تعود الى زوجها هاديس لتقضي الثلث الثالث من العام .

وأعادت الإلهة المجيدة الخصب الى الأرض فأزهر كل شيء وأخضر من جديد ، واكتست أشجار الغابات بالبراعم الدقيقة الخضراء وازدانت الأزهار فوق المروج الزمردية . وبعد قليل مالت أعناق السنابل المليئة فوق مروج القمح الخصيبة وأزهرت البساتين ونشرت شذاها وتفتحت خضرة الكروم تحت ضوء الشمس . لقد استيقظت الطبيعة بأسرها وابتسم كل حي وراح يهتف بمجد الالهة ديميترا وابنتها بيرسيفونا .

لكن بيرسيفونا تفارق أمها في كل عام فتغرق ديميترا في أحزانها وتتسربل بالسواد ويكفهر وجه الطبيعة كلها حزناً على الفقيدة فتصفر الأوراق على الأغصان وتتساقط لتتلاعب بها ريح الخريف وتذبل الزهور وتقفر الحقول ويحل الشتاء وتنام الطبيعة لتستيقظ من جديد في حلة الربيع الباسم عندما تعود بيرسيفونا الى أمها خارجة من مملكة هاديس المظلمة . فإذا ما عادت نشرت ربة الخصب هباتها السخية على البشر وباركت أعمال المزارعين بمحصول وفير .

تريبتوليم

ديميترا المجيدة هي التي علمت البشر حراثة حقول القمح وزراعتها . فقد أعطت تريبتوليم ، ابن ملك ايليفسين بذور الحنطة فكان أول من فلح بالمحراث حقل راري القريب من ايليفسين وطرح البذور في التربة السوداء فغل الحقل الذي باركته ديميترا محصولاً وفيراً ، وبأمر منها طار تريبتوليم على مركبة اسطورية شدت اليها الافاعي المجنّحات فقطع الأمصار وعلم الناس الزراعة .



تريبتوليم فوق مركبته ذات الثعابين المجنحة : تظهر الآلهة ديميترا الى اليسار وقد أمسكت بشعل وسنابل وتظهر الى اليمين الآلهة بيرسيفوناه تحمل جرة ومشعلاً ـ (رسم على مزهرية) .

وقد حل تريبتوليم على الملك لينخ في بلاد السكيف البعيدة فعلمه زراعة الأرض غير أن الملك المغرور أراد أن ينتزع شرف تعليم الزراعة من تريبتوليم وينسبها لنفسه فقرر اغتياله أثناء نومه . لكن ديميترا ما كانت لتسمح بالفعلة الشنعاء فقررت الاقتصاص من لينخ لانه رفع يده على صفيّها متخطياً بذلك أعراف الضيافة ، فما ان تسلل الى مخدع ضيفه وجرد الخنجر ليقتله حتى أحالته ديميترا قطاً برياً .

وغاب لينخ ، القط البري في الأدغال الكثيفة ، أما تريبتوليم فغادر بلاد السكيف لتنقله عربته المقدسة من بلد إلى آخر وليعلم الناس هبة ديميترا ـ زراعة الأرض .

اريسيختون

لم يكن ملك السكيف بالوحيد الذي لقي قصاص الآلهة ديميترا ، فقد اقتصت ايضاً من اريسيختون ، ملك ڤيساليا ، وكان جاحداً متكبراً يمنع الضحايا والقرابين للآلهة ، بل وبلغ من جحوده أن اجترأ على الآلهة ديميترا العظيمة وحاول اهانتها فقرر قطع البلوطة القديمة في غابة الآلهة المقدسة ، تلك البلوطة التي كانت مقراً للدريادا ، صفيّة ديميترا . ولم يستطع أحد أن يحول دون رغبة ذلك العاتي الجاحد في تنفيذ فعلته اذ أعلن :

ـ سأجتث هذه البلوطة ولو كانت تضم الآلهة ديميترا نفسها لا صفيتها فقط .

وانتزع اريسيختون الفأس من يد خادمه وأغمده بعيداً في قلب الشجرة فصعدت أنّة حزينة ونزت من قشورها الدماء ، ووقف خدم القيصر قريباً منه فرائس الرعب ، ثم تقدم أحدهم بشجاعة ليصده عن عمله لكن اريسيختون قتله في ثورة غضبه وصاح :

ـ فليكن هذا جزاء خنوعك للآلهة .

وقطع اريسيختون البلوطة القديمة فخرت على الأرض بصوت يشبه الأنين وماتت الدريادا التي بداخلها .

ارتدت دريادات الغابة المقدسة ملابس الحداد ومضين الى الآلهة ديميترا وتوسلن اليها ان تنزل عقابها باريسيختون لأنه قتل صديقتهن الغالية فغضبت ديميترا وارسلت واحدة منهن الى سكيفيا لتستدعي آلهة الجوع ، فركبت الدريادا عربة ديميترا المشدودة الى الأفاعي المجنحة وانطلقت إلى جبال القوقاز ، وفوق واحد من جبالها الجرداء المقفرة لقيت الهة الجوع هزيلة ذابلة العينين ، شعثاء الشعر يلتف جسدها اليابس على عظامها المعروقة فأبلغتها رغبة ديميترا فامتثلت هذه لمطلبها .

وظهرت آلهة الجوع لدى اريسيختون فنفثت فيه جوعاً أبدياً أحرق أحشاءه فصارت آلامه تزداد ضراوة كلما ازداد تناوله للطعام حتى أنفق كل ما يملكه على الطعام الذي كان يزيد من احساسه بمرارات جوعه الأبدي . ولم يبق لديه أخيراً الا ابنته فباعها في سوق النخاسة ليبتاع بثمنها ما يسد رمقه. لكن ابنته نالت بركة الآله بوسيدون فكان بمقدورها أن تتشكل بالصورة التي تريدها وتتخلص في كل مرة من مشتريها بهيئة طائر أو بهيئة حصان أو بقرة ، فباع اريسيختون ابنته مرات عديدة لكن ما كان يحصل عليه من مال لم يكن يشبع نهمه ، فنهشه الجوع بضراوة شديدة وازدادت آلامه حدة وفتكاً الى أن صار يمزق جسده بأسنانه فمات صريع آلام لا يطيقها البشر .

الليل والقمر والفجر والشمس

هادئة في السماء تنساب نيوكتا ـ ربة الليل ، محمولة على مركبتها التي تجرها الجياد الأربعة السوداء . لقد غطت الأرض بوشاحها القاتم فغرق الكون في الظلام . وحول عربتها يتحشد الفراقد ، ابناء ايوس ـ ربة الفجر واستريوس فينثرون على الأرض بريقهم اللألاء الساطع . ان عددهم كبير فقد انتشروا فوق صفحة السماء حتى غطوها . ومن المشرق يتألق شفق واه أحمر ويشتد بريقه قليلاً بعد قليل . انها سيلينا وقد أشرقت في السماء فوق مركبتها التي تجرها الثيران المعقوفة. القرون ، انها تطوف هادئة مجيدة يفيض رداؤها الأبيض على جسدها ويشع منجل القمر فوق عمامة رأسها . انها تسكب الضياء على الأرض الغافية بسلام وتغمر كل شيء بنورها الفضي . وبعد أن تطوف القبة السماوية بأسرها . تهبط الى كهف جبل لاتما في كاريا حيث يغفو اينديمون[١] الجميل غارقاً في سباته الأبدي فتميل عليه وتلاطفه وتهمس إليه بعبارات الغرام . لكن اينديمون لا يسمعها فهو غارق في نوم لا صحو منه ولذلك تظل سيلينا كئيبة



ايوس ـ ربّة الفجر وقد طارت إلى السماء وأخذت تنثر الندى على الأرض من جرتين (رسم على مزهرية) .

---

(١) اينديمون ـ عدوّه أحياناً ابن ايغليوس ، ملك كاريا وأحياناً ابن زيوس . وقد يكون اينديمون هذا هو اله النوم الكاري القديم . أما كاريا فهي مقاطعة في آسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

ويظل كئيباً نورها الذي تنثره على الكون .

أزف الصباح ، وغادرت السماء ربة القمر منذ زمن ولاح ضوء خافت من المشرق وتوهجت نجمة الصبح بنورها الوضّاء . ها لقد فتحت ايوس ، ربة الفجر الأحمر البوابة التي سيخرج منها هيليوس ، آله الشمس الساطع بالشعاع . وتنطلق ربّة الفجر في ثيابها الوضيئة اللون طائرة نحو السماء الباهتة الاشراق الغارقة في الأنوار القرمزية . ومن إناء ذهبي تنثر الآلهة الندى فيغمر الأعشاب والزهور وتلتمع قطراته العسجدية ، وينشر كل شيء عبيره الشذي على الأرض ويفوح أريج الأنسام ، وإذ تستيقظ الأرض من سباتها ترسل تحيتها السعيدة إلى هيليوس ـ اله الشمس .

ثم يطل الاله الساطع بالشعاع من شطآن اوكيان ليجوب السماء فوق مركبته الذهبية وتسبح قمم الجبال في أشعة الشمس المشرقة فتبدو شامخة تكاد تشتعل بالأنوار . أما النجوم فانها ، عند مرأى الشمس ، تجري فوق صفحة السماء لتلقي بنفسها في أحضان الظلمة الداكنة واحدة تلو الأخرى . ويزداد سمو مركبة هيليوس الى الأعلى . انه يطوف السماء بتاجه الذي ينشر الاشعة وملابسه الطويلة الباذخة ، ويسكب على الأرض ضوءه الخلاق فينفخ النور والدفء والحياة .

وعندما يتم اله الشمس رحلته ينحدر نحو مياه اوكيان المقدسة حيث ينتظره الزورق الذهبي الذي يعيده ثانية الى المشرق ، الى بلاد الشمس حيث يقوم قصره البديع . وهناك يبيت اله الشمس ليستيقظ صبيحة اليوم التالي وقد استرد بريقه الطبيعي .

فايتون

عن قصيدة اوفيد «ميتامارفوز»

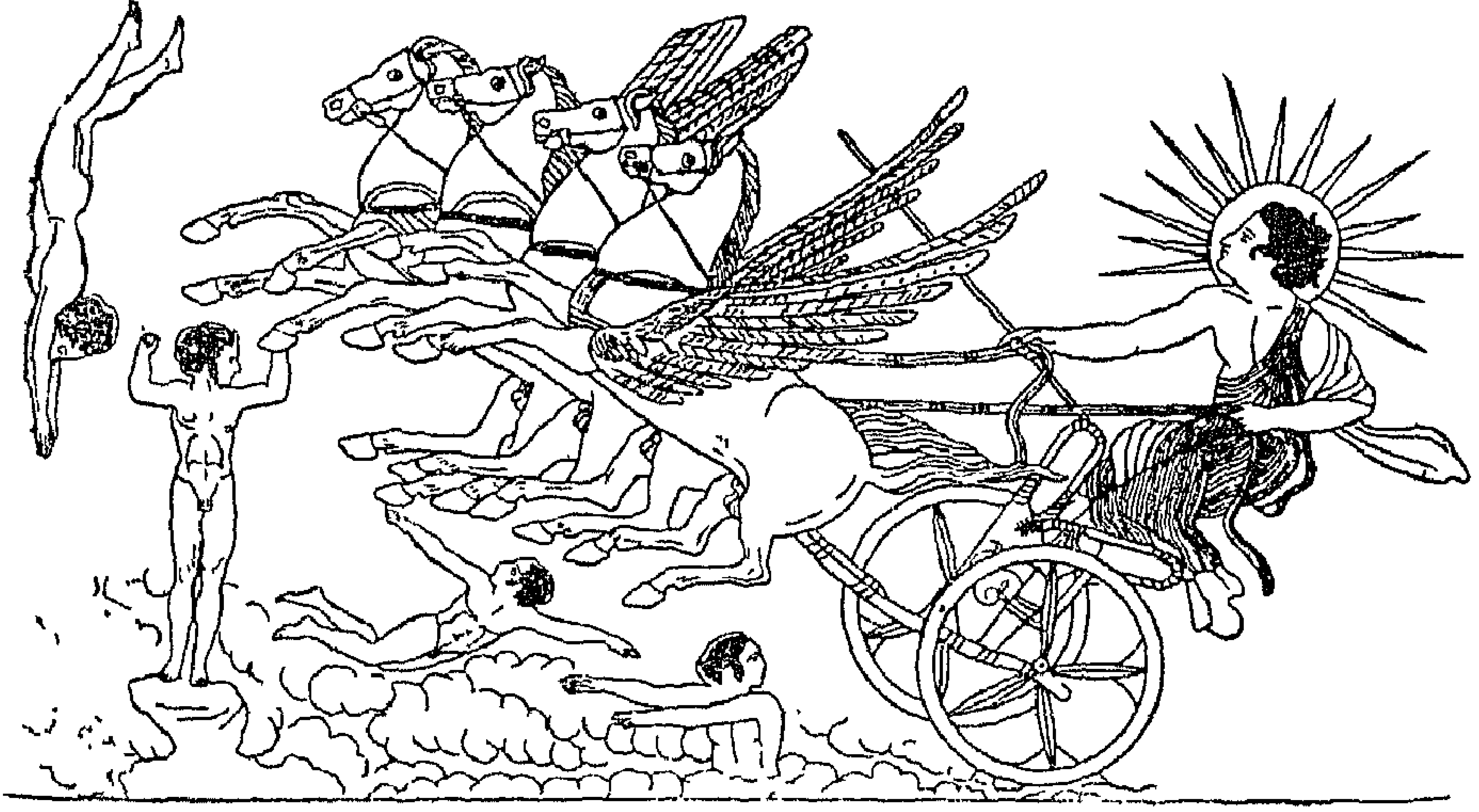
سنة الكون اجترحت مرة واحدة وذلك عندما احتجب اله الشمس فلم يخرج الى السماء لينير الكون ، وكان لذلك قصة تروى . اذ كان لهيليوس ، اله الشمس ولد من كليمينا ، ابنة فيتيدا ربة البحر ، وكان اسمه فايتون . ومرة سخر ايباثوس ، ابن زيوس ، من ابن عمه فايتون وقال له :

ـ لا ، لا اصدق انك ابن هيليوس الساطع بالأنوار . لقد خدعتك أمك فما أنت الا ابن واحد من الفانين .

غضب فايتون وخضبت وجهه حمرة الخجل ، فجرى نحو أمه وارتمى على صدرها وشكا اليها الاهانة والدموع تنسكب من عينيه . فهتفت به امه وقد فتحت ذراعيها متجهة نحو اله الشمس .

ـ أقسم لك يا ولدي بهيليوس ، الذي يرانا ويسمعنا ، والذي تراه انت الآن ، بأنه هو أبوك ، وليحرمني ضياءه ان نطقت بغير الحق . امضي اليه بنفسك فقصره غير بعيد عن هنا وسيؤكد لك ما قلته .

وفي الحال اتجه فايتون الى ابيه هيليوس ، وبعد قليل كان في القصر الذي يتلألأ بالذهب والفضة والعسجد وبمختلف الألوان فقد كان الاله هيفست قد زينه بنفسه . ودخل فايتون القصر فرأى أباه جالساً على العرش بثيابه القرمزية لكنه لم



هيليوس ـ اله الشمس يصعد الى السماء فوق مركبته المشدودة الى الخيول المجنحة

(رسم على مزهرية) .

يتمكن من الاقتراب من الاله الساطع بالأنوار فعيناه ـ عينا الفانين ـ ما كانتا لتحتملا الشعاع الذي ينبثق عن تاجه . ولمح اله الشمس فايتون فابتدره بسؤاله :

ـ ما الذي جاء بك إلى قصري يا بنيّ .

فصاح فايتون : ـ أبتاه ، يامن تغمر الكون كله بالضياء ، هل لي أن أتجه إلى مناداتك بأبي . أعطني دليلاً على ذلك . بدد شكوكي ، أضرع إليك .

نزع هيليوس تاجه الوضاء عن رأسه وقرب منه فايتون وعانقه وقال له :

ـ أجل ، لقد أصدقتك أمك القول ، وأنت ولدي ، ولكي يتبدد من

رأسك أي خاطر للشك تمنّ علي ما تريد فانني منجزه لك كائناً ما كان وأقسم على ذلك بمياه النهر ستيكس المقدسة .

وما أتم هيليوس كلامه حتى ابتدره فايتون بطلب العربة الذهبية ليركبها ويجوب بها السماء بدلاً منه ، فسيطر الرعب على الآله المجيد وصاح به :

ـ ماذا تقول أيها المجنون . آه . ليتي استطيع الحنث بيميني ، انك تبغي المستحيل يا فايتون فليس ما طلبته بمستطاعك . انت من الفانين وليس هذا الأمر الذي تقدر عليه . فالآلهة المخلدون بذاتهم يعجزون عن قيادة مركبتي بل وزيوس العظيم فمن هو أعظم من زيوس ، تخيل يا بني : في البداية يرتفع الطريق ارتفاعاً حاداً يجعل حتى جيادي المجنحة تبذل قصارى جهدها لارتقائه ، وناقوس السماء يشرف على الأرض من ارتفاع شاهق يجعل الرعب يسيطر على نفسي عندما يتجه ناظري الى البحار والأراضي المبسوطة تحتي . أما عند النهاية فالطريق ينحدر بشكل مخيف نحو شواطىء اوكيان المقدسة. فلولا توجيهي الخبير لانقلبت المركبة ولتطايرت ارباً . أتحسب انك ستلاقي في طريقك المباهج . لا ، فالدرب يتعرج محفوفاً بالمخاطر والأهوال والضواري من الوحوش ، ضيقاً اذا ملت الى أحد جانبيه غدوت تحت رحمة قرني الثور الرهيب ، او قوس القنطور او الاسد الهائج أو العقرب او السرطان . ثق بي ، فلست أرغب ان اكون سبباً في هلاكك . اوه ، لو استطعت ان تنفذ بنظرتك الى قلبي فترى ما أنا فيه من خوف لأجلك . در بنظرك فيما حولك يا بني فما أكثر ما يحويه الكون من روائع ، تمنّ علي ما تهفو إليه نفسك وسأستجيب لكل ما تبتغيه واعدل عما يسوِّل لك فليس ما تطلبه جزاءً بل عقاباً وأي عقاب .

لم يكن فايتون على استعداد لأن يصغي بل أحاط بذراعيه عنق هيليوس وتوسل اليه الاستجابة لرغبته ، فأجاب هيليوس بصوت مكمود :

ـ حسناً ، سأنجز ما وعدتك به ، لا تخش فقد أقسمت بمياه ستيكس وسيكون لك ما تمنيته ، لكنني حسبتك عاقلاً .

١ـ مجموعة نجوم الجدي والقنطور والعقرب والسرطان .

ومضى بفايتون إلى مربض المركبة فانبهر الصغير بمرآها . كانت مصنوعة من الذهب تتلألأ جوانبها بالاحجار الكريمة . وجيء بالجياد المعلوفة بالنكتار والامفروزيا فربطت الى المركبة وفتحت ايروس البوابة للشمس ، ودهن هيليوس وجه فايتون بالمرهم المقدس لكيلا يذيبه وهج الشمس اللافح واتجه اليه بصوت تخنقه زفرات الحزن :

- بني ، تذكر نصيحتي الأخيرة وسر في هديها ما استطعت الى ذلك سبيلا . شد مقبضيك على الأعنة ولا تكد الجياد فهي تجري من تلقاء نفسها ويصعب توجيهها . اما الطريق فستستدل عليها بآثار العجلات التي تمخر السماء بطولها . لا تسمُ بعيداً في السماء والا أحرقتها ولا تقترب من الأرض كثيراً وإلا صهرتها . تذكر - ايّاك أن تحيد يميناً أو شمالاً فطريقك يتوسط بين الأفعى والمذبح[1] أما ما تبقى فاتركه للقدر اذ لا أمل لي في سواه . لقد أزفت ساعة الرحيل فقد غادر الليل السماء واشرقت ايوس اللازوردية فأمسك بالأعنة . لكن لعلك تعدل عن قرارك فهو يخبىء لك أخطر الأهوال . دعني انير بنفسي الأرض ولا تلق بنفسك الى التهلكة .

ها هو ذا فايتون يثب مسرعاً ليستقر فوق المركبة ، وها هي ذي قبضتاه تشدان الأعنة . انه سعيد باسم الثغر يثني على أبيه بالشكر ، وتطير المركبة به في طريق الرحيل وتضرب الجياد بحوافرها وتنفث من خياشيمها اللهب . أنها تلتقف المركبة وتخب عبر الضباب فوق الطريق الوعر ماضية نحو السماء . لقد أحست بأن المركبة خفيفة بشكل غير مألوف فهي تمخر عباب السماء تائهة عن طريق هيليوس زائغة على غير هدى . أما فايتون فانه يجهل الطريق وهو عاجز عن توجيه الجياد ، ومن قبة السماء العالية القى بنظره إلى الأرض السحيقة البعد فابيض من شدة الرعب واهتزت ركبتاه وغشت الظلمة عينيه . انه يذوب حسرة على ما تمناه من أبيه وعلى طلب المركبة ليقودها . ماذا عليه ان يصنع ؟ لقد قطع من الطريق شوطاً طويلاً ، لكن ما تبقى عليه قطعه بعيد وطويل . انه يعجز عن توجيه الجياد فهو

١- مجموعتان نجميتان .

يجهل أسماءها ، كما انه أضعف من أن يشدّها من أعنتها . ويلمح الوحوش السماوية محيطة به من كل جنب فيزداد هلعه شدة على شدة .

في السماء مكان ينبسط فوق العقرب الهائل ، وها هي الجياد ماضية بفايتون إلى ذلك المكان . ووقعت أنظار الشاب التاعس على العقرب المغطى بالسم الأسود ، ذلك العقرب الذي يتهدده بعقصته القاتلة فأفلت الزمام من يده وقد طارت نفسه شعاعاً . وتقدمت الجياد نحو ذلك المكان مضاعفة سرعتها بعد أن تنسمت روائح الحرية . انها تعلو تارة حتى تكاد تبلغ النجوم وتهبط فتكاد تلامس الأرض . وتنظر سيلينا ، ربة القمر بدهشة بالغة الى جياد أخيها وهي تطير مسرعة في السماء عاصية على خيّالها . وينبعث من المركبة المشرقة على الأرض شهاب عظيم فتحترق مدن وتهلك شعوب . وتتقد الجبال المغطاة بالغابات فيحترق بارناس ذو الرأسين وكيثيرون المغطى بالغابات وهيليكون الأخضر وجبال القوقاز وتْمول وايدا وبيلون وأوسا[1] ويجلل الدخان كل شيء فيعمى فايتون وسط الظلمة عن سبيله . وتغلي المياه في الأنهار والجداول وتبكي عرائس الانهار ويختبئن مذعورات في الكهوف القاتمة ويغلي نهر الفرات والعاصي وألفيوس وايڤرونت[2] وغيرها من الأنهار فتتشقق الأرض من شدة الحرارة وتنفذ الشمس حتى أعماق مملكة هاديس الغارقة في الظلام وتتبخّر مياه المحيطات وتعاني آلهة البحر من شدة الهجير . وأخيراً انتفضت الهة الأرض هيا وصاحت :

ـ أي زيوس المجيد ، يا مرسل الصواعق ، ايها العظيم بين الآلهة ، هل كتب الهلاك علي وعلى مملكة أخيك بوسيدون وعلى كل ما هو حي ! انظر ، ان الاطلس لا يكاد يحمل أثقال السماء ! ام كتب على الكون كله أن يعود الى حالة السديم الأولى ! مد يدك فانقذ من النار ما بقي على قيد الحياة !

١ـ يقع كثيرون بين أتيكا وبيوتيا ، أما هيليكون ففي الجنوب الغربي من بيويتا ويقع تمول في ليديا وايدا في فريجيا في آسيا الصغرى أما بيلون واوسا فهما في فيساليا على شاطىء بحر ايجه .

١ـ يجري العاصي في سوريا أما الفيوس فيجري في الغرب من جبال البيلوبونيز ، ويجري ايڤرونت في لاكونيا حيث اقيمت مدينة سبارطة على شاطئه .

وبلغت ضراعات هيا مسامع زيوس فلوح رهيباً بصولجانه ورمى بصاعقة خاطفة لامعة فأخمد بنارها النيران . وحطم المركبة ايضاً بصاعقة فتفرقت جياد هيليوس شتى الأنحاء وتوزعت السماء شظايا المركبة ونتف الأعنة .

أما فايتون فقد هوى في الفضاء يتوهج شعره الأجعد فوق رأسه كشهاب ثاقب . وتلقته أمواج نهر ايريدان-[1] بعيداً عن مسقط رأسه وهناك انتشلته الجنيات الهيسپريات وأودعنه بطن الأرض . واجتاح هيليوس حزن عظيم فغطى وجهه واحتجب عن الصعود الى السماء طيلة ذلك اليوم فكانت الأرض تستمد نورها من وهج الحرائق الكثيرة .

وبحثت كليمينا ، أم فايتون الثكلى ، طويلاً عن جسد ابنها الصريع ، وأخيراً عثرت على ضريحه لا على جثمانه ، فذرفت مر الدموع على قبر ولدها فوق شطآن ايريدان وشاركتها البكاء بناتها الهيلياد . فلم يكن لحزنهن حدود . ومنذ ذلك الحين تقف الهيلياد ـ شجرات الصفصاف دوماً منكسات الرؤوس على شواطىء الايريدان لتنثر دموعها الجافة في الماء البارد وتجمد الدموع في الماء فتستحيل الى كهرمان .

وحزن كيليوس ، صديق فايتون ، على فقد صديقه وفاضت لوعات أحزانه على ضفاف ايريدان بطولها ، وشهد الآلهة حسرات الصديق الوفي فأحالوه تماً ناصع البياض فهو يعيش منذ ذلك الحين في مياه الأنهار والبحيرات العذبة ويخشى النار التي أحرقت صديقه فايتون .

١ـ أطلق هذا الاسم على : نهر في أتيكا .

ديونيسيوس [1]

مولد ديونيسيوس ونشأته

أحب زيوس مبدع الصواعق ، سيميلا الرائعة ، ابنة قدموس ، ملك طيبة ووعدها ان ينفذ لها اي رغبة تشاء مهما كانت وأقسم على ذلك بمياه نهر ستيكس العميقة المقدسة ، وهو القسم الذي لا حنث فيه ، لكن هيرا كانت تكره سيميلا وترغب في انزال الهلاك بها فقالت لها :

- اطلبي من زيوس ان يتجلى لك بكل عظمته الالهية وسيفعل ذلك من أجلك ان كان صادقاً في هواه .

وأقنعت هيرا سيميلا فطلبت هذه من زيوس أن ينجز لها هذه الرغبة دون سواها . وكان الرفض مستحيلاً على الاله المجيد لأنه أقسم بالمياه المقدسة انه منجز وعده . فقدم الى سيميلا محفوفاً بكل ما له من أبهة وعظمة وما لأمجاده من بريق وألق . واهتزت الصواعق في يده فاضطرب قصر قدموس وترنحت أركانه من هزات الرعود وانقضت الصواعق فالتهمت نيرانها القصر بما فيه والقت سيميلا بنفسها على الأرض لكن السنة النار داهمتها فادركت استحالة النجاة وولدت ، وهي في نزعها الأخير ، طفلاً هزيلاً عاجزاً عن الحياة كان هو ديونيسيوس ،

١ـ ديونيسيوس (ڤاكخ لدى الرومان) . كان اله صناعة الخمرة واله الخمر وهو «الاله القادم» في اليونان ، جيء به من تراقيا وتكتسب الاحتفالات التي كانت تقام على اسمه قيمة خاصة لانها كانت بداية الأعمال المسرحية في أثينا . فخلال تلك الاحتفالات (الديونيسيات العظمى) كانت جوقات المغنين المتدثرين بجلود الماعز تقدم أناشيد ـ ديثيرامبات خاصة يبدأ المغني بتلاوتها وترددها الجوقة ويترافق الغناء بالرقص . ومن هذه الديثيرامبات ظهرت التراجيديا ـ ويمكن ترجمة الكلمة باسم «أغنية المكتسين بجلود الماعز» . أما في الاحتفالات الريفية بعيد ديونيسيوس (الديونيسيات القروية) فكانت تنشد الاغاني الفكاهية التي يقوم بتلاوتها المغني أيضاً ، وترفق بالرقصات أيضاً ، ومنها جاءت الكوميديا وترجمتها : اغنية الجمهور المرح .

وأحدقت النار بالوليد ولكن متى كان للموت سبيل إلى من كان زيوس أباه ! لقد انشقت جنبات الأرض لتخرج شجيرة لبلاب كثيفة خضراء فتغمر الوليد بأغصانها وتحميه من وقدة النيران .

ورفع زيوس صغيره الذي نجا من براثن الموت ، ولما كان هذا صغيراً وهزيلاً وعاجزاً عن الحياة فقد خاطه إلى فخذه حيث قوي واشتد عوده وولد ثانية من فخذ مرسل الرعود بعد ان اكتملت قوته . اذ ذاك دعا رب الأرباب والبشر ابنه هرمز وأمره ان يأخذ ديونيسيوس الصغير إلى اينو وإلى زوجها أتامانت ملك اورخومين[1] ، ليقوما على تنشئته .

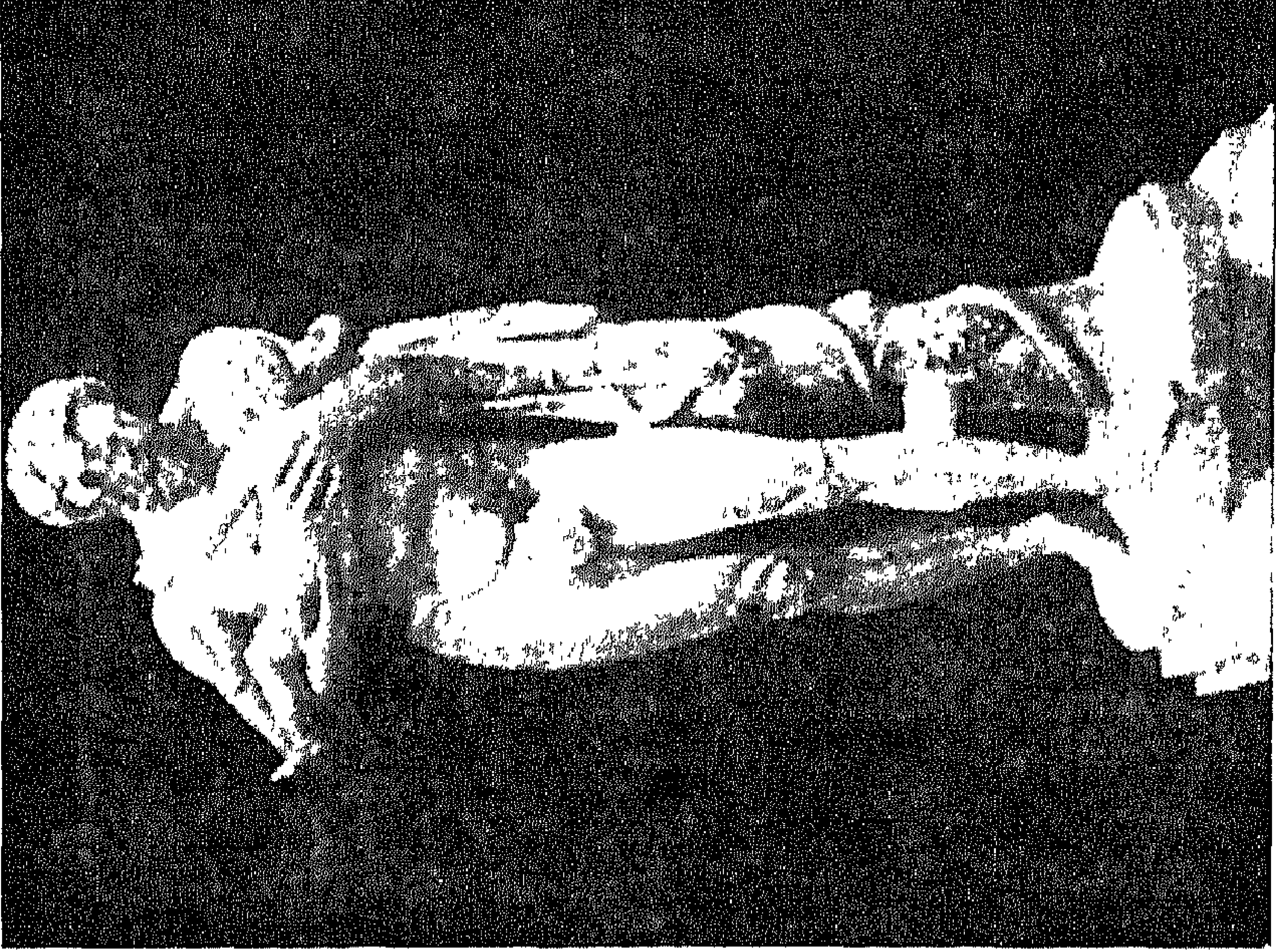
وغضبت هيرا على اينو واتامانت لانهما تبنيا ابن سيميلا البغيضة الى نفسها وقررت ان تنزل بهما قصاصها فارسلت الجنون إلى أتامانت فقتل ابنه ليارخ في نوبة من نوبات جنونه . اما اينو فأخذت ولدها الثاني ميليكيرت ولاذت بالفرار ، وبذلك نجت من قبضة الموت بعد أن خاضت مشقات طويلة إذ لحق بها زوجها وكاد أن يصل اليها ، وضاقت الأرض في وجهها اذ كان الشاطىء الصخري المتحدر يتلاطم أمامها بأمواجه الهادرة ومن ورائها زوج مجنون . وفي غمرة اليأس القت المرأة بنفسها وبابنها في البحر من فوق صخرة من صخور الشاطىء ، وهناك استقبلتهما النيرييدات واستحالت مربية ديونيسيوس وولدها الى الهين بحريين فهما يقيمان في البحر منذ ذلك الحين .

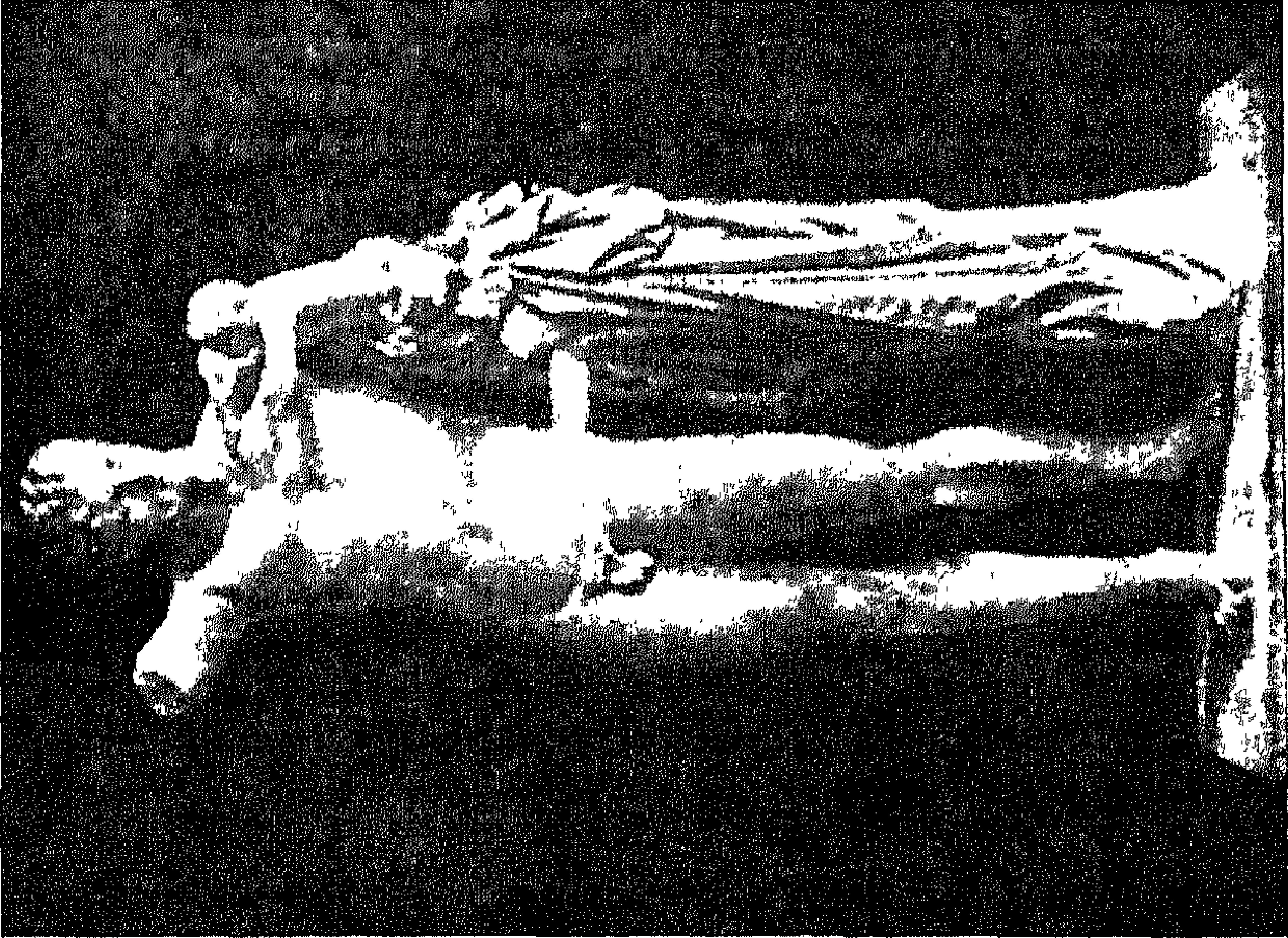
أما ديونيسيوس فقد أنقذه هرمز من أتامانت المجنون فنقله في سرعة خاطفة الى وادي نيسيسك ودفع به الى الجنيات لتربيته ، وهناك شب ديونيسيوس ، آله الخمر الذي يمنح الناس القوة والسعادة ويهبهم الخصب والخيرات . وأمر زيوس فرفعت الجنيات ،مربيات ديونيسيوس الى السماء ثواباً لما قمن به فهن يتألقن في حلكة الليالي المرصعة بالنجوم ويعرفن وسط سواهن باسم الهياد[2] .

---

(١) مدينة في بيوتيا على شاطىء بحيرة كاباييد .

(٢) الهياد ـ يطلق هذا الاسم على عدد من النجوم تقع بين مجموعة اوريون التي تعد واحدة من أكثر المجموعات تألقاً في السماء .





الى اليمين ـ سيلين يحمل ديونيسيوس الصغير على ذراعيه وتمثال من القرن الثالث ق . م إلى اليسار ـ هرمز وديونيسيوس (تمثال للنحات براكسيتيل من القرن الرابع ق . م) .

ديونيسيوس وثلته

يجوب ديونيسيوس العربيد أنحاء العالم متنقلاً من أرض إلى أرض مصحوباً بثلة من الميناد والساتير المتوجين بالأكاليل ، ويتقدم مواكبهم وعلى رأسه اكليل من العناقيد وبيده قضيب ملفوف بأغصان الكرمة بينما ترقص الميناداات الفتيّات من حوله بمرح ومجون ويهتفن مغنيات صاخبات ويتواثب من حوله الساتير الأجلاف السكارى . وفي نهاية الموكب يظهر الحكيم سيلين معلم ديونيسيوس محمولاً على حمار . لقد ذهب السكر برشده فلا يكاد يستوي على ظهر مطيته فيعتمد على زقي الخمرة المربوطين الى جانبه وقد مال اكليل أغصان الكرمة عن رأسه الصلعاء . انه يمضي مترنحاً تفتر شفتاه عن بسمة الرضى ، وإلى جانبي الحمار الهيّن الخطى يبدو الساتير الفتيان ممسكين بالعجوز بحذر خشية ان يسقط . ويشق الموكب المرح الصاخب طريقه عبر الغابات الكثيفة والمروج الخضراء ترافقه أنغام المزامير والشبابات والصنوج . وهكذا يمضي الاله ديونيسيوس في تجواله على الأرض فيخضع لمشيئته كل شيء وهو يعلم الناس زراعة الكرمة وصنع النبيذ من عناقيدها .

ليكروغ



ساتير راقص
(تمثال من القرن الثاني ق . م عثر عليه في بومبي) .

من الناس من يجحد سلطان ديونيسيوس وينكر قدرته ولهذا فقد يضطر الى استخدام القوة من أجل تطويع البلدان والمدن . ولكن من بامكانه ان ينتصر على الاله المجيد ، ابن زيوس ! انه يقتص ممن يقف في وجهه او يجحده . وقد واجه ديونيسيوس أول معارضة في تراقيا عندما كان يحتفل ويرقص مع رفيقاته الميناد في أحد الوديان الظليلة ضائعاً نشوة الخمرة ، غارقاً في ألحان الموسيقى والغناء في آنذاك انقض عليه ليكروغ الغاشم ، ملك الاينود-١- فتفرقت ثلة الميناد وهمن على وجوههن وبعثرن أواني ديونيسيوس المقدسة على الأرض ، وركن ديونيسيوس نفسه الى الفرار والقى بنفسه في البحر هرباً من مطاردة الملك الظالم فخبأته فيتيدا في أعماق الماء . وأنزل زيوس عقابه بليكروغ الذي أهان ولده الفتي ، فأعمى عينيه وقصّر أيامه .

١- قبيلة في تراقيا كانت تستوطن شواطىء نهر ستريمون (ستروما الحالي او كاراسو) .

بنات مينوس

عن منظومة اوفيد «ميتامارفوز»

أنكروا الإعتراف بديونيسيوس في اورخومين وبيوتيا وعندما ظهر كاهنه في اورخومين ليدعو النساء الى الـغابات والجـبال لإقـامة حفل بهيج على شرف اله الكروم استنكفت ثلاث من بنات مينبوس عن الخروج الى الساحة ورفض الإعتراف بديونيسيوس إلهاً بينما خرجت جميع النساء واتجهن الى الغابات ليحتفلن بالعيد بالرقص والغناء ورفعن القضبان الملفوفة بالعساليج والأغصان الخضراء وسرحن فوق الجبال هاتفات صائحات يمجدن ديونيسيوس كما تفعل الميناد . واحتجبت بنات مينوس ، ملك أورخومين ، داخل المنزل وانصرفن الى الغزل والحياكة بهدوء صامات آذانهن عما يتعلق بالإحتفال الكبير . ونزل المساء واحتجبت الشمس وهن مكبات على عملهن يحاولن الاسراع في إنجازه وفجأة لاحت المعجزة أمام أعينهن ، فقد انبثقت قرعات الصنوج وألحان المزامير في القصر واستحالت خيوط الغزل في أيديهن أغصاناً من الكرمة تدلت منها العناقيد الكبيرة . واخضرت الأنوال والتفت بالعساليج وانتشرت روائح الزهور والرياحين من كل جنب وجمدت أنظار الفتيات ذاهلات من المفاجأة والدهشة . وفجأة ترددت في حجرات القصر الغارق في ظلمة المساء أضواء المشاعل الشريرة ، وعلا زئير الوحوش الكاسرة ، وظهرت الأسود والفهود والقطط البرية والدببة في جميع الحجرات وراحت تنتقل مسرعة في القصر وهي تجأر جئيراً رهيباً مطلقة من عيونها الشرر . وانخلعت أفئدة بنات الملك من شدة الرعب فانطلقن نحو الحجرات القاصية المعتمة ليختبئن بداخلها ويستترن عن أضواء المشاعل الباهرة وزئير الوحوش الأصم ، ولكن عبثاً ما حاولنه ، فليس لهن من منأى . ولم ينته قصاص



ديونيسيوس ـ اله الكرمة

وصناعة النبيذ (تمثال نصفي من القرن الثاني ق . م)

ونيسيوس بذلك فقد ضمرت أجساد الفتيات وأخذت تكتسي بالوبر القاتم اللون
ت فوقها أجنحة لزجة الجلد بدلاً من الذراعين واستحالت الفتيات الى
لاويط ، فهي تستتر منذ ذلك اليوم في المغاور والكهوف والخرائب الرطبة بعيداً
ن ضوء النهار .

قراصنة تيرّينا -١-

عن نشيد لهوميروس وعن منظومة اوفيد «ميتامارفوز»

واقتصى ديونيسيوس من قراصنة تيرّينا لا على أنكارهم لألوهيته بل للضرر الذي أرادوا إلحاقه به كواحد من الفانين .

مرة كان ديونيسيوس يقف على شاطىء البحر اللازوردي تتلاعب الأنسام الرقيقة بخصلات شعره السوداء وبأطراف مسوحه القرمزي اللون الموشك على السقوط عن كتفيه . وفي لجة البحر البعيدة ظهرت سفينة راحت تطوي الأمواج مسرعة نحو الشاطىء ، وعندما أوشكت على الوصول شاهد بحارتها ـ وكانوا



الميناد ، مرافقات ديونيسيوس (رسم على مزهرية)

١ ـ قراصنة تيرّينا أو تيرسينا أو القراصنة الايتروسيون. والايتروس قوم كانوا يستوطنون في العهود القديمة منطقة غرب ايطاليا أو توسكانيا الحالية .

قراصنة في تيرّينا ـ شاهدوا الشاب الجميل واقفاً على الشاطىء المهجور ، فألقوا بالمراسي ونزلوا الى البر فقبضوا على ديونيسيوس واقتادوه نحو سفينتهم جاهلين انهم قبضوا على اله ، بل لقد فرحوا لغنيمتهم الثمينة اذ كانوا على ثقة من جزالة ما سيربحونه من ذهب لقاء بيعهم ذلك الفتى الصبوح الوجه في سوق النخاسة . فحاولوا ـ عند عودتهم الى السفينة أن يقيدوا يدي ديونيسيوس بالسلاسل لكنها كانت تتساقط عند قدميه بينما جلس هو يردد في القراصنة نظراته والبسمة تعلو شفيته . ولما رأى موجه السفينة القيود تنزلق عند معصمي الشاب تملكه رعب قاتل فصاح برفاقه :

ـ أيها الأشقياء ، ماذا أنتم فاعلون ! لعل من يجلس أمامنا اله تريدون تصفيده بالسلاسل . انظروا ، حتى السفينة تكاد تميد من تحته . لعله زيوس ، أو أبولون ذو القوس اللجيني ، أو محرك الأرض بوسيدون ! لا ، انه لا يشبه الفانين . لا شك أنه واحد من آلهة الأوليمب ، فحلوا وثاقه وانزلوه الى البر والا استعدى عليكم هائج الرياح وحرك رهيب العواصف .

لكن القبطان رد على الموجه الحكيم بصوت يقطر منه الشرر :

ـ أيها الحقير . انظر ، الريح مواتية وقريباً تحمل سفينتنا فوق أمواج البحر اللامتناهي . أما الشاب فسنرى فيه رأينا في وقت لاحق . سنبحر حتى نصل مصر أو قبرص أو بلاد الهيبيربوري البعيدة فنبيعه هناك وليحاول آنذاك أن يبحث عن أصدقائه ورفاقه في تلك البلاد ، لا إنها الآلهة هي التي أرسلته الينا !

ورفع القراصنة الأشرعة هادئين مطمئنين فاحتضن البحر الشاسع السفين ، وفجأة لاحت المعجزة . إذ بدأ الخمر الشذي العبير ينهمر جداول في السفينة فشحن الهواء بروائحه البخورية ، وجمد القراصنة دهشة ورعباً ، ثم أخذت أغصان الكرمة تخضر فوق الأشرعة مثقلة بالعناقيد ، وتعلق بالسارية غصن قائم الإخضرار ولفّتْ مثابتَ السفينة أكاليلُ الزهور . ولما شهد القراصنة ذلك كله طلبوا من الموجه الحكيم توجيه السفينة ثانية نحو الشاطىء ! ولكن لقد تأخر الوقت ! فقد استحال الشاب الجميل أسداً ربض فوق مقدمة المركب وهو يطلق زئيره المرعب ويطلق من عينيه الشرر . وظهرت فوق السفينة دبة مقوسة المخالب ، وكشرت شدقها الرهيب . وتدافع القراصنة نحو المقدمة والتفوا حول



ديونيسيوس وقراصنة تيرّينا . (رسم نافر من القرن الرابع ق . م)

الموجه مخلوعي القلوب . وانقض الأسد على القبطان فمزقه شر ممزق ولما يئس القراصنة من النجاة ألقوا الى الماء بأنفسهم واحداً تلو الآخر فأحالهم ديونيسيوس دلافين . أما موجه السفينة فشمله برحمته وخاطبه باسماً مهللاً بعد أن استعاد هيئته الأولى فقال له :

ـ لا تخش ، فقد مال اليك فؤادي . أنا ديونيسيوس ، ابن زيوس مرسل الصواعق وسيمبلا ابنة قدموس .

ايكاريوس

يجزي ديونيسيوس اولئك الذين يكرمونه كواحد من الآلهة . فقد أثاب ايكاريوس الاتيكي عندما رحب به هذا وأضافه . فأهداه ديونيسيوس جفنة من الكرمة فكان ايكاريوس أول من غرسها في أتيكا ، لكن مصيره كان محزناً .

فقد قدم الخمرة مرة لرعاته ، ولما كانوا لا يعرفون طعمها وتأثيرها فقد تراءى لهم ان ايكاريوس سمَّهم فقتلوه وواروا جثته بين الجبال . وبحثت يريغونا ، ابنة ايكاريوس طويلاً عن أبيها ، وأخيراً وجدت ضريحه بمساعدة كلبتها مايرا . وحطم اليأس قلب يريغونا التاعسة فشنقت نفسها على الشجرة التي كانت جثة أبيها ترقد تحتها ورفع ديونيسيوس ايكاريوس ويريغونا وكلبتها الى السماء ، فهم يتألقون منذ ذلك الحين بين النجوم وتسمى مجموعتهم فولوباس والعذراء والكلب الأكبر .

ميداس

عن منظومة اوفيد «ميتامارفوز»

كان ديونيسيوس مرة يلهو مع ثلة الميناد والساتير الصاخبة فوق سفوح تمول المغطاة بالغابات في فريجيا[1] وكان الجميع حضوراً ما عدا سيلين الذي تأخر عن الموكب وراح يجول في حقول فريجيا وهو يتعثر في خطواته ثملاً أخذ منه السكر مأخذه . ولقيه المزارعون فأوثقوه بأكاليل الزهور واقتادوه الى الملك ميداس . وعرف الملك مربي ديونيسيوس فرحب به في قصره وأكرمه وأقام المآدب الفاخرة على

---

١ - بلاد تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى .

شرفه مدة أيام تسعة . وفي اليوم العاشر خرج ميداس بضيفه وأوصله الى ديونيسيوس فسرّ الاله المجيد برؤية سيلين وجزى ميداس بأن ترك له أن يعين الهبة التي يتمناها فهتف ميداس :

ـ أي ديونيسيوس ، أيها الاله المجيد . مرْ بأن يتحول كل ما تلمسه يداي ذهباً خالصاً ألاقاً .

وأنجز ديونيسيوس مطلب ميداس آسفاً على أنه لم يلتمس لنفسه هدية أفضل .

وانصرف ميداس سعيداً مغبوطاً . انه يقتطع من البلوطة غصناً أخضر فيستحيل الغصن الأخضر ذهبياً في يده ويقطع باقة من سنابل القمح فتستحيل السنابل ذهبية في يده ويصير حبها ذهباً ويقتطف تفاحة فتستحيل التفاحة ذهبية وكأنها جنيت من بساتين الهيسبريد . ان كل ما يلمسه ميداس يستحيل الى ذهب على التوّ . كم كان الملك ميداس سعيداً بذلك ! ها لقد عاد الى قصره وأعد له الخدم وليمة الغداء فجلس الى المائدة باسم الثغر مطمئن النفس ، واذ ذاك أدرك أي هدية رهيبة بغاها لنفسه . لقد أخذ كل شيء يستحيل ذهباً لمجرد لمسة من يده وصار الخبز والخمرة وجميع المآكل ذهباً في فمه . وأدرك الملك بدون الطعام انه مقضي عليه بالهلاك جوعاً ففتح ذراعيه ونظر الى السماء وابتهل :

ـ رحماك ، رحماك يا ديونيسيوس ! اغفر لي جشعي واشفق علي واستعد هبتك التي منحتنيها .

وتجلى ديونيسيوس أمام الملك وقال له :

ـ امض الى منابع باكتول[1] فتطهر في مياهها من هذه الهبة وتخلص من خطيئتك .

ومضى ميداس حسب اشارة ديونيسيوس ، الى منابع باكتول فغمس نفسه في مياهها الطاهرة فجرت المياه خيوطاً من ذهب وطهرت جسد الملك من هبة ديونيسيوس ، وغدا لون باكتول ذهبياً منذ ذلك الحين .

---

١ ـ نهر في ليديا يصب في نهر غيرم (نهر غيديس حالياً)

پان-[1]-



پان - يحمل بيده مزماراً
الاله حامي الرعاة والمواشي
(تمثال من القرن الاول ق . م)

كثيراً ما كانت ثلة ديونيسيوس تضم فيها بينها الاله پان . ويُروى أن الجنية دريوپا لما ولدته سيطر على قلبها هلع كبير فأطلقت ساقيها للريح لأنه خرج الى العالم بقدمي جدْي وبقرنين ولحية طويلة مسترسلة ، لكن اباه هرمز فرح به كثيراً فرفعه على يديه ومضى به الى الآلهة فوق الاوليمب المشرق فسرّ الآلهة لمقدمه وتعالت ضحكاتهم وهم ينظرون اليه .

ولم يمكث بان فوق الاوليمب بل خرج إلى الغابات المظلمة وإلى الجبال حيث يرعى القطعان عازفاً على مزماره الشجي الألحان فما أن تسمع عرائس الجبال ألحان مزماره حتى تهرع إليه جماعات وتلتف حوله وبعد قليل تتحرك حلقتهن الراقصة في الوادي الاخضر ويشارك بان في الرقص الصاخب المرح فيتعالى الصخب والغناء في الغابات

١ـ بان ـ بالرغم من أن هذا الاله كان واحداً من أقدم الآلهة اليونانية فان أهميته بالنسبة للعصر الهوميري وما بعده بقيت ثانوية حتى القرن الثاني قبل الميلاد . وان مجرد تمثيله بهيئة نصف انسان ونصف جدي (بقايا التوتمية) يشير الى قدمه كاله . وكان بان في البداية اله الغابات ، شفيع الرعاة وحامي القطعان لكنهم ـ حتى في ليديا وآرغوس حيث انتشرت عبادته انتشاراً اكبر مما في المناطق الأخرى ـ لم يسجلوه في عداد آلهة الاوليمب . ثم اخذ هذا الاله يفقد صفته البدائية ليصبح الاله الذي يحمي الطبيعة بأسرها .

وتردده سفوح الجبال . فإذا ما خيم القيظ عند الظهيرة انصرف بان ليتوارى في أعماق الغابة الكثيفة او يلتجىء الى كهف بارد لينال قسطاً من الراحة . ومن الخطر اقلاق راحته آنذاك فهو نزق الطبع ويمكنه في نزوة الغضب أن يرسل كوابيس النوم الرهيبة الى من يقلقه أو يخرج فجأة ليسلط على قلبه الذعر . كما يمكنه أن يسلط الرعب الباني الذي ينطلق الانسان تحت وطأته غير واع سبيله ، خلال الغابات والجبال والوهاد غير مدرك أن عدوه قد يودي به في كل لحظة الى حتفه . وحدث ان سلط بان رعبه هذا على جيوش بأكملها فاستسلمت لهزيمة لا سبيل الى وقفها . غير ان بان هذا طيب رؤوم في حالته العادية الطبيعية ، يهب الرعاة الخير العميم ويقوم بحماية قطعان اليونان وهو شريك رقصات الميناد ونديم ديونيسيوس في كثير من الأحيان .

پان وسيرينچا

اخترقت سهام ايروت ، الذهبي الشعر ، قلب الاله بان فاحب عروسة الجبال الرقيقة سيرينجا ، لكنها كانت عزيزة النفس رفضت قلوب الجميع ، وكان الصيد شاغلها الوحيد مثلما كان شاغل ارتيميدا العظيمة ابنة لاتونا ، بل كثيراً ما كانوا يخلطون بينهما اذ كانت العروسة سيرينجا رائعة عندما ترتدي ثوبها القصير وتلقي بكنانتها على كتفها وتحمل قوسها بيدها فتغدو شبيهة بارتيميدا شبه قطرة الماء بأختها ، فلا يفرق بينهما الا القوس الذي كان لدى سيرينجا مصنوعاً من القرون بينما كان لدى ارتيميدا مصنوعاً من الذهب .

ولقي بان سيرينجا فحاول أن يقترب منها لكنها ما أن رأته حتى اسلمت قدميها للريح وقد سيطر عليها خوف شديد . واجتهد بان يلحق بها فلم يستطع ، ولكن ، هو ذا نهر يقطع الطريق فاين تمضي عروسة الجبال ! لقد فتحت ذراعيها نحو النهر وضرعت الى الهه أن ينقذها ، وفهم الاله ضراعات الفتاة فأحالها قصبة . واذا ذاك لحق بان بها وحاول أن يضمها الى صدره لكنه اعتنق القصبة البرية التي أخذت تتمايل بهدوء . ووقف بان امامها يصعد زفرة حرّى ، ومن بين طيات الحفيف الرقيقة بلغت مسمعه تحية سيرينجا المودعة وقطع الاله بضع قصبات وجمعها الى بعضها بواسطة الشمع فصاغ منها مزماراً شجي الألحان . ودعا بان مزماره باسم الفتاة التي أحبها ـ سيرينجا ، وهو يعزف عليه في وحدة الغابات فيتردد صدى عزفه بين الجبال والوهاد .

بين پان وأبولون

يفخر بان بعزفه على مزماره ، حتى أنه تحدى مرة ابولون نفسه للمباراة . وتم ذلك على سفوح جبل تمول وحكم اله ذلك الجبل بينهما . وظهر أبولون في الميدان في مسوح قرمزي اللون حاملاً في يده قيثارته الذهبية وافتتح بان المباراة فانطلقت من مزماره الالحان الجميلة لتتهادى برقة فوق سفوح تمول الى ان تتلاشى . وما ان انتهى من عزفه حتى تناقلت أنامل ابولون أوتار القيثارة الذهبية فانسابت الحان الموسيقى القدسية الرائعة وانصت كل ما أحاط بهما مفتوناً منتشياً بالحان ابولون وأنّت الأوتار فأغرقت الطبيعة في صمت جليل انفسح اللحن خلاله موجة عريضة مشحونة بالموسيقى العذبة . وانتهى عزف الاله وتلاشت الحانه الاخيرة . وحكم اله الجبل تمول بالنصر لابولون ، ومجد كل شيء الاله ذا القيثارة ، ما خلا ميداس الذي لم تثرَه الحان ابولون فامتدح انغام بان البسيطة . وغضب ابولون فأمسك ميداس من اذنيه وشدهما فصارتا أذني حمار وأخذ صاحبهما يجهد نفسه لاخفائهما تحت عمامته . أما بان المحزون فقد اختفى مهزوماً مدحوراً في ظلام الغابة حيث تتردد الألحان الشجية المشحونة بالأحزان ، ألحان مزماره الرقيقة التي تصغي اليها الجنيات وعرائس الغابات بشغف كبير .



٢) الأبطال

العهود الخمسة[1]

عن منظومة هسيود «الأعمال والأيام»

خلق الآلهة الخالدون ، أصحاب الأوليمب المشرق ، جيل البشر الأول ، سعيداً ، وكان ذاك هو العصر الذهبي . وكان كرون آنذاك سيد السماء . كان الناس يعيشون في تلك الأيام كالآلهة الأبرار لا يعرفون المشاغل ولا الأعمال ولا الأحزان ، وكانوا أشداء أقوياء بعيدين عن ضعيف الأهواء وما كانت حياتهم السعيدة البعيدة عن الأسقام الا مأدبة متصلة لا تنتهي ، فإذا ما جاءهم الموت بعد عمر مديد ، جاء شبيهاً بحلم هانىء رقيق . وكان كل ما يطلبونه وافراً كثيراً فالأرض تقدم لهم جناها من تلقاء نفسها دون أن يتعبوا في زرع الحقول والبساتين ، وقطعانهم وافرة الأعداد تذهب الى المراعي وادعة هادئة . كانت حياة الناس في العصر الذهبي بعيدة عن صروف الدهر . وكان الآلهة يجيئون بأنفسهم اليهم ليسترشدونهم الرأي . لكن العهد الذهبي زال وانقضى ، واحتصدت يد الموت من عاشوا فيه فعظم زيوس أجر هؤلاء بعد موتهم وجعلهم أرواحاً ترعى أبناء العهود التالية وتنتقل فوق جميع أرجاء الأرض مجللة بالضباب لتصون الحق وتمحق الباطل .

---

١ ـ يتحدث الشاعر هسيود عن نظرة معاصريه اليونان الى مولد الإنسان وتتالي العهود ، فهو يرى كل ما في الماضي أفضل مما عليه في الحاضر اذ صارت الحياة تزداد فساداً وسوءاً يوماً بعد يوم حتى تصل حضيضها أيام الشاعر . وهذه إحدى النظرات المميّزة في منظومة هسيود ـ شاعر الفلاحين وصغار ملاكي الأرض ، من كانوا يتعرضون لمختلف ضروب الظلم والاستغلال .

أما أبناء العهد الثاني ـ العهد الفضي فلم يبلغوا في السعادة مبلغ سابقيهم ، اذ كانوا يقلون قوة وفطنة عن أبناء العهد الذهبي . كانت طفولتهم تمتد مائة عام يقضونها في ديار الأمهات فلا يغادرونها الا رجالاً فإذا ما أدركوا مدارك الرجال انطوت حياتهم بسرعة . ولما كانوا غير راشدين فقد كانت تنخر حياتهم الهموم والمصائب والمحن . ولم يكن أبناء هذا العهد بالأتقياء فقد استعلوا على الآلهة الخالدين وكفوا عن إكرامهم بتقديم القرابين فوق المذابح فاستأصل زيوس العظيم شأفتهم عن الأرض اذ غضب عليهم لأنهم عصوا آلهة الأوليمب المشرق وحشرهم في ظلمات العالم السفلي حيث يعيشون بعيدين عن المسرات والأحزان . والناس يجلونهم أيما إجلال .

وخلق زيوس العهد الثالث ـ النحاسي بعد ذلك فكان يختلف عن العهد الفضي الذي سلفه اذ أنشأ الآلهة أبناء هذا العهد من سنان رمح فكانوا أشداء عتاة متعجرفين وكانوا يعشقون الحروب المليئة بالفواجع . وما كانوا يعرفون حراثة الأرض فلم يذوقوا طيب الثمار التي تنبتها الحقول والبساتين . لقد وهبهم زيوس طولاً فائقاً وقوة لا تقهر فكانت قلوبهم جريئة وثابة وسواعدهم شديدة البطش وقد سخّروا النحاس فاقتنوا منه أسلحتهم ومبانيهم وأدواتهم التي يعملون بها فما كانوا في تلك العصور يعرفون الحديد الكامد اللون ، لكن أبناء هذا العهد أبادوا بعضهم ببعض وانتقلوا بعد عهد غير طويل الى المملكة السفلى ، مملكة هاديس الكالح فلم تشفع لهم قوتهم الجبارة أمام ملك الموت الرهيب الذي احتصدهم وغيّبهم عن أنوار الشمس الساطعة .

وما أن انتقل أبناء هذا العهد الى مملكة الأشباح حتى كانت مشيئة زيوس فكان العهد الرابع وكان الجنس البشري الذي امتاز أبناؤه بحب الخير والإنصاف حتى غدوا في مصاف الآلهة فهم الأبطال أنصاف الآلهة . وقد ذهبوا جميعاً في ساحات الوغى الطاحنة والمعارك الدامية الرهيبة . فقضى قسم منهم أمام بوابات طيبة السبع دفاعاً عن عرش أوديب في بلاد قدموس وقضى قسم آخر على مشارف طروادة التي جاؤوا اليها بعد أن جازوا البحر العريض على السفن من أجل هيلين الفاتنة فنقلهم زيوس بعد ذلك الى الأصقاع القاصية البعيدة عن الأحياء فهم

يعيشون هناك فوق الجزائر السعيدة قريباً من مياه اوكيان الثجاجة حياة هانئة سعيدة ، وهناك تقدم لهم الأرض جناها ثماراً حلوة كالشهد مراتٍ ثلاثاً كل عام .

أما العهد الأخير فهو العهد الحديدي وهو آخر عهد بالنسبة للبشر أيضاً فهو لا يزال سائداً على الأرض وفيه غرق البشر في الأحزان والأعمال ليل نهار وغدا الآلهة يرسلون عليهم المحن والمصائب حتى ملأت كل بيت وسادت كل مكان على الرغم من أن الآلهة تجود بالخيرات حيناً على البشر . وفي هذا العهد كف الأبناء عن إجلال الآباء وزال الوفاء بين الأصدقاء وتلاشت المحبة بين الأشقاء وعَدِمَ الضيف من يقريه وصار الناس يحنثون بالعهود ويحقرون الخير والحقيقة كما صاروا يسعون الى اتلاف بعضهم وسيطرت الأثرة والجشع على النفوس فلم تعد ثمة قيمة لغير القوة والغطرسة والغرور فهجرت العالم ربة الضمير وربة العدالة وصعدتا بملابسهما البيضاء الى الأليمب المشرق ، نحو الآلهة المخلدين ، وأخلفتا للناس المحن والرزايا حتى لم يبق لديهم دافع أمام الشرور .

ديوكاليون وبيرا (الطوفان)[1]

أمعن أصحاب العهد النحاسي في ارتكاب المعاصي وكانوا فجاراً متكبرين لا يرعون للآلهة عهداً ولا يقيمون لهم شأناً ، فغضب عليهم مرسل الأعاصير وكان أشد من أثار حنقه فيهم هو ليكاوونوس ، ملك ليكوسورا في أركاديا[2] . فقد نزل مرسل الصواعق اليه مرة في صورة انسان وأعطى لأهل المدينة علامة لكي يعرفوه فخرجوا جميعاً ليقدموا اليه آيات الإجلال والاحترام ، أما ليكاوونوس فقد استكبر عن تقديم فروض التكريم لزيوس وسخر ممن فعل ذلك بل وأراد اختبار قدرة زيوس فقتل أسيراً كان في قصره وطهى جزءاً من لحمه وقلى جزءاً آخر وقدمه طعاماً للإله فهاجت نفس زيوس بالغضب ورشق قصر ليكاوونوس بصاعقة دمرته وأحال صاحبه ذئباً هائجاً .

ومضى البشر في غيهم فقرر زيوس أن يقطع دابرهم من أصله وذلك بأن يرسل على الأرض وابلاً من المطر يغرق فيه كل شيء فحبس من أجل هذه الغاية جميع الرياح وأجاز ريح الجنوب الرطبة لوحدها فحشدت الغيوم السحماء في صفحة السماء وهطلت الأمطار مدرارة فياضة وتعاظمت المياه وتكاثرت في البحار والأنهار فأخذت صفحتها ترتفع شيئاً فشيئاً فتحتضن المدن بأسوارها ومبانيها ومعابدها حتى تلاشت رؤوس الأبراج واختفت الهضاب المغطاة بالغابات ثم انغمرت قمم الأطواد المشمخرة فلم تبق الا قمة بارناس ذي الرأسين نافر فوق المياه . أما السهول التي كانت تحف فيها سنابل القمح أو تتمايل فوقها أغصان الكرمة فأمست مراتع للأسماك كما صارت الدلافين تمرح في بطون الغابات التي غمرتها المياه .

---

١ ـ تحدثنا هذه الأسطورة عن الطوفان الشهير الذي غمر الأرض وعن نجاة ديوكاليون وبيّرا في صندوق كبير الحجم . ونلتقي بأسطورة الطوفان هذه لدى البابليين أيضاً وذلك في أسطورة بيرنابيشتيم أو اوتنابيشتيم والتي لقيت انعكاسها في ملحمة جلجاميش .

٢ ـ مقاطعة في وسط البيلوبونيز .

وهكذا انقرض أبناء العهد النحاسي ولم ينج من بينهم الا اثنان وهما ديوكاليون ابن بروميثيوس وزوجته بيرا فقد أوعز اليه والده فصنع صندوقاً كبيراً من الخشب حشد فيه طعاماً وشراباً كثيراً ودخله برفقة زوجته فأخذ الصندوق يتهادى فوق الأمواج التي غمرت اليابسة كلها مدة أيام تسعة . وأخيراً دفعته الرياح فألقته على قمة جبل بارناس ذي الرأسين . وكفت الأمطار الراهمة عن النزول فخرج ديوكاليون وبيرا من الصندوق وقدما قرباناً لزيوس الذي رعاهما بعنايته في مضطرب الأمواج . وأخيراً انحسرت المياه بأمواجها المتلاطمة فانكشف بساط الأديم المقفر من كل حياة .

إذ ذاك أرسل حامل الترس الأعظم ابنه هرمز رسول الآلهة الى ديوكاليون فانطلق الرسول فوق الأرض الجرداء ومثل أمام ديوكاليون وخاطبه بقوله :

ـ لقد رضي عليك زيوس لتقواك وبرّك فانفذني اليك لتختار لنفسك أمنية ينجزها من أجلك .

فأجاب ديوكاليون :

ـ أي هرمز ، أيها الإله المجيد ، إنني أتجه الى زيوس بطلب واحد فقط هو أن تكون مشيئته فتعمر الأرض ثانية بالبشر .

وعاد هرمز السريع ثانية الى الأوليمب المشرق وأبلغ زيوس رغبة ديوكاليون . فأمر زيوس ديوكاليون وزوجته أن يجمعا حجارة كثيرة وأن يرمياها من خلف أكتافهما دون أن يلتفتا اليها . وعمل ديوكاليون بمشيئة الأعظم فاستحالت الحجارة التي رمتها يداه رجالاً والحجارة التي رمتها زوجته نساءً ، فعاد البشر الى الأرض بعد الطوفان وعمرت بجنس البشر الأخير الذي خرج من الجلمود .

بروميثيوس

عن تراجيدية اسخيل «بروميثيوس المصفّد..»[1]

قفار موحشة تنبسط في بلاد السكيف عند مشارف الكون وتشمخ الصخور الكالحة فوقها برؤوسها المدببة فتغيب وراء السحاب . والأرض جدب لا تنبت عشبة واحدة فكل ما على سطحها عار كالح الوجه . وكل مكان تتناثر صم الصوا المفصومة عن الصخور الهائلة ويضطرب البحر ويجأر وهو يصفع أقدامها بأمواجه فتتدفق عنها السيول . وبعيداً خلف الجبال تلوح قمم القوقاز التي تغمرها الثلوج وترتجف حول سفوحها الأبخرة الخفيفة وشيئاً فشيئاً تحتجب الأبعاد خلف الغيوم الجبارة التي تغطي قمم الجبال وترتفع إلى الأعلى لتخترق بطن السماء فتحجب الشمس فيضيق الأفق بالعبوس والصمت ويخيم على تلك السباسب حزن ثقيل . إن قدم انسان لم تطأ من قبل هذه القفار القاصية التي اقتيد اليها بروميثيوس ليصفّد بالسلاسل الثقيلة ويغل الى قمة الصخرة الشامخة . ها هو ذا يسير مخفوراً بالجبروت والسلطان ، خادمي زيوس الغاشمين ، اللذين يشمخان بجسديهما الغرانيتيين الهائلين . وجهاهما مقطبان تقطيبة الصخور المحيطة ، قلباهما لا يعرفان الرحمة ولم تطف الشفقة يوماً في ناظريهما . وخلف الموكب يسير الإله هيفست محزوناً منكس

---

١ ـ يحدثنا اسخيل عن العقاب الذي أنزله زيوس ببروميثيوس لأنه عارضه ووقف في وجهه وهو الإله الغاشم الجبار الذي يخضع له الكون بأسره . فقد انتفض العملاق بروميثيوس في وجه زيوس وانتزع النار المقدسة عن جبل الأوليمب وأعطاها البشر كما علمهم حراثة الأرض والصناعة وبناء السفن والقراءة والكتابة وبذلك جعل حياتهم أرحب وأوفر سعادة فاضطربت بذلك كله سلطة زيوس ومساعديه ـ آلهة الأوليمب . الا أن الذنب الأعظم لبروميثيوس هو رفضه أن يكشف لزيوس سراً يتعلق بمصيره وهو سر الغلام الذي يولد ويفوق زيوس في القوة ويزيحه عن العرش . وقد توقف مؤرخو الفكر اليوناني عند عبارة بروميثيوس الناطقة بالكبرياء : «إنني أكره جميع الآلهة !» وعند ردّه على هرمز بقوله : «اعلم جيداً إنني لن استبدل آلامي المبرحة بعبوديتي ، فإنني أفضل أن أظل هنا مغلولاً الى الصخور على أن أكون خادماً طيعاً لزيوس» .

الرأس ، يده تمسك بمطرقة ثقيلة فقد عهدت اليه مهمة رهيبة فيداه ستكبلان بروميثيوس بالقيود . إن نكبة صديقه تثقل فؤاده بالأسى العميق لكنه عاجز عن عصيان إرادة أبيه زيوسٍ فهو يعرف كيف يبطشِ غير مشفق بالعصاة .

وصل الجبروت والسلطان ببروميثيوس قمة الصخرة . ها هما ذا يهيبان بهيفست ان يبدأ عمله فيزيده الخطاب القاسي أسىً لمصير صديقه فيمسك بمطرقته دونما رغبة لكن الضرورة ترغمه ويحثه الجبروت بقوله :

ـ تناول السلاسل وثبته الى الصخرة بضربات مطرقتك الثقيلة . إنك عبثاً تأسى لأجله ، لأجل عدو ربّ الآلهة .

وينذر الجبروت هيفست ببطش زيوس ان هو لم يقيد بروميثيوس بشكل تعجز معه أية قوة عن تحريره . وهكذا يشد هيفست يدي بروميثيوس ورجليه الى الصخرة بالسلاسل الجبارة . كم هو يمقت الآن صنعته هذه والتي يتحتم عليه بواسطتها أن يغل صديقه الى آلام لا نهاية لها . ويرقب خادما زيوس الغاشمان عمل هيفست لحظة فلحظة ثم يقول الجبروت :

ـ اضرب بمطرقتك بكلِ قوة وشد الأصفاد جيداً ، فبروميثيوس حاذق ماهر وبمقدروه أن يجد لنفسه مخرجاً حتى عندما تنغلق السبل . شدّه بكل ما تملك من قوة ومهارة وليتعلم بعد اليوم كيف يكون خداع رب الآلهة .

ويصيح هيفست وقد تهيأ لعمله : ـ ايه ، كم تبدو كلماتك القاسية هذه ملائمة لسحنتك المقيتة !

تترنح الصخرة تحت ضربات المطرقة الثقيلة ويتردد الصدى الراعد بين جنبات الأرض . ها لقد فرغ هيفست من تصفيد بروميثيوس بالأغلال . لكن الأمر لم ينته عند هذا ، فلا بد من تثبيته الى الصخرة بعد إغماد حربة فولاذية شديدة تنفذ من صدره . ويتهدج صوت هيفست اذ ذاك وهو يقول :

ـ أي بروميثيوس . قلبي يتفتت وأنا أرقب عذابك .

فيصيح الجبروت غاضباً : ـ ها أنت ذا تتلكأ من جديد . إنك لا تزال حزيناً على عدو زيوس . احذر أن تعرّض نفسك أيضاً لانتقامه .



هرقل يقتل بسهمه النسر الذي يمزق صدر بروميثيوس .

الى اليسار من هرقل تظهر الالهة أثينا وهيفست ،

والى يمين النسر يظهر الالهان ـ ديميترا وبوسيدون .

(رسم قديم جداً على مزهرية) .

وأخيراً أنجز كل شيء كما أراد زيوس . فقُيّد العملاق وثبّت صدره بالحربة الفولاذية . وقال الجبروت ساخراً :

ـ كذا يمكنك هنا أن تعتد بنفسك ما شاءت لك ذلك . فكن عاتياً متغطرساً كسابق عهدك ، وقدِّم للناس خيرات الآلهة التي تسرقها ! وانتبه ، أيملك الفانون من القوة ما يسمح لهم بمساعدتك ! لا ! ان عليك وحدك أن تفكر بأمر خلاص نفسك .

إلا أن بروميثيوس يظل على صمته المتكبر ، انه لم ينبس بكلمة واحدة بينما كان هيفست يثبت صدره الى الصخرة ، ولم يصعد زفرة واحدة تكشف عما يعانيه من آلام .

ومضى خادما زيوس ، الجبروت والسلطان ، ولحق بهما هيفست حزيناً مكدوراً . فبقي بروميتيوس وحيداً لايسمع صوته غيرالبحر والسحاب الأسود. واذ ذاك فقد تفجر صدره الممزق عن آهة عميقة ، واذ ذاك فقط أخذ يشكو قدره الفاجع .

أطلق بروميثيوس صرخة جبارة وترددت آهاته تحمل آلام عذابه التي يستحيل التعبير عنها .

ـ ايه ، أيها الأثير الإلهي ، وأنت يا سافيات الرياح ، ايه يا ينابيع الأنهار ويا هدير الموج الأبدي ، أنتِ أيتها الأرض ، يا أم كل شيء وأنت أيتها الشمس التي تطوفين الكون فلا تخفى عليك خافية . اشهدوا جميعاً ما أنا فيه من عذاب ! إنكم ترون ما علي أن أقاسيه من محن سنينَ لا عداد لها ! لقد قضي علي أن أصدّر الزفرات عبر العصور الطويلة . كيف لي أن أتخلص مما أنا فيه . ولكن ماذا أقول ! لقد كنت عالماً بجميع ما سيحل بي من أرزاء فهي لم تفاجئني دونما توقع ولا بد من نزول ما تطويه كف القدر . علي طويلاً أن أتخبط في منقع العذاب ، ولكن على ماذا ؟ على أنني وهبت للفانين خالدات النعم وبسبب هذا كتب علي أن أكابد هذه الآلام دون أن يتسنى لي الخلاص . أوّاه !

وفجأة يتردد في الفضاء حفيف هادىء وكأنه أجنحة النسيم تحمل أجساماً أثيرية بالغة الرقة . انهن الأوكيانيدات اللاتي بلغت مسامعهن ضربات مطرقة

هيفست وأنين بروميثيوس فخلين كهفهن الرطيب عند شطآن اوكيان الأشيب البعيدة وطرن الى الصخرة محمولات على المركبة سريعات كهمس النسيم . وتساقطت الدموع من عيونهن لما رأين نسيبهن الأمجد مغلولاً الى الصخرة . فقد كان أبوه يابتوس أخ أبيهن أوكيان كما كانت زوجته هيسيونا أختهن . وأحاطت الأوكيانيدات بالصخرة وقد غشتهن الأحزان والآلام . لكن ما راح بروميثيوس يرمي به زيوس والآلهة أثار في قلوبهن الذعر فأشفقن ان يزيد مرسل الصواعق من عذابه . ولما كن جاهلات بسبب هذا التنكيل الشديد طلبن من بروميثيوس بأصوات حزينة مختنقة أن ينبئهن بسبب غضب زيوس عليه ولأي شيء حق عليه عقابه .

ويتلو بروميثيوس أمره على الأوكيانيدات : لقد نصر زيوس في صراعه مع العمالقة كما أقنع أمه فيميدا وربّة الأرض العظيمة هيا بالوقوف الى صفه . فقهر زيوس العمالقة ونبذهم في أعماق التارتار المظلم حسب نصيحته فدانت له السيادة على الكون فتوزعها مع آلهة الأوليمب المحدثين ومنعها عن أولئك الذين شدوا أزره إذ كان يكرههم ويخشى قوتهم الجبارة . كما كان يكره بروميثيوس ولا يثق به . وزاد من كراهيته له أن بروميثيوس أخذ يساعد البشر المساكين الفانين الذين عاصروا سلطة كرون والذين كان زيوس يبغي إبادتهم ، فرق بروميثيوس لهم اذ كانوا بعد لم يدركوا مدارك الرشد فشق عليه أن يحشروا في مملكة هاديس تاعسين منكوبين ، فنفث في قلوبهم الآمال التي لم تكن معروفة من قبل وسرق من أجلهم النار المقدسة وهو يعرف شدة العقاب الذي يعرض نفسه له جرّاء ذلك . لكن شدة العقاب لم تثنه عن قراره في مساعدة البشر كما لم تفت في عضده تحذيرات أمه فيميدا العظيمة التي تنبأت له بما يترصده في المستقبل .

وأصغت الأوكيانيدات الى قصة بروميثيوس بهلع بالغ . وفجأة يظهر الشيخ العراف اوكيان عند حضيض الصخرة محمولاً على مركبته السريعة الأجنحة فيحاول إقناع بروميثيوس بالرضوخ لسلطان زيوس فليس بالمستطاع الوقوف في وجهه وهو الذي قهر تيفون . ويحزن الشيخ ويتألم للعذاب الذي يذوقه بروميثيوس

فيبدي استعداده للإنطلاق سريعاً الى جبل الأوليمب المشرق ليتوسل الى زيوس فيصفح عن العملاق المجيد، وهو يعرف أيضاً أنه بعمله هذا يوجب على نفسه غضب مرسل الصواعق لكنه يؤمن أن الأفئدة الغاضبة غالباً ما ترق لكلمة الدفاع الحكيمة . لكن عبثاً ما يرتئيه الشيخ فقد رد بروميثيوس عليه باباء وشمم :

ـ لا ، بل عليك نفسك ! انني أخشى أن تجر عليها الوبال باشفاقك علي . وسأتجرع كأس العذاب الذي أرسله الي القدر حتى آخر قطرة فيه . أما أنت يا اوكيان فاحذر أن تثير غضب زيوس بضراعتك من أجلي .

فيجيب اوكيان حزيناً مغموماً : ـ ايه ، أرى أنك بكلماتك هذه ترغمني على العودة صفر اليدين . ثق يا بروميثيوس ان ما من شيء دفعني الى القدوم اليك سوى حبي لك واهتمامي بمصيرك .

فيصيح بروميثيوس : ـ لا ! امض ! هيا ! هيا ! عد سريعاً من حيث أقبلت ودعني !

يمضي اوكيان كسير القلب فيعتلي مركبته المجنحة ويغيب في الفضاء . أما بروميثيوس فيتم قصته للأوكيانيدات ويروي لهم ما قام به في سبيل البشر وكيف أسدى لهم كل خير على الرغم من ارادة زيوس . لقد سرق لهم النار من القرن القائم في مصنع صديقه هيفست فوق جبل موسخ في ليمنوس كما علمهم مختلف الفنون وأعطاهم المعرفة وعلمهم الحساب والقراءة والكتابة ، كما هداهم الى معرفة المعادن وعلمهم اخراجها من باطن الأرض وكيفية الإفادة منها ، وروض الثور المتوحش من أجلهم ووضع النير في عنقه ليمكنهم من استخدامه في حراثة الحقول ، وشد الحصان الى العربة وسخره لمشيئة الإنسان . كما شاد السفينة الأولى بحكمته وجهزها بالعدة اللازمة وشد اليها شراعاً من الكتان لتحمل الإنسان سريعاً فوق أمواج البحر العريضة ، لم يكن الناس قبل ذلك يعرفون العقاقير فكانوا يجهلون العلاج من الأمراض ولا يملكون دفعاً لها فكشف لهم أسرار العقاقير لكي يتداووا بها من الأمراض . لقد علمهم كل ما من شأنه أن يخفف من شقاء حياتهم ويزيد من سعادتهم وأفراحهم وبهذا أثار حفيظة زيوس فأنزل عليه العقاب .

لكن آلام بروميثيوس لن تمتد الى الأبد ، فهو يعلم أن القدر الغاشم يترصد زيوس أيضاً بأشأم النوائب ، فليس له موئل مما كتب عليه . إن سلطته ليست أبدية ولا بد وأن يميل عن سرير عرش الأوليمب أما بروميثيوس ، العملاق الأعظم الذي يكشف ألغاز المستقبل فيعرف كيف يمكن لزيوس أن يتفادى قدره المحتوم ، لكنه لن يكشف له ذلك السر الخطير وتعجز أية قوة في الكون وأي صرف من صروف العذاب والألم أن ينتزع ذلك السر من فيه .

أتم بروميثيوس حديثه والاوكيانيدات مصغيات بدهشة بالغة الى قصته والى الحكمة العميقة والقوة الروحية الجبارة التي تثوي في أعماق ذلك العملاق الذي اجترأ على الوقوف في وجه زيوس مبدع الصواعق . وارتجفت قلوبهن ثانية اذ سمعن ما يهدد به كبير الآلهة فهن يعرفن أن شيئاً لن يوقف زيوس في سبيل معرفة السر . وتقف الأوكيانيدات ناظرات الى بروميثيوس بعيون غشيتها الدموع وتضطرب قلوبهن من ذلك القدر القاسي الذي لا يرد . ويخيم على الصخرة صمت ثقيل لا يمزق الا هدير البحر الخالد .

وفجأة تخترق صمت القفار الموحشة صرخة ألم وعذاب ثم تتضح شيئاً فشيئاً في بطن الأغوار البعيدة وتزداد اقتراباً من الصخرة . انها ايو ، ابنة اله النهر ايناخ أول ملك على ارغوليدا ، تلك الفتاة الشقية التي استحالت بقرة . لقد ضرجت بدنها عقصاب الذبابة الرهيبة المسلطة من قبل هيرا بالدماء ، وغطى فمها الزبد وهي في عدو هائج لا ينقطع . وتقف ايو أمام بروميثيوس المغلول كليلة منهكة البدن وتحدثه بما لقيته من أهوال وتضرع اليه مصعدة عميق الزفرات :

ـ أي بروميثيوس ! أضرع اليك أن تكشف لي حجب القدر وتنبئني بنهاية عذابي بعد كل ما لقيته من أهوال .

فيرد بروميثيوس : ايه ، ثقي بي يا ايو ! الاّ تعرفي ذلك خير لك من أن تعرفيه . فلا يزال عليك أن تطوفي بالكثير من البلدان وتلاقي مختلف صروف العذاب في طريقك . فطريقك الوعر المهول يمتد عبر بلاد السكيف وخلال جبال القوقاز الشاهقة المغطاة بالثلوج وعبر بلاد الأمازون حتى ينتهي الى خليج البوسفور الذي تقطعينه سباحةً ويسمى بهذا الاسم ذكرى لك من بعدك . ثم عليك بعد

ذلك أن تضربي طويلاً في آسيا وأن تمضي بجوار الأرض التي تسكنها الغرنمونات اللاتي تحف الأفاعي فوق رؤوسهن بدل الشعر فاحذريهن ، واحذري الجريفات والاريماسب-١- الوحيدي العيون ، اذ لا مناص لك من اللقاء بهم وأخيراً تبلغين الجبال البيبلية التي يستمد النيل منها مياهه المباركة ، وهناك فوق المكان الذي ينتهي فيه النيل الى البحر وعلى الأرض التي يرويها بمائه تنتهي آلامك وتهدئين الى سعادتك فيعيد زيوس اليك طلعتك السابقة وتلدين غلاماً تسمينه ايباف يسود على مصر ويؤسس سلالة الأبطال الميامين الذين يكون من بينهم ذلك الإنسان الفاني الذي يحرّرني من أغلالي . هذا ما أنباتني به أمي الكاهنة فيميدا عن مصيرك يا ايو .

فتصرخ ايو بصوت ثاقب :

ـ ويلاه ، كم من ويلات علي أن أعاني . إن قلبي ليتململ بين جوانحي رعباً ، فسينتابني الجنون من جديد ، ومن جديد تنغرس عقصات الذبابة المحرقة في جسدي الممزق وأحرم هبة الكلام . ويلاه .

وتبتعد عن الصخرة وهي تعدو كالممسوسة ومقلتاها المذعورتان تدوران في محجريهما ثم تغيب وكأن عاصفة مضت بها والذبابة الرهيبة تطن من فوقها وتغمس عقصاتها المحرقة في الجسد التاعس ثم تتلاشى نهنهات ايو شيئاً بعد شيء حتى تغدو شبيهة بزفرات الألم وقد طوتها الأبعاد .

يصمت بروميثيوس والأوكيانيدات حزناً على ايو التاعسة ثم يصرخ بروميثيوس بصوت طافح بالحقد :

ـ مهما نلت مني بعذابك يا زيوس فلا بد وأن يأتيك يوم تضمحل فيه وتنفذ فيك لعنة أبيك كرون فينتزع منك سلطانك وتنبذ في أغوار الظلمات ، فإن أحداً من الآلهة لا يعلم كيف لك أن تحول دون وقوع ما هو مقدّر عليك . لا يعلم ذلك أحد سواي . ها أنتذا تجلس الآن مطمئناً على عرشك فوق الأوليمب وتنثر

---

١ ـ الجريفات حيوانات اسطورية لها جسم الأسد وأجنحة النسور ورؤوسها ؛ كانت تقوم على حراسة مخازن الذهب في أقاصي الشمال الآسيوي . أما الاريماسب فهي قبيلة خرافية كانت تجاور الجريفات وتشن ضدها حروباً لا نهاية لها .

صواعقك ورعودك . لكنها جميعها لن تفيدك فكلها عاجزة اذ تحل ساعة قدرك المحتوم . وستدرك وقد طرحت في مملكة الموتى الفرق بين شمم السيادة وذل العبودية .

وبلغ الرعب بالأوكيانيدات مبلغه فغامت عيونهن وغاضت الحمرة من خدودهن الوردية فصرخت به رافعات إليه أذرعهن البيضاء كبياض الزَّبَد :

ـ أيها المعتوه ! كيف لا تخشى تهديد رب الأرباب والبشر ؟ آه يا بروميثيوس . انه لا بد مرسل اليك عذاباً أشد وأنكى ! فكر بمصيرك وأشفق على نفسك !

ـ إني مستعد لكل شيء .

ـ لكن الحكيم من يطاطىء رأسه للقدر المحتوم .

ـ ايه ، أنتن أجدر بطلب الضراعة والرحمة ! فاحبين على الركب أمام السيد القاهر ! أما أنا ، فمن يكون زيوس بالنسبة لي ؟ وما الذي يخيفني منه ؟ الموت غير مكتوب علي . وليقم زيوس بكل ما تسوله نفسه ، فليس طويلاً عهده بالسيادة على الآلهة .

وما أن يتم زيوس كلامه حتى ينحدر رسول الآلهة هرمز في الفضاء كشهاب انشقت عنه السماء ويقف أمام بروميثيوس كالحاً مكفهر الوجه . لقد أنفذه زيوس ليستخلص السر من بين شفتي العملاق ويفصح له عمن سيقوم بالإطاحة به وكيف يمنع عن نفسه المقدّر . ويتوعد هرمز بروميثيوس بشديد العقاب اذا هو ظل مصراً على الصمت ، فيرد العملاق الشديد عليه رابط الجأس ثابت الجنان :

ـ إن كنت تأمل أن تنال مني ولو كلمة واحدة فما أنت الا طفل غرير تسيّره حلوم الصبيان . انني لست مستعداً أن استبدل آلامي المبرحة بعبوديتي فأنني أفضل أن أبقى هنا مغلولاً الى هذه الصخرة على أن أكون خادماً طيعاً لزيوس الظالم . ليست هناك أية شدائد أو آلام يستطيع زيوس بواسطتها أن يخيفني أو ينال كلمة من فمي . لا ، لن يعرف زيوس كيف يتجنب نازلات القدر ولن يعرف من يزيحه عن عرشه .

فيجيب هرمز: تهيأ اذن لما سينزل بك إذا رفضت الاذعان. فزيوس سيرسل صاعقة من يده تطوّح بهذه الصخرة وبك من فوقها الى أغوار اللانهاية المظلمة وهناك تقيم في سجن حجري منيع على أشعة الشمس تتذوق مرارات عذابك قروناً طويلة متتالية. وبعد أن تمر أحقاب وأحقاب يرفعك زيوس من جديد الى النور، ولكن لا من أجل أن تسامر الأفراح والمسرات بل ليحلق فوق رأسك كل يوم نسر رهيب يرسله زيوس فيحط على صدرك ويمزق كبدك بمنقاره ومخالبه الحادة لتعود ثانية فتنمو من جديد ويزداد عذابك ضراوة كل يوم. وتظل معلقاً على هذه الصخرة الى أن يظهر مخلوق آخر يوافق على أن يفتديك بذهابه طواعية واختياراً الى مملكة هاديس الكالحة. أي بروميثيوس اليس من الخير لك أن تطأطىء رأسك أمام زيوس، فأنت تعلم انه اذا ما أراد شيئاً كان.

بقي العملاق بروميثيوس صامداً لا يلين، وهل ثمة شيء يمكنه أن يهز فؤاده! وارتجفت الأرض فجأة ومادت بما عليها: فتردد هزيم الرعود وأبرقت صاعقة بنور يخطف البصر وأعولت الأعاصير السوداء، وارتفعت الأمواج في البحر كالأعلام وترنحت الصخرة وارتفع صوت بروميثيوس عبر هدير الزلازل وزئير العواصف:

- اوه، يا لشدة الصدمة التي وجهها الي زيوس ليثير في قلبي الذعر. ايه أنت يا فيميدا يا أمي السامية المقام، وأنت أيها الأثير الذي تحمل الضوء للكون بأسره.

وخرت الصخرة الجبارة بصوت رهيب وهوى بروميثيوس معها الى أعماق الهاوية نحو الظلمات الأبدية[1].

وتوالت القرون ورفع زيوس العملاق ثانية من أعماق الظلام ولكن لا لينهي عذابه بل ليذيقه العذاب ألواناً. فهو يرقد من جديد فوق الصخرة الشاهقة منشور الذراعين تصلوه الشمس بسهامها المتلظية وتسوطه الأمطار بحبالها وتصفعه العواصف وحب الزمهرير وتتراكم فوقه الثلوج فتجمد أوصاله من القر. لكن هذا

---

١ - عند هذا تنتهي مأساة اسخيل «بروميثيوس المصفّد».

ليس الا اليسير ، فإن نسراً هائلاً يطير الى الصخرة كل يوم مصفقاً بجناحيه العظيمين فيحط على بروميثيوس ويمزق بمخالبه الحادة صدره ويميل على كبده وينهشه فتسيل الدماء جداول تضرج الصخرة وتجف عند أسفلها نجيعاً قائم اللون وتنتن تحت أشعة الشمس فتملأ الفضاء برائحة عفنة لا تطاق . ويحط النسر كل صباح ليكرر فعلته الدامية . ثم تندمل الجراح أثناء الليل وتنمو داخل بروميثيوس كبد جديدة لتغدو طعاماً جديداً للنسر في النهار . ويدوم ذلك العذاب أياماً وقروناً حتى تتلاشى حيلة العملاق وتخور قواه لكن ذلك لا يلين من قناته ولا ينال من كبريائه العنيدة .

لقد عقد العمالقة الصلح مع زيوس وبايعوه بالسلطة منذ زمن بعيد فأخرجهم من غياهب التارتار فهرعوا إلى بلاد السكيف في أقاصي الأرض ضخاماً جبابرة وبلغوا صخرة العملاق المجيد فأحاطوا بها وأخذوا يحاولون إقناعه بالإذعان لمشيئة زيوس وكانت بينهم أمه التي حاولت إقناع ابنها أن يلين وينجز ما أراده زيوس ، وصارت تضرع اليه أن يرحمها فقلبها يذوب حسرات وهي ترقب عذابه . أما زيوس فقد نسي حقده وغدا منيع الجانب نافذ السلطان لا يهاب شيئاً ولم يعد ذلك الظالم الغشوم ، فهو يحمي البلدان ويحفظ القوانين وينصر الحقيقة ويرعى البشر . لكن شيئاً واحداً لا يزال يقض مضجعه وهو السر الذي يعرفه بروميثيوس ولا أحد سواه . فهو مستعد أن يعفو عن العملاق الجبار اذا ما قام باطلاعه على السر الرهيب . واقترب اليوم الذي ينتهي فيه عذاب بروميثيوس فقد ولد ذلك البطل الأشم الذي قدر له أن يحرره من أغلاله . أما بروميثيوس فلا يزال صامداً لا يبوح بالسر لكنه بدأ يحس بنفاذ قواه .

وأخيراً جاء البطل المجيد الذي قدر له أن يخلص بروميثيوس . انه هرقل ، الاشد بأساً بين البشر ، من يضارع الآلهة بشدته لقد نظر بذعر شديد الى عذاب بروميثيوس وغمره احساس عميق بالاشفاق وحدثه العملاق بقسمته المريرة ومزق أمامه حجب المستقبل فتنبأ له بالمآثر المجيدة التي قدر له أن يأتيها . فأصغى هرقل إليه بأسى بالغ لكنه لم يشهد بعد كل ما يتعرض له بروميثيوس من آلام . وفجأة

سمع حفيف أجنحة هائلة من بعيد ـ انه النسر المحلق نحو وليمته الدامية . ها هو ذا يدور محلقاً في الفضاء متهيئاً للانقضاض على بروميثيوس لكن هرقل لم يسمح له باتمام فعلته فقد اختطف قوسه وأخذ من جعبته سهماً مصرَّداً انفذه في الفضاء داعياً ابولون ان يجعله صائباً . فأن وتر القوس أنيناً حاداً ومرق السهم كالبصر وسقط النسر صريعاً في البحر الهائج عند أسفل الصخرة . لقد أزفت ساعة الخلاص وانحدر الاله هرمز السريع من سماء الاوليمب الشاهق وأخذ يتودد الى بروميثيوس بكلامه المعسول ويعده بالخلاص الفوري ان هو قبل ان يكشف السرّ ، فقال العملاق الجبار :

ـ ليحذر زيوس الاقتران بفيتيدا ربة البحر التي لا يزال يتودد اليها فقد كشفت المويرات ، ربات المصير ما قسم لها ، ورأين أنها تنجب لزوجها ـ مهما سما في علو المرتبة والشأن ـ غلاماً يفوق أباه قوة وبأساً . فليعط الآلهة فيتيدا للبطل بيليوس لتكون زوجة له فيصبح ابن فيتيدا وبيلوس أعظم أبطال اليونان بين البشر الفانين . لقد كشف بروميثيوس السر الخطير فقطع هرقل أصفاده بهراوته المبززة وأخرج من صدره الحربة الفولاذية الثقيلة التي كانت تثبته الى الصخرة . ونهض العملاق وقد أصبح حراً لقد انتهت آلامه وتمت نبوءة أمه بأن واحداً من الفانين ينقذه . وهلل العمالقة لتحرر بروميثيوس بصيحات الفرح العظيمة .

ومنذ ذلك الحين لا يزال بروميثيوس يحمل حول معصمه حلقة حديدية علقت بها قطعة من تلك الصخرة التي قاسى فوقها آلامه المبرحة قروناً طويلة .

وقبل القنطور خيرون الحكيم ان يدخل مملكة الموتى الموحشة عوضاً عن بروميثيوس . وبهذا وضع حداً لآلام ذلك الجرح العميق الذي لا يندمل والذي سببه له هرقل غير عامد .

باندورا

غدت الحياة على الأرض أوفر متعة بعد أن سطا بروميثيوس على النار المقدسة وأعطاها للبشر وبعد أن علمهم الفنون والصنائع ووهبهم المعرفة . واستبد الغضب بزيوس لهذا فأنزل عقابه الشديد ببروميثيوس أما البشر فابتلاهم بالنوائب والمحن . فقد أوعز الى هيفست ـ اله الصناعة المجيد أن يجبل تراباً وماء ويصوغ منه فتاة بديعة الجمال وينفث فيها رشاقة الحركة وجمال الصوت ورقة النظرات كما اوعز الى ابنته اثينا ـ بالادا أن تحيك من أجلها أبهى الحلل وإلى أفروديتا ان تؤتيها اسمى درجات الفتنة والبهاء وإلى هرمز ان يهبها المكر والدهاء .

امتثل الآلهة لرغبة زيوس فجبل هيفست من التراب امرأة بديعة البهاء ونفخ الآلهة فيها الحياة والبستها أثينا والهاريات الحلل الزاهية زهاء الشمس وحلين جيدها بالاطواق الذهبية . ورصعت الاورات شعرها الأجعد الغزير باكليل من الزهور الفواحة العبير . وعقد هرمز لسانها على عبارات المكر والدهاء وسمى الآلهة صنيعتهم هذه باندورا[1] لأنها نالت هدايا جميع الآلهة . وكان عليها أن تحمل التعاسة الى بني البشر .

ولما فرغ الآلهة من اعداد هذه المصيبة لبني الأرض أمر زيوس الاله هرمز ان يحملها الى الارض ويقدمها الى ابيميثيوس الغرير الذي طالما نهاه أخوه عن قبول هدايا زيوس مرسل الصواعق فقد كان يخشى ان تجر هداياه الوبال على الأرض . لكن ابيميثيوس لم يصغ الى نصيحة أخيه فقد أسرته باندورا بجمالها وفتنتها فعلق بها وتزوجها ولم يمض الا



ابيميثيوس وباندورا (رسم على مزهرية)

١ ـ باندورا تعني حاملة جميع الهبات .

القليل حتى أدرك الوبال الذي جاءت به الى بني البشر .

كان لايبيميثيـوس في منزله إناء كبير الحجم محكم الغطاء ، لا يعلم أحد ما يحتويه . كما أن احداً لم يقدم يوماً على فتحه اذ كان معلوماً ان فتحه ينذر الكون كله بشر مستطير . لكن الفضول كان أقوى من باندورا ففتحت الغطاء سراً وإذا بالشرور التي كانت محبوسة في داخله تطير وتنتشر على الأرض فلم يتبق بداخله الاّ الأمل ، اذ أعادت باندورا الغطاء قبل أن ينجح الأمل في الخروج ، وهكذا بقي الأمل في بيت ايبيميثيوس ولم يكن زيوس راغباً في ذلك .

هانئة كانت حياة البشر في الماضي ، فما كانوا يعرفون المحن ولا المصائب ولا عناء العمل ولا فاتكات الأمراض . اما بعد ذلك فقد انتشرت اسراب المحن بين البشر وامتلأت الأرض والبحار بالشرور . فالمصائب والأتراح تنزل بالبشر في الليل وفي النهار ومن غير دعوة وتحمل اليهم صروف العذاب والألم ، وهي تسير بكماء صماء الخطى فقد منعها زيوس هبة الكلام فجميعها خرساء الكلام واللسان .

اياكوس[1]

عن منظومة اوفيد «ميتا مارفوز»

خطف زيوس ابنة اله البحر آسوب الفاتنة وحملها الى جزيرة أوينوبيا التي صارت تسمى منذ ذلك الحين باسم ايجينا ، ابنة آسوب ، وعلى تلك الجزيرة ولد اياكوس ابن زيوس وايجينا ، الذي اشتهر ، بعد ان كبر وترعرع وصار ملكاً على الجزيرة بنصرته للحق وغيرته على العدالة والصدق ، حتى لم يماثله في ذلك أحد في بلاد اليونان . فكان آلهة الاوليمب أنفسهم يكنون له الاحترام ويحتكمون اليه في كثير من الأحيان . وشاءت آلهة الاوليمب فأصبح اياكوس بعد موته قاضياً في المملكة السفلى الى جانب رادامانت ومينوس .

وكانت هيرا الوحيدة التي تمقت اياكوس فرمت جزيرته بكارثة فاجعة اذ لفتها بضباب كثيف ظل مخيماً عليها اربعة أشهر بكاملها حتى ذهبت به ريح الجنوب التي زادت الكارثة عنفاً إذ كانت أنفاسها تحمل الموت الزؤام كما فرّخ الضباب القاتل في الجزيرة اعداداً لا تحصى من الأفاعي السامة التي ملأت البرك والينابيع والجداول وقتلت كل ذي نسمة وحياة . وانتشر الطاعون في الجزيرة ففتك بكل حي فوقها حتى لم يبق فيها الا اياكوس وأبناؤه ، فرفع اياكوس يديه الى السماء في مرارة اليأس والقنوط وصاح :

ـ أي زيوس المجيد ، يا حامل الترس الأعظم ، إذا كنت حقاً زوج ايجينا

---

١ ـ ما يثير الانتباه في اسطورة اياكوس ـ وضوح آثار التوتمية فيها ، فهي تحدثنا عن عودة قبيلة المرميدون بأصلها إلى النمل ، والاعتقاد بامكّانية عودة البشر بأصولهم الى الحيوان ـ واحد من خصائص الديانات البدائية التوتمية .

وكنت أبي من غير شك وإذا كنت لا تشعر بالخجل من ذريتك فأعد الي شعبي أو فالحقني به إلى ظلمة القبور .

لمع البرق ، وتردد هزيم الرعود في السماء الصافية من الغيوم ففهم اياكوس ان ضراعته قد قبلت اذ كانت تلك اشارة من زيوس . وكانت الأرض التي اتجه اياكوس فوقها برجائه الى زيوس تحمل بلوطة هائلة كانت نذراً لمرسل الصواعق. وكان في أسفل جذعها بيت للنمل . ووقع نظر اياكوس عن غير عمد على ذلك البيت الذي يضم آلافاً من النمل النشيطة المنصرفة إلى بناء بيتها وأطال فيها النظر وهتف :

ـ ايه يا زيوس الرؤوم . هبني من المواطنين النشطاء عدد ما في هذا البيت من النمل .

وما أتم اياكوس كلامه حتى اهتزت أغصان البلوطة الجبارة دون أن تهب نسمة من الهواء ، وكانت تلك دلالة أخرى من زيوس لاياتوس .

ولما أقبل الليل رأى أياكوس في نومه حلماً غريباً ، فشهد البلوطة المقدسة وقد غطت أغصانها أعداداً هائلةمن النمل وتمايلت أغصانها فتناثرت عنهاآلاف النمل التي كانت تزداد عدداً بتساقطها عن أغصان الشجرة ثم رآها تمتثل واقفة على أطرافها ويزول لونها القاتم وهزالها وتستحيل شيئاً فشيئاً إلى بشر . فأفاق غير مصدق ما رآه بل وكدراً من الآلهة الذين يضنون عليه بالمساعدة وفجأة سمع لغطاً وجلبة وبلغت مسامعه أصوات خطى وهتافات بشرية لم يسمعها منذ زمن بعيد فحسب انه لايزال في حلمه ، ولكنه فوجىء بابنه تيلامون وقد جرى نحوه وألقى بنفسه عليه صائحاً :

ـ ابتي ، اخرج بسرعة وسترى المعجزة التي لم تكن تتوقعها !

خرج اياكوس من حجرته ورأى الناس الذين شاهدهم في نومه أحياء يتحركون . ونصّب اولئك الناس الذين كانوا نملاً في الماضي أياكوس ملكاً عليهم فسماهم بالمرميدون[1] وبذلك عمرت ايجينا من جديد .

---

١ ـ من كلمة ميرميكس ـ النملة .

الدانائيدات

في الأصل عن مسرحية اسخيل « الضارعات »

كان لايباف ، ابن زيوس وايو ، غلام اسمه بيلوس وكان لبيلوس هذا ولدان هما دانايس ويچيبتوس فكان يچيبتوس يبسط سيطرته على البلاد التي يرويها النيل والتي سميت باسمه ، وكان دانايس ملكاً على ليبيا . وقد منحت الآلهة يچيبتوس خمسين ولداً ودانايس خمسين ابنة فاتنة الجمال . فأحب أبناء يچيبتوس الدانائيدات ، بنات دانايس وطلبوا الزواج منهن لكنهم قوبلوا برفض البنات وأبيهن . فحشد الشبان الخمسون جيشاً كثيفاً وزحفوا لقتال عمهم فهزموه ففر أمامهم وخسر مملكته . وساعدته الالهة أثينا ـ بالادا فبنى أول سفينة تحمل خمسين مجزافاً وخرج عليها مع بناته الى أرجاء البحر الواسع الخالد الهدير .

سارت السفينة طويلاً في عرض البحر حتى وصلت جزيرة رودوس فنزل دانايس الى الشاطىء مع بناته وبنى لحاميته الالهة أثينا مذبحاً فوق الجزيرة خشية ان يلحق به أبناء أخيه فركب وبناته خضم البحر من جديد متجهين إلى شواطىء اليونان آملين ان يبلغوا ارغوليدا[1]، موطن جدتهم ايو . وسارت السفينة طويلاً في عرض البحر تحميها رعاية زيوس وصارت الأمواج تتلاعب بها صعوداً وهبوطاً حتى وصلت شواطىء آرغوليدا الخصيبة بعد كثير من الأهوال وطويل من الزمن . وكان دانايس وبناته يأملون في أن يجدوا فوق هذه الأرض موئلاً لهم وملاذاً من ذلك الزواج المقيت بأبناء يچيبتوس .

خرجت الدانائيدات الى الشاطىء طالبات الغوث حاملات بأيدين أغصان الزيتون . كان الشاطىء خاوياً لاحياة فيه ، ثم بدت لهن سحابة من الغبار في مكان بعيد وأخذت تدنو منهن بسرعة ولاحت في طياتها التروس والخوذات والرماح اللامعة وسمع صليل مركبات القتال ، وانقشعت السحابة أخيراً عن فرقة

١ ـ مقاطعة في الشمال الشرقي من جبال البليوبونيز .

بيلاسيج ، ملك ارغوليدا وابن باليختون وقد حضر الى الشاطىء بفرقته بعد ان سمع بقدوم السفينة ، لكن لم يلق عدوا يقارعه السلاح بل وجد أمامه الشيخ دانايس وبناته الفاتنات اللاتي استقبلنه بأغصان الزيتون وبسطن أذرعهن طالبات منه الغوث والعبرات تتساقط من عيونهن وضرعن إليه أن ينصرهن على أبناء يچيبتوس المتغطرسين ، وأشهدن عليه اسم زيوس نصير الضعفاء الذين يطلبون الرّحمة الاّ يسلمهن للاعداء فهن لسن غريبات في آرغوليدا ـ أرض جدتهن ايو .

حار بيلاسيج فيما يفعله فهو يخشى الاشتباك في حرب مع أبناء يچيبتوس ، وهو أشد خشية من زيوس اذا ما اخترق القوانين ومنع النجدة عمن جاء يستنجد به باسم مرسلِ الصواعق ، وأخيراً نصح الشيخَ دانايس أن يذهب بنفسه الى آرغوس وهناك يضع أغصان الزيتون على مذبح الآلهة رمزاً لطلب الغوث . أما هو فقرر أن يجمع شعبه ليطلب منه المشورة ، ووعد الدانايات ان يقوم بكل ما في وسعه لاقناع شعبه بأن يقدم لهن الحماية .

غاب بيلاسيج بينما مكثت الدانايات ينتظرن قرار الاجتماع الشعبي بخوف وحذر فهن يعرفن شدة ابناء يچيبتوس في القتال ويعرفن بطشهم عند



دانايا تحمل الاناء الذي تملأ به قدراً عديم القاع في مملكة آييد السفلى . (تمثال من القرن الرابع ق.م).

مثار النقع ويعلمن ما يتهددهن من خطر اذا ما وصلت مراكب المصريين الى شواطىء ارغوليدا . وماذا يفعلن اذا ما منعهن آل آرغوس العون وهن القاصرات اللاتي لايملكن لأنفسهن دفعاً . ما أقرب الكارثة ! لقد وصل رسول المصريين وامسك بيد احدى الدانايات وأمر عبيده ان يمسكوا بأخواتها . واذ ذاك ظهر الملك بيلاسيج وأعلن انه سيقوم بحماية الدانايات غير هياب ما يتوعد به الرسول من حرب ضروس .

وجرت حماية دانايس وبناته الوبال على بيلاسيج وعلى سكان مملكته فقد انهزم في المعركة الرهيبة وفر الى الشمال القاصي من بلاده . ونصب دانايس ملكاً على آرغوس لكنه أرغم على قبول تزويج بناته لابناء يجيبتوس ثمناً لايقاف القتال .

أقام أبناء يجيبتوس مآدب العرس الفاخرة للزواج من الدانايات غافلين عما يخبئه لهم ذلك الزواج . فقد انتهت الاحتفالات الصاخبة وصمتت الأناشيد وأطفئت المشاعل وغمر الليل آرغوس وخيم صمت عميق على المدينة الغارقة في أحضان الكرى . وفجأة شقت أحشاء الصمت صرخة الموت الحادة ، وأعقبتها صرخة ثانية فثالثة . يا لسوء ما جنته أيدي الدانايات ! لقد أمهلن أزواجهن حتى رقدوا ثم اغمدن في صدورهم الخناجر التي اعطاهن أبوهن . وهكذا هلك أبناء يجيبتوس على هذه الصورة الشنعاء ، ولم ينج من بينهم غير لينكوس الجميل الذي أشفقت عليه هيبرمنيسترا ، ابنة دانايس الصغرى التي لم تطاوعها يدها على قتل زوجها بالخنجر بل أيقظته وأخرجته سراً من القصر .

اكفهر وجه دانايس غضباً لما علم بعصيان ابنته فكبلها بالسلاسل ورماها في الحبس . واجتمع شيوخ آرغوس لمحاكمتها . فأراد دانايس أن يكون عقابها القتل لكن آلهة الحب الذهبية افروديتا ظهرت في قاعة المحكمة فحمت هيبرمنيسترا وأنقذتها من الموت فصارت الفتاة المحبّة التي عانت الكثير جرّاء حبها ، زوجة للينكوس وقد بارك الآلهة ذلك الزواج فانعموا على الزوجين بسلالة من الأبطال الميامين الذين يعود اليهم هرقل ، بطل اليونان الأعظم .



الدانايات في مملكة آييد السفلي يملأن القدر العديم القرار بالماء ، وقد ظهر الاله هرمز الى اليسار ، جالساً على صخرة (رسم نافر من القرن الأول ق.م.).

ولم يشأ زيوس ان تنال يد الهلاك بقية الدانايات فأصدر أمره الى أثينا وهرمز فطهراهن من اثم الدم الذي أرقنه . وأقام الملك داناييس الألعاب الرياضية على اسم آلهة الأوليمب وكان كل من الفائزين فيها ينال واحدة من الدانايات ويتخذها زوجة له .

لكن الدانايات لم يسلمن من القصاص على ما جنته أيديهن ، فقد حملن ذلك القصاص معهن الى مملكة هاديس . اذ قضي عليهن أن يملأن بالماء قدراً لا قعر له حتى اذا اوشك على الامتلاء انساب ماؤه فغدا فارغاً من جديد . وهكذا يعدن الى ملء الاناء من جديد تنساب مياهه فلا نهاية لعملهن .

مولد پيرسيوس[1]

عن منظومة أوڤيد « ميتامارفوز »



داناياي في الصيوان تحت الأرضي ، تتساقط عليها من الأعلى حبات المطر الذهبي (رسم على مزهرية).

١ ـ كان بيرسيوس واحداً من مشاهير الأبطال اليونان ، وردت عنه اساطير مختلفة كانت تروى لديهم بصورة مختلفة . والطريف ان قدماء اليونانيين قد رفعوا عدداً من أبطال هذه الاساطير الى السماء فنلتقي الآن بمجموعات نجوم باسماء بيرسيوس ، اندروميدا ، كاسييوبيا (أم أندروميدا) وكيفيوس (أبيها).

كان لأكريسيوس ، ملك آرغوس وحفيد لينكيوس ابنة اسمها دانايا اشتهرت بجمالها السماوي ، وقد تنبأ الكاهن لأبيها بأنه سيهلك على يد ابنها فخشي الملك قدره وبنى لابنته صيواناً في باطن الأرض وصفحه بالصخور والبرونز وحبسها فيه لكي لايمسّها رجل . لكن دانايا راقت في عيني زيوس ، مرسل العواصف فنفذ الى حجرتها العميقة في صورة مطر من ذهب ، وهناك اقترن بها فانجبت غلاماً اسمه بيرسيوس .

ولم يمكث الصغير طويلاً مع أمه تحت الأرض فقد بلغ مسامع اكريسيوس صوت الصبي وضحكه مرة فهبط الى ابنته ليستفسر منها سر ذلك ، وغمرته الدهشة اذ شاهد الطفل الفاتن الصغير وامتلأ بالخوف قلبه وأخذ يفكر بطريقة يتفادى بها قدره فأمر ببناء صندوق كبير من الخشب وأودع بداخله دانايا وابنها بيرسيوس ثم اوصد الصندوق وأمر بالقائه في اليم .

واحتضنت الأمواج المتلاطمة ذلك الصندوق وراحت تتلاعب به بين صعود وهبوط فترفعه تارة على أعناقها وطوراً تهبط به الى مستقر اللجة والهلاك يتهدد راكبيه كل لحظة إلى ان رمت به أخيراً الى شبكة صياد فوق جزيرة سيريف[1] كان يصيد السمك على شاطىء البحر . وبهت السماك لمرأى المرأة الراقدة في الصندوق تضم طفلاً ساحر المحيا فحملها الى أخيه بوليديكتيس ، ملك سيريف .

نشأ بيرسيوس في قصر بوليديكتيس وغدا شاباً قوياً جميل القوام ، فكان يتألق بين أقرانه بجماله الإلهي مثلما يتألق النجم في السماء ، فلم يكن ثمة من يماثله في الجمال أو القوة .

---

١ ـ واحدة من جزر كيلا في بحر ايجة .



أكريسيوس يضع دانايا وابنها بيرسيوس في الصندوق .

(رسم على مزهرية).

بيرسيوس يقتل الڤرغونة ميدوزا

أضمر بوليديكتيس في سره أن يتزوج من دانايا الفاتنة عنوة ، اما هي فكانت تمقته لفظاظته وظلمه فانبرى بيرسيوس للدفاع عن أمه فغضب بوليديكتيس وصار لايفكر الا بالخلاص منه فقرر إرساله ليحضر رأس القرغونة ميدوزا فدعاه اليه وخاطبه بقوله :

ـ اذا كنت ابن زيوس حقاً فجنانك ثبت لاتحركه الأهوال . هلم الى هذه المأثرة المجيدة وأثبت لي باحضارك رأس القرغونة ميدوزا أنك ابن من تزعم ، فاذا كنت حقاً من تدعيه فان أباك سيقف الى جانبك ولن يضن عليك بالنصر .

نظر بيرسيوس إلى مخاطبه بكبرياء وشمم وردّ قائلاً :

ـ حسناً ، سآتيك بما طلبت .

وانطلق البطل في طريقه البعيد . كان عليه أن يتجه غرباً حتى يصل آخر حدود الكون فيبلغ المملكة التي تجلس على عرشها الهة الليل نيوكت واله الموت تانات والتي تعيش فيها القرغونات اللاتي يغطي جسد كل منها درع لامع من الحراشيف القاسية كالفولاذ فما كان لغير سيف هرمز المقوس أن ينفذ منها ، وكانت لها اذرع نحاسية مهولة تنتهي بمخالب فولاذية حادة ، وتنمو على رؤوسها بدلاً من الشعر أفاع قتالة ترسل فحيحاً مروعاً ، وكانت سحنتها بشفاهها الحمراء كالنجيع وأنيابها الحادة كالخناجر وأعينها المتلظية بحمر الغضب تقطر حقداً وشراً وترمي الناظر اليها بذعر قاتل وتحيله عند أول نظرة حجراً صلخداً . وكانت القرغونات تنطلق مسرعة في الفضاء محمولة على أجنحتها الذهبية البراقة ، والويل لمن كانت تفاجئه في طريقها . لقد كانت تمزق جسده بأذرعها النحاسية وتمتص دماءه الحارة .

كان على بيرسيوس أن يقوم بعمل خارق ليس في طاقة البشر .

لكن آلهة الاوليمب ما كانت لتسلمه الى الموت وهو ابن زيوس الأمجد فهب هرمز وأثينا المحاربة لنصرته ، فقدمت أثينا اليه ترساً نحاسياً أخاذ البريق تعكس صفحته كل ما أمامها وقدم اليه هرمز سيفه القاطع المقوس الذي يفلق الفولاذ مثلما يفلق قطعة من الشمع الطري كما أرشده إلى السبيل المؤدية الى بلاد الڤرغون .



الڤرغونة ميدوزا

(رسم على مزهرية)

كانت الطريق تمتد بعيدة قاصية فطاف بيرسيوس في كثير من الأصقاع وشاهد كثيراً من الشعوب وأخيراً بلغ البلاد الموحشة التي تقطنها الجرايات، العجائز الثلاث اللاتي لهن معاً عين واحدة وسن واحدة ، فكل واحدة منهن تستخدم العين والسن لوحدها . فاذا ما أخذت العين ظلت أختاها عمياوين يسرن حسبما تقودهما البصيرة ، وإذا ما أخرجت عينها لتعطيها أختها التي حل دورها أمست الأخوات الثلاث عمياوات . وكانت الجرايات هذه حارسات طريق الڤرغون فلم يكن غيرهن من يعرف هذه الطريق . فاختبأ بيرسيوس في الظلمة وعمل بنصيحة هرمز فاختطف العين السحرية من احدى الاخوات بينما كانت تسلّمها أختها فصرخت الجرايات من شدة الذعر وقد غدون عمياوات معاً . ورحن يبتهلن الى بيرسيوس ويستحلفنه بأسماء جميع الآلهة أن يرد عينهن وأبدين استعدادهن لتنفيذ كل ما يطلبه إن هو ردّ إليهن كنزهن النفيس فطلب بيرسيوس إرشاده إلى طريق الڤرغون وترددت الجرايات طويلاً لكن لم يكن أمامهن سبيل آخر لرد بصرهن . وهكذا اهتدى بيرسيوس الى السبيل الذي يؤدي به الى جزيرة الڤرغون وانطلق مسرعاً في طريقه .

التقى بيرسيوس في طريقه بالجنيات اللاتي قدمن إليه ثلاث هدايا هي قبعة هاديس التي تحجب من يلبسها عن النظر ونعلين مجنحين يحملان صاحبهما في الفضاء وجعبة سحرية تتسع وتضيق تبعاً لحجم ما يوضع بداخلها . فانتعل بيرسيوس النعلين المجنحين واعتمر بقبعة هاديس ولبس الجعبة السحرية بكتفه وطار نحو الجزيرة المنشودة .

حلق البطل عالياً في الفضاء وانفسحت الأرض تحته بوديانها الخضراء التي تتلوى الأنهر الفضية في أحضانها ، وظهرت المدن تتألق في داخلها معابد الآلهة المرمرية ببياضها الناصع . وارتفعت الجبال المغمورة بخضرة الغابات فكانت قممها المغمورة بالثلوج تسطع تحت أشعة الشمس كالألماس . ومضى بيرسيوس مسرعاً وقد ارتفع في السماء الى علو لا ترقى اليه النسور القوية الأجنحة . وأخيراً انشقت صفحة الفضاء عن البحر الذي يتألق تألق الذهب السيّال فكان بيرسيوس يطير فوقه وهو لايكاد يسمع هدير أمواجه المتلاطمة . وأخيراً انطوت اليابسة فائما اتجه بناظريه انتهيا به الى منبسط الماء العريض ، ثم لاحت الجزيرة كخيط داكن يشق صدر الأفق الأزرق وأخذت ملامح الجزيرة تزداد وضوحاً . انها جزيرة القرغون . ويلمح بيرسيوس شيئاً يتألق في الأفق تحت أشعة الشمس بنور يذهب بالابصار فيتحول اليه ليهبط فوقه . ثم ينقض على الجزيرة كالعقاب فيلمح ثلاثاً من القرغونات الرهيبات راقدات فوق احدى الصخور الفولاذية وقد بسطن أذرعهن النحاسية واتقدت تحت الشمس حراشيفهن الفولاذية واجنحتهن الذهبية وسكنت فوق رؤوسهن الافاعي اذ كن راقدات . وأشاح بيرسيوس عنهن بسرعة فنظرة واحدة الى سحنتهن كافية لتحيله حجراً صلخداً . وأخذ بيرسيوس ترس أثينا ـ بالادا فانعكست فيه أطياف القرغونات كالمرآة ، فأية منهن ميدوزا يا ترى ؟ انهن جميعاً متشابهات لافرق بينهن وميدوزا بينهن الوحيدة التي ينالها الموت فلا يمكن قتل سواها ، وبينما هو واقف يفكر اذ دنا منه هرمز وأشار إليه وهمس في اذنه قائلاً :

ـ بيرسيوس ، هيا ! ترجل بجرأة على الأرض . إن ميدوزا هي المستلقية على الطرف المجاور للبحر فتقدم واقطع رأسها وإياك أن تنظر اليها فنظرة واحدة توردك الموت ! أسرع قبل ان تستيقظ الغرغونات .

وانقض بيرسيوس على ميدوزا مثلما ينقض العقاب على الطريدة التي اختارها لنفسه . انه ينظر الى الترس الوضاء ليسدد ضربته فلا تحيد . وأحست الأفاعي على رأس الغرغونة بالعدو الداهم فانتفضن وأرسلن فحيحهن الرهيب وتحركت ميدوزا في نومها وفتحت عينيها . وفي تلك اللحظة لمع السيف القاطع كالبرق وبضربة واحدة كان رأس ميدوزا مفصولاً عن بدنها فسالت دماؤها العكرة كالسيل وخرج من جسدها ومن دمائها الحصان المجنح بيجاس والجبار خريساوور فاندفعا نحو السماء . واختطف بيرسيوس رأس ميدوزا وأخفاه في جعبته بينما راحت الجثة تتخبط فوق الصخرة وترتجف رجفة الموت الى أن هوت في البحر ، فانتبهت اختاها ستينا ويوريبالا لصوت سقوطها واندفعتا طائرتين تضربان باجنحتهما الهائلة فوق الجزيرة وأخذتا تدوران بنظرات تقدح الشرر . ولكن لم يبق ثمة أثر لقاتل اختهما فلم يلمحا أحداً فوق الجزيرة أو فوق البحر . أما بيرسيوس فقد اعتمر قبعة الخفاء وانطلق مسرعاً فوق البحر الهائج حتى غدا يطير فوق رمال ليبيا ودماء ميدوزا تنساب من جعبته فتقيل على الرمال حبات كبيرة فتخرج منها أفاعي الصحارى التي جعلت كل حي يفر من وجهها حتى أحالت ليبيا صحراء بلقعا .

بيرسيوس وأطلس

وانطلق بيرسيوس مبتعداً عن جزيرة الغرغون ، وما زال يمخر عباب الفضاء كسحابة تطاردها رياح عاتية حتى أدرك البلاد التي يحكمها الجبار اطلس ابن الجبار يابيت ، أخ بروميثيوس . كانت تلك البلاد غنية معطاء تعيش في مراعيها الخصيبة آلاف من قطعان الضأن الدقيقة الأصواف ومن الثيران المعقوفة القرون وتزدان سهولها بالجنان الوارفة التي تتوسطها شجرة ذهبية الأغصان والورق والثمرات .

وكان أطلس يحافظ على هذه الشجرة حفاظه على مقلة عينه فقد كانت أثمن ما لديه من كنوز . وقد أنبأته الأهلة فيميدا ان ابن زيوس سيجيء اليه ويسرق ثمار شجرته الذهبية فكان يخشى حلول ذلك اليوم ولذلك أحاط البستان الذي تقوم فيه الشجرة بسور عال وأقام على مدخله تنيناً ينفث اللهب وحرم على الغرباءدخول أراضيه خشية أن يكون ابن زيوس من بينهم .



أطلس يحمل القبة السماوية التي صوّرت على هيئة كرة . (تمثال من القرن الأول ق . م .)

هبط بيرسيوس بصندليه المجنحين ، وتقدم من أطلس بتحيته الرقيقة :

ـ أي أطلس المجيد ، أرجو أن تقبلني ضيفاً في منزلك فانا بان زيوس الذي صرع الغرغونة ميدوزا فاسمح لي أن استريح في منزلك مما نالني من عناء .

انبعثت نبوءة فيميدا في خاطر أطلس عندما عرف ان بيرسيوس هو ابن زيوس فرد عليه بجفاء وقسوة :

ـ اغرب من هنا ! ولن يفيدك ادعاؤك بما لم تقم به ولا انتسابك الى من هو ليس بأبيك .

وهم أن يقذف ببيرسيوس خارج باب منزله ، لكن الشاب انصرف من تلقاء نفسه وقد أدرك عجزه عن التصدي لذلك الجبار الشديد . وغضب ابن زيوس أشد الغضب لأن أطلس لم يكتف بمنعه المأوى فحسب بل ونعته فوق ذلك بالكذب فقال له وسورة الغضب تملك عليه جوانحه :

ـ حسناً ، ها انت ذا تطردني من بيتك . ولكن تقبل مني هذه الهدية على الأقل !

واختطف هامة الغولة ميدوزا من جعبته وعرضها أمام عيني أطلس بعد أن أشاح بوجهه عنها فاستحال الجبار طوداً شامخاً على التو ، واستحالت لحيته وشعره غابات متعانقة الأوراق كما استحالت يداه ورجلاه صخوراً هائلة ورأسه قلة جبل تصل الى السماء . فصار منذ ذلك اليوم يرفع القبة السماوية بكل ما فيها من نجوم .

ولما تألقت نجمة الصبح في السماء خرج بيرسيوس ليواصل طريقه .

بيرسيوس ينقذ اندروميدا

طوى بيرسيوس بلداناً كثيرة قبل ان يصل مملكة كيفيا الواقعة في اثيوبيا[1] على شاطىء المحيط اوكيان . وهناك لقي اندروميدا الفاتنة ، ابنة الملك كيفيوس وقد غلّت الى احدى صخور الشاطىء الملامس للبحر لتكفر عن خطيئة أمها كاسيوبيا التي كانت شديدة الاعتداد بجمالها فأعلنت أنها أجمل من في الكون وبذلك أغضبت عرائس البحر فمضين إلى اله البحار بوسيدون وتوسلن اليه ان يقتص من كيفيوس وكاسيوبيا . فامتثل الاله لرغبتهن وأرسل الى الملكين وحشاً في صورة سمكة هائلة الحجم خرجت من لجة البحر وصارت تلقف كل ما في مملكة كيفيا فتصاعدت الآهات والزفرات في المملكة الواسعة مما جعل الملك يمضي الى معبد آمون[2] ويسأل عن طريقة يتخلص بها من تلك المحنة فكان جواب الكاهن :

ـ قدم ابنتك ضحية للوحش البحري ليفترسها فينقشع بذلك غضب بوسيدون .

ولما سمع الشعب جواب الكاهن أرغم الملك على تقييد ابنته الى صخرة بجوار البحر ، فوقفت الفتاة عند أسفل الصخرة مكبلة بالسلاسل الثقيلة بيضاء من شدة الخوف ترصد البحر بعينين يفيض منهما الرعب وهي في كل لحظة تتوقع ان يخرج الوحش البحري ليلتهمها. وانهمرت الدموع من مقلتيها وتمزق قلبها هلعاً وهي تنتظر توديع الحياة في أوج نضرتها وقبل ان يلمس روحها شعاع من مباهج الحياة. ولمحها بيرسيوس آنذاك فكاد أن يحسبها تمثالاً بديعاً من المرمر

---

١ ـ كان اليونانيون يتصورون هذه البلاد واقعة في أقاصي جنوب الأرض ، ثم أخذوا يطلقون اسم « اثيوبيا » على جميع الأراضي الواقعة جنوبي مصر وجاراهم الرومان في ذلك .

٢ ـ كان هذا المعبد يقوم في صحراء ليبيا غربي مصر .

الباروسي الأبيض لولا أن عبثت بشعرها أنسام البحر وانهمرت من عينيها الدموع الكبيرة ، ونظر الفتى الى الصبيّة باعجاب شديد وأحس بقلبه يتجه نحوها حباً وغراماً فانحدر نحوها مسرعاً وخاطبها بقوله :

- ايه ، ايتها الصبية الفاتنة ، اخبريني ، لمن هذه البلاد وأخبريني ما اسمها ؟ وما الذي جنيت حتى قيدوك الى هذه الصخرة .



بيرسيوس ينقذ أندروميدا من الوحش البحري .

إلى اليسار من أندروميدا يظهر أبوها وتظهر أمها الى اليمين .

(رسم على مزهرية).

اخبرته اندورميدا بأي ذنب أُخذت فقد ساءها ان يظن انه قد جيء بها لتكفر عن خطيئة ارتكبتها . وما كادت الفتاة تتم كلامها حتى انشق صدر الماء وبرز من بين أمواجه وحش هائل الحجم رفع رأسه عالياً وفغر شدقه الرهيب فأطلقت اندروميدا صرخة رعب عالية فهرع أبواها الى الشاطىء وقد طارت نفساهما شعاعاً من شدة الحزن وأخذا يضمان ابنتهما والدموع تتسابق على خديهما .

هتف بيرسيوس ابن زيوس قائلاً :

ـ سيكون لكما من الوقت ما يكفيكما لذرف الدموع ، أما الآن فالوقت يهيب بنا للعمل . إنني بيرسيوس ، ابن زيوس ، وسأنقذ ابنتكما اذا ما وعدتماني باعطائها لي زوجة .

وافق الأبوان بفرحة شديدة اذ كانا مستعدين للتضحية بأي شيء لقاء خلاص ابنتهما ، فوعد الملك بيرسيوس بالتنازل له عن سرير الملك ان هو انقذ ابنته ، واقترب الوحش وراح يصد عباب الموج بصدره العريض كسفينة تنطلق فوق المياه مسرعة بفضل المجاذيف التي تحركها أذرع فتية . وارتفع بيرسيوس في الفضاء وقد أصبح الوحش على مرمى القوس منه فانقض عليه من عليائه وانفذ سيفه المعقوف عميقاً في ظهره فانتفض الوحش عالياً في الفضاء وراح يتخبط في البحر كخنزير بري أحاطت به ثلة من الكلاب وهي تهر هريراً شديداً ، وصار يغوص تارة الى أعماق البحر وطوراً يطفو على سطحه بينما راح ذيله يصفع الماء بقوة جنونية فارتفعت الأمواج عالية حتى لامست قمم الصخور المجاورة . وغطى الزبد وجه البحر وهجم الوحش على البطل فاغراً شدقه لكن بيرسيوس حلق في السماء كالطائر محمولاً على صندليه المجنحين ، وانهال على الوحش بطعناته فصارت الدماء تتدفق من شدقه لتختلط بالمياه حتى اصيب بيرسيوس بالبلل وكاد جناحاه أن يهبطا به وقد نالهما البلل ولذلك اتجه نحو الصخرة البارزة من الماء وأحاطها بيده اليسرى وأنفذ في صدر الوحش العريض طعنات ثلاثاً ، وانتهت المعركة الرهيبة ، فترددت صيحات الفرح فوق الشاطىء وهتف الجميع بتمجيد البطل الأعظم ، وحلت أغلال اندورميدا الفاتنة فسار بيرسيوس بها الى قصر أبيها فرحاً مزهواً بانتصاره .

عرس بيرسيوس

قدم بيرسيوس أثمن القرابين إلى أبيه زيوس وإلى أثينا ـ بالادا وهرمز ثم بدأ حفلة العرس الفاخرة البهيجة في قصر كيفيوس وكاسيوبيا فأوقد هيميني وأيروت المشاعل الشذية الرائحة وازدانت أرجاء القصر بالزهور والرياحين وتعالت ألحان القيثارات وترددت أغاني الجوقات المنشدة وفتحت أبواب القصر على مصاريعها وتلألأت قاعات المأدبة بالذهب فقد كان الملكان يحتفلان بفرحة العريسين وكان الشعب بأسره يشاركهما الأفراح . وكان بيرسيوس يقص على الوافدين أخبار مآثره التي قام بها عندما قعقعت الأسلحة على مدخل القصر ودوت في أرجائه صرخة الحرب الرهيبة شبيهة بهدير البحر عندما ترتطم أمواجه العالية الزعانف بالشاطىء الصخري الشاهق وقد دفعتها رياح قوية ساقية . لقد كان ذلك فينيوس ، خطيب اندروميدا وقد دخل القصر على رأس فرقة كبيرة من جيشه .

وصاح فينيوس وقد أصبح داخل القصر وأشهر حسامه :

ـ الويل لك يا خطاف العرائس . لن يحميك من سيفي نعلاك المجنحان ولا زيوس مرسل الصواعق .

وهجم على بيرسيوس وهم أن يغمد السيف في صدره لكن كيفيوس أوقفه وخاطبه بقوله :

ـ ماذا دهاك ، وما الذي أثار فيك هذا الجنون ؟ أبهذا تكرم بيرسيوس جزاء ما قام به ؟ أم ان هذه هدية عرسه ؟ ما بك ؟ أتحسب أن بيرسيوس سلبك فتاتك ! لا ، لقد سلبت منك عندما اقتيدت لتغل الى الصخرة ويقضي عليها بالهلاك . ما الذي أخرّك عن الخروج لانقاذها آنذاك ؟ ام انك تطمح الآن الى انتزاع ثمرة النصر من يد المنتصر ؟ لماذا لم تكن أنت من هب لانقاذ ابنتي وتخليصها من براثن الوحش عندما كانت مغلولة الى الصخرة ؟

لم يحرّك فينيوس ساكناً بل راح ينقل نظراته الهائجة في وجه كيفيوس تارة وطوراً في وجه ابن زيوس الجميل ، وفجأة سدد الى صدر بيرسيوس طعنة اودعها كل قوته وعزمه لكن الطعنة حادت عن هدفها فانغرس الرمح في مسند المقعد الذي كان يجلس عليه البطل فهب عنه واقفاً وامتشق حسامه ولوح به وردّ على غريمه بطعنة جبارة كادت ان توردة التلف لولا انه استتر منها بالمذبح فنالت الطعنة رأس ريتوس البطل فخر على الأرض يتخبط في دمائه . واشتبكت المعركةِ الدامية فهبت اثينا المحاربة من جبل الأوليمب مسرعة لنصرة أخيها فغمرته بترسها ونفخت فيه عزيمة لاترد فاندفع الى المعركة شاهراً سيفه الماضي الذي جندل القرغونة بحدّه وتساقط رفاق فينيوس صرعى يلحق بعضهم ببعض فارتفعت أمامه كومة من الجثث المضرجة بالدماء . واختطف البطل الدنّ البرونزي الهائل الذي تصفق فيه خمور المأدبة فقذف به رأس يوريتوس البطل فخر هذا على الأرض وكأن عاصفة انقضت عليه فطارت روحه الى مملكة الأشباح ، وتطارح الأبطال صرعى لكنهم كانوا كثرة وكان بيرسيوس وحيداً وغريباً في تلك الأقاليم ليس له من الأنصار الا قلة قليلة فكان عليه لوحده أن يجابه ذلك الجيش ، وهكذا سقط الكثيرون من أنصار كيفيوس وخر فيها المغني الذي كان يطرب الآدبين بغنائه الشجي وهو يعزف على قيثارته الذهبية الأوتار . وقد لامست أنامله عند سقوطه أوتار القيثارة فأنت أنيناً حزيناً يحاكي زفرة الموت ، لكن صليل السيوف وأنين الاحتضار غطيا على ألحانها . وتطايرت السهام كزمهرير تطارده الرياح واعتمد بيرسيوس على أحد التماثيل يحميه ترس أثينا البراق وراح يقارع الاعداء الذين طوقوه من كل جانب وألحوا بأسلحتهم عليه . وأدرك ابن دانايا ، وقد رأى وجه المنية محدقاً به ، ما يجب عليه عمله فقال :

ـ لقد الجأتموني الى أن أطلب العون من غريمي الذي جندلته بيدي . فليشح بوجهه كل من هو صديق لي .

وبسرعة اختطف رأس القرغونة ميدوزا من جعبته السحرية ولوح به عالياً فوق رأسه فاستحال اعداؤه تماثيل فتحجر بعضهم مشهراً حسامه ليطعن خصمه

وبعضهم ممتشقاً سنانه الحاد وآخرون مستترين بالتروس ، فقد كانت نظرة واحدة الى ميدوزا كافية لتحيلهم أحجاراً صماء . فامتلأت قاعة الاحتفال بالتماثيل المقطبة وتمزق قلب فينيوس وهو يرى أنصاره يتحولون صخوراً فركع على ركبتيه ورفع ذراعيه وابتهل الى بيرسيوس بقوله :

- أي بيرسيوس ، لقد انتصرت علي ! اضرع اليك أن تخفي هذه الهامة الرهيبة عن عيني . اي ابن زيوس المجيد ، خذ لنفسك ما تريد وتصرف حسبما تهوى ومن عليّ فقط بالحياة .

فرد بيرسيوس عليه ضاحكاً :

- لاتخش ايها الرعديد ، فاني لن اقتلك بسيقي وسأمنحك هبة أبدية للخلود ، اذ سأجعلك تقف هنا مخلّداً في قصر كيفيوس لتروح زوجتي عن نفسها بمرآك .

ومده يده نحو فينيوس وهي تحمل الهامة المخيفة فوقع نظر الشقي عليها برغم محاولاته تفاديها فاستحال على التو تمثالاً يقف كالعبد راكعاً أمام بيرسيوس وقد تحجر واحتفظت عيناه والى الابد بتعبير الرعب والتوسل الضارع .

عودة بيرسيوس إلى سيريف

لم يطل بيرسيوس المكث طويلاً في مملكة كيفيا بعد تلك المعركة الطاحنة فقد عاد الى الملك بوليديكتيس برفقة زوجته لكنه لقي أمه دانايا أسيرة حزن عظيم فقد التجأت الى معبد زيوس هرباً من بوليديكتيس وما كانت لتجرؤ على الابتعاد عن المعبد خطوة واحدة . فولج بيرسيوس غاضباً قصر بوليديكتيس فلقيه وأصحابه يلهون وقد أقاموا مأدبة فاخرة ولم يتوقعوا عودة البطل فقد كان بوليديكتيس على ثقة أنه ملاق حتفه في صراعه مع القرغونة . ودهش ملك سيريف وقد رأى بيرسيوس ماثلاً أمامه ليخاطبه بقوله :

ـ لقد أنجزت ما عهدت به إلي واحضرت لك هامة ميدوزا .

لم يصدق بوليديكيتس ان بيرسيوس قد قام بهذه العملية الجبارة فأخذ يسخر منه ونعته بالكذب وبأنه يطمح الى ان يسمو الى مصاف الآلهة . وسخر أصحاب الملك من البطل ونالوه بقارص الكلام ، فما كان منه ، وقد جاشت نفسه بالغضب والتهب رغبة في الرد على كل هذه الاهانات ، الا ان أخرج من جعبته رأس القرغونة وصاح وعيناه تقدحان بالشرر :

ـ اليك ببرهاني يا بوليديكتيس اذا كنت غير مصدق ما أقول .

نظر بوليديكتيس الى رأس القرغونة فاستحال حجراً على التو كما استحال جميع أصحابه صخوراً جامدة صماء .

بيرسيوس في آرغوس

أعطى بيرسيوس عرش سيريف لديكتيس . أخ بوليديكتيس الذي أنقده مرة وأمه : أما هو فاتجه الى آرغوس برفقة دانايا وأندروميدا . ولما سمع جده اكريسيوس بمقدمه تذكر نبوءة الكاهن فهرب الى ادريسا بعيداً في الشمال فأصبح بيرسيوس ملكاً في موطنه آرغوس ، فأعاد للجنيات قبعة هاديس والنعلين المجنحين والجعبة السحرية ، كماأعاد لهرمز سيفه القاطع . أما رأس ميدوزا فقدمه الى أثينا ـ بالادا التي شدته بدورها الى صدرها فوق درعها اللامع . وأخذ بيرسيوس يحكم آرغوس سعيداً هانئاً .

ولم ينج جده مما قسمه القدر فقد أقام بيرسيوس مرة مهرجاناً ضم رهطاً كبيراً من أبطال اليونان وكان الشيخ اكريسيوس بينهم . وأثناء إحدى المباريات رمى بيرسيوس بيده الجبارة قرصاً من البرونز فارتفع القرص الثقيل عالياً حتى أدرك الغيوم وهوى الى الأرض فنزل على رأس اكريسيوس بقوة فقتله . وبهذا تحققت نبوءة الكاهن . ودفن بيرسيوس جده وقد حزن عليه أبلغ الحزن وندم على انه صار قاتل جده عن غير عمد . ولم يشأ بعد ذلك أن يحكم مملكة الذي صرعه بيده فذهب الى تيرينف[1] وحكم هناك مدة طويلة . أما آرغوس فنصّب عليها نسيبه ميچابيث ملكاً .

---

١ ـ واحدة من أقدم مدن اليونان . كانت تقع في أرغوليدا .

سيزيف

عن « الياذة » هوميروس وعن « البطلات » لأوفيد

كان سيزيف ، ابن الاله ايول محرك الرياح ، مؤسساً لمدينة كورنيث التي سميت في العهود السابقة البعيدة باسم ايثيرا .

وما كانت أقاليم اليونان بجمعها تضم من يضاهي سيزيف في المكر والخبث والدهاء ، فقد تمكن بفضل دهائه ومكره ان يجمع لنفسه من الأموال ما لا يعد ولا يحصى حتى وصلت أنباء كنوزه في كورنيث الى مختلف الأمصار والأقاليم .

ولما نزل تانات ، اله الموت ، عليه ليقبض روحه ويهبط بها الى مملكة هاديس الموحشة كان هذا قد استعد لاستقباله فنجح في خداعه وتمكن من تصفيده بالسلاسل ، فلم يمت الناس بعد ذلك وانقطعت احتفالات التأبين والدفن عن الأرض وزالت القرابين التي تقدم لآلهة العالم السفلي واخترق النظام الذي أوجده زيوس على الأرض فأنفذ اله الحرب آريس العتي الى سيزيف فخلص تانات من قيوده وانتزع روح سيزيف وحملها الى مملكة أشباح الموتى .

لكن سيزيف التمس لنفسه مخرجاً حتى من ذلك المكان فقد أوصى زوجته الا تقوم بدفنه والاّ تقدم الأضاحي لآلهة المملكة السفلى . وأطاعت الزوجة فمكث هاديس وبيرسيفونا طويلاً ينتظران الأضاحي والقرابين من ذوي سيزيف دون جدوى . إذ ذاك اقترب سيزيف من اله الموتى وخاطبه بقوله :

ـ أي هاديس المجيد ، يا مالك أرواح الموتى ، يا من تضاهي زيوس بعظمتك ومجدك ! اطلق سراحي لأعود الى الأرض فآمر زوجتي بتقديم القرابين الثمينة من أجلك وأعود اليك من جديد .

وبهذا خدع الملك هاديس فأذن لسيزيف بالعودة الى الأرض ، لكن هذا لم يعد ثانية الى مملكة الأشباح بل بقي مقيماً في قصره الفاخر يصل المآدب بالمآدب ويحتفل بكونه الوحيد الذي تسنى له الخروج من العالم السفلي .

غضب هاديس فأرسل ملك الموت ثانية ليجيء بروح سيزيف ، فدخل تانات قصر الماكر الخداع الذي لم يعرف له مثيل بين الفانين واستل روحه وطار بها الى العالم السفلي لتقيم خالدة فيها أبد الدهر .

وهناك ، وفي طيات الظلمات الأبدية يتجرع سيزيف مرارات عقابه على ما أتاه على الأرض من خداع وخيانة وكذب ، فقد قضي عليه ان يرفع صخرة هائلة الحجم الى قمة جبل عال شديد الانحدار فيستجمع الشقي ما فيه من قوة ليرفعها ، ويتصبب العرق من جسمه كالمطر فيمضي بالصخرة نحو قمة الجبل وما أن يكاد يصل هدفه لينتهي الى خلاص ما هو فيه من آلام حتى تنقلب الصخرة من يده وتتدحرج نحو الاسفل محدثة جلبة شديدة ومغشاة بسحابة من الغبار .

ومن جديد يعود سيزيف ليرفع الصخرة لكنه لن يبلغ هدفه أبداً ولن يدرك نهايةً لعذابه .

بيلليروفون[1]

عن منظومة اوڤيد « ميتامارفوز » وعن أشعار پندار

كان لسيزيف ابن هو البطل غلافك ، وقد صار ملكاً على كورنيث بعد وفاة أبيه . وكان لغلافك ابن اسمه بيلليروفون وقد صار واحداً من أشهر أبطال اليونان ، وكان شاباً صبيح الوجه شديد البأس يضاهي الآلهة جمالاً وقوة ، وقد أحاقت به مصيبة كبيرة وكان لايزال فتىً اذ قتل احد مواطني مدينته غير عامد فاكره على الخروج من المدينة فاتجه الى برويتوس ، ملك تيرنيف الذي احتفى بمقدمه وطهره من اثم الدم الذي سفكه ، غير ان بيلليروفون لم يقم طويلاً في تيرنيف فقد وقعت أنتيّا ، زوجة برويتوس ، ذات الجمال الالهي ، في هواه وحاولت أغواءه بشتى الوسائل ، لكنه نبذ هواها فحنقت عليه وآلت على نفسها ان تورده موارد التلف فذهبت الى زوجها وخاطبته بقولها :

ـ أيها الملك ، عليك ان تقتل بيلليروفون لانه يدنس بالعار منزلك فهو لايزال يراودني عن نفسي وكأنه بهذا يرد لك جزاء ما صنعته من أجله .

غضب برويتوس غضباً شديداً ، لكنه ما كان ليجرؤ على أن يرفع يده على ضيفه فقد كان يخشى عقاب زيوس الذي أوصى باكرام الضيف ، ففكر طويلاً بطريقة يحقق بها انتقامه وقرر أخيراً أن يبعث بيلليروفون برسالة الى يوپاتيبس ، اب أنتيا ، ملك ليكيا[2] ، فكتب اليه في رسالته التي خطها على لوح مزدوج بان

---

(١) ثمة كثير من الدلائل التي تشير إلى أن بيلليروفون كان اله شمس محلي يقطع السماء على حصانه المجنح ويصرع بنباله الغولة خيميرا التي تمثل العواصف والهزات الأرضية وقوى البراكين . ونلتقي لدى كثير من الشعوب بالاساطير التي تتحدث عن أبطال مشابهين لهذا البطل اليوناني .

(٢) مقاطعة في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى .

بيلليروفون قد ألحق به أشنأ العار وان عليه أن يقتص منه لهذه الإهانة . فحمل الشاب الرسالة غير مقدر ما تحمله في طياتها من خطر .

وصل البطل الى ليكيا بعد مسير طويل فاستقبله يوباتيس بحفاوة بالغة واقام المآدب على شرفه مدة أيام تسعة وسأله بعدها عن سبب مقدمه فناوله بيلليروفون الرسالة بهدوء وطمأنينة . ولما قرأها الملك اضطرب أشد الاضطراب فقد كان يصعب عليه ان يقتل ذلك الشاب الذي مال اليه قلبه خلال اقامته عنده . لكن يوباتيس لم يرغب ، شأن بروتيوس ، ان يجترح تقاليد الضيافة المقدسة فقرر ارسال البطل الى عمل لا مندوحة فيه من الهلاك فعهد اليه بقتل الغولة خيميرا التي اولدها بيفون من ايخيدنا . كان لهذه الغولة صورة أسد من الأمام وعنزة من الوسط وتنين من الخلف ولم تكن لأحد منجاة منها بل كان مجرد الاقتراب منها يورد الموت .

ولم يفت خطر المغامرة من عضد بيلليروفون فعزم على انجازها وهو مدرك ان قتل الغولة الرهيبة لن يتم الا على يد ذلك الذي يمتطي متن الحصان بيجاس[1] الذي طار من جسد ميدوزا ، صريعة سيف بيرسيوس ، وكان بيلليروفون يعرف مقر ذلك الحصان الذي كثيراً ما كان يهبط على قمة اكروكورنيث[2] ليشرب من مياه بيرينا ، فاتجه البطل الى ذلك المكان وبلغ النبع الذي يرده بيجاس لينهل من مياهه العذبة الشفافة كالبلور ، وصار يقفو أثر الحصان ليل نهار بغية الامساك به ولكن حيله جميعها باءت بالفشل فقد كان الحصان يصفق بجناحيه كلما اقترب منه البطل ويسمو عالياً في الفضاء يسابق الريح ثم يختفي وراء السحب . واخيراً ذهب بيلليروفون حسب اشارة العرافة بوليدا فنام بالقرب من نبع بيرينا المجاور لمذبح أثينا ـ بالادا حيث لقي بيجاس لأول مرة ، فقد كان يرجو بذلك ان يرى في نومه نبوءة الآلهة . وكان له ما تمناه إذ تجلت له الالهة ابنة

---

(١) كانوا يطلقون هذا الاسم على إحدى مجموعات النجوم ، ثم اصبح بيجاس فيها بعد حصان الشعراء يمتطون صهوته ـ حسب تصوراتهم ـ للانطلاق الى جبل پارناس نحو الالة ابولون وربات الشعر .

(٢) جبل بنيت فوقه قلعة « اكروبول » كورنيث .

زيوس في نومه وهدته الى طريقة يخضع بواسطتها بيچاس وأعطته لجاماً ذهبياً وأمرته بتقديم ذبيحة لاله البحر بوسيدون فانتبه البطل من نومه ودهش كثيراً لما وجد اللجام الذهبي مرمياً الى جانبه فرفع صلاة شكر عميقة للالهة التي هدته الى الوسيلة التي ينشدها .

وبعد قليل هبط الحصان السحري نحو نبع بيرينا محمولاً على أجنحته الثلجية البياض فوثب بيلليروفون على صهوته بجرأة وألقى في فمه اللجام الذهبي فانطلق الحصان بخيّاله في الفضاء يسابق الريح ويطوي المسافات الطويلة الى أن اطمأن وصار الخادم الطيّع لصاحبه .



بيلليروفون والحصان المجنح بيچاس (رسم نافر من القرن الثاني ق . م .).

انطلق البطل الفتي على حصانه نحو جبال ليكيا حيث تعيش الغولة خيميرا . واستشعرت الغولة اقتراب العدو فخرجت زاحفة من مغارتها المظلمة هائلة مخيفة وانطلقت من أشداقها الثلاثة ألسنة اللهب المتلظية وغمرت بالدخان كل شيء فحلق بيچاس بفارسه عالياً وأخذ البطل قوسه ونباله وصار يرشق بها الغولة المهولة رشقاً كزخ المطر فراحت تضطرب هائجة بين الصخور فتقلبها ثم اندفعت بين الجبال فاهلكت كل شيء بحرارة لهيبها ، وصار بيلليروفون يلاحقها على حصانه المجنح فما كانت تجد لنفسها ملاذاً من سهامه النافذة التي تخترق كل موضع فيها . وأخيراً فطست أنفاسها فعاد بيلليروفون الى الملك يوپاتيس منصوراً عزيزاً شامخ الرأس .

غير ان الملك عهد اليه بمهمة أخرى فقد أنفذه لقتال السوليم[1] الذين أهلكوا جميع الأبطال الذين تجردوا لاخضاعهم لكن بيلليروفون تمكن منهم وقمعهم ، ولم يكتف يوباتيس بذلك كله فقد كانت غايته ايراد البطل حتفه فأرسله لقتال قبيلة الامازون اللاتي لايستطاع قهرهن فانتصر البطل عليهن واخضعهن . ولما رأى الملك كل هذا أرسل أشد رجاله ليكمنوا للبطل عند عودته ويهجموا عليه هجمة رجل واحد ويقتلوه . وفعل هؤلاء ما عهد اليهم فانقضوا على البطل وكادوا أن يوردوه حتفه لكنه خرج من بين أيديهم سليماً بعد أن جندل خيرة أبطالهم وامضاهم عزيمة . وإذ ذاك أدرك الملك يوباتيس أي بطل نزل في بيته فاحتفى به باجلال وتقدير وزوجه بابنته ووهبه نصف مملكته واقتطع الليكيون أخصب أراضيهم وقدموها هدية له .

أقام بيلليروفون في ليكيا منذ ذلك الحين محاطاً بآيات الاجلال والاكبار . لكن حياته انتهت بشكل فاجع فقد زاد اعتداده بنفسه حتى استفحل وغرته أمجاده فطمع في أن يسمو الى مراتب الآلهة وقرر أن يرقى الى الاوليمب على حصانه المجنح ، فاقتص زيوس منه بأن سلّط على حصانه الجنون فرمى به عن ظهره بينما كان يمتطيه قاصداً جبل الآلهة . وفقد البطل الصنديد رشده من شدة الصدمة وضرب طويلاً في « وديان التيه » حتى أتاه ملك الموت محمولاً على جناحيه الأسودين فقبض روحه وهبط بها الى المملكة السفلى .

---

١ ـ قبيلة كانت تقطن المناطق الشمالية من ليكيا .

تانتالوس[1]

عن ملحمة هوميروس « الأوديسية »

كانت مدينة سيبيل تقوم في ليديا قريباً من الجبل الذي سميت باسمه . وكان يحكم تلك المدينة تانتالوس ، ابن زيوس ، وقد اصطفاه الآلهة وغمروه بالخيرات والنعم فلم يكن على الأرض من يماثله في الثراء والسعادة ، فكانت مناجم الذهب الفياضة تقدم اليه ثروات لا مثيل لها وحقوله خصيبة وفيرة المحاصيل وكانت كرومه وجنائنه تقدم له من الثمرات ما لم يشهده سواه ، وكانت مراعيه تقدم الاعداد الوفيرة من قطعان الضأن الدقيقة القوائم والثيران المعقوفة القرون وفصائل الخيل السريعة كالرياح . فكان تانتالوس في فيض من كل ما يحلم به المرء ، وكان بمقدوره أن يعيش هانئاً قرير العين حتى آخر أيامه لو انه لم يجن على نفسه بصلفه وجريمته .

كان الآلهة ينظرون الى صفيّهم تانتالوس نظرتهم الى واحد من أقرانهم فكانوا يهبطون اليه من جبل الأوليمب ليدخلوا حجرات قصره المتلألئة بالذهب وليلهوا برفقته ويقيموا المآدب بل لقد أضافوه في الاوليمب المشرق مرات عديدة فطرقت قدماه المواضع التي لم تطأها قدم أي من الفانين فكان يجالس الآلهة ويشاركهم مآدبهم في قصور أبيه مرسل العواصف . ولقد اغتر تانتالوس بنفسه ازاء هذا كله فصار يرى نفسه صنواً لأبيه زيوس وصار يأخذ معه الامبروزيا والنكتار ،

---

١ ـ مما يثير الدهشة في هذه الاسطورة ـ وحشية تانتالوس التي لاتعرف حداً فقد قتل ابنه لا لشيء الا لكي يمتحن مقدرة الآلهة على معرفة الغيب . وتظهر في عملية تانتالوس هذه بقايا العهود الغابرة التي كان اليونانيون فيها يضحون بالقرابين البشرية .

طعام الآلهة وشرابهم ، ويقدمها الى ضيوفه الفانين عندما يحتفل معهم في قصره ، وبلغ من تجرؤه انه صار ينقل للبشر القرارات التي يتخذها الآلهة في مجالسهم فوق الاوليمب عن مصير العالم فكان لايحفظ قدسية الأسرار التي يأتمنه عليها أبوه ، وقد اتجه زيوس اليه مرة بخطابه ، وكانا في مأدبة بين آلهة الاوليمب فقال له :

- بنيَّ ! سلني ما تشاء فاني مستجيب لك فحبي يدفعني الى ذلك !

ونسي تانتالوس انه واحد من الفانين فرد على حامل الترس الأعظم بقوله :

- اني في غنى عن منّتك ولست بحاجة الى شيء فالحظ الذي قسم لي أرفع قيمة من حظوظ الآلهة الخالدين .

لم يرد زيوس على ابنه فقد أمسك نفسه عن الغضب بالرغم من انه قطب حاجبيه لكنه لم يحنق على غرور ابنه اذ كان يختصه بحبّه وايثاره . الا ان تانتالوس تمادى بعد ذلك في غيه فاستطال على الآلهة الخالدين مرتين فحق عليه العقاب القاسي .

كان هناك كلب ذهبي يعيش في جزيرة كريت، موطن الاله زيوس وقد قام على حراسة زيوس ومرضعته العنزة امالفيا عندما كان الإله لايزال صغيراً ، فلما كبر زيوس الأمجد وانتزع سلطان الملك من أبيه أبقى ذلك الكلب في جزيرة كريت ليقوم على حراسة معبده . وقد أعجب بانداريوس ، ملك ايفيس ، بجمال الكلب وشجاعته فأبحر الى كريت سراً وحمل الكلب على مركبه ، ولكنه فكر بطريقة يخفي بها ما سرقه فقرر أن يعطي الكلب لتانتالوس ليحفظه ، فقبل تانتالوس وكتم الأمر عن الآلهة . ولما رأى زيوس ذلك غضب أشد الغضب وارسل ابنه هرمز السريع كلمح البصر الى تانتالوس ليطالبه باعادة الكلب الذهبي . فانحدر هرمز عن الأوليمب ونزل في مدينة سيبيل ومثل أمام ملكها ليقول له :

- لقد سرق بانداريوس ، ملك ايفيس ، الكلب الذهبي من معبد زيوس في كريت وأعطاكه لتحفظه . وإن آلهة الاوليمب على علم بذلك فالفانون عاجزون عن اخفاء شيء عنهم . أعد الحيوان الى زيوس واحذر أن تثير حفيظته عليك .

فرد تانتالوس على رسول الآلهة بقوله :

ـ عبثاً تهددني بغضب زيوس ، فالآلهة واهمون وعيني لم تقع على الكلب الذهبي وهو ليس بحوزتي .

وأقسم بالأيمان المغلظة على قوله فزاد من غضب زيوس عليه وكانت تلك اول إهانة وجهها الى الآلهة ، لكن مرسل الصواعق لم يقتص منه لفعلته هذه .

ثم جر تانتالوس على نفسه غضب الآلهة الشديد بالإهانة التي وجهها إليهم وبالجريمة النكراء التي اقترفها يوم أن أضمر في نفسه اختبار معرفتهم بالغيب اذ كان في شك من ذلك ، فدعاهم الى وليمة فاخرة في قصره وذبح ابنه بيلوبس وقدمه اليهم لوناً فاخراً من الطعام ولكنهم ادركوا على التو ما بيته الملك الماكر فتأخروا عن المائدة باستثناء الالهة ديميترا التي كانت ذاهلة عن العالم بأحزانها على فقد ابنتها بيرسيفونا فتناولت كتف بيلوبس الفتي ، وأخذ الآلهة لحم الذبيحة بعد ذلك وجمعوا عظامها ثم وضعوها في قدر رفعوه على نار موقدة وقرأ هرمز عليها شيئاً من طلاسمه السحرية فبعث الغلام حياً ووقف أمام الآلهة أشد بهاء مما كان عليه لاينقصه الا ذلك الكتف الذي اكلته ديميترا . فأمر زيوس فأعد هرمز للغلام كتفاً جديداً من العاج الناصع البياض ومنذ ذلك الحين صار كل مَن مِن سلالة بيلوبس يحمل على كتفه الأيمن بقعة بيضاء .

ذهبت جريمة تانتالوس بالبقية الباقية من صبر زيوس فبعث بتانتالوس الى مملكة هاديس الموحشة ليتذوق مرارات العذاب الأبدي . فهو يقف هناك في الماء الصافي يحرقه العطش بناره وينوشه الجوع بنابه ، لكن الماء يصل حتى ذقنه فليس عليه الا أن ينحني قليلاً ليناله لكنه ما ان ينحني حتى يغيض الماء لتنكشف الأرض السوداء الكديد . وتتدلى الأغصان المثقلة بثمار التفاح والرمان والأجاص فوق رأسه حتى تكاد أن تلمس شعره وتميل عليه عناقيد العنب اليانعة فيمد يده لينال شيئاً من هذه الخيرات الشهية وقد مزقته ضراوة الجوع لكن عويل الرياح يرتفع مروّعاً آنذاك فيحمل مع الأغصان بما عليها . وليت عذاب الجاحد ينتهي عند حدود الجوع والعطش فقد سلطت فوق رأسه صخرة جبارة لا تكاد تستقر في مكانها فهي تهدده كل آنية بالسقوط عليه فتثير في فؤاده خوفاً أبدياً لاينتهي . وهكذا يمضي تانتالوس أيامه ولياليه جوعاً وعطشاً ورعباً في أحشاء المملكة السفلى .

پيلوپس[1]

عن منظومة اوڤيد « ميتامارفوز » وعن أشعار بندار

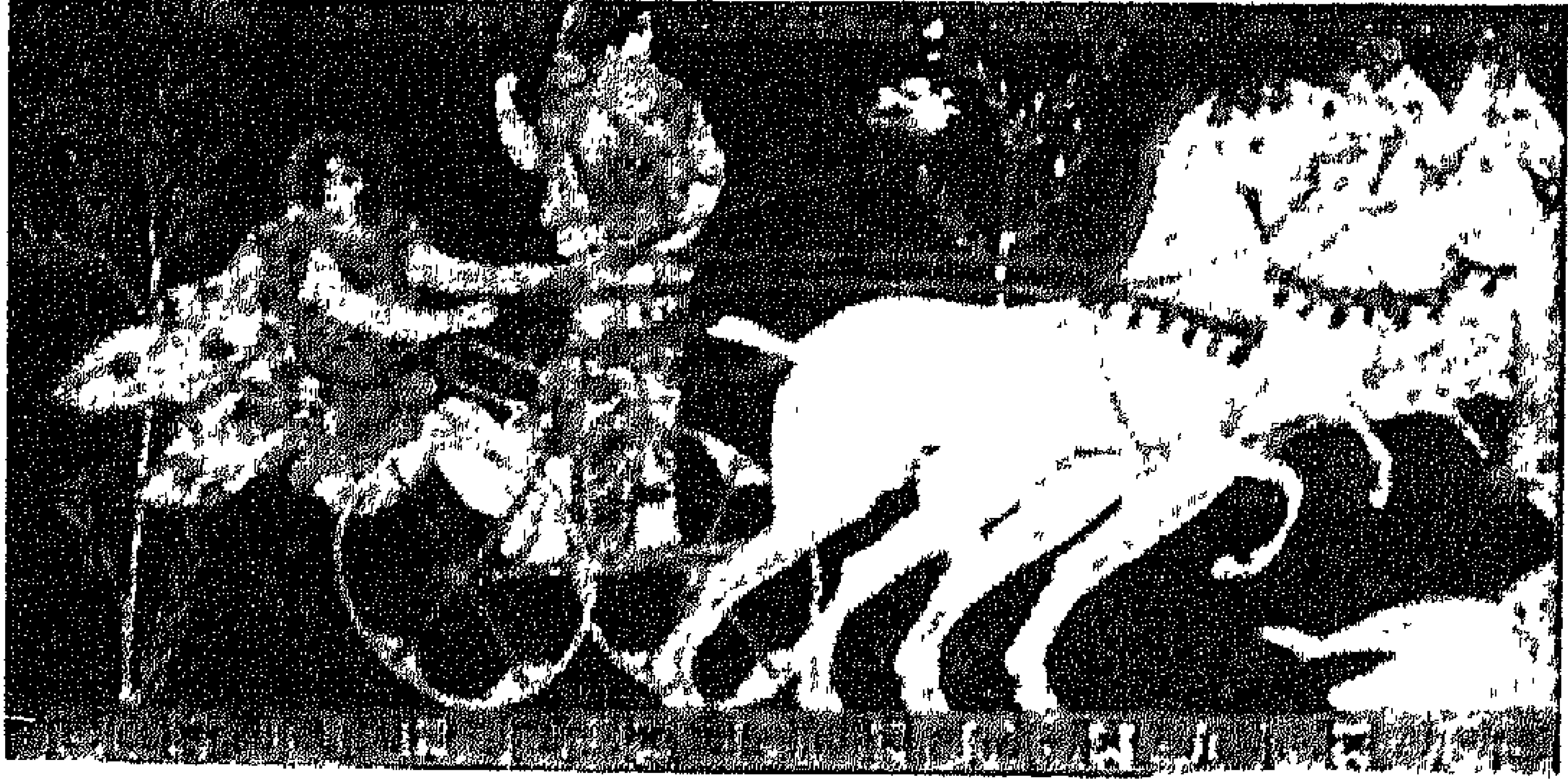
مات تانتالوس فاستلم الملك من بعده ابنه بيلوبس الذي خلصته الآلهة على تلك الصورة الرائعة . وقد شن ملك طروادة عليه غارة فغلبه وانزل به الويلات واضطره للنزوح عن بلده فشحن بيلوبس كنوزه ونفائسه فوق المراكب السريعة وانطلق رفقة رهط من مقربيه يمخر عباب البحر العريض قاصداً شواطىء اليونان حتى وصل الى شبه جزيرة في أقصى جنوب اليونان وسميت باسمه منذ ذلك التاريخ فكانت شبه جزيرة البيلوبونيز .

والتقى بيلوبس مرة وهو في موطنه الجديد بهيبوداميا الفاتنة ، ابنة اينومايس ، ملك پيسا[2] فوقع في حبها وقرر أن يتزوجها . لكن الزواج من تلك الفتاة كان أمراً صعباً اذ تنبأ الكهنة لأبيها بأنه سيلاقي حتفه على يد صهره الذي يتزوج ابنته فقرر الا يزوجها وحاول بذلك ان يتفادى قدره . ولكن ماذا بيده ان يفعل وقد توارد اليه الخطاب وهو يخشى ان يردهم دون سبب فيعدوا ذلك اهانة منه ؛ ولذلك أعلن انه يزوج ابنته هيبوداميا لذلك البطل الذي يقهره في سباق

---

(١) يلاحظ في هذه الاسطورة ايغالها في القدم فهي تحمل بقايا ما كان يسمى عند اليونانيين بـ « الخطيفة » وهي سرقة العروس . فليست معركة بيلوبس واينومايس الا مظهراً من مظاهر اختطاف الفتاة . وكان بيلوبس يمثل على الآنية اليونانية ممتطياً مركبة والى جانبه هيبوداميا ، ابنة اينومايس وقد صورت في هيئة فتاة مخطوفة . وكانوا يروون أن اينومايس كان يعلق رؤوس من يقتلهم من طلاب يد ابنته على بوابة قصره .

(٢) مدينة تقع غربي البيلوبونيز في وادي نهر الفيوس .



بيلوبس وهيبوداميا في المركبة . (رسم على مزهرية) .

المركبات ، فاذا خرج ذلك البطل مغلوباً حق لاينومايس ان ينتزع روحه . وقد لجأ اينومايس الى ذلك الاجراء لأن أحداً في اليونان لم يكن يجاريه في توجيه المركبة سيّما وأن خيوله كانت أسرع من خيول ريح الشمال ، بوريوس ، فكان واثقاً من النصر دوماً . الا أن الخوف من اضاعة الحياة ومن الهلاك على يدي اينومايس الظالم ما كانت لتحول دون رغبة الكثيرين من أبطال اليونان في الظفر بيد ابنته الفاتنة فكانوا يتوافدون على قصره واحداً تلو الآخر وقد قبلوا بشروط النزال . لكنهم كانوا يبوءون بالفشل فيقطع الملك رؤوسهم ويدقها على أبواب قصره بالمسامير ليعرف كل وافد مآله . بيد ان هذا لم يفت في عضد بيلوبس فقد صمم على نيل يد هيبوداميا مهما كان الثمن ولذلك مضى الى الملك ليطلب يد ابنته .

استقبل اينومايس بيلوبس بوجه مقطب كالح وقال له :

ـ ها انت ذا تطلب يد ابنتي وكأنك لم تشهد كم من الصناديد خسروا حياتهم من أجلها . حذار لنفسك فانك لابد ذائق ماذاقوه .

فرد بيلوبس بقوله : ـ لست أخشى ما أحاق بغيري من الأبطال ، فأنا على ثقة من ان آلهة الاوليمب ستحميني وتعينني على نيل يد ابنتك .

فتلوّت ابتسامة الحقد على شفتي اينومايس فطالما سمع مثل ذلك الكلام ، وقال :

أصغ الي يا بيلوبس لأتلو عليك شروط المباراة : الطريق تمتد من مدينة پيسا فتشق البيلوبونيز بطولها حتى تبلغ ايستم[1] وتنتهي عند مذبح بوسيدون ، اله البحار ، والقائم غير بعيد عن كورنيث . فاذا ما سبقتني فبلغت المذبح كنت المنتصر ، ولكن الويل لك اذا ما أدركتك في الطريق . سأجعل حسامي يجول في صدرك كما جال في صدور أندادك الأبطال ، وانقلك الى العالم السفلي المظلم ، لكنني سأمن عليك بشيء واحد طالما مننت به على سواك في الماضي : فعلي ان أقدم قرباناً لمرسل الصواعق قبل ان امتطي عربتي ولهذا أسمح لك بالانطلاق قبلي فأفذْ من انصرافي الى المذبح واقطع من الطريق ما تستطيع .

انصرف بيلوبس عن الملك الغاشم وقد أدرك أنه لن يحقق النصر عليه الا بالحيلة فمضى سراً الى ميرتيلوس ، ابن هرمز ، سائس خيول اينومايس وطلب منه ان ينزع القطاريب من محاور العجلات لتنفصل عن مركبة اينومايس وتؤخره في الطريق ومناه بالهبات الثمينة ان هو فعل ذلك ، فتردد ميرتيلوس طويلاً لكنه انهار امام اغراء الوعود فوعد بيلوبس أن يقوم بما أراده .

طلع الصباح ولون ايوس الوردي قبة السماء بلون الذهب ، ثم ظهر هيليوس الطافح بالشعاع وقد اعتلى مركبته الذهبية فصلى بيلوبس الى بوسيدون المجيد ، مزلزل الأرض طالباً منه العون ثم وثب الى عربته . أما الملك اينومايس فتقدم من مذبح زيوس وأشار إلى بيلوبس أن ينطلق فضرب البطل جياده وحثها على الانطلاق باقصى ماتستطيع من سرعة فانطلقت كالطيور وصارت الحصى تتناثر من تحت عجلات المركبة وارتفعت سحب الغبار حتى حجبتها ومضى بيلوبس في طريقه يحدوه حبه ليهبوداميا ويطارده خوفه من الهلاك على يد أبيها . وأخيراً تردد في مسامعه هزيم مركبة اينومايس وراح صوت عجلاتها يقترب منه ويلاحقه ،

---

١ - البرزخ الواصل بين البيلوبونيز واليونان الوسطى .

وتقلصت المسافة بين مركبتي الخصمين فصار بيلوبس يسوط جياده لتزيد من سرعها وأخذ صفير الهواء يتردد في أذنيه ، ولكن أنّى له أن يفرّ من جياد اينومايس التي تسابق الريح ! لقد اقترب الملك كالاعصار العاصف وأشهر سيفه وهو يطلق صيحة النصر المجلجلة وكاد بيلوبس ان يحس بأنفاس غريمه فاستدار قليلاً ليرى السيف مشهراً فابتهل الى بوسيدون ، اله البحر القاصي الأبعاد ان يغيثه ، وسمع الإله ابتهاله واذا بالعجلات تنفصل عن محاورها فتنقلب مركبة اينومايس ويهوي راكبها على الأرض فتكون في سقطته نهايته واذا بظلمة الموت تغشى عينيه .

عاد بيلوبس مكلل الهام بالنصر فتزوج من هيبوداميا وملك على بيسا . ولما عاد ميرتيلوس السائس ليطالبه بنصف المملكة جزاء عمله أبى بيلوبس أن ينزل له عن كل هذا بل واستدرجه بدهائه حتى مضى به الى شاطىء البحر وهناك دفعه من فوق صخرة عالية الى أحضان الموج الهادرة ، فأرسل ميرتيلوس لعنته أثناء سقوطه على بيلوبس وعلى كل ذريته من بعده ، وأخفقت محاولات بيلوبس بعد ذلك في التخفيف من غضب الضحية فقد نفذت فيه اللعنة وأحاقت بذريته المصائب والمحن ، فجر أبناؤه وأحفاده على أنفسهم حنق الآلهة وغضبهم بما اقترفوه من آثام .

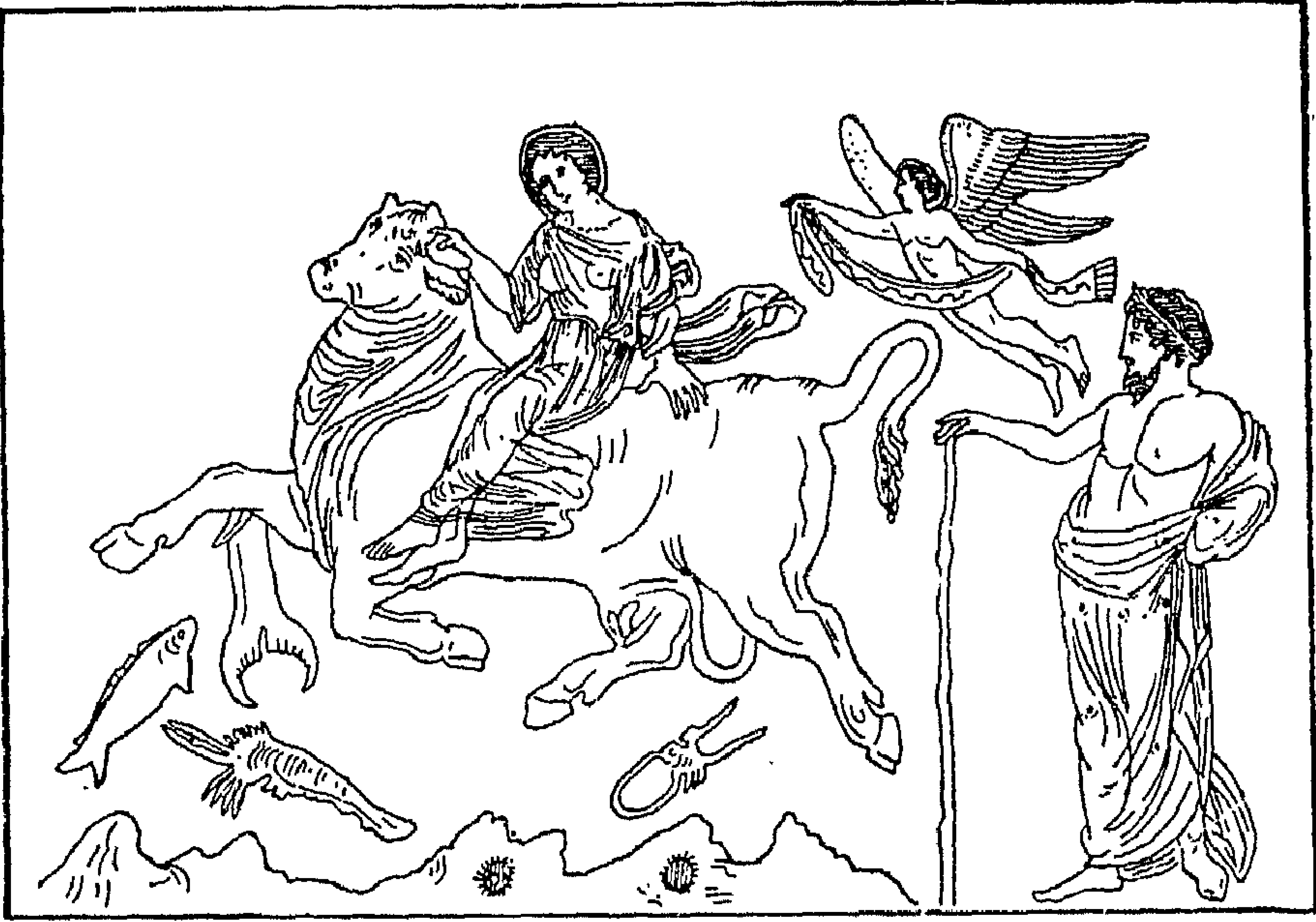
أوروبا[1]

عن منظومة موسخ « ايديلّيا »

كان لأغينور ، ملك صيدا الفينيقي الواسع الثراء ، ثلاثة ابناء ، وابنة جميلة كالهة من الالهات الخالدات ، وكان اسمها اوروبا . وقد رأت هذه الفتاة ذات ليلة في نومها قارة آسيا في هيئة امرأة مهيبة الطلعة تختصم من أجلها مع امرأة أخرى هي القارة التي تنفصل عن آسيا بواسطة البحر . وكانت كل من المرأتين ـ القارتين تحاول أن تختص نفسها باوروبا . وشاهدت الفتاة ان قارة آسيا قد انهزمت في تلك الخصومة وكان عليها ـ وهي التي أرضعت أوروبا وربتها ونشّأتها ، ان تنزل عنها لندّتها ، فهبت الفتاة مذعورة من نومها وخشيت مآل حلمها فأخذت تصلي خاشعة الى الآلهة ليبعدوا عنها المصائب اذا كان الحلم ينذر بوقوعها ، ثم ارتدت ثوباً قرمزياً مطرزاً بخيوط الذهب وخرجت مع صديقاتها بنات صيدا الى مرج أخضر زاهر على شاطىء البحر ، وأخذن يقطفن الزهور مرحات صاخبات ويضعنها في السلال الذهبية . فجمعن الكثير من أزهار النرجس الأبيض والجلنار القرمزي والفل والسوسن ، أما اوروبا المتألقة بين صويحباتها تألق أفروديتا بين وصيفاتها الهاريات ، فلم تكن تقطف غير الورود الفاقعة الحمرة ، ولما انتهى قطاف الزهور أخذت الفتيات يرقصن ضاحكات فترددت أصواتهن بعيداً في الحقول الخضراء وفي البحر العريض فغطين همساته الهادئة الرقيقة .

---

١ ـ نلتقي في هذه الاسطورة بالتأثير الشرقي الواضح على الاساطير اليونانية . كما تتضح فيها آثار ما يسمى بـ « زواج الخطيفة » ويعبر ظهور زيوس على هيئة ثور عن بقايا التوتمية القديمة .



أوروبا تقطع البحر ممتطية ظهر الثور ، فوقها يطير ايروت والى اليمين يظهر أبوها الملك أغينور . (رسم على مزهرية).

لم تهنأ أوروبا الفاتنة طويلاً بحياتها اللاهية ، فقد وقعت عليها انظار زيوس الجبار ، مطارد السحب ، فحزم أمره على اختطافها وقد أسرت فؤاده ، ولما كان يخشى أن يثير خوفها بمنظره تشكّل في هيئة عجل بديع المنظر يتألق جلده كالذهب ويتلألأ جبينه بقرص مدور كالقمر . أما قرناه الذهبيان فكانا معقوفين كالهلال اول ظهوره من أحضان أشعة شمس المغيب القرمزية ، وأخذ العجل الجميل يسرح فوق المرج ويتقدم من الصبايا بخطوات رفيقة لاتكاد تلمس العشب ، فلم تهلع بنات صيدا لرؤيته بل أحطن به وأخذن يربتن عليه بلطف ورقة فاقترب من اوروبا وصار يلحس يديها ويتململ أمامها وكانت أنفاسه محملة بعبير الامغروزيا والنكتار حتى امتلأ الفضاء بروائحها العطرة فمسحت اوروبا بيدها الرقيقة وبر

العجل الجميل وأحاطت رأسه وقبلته فركع عند قدميها وكأنه يطلب منها أن تعتلي متنه .

اعتلت اوروبا ظهر العجل العريض ضاحكة مستبشرة ولما همت بقية الصبايا بالركوب الى جانبها نهض العجل فجأة وانطلق مسرعاً نحو البحر وقد فاز بمبتغاه فأطلقت بنات صيدا صرخات مدوية بينما مدت الفتاة الضحية نحوهن ذراعين مستغيثتين، ولكنهن كن عاجزات عن اغاثتها فقد انطلق الثور الذهبي مسرعاً يسابق الريح وألقى بنفسه في البحر ومضى يمخر عباب أمواجه الذهبية كالدلفين ، وأخذت الأمواج تتباعد مفسحة له السبيل وكان رذاذها ينزلق عن ظهره حبات من الماس وخرجت النيريدات من أعماق البحر فتحلقن حول العجل ولحقن سابحات به وخرج الاله بوسيدون بنفسه محمولاً على مركبته يحيط به سرب من آلهة البحر ، ومضى امام الحشد يلامس الأمواج بخطافه المثلث الشعب ليهدىء من تلاطمها ويفسح السبيل أمام أخيه الأعظم ، وهدأت أوروبا على ظهر العجل فأمسكت احدى يديها بقرنه وثنت الأخرى طرف ثوبها القرمزي كيلا تبلله الأمواج ، ولكن عبثاً ما تفعله فالبحر هادىء هامس الصوت يعبث هواؤه بضفائرها الطويلة ويداعب منديلها الرفيق وهي اسيرة رعب لايوصف ، فقد غاب عن ناظرها الشاطىء وتلاشى في زرقة الأبعاد فلم يبق غير البحر والسماء الزرقاء .

وأخيراً لاحت جزيرة كريت في أحشاء الفضاء البحري السحيق فأسرع زيوس بحمله الثمين اليها وخرج الى الشاطىء ، وهناك غدت اوروبا زوجته وأقامت على تلك الجزيرة وأنجبت لزيوس ثلاثة أبناء هم مينوس ، رادامانت وساربيدون ، وكانوا أبطالاً أماجيد تناقل الكون بأسره أحاديث حكمتهم وأمجادهم .

قدموس[1]

عن منظومة اوفيد « ميتامارفوز »

حزن اغينور حزناً شديدا على ابنته اوروبا التي اختطفها زيوس بعد أن تمثل لها في هيئة ثور جميل ، وأخفق كل شيء في تخفيف أحزان الملك فاستدعى اليه ابناءه الثلاثة ـ فوينيكس وكيليكس وقدموس ووجههم للبحث عن أختهم وتوعدهم بالموت اذا هم عادوا بدونها ، فاتجه الأبناء الثلاثة لتنفيذ ما شاءه أبوهم ، وبعد قليل من الزمن افترق فوينيكس وكيلكس عن أخيهما قدموس فأسس فوينكس مملكة فينيقيا[2] كما أسس كيلكس مملكة كيليكيا[3] وأقام كل منهما في مملكته .

أما قدموس فمضى لوحده يبحث عن أخته فطاف كثيراً في أنحاء الأرض وسأل عن اوروبا في كل مكان ولكن كيف له ان يلقاها وقد أخفاها زيوس بنفسه عن أعين الجميع . وفقد قدموس كل أمل في لقاء أخته وخشي عاقبة العودة الى قصر أبيه فذهب الى دلفي المقدسة يستطلع كاهن ابولون عن الأرض التي ينزل فيها ويؤسس فوقها مدينته فأجابه الكاهن بقوله :

ـ امض في طريقك ، وستلتقي فوق مرج منعزل ببقرة لم تعرف رقبتها النير فسر وراءها وأقم أسوار مدينتك حيث تقيل تلك البقرة فوق العشب وسم تلك البلاد باسم بيوتيا .

---

(١) نعود ثانية لنلتقي في هذه الاسطورة بالتأثير السوري على الاساطير اليونانية ، كما نلمس فيها آثار التوتمية القديمة التي يؤكدها انحدار المحاربين من التنين ـ أو من أسنانه بكلمة أدق ـ واستحالة قدموس وزوجته الى ثعبانين .

(٢) فينيقيا ـ كانت في أول عهدها تمتد على الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط وكانت طرابلس وصيدا من أشهر مدنها .

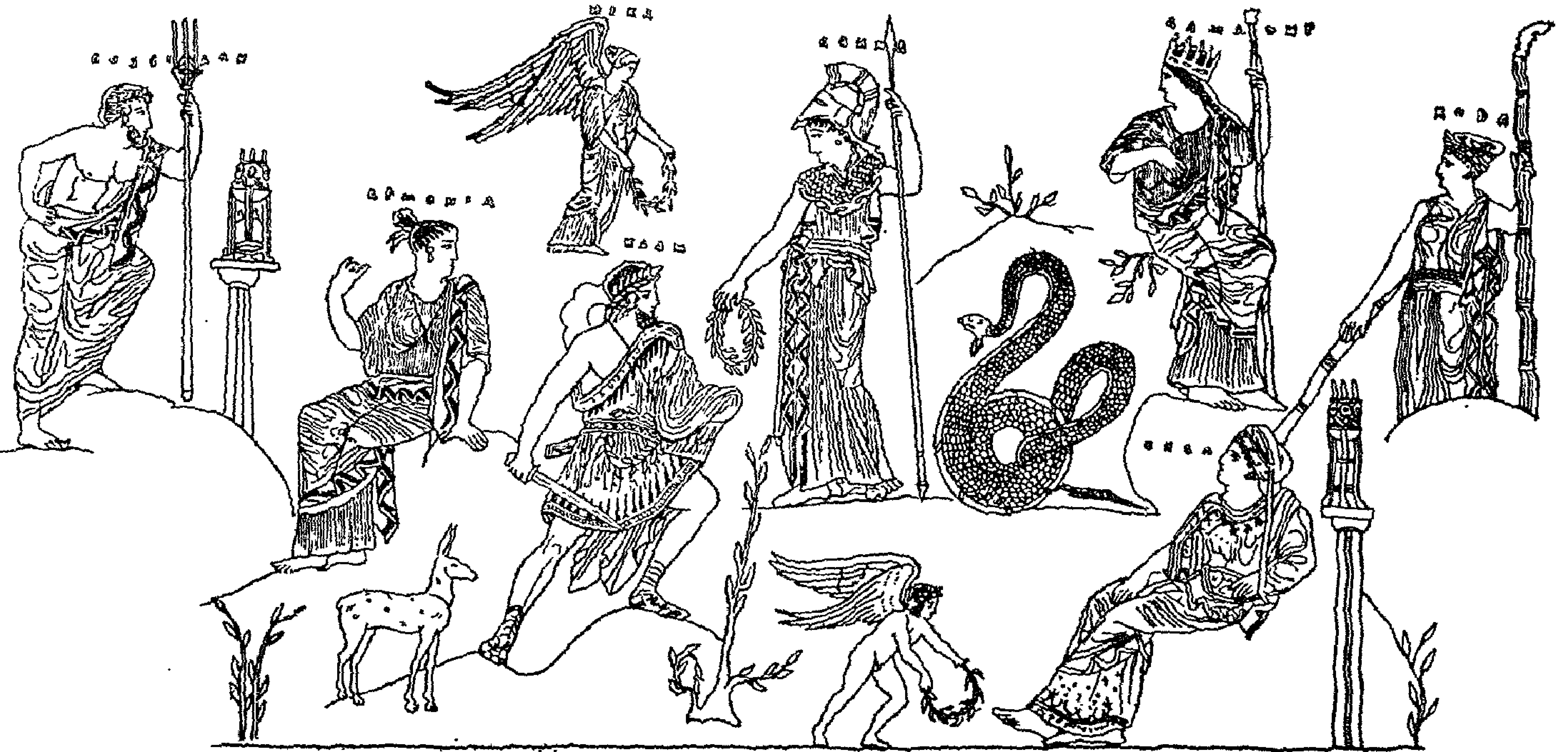
(٣) كيليكيا ـ في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى .

غادر قدموس دلفي بعد أن سمع جواب الكاهن ، وما كاد يخرج من الباب حتى لمح بقرة ناصعة البياض ترعى في مرج دون حراسة أحد فمضى في اثرها برفقة أتباعه الصيداويين المطيعين وهو يمجد الإله أبولون الأعظم . وما أن لاح أمامه وادي كيفيث[٣] حتى توقفت البقرة فجأة واتجهت برأسها نحو السماء وخارت خواراً شديداً ثم استدارت بنظرها نحو اولئك الرجال الذين كانوا يقفون اثرها وقالت على العشب الأخضر . فركع قدموس على الأرض يطفح قلبه بشكر الإله ابولون وقبل أرض موطنه الجديد ودعا الى تمجيد الآلهة فوق تلك الجبال والوديان وأقام من الأحجار معبداً ليقدم عليه قرباناً لزيوس حامل الترس الأعظم وأرسل خدمه لإحضار الماء فقد كان بحاجة اليه لتقديم القربان .

وكانت تقوم بجوار ذلك المكان غابة قديمة لم تلمس شجراتها بعد فأس حطاب . وكان في داخلها مغارة عميقة تغطيها الأعشاب والشجيرات وترتفع حولها الصخور الهائلة ويسيل منها جدول صغير يخر بمياهه الرقراقة متلوياً بين الصخور . وكان في المغارة أفعوان مهول تقدح عيناه بالشرر وينفتح شدقه المدرع بثلاثة صفوف من الانياب السامة عن لسان مثلث الشعب ويتوج رأسه عرف ذهبي رهيب ، وقد سمّي ذلك الافعوان على اسم آريس ـ اله الحرب . فما كاد خدم قدموس ينزلون آنيتهم الى ماء الينبوع البارد حتى زحف الافعوان من مكمنه وهو يتلوى بين الصخور ويرسل حفيفاً مروعاً فابيض الخدم من شدة الرعب وتشنجت أوصالهم وسقطت الأواني من أيديهم ، وانتصب الافعوان على ذيله فعلا رأسه على أشجار الغابة القديمة وفغر شدقه ، وانقض على الخدم قبل ان يتمكن أحدهم من التفكير بالفرار فسقطوا صرعى بلا حراك ، وطال انتظار قدموس لعودتهم حتى مالت الشمس للمغيب وتطاولت الظلال على الأرض فعجب من أمرهم ومضى في الاتجاه الذي قصدوه وقد التف بفروة أسد وتمنطق بسيفه القاطع وامسك حسامه بيده ، فلما دخل الغابة وجد أجسام رفاقه مجندلة مطروحة على الأرض فوقها الافعوان المخيف ، فصاح قدموس بصوت ملتاع :

---

٣ ـ نهر في بيوتيا يصب في بحيرة كاباييد .



الصراع بين قدموس والثعبان . على الرسم من اليسار الى اليمين يظهر الإله بوسيدون يحمل خطافه المثلث الشعب ، وتليه هارمونيا ، زوجة قدموس ومن بعدها قدموس وقد جرد سيفه وظهرت فوقه ربة النصر وأمامه الالهة أثينا وقد ظهرت وراءها الالهة ديميترا وابنتها كيرا (بيرسيفونا) وظهرت تحت ديميترا حورية طيبة التي ظهر عند قدميها ايروت اله الحب يحمل اكليلاً . (رسم على مزهرية .)

ـ أي أصحابي الأوفياء ، سأنتقم لكم ، فإما ابلغ ثأري أو أرافقكم الى مملكة الأشباح المظلمة .

ورفع عن الأرض حجراً يعادل طوداً في ضخامته وضرب به الافعوان ضربة يميد لها البرج الهائل لكنها لم تنله بأثر فقد كان جلده قاسياً كالحجر تغطيه الحراشيف الفولاذية . فاستل ابن اغينور حسامه وطعن به الآفة الفتاكة في ظهرها طعنة نفذت من الحراشيف فانغرس الرمح عميقاً في أحشاء الافعوان فأخذ يتلوى ويتقلب ويعض بانيابه محاولاً أن يتخلص من الرمح لكنه لم يتمكن من شيء الا من تحطيم قناة الحسام بينما بقي الأصل نافذاً في بدنه . وانتفخت أوداج الافعوان من الغضب مليئة بالسم الاسود الناقع وانهمر من شدقه الزبد وحملت طيات النسيم فحيحه الى أقاصي تلك البلاد وامتلأ الهواء برائحة أنفاسه الخبيثة وصار يتلوى على الأرض حلقات وينتفض عالياً في الفضاء ويستدير على نفسه بشكل جنوني وأخذ يعض جذوع الأشجار ويقتلعها من أصولها ويجلد بها الأرض كما صار ينفض بذيله الصخور ويقذفها مختلف الأنحاء وينقض على قدموس بشدقه الناقع السم محاولاً نيل قدمه لكن البطل كان يكيل له الضربة تلو الضربة وقد احتمى منه بفروة الأسد . فكان الثعبان يصر على صفحة السيف القاطع بأنيابه فتنزلق مثلومة عنه .

وقطع ابن اغينور رقبة الافعوان بضربة جبارة من سيفه ثم علقه الى بلوطة قديمة .

مال جذع البلوطة تحت ثقل الجسم وردّد قدموس نظره بدهشة بالغة في الافعوان الذي صرعه لكنه فوجيء بهاتف خفي يتجه اليه بكلماته :

ـ مالك واقف تمتع نظرك بالثعبان الذي قتلته بيدك يا ابن اغينور . قريباً يقف الناس ليمتعوا أنظارهم بمرآك وقد استحلت بذاتك افعواناً مثله .

ردد قدموس نظره فيما حوله حائراً في مصدر ذلك الهاتف واضطرب قلبه من شدة الذعر وهو يصغي الى تلك النبوءة وانتصب شعره فوق رأسه وهو ينظر الى الافعوان القتيل وكاد ان يهوى أمامه فاقد الوعي ؟ واذ ذاك ظهرت أمامه

أثينا ـ بالادا ابنة زيوس وصفية فؤاده ، وأمرته ان ينتزع أنياب الافعوان وينثرها كالبذور في حقل بعد ان يحرثه .

عمل قدموس باشارة الربة المحاربة ، وما كاد ان ينتهي من زراعة الأنياب حتى حدثت المعجزة . فقد شقت الأرض باديء الأمر أسنة رماح وبرزت من بعدها زعانف الخوذ ثم نفرت من بطن الأرض الحريث رؤوس المحاربين ونهضت أثرها أكتفاهم فصدورهم المغطاة بالدروع فأذرعهم الممسكة بالتروس . وهكذا خرجت كتيبة من المحاربين من أنياب الأفعوان فهب قدموس ليجرد سيفه ويتصدى للعدو الجديد الغامض لكن أحد اولئك المحاربين أبناء الأرض ابتدره بقوله :

ـ لاتنض حسامك ايها البطل ، وقف بعيداً عن حومة المعركة التي ستنشب بيننا .

وبعد قليل التحم المحاربون في معركة ضروس فأخذوا يصطرعون بالسيوف والرماح ويتساقطون صرعى فوق الأرض التي ولدتهم منذ قليل ولما انتهى عددهم الى خمسة فقط رمى أحدهم بسلاحه حسب إشارة من أثينا ـ بالادا دلالة على السلام فتآخى الرجال الخمسة الصناديد وغدوا أتباع قدموس ومعاونيه في بناء كادميا ـ قلعة طيبة ذات البوابات السبع .

شاد قدموس مدينة طيبة العظيمة وشرّع للناس القوانين ونظم لهم شؤون مملكتهم وقدم له الهة الأوليمب هارمونيا ، ابنة آريس وأفروديتا فاتخذها زوجة ، واقام لذلك احتفالاً فاخراً حضره جميع الآلهة حاملين معهم أثمن الهدايا .

ومنذ ذلك الحين أصبح قدموس واحداً من أغنى ملوك الأرض وأوفرهم قوة ومنعة ، فكانت خيراته لاتحصى ولا تعد وكانت جيوشه كثيرة وفيرة لاتقهر في القتال وكان يرأسها اولئك المحاربون الخمسة الذين أنبتتهم الأرض من أنياب الأفعوان فكان لبيته ان يظل حافلاً بالمسرات عامراً بالأفراح لولا ان خالطت هبات آلهة الاوليمب الوان من المحن والمصائب وقدر عليه ان يتذوق صروفاً من الأحزان والآلام فقد ماتت ابنتاه سيميلا واينو امام عينيه فحزن عليهما حزناً شديداً لم يخفف

من لوعته انهما رفعتا الى السماء لتصبحا من الآلهة كما قضى حفيده اكتيون ، نجل ابنته اثتونويا ضحية لغضب ارتيميدا وفوق ذلك كله رزىء بأحفاده .

ولما أدركت الشيخوخة قدموس هجر طيبة ذات البوابات السبع والآلام تعتصر قلبه فطاف مع زوجته في مختلف ديار الغربة حتى وصل ايلّيريا[1] البعيدة وصار يستعيد ما نزل به من أرزاء ومصائب واستيقظت في خاطره كلمات الهاتف الخفي الذي أنذره بنبوءته على اثر اطاحته بالافعوان فهتف من أعماق فؤاده الذي أثقلته الأحزان :

ـ إذا كان الآلهة ينزلون علي كل هذه المحن لأن الافعوان الذي قتلته كان نذراً لهم فمن الخير لي ان استحيل بنفسي افعواناً لأخلص مما أنا فيه .

وما أن اتم قدموس كلامه حتى تطاول جسمه واكتسى بالحراشيف وامتدت رجلاه واستحالتا ذيلاً افعوانياً متلوياً طويلاً . فصار قدموس يمد الى هارمونيا ذراعيه اللذين لم يختفيا بعد ويدعوها اليه والدموع تنسكب من عينيه والرعب يمزقه :

ـ هارمونيا ، هيا الي ، المسيني ، المسي ذراعي قبل ان استحيل بجمعي ثعباناً .

وصار يهتف بها محاولاً أن يقول لها الكثير لكن لسانه انشطر الى قسمين وصار يتحرك في فمه الافعواني ولاتنبس شفتاه بغير الفحيح فهرعت زوجته اليه صائحة :

ـ قدموس ، عد الى هيئتك السابقة ! ايتها الآلهة ، مالك لا تحيليني أيضاً إلى أفعى .

والتف قدموس الافعوان حول زوجته الوفية واخذ يلعق وجهها بلسانه المشطور بينما يداها تربتان على ظهره المغطى بالحراشيف حزينة ملتاعة فأحالتها الآلهة أيضاً إلى أفعى .

وعلى هذه الصورة مات قدموس وماتت زوجته هارمونيا .

---

١ ـ مقاطعة على الشاطىء الشرقي لبحر الادرياتيك .

زيثوس وأمفيون

كانت أنتيوبا ، ابنة اله النهر اسوب[1] تعيش في مدينة طيبة وقد أحبها زيوس ، مرسل الصواعق ، فأنجبت له توأماً سمتهما زيثوس وامفيون ، ولما كانت المرأة تخشى غضب ابيها لزواجها السري من زيوس فقد اودعت طفليها الصغيرين سلةً حملتها الى الجبال مؤمنة بأن اباهما لن ينساهما . فبعث زيوس اليهما راعياً أخذهما الى منزله وربّاهما هناك فنشآ وكل منهما يتميز عن أخيه منذ بواكر الطفولة . فكان زيثوس قوياً شديد المراس يساعد مربيه الراعي وكان امفيون هادئاً رقيقاً لايجتذبه شيء كالموسيقى . ولما أدرك الصغيران مدارك الرشد غدا زيثوس فارساً شديداً وصياداً جريء القلب لايضارعه أحد في القوة والرشاقة أو مطاردة الوحوش في الجبال . أما أمفيون فقد اصطفاه ابولون بحبه وتولاه برعايته فكان لا يهنأ لشيء غير العزف على القيثارة الذهبية الأوتار التي قدمها اليه ابولون ابن لاتونا ذو القوس اللجيني . وكانت الصخور تترنح وتتمايل الاشجار طرباً لعزفه اذا ما عزف .

ظل الشابان مقيمين في منزل الراعي غير مدركين من هو والدهما بينما كانت أمهما تقاسي مرارات ظلم ملك طيبة وزوجته ديركا اللذين صفداها بالسلاسل الثقيلة وطرحاها في حبس مظلم منيع على أشعة الشمس فخلصها زيوس من قيودها اذ جعل السلاسل تنـزلق عنها من تلقاء نفسها وجعل الأبواب تنفتح أمامها ففزعت الى الجبال واختبأت في منزل ذلك الراعي حيث كان ولداها يعيشان .

وما كادت انتيوبا تدخل منزل الراعي حتى جاءت اليه ديركا الظالمة التي كانت تحتفل مع غيرها من بنات طيبة بعيد ديونيسيوس فوق الجبال فتاهت بين الغابات وهي تحمل الأغصان المجللة بعساليج الكرمة واللبلاب هائمة على وجهها

١ ـ اسوب نهر في بيوتيا .



زيثوس وأمفيون يشدان ديركا الى قرني الثور .

(مجموعة مرمرية تعود الى القرن الأول ق . م .).

حتى وصلت منزل الراعي فدخلته ، لكنها ما أن رأت انتيوبا حتى اكفهر وجهها بالغضب وثار قلبها بحقد شديد فصممت على ان تورد المسكينة موارد التلف ولذلك دعت اليها زيثوس وامفيون وقذفت انتيوبا أمامها بكل أنواع الفجور واقنعتهما بربطها الى قرني ثور هائج ليقتلها . وهب الشابان لتنفيذ ما أرادته الملكة فجاءا بالثور وأمسكا بأنتيوبا ولكن ظهر الراعي في تلك اللحظة فصرخ بهما وهما يهمان بقتل امهما البريئة :

ـ أية جريمة شنعاء تحاولان ارتكابها أيها الشقيان ! إنكما تهمان بقتل أمكما شر قتلة وانتما جاهلان بما تصنعان ، فهذه أمكما .

وانخلع فؤاد الشابين وقد أدركا هول ما كادا يفعلانه بسبب ديركا الظالمة ، فأمسكا وهما في سورة الغضب بديركا التي رمت امهما بالقبائح وشداها الى قرني الثور الهائج قائلين :

ـ فلتموتي انت تلك الميتة التي قضيت بها على أمنا ولتكن ميتتك هذه عقاباً لك على ظلمك وقذفك الأبرياء .

وماتت ديركا شر ميتة وانتقم الشابان من ملك طيبة أيضاً فقتلاه وملكا على المدينة من بعده .

ولما آلت المدينة الى الشقيقين قررا اقامة الاسوار حولها اذ كانت مكشوفة لايحيط السور الا بحصن كادميا الذي شاده قدموس . وعمل الشقيقان في بناء الاسوار كل على طريقته فبينما كان زيثوس القوي كالعمالقة يرفع الصخور المهولة باذلاً ما لديه من عزم وقدرة ويضعها واحدةً تلو الأخرى كان امفيون يعزف على قيثارته الذهبية الاوتار فتتدحرج الأحجار من تلقاء نفسها وتتكدس فوق السور المنيع دون أن تلمسها يد . وطارت شهرة الشقيقين في الآفاق حتى تخطت حدود اليونان الى الأمصار القاصية حتى ان تانتالوس ، صفي الآلهة ، زوّج أمفيون من ابنته نيوبا بينما تزوج زيثوس من أييدونا ابنة بانداريوس ، ملك ايثيس ، وقد جرت المرأتان الشرور على بيت ولدي انتيوبا .

نيوبا

عن منظومة اوفيد « ميتامارفوز »

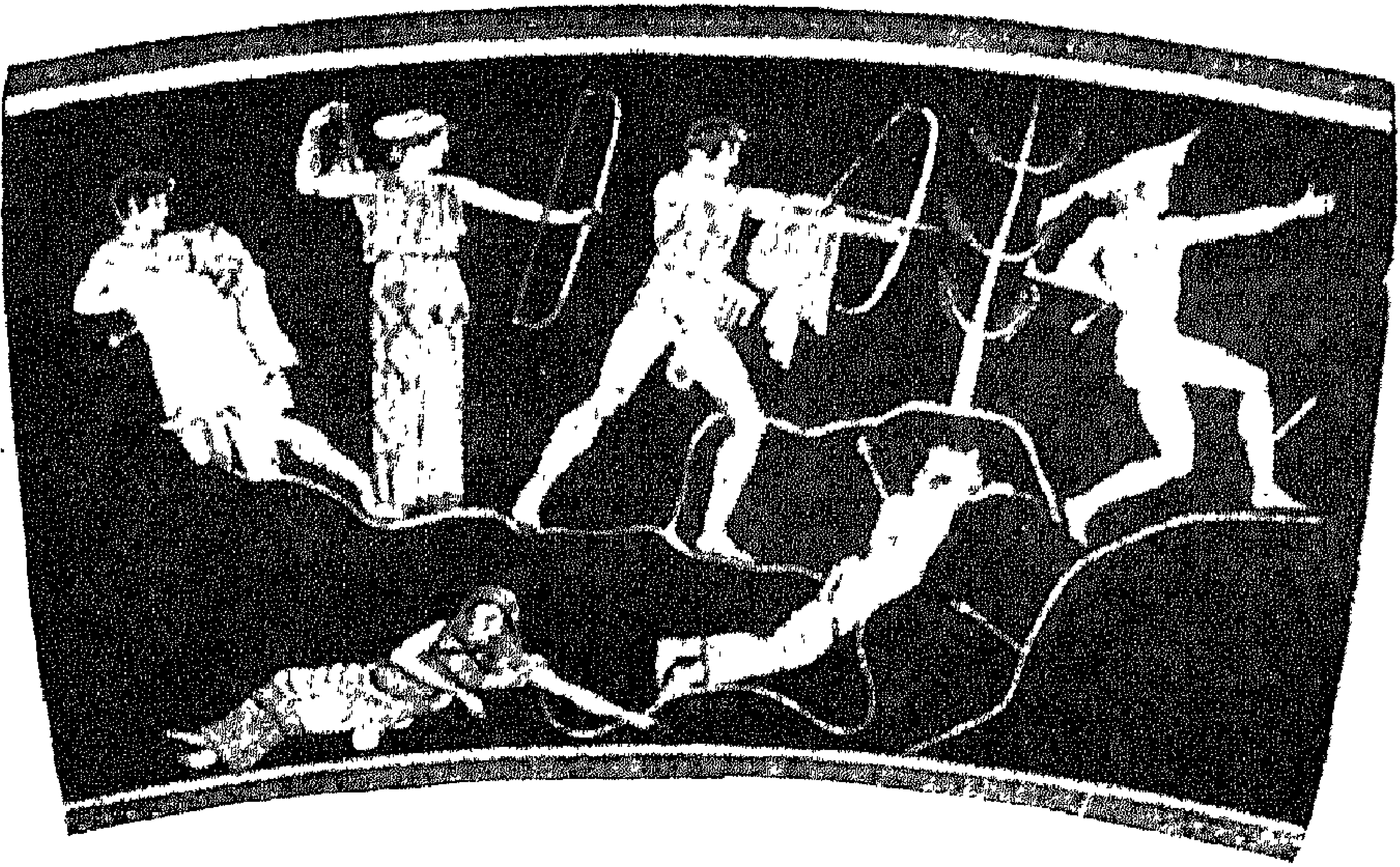
كان لينوبا ، ابنة تانتالوس ، وزوجة امفيون ، ملك طيبة سبعة أبناء وسبع بنات ، وكانوا جميعاً يتسمون بالبهاء والنضرة حتى كانوا يشابهون الآلهة ، فاغترت نيوبا بهم وجحدت نعمة الآلهة الذين غمروها بالسعادة والثراء ومنوا عليها بالذرية الجميلة .

وقد طافت العرافة مانتو ، ابنة الكاهن تيرسيوس مرة في شوارع طيبة لتدعو نساء المدينة لتقديم القرابين الى لاتونا وابنيها ابولون ذي الشعر الذهبي وارتيميدا الفاتنة . فلبت الدعوة نساء طيبة وخرجن الى مذابح الآلهة بعد أن زيّن رؤوسهن بأكاليل الزيتون والغار ولم تمتنع عن الخروج الا نيوبا المعتدة بنفسها والمزهوة بما اغدق عليها من نعم وخيرات ، فقد أعلنت أنها لن تخرج الى المذابح لتقديم القرابين الى الالهة المجيدة .

أطرقت نساء طيبة خجلاً من اعلان نيوبا المليء بالتبجح والاستكبار ، ومع ذلك فقد أتممن ما كن إزاءه فقدمن القرابين وابتهلن الى لاتونا خاشعات طالبات منها الا تغضب عليهن .

بلغت أقوال نيوبا المغرورة مسامع الالهة لاتونا فاستدعت ولديها ابولون وارتيميدا وشكت اليهما مسلك المرأة المستكبرة وقالت :

ـ لقد اهانت ابنة تانتالوس المغرورة امكما اهانة لاتغتفر فقد انكرتني وجحدتني رغم أن أحداً لا ينافسني في العظمة والمجد خلا هيرا المجيدة ، زوجة



ابولون وأرتيميدا يقتلان أولاد نيوبا

(رسم على مزهرية).

زيوس فهل تسكتان على هذا يا ولدي ! إنكما إذا ما فعلتما ذلك كف البشر عن تكريمي وهدموا مذابحي . لقد أهانتكما ابنة تانتالوس أيضاً فهي تساويكما في المقام مع أولادها وأنتما الالهان المخلدان . انها مغرورة صلفة كأبيها .

قطع أبولون النافذ السهام خطاب أمه بقوله :

- كفى ! لاتزيدي شيئاً ! فشكواك تؤخر ساعة الانتقام !

وانطلق الشقيقان بسرعة عن قمة جبل كنيت[1] وقد بلغ منهما الغضب مبلغه فطارا نحو طيبة يلفهما الغمام وتصلصل السهام متململة في جعبتيهما . وانقضا بسرعة خاطفة على المدينة ذات البوابات السبع . فوقف أبولون خفياً فوق مرج

١ - جبل في جزيرة ديلوس .

منبسط عند أسوار المدينة حيث كان فتيان طيبة يتدربون على الفروسية . وكان ايسمين وسيبيل ، ولدا نيوبا ، يروضان جواديهما المطهمين وقد ارتدى كل منهما مسوحه القرمزي وصرخ ايسمين فجأة وقد اخترق صدره سهم ابولون الذهبي فافلتت يده الأعنة وخر على الأرض صريعاً وسمع سيبيل أنين قوس أبولون الرهيب فحث جواده السريع بغية الفرار فكان كالملاح الذي يحاول أن ينجو من العاصفة الشديدة وقد أفرد جميع اشرعته . لكنه تلقّى سهم أبولون في نحره فسقط يتخبط في دمائه واحتضن فايديموس وتانتالوس بعضهما بعضاً ليدفعا عن نفسيهما الخطر لكن سهماً التمع في الفضاء كالبرق فاخترق جسديهما معاً فسقطا على الأرض مصعدين زفرة عميقة ، فأطفأ الموت في عينيهما شعلة الحياة وفي وقت واحد وماتا معاً . ولما سارع أخوهما ألبينور اليهما ليرفعهما عن الأرض نفذ في قلبه سهم أبولون فسقط صريعاً فوق أخويه الهادئين . أما داماسيختون فقد أصابه سهم أبولون في فخذه عند مفصل الركبة فحاول أن ينتزعه لكن سهماً آخر نفذ من حلقه على التو فأن أنيناً حاداً وهوى ، ولما شهد ايليوني الصغير (آخر أبناء نيوبا) ما حل بأشقائه الستة رفع ذراعيه الى السماء مبتهلاً وقال .

- رحماك ، رحماك ايتها الآلهة .

أشفق أبولون على الفتى الصغير ولكن بعد ان نفذ سهمه الذهبي الذي لايرد واخترق قلب الفتى ، آخر الأبناء . وحمل الخدم الى نيوبا أنباء فجيعتها المروعة والدموع تنهمر من عيونهم فطعن أمفيون الأب صدره بسيفه القاطع فخر على الأرض صريعاً .

أما نيوبا فأخذت تبكي وتنوح على جثث أبنائها وزوجها وتقبل شفاههم الباردة وقلبها يتمزق من هول ما حل بها . ثم اذ بها ترفع الى السماء ذراعيها من فرط التعاسة واليأس وتصيح بصوت مليء بالحقد المجنون وقد زادت الفجيعة قلبها ضراوة وجحودا : .

- افرحي يا لاتونا الظالمة وهللي ، وليمتلىء قلبك بالمسرات لما نزل بي من مصائب ! لقد هزمتني ايتها الغريمة الظالمة ! ولكن لا ، ماذا أقول . أئك لم





الى اليسار ـ نيوبا تحاول حماية ابنتها الصغرى من سهام الالهة ارتيميدا (مجموعة نحتية من القرن الرابع ق . م). إلى اليمين ابنة نيوبا وقد أصابها السهم . (تمثال من القرن الرابع ق . م).

تهزميني . فلا يزال لديّ ، أنا الشقية الثكلى ، أكثر مما لديك من الأطفال على الرغم من كثرة ما يحيط بي من جثث أبنائي .

ما كادت المرأة تفرغ من كلامها حتى تردد في الفضاء صوت القوس الرهيب فغل الخوف قلوب الجميع ما عدا نيوبا التي ظلت محافظة على هدوئها وقد منحتها الكارثة جرأة وثباتاً :

كان ذلك قوس أرتيميدا ، وقد انطلق سهمها ثاقباً نافذاً فسقطت احدى بنات نيوبا المتحلقات حول جثث أشقائهن في حزن عميق ، وأنَّ القوس ثانية فسقطت الابنة الثانية ثم انطلق سهم آخر فكان عدد السهام ستة رقدت جراءها ست من بنات نيوبا الصبيات ، صريعات وقد فاضت أرواحهن ولم يبق من جميع أبناء نيوبا الا الابنة الصغرى التي ارتمت على امها باكية واحتمت بركبتيها وغطت نفسها بثوب أمها .

فصاحت الأم الثكلى بصوت ضارع مفجوع :

ـ أبقي لي هذه الطفلة الصغيرة على الأقل . خلّي ولو واحدة منهن يا لاتونا المجيدة .

لكن قلب الآلهة لم يلن ولم يصمت قوسها حتى اخترق سهمها صدر آخر البنات .

وقفت الأم المفجوعة محاطة بأجسام ابنائها وبناتها وزوجها وقد جمد الحزن أوصالها فغدت لا حراك فيها ، فلا شعرها يتطاير مع لمسات النسيم ولا وجهها ينضح بقطرة من دم ولا عيناها تأتلقان ببريق الحياة ولا يخفق في الصدر قلبها . لا شيء سوى دموع الثكلى تنساب من عينيها . واندفعت ريح قوية حملت المرأة الشقية الى موطنها ليديا حيث لاتزال واقفة هناك فوق جبل سيبيل تسكب عبرات الاحزان وقد استحالت الى صخر جلمود .

هرقل[1]

أخذت الأساطير المتعلقة بهرقل عن المصادر التالية : مأساة سوفوكل «تراخينيا نكي» ، مأساة يوريبيد «هرقل» والقصص التي ذكرها باوسانيوس في «وصف هيللادا» .

مولد هرقل ونشأته

كان الملك ايلكترون يحكم مدينة ميكينا[2] ، وقد هاجمه التيليبويون[3] مرة بقيادة أبناء الملك بتيريلايوس فاستاقوا مواشيه وقتلوا أبناءه لما خرجوا لاسترداد القطعان المسروقة فأعلن ايلكترون أنه يزوج ابنته الفاتنة الكمينا لذلك الذي يرد إليه مواشيه وينتقم لمصرع أبنائه . وقد تمكن البطل امفيتريون من إعادة القطعان

---

١ ـ هرقل (هركوليس لدى الرومان) ـ أعظم أبطال اليونان ، كان يعد في بداية أمره اله الشمس الذي يمحق الظلمات والشرور بسهام أشعته النافذة التي لاتحيد، الاله الذي يبرىء من الأسقام والذي يرسل الأسقام ، فكان يشترك بهذا مع أبولون في كثير من الملامح ، لكننا نلتقي بهرقل ـ الاله البطل لدى شعوب أخرى غير الشعب اليوناني . وأكثر من يثير الانتباه بين هؤلاء الأبطال هو جلجاميش البابلي وميكارت الفينيقي واللذين كان لاسطورتيهما بالغ الأثر على خلق اسطورة هرقل فهما أيضاً قطعا أقاصي الكون وأتيا بالمآثر الجبارة ، كما تعرضا للكثير من الأهوال ، شأن هرقل البطل اليوناني . وقد كانت أسطورة هرقل مصدر الهام للفنانين على مر العصور وطالما ألهبت مآثره وآلامه أخيلة الشعراء . وأخيراً فاننا نلتقي بهرقل في السماء ذات النجوم (مدعواً باسمه الروماني هركوليس) ، ذلك لأن الأقدمين أطلقوا اسمه على احدى مجموعات النجوم ، ونلتقي الى جانب مجموعته بمجموعة هيدرا وهي الغولة المتعددة الرؤوس التي صرعها بسهامه .

٢ ـ واحدة من أقدم مدن اليونان . كانت تقوم في مقاطعة ارغوليدا في البيلوبونيز .

٣ ـ قبيلة كانت تستوطن اكارنانيا غربي اليونان الوسطى .

دون أن يخوض معركة وذلك لأن بتيريلايوس ، ملك التيليويين سلم القطعان المسروقة الى بوليكسينوس ، ملك ايليدا[1] ليحميها فسلمها ذلك بدوره الى امغيتريون ، فأعادها هذا الى ايلكتريون وتزوج ابنته ، لكنه لم يقم طويلاً في ميكينا فقد نشب شجار بينه وبين حموه أثناء حفلة العرس وذلك بسبب القطعان فقتل ايلكتريونَ واضطر بسبب ذلك أن يجلي عن ميكينا برفقة زوجته الشابة . وقد رضيت الزوجة أن تتبع زوجها الى ديار الغربة بشرط واحد هو أنه يثأر لأخوتها من أبناء بتيريلايوس ، ولذلك ما أن وصل امفيتريون الى طيبة ونزل عند ملكها كريونت الذي استقبله وأكرم وفادته حتى جهز جيشاً خرج به الى حرب التيليويين ، وبينما كان غائباً في الحرب عرف زيوس زوجته الكمينا التي أسرته بجمالها فأتاها في صورة زوجها الغائب فحملت منه وصار لها في بطنها توأمان ـ أحدهما من زيوس والآخر من امفيتريون .

وبينما كانت الكمينا مقبلة على الوضع اجتمع الآلهة فوق الأوليمب المشرق وتهلل وجه زيوس لميلاد طفله الصغير فقال للآلهة باسماً مستبشراً :

ـ أصغوا إلي أيها الآلهة والالهات فقلبي لا يطاوعني على الكتمان . يولد اليوم بطل عظيم يسود على أبناء قومه الذين يعودون بأصلهم الى بيرسيوس المجيد ، ولدي الأعظم .

إلا أن هيرا المجيد، زوجة مرسل الأعاصير ، والتي أغضبها أن يقترن بعلها بواحدة من الفانين آلت على نفسها أن تحرم ابن الكمينا السلطان على سلالة بيرسيوس فقد كرهت ذلك الغلام وعولت على ركوب مراكب المكر لإنجاز ما أضمرته فقالت لزيوس وهي تخفي في صدرها أمراً قررته :

ـ إنك لا تنطق بالحق يا مرسل الأعاصير ! فأنت غير واف بما قطعته على نفسك .

---

١ ـ مقاطعة الى الشمال الغربي من البيلوبونيز .

هيا ! أقسم أمامي الآن قسماً مغلظاً لا حنث فيه بأن السيادة على سلالة البيرسيوسيين ستؤول الى أول طفل يولد في تلك السلالة .

وملكت ربة الخداع آتا على زيوس لبّه فأقسم لهيرا على ما أرادته دون أن يلحظ خداعها فركبت هيرا مركبتها الذهبية على التو وانطلقت الى آرغوس . وهناك عجلت في وضع زوجة سفينيل ، الذي يعود بأصله الى بيرسيوس ، وكانت تضارع الآلهة بجمالها ؛ وهكذا ظهر في سلالة بيرسيوس في ذلك اليوم غلام ضعيف البنية واهن الأوصال سموه يوريثيوس فعادت هيرا مسرعة الى جبل الأوليمب وقالت لمطارد السحاب :ـ أصغ الي يا ناثر البروق والرعود ! لقد ولد لسفينيل البيرسيوسي في آرغوس غلامه اسمه يوريثيوس ، وكان أول المولودين في هذا اليوم فحقت له السيادة على قومه .



هرقل الصغير يخنق الثعبان
(تمثال من القرن الثالث ق . م .)

حزن زيوس المجيد وقد أدرك ما بيتته هيرا فغضب على آتا ربّة الخداع التي استحوذت لبه وأمسك بها من شعرها وطوح بها من ذروة الاوليمب وأمرها الا تظهر بعد ذلك بين الآلهة فباتت تعيش بين البشر منذ ذلك الحين .

لكن زيوس هوّن من قسوة مصير ولده ، فعقد مع هيرا عهداً لا حنث فيه بالاّ يقضي ابنه حياته بطولها تحت رحمة يوريثيوس ، فما أن يأتي باثنتي عشرة مأثرة خالدة يطلبها منه يوريثيوس حتى يغدو حراً من نفوذه بل ويجزى على ذلك بالخلود . وكان زيوس يعلم أن ابنه سيخوض الكثير من المخاطر والأهوال فأمر

ابنته المحبوبة أثينا أن تشد من أزره ، ومرت بعد ذلك عهود طويلة كان فؤاد زيوس يجيش بالأحزان وهو يرى ابنه يقاسي مرارات الأعمال المرهقة في خدمة يوريثيوس الضعيف الرعديد ولكنه لم يكن قادراً على الحنث بيمينه لهيرا .

وفي اليوم التالي الذي تمت فيه ولادة يوريثيوس ابن سفينيل ولدت الكمينا توأما فكان أكبر الأخوين الكيد ، ابن زيوس وكان الآخر ايثيكليس ، ابن امفيتريون ، أما الكيد فهو أعظم أبطال اليونان على مر العصور وقد دعته عرافة أبولون فيما بعد بهرقل فاشتهر بذلك الإسم وغدا من الخالدين ورفع الى الأوليمب فأمسى واحداً من الآلهة .

وانصرفت هيرا لملاحقة هرقل منذ أن ولد . فما أن بلغها نبأ مولده وانه يرقد بجانب أخيه ايثيكليس ملفوفاً بالأقمطة حتى أرسلت اليه ثعبانين ليقتلاه في مهده ، فزحف الثعبانان الى حجرة الصغير في دجنة الليل وعيونهما تتقدان بالضياء حتى بلغا سرير هرقل فالتفا حوله ليخمدا أنفاسه ، فانتبه الصغير ومد يديه الدقيقتين فأمسك بالثعبانين من العنق وضغطهما بقوة اوردتهما التلف . وهبت الكمينا من نومها وقد رأت الثعابين في سرير طفلها وصرخت النسوة اللاتي كن في حجرتها ، فهب امفيترون على صراخ النسوة والسيف مشهر في يده فتحلق الجميع حول المهد وإذا بهم يشهدون المعجزة الخارقة . كان هرقل ، الحديث الولادة ، يقبض على الثعبانين المهولين وكانا لا يزالان يتلويان في قبضتيه الصغيرتين وقد فطست أنفاسهما . ولما شهد امفيتريون قوة الصغير الخارقة دعا بالعراف تيرسيوس واستطلع منه مصير الوليد فكشف الكاهن له عن المآثر الخالدة التي يأتيها الغلام وتنبأ له بأنه ينال في نهاية حياته الخلود .

ولما عرف امفيتريون المصير المجيد الذي ينتظر ابن الكمينا نشّأه أحسن تنشئة تليق بالأبطال فلم يقصر انتباهه على تربيته البدنية بل واهتم بتثقيفه وصقل مواهبه فعلمه القراءة والكتابة والعزف على القيثارة ، لكن ما أحرزه هرقل من نجاح في فنون الموسيقى كان يقل كثيراً عما أحرزه في ميادين المصارعة ورمي السهام واستعمال السلاح ، حتى كان معلم الموسيقى ، وهو لينوس شقيق اورفيوس ، يغضب منه في كثير من الأحيان بل ويعمد الى إنزال العقوبة به ، وقد ثار لينوس

مرة بسبب قلة فطنة تلميذه فصفعه فغضب هرقل وأمسك بالقيثارة وأهوى بها على رأس معلمه دون أن يزن ضربته فنزلت القيثارة على رأس المعلم المسكين بقوة طرحته على الأرض صريعاً ، ولما دعي هرقل للمحاكمة قال مبرراً فعلته :

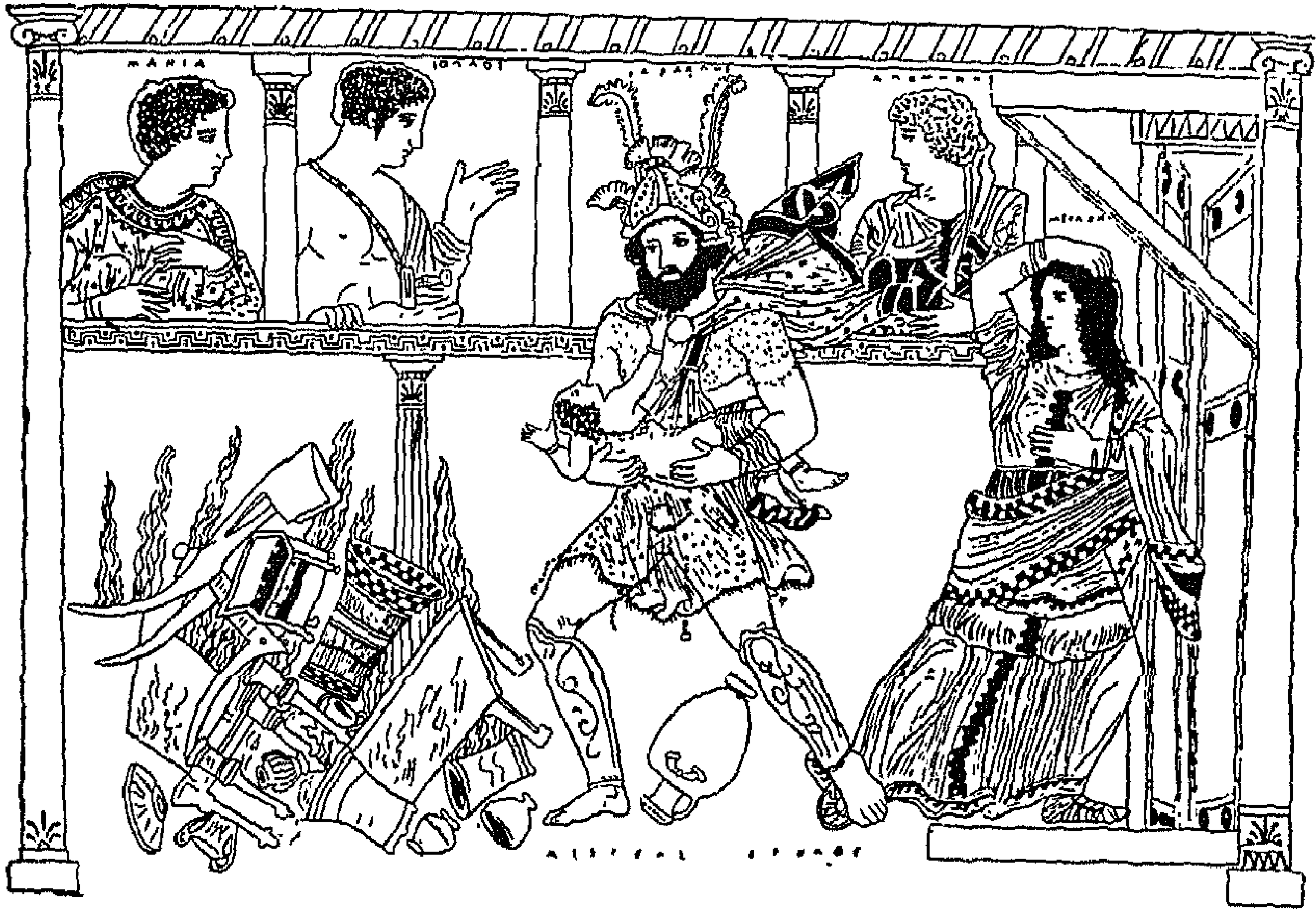
ـ أما قال لنا رادامانت ، أعدل القضاة وأحكمهم أن من تلقى صفعة حقَّ له أن يردّها بالمثل .

وبرّأ القضاة هرقل لوجاهة حجته ، لكن امفيتريون خشي أن يقترف الفتى خطأً آخر فأرسله الى كورينث ذات الغابات الكثيفة ليرعى المواشي .

هرقل في طيبة

ونشأ هرقل وترعرع في طيبة وأضحى فتى شديد البأس يفرع أقرانه طولاً بمقدار الرأس ويفوقهم في القوة أضعافاً مضاعفة ، وكان من يلقاه يحس من النظرة الأولى انه ابن زيوس فقد كانت عيناه تفصحان عن ذلك بذلك البريق الإلهي الذي تشعان به . ولم يكن ثمة من يجاريه في التمارين الحربية فكان يطلق النبال ويسدد الرمح بحذاقة فريدة حتى انه لم يخطىء الهدف مرة واحدة في حياته . وكان هرقل لا يزال فتى يافعاً عندما قتل أسداً ضارياً كان يعيش فوق الجبال في كيثيرون وينشر الموت والهلاك مستتراً بين الغابات ، فقد انقض البطل عليه وأرداه صريعاً وسلخ جلده فلبسه وطرح قسماً منه على كتفيه القويتين كما عقد مقدمته على صدره واعتمر بفروة رأس الأسد فجعلها قبعة على رأسه وصنع لنفسه هراوة شديدة من شجرة دردار عتيقة متينة كالحديد كان قد اقتلعها من غابة نيميا بجذورها . أما سيف هرقل فكان هدية من هرمز وكانت قوسه وسهامه تقدمة من أبولون وقد صنع الإله هيفست له درعاً من الذهب وحاكت اثينا كل ملابسه بيديها .

ولما غدا هرقل شاباً تغلب على يرغينوس ، ملك اورخومين الذي كان قد فرض على طيبة أتاوة كبيرة تدفعها كل عام ، فقتله هرقل في المعركة وفرض على



هرقل يقتل أولاده في نوبة من نوبات الجنون . الى اليمين منه تظهر ميغارا وقد لاذت بالفرار خوفاً منه وظهرت الكيمنا فوقها ، كما ظهرت ربة الجنون في الزاوية اليسرى وبالقرب منها ايولايس (رسم على مزهرية) .

مدينته أتاوة تعادل ضعف ما كانت طيبة تدفع لها . فجزاه كريونت ، ملك طيبة ، بأن زوجة من ابنته ميغارا وأرسل له الآلهة ثلاثة أبناء يضاهون الآلهة جمالاً .

عاش هرقل في طيبة ذات البوابات السبع ، لكن هيرا ظلت كسابق عهدها تكن له أشد ألوان العداء فأصابته بمرض عضال أفقده رشده وأنزل به الجنون فقتل أبناءه وأبناء أخيه ايثيكليس في إحدى نوبات الجنون. ولما انقشعت النوبة اغتم غماً لا حدود له وغادر طيبة بعد أن تطهر من رجس جريمته التي اقترفها غير عامد ، واتجه الى دلفي المقدسة ليسأل كاهن ابولون عما يجب عليه أن يعمل . فأمره أبولون بالإتجاه الى موطن قومه في تيرنيف وبخدمة يوريثيوس مدة اثني عشر عاماً ، وأنبأه الإله على لسان كاهنه أنه سينال الخلود اذا ما أتم اثنتي عشرة مأثرة يؤمر باتيانها .

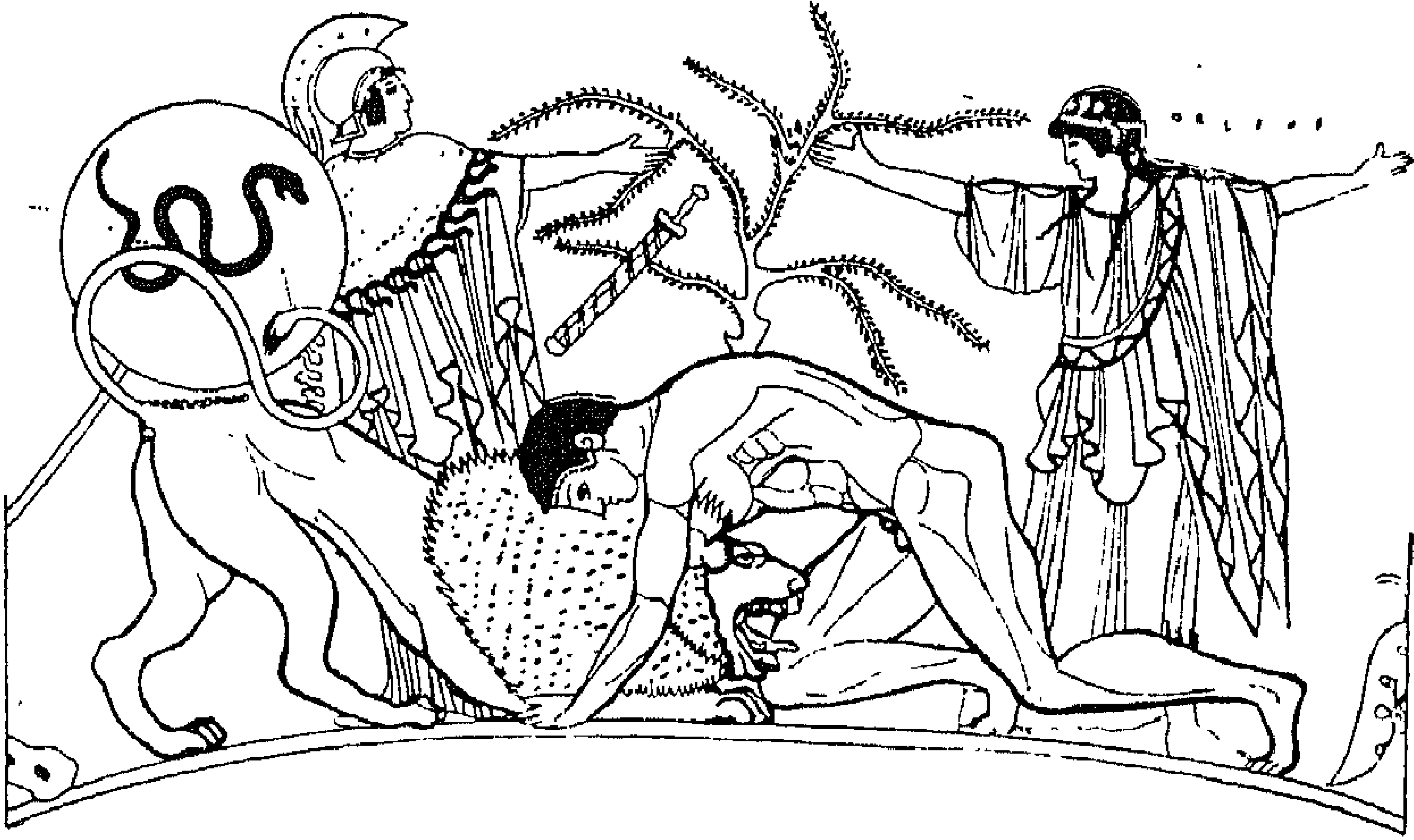
هرقل في خدمة يوريثيوس

نزح هرقل الى تيرتيف حيث صار خادماً ليوريثيوس ، الجبان الضعيف ؛ وكان يوريثيوس يخاف هرقل ولذلك منعه من دخول ميكينا فكان يرسل أوامره اليه الى تيرتيف عن طريق رسوله كوبريوس .

أسد نيميا (المأثرة الأولى)

لم ينتظر هرقل أول أوامر يوريثيوس طويلاً . فقد عهد اليه هذا بقتل أسد نيميا . وكان ذلك الأسد الذي ولدته ايخيدنا من تيفون الاسطوري الضخامة يعيش قريباً من مدينة نيميا[1] ويعيث في ضواحيها الهلاك والدمار ، فاتجه هرقل لانجاز المهمة الخطيرة بشجاعة نادرة فأشرف على المدينة ومضى تواً الى الجبال ليبحث عن مربض الأسد فأدرك سفح الجبل وقد انتصف النهار لكنه لم يقع على أحد من الأحياء الذين كانوا قد هجروا المكان فراراً من وجه الأسد الكاسر . وبحث هرقل طويلاً عن عرين الوحش بين صدوع الجبال المغطاة بالغابات وداخل حنايا الكهوف ، لكنه لم يجد شيئاً حتى مالت الشمس للمغيب فلمح العرين وكان مغارة هائلة ذات منفذين فسدّ أحدهما بحجارة كبيرة ووقف ينتظر الأسد مستتراً خلف إحدى الصخور . ثم ظهر الأسد الرهيب وقد خيم العصر فشد هرقل وتر قوسه وأنفذ منه ثلاثة نبال متتالية الى جسم الأسد لكنها ارتدت عنه فقد كانت لبدته قاسية كالفولاذ . وزأر الأسد زئيراً قوياً رددت صداه الجبال والوهاد كما تردد هزيم الرعود. ووقف عند مدخل المغارة يبحث بعينيه المتقدتين بجمر الغضب عن ذلك

١ــ مدينة في ارغوليدا في الشمال الشرقي من شبه جزيرة البيلوبونيز .



هرقل يخنق أسد نيميا . الى يمين الصورة تظهر أثينا وتظهر الى اليسار حورية الضواحي في نيميا
(رسم على مزهرية)

الذي اجترأ عليه فرماه . فما أن وقعت أنظاره على هرقل حتى انقض عليه بقوة وسطوة فرد هرقل بضربة شديدة من هراوته طرحت الأسد على الأرض بلا حراك ، فانحنى البطل عليه وقبض على عنقه بيديه الجبارتين وخنقه ثم رفعه على كتفيه القويتين وعاد به الى المدينة فقدمه قرباناً الى أبيه زيوس وأقام الألعاب في نيميا-١- ذكرى لإنجاز مأثرته الأولى . لكنه لما حمل الأسد القتيل الى ميكينا شحب وجه يوريثيوس خوفاً لمرآى الأسد الصريع وأدرك ما لهرقل من قوة خارقة غير معهودة في البشر فحظر عليه حتى الإقتراب من أبواب ميكينا فكان إذا ما جاء حاملا براهين مآثره خرج يوريثيوس الى رأس الأسوار لينظر اليها والرعب يملأ فؤاده .

---

١ ـ العاب نيميا ـ أعياد كانت تشمل جميع أقاليم اليونان وكانت تقام كل عامين على شرف زيوس في وادي نيميا في ارغوليدا ، وذلك في منتصف فصل الصيف . وكانت تجري فيها مباريات الجري والمصارعة والملاكمة ورمي القرص ورمي الرمح وسباق المركبات وتستمر هذه الألعاب أياماً عديدة يعلن أثناءها السلام الشامل في جميع أنحاء البلاد .

أفعوان ليرنا (المأثرة الثانية)

أنجز هرقل مأثرته الأولى فأنفذه يوريثيوس في مهمة جديدة وهي قتل الأفعوان ذي الرؤوس التنينية التسعة والذي أولده تيفون من ايخيدنا كما أولدها أسد نيميا . وكان ذلك الأفعوان يعيش في مستنقع قريب من مدينة ليرنا ويخرج من مكمنه ليلتهم قطعان المواشي ويبيد كل ما هو حي في الأراضي المجاورة ، وكان قتاله أمراً مخيفاً لأن واحداً من رؤوسه التسعة كان منيعاً على الموت . فخرج هرقل الى مدينة ليرنا برفقة ايولايس ابن ايشيكليس ، ولما وصل المستنقع ترك ايولايس والمركبة في الغابة القريبة وخرج للبحث عن الأفعوان فوجده في مغارة محاطة بمياه المستنقع فأحمى سهامه حتى احمرت وتوهجت ورشق بها الآفة الرهيبة فهاج هياجاً شديداً وخرج من غوره يتلوى بجسده المغطى بالحراشيف وانتصب على ذيله العظيم وكاد أن يفتك بالبطل المهاجم لولا أن ثبت هرقل رجله على جذع الأفعوان وصار يشده نحو الأرض . فلف الأفعوان ذيله على رجلي هرقل محاولاً أن يطيح به الى الأرض لكنه ظل ثابتاً كصخرة لا تحيد وصار يكسر رؤوس الأفعى واحداً تلو الآخر بهراوته المبزّزة التي كانت تحدث في نزولها صوتاً كهزيم الرعود ، فتساقطت رؤوس الأفعوان لكنه برغم ذلك لم يمت اذ كان ينمو له رأسان في مكان كل رأس يسقط ، كما برز منه المستنقع سرطان شنيع المنظر وغرس كلاليبه في قدم هرقل واذ ذاك صاح البطل بايولايس أن يهب لنصرته فقتل ايولايس السرطان وأشعل النار في ناحية من الغابة المجاورة وصار يأخذ منها الجذوع المتقدة ويكوي بها أعناق الأفعوان التي كان هرقل يفصم عنها الرؤوس بهراوته فاختفت جميع الرؤوس ولم تعد تنمو . وبذلك تلاشت مقاومة الأفعوان وسقط رأسه المنيع على الموت فاندحر نهائياً وهمد بلا حراك ففلق هرقل جسمه وغمس السهام في نجيعه فصارت جرَاحها قاتلة لا تندمل ثم وضع فوقه صخراً يماثل الأطواد لكي لا يتمكن بعد ذلك من الخروج الى النور وعاد الى تيرنيف منصوراً شامخ الرأس لكن أمراً جديداً ليوريثيوس كان بانتظاره هناك .

طيور ستيمغال (المأثرة الثالثة)

عهد يوريثيوس الى هرقل بالقضاء على الطيور التي كادت تحيل مدينة ستيمغال قاعاً صفصفا ، اذ كانت تهاجم الناس والحيوانات وتنشب فيهم مخالبها ومناقيرها النحاسية وتمزقهم شر ممزق . لكن أشد ما كان فيها من خطر هو ريشها البرونزي الشديد الذي ترمي به كالسهام كل من يحاول التصدي لها . وكان القيام بهذه المهمة أمراً شاقاً بالنسبة لهرقل فبادرت اثينا الى نجدته فأعطته صنجين نحاسيين من صنع الاله هيفست وأمرته أن يرقى هضبة مرتفعة بجوار الغابة التي تأوي اليها الطيور فيضرب بالصنجين ثم يرمي الطيور بسهامه عندما تفر من أوكارها . وعمل هرقل بنصيحة الالهة فارتقى الهضبة وضرب بالصنجين فصعق الطيور بصوتها فخرجت سرباً هائجاً محتشداً وتجمعت فوق الغابة مذعورة تنعق بأصوات منكرة مذعورة وتقذف بريشها الحاد كالسهام المصردة لكنها لم تصب البطل الماثل فوق الرابية . وبعد ذلك اختطف هرقل قوسه وأخذ يرشق بسهامه الطيور فحلقت في السماء مضطربة ثائرة وصارت ترتفع حتى استترت وراء الغيوم فغابت عن عيني هرقل ثم مضت بعيداً الى ما وراء حدود اليونان نحو شواطىء بونت الافكسيني[1] ولم تعد الى شواطىء ستيمفال بعد ذلك . وهكذا أنجز هرقل ما أمر به وعاد الى تيرتيف ليعهد بعد ذلك . وهكذا أنجز هرقل ما أمر به وعاد الى تيرتيف ليعهد اليه بعد وقت قصير إنجاز مهمة أشد خطراً وأعظم شأناً .

---

١ ـ هكذا سمى اليونانيون البحر الأسود .

مهاة كيرنا (المأثرة الرابعة)

سمع يوريثيوس بمهاة خارقة الجمال أرسلتها الالهة ارتيميدا عقاباً للبشر فكانت ترعى المزروعات في الحقول وتعبث فساداً في الأراضي ، فوجه هرقل ليقبض عليها ويأتي بها حية الى ميكينا . كان لتلك المهاة قرنان ذهبيان وقوائم نحاسية وكانت ذات جمال لا يجارى ، تنتقل فوق الجبال والوهاد سريعة كالريح لا تعرف الكلل فظل هرقل يلاحقها مدة عام بكامله لكنها ظلت تجري فوق الهضاب والسهول وتقفز من فوق الوهاد وتخوض الأنهار ميممة وجهها شطر الشمال ، ولم يتخل البطل عنها بل ظل يتعقبها ويراقبها حتى بلغت أقاصي الشمال فأدرك بلاد الهيبيريوري ومنابع نهر ايستر[1] حيث توقفت المهاة فكاد البطل أن يمسك بها لكنها انزلقت من بين يديه وانطلقت من جديد نحو الجنوب كالسهم فتبعها ولم يلحق بها الا في اركاديا ، لكن المهاة لم تفقد شيئاً من قواها بالرغم مما قطعته من مسافات شاسعة حتى يئس هرقل من الوصول اليها فسدد اليها سهماً من سهامه التي لا تخطىء فجرح إحدى قوائمها وقبض عليها وطرحها على كتفه وهم أن يحملها الى ميكينا عندما تجلت له الاله ارتيميدا وخاطبته بقولها :

ـ أغاب عنك أن هذه مهاتي فجرحتها وأهنتني بذلك ! ألا تعرف أنني لا أصفح عمن يسيء الي ! أم تحسب نفسك أمضى عزيمة وأعلى كعباً من آلهة الاوليمب .

فانحنى هرقل أمام الالهة المجيدة بخشوع وأدب وأجابها بقوله :ـ

ـ لاتؤاخذيني بما فعلت يداي ياابنة لاتونا المجيدة. انني لم اسيء اليك من قبل بل ولم أسلف الإساءة إلى أحد من آلهة الأوليمب المشرق الخالدين وبالرغم من أنني ابن زيوس فانني لم أضع نفسي يوماً في مرتبة أندادهم ولا استنكفت يوماً عن

---

١ ـ هو نهر الدانوب . وكان اليونانيون ، بسبب معرفتهم المحدودة بالجغرافيا يحسبون أن هذا النهر يستمد منابعه من أقاصي الشمال .

تقديم القرابين الثمينة الى سكان السماء . كما أنني لم أطارد مهاتك رغبة من نفسي بل بأمر من يوريثيوس الذي أوجبت الآلهة علي طاعته فلا طاقة لي في عصيانه .

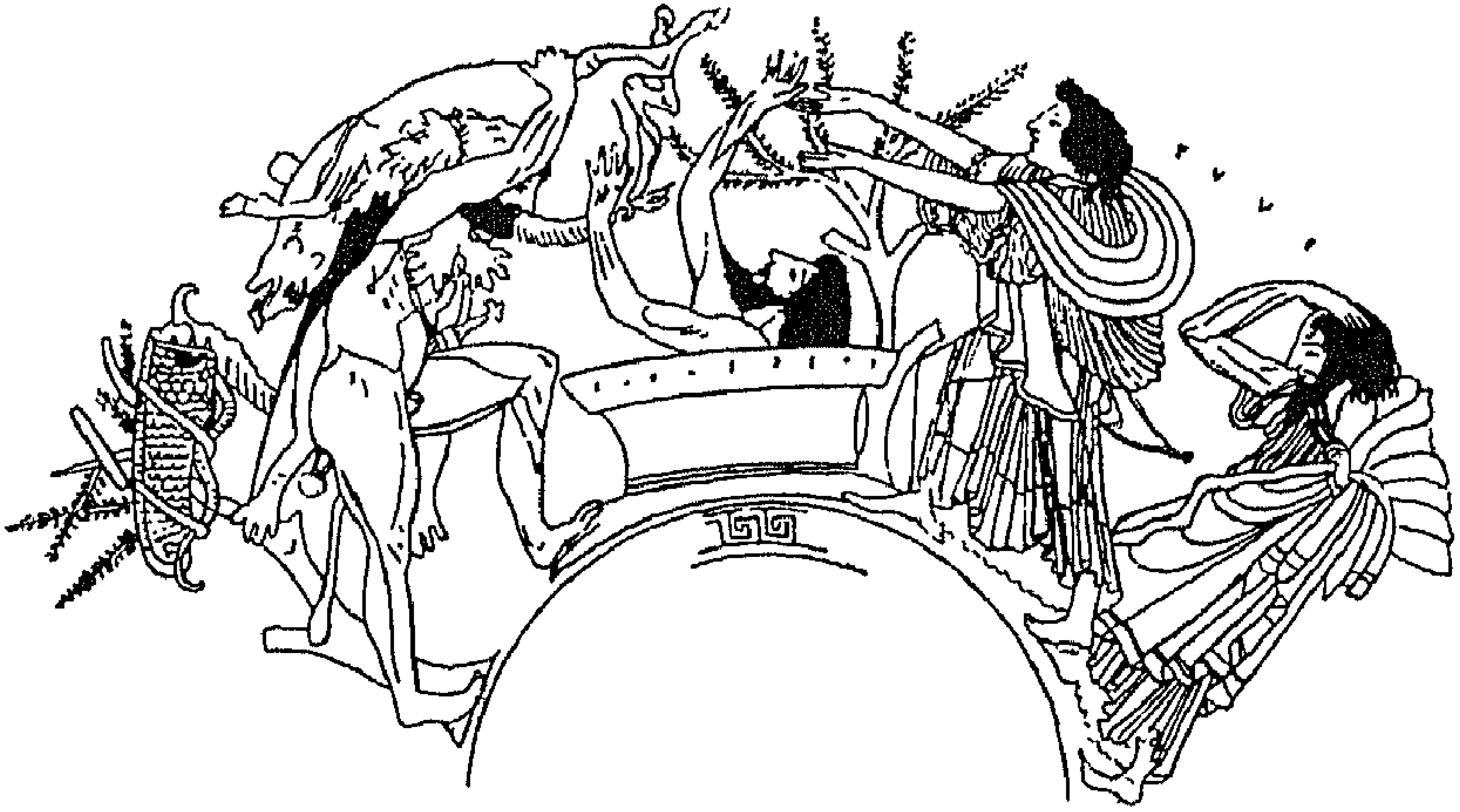
وقعت كلمات هرقل موقعاً حسناً من نفس ارتيميدا فغفرت له خطأه ، فحمل المهاة حية الى مكينا وقدمها الى يوريثيوس .

خنزير جبل ايريمانث والصراع مع القناطير (المأثرة الخامسة)

اتصلت مطاردة هرقل للمهاة النحاسية القوائم عاماً بطوله ، لكنه لم يلبث إلا قليلاً بعد صيدها حتى عهد اليه يوريثيوس بمهمة جديدة وهي القضاء على خنزير متوحش في جبل ايريمانث-١- كاد أن يبيد كل ما يحيط بمدينة بسوفيس ، وكان ذلك الخنزير هائجاً مفترساً يهاجم الناس ويمزقهم بأنيابه الفتاكة . فيمم هرقل وجهه شطر الجبل ، لكنه قصد القنطور الحكيم فولوس في طريقه فاستقبله هذا وأكرم وفادته وأقام على شرفه مأدبة فاخرة وفتح دناً كبيراً من الخمرة المعتقة مبالغة في الاحتفال بالضيف الجليل ففاحت روائح الخمرة في كل مكان فلامست خياشيم القناطير الأخرى فأثارت في نفوسهم الغضب على فولوس لأن دن الخمرة لم يكن ملكه لوحده بل كان مشتركاً بينهم . فهبوا جميعاً نحو منزل فولوس وانقضوا عليه وعلى ضيفه هرقل بينما كانا يمرحان سوية وقد توجت هامتيهما الأكاليل . ولم يضطرب فؤاد هرقل للغارة المفاجئة بل هب من مكانه وأخذ يرشق القناطير بعيدان الحطب المشتعلة ففروا من أمامه بينما أخذ يمطرهم بسهامه المسمومة وظل يطاردهم حتى ماليا حيث لجأوا الى مغارة القنطور خيرون الحكيم ، أعقل القناطير وأوفرهم حكمة ، واقتحم هرقل المغارة في اثر خصومه وهناك شد قوسه وقد أعماه الغضب

---

١ - جبل في اركاديا في شبه جزيرة البيلوبونيز ، كانت تقوم عليه مدينة تحمل اسمه كما كانت تقوم الى جواره مدينة بسوفيس .



هرقل يحمل خنزير ايريمانث الى يوريثيوس الذي اختبأ من شدة خوفه في قدر برونزي كبير .
(رسم على مزهرية)

فالتمع في الفضاء سهم مرق في فخد واحد من القناطير لكنه لم يكن خصماً لهرقل بل كان صديقه خيرون فحزن البطل لذلك حزناً شديداً ، وهرع الى غسل جرح صديقه وربطه وهو مدرك أن جميع العقاقير عاجزة عن علاجه فليس من دواء يشفي ما أتاه سهم غمس في دم أفعوان ليرنا . وأدرك خيرون أن ساعته قد دنت فذهب طوعاً الى مملكة هاديس الموحشة .

وغادر هرقل صديقه خيرون وقد تأثر من شدة الكرب والغم وكان بعد قليل فوق قمة ايريمانث حيث وقع على الخنزير البري في غابة كثيفة فأخرجه منها بصراخ شديد وأخذ يطارده ويلح عليه حتى ألجأه الى قمة جبل غطتها ثلوج عظيمة فتخشبت أطراف الوحش من شدة البرد فقبض هرقل عليه وقيد أطرافه وحمله معه الى ميكينا حياً ، ولما وقع نظر يوريثيوس على الخنزير المهول حل الرعب في قلبه فاختبأ في إناء برونزي كبير .

حظائر الملك أفغيوس

(المأثرة السادسة)

لم يطل الزمن بهرقل حتى عهد اليه يوريثيوس بإنجاز مهمة جديدة وهي تنظيف حظائر افغيوس ، ملك ايليدا[1] ونجل الاله هيليوس الساطع بالشعاع . كان اله الشمس قد أنعم على ولده بخيرات وثروات لا نهاية لها فكانت قطعانه وافرة الاعداد ومن بينها ثلاثمئة ثور ذات قوائم بيضاء كالثلج ومائتان من الثيران الحمراء كأصباغ صيدا القرمزية، وكان بينها اثنا عشر ثوراً أبيض كالبجع، وكانت كلها نذرا للاله هيليوس ويمتاز من بينها واحد يتسم بجمال خلاب فكان يتألق بين الثيران كنجم مضيء ، وعرض هرقل على أفغيوس أن ينظف له جميع حظائره الواسعة في يوم واحد لقاء عشر ما لديه من المواشي فقبل الملك اذ بدا له مستحيلاً إنجاز العمل بمثل هذه السرعة . فهدم هرقل الجدران المحيطة بالحظائر من الجانبين وأرسل عليها مياه نهري الفيوس وبينوس فجرفت المياه جميع ما تحتويه الحظائر من سماد ونفايات في غضون يوم واحد ومن ثم أعاد هرقل بناء الجدران لكنه لما جاء يطلب المكافأة فوجىء برفض الملك المتعجرف فعاد الى تيرنيف صفر الدين .

ولكن هرقل انتقم من ملك ليديا شر انتقام . فما أن نال حريته بعد خدمة يوريثيوس المفروضة حتى زحف على ايليدا بكتيبة من الفرسان الأشداء واشتبك مع افغيوس في معركة ضروس قتله فيها بسهمه المسموم وانتصر على جيشه واستباح مدينته ثم حشد كتيبته بجانب مدينة بيسا وجمع أسلاب المدينة وأقام بعد

---

١ ـ مقاطعة الى الشمال الغربي من شبه جزيرة البيلوبونيز .

ذلك الألعاب الأوليمبية-١- التي درج اليونانيون من بعده على إحيائها مرة كل أربعة أعوام وذلك فوق السهل المقدس المحاط بأشجار الزيتون التي غرسها هرقل بنفسه نذراً للآلهة اثينا .

واقتص هرقل أيضاً من حلفاء ايفيغوس ونال نيليوس ، ملك بَيلوس أوفر حظ من هذا القصاص فقد زحف هرقل عليه بكتيبته فاحتل مدينته وقتله الى جانب أبنائه الأحد عشر ، وقد جهد بيريكليمين ، ابن نيليوس ، أن يفلت من بطش هرقل فاستحال بقدرة بوسيدون أسداً فافعواناً فنحلة لكن ذلك لم يفده بشيء اذ أن هرقل قتله بعد أن تشكل في صورة نحلة وحط على مركبة البطل العتيد .

ثور جزيرة كريت (المأثرة السابعة)

كان على هرقل أن يغادر بلاد اليونان ويتجه الى جزيرة كريت لينجز مهمته السابعة فقد أوكل إليه يوريثيوس أن يأتي بثور كريت الى ميكينا حيا . وقد أرسل الاله بوسيدون مزلزل الأرض هذا الثور الى مينوس ، ابن اوروبا ، ملك كريت ليذبحه قرباناً له . لكن مينوس أشفق من تقديم هذا الثور الجميل ضحية للاله فسرّحه بين مواشيه وضحى لبوسيدون بواحد آخر من ثيرانه فغضب الإله من مينوس وأصاب ذلك الثور ، وليد البحر بالهياج والجنون فاندفع يجري في أنحاء

---

١ ـ الألعاب الأوليمبية هي أعظم المهرجانات التي كانت تشارك في إقامتها جميع المقاطعات اليونانية دون استثناء ويعلن السلام الشامل في جميع ربوع البلاد أثناء إقامتها . وكانت وفود السفراء ـ الدعاة الى اوليمبيا تنتشر في جميع أنحاء اليونان وجزرها قبل الألعاب بأشهر عديدة للدعوة للمشاركة فيها وكانت تقام مرة كل أربع سنوات وتشمل المباريات في الجري والمصارعة والملاكمة ورمي القرص وقذف الرمح وسباق المركبات . وكان الفائزون يتوّجون بأكاليل الزيتون ويحاطون بآيات الإجلال والتعظيم . وقد بدأ اليونانيون تقويمهم السنوي بهذه الألعاب فحسبوا أن أول مهرجاناتها أقيم سنة ٧٧٩ ق . م وقد تواصلت هذه الألعاب حتى عام ٣٩٣ للميلاد حيث منعها الامبراطور فيودوسي كطقوس منافية للمسيحية ، ثم قام الامبراطور فيودوسي الثاني بعد ثلاثين عاماً بحرق معبد زيوس في اوليمبيا وأحرق جميع المباني الرائعة التي كان تزين ميادين الألعاب الأوليمبية فاستحالت جميعاً الى خرائب وأخذت رمال نهر الفيوس تتوضع فوقها يوماً بعد يوم ولم نتمكن من الوصول الى صورة دقيقة لاوليمبيا الماضية وألعابها الا بعد الحفريات التي أجريت هناك في القرن التاسع عشر والتي تمت بين ١٨٧٥ و١٨٨١ للميلاد ، بشكل خاص .

الجزيرة ويدمر ما يلاقيه في سبيله فأمسك به البطل العظيم وأخضعه ثم امتطى ظهره العريض وقطع عليه البحر من كريت حتى بلغ البيلوبونيز ، فساقه من هناك الى ميكينا لكن يوريثيوس خشي من تسريح ثور بوسيدون بين مواشيه فأطلقه . وما أن اشتم الثور أنسام الحرية من جديد حتى انطلق هائجاً الى الشمال عبر البيلوبونيز ، ووصل السهل المارفوني في اتيكا حيث قتله تيسيوس ، البطل اليوناني الأعظم .

أفراس ديوميد (المأثرة الثامنة)

بعد أن روض هرقل ثور جزيرة كريت أنفذه يوريثيوس الى تراقيا ، فقد كان لديوميد ملك البستونيين فيها أفراس لا مثيل لها في الجمال والقوة . وقد كانت هذه الجياد مربوطة في حظائرها بالسلاسل الحديدية اذ كانت أشد الحبال عاجزة عن كبحها وكان صاحبها الملك يعلفها بلحم البشر فكان يطرح اليها بالغرباء الذين تلجئهم عواصف البحر الهوجاء الى الاحتماء بمدينته . وقد قصد هرقل وثلة من أصحابه ملك تراقيا فأخضع أفراسه وقادها الى سفينته فتبعه ديوميد بجيش من البستونيين الأشداء ولحق به عند شاطىء البحر فترك هرقل الأفراس برعية صفيه المحبوب أبدير ، ابن هرمز ، وكر على ديوميد بمن في رفقته من الفرسان فهزمه بالرغم من قلة من معه وأورده حتفه ثم عاد فرأى الأفراس قد مزقت حارسها الذي كان هرقل يكن له أعمق الحب . فدفنه البطل باحتفال فاخر وأقام على ضريحه رابية مرتفعة وأسس الى جانبها مدينة دعاها باسمه تخليداً لذكراه . أما الأفراس فساقها الى يوريثيوس الذي أمر باطلاقها فخرجت ضارية هائجة واختفت في جبال ليكيون[1] حيث افترستها الوحوش الكاسرة .

---

١ ـ جبال في شبه جزيرة البيلوبونيز .

هرقل ينزل ضيفاً على أدميت

أخذت في الأصل عن مأساة يوريبيد «الكستيدا»

بينما كانت سفينة هرقل تحمله الى تراقيا ليعود بأفراس ديوميد قرر أن يزور صديقه الملك ادميت اذ كانت طريقه تمر قريباً من مدينة ثير[1] التي كان أدميت ملكاً عليها .

وقد اختار هرقل لزيارة صديقه موعداً كان بالنسبة لأدميت عصيباً شديداً . فقد نزلت به كارثة رهيبة اذ كان عليه أن يفجع بزوجته في ذلك اليوم وذلك أن الإله أبولون طلب ذات مرة من الموير ات المجيدات ، ربات المصير أن يكشفن له عما قسم لأدميت فقضين لهذا الملك بإمكانية الإفلات من الموت في آخر ساعة من حياته شريطة أن يقبل أحد من الفانين بالذهاب بدلاً منه الى مملكة هاديس الموحشة . فلما دنت ساعة ادميت طلب من أبويه الشيخين أن يقبل أحدهما بالموت بدلاً منه لكنهما رفضا كما رفض كل المواطنين في ثير ذلك الإفتداء . واذ ذاك أعلنت الكستيدا ، الصبية الفاتنة عن عزمها التضحية بنفسها فداء زوجها الحبيب . فاستعدت للموت يوم موعد وفاة ادميت ، فاغتسلت وارتدت أفخر ملابس الدفن وتزينت ثم تقدمت من مدفأة المنزل وأخذت تناجي الالهة هيستيا بقولها :

ـ أيتها الربة المجيدة ! لآخر مرة أركع أمامك الآن فعلي أن أمضي اليوم الى مملكة هاديس الحزينة . أضرع اليك أن تحمي طفلي اليتيمين وتمنعي الموت عنهما في فجر حياتهما مثلي . املئي حياتهما بالبهجة والمسرة وانعمي على بلادهما باليمن والبركات .

ثم دارت حول مذابح الآلهة وغطتها بالريحان .

---

١ ـ مدينة قديمة جداً في فيساليا .

وأخيراً مضت الى حجرتها وارتمت على سريرها وهي تشرق بدموعها ، وجاء ابنها وابنتها اليها وراحا يبكيان على صدرها فشاركتهما البكاء جميع الخادمات ، وجاء زوجها اليائس فضمها الى صدره وابتهل اليها الا تفارقه . ها لقد أضحت الكستيدا جاهزة مستعدة للرحيل ، فبدا اله الموت ، الاله المقيت من كل الآلهة والفانين وأخذ ينقل خطاه الصامتة متجهاً نحو قصر ملك ثير ليقتص باقة من شعر الكستيدا . لقد رجاه أبولون نفسه أن يؤخر ساعة وفاة الكستيدا زوجة صفيّة ادميت لكنه رفض بكل خشونة .

وتحس الكستيدا بدنو المنية فتصرخ أسيرة الرعب : أداه ، هو ذا زورق خارون ذى المجدافين يقترب مني ويستحثني ناقل أرواح الموتى للإسراع وهو يوجه الزروق نحوي قائلاً : ـ «هلمى ! اسرعي ، مالك تتلكئين هكذا ، الوقت يستعجلني فهلمي ! لقد أعد كل شيء فاسرعي ! آه دعوني ، لقد وهنت رجلاي واقترب الموت مني فالظلمة الحالكة تغشى مقلتي ! آه ! يا طفلي الحبيبين ! لم تعد أمكما بين الأحياء ! فعيشا سعيدين ! ادميت ، لقد كانت حياتك أغلى على من حياتي ! فلتشرق الشمس من أجلك لا من أجلي . أدميت ، أنت تحب طفلينا كما أحبهما فأشفق عليهما ولا تحملهما ظلم الخالة .

فيجيبها أدميت التاعس .

ـ انك تحملين معك كل نعيم الحياة يا الكستيدا . ولن تفارقني الأحزان عليك ما حييت . أيتها الآلهة ! إنك تحرمينني خير امرأة في الوجود .

وتهمس الكستيدا بصوت ضعيف لا أثر فيه للحياة :

ـ وداعاً ! لقد أغمضت عيناي إلى الأبد ! وداعاً يا ولدي . لقد غدوت لا شيئاً . وداعاً يا أدميت .

فصاح أدميت والدموع تسبقه :

ـ أواه ، ألقي علينا ولو نظرة واحدة ! لا تدعي طفليك ! أيها الموت ، لماذا تخليني من بعدها .

وأطبق جفنا الكستيدا وهدأت جوانحها ، فقد ماتت . وراح أدميت يذرف مدرار الدموع على زوجته الحبيبة ويشكو خيانة قدره . وأخيراً أصدر أمره بتهيئة احتفال فاخر لدفن الفقيدة ، خير النساء ، وأمر أهالي المدينة ببكائها ثمانية أشهر على التوالي فخيم الحزن على المدينة ولبس الناس ثياب الحداد فقد كانت الملكة محبة للخير محبوبة من كل قلب .

ويدخل هرقل مدينة ثير وقد تهيأ القوم لحمل الجثمان الى مقره الأخير فيمضي البطل نحو صديقه أدميت ويلتقي به عند بوابة القصر فيحتفي به ادميت أصدق احتفاء يليق بابن زيوس ، مرسل السحاب ويحاول أن يكظم شجونه أمامه لئلا يدخل الى فؤاده الحزن . لكن فطنة هرقل كشفت له أن صديقه مشتغل الفؤاد بآلام كبيرة فيسأله عن سر ذلك فيجيبه أدميت إجابة غامضة يفيد هرقل منها أن واحدة من نسيبات أدميت قد ماتت وأنه كان قد تبناها بعد وفاة والدها . ويأمر أدميت خدمه بأن يمضوا بهرقل الى غرفة الضيوف ويقدموا له وليمة فاخرة وأن يوصدوا أبواب الجناح النسائي في القصر لكي لا يصل مسامعه الندب والعويل .
ويمضي هرقل الى شرابه ولهوه غير مدرك بما حل بصديقه فهو يكرع كؤوس الشراب واحداً تلو الآخر والخدم قائمون على خدمته وقد ساءتهم اقامة مجلس اللهو والأفراح لهذا الضيف وسيدتهم قد فارقت الحياة منذ قليل . ويلحظ هرقل ما يعلو وجوههم من أسى وحزن وما في عيونهم من دموع بالرغم من كل محاولاتهم إخفاء ما بأنفسهم تنفيذاً لوصية أدميت فيدعو أحدهم ليشاركه لهوه قائلاً أن الخمرة تحمل النسيان الى النفس وتخفي غضون الحزن من فوق الجبين لكن الخادم يرفض دعوته فيحس هرقل اذ ذاك بأن كارثة عظمى قد دهمت بيت صديقه فيلح على الخادم ان يفيده بالجواب اليقين فيقول الخادم :

- أيها الغريب ، لقد انتقلت زوجة أدميت اليوم إلى مملكة هاديس .

اغتم هرقل واعتصرت قلبه الأحزان لأنه كان يلهو وعلى رأسه اكليل من العساليج الخضراء ويرفع عقيرته بالغناء في بيت صديقه الذي نزلت به أثقل الارزاء ، فقرر أن يشكر صديقه الكريم النفس الذي أكرم مقدمه بالرغم من فجيعته وبسرعة قر قراره أن ينتزع من تانات - اله الموت الكالح ضحيته الكستيدا .

وهكذا يسرع نحو قبر الكستيدا وقد أرشده الخدم اليه وينتظر هناك نزول تانات الى القبر ليرتوي من دم القرابين وفجأة يتردد صفيق الأجنحة السوداء وتنتشر برودة الموت وينحط اله الموت القاتم على القبر ليلصق شفتيه الشرهتين بدم القرابين فيثب هرقل من مكمنه وينقض عليه فيمسكه بيديه الحديديتين وتحتدم بينهما معركة ضارية يبذل كل منهما جل ما لديه من عزيمة وصبر لينتصر على غريمه

فالتفت ذراعا تانات المعروقتان حول صدر هرقل وراحتا تعصرانه بينما أخذت أنفاسه الباردة تنزل على البطل وراحت أجنحته تنشر برودة الموت حول البطل . وبرغم ذلك كله أطاح البطل المجيد باله الموت فأوثق يديه وطالبه أن يفتدي نفسه بإعادة الكستيدا الى الحياة فامتثل تانات للأمر وهكذا عاد هرقل بزوجة صديقه ادميت الى مقر زوجها .

ولما عاد ادميت الى قصره وقد فرغ من دفن زوجته راح يبكيها بمرارة وحرقة اذ بقي قصره خاوياً لا حياة فيه . أين يتجه ؟ انه يحسد من ماتوا فالحياة مقيتة بالنسبة له وهو يسمع دعوة الموت فقد اختطف تانات أثمن من عنده وحمله الى مملكة هاديس . وأي شيء يمكن أن يكون أصعب من فقدان الزوجة الحبيبة ! ويشفق ادميت على الكستيدا لم تقبل أن يرافقها في رحلة الموت ولمضيا سوية اذ ذاك ولاستقبل هاديس روحين محبين بدل روح واحدة ولقطعت هاتان الروحان نهر أخيرونت معاً . وفجأة ظهر هرقل أمام ادميت المفجوع ممسكاً بيد امرأة متحجبة ، ويطلب هرقل من صديقه أن يحتفظ له في قصره بتلك المرأة التي غنمها في معركة دامية وأن يبقيها لديه ريثما يعود من تراقيا . فيرفض أدميت طلبه وينصحه بتسليمها شخصاً آخر اذ أن قلبه لا يطاوعه أن يرى في منزله امرأة غريبة وقد فقد تلك التي يهواها قلبه ، لكن هرقل يلح في مطلبه بل ويرغب اليه أن يأخذ المرأة بنفسه ليمضي بها في أبهاء القصر اذ أنه لا يسمح للخدم بلمسها . وأخيراً يوافق أدميت على مطلب صديقه فهو لا يستطيع رده فيمسك بيد المرأة ليسير بها الى القصر فيهتف هرقل به قائلاً :

ـ لقد قبلتها يا أدميت فارع صحبتها ! الآن يمكنك أن تتأكد من وفاء ابن زيوس في صداقته . انظر الى المرأة ! الا تراها شبيهة بزوجتك ! دعك من الأحزان وأنعم بالحياة من جديد !

رفع أدميت حجاب المرأة وأطلق صرخة الدهشة : ـ أوه أيتها الآلهة العظام ! زوجتي الكستيدا ! لا إن هذا طيفها ! فهي تقف صامتة لا تنبس بكلمة واحدة .

فرد هرقل عليه بقوله : ـ لا ، إنها الكستيدا ، وليس طيفها ، وقد استعدتها من ملك الأرواح تانات بعد صراع مرير . وهي ستظل على صمتها حتى تتخلص من سلطان آلهة العالم السفلي بتقديم ذبائح الفداء لهم . وتظل ثلاثة أيام بلياليها لا تنطق بكلمة واحدة ثم ينطلق لسانها . أما الآن فوداعاً يا أدميت ! عش هانئاً ممتعاً بالسعادة وارع دوماً حقوق الضيف التي يباركها أبي زيوس .

فصاح أدميت : ـ أي ابن زيوس الأعظم ، لقد وهبتني نعمة الحياة من جديد . فبأي طريقة أسدي لك الشكر ! ابق عندي وسآمر أن تحيي ملكتي بأسرها أمجاد انتصاراتك وأن تقدم القرابين للآلهة . امكث عندي .

ولم يكن لهرقل خيار في البقاء فقد كانت مهمته تهيب به أن يسارع اذ كان عليه أن يعود الى يوريثيوس بأفراس ديوميد .

حزام الملكة هيبوليتا (المأثرة التاسعة)

وكانت مهمة هرقل التاسعة هي أن يذهب الى بلاد الأمازونات ليعود بحزام الملكة هيبوليتا الذي قدمه اليها اله الحرب آريس فكانت تتمنطق به دوماً رمزاً لسلطانها ، وقد رغبت ادميتا ، ابنة يوريثيوس وكاهنة الالهة هيرا أن تحصل على ذلك الحزام مهما كان الثمن فوجه يوريثيوس هرقل بطلبه . فجمع هرقل فرقة صغيرة من الأبطال الصناديد وركب البحر معهم واتجهوا جميعاً في الطريق الشاسع فوق سفينة واحدة بالرغم من قلة عدد تلك الفرقة فقد كانت تضم عدداً من صناديد اليونان وكان تيسيوس بطل ابتاكا الأشهر واحداً منهم .

كان طريق الأبطال يمتد طويلاً شاسعاً فكان عليهم أن يبلغوا أقصى شواطىء بونت الايفكسيني حيث تقوم بلاد الأمازون وعاصمتها ثيميسكيرا .

فأرسى هرقل قلاعه عند جزيرة باروس-١- حيث كان يحكم أولاد مينوس فقتل أهل الجزيرة اثنين من مرافقي هرقل فانقض البطل عليهم على التو وقتل منهم كثيرين وطارد فلولهم حتى ألجأهم الى المدينة فظل يحاصرها حتى أخرجت اليه الوفود كي يختار اثنين من بينهم عوضاً عن القتيلين ، وعند ذلك فك هرقل الحصار عن المدينة وقبل افتداء قتيليه باثنين من أحفاد مينوس وهما ألكيوس وسفينال .

وانطلق هرقل من باروس فنزل في ميزيا-٢- عند ملكها ليكوس الذي أكرم وفادته . وقد أغار ملك البيريك غفلة على ليكوس فتصدى له هرقل ورجاله وقهره في المعركة وهدم مدينته وأعطى أراضيه الى الملك ليكوس فدعى الملك تلك الأراضي باسم هراقليا تخليداً لذكرى البطل . واتجه هرقل بعد ذلك في طريقه الى أن وصل أخيراً الى ثيميسكيرا ، مدينة الامازون .

كانت أخبار هرقل وما أتاه من مآثر مجيدة قد سبقته الى بلاد الأمازونات قبل وصوله بزمن طويل ولذلك ما أن وصلت سفينته مدينة ثيميسكيرا حتى هرعت الأمازونات وملكتهن للترحيب به ونظرن باعجاب بالغ الى ابن الاله زيوس المجيد الذي كان يتميّز بين جميع رفاقه الأبطال بسمات الآلهة الخالدين . وتقدمت هيبوليتا من البطل العتيد وسألته :

ـ خبرني يا ابن زيوس الأمجد ! ما الذي حملك على المجيء الى أرضي ! أجئت تحمل السلام أم تشن الغارة ؟

فأجابها هرقل بقوله :

ـ أيتها الملكة الجليلة ! أنني لم أحشد جيشي وأخوض عباب البحر العريض الواسع لأطرق ديارك رغبة مني أو ارادة من نفسي ، وانما أرسلني إليك يوريثيوس ، ملك ميكينا ؛ فابنته ادميتا ، تريد حزامك المهدى اليك من الآله آريس ولذلك وجهني الملك الى هنا لأحصل على الحزام .

---

١ ـ احدى جزر سيكلاد في بحر ايجه وكانت تشتهر قديماً بمرمرها .

٢ ـ مقاطعة على الشاطىء الغربي من آسيا الصغرى وبرجام أكبر مدينة فيها .

ولم تكن هيبوليتا لتقوى على رد طلب هرقل فكانت مستعدة لأن تنزل له طوعاً عن الحزام ، لكن الآلهة هيرا ، الراغبة دوماً في الكيد لهرقل ابن زيوس وانزال الموت به ، اتخذت هيئة واحدة من الأمازونات وراحت تقنع زميلاتها المحاربات بالهجوم على كتيبة هرقل فخاطبتهن بقولها)

ـ انه لا ينطق بالحق يا أخواتي ، بل جاء اليكن بفكرة دامية فهو يريد اختطاف ملكتكن وجرّها الى دياره لتصبح خادمة لديه .

وصدقت الأمازونات مقالة هيرا فامتشقن الأسلة وانقضضن على جيش هرقل تتقدمهن آييلاّ السريعة كالريح فهجمت على هرقل كالإعصار لكنه صد هجومها بهجوم مباغت سريع ألجأها الى الفرار ، وظنت أن سرعتها ستضمن لها النجاة لكن هرقل عاجلها بضربة من سيفه فخرت صريعة على الأرض ، كما قتلت بروويا التي جندلت سبعة من رفاق هرقل لكنها لم تنج من سهمه النافذ . واذ ذاك انقضت على البطل سبع من الأمازونات ، مرافقات ارتيميدا ، ولم يكن ثمة من يجاريهن في فن الطعن بالرمح ، فاحتمين بالتروس وارسلن طعناتهن نحوه لكنهن أخطأن الهدف لأول مرة فجندلهن هرقل جميعاً بضربات هراوته الغليظة فتساقطن على الأرض واحدة تلو الأخرى وكل منهن تتألق بما تحمله من أسلحة . أما ميلانيبا ، قائدة كتيبة الامازونات فقد وقعت أسيرة في قبضة هرقل ثم تلتها انتيوبا . وهكذا اندحر جيش المحاربات الباسلات واستسلمن للفرار كما وقع كثير من أفراده صرعى طعنات مطارديه . ورضيت هيبوليتا أخيراً بالصلح فافتدت بحزامها ميلانيبا ، قائدة عسكرها ، أما أنتيوبا فحملها المحاربون معهم وقدمها هرقل هدية الى تيسيوس جزاء شجاعته وإقدامه . وهكذا أنجز البطل مهمته وحاز على حزام الملكة الأمازونية .

هرقل ينقذ هيسيونا ، ابنة لاوميدونت

اتجهت سفينة هرقل وأصحابه نحو تيرتيف عائدة من بلاد الأمازون فاقتربت في مسيرها من مدينة طروادة . ولما كانت تتقدم صوب الشاطىء وقعت أنظار ركابها الأبطال على منظر مخيف فقد كانت هيسيونا ، ابنة لاوميدونت ، ملك طروادة ، مغلولة الى صخور الشاطىء تنتظر خروج وحش من البحر ليبتلعها ، كما حدث لاندروميـدا . فقد سلط الاله بوسيدون ذلك الوحش على لاوميدونت عقاباً على رفضه أن يدفع له وللاله ابولون ما يستحقانه لقاء بنائهما أسوار طروادة بأمر من الاله زيوس . ولم يكتف لاوميدونت بالرفض ، بل وهدد الالهين بصلم آذانهما أن هما عادا اليه يطلبان حقهما . فغضب الالهان وأرسل ابولون على مملكته طاعوناً فاتكاً وسلط بوسيدون عليه وحشاً بحرياً ضارياً راح يلقف ما يلقاه في ضواحي طروادة حتى أحالها قفراً بلقعاً ، فلم يكن ثمة أي حيلة لإنقاذ المملكة الا أن يضحي لاوميدونت بابنته ، وهكذا أخذها فغلها الى صخرة بجوار الشاطىء ليخرج الوحش البحري ويزدردها .

تجرد هرقل لإنقاذ الفتاة المنكودة حال ان وقعت أنظاره عليها . وقبل لاوميدونت أن يعطيه نظير ذلك جميع الأفراس التي قدمها اليه زيوس فداء ابنه هانيميد الذي اختطفه نسر زيوس ذات يوم وحمله الى الأوليمب ، فأصدر البطل الأمجد أمره الى الطرواديين بأن يقيموا رابية على شاطىء البحر ويختبئوا خلفها معه . وما كادوا ينجزون ذلك حتى خرج الوحش الهائل وفغر شدقه العريض وانقض على هيسيونا ، فاطلق هرقل صرخة مدوية ووثب من خلف الرابية وانحط على الوحش فأغمد في صدره سيفه الحاد الجنبين فقتله وخلص الفتاة من براثنه .

لكن لاوميدونت رفض الوفاء بالوعد عندما جاء هرقل يطلب المكافأة ، بل وطرده من بلاده فخرج هرقل من طروادة كاتماً غضبه في صدره اذ لم يكن قادراً آنذاك على الاقتصاص من الملك الخداع لأن جيشه كان قليل العدد ولم يكن يأمل في إمكانية السيطرة على المدينة المنيعة بينما لم تكن لديه الرغبة في البقاء طويلاً تحت أسوارها لأن عليه أن يسرع بحزام هيبوليتا الى ميكينا .

أبقار جيريون (المأثرة العاشرة)

لم يمض الا القليل من الوقت على إنجاز هرقل مهمته التاسعة حين اتجه لإنجاز مهمة جديدة . فقد أمره يوريثيوس أن يسوق الى ميكينا أبقار المارد جيريون ابن خريساوور والاوكيانيدة كالّيرويا . وكانت الطريق الى جيريون تمتد شاسعة بعيدة فكان على هرقل أن يذهب الى أقاصي الأرض الغريبة التي ينحدر هيليوس اليها من قمة السماء . فقطع هرقل افريقيا واجتاز صحارى ليبيا القفراء ثم توغل في بلاد البرابرة حتى أدرك نهاية الكون فضرب في كل من جانبي المضيق الذي ينتهي اليه الكون عمودين هائلي الحجم ذكرى خالدة لما أنجزه[1] .

فلما أدركها جلس قرب المياه الخالدة الهدير وراح يفكر بوسيلة توصله الى جزيرة ايريثيا حيث كان جيريون يرعى أبقاره . ومال النهار الى المساء فبدت مركبة هيليوس وهي تنحدر نحو المياه الخالدة فبهرت المركبة بلألاء بريقها عيني هرقل وساطته بشواظ من لهيبها لا يحتمل . فثارت نفس البطل وأمسك بقوسه . لكن الاله الساطع بالشعاع لم يغضب لذلك فقد راق البطل في عينيه لجرأته النادرة فحياه بابتسامه عذبة وعرض عليه ان يحمله الى ايريثيا على زورقه الذهبي الذي ينزل فيه كل مساء بجياده ومركبته فيقطع الكون من مغربه حتى مشرقه حيث يقوم قصره الذهبي . فسرّ هرقل ووثب الى الزورق الذهبي بجرأة وعزيمة ولم يمض الا القليل حتى كان على شواطىء افريقيا .

وما ان لمست قدما البطل أرض الجزيرة حتى تنسم اورفوس ، الكلب ذو الرأسين ، ريحه فانقض عليه وهو ينبح نباحاً شديداً . فطرحه هرقل بضربة واحدة

---

١ ـ يقصد بذلك أعمدة هرقل أو الأعمدة الهرقلية فقد كان اليونان يتصورون أن هرقل هو الذي رفع الصخور الشاهقة على شاطىء مضيق جبل طارق .



هرقل يشتبك في معركة مع المارد جيريون ذي الرؤوس الثلاثة . عند قدمي هرقل يظهر الكلب اورفوس ذو الرأسين ، وتظهر خلف هرقل الالهة أثينا ـ بالادا وايولايس وقد رقد عند قدميهما الجبار ايثريتيون صريعاً .

(رسم على مزهرية) .

من هراوته ، لكن ذلك الكلب لم يكن يقوم بحراسة الابقار وحيداً اذ كان هناك العملاق ايثريتيون الراعي فكان على هرقل ان يقمعه أيضاً فجندله بعد قليل وساق الابقار الى شاطىء البحر حيث كان زورق هيليوس الذهبي بانتظاره ، لكن هيريون سمع خوار أبقاره فذهب يستطلع خبرها . وكم كان غضبه شديداً اذ عثر على كلبه وراعيه مجندلين فمضىٰ يبحث عن سارق أبقاره فالتقى بهرقل فوق شاطىء البحر والأبقار معه . كان جيريون عملاقاً مهولاً له رؤوس ثلاثة وثلاثة

جذوع وستة أرجل وستة أذرع . وكان يلبس ثلاثة دروع متينة ويكيل خصمه في النزاع برماح ثلاثة معاً ، فكان على هرقل ان يخوض معركة دامية ، لكن الالهة أثينا المحاربة هبت لنصرته فما كاد هرقل ان يلمح العملاق الشديد حتى رشقه بسهم مسموم فخرق به أحد رؤوسه وانطلق من قوسه سهم ثان فثالث ثم رفع هراوته المبزّزة الثقيلة وأهوى بها على العملاق فخر هذا على الارض جثة هامدة فحمل هرقل أبقاره في زورق هيليوس الذهبي وعبر بها أمواج اوكيان الهائجة ثم اعاد الزورق الى صاحبه وبذلك أتم الشطر الاول من مهمته .

لكن هرقل كان لا يزال مضطراً الى خوض الكثير من الأهوال والمصاعب قبل أن يصل بالأبقار الى ميكينا فقطع بها اسبانيا بطولها ثم عبر جبال البيرينية فغاليا فجبال الالب فايطاليا . وقد انفصلت عن القطيع بقرة بالقرب من مدينة ريچيوم جنوب ايطاليا وقطعت البحر الى سيسيليا حيث رآها الملك ايريكس ابن بوسيدون فضمها الى قطعانه . وبحث هرقل طويلاً عن هذه البقرة وأخيراً سأل الاله هيفست ان يحرس قطيعه بينما اتجه هو الى سيسيليا ووجد ضالته بين قطعان ايريكس . ورفض الملك اعادة البقرة الى صاحبها ولما كان شديد الاعتداد بقوته فقد دعا هرقل الى المصارعة بشرط ان تكون البقرة للغالب منهما . لكن الملك لم يكن يوازي خصمه هرقل في القوة والبأس فعصره البطل بين ذراعيه وأخمد أنفاسه . ثم عاد بالبقرة فضمها الى القطيع ومضىٰ يتابع طريقه . ولما بلغت الأبقار شواطىء البحر الايوني سلطت هيرا عليها الجنون فتفرقت شتىٰ الأنحاء ، ولم ينجح هرقل في جمع شتات القدر الأكبر منها الا في تراقيا . وأخيراً ساقها الى يوريثيوس فقدمها الملك قرابين للالهة هيرا المجيدة .

كيربير[1]

(المأثرة الحادية عشرة)

ما كاد هرقل يستقر في تيرينف قليلاً حتى وجهه يوريثيوس في مهمة جديدة كانت الحادية عشرة وقد عرضته لأهوال ومصاعب لم يعرفها من قبل . فقد كان عليه ان ينفذ الى قرار مملكة هاديس الموحشة المحفوفة بالمخاطر وان يعود بالكلب الجهنمي كيربير ، حارس مملكة الأموات . كان لهذا الكلب ثلاثة رؤوس وكانت الافاعي تتلوى حول رقبته كما كان ذيله ينتهي بهامة تنين عظيمة الشدق . فتوجه هرقل الى لاكونيا ، وهناك دخل الهوة المظلمة بجوار تينار ونفذ منها الى السراديب المعتمة المؤدية الى العالم السفلي حيث لقي البطلين تيسيوس وبيريفويوس ، ملك فيساليا وقد شدا الى صخرة على باب مملكة هاديس عقاباً لهما على محاولتهما اختطاف بيرسيفونا من زوجها هاديس . وهتف تيسيوس بالبطل العتيد لما رأته عيناه :

ـ ايه يا ابن زيوس المجيد . مد لي يدك بالعون ، فأنت ترى ما أنا فيه من عذاب ! وليس من أحد سواك بقادر على خلاصي .

فمد هرقل يده الى تيسيوس وخلصه ولما هم بتخليص بيريفوس جاشت الأرض من تحته فأدرك ان الآلهة لا ترضى بذلك فخلاه خشية اغضاب الآلهة ومضىٰ في طريقه فدخل الظلمات الابدية بهداية هرمز رسول الآلهة ودليل أرواح الموتى ، فكان هرمز دليله في رحلته مثلما كانت اثينا رفيقة مسيره . وما ان ولج هرقل المملكة السفلى حتى تطايرت أرواح الموتى مذعورة مضطربة فلم تصمد من

---

١ ـ يسمىٰ أيضاً تسيربير .

٢ ـ خليج في جنوبي شبه جزيرة البيلوبونيز .

بينها الا روح البطل ميلياجر ، التي اتجهت الى ابن زيوس بتوسل ضارع :
- أي هرقل المجيد ، انني استصرخ فيك صداقتنا الماضية لأسألك أمراً واحداً. إشمل برعايتك أختي ديانيرا الجميلة التي غدت يتيمة من بعدي لا نصير لها ، فاتخذها زوجة لك وكن حاميها أيها البطل المجيد .

وعد هرقل صديقه ان يحقق امنيته ، ثم لحق بهرمز ليتم طريقه فتمطى أمامه شبح القرغونة ميدوزا الرهيبة فمدت نحوه ذراعيها النحاسيين بطريقة مخيفة وجذفت بجناحيها الذهبيين بينما أخذت الأفاعي ترسل فحيحها من فوق رأسها . فمد البطل المقدام يده الى سيفه ، لكن هرمز أوقفه بقوله :
- لا تجرد سيفك يا هرقل ! فما هذا الا شبح لا خطر فيه ، وهي لا تحمل اليك تهديداً بالموت .

ولقي هرقل ضروباً من الأهوال في طريقه الى أن بلغ مقر ملك العالم السفلي فرآهه مستوياً على سرير ملكه ورأى زوجته بيرسيفونا جالسة الى جانبه وهما يرددان فيه نظرات الاعجاب والتقدير لانه انحدر الى عالم الخوف والظلمات غير هياب ولا وجل . ووقف البطل الصنديد أمام عرش هاديس هادئاً مرفوع الجبين تغطي منكبيه فروة الاسد وتنفر نهاية القوس من خلف ظهره بينما تمسك يده بالهراوة الغليظة المبزّزة ، ورحب هاديس بابن أخيه أجمل ترحيب وسأله ما الذي حمله على هجر أنوار الشمس والنزول الى قرارات مملكة الظلام فانحنى هرقل أمامه وردّ عليه بقوله :

- أي هاديس ، الأمجد بين الآلهة ، كن رفيقاً بي لجرأتي في مطلبي ايها الاله الشديد الباس . فانت تعلم انني ما دخلت مملكتك طواعية مني ولا رغبة من نفسي ، وانني أتقدم بالسؤال اليك رغماً عني . أجز لي ايها الواسع الأمجاد أن آخذ كلبك كيربير ذي الرؤوس الثلاثة الى ميكينا فقد أمرني بذلك يوريثيوس الذي اوجب علي الاوليمبيون طاعته .
فاجاب هاديس بقوله :

ـ سأجيبك الى ما تريده يا ابن زيوس . لكنني أشرط عليك ان تقمع الكلب مجرداً من سلاحك ، فاذا ما تمكنت من ذلك أجزت لك الخروج به الى يوريثيوس .

بحث هرقل عن الكلب الجهنمي طويلاً واخيراً عثر عليه فوق ضفاف أخيرونت فقبض على عنقه بذراعين كالحديد فأطلق الكلب عواء شديداً ردّدت صداه أرجاء العالم السفلي بجمعها ، وحاول جاهداً ان يتخلص من قبضة البطل ، لكنها كانت تزيده ضغطاً وخنقاً حتى سقط الكلب عند قدمي هرقل مشرفاً على الهلاك ، فأخرجه هرقل من العالم السفلي ليذهب به الى ميكينا . ولما فوجىء الكلب بضوء النهار المشرق خاف وهلع فخضب العرق جسمه وراح الزبد السام يخرج من أشداقه الثلاثة وينهمر على الأرض فنبتت مكان كل نقطة من زبده الزعاف عشبه من الأعشاب السامة .

قاد هرقل الكلب إلى أسوار ميكينا فانخلع قلب يوريثيوس الجبان لمرآه ، وكاد ان يسقط راكعاً على ركبتيه أمام هرقل وهو يتوسل إليه أن يعيد الكلب الى مكانه فأطاع هرقل واعاد الى هاديس حارسه الرهيب كيربير .

تفاح الهيسپريد

(المأثرة الثانية عشرة)

أما أشق ما أنجزه هرقل في خدمة يوريثيوس فكان مهمته الثانية عشرة والأخيرة . اذ كان عليه أن يمضي الى العملاق الجبار أطلس الذي يرفع السماء على منكبيه وأن يجيء بثلاث تفاحات من جنانه التي تحرسها بناته الهيسپريدات . كانت هذه التفاحات تنمو على شجرة ذهبية أنبتتها هيا ـ الهة الأرض وأهدتها لهيرا العظيمة يوم زفافها الى زيوس . وكان على هرقل ان يهتدي قبل كل شيء الى هذه الجنان التي يقوم على حراستها تنين لا يطبق أجفانه النوم أبداً . وما كان أحد يعرف السبيل الى أطلس وبلاد الهيسپريد فضرب هرقل طويلًا في أنحاء آسيا واوروبا وطاف بجميع البلاد التي طافها مرة للحصول على أبقار چيريون وكان يسأل عن تلك الطريق أينما حل، الى أن قاده مسيره الى أقصى الشمال وبلغ نهر ايريدان الصاخب الموج ، الابدي الخفقان ، وهناك استقبلته الحوريات الفاتنات بحفاوة وترحيب وارشدنه الى وسيلة يهتدي بها الى جنان الهيسپريد ، فكان عليه ، حسب نصيحتهن ان يباغت الشيخ العراف نيريوس عند خروجه من لجة البحر وان يكرهه على ارشاده الى طريق الهيسبريد فليس هناك من يعرف هذه الطريق سواه . فبحث هرقل طويلًا عن نيريوس الى ان عثر عليه فوق شاطىء البحر فانقض عليه واشتبكا في قتال مرير تشكل الاله العراف خلاله في جميع الهيئات والصور محاولًا ان يفلت من قبضتي هرقل الحديديتين لكنه لم ينجح في ذلك فقد غلبه البطل وشد وثاقه وأكرهه على افتداء حريته بكشف السبيل الى بلاد الهيسبريد . فلما اكتشف هرقل السر خلى سبيل اله البحر ومضى في طريقه الطويل .



هرقل يصارع انتيوس . (رسم على مزهرية) .

وكان عليه من جديد ان يقطع صحارى ليبيا بطولها حيث التقى بالجبار انتيوس ابن اله البحر بوسيدون وربة الأرض هيا التي أنجبته وأرضعته وأنشأته . وكان انتيوس يرغم كل من يلتقي به على مصارعته وكان يقتل كل من يقهره في المصارعة وطلب الجبار من هرقل ان ينازله ، ولم يكن لأحد ان يقهر ذلك الجبار في ميدان الصراع ما لم يكشف سر المصدر الذي كان يرفده بقوة جديدة كلما وهنت قواه . ويكمن ذلك في ان الجبار كان ينكب على الأرض كلما أحس بتلاشي قوته فينهل من أمه الهة الأرض قوة جديدة حية ، فكان اذا ما انتزع عنها تلاشت قواه واندحر . واصطرع هرقل طويلاً مع الجبار وبطحه مرات على الأرض لكنه كان يزداد بذلك قوة وشراسة . واخيراً اقتلعه عن الأرض ورفعه في الهواء فتلاشت جميع قوى ابن هيا فتمكن هرقل من خنقه .

وتابع هرقل مسيره فوصل مصر وهناك ركن الى ظل أجمة صغيرة مشرفة على النيل وقد أخذ منه التعب ، فرآه بوسيريس ، ملك مصر الذي كان بوسيدون اباه ، وليسياناسّا ابنة ايباف أمه ، وأمر الملك بتوثيق البطل بالحبال بغية تقديمه



هرقل يقتل بوسيريس ، ملك مصر . (رسم على مزهرية) .

ضحية للاله زيوس ، اذ ان مصر كانت قد تعرضت لقحط شديد دام تسع سنين فتنبأ العراف فراسيوس الوافد من قبرص لملك مصر بان القحط لن يبرح مخيماً على مصر حتى يضحي الملك لزيوس كل عام بغريب ينزل في أرضه . فقبض بوسيريس على العراف فراسيوس وقدمه أول ضحية وصار منذ ذلك الحين يقدم للاله العظيم كل غريب ينزل في بلاده . وهكذا اقتيد هرقل الى المذبح ، ولكنه قطع الحبال التي كان موثقاً بها وقتل بوسيريس وابنه أمفيدامانت بجوار المذبح وبهذا اقتص من الملك على كل جرائمه .

وخاض هرقل الكثير من الأهوال في طريقه الى ان وصل اقصى اقاليم الأرض حيث كان العملاق أطلس يقف حاملاً على منكبيه السماوات . ووقف البطل ينظر بدهشة شديدة الى العملاق الشديد ثم خاطبه بقوله :

ـ أي أطلس ، أيها العملاق المجيد ! انا هرقل ، ابن زيوس وقد وجهني اليك يوريثيوس ملك ميكينا الغنية بالذهب وأمرني ان أحصل منك على ثلاث تفاحات ذهبية من الشجرة الذهبية النامية في جنائن الهيسبريد .

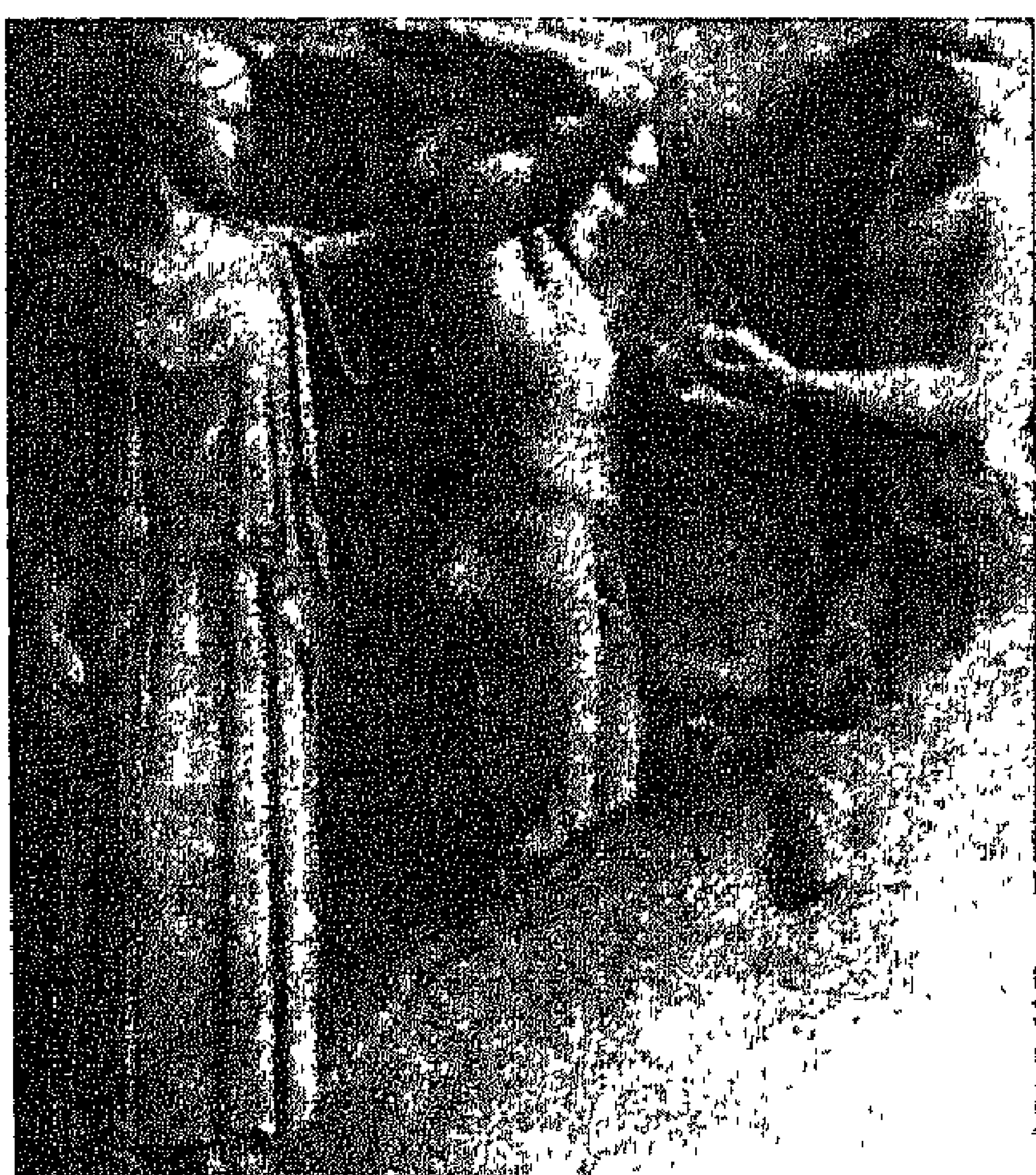
فاجاب أطلس : ـ ستنال مني ما طلبت يا ابن زيوس وعليك فقط ان تحل مكاني الآن لتسند بدلاً مني السماء ريثما اذهب لاحضار ما أردته .

وقف هرقل في مكان أطلس فانحط على كتفيه ثقل السماوات فعصرهما عصراً حتى انحنى ظهره وانتفخت عضلاته فأمست كالجبال ونضح بدنه بالعرق من شدة الضغط لكنه بقي ثابتاً بفضل قوته اللا بشرية الشديدة وبفضل نصرة أثينا له فظل مكانه يدعم السماء حتى عاد أطلس حاملاً التفاحات وقال له :

ـ اليك بالتفاحات يا هرقل واذا كنت ترغب فاني مستعد لحملها بنفسي الى ميكينا شريطة أن تمكث هنا في مكانك رافعاً قبة السماء الى حين عودتي لأحل مكانك .

فطن هرقل الى حيلة أطلس وأدرك ان العملاق الغاشم يريد أن يتحرر من مهمته الشاقة بصفة نهائية فرد عليه بحيلة ودهاء .

ـ حسناً يا أطلس . اني اقبل بعرضك ، ولكن سرّحني قليلاً لأصنع لنفسي حشية أطرحها على كتفي فلا تهرسها أثقال السماوات .



اطلس يقدم تفاحات الهيسبريد الى هرقل
تظهر أثينا واقفةً وراء هرقل
لتساعده على رفع القبة السماوية .
(رسم من القرن الخامس ق.م) .

عاد أطلس الى مكانه من جديد فناخت عليه السماوات بثقلها بينما أخذ هرقل قوسه وكنانته المليئة بالنبال ورفع هراوته والتفاحات الثلاث والتفت الى أطلس فقال له :

ـ وداعاً يا أطلس ! لقد امسكت بالسماوات ريثما مضيت بطلب التفاحات الذهبية ، ولكن ليس لدي من رغبة في رفعها على كتفي أبد الدهر .

وانصرف البطل بعد ذلك مخلفاً وراءه العملاق الذي عاد الى وقفته الشاقة . وعاد هرقل بعد ذلكُ الى يوريثيوس ودفع اليه بالتفاحات فردّها يوريثيوس اليه هديّة فقدمها هرقل الى حاميته أثينا ـ بالادا التي اعادتها بدورها الى جنائن الهيسبريد لتظل مكانها فوق الشجرة .

ولما أتم هرقل مأثرته الثانية عشرة غدا حراً من خدمة يوريثيوس فعاد إلى طيبة ذات البوابات السبع لكنه لم يمكث هناك طويلاً فقد كان عليه انجاز مآثر جديدة كانت بانتظاره فقدم زوجته ميغارا الى صديقه ايولايس فتزوجها أما هو فمضىٰ الى تيرنيف من جديد .

لكن النصّر لم يكن بعد ذلك حليفاً له في كل خطواته ، اذ ان هيرا لم تكن لتكف عن مطاردته فسلطت عليه ضروباً من المحن والارزاء والمصائب .

هرقل وايڤريت

كان ايڤريت ملكاً على مدينة اويخاليا في جزيرة ايشبيا ، وقد ذاع صيته كأحسن رام للسهام اذ كان أبولون قد علمه ودربه بل واهداه قوساً ونبالاً فتعلم هرقل في صباه الرمي على يديه . واعلن ايفريت الملك ذات يوم انه مزوج ابنته ايولا الفاتنة للبطل الذي يقهره في رمي السهام ، وكان هرقل لا يزال حديث العهد بالحرية آنذاك فاتجه الى اويخاليا فرأى هناك جمعاً غفيراً من صناديد الأبطال وقد احتشدوا عند الملك بقصد المباراة في الرماية فشارك هرقل وغلب الملك ايفريت بسهولة ويسر فطلب منه ايولا زوجةً لكن الملك أبى ان يفي بعهده وصار يوجه الاهانات الى هرقل متناسياً آداب الضيافة المقدسة ويردد على مسامعه انه غير مستعد لتزويج ابنته بمن كان عبداً ليوريثيوس ، وأخيراً قام الملك ايڤريت وابناؤه بطرد هرقل من قصرهم وقد كان مخموراً اثناء احدى المآدب ، ولم يكتفوا بذلك فأخرجوه من اويخاليا فترك المدينة وغادر جزيرة ايشبيا كلها وعاد الى تيرتيف وهو يطوي فؤاده على حب عميق لايولا الفاتنة وعلى أحزان عميقة بسبب الاهانة التي لحقته من ايڤريت .

ولم يمض وقت طويل حتى أغار اوتوليكوس ، ابن الاله هرمز واشد أبطال اليونان دهاء ومكراً ، على مواشي ايڤريت واستاق منها قطيعاً فاتهم هرقل بالسرقة . ظناً انه شن غارته انتقاماً لما لحق به من اهانات . وصدق الجميع تهمة ايڤريت باستثناء ابنه ايثيوس الأعظم الذي رفض تصديق تهمة والده وهب بنفسه للبحث عن القطيع المسروق لا لشيء الا ليؤكد براءة صديقه هرقل الذي تربط به اوثق عرى الوفاء والمودة . وقاد البحث ايثيتوس الى مدينة تيرينف ، فاحتفى هرقل بمقدمه، أبلغ حفاوة ، لكنه أحس ذات مرة بحنق شديد سلطته هيرا على قلبه بينما كان يقف على أسوار قلعة تيرينف مع ايثيتوس فتذكر ما لحق به من تحقير واهانات

كانَ مسببها والد ايثيتوس وأخوته فأمسك به في سورة الغضب ورماه من أعالي الاسوار فسقط المسكين على الأرض صريعاً . وجر هرقل على نفسه غضب زيوس بالجريمة غير المقصودة فقد دنس حقوق الضيافة وطهارة روابط الصداقة ، فانزل الاله عليه مرضاً شديداً ليعاقبه على جريمته .

وعانى هرقل من سقامه دهراً طويلاً ثم توجه إلى مدينة دلفي وقد أضنته حدة المرض فسأل أبولون عن وسيلة يخلص منها من غضب الآلهة لكن العرافة لم تجبه على سؤاله بل طردته من المعبد كقاتل يحمل رجس الخطيئة فغضب البطل الشديد منها وسرق من معبدها الركيزة التي كانت تجلس فوقها لتقوم بالعرافة وبهذا جر عليه غضب ابولون فظهر الاله الأجعد الشعر أمامه وطالبه باعادة الركيزة لكن هرقل أبى فاشتبكت معركة ضاربة بين ولدي زيوس ـ ابولون ، الاله الخالد وهرقل ، الأمجد بين الفانين . ولم يشأ زيوس ان يهلك ابنه هرقل فأرسل من الاوليمب صاعقة فرقت بينهما وفصمت نزاعهما فاصطلحا وارتفع صوت الكاهنة اذ ذاك قائلاً :

ـ انك تبلى من سقامك اذا ما بعت نفسك عبداً لمدة ثلاث سنين ، أما ما تناله من نقود ثمناً لشخصك فعليك ان نسلمه لايفريت ديةً لابنه الذي قتلته .

وهكذا حرم هرقل الحرية من جديد فبيع إلى اومفالا ، ابنة ياردان ملكة ليديا وحمل هرمز إلى ايفريت ثمن هرقل لكن الملك المتغطرس رفض قبولها مضمراً عداءه للبطل المجيد .

هرقل ودیانیرا

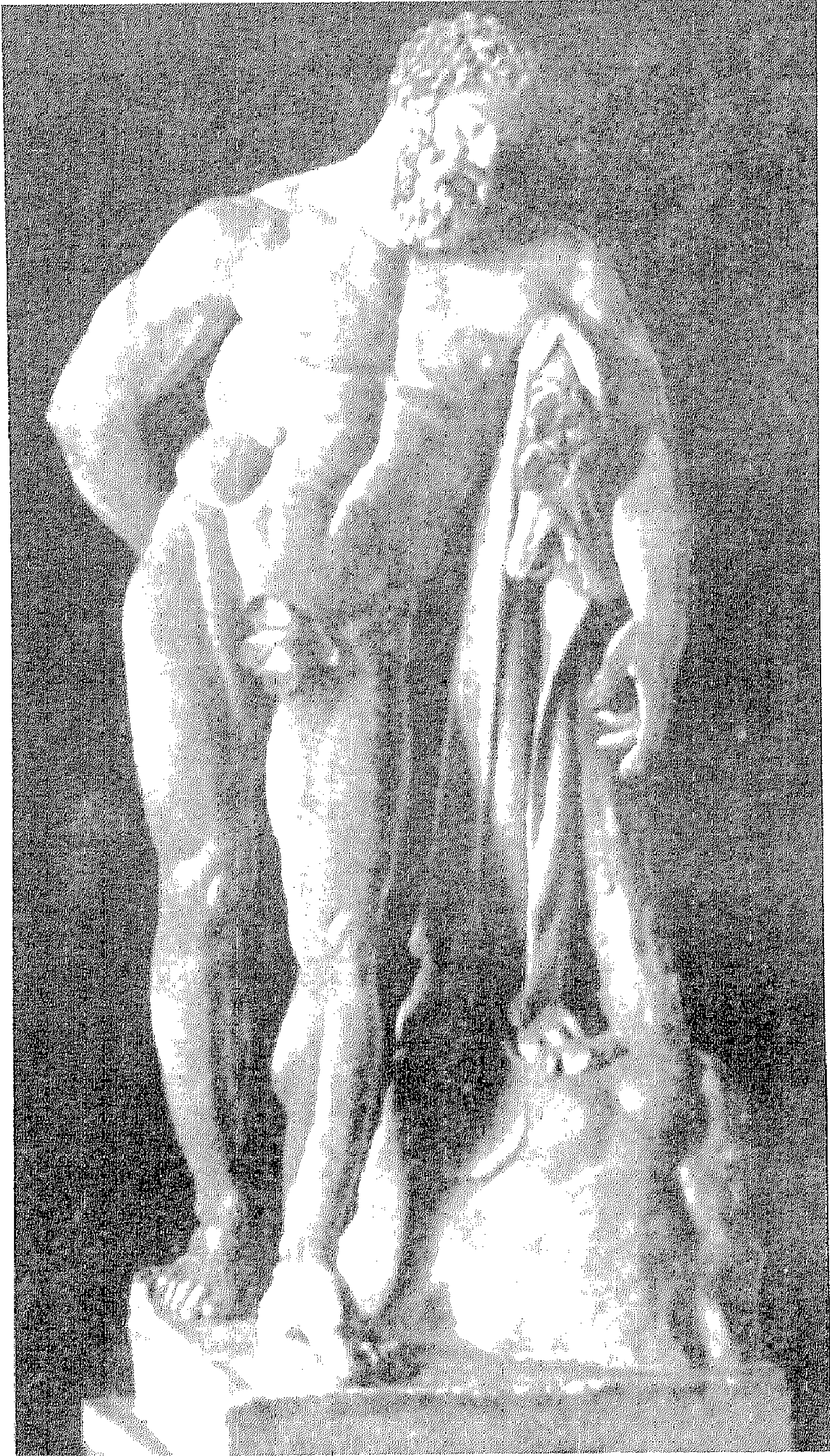
خرج البطل العتيد إلى كاليدون في ايتوليا بعد أن أخرجه ايفريت من اويخاليا فاتجه إلى اوينيوس يطلب يد ابنته ديانيرا لانه وعد أخاها ميلياغر في مملكة هاديس ، ان يتخذها زوجة ويجعلها في حمايته . الا انه فوجىء في المدينة بغريم شديد البأس يطلب يد الفتاة ، فقد تقدم اليها كثير من الابطال وكان اله النهر أخيلويوس واحداً منهم فقرر الملك أن يزوج ابنته لذلك الذي يصرع جميع الخطاب الآخرين ، فارتد الجميع عن منازلة اخيلويوس الا هرقل . فلما رأى اله النهر تصميم هرقل وعزمه على النزال خاطبه بقوله :

ـ انك تدعي الانتساب الى زيوس ! كاذب أنت ودعي ولا صلة لك بزيوس مرسل الصواعق !

واخذ يسخر من هرقل وينال أمه بهاجر القول فقطب البطل العتيد جبينه ورمى اخيلويوس بنظراته المتأججة بنار الغضب وقال له :

ـ أي أخيلويوس ! يداي تطاوعاني أكثر من لساني! لتقهرني في معركة اللسان لكنني سأقهرك في معركة الذراع !

وتقدم من أخيلويوس بخطى ثابتة وطوقه بذراعيه المتينتين فأطلق العملاق الشديد أنيناً عميقاً لكن البطل لم يتمكن من بطحه على الأرض بالرغم مما بذله من قوة فظل أخيلويوس واقفاً كالصخرة الثابتة لا تزعزعها أمواج البحر وهي تلطمها جبارة الصخب واعترك البطلان وصدراهما متلاحمان كثورين تتشابك قرونهما المعقوفة . وكر البطل على اخيلويوس مرات ثلاثاً ثم خلص نفسه من بين ذراعيه في المرة الرابعة وأمسك به من الخلف وطرحه على الأرض فخر كالطود المشمخر . ولم يستطع أخيلويوس أن يحرر يديه المخضبتين بالعرق الا بعد مشقة كبيرة وبعد أن بذل كل ما لديه من جهد وقوة فقد كان هرقل يزيد من ضغطه إلى الأرض فصار يطلق أنيناً عميقاً وقد التوت ركبتاه وتنكست إلى الأرض هامته ، لكنه لجأ إلى



هرقل - الأعظم بين أبطال اليونان

تمثال للنحات الاثيني غليكونوس من القرن الثاني ق . م

الحيلة لكي لا ينخذل فاستحال ثعباناً لكنه ما كاد يتملص من ذراعي هرقل حتى صاح به البطل مطلقاً قهقهة راعدة :

ـ لقد مارست صراع الأفاعي وأنا في مهدي ! حقاً أنك أدهى منظراً من سواك من الأفاعي لكنك لن تماثل افعوان ليرنا فقد تمكنت من القضاء عليه رغم رأسيه اللذين كانا ينموان مكان كل رأس كنت أزيله .

وقبض على الثعبان من عنقه وعصره مثلما تعصر الكلابة الحديدية . فحاول الثعبان ان يتملص لكنه عجز فاستحال ثوراً وهجم على هرقل فأمسك البطل بقرنيه وبطحه على الأرض بشدة وعنف فانكسر أحد قرنيه . وأخيراً انهزم اخيلويوس فأعطى الملك اوينيوس ابنته ديانيرا لهرقل .

وأقام هرقل في قصر الملك بعد زواجه لكنه لم يلبث طويلاً هناك . فخلال إحدى الولائم صفع الغلام اويونوموس ابن ارخيتيل لأن ذلك سكب له لغسل يديه ماءً كان معداً لغسل الأرجل . وكانت الصفعة قوية اوردت الغلام حتفه . فاغتم هرقل غماً شديداً وغادر كاليدون متجهاً وزوجته إلى تيرنيف بالرغم من أن ارخيتيل غفر له قتل ابنه غير المتعمد .

وصل هرقل وزوجته الى ايثينا[١] وكان القنطور نيسّوس يقوم بنقل المسافرين على ظهره العريض عبر مياه النهر الصاخبة لقاء أجر . وعرض نيسوس ان يقطع النهر بديانيرا الى الشاطىء الآخر فأجلسها هرقل على ظهره . أما هو فرمى بهراوته وقوسه الى الشاطىء المقابل وعبر النهر الصاخب سباحةً لكنه ما ان بلغ الشاطىء حتى سمع استغاثة زوجته وهي تستنجد به لينقذها من القنطور الذي اراد اختطافها وقد بهره جمالها . فصاح ابن زيوس به صيحة راعدة وقال :

ـ إلى اين تفر مني أيها الخسيس ! ام تحسب قوائمك ضامنة لك النجاة ! لا ، لا مهرب لك مني ! فلا منجاة من سهمي مهما أسرعت في الفرار .

وشد قوسه وأطلق من الوتر النحاسي سهماً أصاب نيسّوس في ظهره فخرج يلمع من صدره فخر القنطور على ركبتيه صريعاً وتفجر الدم من جرحه مختلطاً

١- نهر في ايتوليا وهي مقاطعة في غرب اليونان الوسطى .

بسم افعوان ليرنا ، ولكنه أبى أن يموت قبل أن ينال ثأره فجمع دمه وقدمه الى ديانيرا قائلاً .

ـ يا ابنة اوينيوس ، انك آخر من حملتهم عبر مياه ايثينا الصاخبة ! فخذي دمي واحفظيه ! واذا ما كف زوجك عن حبك اعاد هذا الدم حبه لك ؛ عليك فقط ان تخضبي به ثوب هرقل لتصبحي لديه أغلى من أي امرأة في الدنيا .

أخذت ديانيرا دم نيسوس وخبأته ، ومات نيسّوس بعد ذلك أتم هرقل وزوجته طريقهما فبلغا مدينة تيرينف وصارا يعيشان هناك الى أن أجبرتهما جريمة قتل الصديق ايڤيتيوس غير المقصودة على الجلاء عن المدينة الجبارة .

هرقل في خدمة الملكة أومفالا

بيع هرقل رقيقاً لاومفالا ، ملكة ليديا ، تكفيراً عن خطيئة قتل ايفيتوس .
وقد ذاق البطل في خدمة الملكة المتغطرسة من الأهوال والمصاعب ما لم يعرفه طيلة حياته ، فقد كانت تنال منه كل وقت وبلا مناسبة فكأنها تجد لذة في تحقيره فألبسته ملابس النساء وأجبرته على القيام بأعمال الغزل والنسيج الى جانب جواريها ؛ فكان على البطل الذي جندل بهراوته افعوان ليرنا وقاد كيربير الرهيب من مملكة هاديس وخنق بيديه أسد ليرنا ورفع السماوات عى كتفيه ، والذي كانت قلوب أعدائه تنخلع رعباً لذكر اسمه ، ان يجلس محني الظهر الى نول الحياكة وان يغزل الصوف بيديه اللتين ما عرفتا غير امتشاق السيف القاطع وشد أوتار القوس الشديد وجندلة الأعداء بالهراوة المبززة . أما اومفالا فكانت تأتي إليه وقد ارتدت فروة

الشهيرة ورفعت ترسه الذهبي وتمنطقت بسيفه القاطع وألقت على كتفها بهراوته الثقيلة بصعوبة شديدة فتغطيها فروة الأسد وتنجر وراءها حتى تمثل أمامه محاولة بذلك أن تطفىء عزيمته التي لا تلين . وكان مقدراً على هرقل أن يحتمل كل شيء منها فقد كان بالنسبة لها عبداً لا يملك أية حرية في نفسه . وكان مقرراً لهذه العبودية أن تستمر ثلاث سنين .

ولم تكن الملكة تجيز لهرقل أن يغادر قصرها الا في نادر الأحيان . وقد خرج من القصر مرة واستسلم للرقاد في غابة بضواحي ايثيس[1] ، وهناك هاجمه الأقزام الكيركوب أثناء نومه وهموا بسرقة أسلحته لكنه انتبه من نومه وقد أمسكوا بقوسه ونباله فقبض عليهم وقيد أيديهم وأرجلهم ووضع بين أرجلهم المقيدة عموداً من حديد وساقهم أمامه الى ايثيس لكن منظرهم وهم يتعثرون في سيرهم أثار الضحك في نفسه فأطلق سراحهم .

وقد ذهب هرقل أثناء عبوديته عند اومفالا الى مدينة اڤيلدا[2] التي كان ملكها سيليوس يرغم جميع الغرباء الذين يفدون اليه على العمل كالرقيق في كرومه . وقد أجبر هرقل ايضاً على القيام بهذا العمل فغضب البطل وقلع جميع أشجار الكرمة لدى الملك سيليوس ثم قتله لانه تجاوز على حقوق الضيافة المقدسة . كما انه اشترك ، وهو لا يزال عبداً ، في حملة الارجوناوتيين . وأخيراً تمت أيام عبوديته فعاد حراً من جديد .

---

(١) مدينة على الشاطىء الغربي من آسيا الصغرى .

(٢) مدينة في بيوتيا .

هرقل يخضع طروادة

ما كاد هرقل يستعيد حريته من اومفالا حتى جرد جيشاً كبيراً من الأبطال وحمله على ثماني عشرة سفينة الى طروادة لينتقم من الملك لاوميدونت الذي أسلفه اساءة لا تغتفر . فلما بلغت السفن شواطىء طروادة أوكل هرقل أمر حراستها الى اويكليس واقتطع له حامية من الجند بينما اتجه هو بالجيش نحو أسوار المدينة . لكنه ما ان غاب عن السفن حتى انقض لاوميدونت على اويكليس فقتله ومن معه من الجند وسمع هرقل جلبة المعركة بجوار السفن فكر على لاوميدونت وألجأه إلى داخل أسوار مدينته ، ولم يدم حصار المدينة طويلاً فقد تسلق رجال هرقل أسوارها العالية واقتحموها وكان تيلامون اول من قام بذلك . ولما كان هرقل لا يطيق ان يسبقه الى مثل ذلك أحد فقد أشهر سيفه وانقض على تيلامون يريد قتله .

ولما رأى تيلامون سيف المنية مسلطاً انحنى على الأرض يجمع الحجارة فدهش هرقل وسأله :

ـ تيلامون ، ماذا تفعل ؟

ـ إنني أجمع الأحجار ياابن زيوس المجيد لأقيم مذبح تكريم للبطل هرقل المنتصر ، ـ أجاب تيلامون وبذلك هدأ من غضب هرقل فعفا عنه .

وبينما كان هرقل يخضع المدينة صرعت سهامه لاوميدونت وجميع أبنائه فلم يبق منهم غير بودارك أصغرهم أما هيسيونا ، ابنة لاوميدونت الجميلة فقد زوجها هرقل من تيلامون البطل الذي أبدى في المعركة ضروباً نادرة من الشجاعة والاقدام ، وأجاز لها ان تختار واحداً من الأسرى وتطلق سراحه فاختارت أخاها بودارك ، لكن هرقل صاح قائلاً :

ـ بل سنجعله أول الأرقاء ! ولن نطلق سراحه إلا اذا قدمت فديته .

فنزعت هيسيونا وشاحها عن رأسها وقدمته فدية لأخيها فغدا يلقب منذ ذلك الحين بيريام (أي المفتدى) .

ونصب هرقل بريام ملكاً على طروادة ثم نزح بعد ذلك عن المدينة ليقود جيشه الى انتصارات جديدة .

وبينما كانت السفن تحمل هرقل وجيشه في طريقها من طروادة قررت الآلهة هيرا ان تنزل به المنون فأرسلت عليه عاصفة هوجاء بعد ان طلبت من هيبتوس ، اله النوم ، فأغمض عيني زيوس بأصابع الكرى ليغيب عنه ما يتعرض له ولده من أهوال . وهكذا حملت العاصفة هرقل الى جزيرة كوس[1] .

وحسب أهل الجزيرة سفينة هرقل واحدة من سفن القرصنة فأخذوا يرشقونها بالأحجار ومنعوها من الارساء في موانئهم . لكن هرقل نزل الى البر تحت جنح الظلام وانتصر على سكان الجزيرة وقتل ملكهم يوريبيل ، ابن بوسيدون ، وترك الجزيرة قاعاً صفصفاً .



هيبنوس ـ اله النوم
(تمثال من القرن الرابع ق . م) .

ولما استيقظ زيوس من نومه وأدرك ما يتعرض له ابنه من أهوال عصف به غضب لا حدود له فقيد هيرا بسلاسل ذهبية لا تنفصم وعلقها بين السماء والأرض بعد أن ربط برجليها سندانين ثقيلين ، ورمى عن جبل الاوليمب بجميع من هموا بمساعدتها . وبحث طويلاً عن اله النوم قاصداً ان يطوح به ايضاً عن الاوليمب ، لكن الهة الليل خبأته في أجفانها فلم يتمكن رب الأرباب والبشر من رؤيته .

١ـ واحدة من الجزر السبارادية على شواطىء آسيا الصغرى .

هرقل يقاتل العمالقة إلى صف الآلهة

أرسل البطل زيوس ابنته الحبيبة اثينا ـ بالادا لتهيب بابنه البطل ان يتجرد لمساعدة الآلهة في صراعهم مع العمالقة الذين أنجبتهم الآلهة هيا من قطرات دم اوران الذي قهره كرون . وكان هؤلاء مروعين ، لهم لحى مسترسلة وشعور ملبدة ولهم بدلاً من الأرجل ثعابين مخيفة .

كان للمردة قوة لا تجارى وكانوا معتدين بقوتهم فأرادوا انتزاع السلطة من آلهة الاوليمب فبدأوا المعركة معهم فوق سهول فليجيريا المنبسطة في باللينا ـ شبه الجزيرة الخالكيدية ، ولم يكونوا يهابون الآلهة فقد أعطتهم أمهم الأرض عقاراً شافياً جعل أجسامهم منيعة على أسلحة الآلهة . وما كان لغير واحد من الفانين أن ينال منهم ؛ إذ ان هيا عجزت عن الحصول على عقار شاف من أسلحة الفانين ، فقد طافت جميع أرجاء الكون بحثاً عن الحشيشة التي تمنح ذلك العقار لكنها لم تقع على شيء فقد منع زيوس اله الفجر ايوس والهة القمر سيلينا واله الشمس الساطع بالشعاع ، هيليوس ، من الظهور أثناء بحثها .

واندفع العمالقة الى المعركة غير هيابين أسلحة الاوليمب فامتدت الحرب بين الجانبين سجالاً وصار العمالقة يرجمون الآلهة بالصخور وبجذوع الأشجار العتيقة المتقدة وترددت جلبة الحرب في جميع أصقاع الكون .

وأخيراً لاح هرقل برفقة أثينا ـ بالادا فأوتر قوسه الشديد ولمع السهم الأول المنقوع بسم افعوان ليرنا فأصاب صدر الكوينيوس ، أعظم العمالقة فخر على الأرض صريعاً لكنه لم يكن ليموت هنا في جزيرته باللينا فقد كان فوقها منيعاً على الموت ولهذا لم يمض الا القليل من الوقت حتى هب واقفاً من جديد وهو أشد عزيمة من ذي قبل ، فأسرع هرقل اليه ورفعه على منكبيه ومضى به فأخرجه من باللينا الى حيث مات . فلما هلك الكيونيوس انقض العملاق بورفيريون على هرقل وهيرا فنزع النقاب عن وجه هيرا وكاد أن يمسك بها لكن زيوس طرحه على الأرض



زيوس يقاتل العمالقة .

(رسم جداري نافر على مذبح لزيوس عثر عليه في مدينة برجام . القرن الثاني ق . م)

بصاعقة من صواعقه وأذهب هرقل حياته بواحد من سهامه الماضية . أما أبولون فقد قلع عين العملاق ايفيالت اليسرى بسهمه وأجهز هرقل عليه بسهم في عينه اليمنى . وجندل ديونيسيوس العملاق ايڤريت بعصاه أما هيفست فصرع كليتيوس بكتلة من المهل ورفعت أثينا جزيرة سيسيليا وأهوت بها على رأس العملاق اينكيلاد فولى هارباً .

أما العملاق بوليبوت فألقى بنفسه في لجة اليم طلباً للنجاة من بوسيدون ، مزلزل الأرض وفر الى جزيرة كوس فشطر بوسيدون قطعة من الجزيرة بخطافه المثلث الشعب وأهوى بها على بوليبوت ، وبهذا ظهرت جزيرة نيسيروس . وصرع هرمز العملاق هيبوليت كما جندلت ارتيميدا العملاق غراتيون وقهرت المويرات المجيدات العملاقين آغريوس وثوونوس اللذين كانا يقاتلان بهراوات من حديد ، لكن هرقل أجهز عليهم جميعاً بسهامه المصرّدة .

موت هرقل وسموّه إلى مصاف آلهة الأوليمب

عن مأساة سوفوكل «التراخينيات»

لما بيع هرقل رقيقاً لاومفالا عقاباً له على قتله ايفيتوس أجليت زوجته وأطفالها من مدينة تيرينف بالرغم منها فاستقبلها كييكوس ، ملك ترافينا ، في فيساليا وقدم لها المأوى والحماية . ومضت ثلاث سنين وثلاثة أشهر على فراق البطل لزوجته فقلقت نفس ديانيرا واضطرب فؤادها وقد انقطعت اخبار زوجها فلم تكن تعلم أحي هو أم ميت ، ولذلك استدعت ابنها هيل وقالت له :

ـ ولدي الحبيب ! اليس من العار أن تقعد عن البحث عن أبيك ، فقد مضت سنوات وشهور ولم يصلنا أي خبر عنه .

فرد هيل عليها بقوله : ـ تقول الشائعات يا أماه أن أبي بعد أن أمضى سنوات عبوديته الثلاث وتحرر من خدمة اومفالا ، خرج بجيش كبير الى مدينة اويخاليا في اثيبيا لينتقم من الملك ايفريت الذي كان قد وجه اليه اهانة كبيرة .

فقاطعته امه قائلة : بني ! لم يسبق ان تركني ابوك فيما مضى لأي من أعماله وخلف في نفسي من القلق والاضطراب ما خلفه لما غادرني في المرة الاخيرة . بل انه ترك عند وداعه تلك الألواح التي خطت فوقها نبوءة قديمة كشفت له في دودونا[1] تقول انه إذا ما مضت ثلاث سنوات وثلاث أشهر على غيابه فانه اما ان يكون قد مات او انه يعود بعدها ليعيش حياة وديعة هانئة . وقد أجاز لي عند خروجه بالتصرف في أراضي آبائه وقسمتها على أبنائه في حال وفاته . ان مصيره يشغل نفسي يا بني فقد حدثني مرة عن حصار اويخاليا وقال لي انه اما ان يموت تحت أسوارها أو يعيش سعيداً بعد ان تدين له . لا يا بني ، أضرع اليك أن تخرج للبحث عن أبيك .

١ـ دودونا ـ مدينة في غرب اليونان الشمالية ، اشتهرت في الماضي بمعبد زيوس المقام فيها .

امتثل هيل لرغبة أمه فمضى للبحث عن والده وغاب في الطريق الشاسع الطويل الممتد نحو اويخاليا .

لم يمض طويل من الوقت على خروج هيل من تراخينا عندما وصل البشير الى ديانيرا ليبلغها ان الرسول ليخاس قادم من لدن هرقل ، فهرقل لا يزال على قيد الحياة وقد قهر ايفريت وأخضع اويخاليا وهدمها وهو عائد بعد حين من الزمن الى تراخينا مكللاً بتاج النصر . ثم يصل ليخاس بعد قليل وهو يسوق الأسرى ومن بينهم ايولا ، ابنة ايفريت . فتستقبل ديانيرا ليخاس بفرح وسعادة ويحدثها رسول هرقل ان زوجها كسابق عهده صحيح ومعافى وهو يستعد الآن لاحياء انتصاره وتقديم القرابين الثمينة للآلهة قبل مغادرة ايثيبا . وتنظر ديانيرا الى الأسرى فتستوقف نظرها امرأة فاتنة الجمال فتسأل ليخاس :

ـ أخبرني يا ليخاس ، من تكون هذه المرأة ، من أبوها ومن هي أمها ؟ انها محزونة أكثر من سواها فلعلها ابنة ايفريت ذاته .

فيرد الرسول عليها بقوله :

ـ لا أدري يا ملكتي من تكون . لعلها تعود بنسبها الى أصل ايثبي كريم . انها لم تفه بكلمة واحدة طيلة الطريق ولم تتوقف عن ذرف الدموع منذ نزحت عن بيتها .

فتقول ديانيرا :

ـ أيتها الفتاة المنكودة ! لن اضيف الى آلامك عذاباً جديداً ، فامضي بالأسرى يا ليخاس وادخل بهم القصر ريثما الحق بكم .

يغيب ليخاس مع الاسرى في أبهاء القصر ، وما أن يختفي حتى يتقدم أحد الخدم من ديانيرا ليقول لها :

ـ على رسلك ايتها الملكة المجيدة ، أعيريني أذناً صاغية . ان الرسول لم يخبرك الا ببعض الحقيقة فهو يعرف تلك المرأة ويعرف انها ايولا ، ابنة ايفريت ، وبسببها دخل هرقل المباراة مع ابيها في رمي السهام فكانت الغلبة لزوجك لكن الملك رفض أن يزوجه بابنته بعد انتصاره بل وأخرجه من اويخاليا بعد أن أهانه

ونال من كرامته . وبسبب هذه الفتاة عاد هرقل من جديد الى اويخاليا فقتل ايفريت وارسل ابنته الى هنا ليتخذها زوجة له لا لتكون جارية في منزله .

وينتاب ديانيرا بالغ الحزن فتنوح باللائمة على ليخاس لانه كتم عنها الحقيقة . ويعترف ليخاس بان سيده يريد حقاً ان يتزوج من ايولا التي سبته بجمالها فيتعاظم الألم في فؤاد ديانيرا لأن زوجها قد نسيها خلال أيام الفراق الطويلة وتعلق فؤاده بهوى امرأة أخرى . ماذا عليها أن تفعل وهي المسكينة التاعسة ! انها تحب ابن زيوس المجيد ولا ترضى ان تتركه لامرأة أخرى. وتعود بها الذاكرة الى الدم الذي أعطاها القنطور نيسّوس ذات مرة وتذكر كلماته التي فاه بها عند احتضاره فتقرر اللجوء الى ذلك الدم . الم يقل لها : «عليك فقط أن تخضبي بهذا الدم ثوب زوجك لتصبحي أغلى على نفسه من أي امرأة أخرى» ؟ ويهلع قلبها اذ تفكر باللجوء الى السحر لاستعادة قلب زوجها لكن حبها له واشفاقها من فقدانه يذهبان عن نفسها كل شعور بالخوف والتردد فتخرج دم القنطور الذي خزنته طويلاً في دن موصد كي لا تنفذ اليه أشعة الشمس ولا تسخنه نار الموقد . وتخضب بذلك الدم المسوح الفاخر الذي حاكته بيديها هدية لزوجها ثم تضعه في صندوق وتحكم اغلاقه وتدعو ليخاس لتقول له :

ـ عد الى ايثيبا يا ليخاس واحمل هذا الصندوق الى هرقل وقل له ان يفتحه ويخرج المسوح الذي بداخله فيرتديه عندما يقرّب الضحايا الى زيوس . وتوصي ديانيرا الرسول بالا يسمح لاحد غير هرقل بارتداء المسوح وبان يحجبه عن اي شعاع من أشعة هيليوس ان يلمسه قبل ان يرتديه زوجها .

فيمضي ليخاس بالرداء وتسيطر على المرأة نوبة من الكآبة والقلق عندما يخرج الرسول فتعود الى القصر واذا بعينها تقع على منظر يقشعر له بدنها : لقد كانت قطعة الصوف الذي ضمخت بها المسوح تتقد بوهج لاهب غريب فتلقي بها ديانيرا الى الارض وإذا باشعة الشمس تسقط عليها فتحمي في طياتها دم القنطور المنقوع بسم افعوان ليرنا واذا بالسم يزداد حرارة وقد نقع بالدم فيحيل قطعة الصوف رماداً تتجمع فوقه قبضة من الزبد السام . فتضطرب جوانح المرأة فرقاً من

أن يهلك زوجها عندما يرتدي المسوح المسموم وتزيد توجسات الكارثة المحدقة من عذابها وآلامها .

ولا يمضي وقت طويل على خروج ليخاس الى ايثبيا حتى يدخل هيل عائداً من تراخينا وقد شحب لونه فحاكى وجوه الأموات وامتلأت بالدمع مقلتاه وأخذ يصرخ بامه محدقاً في وجهها .

ـ ويلاه ! ليتك ما خلقت على هذه الارض ، اوليت أحداً سواي دعاك بأمه او ليتك كنت أعقل مما أنت . اعلمي انك قتلت زوجك بيديك ، قتلت أبي .

وتصرخ ديانيرا : ـ ويلاه ، ماذا تقول ! من ! من أخبرك بهذا وكيف لك أن ترميني بكل هذه المنكرات !

ويحدثها هيل بما وقع على جبل كانيون بالقرب من اويخاليا : لقد أقام هرقل مذبحاً هناك وكان قد هم بذبح القرابين للآلهة بادئاً بقرابين زيوس ، عندما وصل ليخاس حاملاً الرداء . فارتداه هرقل مسروراً بهدية زوجته وبدأ بتقديم القرابين فذبح مئة ضحية للآلهة بدأها باثني عشر ثوراً قرباناً لزيوس فارتفعت ألسنة النيران فوق المذابح ووقف هرقل رافعاً ذراعيه نحو السماء يدعو الآلهة فسخنت نيران المذابح الحامية جسمه فتفصّد بالعرق والتصق به المسوح المسموم فسرت القشعريرة في جسده وأحس بالآلام العظيمة فلما لم تعد له طاقة في احتمالها دعا ليخاس اليه وسأله ما الذي حمله على أن يأتي بذلك الرداء . فبأي شيء كان للمسكين أن يجيب ؟ انه لم يزد على ان قال ان ديانيرا أرسلته به ، ولما كان هرقل ذاهلاً عما يحيط به من هول ما هو فيه أمسك بليخاس من رجله وجلد به الصخرة التي تضج حولها أمواج البحر فقتله . أما هرقل فانطرح على الأرض وهو يتخبط صريع آلام لا توصف وترددت صرخاته بعيداً في جميع أرجاء ايثبيا ولعن زواجه من ديانيرا ثم دعا ابنه وقال له وهو يصعد انيناً يمزق القلب :

ـ اي بني ، لا تشح بوجهك عني في ساعات محنتي . لا تتخل عني حتى ولو كان الموت يتهددك ! ارفعني ! واحملني من هنا ! واذهب بي الى حيث لا يمكن لعين واحد من الفانين أن تراني . اواه . ان كان في قلبك شيء من الاشفاق علي فلا تتركني اموت في هذا المكان !

ـ وهكذا رفعوا هرقل ووضعوه على النقالات ثم اصعدوه الى السفينة ليمضوا به الى تراقيا . واختتم هيل حديثه بقوله :

ـ وترون الآن جميعاً ابن زيوس المجيد حياً أو ربما يكون قد فارق الحياة فلتقتص منك الارينات وديكي[1] المنتقمة يا أماه فقد قتلت خير من حملته الأرض ! وليس لعينيك بعد اليوم ان تريا مثيلاً له .

دخلت ديانيرا القصر دون أن تفوه بكلمة واحدة . وهناك اختفطت سيفاً ماضي الحدين فلمحتها مربيتها العجوز .

فاستغاثت بهيل لينقذ أمه فخرج اليها مسرعاً ولكن وصل بعد فوات الوقت . لقد طعنت ديانيرا بالسيف نفسها فوقع ابنها فوقها وارتفع نواحه وهو يغمر وجه امه بقبلاته ويبلله بدموعه .

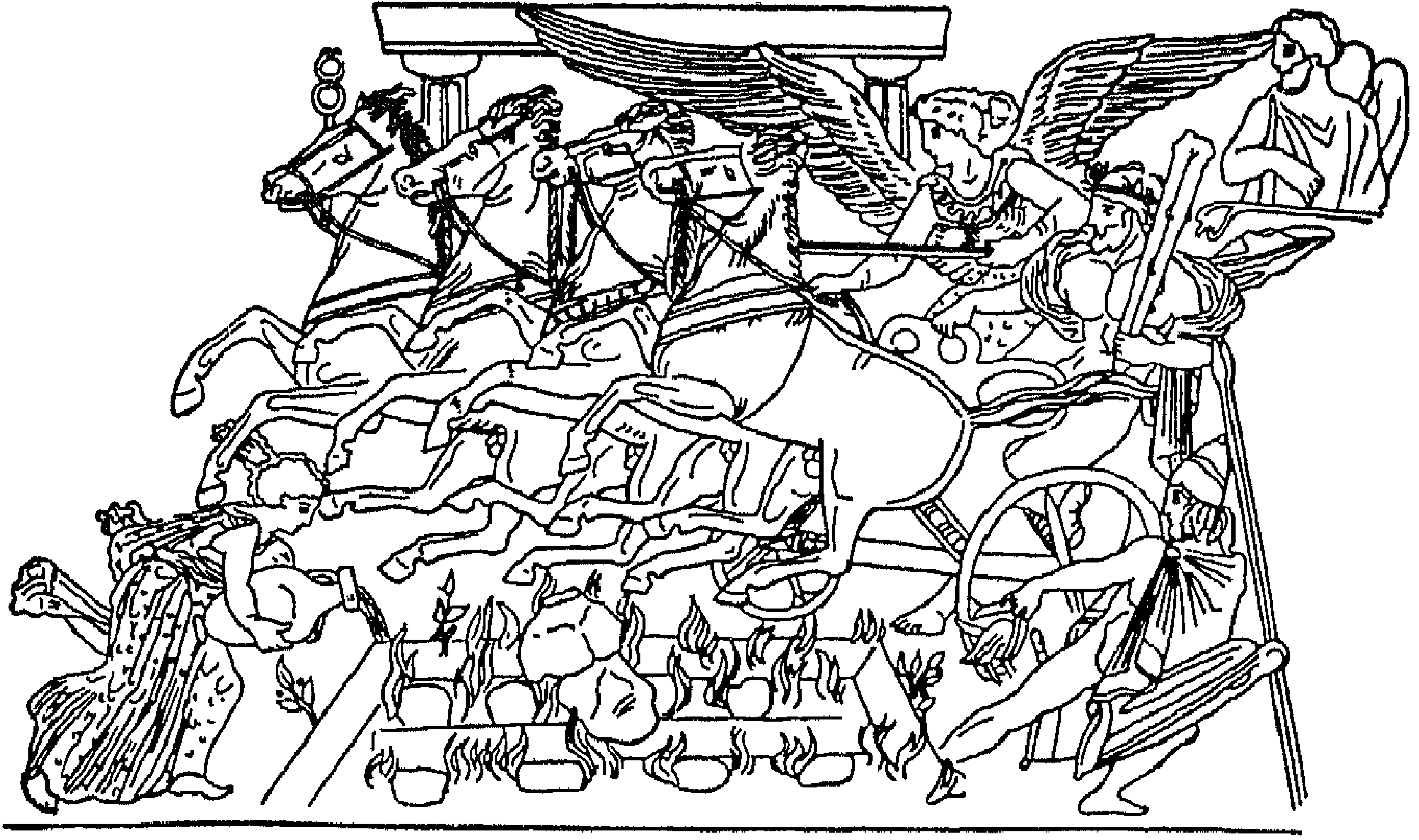
ويحمل هرقل المحتضر نحو القصر وقد أخذته سنة من النوم أثناء الطريق لكنه انتبه من رقاده عندما وضعت النقالات عند بوابة القصر ثم غاب عن العالم كله من شدة ما به من ألم فأخذ يصرخ .

ـ أي زيوس المجيد ! في أي أرض أنا ! واين انتم يا صناديد اليونان ! مدوا ايديكم بالعون لي ! لقد طهرت لكم الأرض والبحار والشرور وأفنيت عن وجهها الآفات ، وهاانذا الآن وحيد لا يريد أحد منكم ان يرحمني ويخلصني من عذابي بطعنة سيف او باحراق في النار . اي هاديس ، يا أخ زيوس الأعظم ، اغمرني بموت خاطف ، اضرع اليك .

فيتوسل هيل اليه والدموع تخنق منه الكلمات : ـ أبي ـ أصغ الي ، ابتهل اليك . مالك متعطش الى الانتقام من أمي . لقد قامت بما قامت به غير قاصدة او متعمدة . ولما أدركت أنها قد تسببت فيما أنت فيه أغمدت السيف في صدرها وماتت .

ـ أواه ايتها الالهة ، لقد ماتت دون أن أبلغ مرامي بالانتقام منها . ماتت ديانيرا على غير يدي .

١ـ ديكي . ربة الانتقام .



ربة النصر تنتزع هرقل عن المحرقة لترفعه فوق العربة المشدودة الى الخيول الأربعة وتصعد به إلى الاوليمب (رسم على مزهرية).

فيصيح هيل : ـ انها ليست مذنبة يا أبي ، فقد أرادت أن تستعيد حبك لما رأت في منزلها ايولا ، ابنة ايڤريت ، فخضبت المسوح بدم القنطور الذي صرعته بسهمك غير عالمة ان ذلك الدم منقوع بسم افعوان ليرنا .

فيصيح هرقل : ـ هكذا إذن تمت نبوءة أبي زيوس بأني لا أموت على يد واحد من الأحياء بل بمكيدة أحد الداخلين الى مملكة هاديس . اذن هكذا قتلني القنطور نيسوس الذي صرعته بيدي ! حقاً ـ الموتى لا يحسّون بشيء ! ولدي ، أنجز لي آخر وصية أتمناها عليك . اجمع حولي الأمناء من أصدقائي واحملني معهم الى جبل اويتا ، فاجمع هناك حطباً كثيراً واجعل منه محرقة وضعني فوقها ثم أضرم النار فيها . ولكن أسرع بعملك وضع حداً لآلامي .

فيضرع اليه هيل بقوله : أبي ، ارحمني يا أبي ، أم تريدني حقاً أن أكون قاتلك !

١ـ جبل قريب من مدينة تراخينا في فيساليا

تقول بعض الاساطير ان تيكي ـ ربّة النصر ، وليس أثينا هي التي كانت محمولة فوق المركبة .

فيرجوه هرقل : لا ، لن تكون قاتلي ، بل مخلصي من عذابي ! لي وصية أخرى فانجزها يا ولدي . اوصيك ان تتزوج ايولا ، ابنة ايفريت . لكن هيل يرفض تنفيذ ما شاءه والده فيقول :

- لا يا أبي ، لا اريد الزواج بمن كانت سبباً في هلاك أمي ،

فيلح هرقل على اقناع ولده قائلاً : - اعمل بما أقوله لك يا هيل ولا تثر في صدري الآلام الراقدة واجعلني أموت هادئاً قرير النفس .

فيوافق هيل ويجيب والده بخضوع :

- حسناً يا أبتاه ، سأعمل بوصيتك الأخيرة .

ويهيب هرقل بابنه ان يسرع ، ويرجوه ان ينفذ وصيته فيقول :

- اسرع يا بني ، ضعني فوق المحرقة قبل أن تلحّ علي آلامي المبرحة من جديد . هيا ارفعوني ! وداعاً يا هيل !

وأخيراً أمسك هيل وأصدقاء والده بمحفة البطل وصعدوا بها الى جبل اوييتا الشاهق ، وهناك جمعوا حطباً كثيراً ونضدوا منه محرقة أصعدوا فوقها الأعظم بين الأبطال . وأخذت آلام هرقل تزداد ضراوة فسم الافعوان يزداد نفاذاً في بدنه ، فصار يمزق المسوح المسموم الذي التحم بجسمه فتنفصل منه نتف اللحم لاصقة بمزق الرداء . ان الموت في لظى النيران أهون من تذوق تلك الآلام اللا بشرية . لكن احداً من الأبطال لم يقبل باضرام النار في المحرقة حتى تقدم فيلوكتيت من الحشد فأقنعه هرقل بانجاز ما لم يجرؤ عليه أحد وجزاه على ذلك بقوسه وسهامه المسمومة . فأشعل فيلوكتيت النار وإذا بألسنتها ترتفع عالياً في السماء لكن بروق زيوس ورعوده التي تساقطت آنذاك كانت أشد ألقاً وضراوة . ثم هدأت الرعود وأقبلت اثينا - بالادا والآله هرمز على مركبة ذهبية فحملا الأعظم بين الأبطال معهما الى الاوليمب المشرق وهناك استقبله الآلهة العظام فغدا واحداً من الآلهة الخالدين . وحتى الآلهة هيرا نسيت حقدها الماضي عليه فزوجته ابنتها الصبية الفاتنة هيبا . وغدا هرقل منذ ذلك الحين يعيش فوق الاوليمب واحداً من سرب المخلّدين وكان ذاك جزاءه على مآثره العظيمة التي أتاها على الأرض وعلى جميع ما قاساه من آلام وأهوال .

الهرقليد (سلالةهرقل)

عن مأساة يوريبيد التي تحمل نفس الاسم

مات هرقل فعاش أبناؤه وامه الكمينا عند ابنه الاكبر هيل في تيرينف مدة لم تطل لأن يوريثيوس أخرجهم من ديار أبيهم كراهية له ومقتاً لذكراه ، وأخذ يطاردهم في كل مكان ينزلونه فطافوا جميع أنحاء اليونان ضعفاء مشردين الى ان أواهم الشيخ العجوز ايولايس نسيب هرقل وصديقه الوفي ، لكن غضب يوريثيوس لم يحل عنهم بعد أن أصبحوا في كنف ايولايس فاكرهوا على النزوح إلى أثينا وكان ديموفونت ، ابن تيسيوس ملكاً عليها .

ولما بلغ يوريثيوس ان الهرقليد لجأوا الى اثينا بعث رسوله كوبريوس ليطالب ديموفونت بتسليمهم له فرفض الملك تسليم من لجأوا اليه واحتموا به وأبى ان يدنس حقوق الضيافة ولم تثنه تهديدات كوبريوس بأن يوريثيوس سيزحف على مدينته بجيش جرار فيهدمها ويأخذ من يريده عنوة .

ولم يمض الا القليل حتى نزل يوريثيوس على اتيكا بجيشه الكبير ليحارب الاثينيين فاتجه هؤلاء الى الآلهة يستطلعونهم مستقبل الحرب القادمة فأفادهم الآلهة انهم يغلبون اذا ما ضحوا للآلهة بواحدة من العذارى . فهبت ماكاريا ، ابنة هرقل وديانيرا ، طوعاً من نفسها لتقدم نفسها قرباناً للآلهة وتفتدي بذلك مدينتها واخوتها واخواتها .

والتقى الجيشان في ميدان المعركة فقدم هيل أخته قرباناً للآلهة ونزل الى المعركة بكتيبة من الصناديد . وكانت العركة رهيبة طاحنة انتصر فيها الاثينيون ولاذ يوريثيوس بالفرار فانطلق هيل في اثره لينتقم من عدو والده اللدود .

وشهد ايولايس المطاردة فتوسل الى هيل ان ينزل له عن مركبته . اذ كان ذلك الشيخ الفاني يريد ان ينتقم بنفسه لكل تلك الاهانات التي وجهها يوريثيوس الى صديقه هرقل . فانطلقت المركبة بايولايس حتى كاد ان يلحق بغريمه فصار يضرع الى الآلهة ان تعيد أليه شبابه وفتوته السابقة ولو ليوم واحد . فاستجابت الآلهة لندائه وانحط من السماء شهابان وغمرت المركبة غمامة سوداء انكشفت بعد قليل ليبرز البطل ايولايس من تحتها أهيف القوام مجيداً فاتن المحيا ، فراح يحث مركبته حتى لحق بيوريثيوس فأمسك به وغلّه بالسلاسل وعاد به إلى أثينا مكتوفاً مذلولاً . فلما رأت الكمينا ، ام هرقل ، عدو ابنها المجيد ماثلاً أمام عينيها تأجج صدرها بالحقد وانقضت عليه فسملت عينيه بيديها ثم قتلته بالرغم من محاولات هيل وديموفونت وايولايس حمايته . وهكذا مات يوريثيوس ، ولكن أهل اثينا لم ينسوا مواراته التراب فدفن في أتيكا بالقرب من مذبح اثينا البالينية .

كيكروبس-١- ، يريختونيوس-٢- ويريخثيوس-٣-

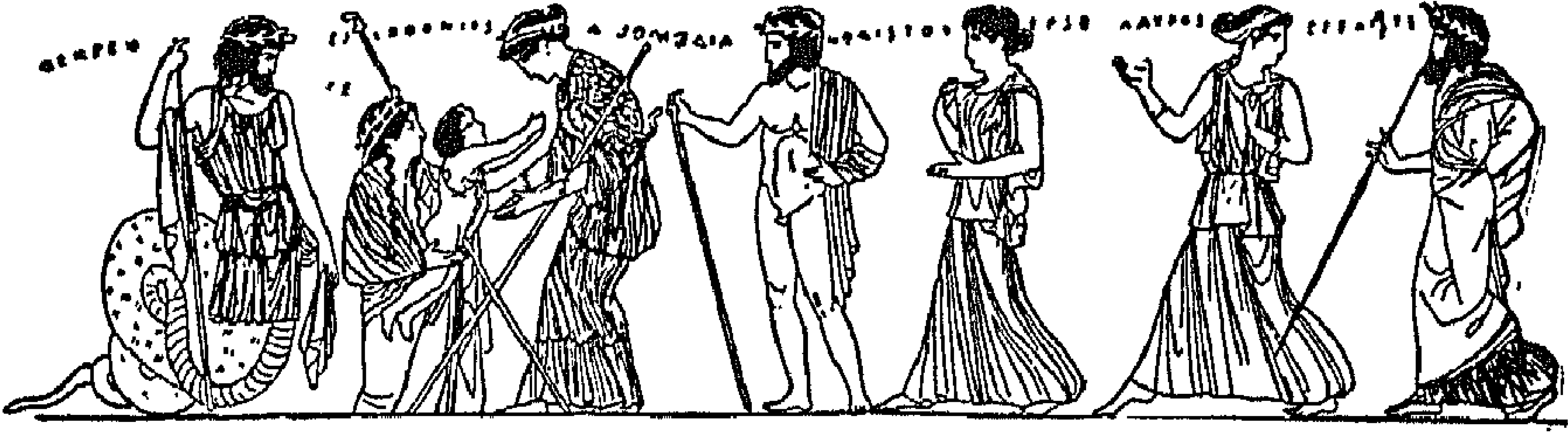
ولد كيكروبس ، مؤسس مدينة أثينا وقلعتها الاكروبول من أحشاء الأرض التي أنجبته بهيئة نصف انسان ونصف ثعبان فكان جسمه ينتهي بذيل افعواني طويل . وقد أقام كيكروبس مدينة أثينا في اتيكا بينما كان مزلزل الأرض بوسيدون والآلهة المحاربة اثينا يتنازعان السلطة على تلك الأراضي . وقد اجتمع الآلهة فوق الاكروبول برئاسة زيوس مرسل الصواعق للبت في تلك القضية ودعي كيكروبس ليبدي رأيه في الموضوع ويحسم الأمر لصالح أحد الالهين المتنازعين بالسلطان على أتيكا . فزحف كيروبس الى الاجتماع باطرافه الافعوانية وهناك قرر الآلهة ان تكون السلطة على أتيكا لذلك الذي يقدم لتلك البلاد خير الهبات . فضرب مزلزل الأرض الصخرة بخطافه المثلث الشعب فتفجر منها نبع من الماء المالح ، أما الآلهة اثينا فدفعت في الأرض برمحها اللامع فنفرت منها شجرة زيتون وفيرة الجنى فقال كيكروبس :

ـ يا آلهة الاوليمب المشرقين بالأنوار ! اننا انما اتجهنا بوجوهنا التقينا بمياه البحر المالحة تموج وتضطرب ولكننا لن نلتقي في اي مكان بشجرة الزيتون المباركة الثمار . لقد حق لأثينا أن تبسط سلطانها على هذه الأرض فهي ستنثر فوقها الخيرات وتحث سكانها على العمل فيها وعلى حراثة تربتها الخصيبة . لقد انعمت الآلهة على اتيكا بنعمة سابغة فلتكن هي السيدة عليها .

١ـ كيكروبس ـ مؤسس الاكروبول في أثينا . له هيئة نصفها انسان ونصفها ثعبان .

٢ـ يريختونيوس ـ المولود من أحشاء الأرض . كانت له أيضاً هيئة ثعبان ، وكان الاثينيون يسمون أنفسهم بالكيكروبيين أي أحفاد كيكروبس لانحدارهم من الثعبان أو من أجداد الثعبان وهو ما يشير الى تاريخ الاسطورة الموغل في القدم .

٣ـ يريخثيوس : كان في بداية عهده مرادفاً ليريختونيوس ، ويعود أول ذكر له كبطل اسطوري مستقل الى القرن الخامس ق . م . وذلك في مؤلفات يوريبيد .



مولد يريختونيوس . من اليسار إلى اليمين يظهر : كيكروبس ، يريختونيوس على ذراعي هيرا ، الهة الأرض ، أثينا ، هيفست ، ابنتا كيكروبس الاثنتان فيريختيوس .

وهكذا قضى الآلهة لأثينا بالسيادة على المدينة التي اسسها كيكروبس وعلى أتيكا بطولها . وسميت مدينة كيكروبس منذ ذلك الحين بأثينا تيمناً باسم ابنة زيوس وحبيبته الى نفسه . وأقام كيكروبس في المدينة اول مذبح للآلهة المجيدة ، حامية المدينة ، ولأبيها زيوس ، وكانت بناته اول كاهنات في ذلك المعبد . ثم بدأ بعد ذلك في سن الشرائع لأهل اثينا ونظم لهم شؤون المملكة وكان اول ملك في ايتاكا .

وقد تبنى كيروبس ابن الأرض يريختوينوس الذي ولدته سراً من هيفست ، ملك النيران ، وقد احيط مولده ومنشؤه بكتمان شديد فأخذته اثينا عند مولده ووضعته في سلة محكمة الغطاء وحملته الى معبدها وأوكلت حراسته إلى اثنين من الثعابين كما اشركت بنتي كيكروبس بالعناية به وحذرتهما أشد تحذير من رفع غطاء السلة فما كان يباح لهما رؤية الوليد الذي انجبته الأرض سراً ، لكن حب الاستطلاع ما برح يعذب الفتاتين فكانتا تشتهيان رؤية الصغير ولو مرة واحدة .

وغابت أثينا مرة عن معبدها فوق الاكروبول لتأتي بجبل من فوق بلاد بالينا وترسيه بجوار الاكروبول لحمايته ، وبينما كانت تحمل الجبل نحو مدينة اثينا طار الغراب ونبأها بقوله ان بنتي كيكروبس قد فتحتا سلة يريختونيوس ورأتا الطفل الصغير . فغضبت الآلهة غضباً شديداً ورمت من يديها الجبل ومضت الى معبدها

فكانت فوقه في ومضة عين ، وهناك أنزلت عقابها بالحاضنتين فاصابتهما بالجنون فهامتا على وجهيهما حيناً ثم القتا بنفسيهما من ذروة أحد صخور الاكروبول فماتتا وأخذت أثينا تشرف على يريختونيوس منذ ذلك الحين . أما الجبل الذي رمته من يديها فبقي في مكانه حيث أخبر الغراب الالهة بزلة الفتاتين وصار يدعى باسم ليكابيت . ومرت الأيام والسنين فشب يريختونيوس وترعرع وملك على اثينا فترة طويلة فكان أول من أقام أعياد اثينا القديمة التي سميت بالباناثينيات[1] وأول من شد الجياد الى المركبات واقام عليها مباريات السباق .

وكان يريختيوس واحداً من أحفاد يريختونيوس وقد ملك على أثينا أيضاً واشتبك في حرب طاحنة مع مدينة ايليفسيون وهب ايماراد ، ابن ايفمولب ، ملك تراقيا ، لنجدة تلك المدينة .

ولم تأت تلك الحرب بالنتائج المرجوة بالنسبة ليريختيوس فقد شدد ايماراد والتراقيون عليه الخناق والحوا عليه فلجأ الى معبد ابولون في ديلفي ليستفسر بأي ثمن يضمن لنفسه النصر فردت العرافة عليه بجواب أثار الرعب في قلبه اذ قالت له انه لن يحقق نصراً على ايماراد ما لم يضحِ للآلهة بواحدة من بناته فعاد الى مدينته يحمل الرد المخيف . ولما سمعت ختونيا ، ابنته الصغرى بذلك ، وكانت شديدة الحب لوطنها ، غيورة على حياة شعبها ، اعلنت استعدادها للتضحية بنفسها فداء لاثينا ، فقدمها والدها قرباناً للآلهة وقلبه مفعم بالحزن واليأس ، فلم يكن لشيء ان يدفعه الى ذلك العمل غير رغبته في انقاذ وطنه .

١ـ الباناثينيات ـ أعظم أعياد أثينا ، كانت تقام مرة كل أربعة أعوام وتستمر بضعة أيام من شهر هيكاتومبايون وهو اول شهور السنة لدى اليونان ويوافق نهاية حزيران (يونية) وبداية تموز (يوليه) حسب تقويمنا المعاصر . كانت تلك الأعياد تمتاز بفخامتها وروعتها وبهارجها وتبدأ ليلاً بالجري بالمشاعل وتتلو ذلك زيارة جماعية للاكروبول . وكان الزوار يحملون الى اثينا تلك الزيارات بيبلوساً (كسوة خارجية) جديداً فيكسون به تمثالها القائم في البارثينون . وفي تلك الأعياد كانت تقام احتفالات الباناثينيات وتضم المباريات في الجري والمصارعة ورمي القرص وما شابه ذلك وكان يتلو ذلك سباق المركبات والمنافسات بين الشعراء والمغنين والموسيقيين كما كان الفتيان والشبان والراشدون ايضاً يقيمون مباريات الجمباز ويتبارون في الرقص وهم مدججون بالسلاح .

ودارت رحى الحرب من جديد بعد التضحية بالصبية الفاتنة . والتقى يريخثيوس بايماراد في حومة الوغى فكر عليه وطال أمد المبارزة إذ كان كل منهما يماثل خصمه في القوة والمهارة والاقدام . وأخيراً تغلب يريخثيوس على ايماراد وطعنه برمحه فأراده قتيلاً ، فحزن والده المفجوع يومولبوس ودعا الاله بوسيدون ان ينتقم لابنه ، فركب الاله عربته السريعة وانطلق نحو اتيكا كهبوب الريح فلوح برمحه وطعن يريخثيوس فقتله . وهكذا سقط البطل دفاعاً عن وطنه وهلك جميع أبنائه الا كرييوسا التي شملتها عناية القدر .

كيفالوس وبروكريسا

عن منظومة اوفيد «ميتا مارفوز»

اشتهر كيفالوس ، وهو ابن الاله هرمز وخيرسا ، في جميع أقاليم اليونان ، بجماله ونضرته كما اشتهر بحذاقته في الصيد والقنص ، فكان يغادر قصره وزوجته الفاتنة في بكور كل صباح وقبل ان تشرق الشمس وينطلق الى الصيد في جبال چيميت . وقد التقته الهة السحر اللازوردي ذات مرة فهامت به واختطفته وحملته بعيداً الى أقصى مشارف الكون . لكن كيفالوس لم يكن يريد أحداً سوى محبوبته بروكريسا فلم يكن يفكر الا بها ولا ينطق الا باسمها ، وأخذت لذعات الحنين تمزق فؤاده فصار يبتهل الى الهة السحر أن تعيده الى اثينا فغضبت الالهة وصاحت به :

ـ حسناً ، عد الى زوجتك ، وكف عن شكواك من القدر ! لكنك ستندم يوماً على انك اتخذتها زوجة لك بل وستندم على انك تعرفت بها فانني استشف ذلك منذ الآن .

واطلقت الالهة سراح كيفالوس لكنها أقنعته قبل انصرافه بان يختبر اخلاص زوجته ، فغيّرت صورته وابدلته صورة جديدة لا يعرفه بها أحد في أثينا ، فدخل منزله بالحيلة والدهاء فلقي زوجته سميرة الأحزان والهموم لكنها كانت فتانة حتى في أحزانها . فأخذ يتودد اليها ويراودها عن نفسها ويقنعها بهجر زوجها والذهاب معه

لكنها كانت تأبى ان تتحدث الى ذلك الطارق الغريب وظلت تردد على مسامعه .

ـ ان قلبي لا يهوى الاكيفالوس ، ولن أخونه أبد الدهر وسأظل وفية لعهده مقيمة على هواه اينما كان ، حياً كان أم ميتاً .

وأخيراً تمكن كيفالوس من تغيير قلبها بهداياه الثمينة فأبدت ميلها للاستجابة لرغباته واذ ذاك استعاد هيئته الأولى وصاح بها .

ـ أيتها الخائنة ! أنا زوجك كيفالوس ! وأنا الشاهد على خيانتك لي .

لم تفه بروكريسا بشيء بل طأطأت رأسها خزياً والماً وانصرفت من بيت زوجها الى الجبال التي تغطيها الغابات وهناك غدت واحدة من رفيقات ارتيميدا التي قدمت اليها حربة سحرية تصيب الهدف دون خطأ وتعود من تلقاء نفسها الى يد راميها ، وأهدتها كلباً اسمه لا يلاب لا يمكن لأي وحش بري ان يفلت من مخالبه .

ولم يستطع كيفالوس ان يعيش طويلاً دون زوجته فذهب الى الغابات يبحث عنها الى أن التقى بها وظل طويلاً يحاول اقناعها بالعودة اليه الى أن قبلت فعاش الزوجان حياة هانئة لا ينغصها مكدر . وأهدت بروكريسا زوجها الحربة السحرية والكلب لايلاب ، فصار يخرج كعادته الى الصيد قبل بزوغ الشمس من كل صباح . ومرة كان كيفالوس يغني وهو يبحث لنفسه عن ملاذ يستظل به من شدة الهجير وقد توسطت الشمس كبد السماء وكان يقول في غنائه :

ـ هيا الي يا ربّة النسيم ، هبي على صدري بأنفاسك الباردة ! اقتربي مني ايتها الملكة العارية واطفئي نار صدري المشتعلة . أنت يا ملكة هبطت من السماء، ياسعادتي وياهنائي ؛ انك تنعشين نفسي وتثيرين فيها السرور ! اوه ، دعيني أشعر بأنسامك العليلة .

وبلغ غناء كيفالوس مسامع أحد الأثينيين ، لكنه لم يفهم الأغنية فنقل الى بروكريسا انه سمع زوجها في الغابة يدعو اليه حورية اسمها «ربة النسيم» ، فحزنت بروكريسا وظنت ان حب زوجها لها قد تلاشى وان قلبه قد مال الى سواها . فذهبت الى الغابة المكتظة وكمنت بين الأشجار الكثيفة المتعانقة بينما كان زوجها مشغولاً بصيده وصارت تنتظر أوبته ، وما لبث كيفالوس أن جاء وهو

يغني :

ـ أنت يا ربة النسيم الحنون ، تعالي ولطفي من أتعابي .

وتوقف فجأة فقد سمع تنهيدة عميقة فأصاخ السمع . لكن كل شيء كان هادئاً بين الأشجار مستسلماً لقبضة الهجير فلم ترتجف الوريقات ولم تهتز الأغصان .

ـ هلمي الي يا ربة النسيم .

وما ان أتم هذه الكلمات حتى تحرك شيء بين الأشجار فحسبه كيفالوس وحشاً مستتراً فرماه بحربته التي لا تحيد واذا ببروكريسا تطلق صرخة حادة وقد نفذت الحربة في صدرها . وعرف كيفالوس صوت زوجته فرمى بنفسه بين الأشجار ولقي هناك زوجته مضرجة بدمائها وجرحها قاتل لا نجاة منه . وتمتمت المرأة المسكينة وهي تسلم الروح :

ـ أي كيفالوس ، أقسمت عليك بقدسية وثاقنا الزوجي وبآلهة الاوليمب وبجميع آلهة العالم السفلي الذي أمضي اليه الآن وبحبي الشديد لك الا تدخل الى منزلنا تلك التي كنت تدعوها الآن .

فهم كيفالوس عبارات زوجته المحتضرة وادرك ما الذي دفعها الى المجيء اليه فأخذ يشرح لها الأمر لكن جوانحها زادت هدوءاً وغشيت عينيها ظلمة الموت وتلقى زوجها أنفاسها الأخيرة مع قبلته فماتت على ذراعيه بعد أن ودعته بابتسامة حزينة .

ظل كيفالوس مدة طويلة بعدها لا يقر ولا يهدأ فنزح عن اثينا لارتكابه جريمة القتل وذهب الى طيبة ذات البوابات السبع حيث ساعد امفيتريون على صيد الثعلب المتوحش الذي سلطه بوسيدون على تلك الأراضي فكانوا يقدمون له كل شهر غلاماً يافعاً ليهدئوا ولو قليلاً من ضراوته . فاطلق كيفالوس كلبه لا يلاب على ذلك الثعلب فانطلق في اثره وبدآ مطاردة كانت ستستمر الى الأبد لولا ان أحال مرسل الصواعق الكلب والثعلب الى صخرتين . واشترك كيفالوس بعد ذلك في حرب امفيتريون مع التيليبيين ، واستطاع بفضل جرأته واقدامه ان يسيطر على جزيرة كيفاليا التي سميت باسمه وامضى بقية أيامه فوقها .

بروكنا وفيلوميلا

عن منظومة اوڤيد «ميتامارفوز»

اشتبك بانديون ، حفيد بريختونيوس وملك اثينا في حرب مع البرابرة الذين كانوا يحاصرون مدينته وكان من الصعب عليه حماية اثينا من جيش البرابرة اللجب لو لم يهب تيريوس ، ملك تراقيا لنجدته ، فانتصر بانديون على البرابرة وأخرجهم من جميع أنحاء اتيكا وجزى تيريوس بأن زوجه من ابنته بروكنا ، فعاد تيريوس الى تراقيا برفقة زوجته الصبية وولد لهما غلام جميل فكأن المويرات ، ربات المصير قد خصتهما بأوفر حظ من السعادة .

ومضت خمسة أعوام على زواج تيريوس الى أن جاءت بروكنا ذات يوم الى زوجها وقالت له :

ـ اذا كنت لاتزال على حبك لي فأرخص لي أن أذهب لزيارة أختي او فاذهب أنت الى أثينا واطلب من والدي ان يأذن لها بزيارتنا وعده بأن تعود بها الى أثينا بعد قليل من الزمن فان رؤية أختي ـ أعظم امنية في حياتي .

أعد تيريوس سفائنه للابحار البعيد وبعد قليل من الوقت كان يضرب في أرجاء البحر العريض متجهاً الى أثينا . فبلغ سواحل اتيكا بسلام واستقبله بانديون واحتفى بمقدمه وسار به الى قصره لكن تيريوس لم يكد يعلن عن سبب مقدمه حتى دخلت فيلوميلا ، اخت بروكنا التي تضاهي أختها في الجمال والفتنة فبهرت تيريوس فاشتعل قلبه بهواها . فتقدم إلى أبيها بانديون طالباً ان يسمح لها بزيارة أختها بروكنا وزاده الحب قوة على الاقناع ؛ كما ان فيلوميلا أخذت ترجو والدها ان يسمح لها بتلك الزيارة غير مدركة ما يترصدها من أخطار . ووافق بانديون أخيراً فقال يخاطب تيريوس وهو يودع ابنته في طريقها الى تراقيا البعيدة :

ـ اليك أعهد بابنتي يا تيريوس واقسم عليك بأسماء الآلهة الخالدين. ان تحميها حماية الأب لابنته ، والاّ تبقيها عندك طويلاً فهي أملي الوحيد في شيخوختي .

ثم اتجه الى ابنته فخاطبها بقوله : ـ أي بنيتي ، اذا كنت تكنين لي الحب ، انا ابوك العجوز الواهن العظم ، فعودي الي قريباً ولا تتخلي عن أبيك في وحدته .

ودع العجوز بانديون ابنته حزيناً دامع العين فلم يكن يستطيع منع تيريوس وفيلوميلا من الرحيل بالرغم مما كان يحس به من توجس وخوف .

نزلت الفتاة الجميلة الى السفينة فأخذ النوتية يضربون الماء بمجاذيفهم ضربة واحدة ومضىٰ المركب يمخر عباب البحر العريض وأخذت شواطىء اتيكا تتلاشى شيئاً بعد شيء . واذ بتيريوس يهتف وقد طفحت ملامح وجهه بالمسرة والبشر :

ـ لقد نلت ما اشتهيت ! فان فيلوميلا الفاتنة ، حبيبة نفسي تجلس هنا بجانبي فوق السفينة .

ولم يفارق تيريوس فيلوميلا طيلة الطريق ولم يمل بنظره عنها . ولما أرخت السفينة مراسيها عند شواطىء تراقيا نزل الملك بضيفته وأكرهها على المضي معه الى كوخ راع في الغابة القاتمة حيث حبسها هناك بدلاً من أن يأخذها الى منزله . ولم تلن ضراعات الفتاة ولا دموعها فؤاده فانطوت الفتاة المهمومة على نفسها في السجن حزينة مكمودة تردد دعواتها الى اختها وأبيها وآلهة الاولمب ، لكن ليس من مصغ ولا من مجيب ، فتنثر شعرها وتضرب بيديها وترفع شكواها حزينة كئيبة :

ـ ايها المتوحش الظالم ! ان قلبك لم يلن لضراعات أبي ولا لدموعه ولا لشوق أختي لرؤيتي ولم ترع قداسة موقد بيتك . خذ مني الحياة اذا شئت ، ولكن عليك ان تعلم ان آلهة الاوليمب رقيبة عليك واذا كانت قدرتهم لم تفارقهم بعد فانهم مذيقوك مر العذاب . انني سأخبرهم بكل ما فعلته يداك وسأذهب بنفسي لأنشر على الناس أعمالك فاذا منعتني الغابات الكثيفة التي تحيط بي من الخروج فسأملأ حناياها بشكواي ليسمعها اله الأثير السماوي الخالد وآلهة الاوليمب المشرق .

حنق تيريوس وجاشت نفسه بالغضب اذ سمع ما أنذرته به أخت زوجته فجرد سيفه وأمسك بالفتاة من شعرها وقيّدها ثم قطع لسانها ليحرمها من التفوه بكلمة واحدة عن جريمته وعاد بعد ذلك الى بروكنا ليقول لها ان اختها قد ماتت فذرفت المرأة مر الدموع على أختها التي قضت في زهرة العمر .

ومضت سنة كاملة وفيلو ميلا تتقلب على جمر الآلام اسيرة في سجنها محرومة من رؤية الكون عاجزة عن إخبار أختها أو أبيها بما حل بها . ولكنها اهتدت أخيراً الى وسيلة تفصح بواسطتها عما تعيشه من ظلم وعذاب فجلست وراء النول وحاكت كامل قصتها فوق بساط كبير أرسلته سراً الى أختها فلما نشرت بروكنا البساط فهمت القصة المروعة فلم تذرف الدمع بل راحت تخطر في قصرها كالتائهة وهي تفكر بطريقة للانتقام من تيريوس .

وصدف ان وافق ذلك موعد احتفال النساء بعيد ديونيسيوس فخرجت بروكنا مع النساء الى الغابات وبحثت طويلاً عن سجن أختها بين الأشجار الكثيفة فوق سفوح الجبال فعثرت عليه وأخرجتها منه وصحبتها الى القصر سراً ، وهناك قالت لها :

ـ لا وقت لدينا الآن للبكاء يا أختاه ! فبالسيف يجب أن نعمل لا بالدموع . اني مستعدة للقيام بأي شيء من أجل الانتقام لك ولنفسي من تيريوس . وليس هناك ما يمنعني من قتله شر قتلة .

وبينما كانت تقول ذلك دخل ابنها الصغير الى حجرتها فصرخت وهي تمعن فيه النظر :

ـ أواه ، ما أشبهك بأبيك !

وصمت لسانها وانعقد حاجباها فقد ثارت في نفسها خطة للانتقام رهيبة قادها اليها غضبها وحقدها الذي ازداد اضطراماً وحدة . أما الصغير فقد تقدم نحو أمه بعفوية وبراءة فضمها بين يديه الصغيرتين وتطاول نحوها يريد تقبيلها ؛ ورق قلب المرأة لبرهة وجيزة فتلألأت في عينيها دمعتان لكنها استدارت عن الصغير بسرعة ليعاودها حقدها المتاجج عندما وقع نظرها على اختها . فأمسكت بابنها

الصغير من يده وأخذته برفقة أختها الى حجرة نائية في القصر حيث قامت الشقيقتان بذبحه وتقطيعه ثم طهتا شطراً منه في قدر وشوتا بالسفود شطراً آخر وقدمتاه الى تيريوس على مائدة الغداء . وقامت بروكنا على خدمة زوجها بنفسها بينها كان يتناول لحم ابنه الحبيب غير مدرك شيئاً ، لكنه تذكره أثناء تناول الطعام فأمر ان يجيئوا به اليه ففرحت بروكنا لنجاح خطتها في الانتقام وقالت لزوجها :

ـ لقد استقر في بطنك ذلك الذي تدعوه اليك .

لم يفهم تيريوس ما تقصده زوجته بكلامها فالح في طلب ابنه ، فخرجت فيلو ميلا من وراء الستارة فجأة ورمت اليه برأس ولده ملطخاً بالدماء فانخلع فؤاده رعباً وأدرك أي لحم تناول فلعن زوجته وأختها ودفع بالمنضدة من أمامه ووثب من مكانه وجرد سيفه ثم انقض على الأختين ليثأر لابنه بيده لكنه لم يستطع اللحاق بهما فقد نبتت على اكتافهما الأجنحة واستحالت كل منهما طائراً فغدت فيلوميلا أبا الحنّاء على صدره بقعة من دم ابن تيريوس القتيل وغدت بروكنا هزاراً أما تيريوس فاستحال هدهداً له منقار طويل وعلى رأسه عرف مرتفع يشبه تلك الخوذة التي كان تيريوس المحارب يضعها على رأسه .

بوريوس وأوريفيا

جبار هو اله بوريوس ، اله ريح الشمال العاتية الصاخبة . انه يندفع فوق السهول والبحار هائجاً جامحاً يثير بهبوبه العواصف التي لا تستقر . وقد شهد ذات مرة أثناء هبوبه فوق ايتكا فتاة جميلة هي اوريفيا ، ابنة يريختيوس ووقع في هواها ، فابتهل اليها طويلاً ان تقبل به زوجاً وتسمح له بحملها الى مملكته البعيدة في الأقاصي الشمالية . فرفضت الفتاة لانها خافت ذلك الاله العاصف المكفهر الوجه كما رفض والدها أيضاً ولم تلق قلبه ضراعات بوريوس ولا توسلاته فغضب الاله الغاشم وصاح بملء صوته :

ـ اني ، بنفسي حططت من شأن نفسي فقد نسيت ما أنا فيه من قوة وجبروت. أمثلي من يتوسل ويبتهل وأنا الذي استطيع ان اقوم بما أريده معتمداً على قوتي المجردة ، فانا أحشد الغيوم الدكناء في السماء واثير في البحار عاصفات الموج واقتلع أشجار البلوط والسنديان العتيقة مثلما اقتلع الأعشاب ، واصفع وجه الأرض بالزمهرير وأحيل المياه الى جليد صلب كالحديد فما لي اذن أقف متوسلاً كواحد من الفانين، أنا الذي ترتجف الأرض عندما أطير فوقها عاصفاً عتياً وتترنح مملكة هاديس السفلى تحت خطواتي . وبالرغم من ذلك فأنا اقف امام ايريختيوس كواحد من عبيده . لا ليس بالتوسل ولا بالضراعة اجعل اوريفيا زوجتي ، بل بالقوة والسطوة والاقتدار .

وصفق ريح الشمال بجناحيه العظيمين فهبت ريح عاصفة في جميع أرجاء الكون وتمايلت أشجار الغابات تمايل القصبات الضعيفة وارتفعت الأمواج فوق صفحة البحر كالأطواد غابت صفحة السماء خلف ساحم الغيوم ونشر الاله برده الداكن فغمر الجبال وهبت منه برودة الشمال الصقيعي ·واندفع الاله نحو اثينا ماحقاً



بوريوس يخطف اوريفيا .

(رسم على مزهرية) .

كل ما يلقاه في طريقه وهناك خطف اوريفيا ثم استدار وطار من جديد ومضىٰ بخطيفته نحو بلاد الشمال .

وهناك أصبحت اوريفيا زوجته فأنجبت له توأماً ـ زيثوس و كالائيد . وكان لكل منهما جناح كأبيه وقد أصبحا من مشاهير الأبطال الصناديد ، واشتركا في حملة الارجو من أجل جزة الكبش الذهبي في كالخيدا وأتيا بمآثر جبارة خالدة .

دايدالوس وايكار[1]

عن منظومة اوفيد « ميتامارفوز »

كان دايدالوس ، سليل يريخثيوس أعظم مصور ونحات ومعماري في اثينا ، ويروى عنه انه كان يخرج من المرمر الأبيض تماثيل لها من الروعة والدقة انها كانت تبدو حية فترمق الناظر اليها بنظراتها وتنتقل من اماكنها من تلقاء نفسها . وقد استنبط هذا الفنان كثيراً من الأدوات لصناعته فهو الذي أوجد المطرقة والازميل وقد ذاعت شهرته في جميع الأنحاء .

وكان لهذا الفنان نسيب اسمه تالوس وكان ابن اخته وتلميذه في الصناعة . وقد أثار تالوس الاعجاب بعبقريته ومقدرته مذ كان صغيراً فتوقع الجميع ان يفوق خاله ويبزه في الصناعة فتحركت الغيرة في نفس دايدالوس وعول ان يقتل ابن أخته فدفعه مرة عن صخرة فوق الاكروبول الشاهق وكانا يقفان هناك وحيدين لا ثالث لهما . فسقط تالوس وارتطم بالأرض فمات ، وظن دايدالوس ان جريمته ستطوى فلا يعرف بها أحد لكن أمره انكشف عندما كان يحفر حفرة ليواري فيها ضحيته فعرف الاثينيون بأمره وحكم عليه الاريوباغ بالموت .

فر دايدالوس الى جزيرة كريت هرباً من الموت ولجأ الى الملك العظيم مينوس ، ابن زيوس وأوروبا . فاستقبل الملك الفنان الأشهر بحفاوة بالغة ورحب

---

١ ـ تشير هذه الاسطورة الى الحلم البشري القديم بالوسيلة التي تساعد على الانتقال عبر الفضاء لا عبر اليابسة والبحر فقط . والجدير بالاشارة أن المأثرة العظمى لهذا الفنان الاسطوري لم تتجل فيما صاغته يداه من تماثيل أو فيما أقامته من مبان بل في الأجنحة التي استنبطها . وقد ولدت اسطورة دايدالوس في أثينا ـ وكانت أعظم مركز تجاري وصناعي وفني في اليونان القديمة .



دايدالوس وايكار .

(رسم جداري نافر من القرن الثاني ق . م .)

به في قصره فأخرج له دايدالوس من الآثار الفنية البديعة ما لانظير له وأقام له قصر اللابيرنيت الشهير بمعابره المتداخلة التي تغلق أمام الداخل اليها سبيل الخروج . وفي هذا القصر حبس مينوس ابن زوجته باسيفيا المينوطور الرهيب الذي كان له جسم انسان ورأس ثور .

وطالت اقامة دايدالوس في قصر مينوس ، فلم يكن الملك العظيم يود تسريحه من قصره لأنه كان يريد أن يستأثر بثمرات يديه السحريتين فاحتجزه في جزيرته كما يحتجز الأسرى وفكر دايدالوس طويلاً قبل أن يهتدي الى وسيلة فريدة يخرج بها من كريت فقال في نفسه :



دايدالوس يربط الأجنحة الى كتفي ولده ايكار . (رسم على مزهرية) .

ـ إذا ضاقت في وجهي السبل في البر والبحر فآفاق الفضاء واسعة أمامي وسأجعل الفضاء سبيلاً الى الخروج فسلطة مينوس شملت كل شيء ولم تشمله .

وبدأ دايدالوس بتنفيذ ما أراده فجمع ريشاً كثيراً ووحد بينه بالشمع وخيطان الكتان ليعد منه أجنحة أربعة هائلة الأحجام . وكان ابنه الصغير ايكار يلعب الى جواره بينما هو منهمك في أعماله . فكان الصغير يجمع الريش المتطاير او يمشق الشمع بين أنامله الصغيرة ، وكان عمل أبيه يثير في نفسه السرور فينصرف الى لهوه البريء فرحاً سعيداً . وأخيراً أعدت الأجنحة فربط دايدالوس الجناحين الى ظهره وأدخل يديه في عقدتيهما وصار يصفق بهما واذا به يرتفع في الهواء فنظر ايكار بدهشة كبيرة الى أبيه الذي كان يحلق في الفضاء كطائر كبير الحجم . وأخيراً نزل دايدالوس الى الأرض وخاطب فتاه بقوله :

ـ اصغ الي يا بني . سننطلق بعد قليل من جزيرة كريت ، لكن كن حذراً أثناء طيرانك واياك ان تنحدر كثيراً نحو البحر والا أصاب رذاذ الأمواج جناحيك فأفسدهما واحذر أيضاً ان ترتفع عالياً في الفضاء لئلا تذيب الحرارة الشمع عن جناحيك فيتفرق ريشهما . طر ورائي ولا تتأخر عني .

ولبس الأب وابنه جناحيهما وانطلقا في السماء العالية بهدوء فكان من يراهما

يحسبهما الهين يحلقان في اعالي السماء الزرقاء . وكان دايدالوس غالباً ما يلتفت الى ابنه ليلقي عليه بنظره وظلا على طيرانهما حتى قطعا جزائر ديلوس وباروس دون توقف .

وفرح ايكار بالطيران السريع فصار يضاعف من تصفيق جناحيه ونسي نصيحة أبيه فافترق عنه وحلق عالياً حتى كاد يبلغ وجه السماء ويدرك الشمس الساطعة بالشعاع ، فصهرت الاشعة المتلظية ما على جناحيه من شمع فتطاير الريش وتقاذفته الرياح بعيداً وصفق الفتى بيديه لكنهما كانتا قد خلتا من الجناحين .

استدار دايدالوس وردد نظره فيما حولِه فلم يجد ابنه فصار يدعوه صائحاً :

ـ ايكار ، ايكار ، اين انت ؟ أجبني .

ولم يسمع جواباً ، لكن لما نظر الى البحر ورأى أمواجه تتلاعب بريش جناحي ولده أدرك كل ما حدث فحنق على نفسه ومقت صنعته وغضب من تفكيره بالخروج من الجزيرة على أجنحة الهواء .

وظلت جثة ايكار تتقلب طويلاً بين أحضان البحر الذي سمي فيما بعد باسمه فكان البحر الايكاري[1]. وأخيراً حملته الأمواج فألقت به بعيداً على شواطىء احدى الجزر حيث عثر عليه هرقل وواراه التراب .

أما دايدالوس فواصل طيرانه حتى هبط في سيسيليا فنزل على ملكها كوكالوس . وسمع مينوس بمقامه الجديد فخرج على سيسيليا بجيش كبير مطالباً كيكالوس بتسليم الفنان الأشهر .

ولم تكن بنات كوكالوس ليقبلن بالتنازل عن مثل هذا الفنان الحاذق فلجأن الى اسلوب المكر واقنعن اباهن بالامتثال لمطلب مينوس وقبوله ضيفاً في قصره فدخل مينوس القصر وسير به الى الحمام ليغتسل وهناك صبّت بنات كوكالوس على رأسه قدراً من الماء المغلي فمات صريع آلام لاتطاق . وهكذا عاش دايدالوس طويلاً في سيسيليا وقضى آخر أيامه في اثينا حيث غدا ملهم الدايداليين وهم سلالة أعظم الفنانين في أثينا .

---

١ ـ القسم الواقع بين جزيرتي ساموس وباروس وساحل آسيا الصغرى من بحر ايجه .

تيسيوس[1]

أخذت عن رواية بلوتارخ «تيسيوس»

مولد تيسيوس ونشأته

تغلب ايجيوس واخوته ابناء بانديون على اقربائهم ، ابناء ميتيون الذين اغتصبوا عرش اثينا ، وأخرجوهم من اتيكا ، فصار ايجيوس ملكاً على اثينا فحكم مدة طويلة بسعادة وسرور لكن شيئاً واحداً كان يؤرقه وهو انه كان محروماً من الأطفال . فاتجه الى معبد ابولون في دلفي وسأل الإله عم حمل الآلهة على حرمانه من الذرية ، فرد عليه العراف رداً مبهم المعاني . ففكر الملك ملياً يحاول فك رموز الجواب الذي سمعه ولما أعيته الحيلة في فهمه اتجه الى الملك بيتثوس الحكيم في

---

١ ـ تيسيوس ـ أعظم أبطال أثينا ، يشترك مع هرقل في ملامح كثيرة . كان يمثل ارستقراطية النبلاء الفرسان ثم ارستقراطية طبقة الاقطاع الحاكمة في أثينا تلك الطبقة التي ربطت باسمه جميع صور التنظيم الاجتماعي القديم في تلك البلاد فاليه ينسب تصنيف السكان الى طبقات ثلاث : « الايفباتريين » أو النبلاء و« الهيومورين » أو المزارعين فـ « الديميوريين » أو أصحاب الحرف . كما يعود إليه قصر الوظائف على طبقة النبلاء دون سواها ، وهنالك حقيقة طريفة تشير الى نفسها : فقد ذكرت الروايات أن كثيراً من الاثينيين الذين اشتركوا في الحرب المارافونية (٤٩٠ ق.م) والتي تغلب فيها الاغريق على الفرس قد شهدوا تيسيوس يسير في مقدمة جيش أثينا مدججاً بالسلاح ، وكان النبلاء يبالغون في ترويج مثل هذه الاساطير الخرافية حتى ان ممثلهم كيمون نقل الى أثينا رفات البطل تيسيوس من جزيرة سكيروس بينما لم يكن ثمة وجود واقعي لذلك الرفات فلا وجود للبطل نفسه .

١ ـ مدينة في ارغوليدا في شبه جزيرة البيلوبونيز .

مدينة ترويسينا ليحل على يده سر الجواب الغامض . وحزر الملك معنى ما نبىء به ايچيوس وادرك انه يولد لضيفه غلام يصبح أشهر بطل في أثينا ولذلك رغب ان تستأثر مدينة ترويسينا بشرف انجاب ذلك البطل فزوج ايچيوس بابنته ايثرا فولدت له غلاماً لم يكن ابنه بل ابن الإله بوسيدون وسمي ذلك الغلام بتيسيوس . ولما وضعت ايثرا طفلها قرر زوجها العودة الى اثينا فتناول سيفه وصندليه ووضعهما تحت صخرة في جبال ترويسينا وقال لزوجته :

ـ عندما يكبر ولدي ويشتد ساعده ويصبح قادراً على زحزحة هذه الصخرة واخراج سيفي وصندلي من تحتها فابعثي به الي وليحمل بيده السيف وينتعل الصندلين في قدميه فبهما أعرفه .

نشأ تيسيوس في كنف جده حتى بلغ السادسة عشرة من عمره . واهتم الجد الحكيم بتربية حفيده وكان يفرح عندما يلحظ نبوغه وتفوقه على أقرانه في جميع الميادين ، وما ان اتم الغلام السادسة عشرة حتى بز أترابه جميعاً في القوة والرشاقة والمهارة في استخدام السلاح. وكان الفتى طويل القامة جميل العينين تنساب ضفائر شعره الأجعد على كتفيه وقد قصت مقدمتها فوق جبينه لأنها كانت نذراً للاله ابولون . وكان جسمه المتناسق العضلات يفصح عن قوته البدنية الخارقة .

مآثر تيسيوس في طريقه إلى أثينا

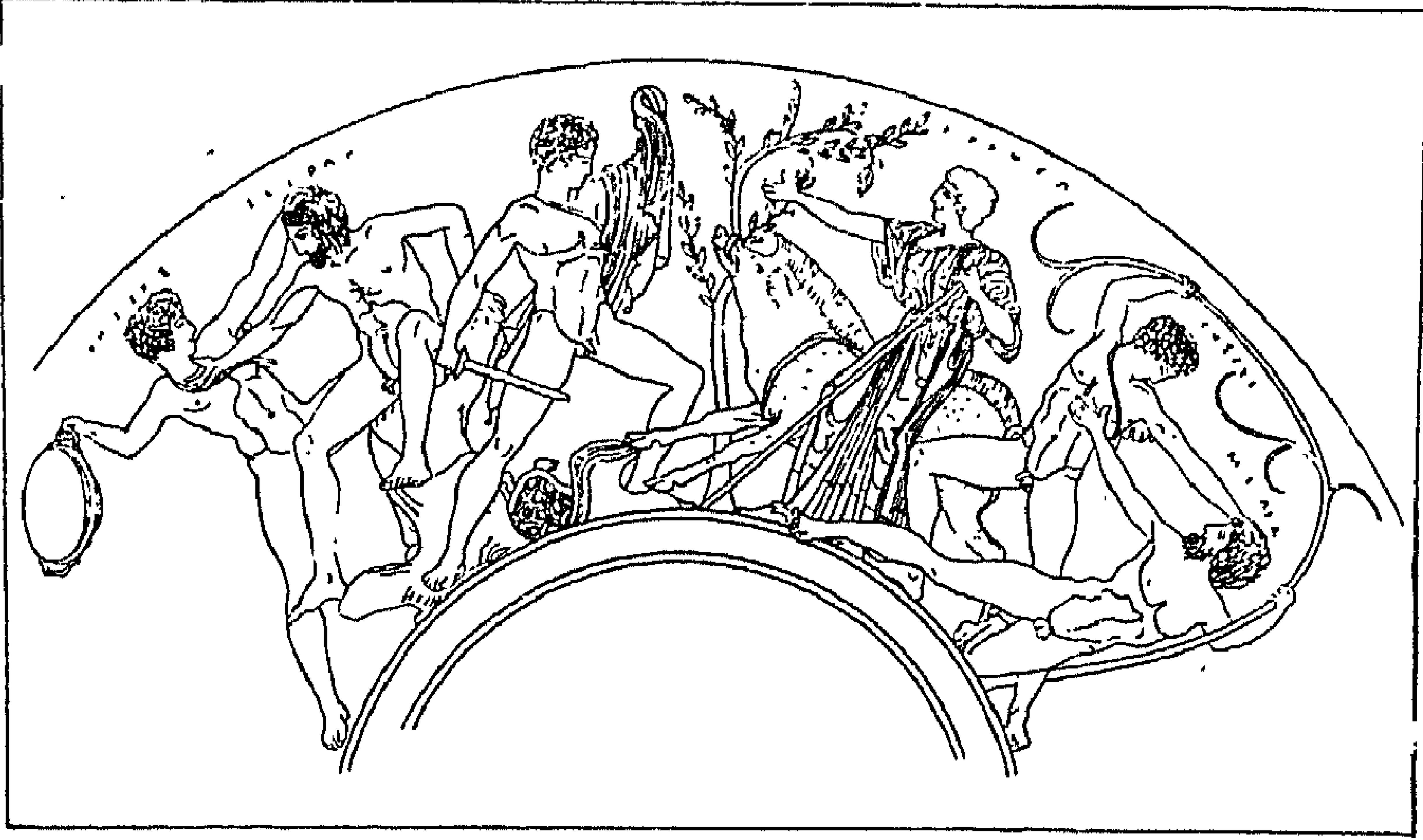
لما شهدت ايثرا تفوق ابنها على اقرانه قادته الى الصخرة التي أخفى زوجها سيفه وصندلاه تحتها وقالت له :

ـ اي بني ! أبوك ملك أثينا ، وسيفه وصندلاه مخبوءة هنا تحت هذه الصخرة فأزحها وتناول السيف والصندلين واذهب إلى أبيك ليعرفك بها .

دفع تيسيوس الصخرة فازاحها عن مكانها بسهولة ورفع من تحتها الوديعة ثم ودّع امه وجده ومضى في طريقه الى اثينا عبر طريق ايستم البري ورفض نصيحة أمه وجده بسلوك الخط البحري الخالي من الأخطار .

كان طريق تيسيوس شاقاً وعراً تعرض البطل خلاله لألوان من المخاطر والأهوال كما أنجز فيه ضروباً من الأعمال الخارقة فقد قابل العملاق بيريفيتيس ، ابن هيفس بين ترويسينا وايبيداورا . وكان ذلك العملاق أعرج كأبيه لكنه كان هائل الحجم متين الذراعين مخيفاً ضارياً يتعرض لكل من يلقاه في الجبال فيهرصه بهراوته الحديدية ، حتى حرم دخول تلك المناطق على أي انسان . لكن تيسيوس قهره دون عناء وسلبه هراوته الحديدية لتكون دليلاً على انتصاره وكان ذلك العمل فاتحة أمجاده العريضة .

وتابع تيسيوس طريقه حتى ايستم دون ان يعرض له خطر ، لكنه لم يلبث ان التقى فوق تلك الجبال بسينيدس في غابة كانت تنمو هناك نذراً للاله بوسيدون . وكان سينيدس هذا قاطع طريق كاسر فكان يمثل بمن يلاقيهم أشنع تمثيل اذ يلوي شجرتي صنوبر حتى تلتقي ذروتاهما ثم يربط بهما أطراف ذلك العاثر الحظ الذي يلتقي به ويطلق الشجرتين بعد ذلك لتستقيما بقوة شديدة وتذهبا بأجزاء الرجل الذي شد اليهما . وقد انتقم تيسيوس لكل من قتلهم الطاغية



مآثر تيسيوس . من اليسار الى اليمين : تيسيوس وسكيرون ، تيسيوس يقتل خنزير كروميون ، تيسيوس وسينيديس . (رسم على مزهرية).

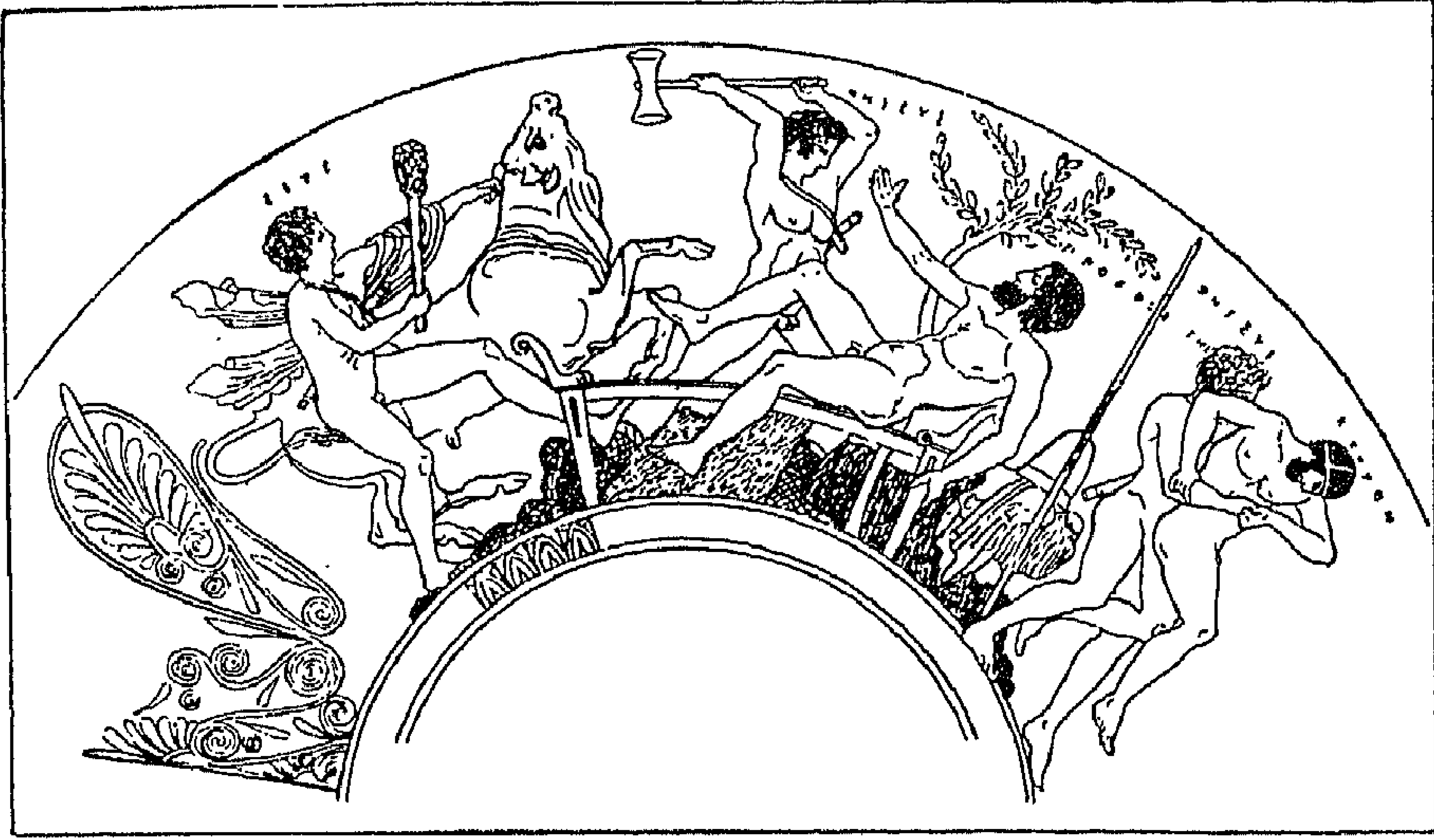
سينيدس فقبض عليه ولوى بيديه ذروتي صنوبرتين هائلتين وربطه اليهما ثم اطلقهما فمات الطاغية بالطريقة التي طالما قتل بها ضحاياه ، وبهذا أصبحت ايستم أمينة خالية من المخاطر .

وأقام تيسيوس بعد ذلك الألعاب الايستمية[1] حيث قتل سينيدس فصارت تلك الألعاب تقام بعد ذلك بشكل دوري احياء لذكرى انتصاره .

وامتد الطريق بالبطل بعد ذلك من خلال كروميون[2] التي كانت خاوية بسبب خنزير هائل الحجم أولده تيفون من ايخيدنا . وتوسل أهل تلك البلاد الى تيسيوس ان يخلصهم من ذلك البلاء الماحق فمضى البطل وقتل الخنزير بسيفه .

٢ ـ مدينة في ايستم غير بعيدة عن كورنيث .

٣ ـ مقاطعة في شمال ايستم تشترك في حدودها الشمالية مع أتيكا



مآثر تيسيوس . من اليسار إلى اليمين : تيسيوس وثور مارادون ، تيسيوس وبروكروست ، تيسيوس وكيركيون . (رسم على مزهرية).

وواصل البطل طريقه حتى وصل الى أخطر مكان في ايستم وكان يقع بالقرب من ميچارا[3] حيث ترتفع قمم الصخور المدببة التي تضطرب تحتها أمواج البحر الهادرة. وحيث كان قاطع الطريق سكيرون يجلس فوق احدى الصخور ويرغم كل عابر سبيل ان يغسل له قدميه فما ان ينحني المسكين ليقوم بذلك حتى يدفعه الشقي برجله فيطيح به من أعلى الصخرة الى أمواج البحر المضطرب فيتمزق على أسنان الصخور الحادة النافرة من البحر ثم تتلقفه سلحفاة رهيبة وتبتلعه . فلما هم سكيرون بالاطاحة بتيسيوس أمسك به البطل من قدميه وألقى به في البحر .

١ ـ الألعاب الايستمية ـ مهرجانات شاملة كانت تشارك فيها جميع مقاطعات اليونان وتقام مرة كل عامين فوق الرأس الكورينثي ـ ايستم . كانت تلك الألعاب تمتد أياماً عديدة وتضم المباريات في المصارعة والجري والملاكمة ورمي القرص والرمح وسباق المركبات .

ومثلما اصطرع هرقل وانتيوس فقد اصطرع تيسيوس وكيركيون قريباً من ايليفسين ، فأحاطه تيسيوس بذراعيه الحديديتين واعتصره ففطست أنفاسه بعد ان أطاح بالكثيرين ممن نازلوه في ميادين الصراع . وبهذا حرر تيسيوس ألوپا ونصب ابنها هيبوتوونت الذي كان بوسيدون أباه ، ملكاً على بلاد كيركيون .

غاب تيسيوس عن ايليفسين واقترب من كيفيس في اتيكا فاذا به يصل الى الشقي داماست الذي كانوا يلقبونه ببروكروست (أي المدّاد) . وقد سمي بذلك لأنه استنبط وسيلة رهيبة لتعذيب من كانوا يفدون إليه من الغرباء فكان له سرير يرغم كل قادم اليه ان يستلقي فوقه فاذا ما بدا أقصر من السرير مطّه داماست بوحشية وعنف حتى تلامس قدماه حافتي السرير واذا ما زاد طوله على السرير نشر له رجليه بمقدار الزيادة . وقد طرح تيسيوس داماست على سريره فكان طول السرير ينقص عن جسم العملاق فقتله تيسيوس بالطريقة التي كان يقتل بها زائريه .

وكان ذلك آخر عمل قام به تيسيوس في طريقه الى أثينا . ولما وصل الى أبواب المدينة أبى أن يدخلها قبل أن يتطهر من رجس[1] دماء سينيديس وسكيرون وبروكروست وسواهم . فطلب من الفيتاليين[2] ان يزيلوا عنه رجس تلك الدماء عند معبد زيوس الميليخي[3] . فاستقبلوه بفرح وغبطة وأتموا ما أراده وطهروه من نجاسة الدم الذي أراقه فصار بمقدوره أن يمضي إلى أبيه في أثينا .

---

١ ـ اعتقد اليونانيون ان سفك الدم ينجس الانسان فكان على كل من يقتل انساناً ان يتطهر من اثم ما سفكه من دم بواسطة طقوس خاصة .تجري عند مذبح أحد الآلهة .

٢ ـ أحفاد البطل فيتال الذي أدخل الميستيريا الى ايليفسين . والميستيريا طقس ديني خاص يقام على اسم الالهة ديميترا .

٣ ـ ميليخي ـ تعني الرحيم .

تيسيوس في أثينا

طاف تيسيوس في شوارع أثينا بملابسه الايونية الطويلة الزاهية وكانت ضفائر شعره الطويلة تنساب على كتفيه فكان أشبه بفتاة منه بذلك البطل الذي قام بكل تلك البطولات الخارقة . وسار تيسيوس بالقرب من معبد أبولون الذي كان قيد البناء وقد أوشك العمال على انجاز سقفه ، فشاهدوا البطل وحسبوه فتاة فأخذوا يهزأون منه ويصيحون ضاحكين :

ـ انظروا الى هذه الفتاة التي تسير في المدينة وحيدة من غير رفيق . انها تكنس الشوارع بأردان ثوبها الطويل وتحسر الغطاء عن ضفائرها الطويلة لتلفت الأنظار .

غضب تيسيوس من اولئك العمال فتقدم من عربة تجرها الثيران فأطلق الدواب منها واختطفها وطوّح بها عالياً في السماء حتى طارت من فوق رؤوس العمال الذين كانوا يقفون على سطح المعبد . فهلعت قلوبهم لما تبين لهم أن من سخروا منه لم يكن فتاة بل فتى خارق المقدرة وتوقعوا أن ينقض عليهم ليقتص منهم غير انه واصل طريقه هادئاً رافع الجبين .

وأخيراً وصل البطل الى قصر ايجيوس فوجده شيخاً هرماً قد نالت منه السنون فقال له انه غريب ينشد الحماية وأخفى عنه شخصيته ، غير ان الساحرة ميديا توصلت الى معرفته على الفور ، وكانت هذه الساحرة قد فرت من كورنيث الى اثينا وخلبت لب ايجيوس بمعسول أمانيها ووعدته أن تعيداليه الشباب بسحرها فتزوجها وصارت الآمرة الناهية في قصره حتى بات ايجيوس نفسه رهن اشارتها . واستشفتِ الساحرة المتغطرسة ما يترصدها من بلاء اذا اكتشف زوجها هوية زائره الغريب فقررت أن تقتله . فأوهمت الملك أن ضيفه جاسوس أنفذه الأعداء اليه واقنعته ان يدس له السم في الشراب فقبل الشيخ خوفاً على عرشه من الضياع .



تيسيوس وامفيترينا في قصرها في قرار البحر . يظهر تيسيوس واقفاً على ذراعي اله البحر تريتون وامامه الالهة أثينا بينها تظهر امفيترينا جالسة . (رسم على مزهرية).

ولما وضع الطعام قدمت الساحرة الى تيسيوس كأساً من الخمرة المصفقة بالسم ، واتفق ان أخرج البطل سيفه آنذاك لسبب عابر فتعرف ابوه على ذلك السيف ونزل بأنظاره على قدميه فرآهما تنتعلان الصندلين اللذين كان قد وضعهما تحت الصخرة منذ ستة عشر عاماً فألقى بالكأس المسموم بعيدا وضم ابنه الى صدره . أما الساحرة فأخرجت من أثينا ففرت مع ابنها ميدون الى بلاد ميديا .

واذاع الملك على شعبه نبأ مقدم ولده باحتفال بالغ . وحدث الاثينيين عن المآثر التي أتاها ابنه في طريقه من ترويسينا الى اثينا فاستبشر الشعب واستقبل البطل بالأفراح والمسرات .

وشاع خبر ظهور ابن ايچيوس فبلغ مسامع ابناء بالانت ، اخ ايچيوس وكان عددهم خمسة عشر . فتلاشت أمانيهم في تولي عرش أثينا بعد وفاة عمهم الملك العجوز بعد أن ظهر له ولي للعهد . فغضبوا وآلوا على انفسهم أن يأخذوا المدينة بالقوة فزحفوا عليها بقيادة أبيهم . ولما كانوا على علم بمقدرة تيسيوس وعزيمته فقد قرروا أخذه بالحيلة فهاجم قسم منهم الأسوار بشكل مكشوف بينما كمن قسم آخر للانقضاض على البطل . لكن رسولهم ليوس كشف لتيسيوس خطتهم فخرج اليهم وانقض على من كان منهم في الكمين فقتله وبذلك انخلعت قلوب البالانتيين اذ سمعوا بمقتل ذويهم فركنوا جميعاً إلى الفرار وبذلك تفرد ايجيوس بعرش اثينا محمياً بسيف ابنه .

ولم يقعد تيسيوس عن خوض المغامرات وهو في أثينا ، فعزم على تطهير اتيكا من الثور الوحشي الذي عاث فساداً في جميع انحاء مارافونث . وكان هرقل قد جاء بذلك الثور من كريت الى ميكينا بأمر من يوريثيوس وتركه فيها فانطلق الثور الى أتيكا وكان مصيبة لحقت بجميع المزارعين هناك فتجرد تيسيوس لقتله غير هياب ولا وجل . ولما كان في طريقه اليه لقي أمرأة عجوزاً اسمها هيكالا ، انزلته ضيفاً في بيتها وأوصته أن يقدم قرباناً الى الاله زيوس المخلص قبل الاقدام على عمله لكي ينصره الاله اثناء صراعه مع الثور المتوحش ، فعمل تيسيوس بوصية العجوز وخرج بعد ذلك للقاء الثور الذي هجم بضراوة وشدة ، لكن البطل امسك به من قرنيه فاضطرب الحيوان كثيراً وهو يحاول الافلات من القبضة الحديدية التي تقيده ، وأخيراً نكس تيسيوس هامة الثور وربطه وعاد به الى أثينا طيعاً مروضاً . ولكنه لم يلاق العجوز هيكالا في طريق عودته لانها كانت قد ماتت . فحيا البطل ذكراها تحية الاكبار والتقدير لأنها أكرمته وأحسنت وفادته وقدمت اليه نصحها السديد ، وعاد بعد ذلك الى أثينا فذبح الثور قرباناً للإله أبولون .

رحلة تيسيوس إلى جزيرة كريت

وصل تيسيوس الى أثينا فألفاها غارقة في الحزن والهموم ، فهي تستقبل للمرة الثالثة رسل مينوس الكريتيين لتقدم لهم ضريبتها الفاجعة . فقد كان مفروضاً على الأثينيين ان يتقدمواالى كريت مرة كل تسعة أعوام بسبعة من أخيار شبابهم وبسبع من أجمل صباياهم ليطرحوا هناك في قصر لابيرينت المخيف طعاماً للمينوطور الذي كان له جسم انسان ورأس ثور . وقد فرض مينوس هذه الأتاوة على أهل أثينا لانهم قتلوا ابنه اندروجيوس . وكان على الاثينيين في هذه المرة أن يرسلوا اليه ضريبتهم البشرية للمرة الثالثة ولذلك رفعوا الأشرعة السوداء على السفينة حداداً على الضحايا الفتية التي ستغدو طعاماً للوحش الشنيع .

ولما شهد البطل الفتي أحزان مدينته البائسة قرر أن يرافق الشبان والصبايا الى كريت ليخلصهم من الموت ويقضي على تلك الضريبة الفاجعة بقتل المينوطور ، أويقضي معهم ضحية براثن الوحش الضاري . لكن ايجيوس عارض في خروج ولده أشد المعارضة الا أن تيسيوس كان مصراً على رأيه فقدم قرباناً إلى الاله أبولون الدلفي ـ حامي الأسفار والرحلات البحرية وأُوعِز إليه قبل خروجه من دلفي بأن يستميل اليه الهة الحب أفروديتا ويجعلها حامية رحلته فقدم اليها قرباناً ودعاها أن تنصره ثم مضى نحو الجزيرة .

طابت الريح للسفين فبلغت شواطىء الجزيرة بأمان وسلام . واقتيد الشبان والصبايا الى مينوس فاجتذبت أنظاره هيئة تيسيوس الفتى وصورته الفاتنة كما لحظته أريادنا ابنة الملك فاتقد قلبها نحوه بحب عميق أثارته فيها الالهة أفروديتا ، حامية البطل . وآلت الفتاة على نفسها أن تساعده وتأخذ بيده فقد راعها أن يهلك بين براثن المينوطور .

وقدر لتيسيوس ان ينجز مأثرة جديدة قبل ان يتجه لقتال المينوطور ، فقد أساء الملك مينوس لاحدى بنات أثينا فتجرد تيسيوس للدفاع عنها . فأخذ الملك



اريادنا النائمة . (تمثال من القرن الرابع ق . م) .

يسخر منه متباهياً باصالته وأثالة محتده اذ أغضبه أن يجترىء واحد من الأثينيين على التصدي له وهو ابن زيوس الخالد . لكن تيسيوس رد عليه بكبرياء وشمم :
ـ إنك تفخر بانتسابك الى زيوس ، لكن اعلم انني لست ابن واحد من بسطاء الفانين فأبي ـ هو بوسيدون مزلزل الأرض ورب البحار .

فأجاب مينوس :
ـ اذا كان ما تدعيه حقاً ، وانك ابن رب البحار ، فاثبت لي قولك وأخرج لي هذا الخاتم من لجة البحر . وطرح في البحر خاتماً ذهبياً كان في يده .
فدعا تيسيوس أباه وألقى بنفسه من فوق الشاطىء المرتفع نحو لجة البحر فارتفع الرذاذ عالياً وغاب البطل في أحضان الأمواج . وحملق الجميع بصفحة البحر بدهشة وخوف لانهم يئسوا من عودة البطل كما وقفت افروديتا يائسة حزينة لانها كانت على ثقة من أنه لن يعود .
أما تيسيوس فانه ما كاد يغيب بين الأمواج لتتعانق طياتها من فوقه حتى أمسك به الاله تريتون وحمله الى قصر بوسيدون بسرعة البرق الخاطف فاستقبله الاله المجيد بحفاوة وتقدير وقدم اليه خاتم مينوس . أما امفيتريتا ، زوجة بوسيدون فقد بهرت إعجاباً بالبطل وراقها جماله السماوي فتوجت خصلات شعره الجميل بتاج من الذهب وحمله تريتون من جديد وأعاده الى حيث ألقى بنفسه ، فخرج البطل وأثبت لمينوس بنوته لبوسيدون وفرحت أريادنا واستبشرت بعودته .
لكن العمل الأجل خطورة كان بانتظاره فجاءته أريادنا خفيـة عن أبيها وأحضرت اليه سيفاً حاداً وبكرة خيطان فلما اقتيد واصحابه الى قصر اللابيرينت وحشروا فيه ليمزقهم المينوطور ، ربط البطل نهاية الخيط عند بوابة القصر وراح يسير بين دهاليزه ومتاهاته العسيرة على الحصر والتي يستحيل على الداخل أن يخرج منها . وكان يحل الخيط كلما أمعن في سيره ، وذلك ليهتدي بواسطته الى سبيل الخروج . وهكذا تابع طريقه حتى وصل الى حجرة المينوطور ، فخار الثور بصوت كالرعد ومال برأسه مسدداً قرنيه الحادين الرهيبين وانقض على البطل الفتي فاشتبكا في صراع ضار هاجم المينوطور خلاله البطل مرات عديدة فكان يصد الهجمات



تيسيوس يقتل المينوطور

بسيفه وأخيراً قبض تيسيوس على المينوطور من قرنيه وأغمد السيف في صدره ، ثم أمسك بطرف الخيط وخرج من القصر برفقة كل من معه من الاثينيين ، فاستقبلتهم اريادنا عند البوابة فرحة مستبشرة . وفرح الفتيان والصبايا بنجاتهم من الموت فوضعوا على رؤوسهم اكاليل الورد وعقدوا حلقة وراحوا يرقصون وهم يمجدون البطل وحاميته أثينا .

واعد تيسيوس سفينته بسرعة وحزم وخرق سفن الكريتيين الراسية على الشاطىء وخرج مع رفاقه مسرعاً بالعودة الى بلاده واريادنا برفقته لانها لم تقو على البقاء بدونه بعد أن اسرها هواه .

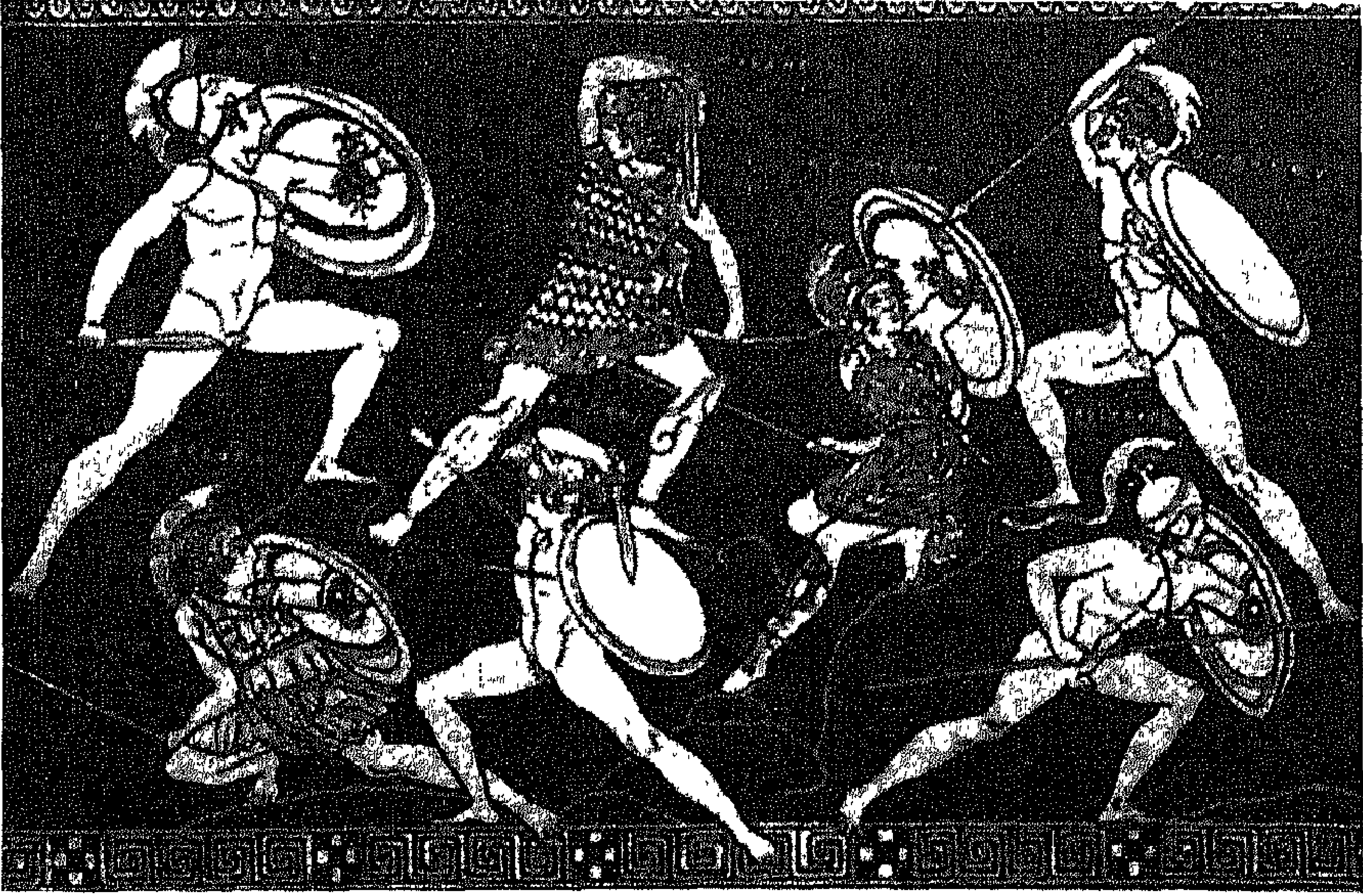
ووصل البطل اثناء عودته الى جزيرة ناكسوس فنزل فيها مع أصحابه ، ولما كان الجميع يرقدون فوق الجزيرة لينالوا قسطاً من الراحة ظهر الاله ديونيسيوس لتيسيوس في نومه وأخبره بأن عليه ان يخلي اريادنا فوق الجزيرة القفراء لان الآلهة سمّتها زوجة له ـ لديونيسيوس . وانتبه البطل من نومه مغموماً مكدوداً وبسرعة رفع قلوع سفينته تأهباً للرحيل فلم يكن بقادر على عصيان مشيئة الآلهة . واقترن ديونيسيوس باريادنا وصارت واحدة من الآلهة فحياها رفاق الاله جميعاً وهللوا بمجدها .

أما سفينة تيسيوس فمضت تشق عباب البحر الأزرق والريح تضرب أشرعتها السوداء . ولاحت شواطىء اتيكا في الافق البعيد ، ونسي تيسيوس في غمرة أحزانه على أريادنا وعده لوالده بان يبدل أشرعة السفينة السوداء بأشرعة بيضاء ان هو عاد من رحلته ظافراً منصوراً على المينوطور . وكان ايجيوس يقف على شاطىء البحر فوق صخرة شاهقة مثبتاً أنظاره في اللجج السحيقة بانتظار ولده الوحيد . وتمخض الافق البعيد عن نقطة داكنة أخذت تقترب من الشاطىء وكانت تلك سفينة ابنه الغالي . وأخذ الملك العجوز يمعن نظره ليتبين لون أشرعتها ، لكنها لم تكن تتلألأ ببياض ألوانها تحت أشعة الشمس ، واتضح أخيراً لونها الأسود دليلاً على مصرع وحيده ففاضت نفس الأب الثاكل حزناً ويأساً وألقى بنفسه في البحر حيث استقبلته الأمواج ثم لفظته الى الشاطىء جثة هامدة . فصار ذلك البحر يسمى ببحر ايجه . أما تيسيوس فما كاد يرسي بسفينته على شواطىء اتيكا ويقـدم الى الآلهة القرابين حتى ادرك انه أصبح قاتل أبيه عن غير قصد ، فأقام له احتفالاً جنائزياً فاخراً وواراه الثرى وقد غمرته الأحزان والأكدار . وصار بعد ذلك ملكا على أثينا .

تيسيوس والأمازونات

حكم تيسيوس أثينا بعدل وانصاف غير ان حياته فيما بعد لم تكن مستقرة هادئة فقد عاوده الحنين الى المغامرات فاشترك فيما قام به صناديد اليونان من أعمال جبارة فخرج في الغزوة الكاليدونية وفي غزوة الارجوناوتيين من أجل جزة الكبش الذهبي ، وفي غزوة هرقل لبلاد الأمازون حيث تم اخضاع عاصمتهن ثيميسكيرا وعاد تيسيوس بملكتهن انتيوبا الى اثينا واتخذها زوجة بعد أن أقام عرساً حافلاً بهيجاً .

وخرجت الامازونات للانتقام لمدينتهن من اليونانيين وتخليص ملكتهن من أسرها المرير كما بدا لهن فاكتسحن اتيكا بجيش جرار وألجأن أهل أثينا الى الاحتماء بأسوار المدينة ثم اقتحمن الاسوار فتقهقر الاثينيون الى الاكروبول واستتروا بداخله . فضربت الامازونات خيامهن فوق هضبة الاريوباغ وبدأن الحصار . وحاول الاثينيون مرات عديدة ان يردوهن ويزيحوهن عن المدينة ، وأخيراً التحموا معهن في معركة فاصلة خرجت انتيوبا اثناءها بنفسها لقتال اولئك اللاتي كانت ملكة عليهن فيما مضى لأنها كانت تضن على الموت بحياة زوجها البطل الذي أحبته أعمق الحب . غير ان الموت كان لها بالمرصاد فقد اخترقت صدرها حربة رشقتها واحدة من الامازونات فسقطت انتيوبا عند قدمي زوجها تتخبط في دمائها . ونظر الفريقان الى القتيلة الغالية بمرارة وحزن وانحنى زوجها المفجوع فوقها بحزن بالغ فتوقف القتال وعادت الامازونات الى بلادهن البعيدة ، وطالت أحزان اثينا على الفقيدة الغالية التي قضت في أوج شبابها .



حرب الأمازونات .

(رسم على مزهرية)

تيسيوس وبيريثوس

كان اللابيثيون-١- يستوطنون فيساليا . وكانوا من أشداء الرجال وأشجع المحاربين وكان البطل بيرثيوس ملكاً عليهم . وقد بلغت بيرثيوس أنباء شجاعة تيسيوس واقدامه فصمم على تحديه واختباره ، فاتجه الى مارافونت وأغار على ماشية تيسيوس وهي في مراعيها الخصيبة واستاق من بينها قطيعاً من الأبقار . وما ان سمع تيسيوس بذلك حتى هب مسرعاً في اثره فلحق به ، والتقى البطلان مدججين بالسلاح اللامع وتقابلا كإلهين من الآلهة الغاشمة المكفهرة وقد ثارت نفس كل منهما إعجاباً بصاحبه فرآه مثالاً للجرأة والعزيمة والجمال والإقدام ، فألقيا بالسلاح الى الأرض ومد كل منهما يده الى صاحبه فتصافحا وعقدا فيما بينهما عهد الوفاء الأبدي وتبادلا الأسلحة رمزاً للصداقة الخالدة التي لا تنفصم .

وبعد فترة غير طويلة من الزمن توجه تيسيوس الى فيساليا ليحضر عرس صديقه من هيبو داميا وكانت حفلة الزفاف رائعة ، بهيجة وعامرة . فكانت ابهاء القصر تعج بالمدعوين الذين جمعوا بين أبطال اليونان وبين القناطير الذين كان نصفهم للبشر ونصفهم للخيول . وانتشر المدعوون حول مناضد المآدب وضاقت القاعات ببعضهم فاستتروا في مغارة كبيرة رطيبة الأنحاء يأدبون فيها ويلهون . وانتشرت الروائح الذكية وارتفعت أناشيد العرس وموسيقاه وترددت أصوات المدعوين المرحة ولهجت الألسن بتمجيد العريس واطراء العروس التي كانت تتألق كنجم في السماء ، ودارت الكؤوس وطافت الخمرة كالجداول وزاد الصخب وتعالت صيحات المرح وفجأة هب القنطور ايفريت ، وكان أشد بني قومه قوة وضراوة ، فانقض على العروس وطوقها بذراعيه الشديدين وأراد اختطافها . ونحا بقية القناطير نحوه فانقضوا على من كان في الحفلة من نساء وحاول كلٌّ نيل واحدة منهن فهب تيسيوس وبيرثيوس وبقية الأبطال من أماكنهم واندفعوا للدفاع عن النساء فتوقف الحفل ودارت رحى معركة رهيبة لم يستخدم الابطال سلاحهم

١- اللابيثيون - شعب خرافي .

فيها ، لأنهم دخلوا قاعة المآدب عزّلاً ، فاستعانوا على القناطير بكل ما وقعت ايديهم عليه فراحوا يضربون بالأكواب الكبيرة وبدنان الخمر وبأرجل المقاعد المحطمة والركائز التي كانت روائح البخور تتصاعد من فوقها ، وضيق الأبطال الخناق على القناطير حتى ألجأوهم الى خارج القصر ، وهناك استردوا اسلحتهم وهجموا على القناطير شاهرين السيوف مسترين بالتروس .



القتال بين القنطور والبطل

اللابيثي اليوناني

(رسم جداري نافر

من القرن الخامس ق . م) .

أما القناطير فأخذوا يقتلعون الأشجار من جذورها ، ويرفعون الصخور الهائلة ويرجمون بها الأبطال الذين يتقدمهم تيسيوس وبيرثيوس وبيليوس ونسطور ابن بيليوس وارتفعت كومة القناطير القتلى امام القصر مضرجة بالدماء وأخذت تزداد ارتفاعاً كلما زاد تساقط القناطير الذين أثخن الأبطال فيهم حتى لم يبق منهم غير القليل فلاذوا بالفرار الى غابات جبل بيليوس الشاهق .

اختطاف هيلين. تيسيوس وبيريثيوس

يقرران اختطاف بيرسيفونا . مصرع تيسيوس

لم تعش هيبوداميا طويلاً فقد غالها الموت فجأة في أوج شبابها ونضرة جمالها ، فبكاها زوجها المفجوع ، وقرر بعد مدة ان يتخذ لنفسه زوجة أخرى فسافر الى صديقه تيسيوس في اثينا فاتفقا معاً على اختطاف هيلين ذات الفتنة والبهاء . وكانت هيلين آنذاك فتاة صغيرة لكن شهرة جمالها طبقت جميع الأصقاع . فتسلل الشابان سراً الى لاكونيا فشاهدا هيلين تلهو وترقص مع ثلة من صويحباتها في أحد أعياد ارتيميدا فحملاها وانطلقا بها الى جبال أركاديا ثم عبرا بها من خلال كورينث وايستم وأودعاها حصن أثينا .

وهب السبارطيون للحاق بتيسيوس وبيرثيوس لكنهم لم يظفروا بهما فعادوا أدراجهم . أما البطلان فقد اقترعا على هيلين الفاتنة فكانت من نصيب تيسيوس . وكان البطلان قد تعاهدا من قبل بأن يقوم الفائز منهما بمساعدة صديقه على ايجاد زوجة له .

ولما آلت هيلين الى تيسيوس طلب منه صديقه ان يعاضده ليقوم بخطف بيرسيفونا زوجة هاديس الكالح الوجه لتكون زوجة له . وهلع فؤاد تيسيوس من خطر المغامرة المهولة ، ولكن ماذا بيده وقد أقسم يمين الوفاء الابدي فكان عليه ان يرافق صديقه الى قرار العالم السفلي فهبطا معاً عبر الكهف المعتم القريب من كولون المجاورة لأثينا ودخلا مملكة الرعب والأهوال حتى صارا إلى هاديس وطالباه بالنزول لهما عن بيرسيفونا . فغضب الاله الغاشم غضباً شديداً لكنه تمالك نفسه وكظم غيظه واقترح على البطلين ان يجلسا على عرش نحت في صخرة عند باب المملكة المظلمة . وما كاد البطلان ان يستقرا في مجلسيهما حتى التحم جسداهما

بالصخرة وأصبحا قطعة منها ، فلم يستطيعا بعد ذلك حراكاً . وبذلك اقتص الاله منهما على مطلبهما الجريء الوقح .

وبينما كان تيسيوس مرهوناً في أسر مملكة الأشباح كان كاستور وبوليديوكيس ، شقيقا هيلين يجوبان أنحاء العالم بحثاً عن أختهما الى أن عرفا أخيراً بمقرها فسارعا إلى مدينة أثينا وضربا حولها حصاراً شديداً فسقط الحصن المنيع وأخرج الشقيقان منه اختهما واقتادا ايثرا، وام تيسيوس، أسيرة مصفدة بالأغلال ونصبا مينيسيوس ، غريم تيسيوس القديم ، ملكاً على اثينا وجميع بلاد اتيكا . وطال المقام بتيسيوس في مملكة الأشباح الى أن حرره هرقل ، أعظم الأبطال .

وعاد تيسيوس من جديد الى عالم الشمس والضياء ، ولكن ايام السعادة والهناء قد ولت بلا رجعة فالحصن أحاق به الخراب وهيلين أخرجت منه الى اللا عودة ، وايثرا ، ام البطل تعاني مرارات الأسر والاسترقاق في سبارطة ، ولاذ ولداه ديموقون واكامانت بالفرار وآلت السلطة كاملة الى مينيسيوس البغيض ، فغادر تيسيوس اتيكا وانزوى لنفسه في جزيرة ايثبيا حيث كانت له بعض الممتلكات غير ان المصائب كانت تواكبه في حله وترحاله فقد رفض ليكوميديس ، ملك جزيرة سكيروس ، ان يعيد له ممتلكاته ونجح في جرّه الى صخرة عالية فوق شاطىء البحر ومن هناك دفعه الى البحر فمات وقضت تلك اليد الأثيمة على أعظم الأبطال في اتيكا . وبعد سنين طويلة عاد ولدا البطل الأعظم الى اثينا بعد ان اشتركا في حرب طروادة والتقيا باثيرا هناك ، اذ كان باريس ابن بريام قد أخذها جارية مرافقة لهيلين التي خطفها من سبارطة وكان خطفها السبب في حروب طرواده .

ميلياجر[1]

جر اوينيوس، ملك كاليدون، وأبو البطل ميلياجر على نفسه غضب الالهة ارتيميدا ، عندما قام أثناء أحد أعياد القطاف بتقديم القرابين الثمينة الى جميع الآلهة وسها عن ارتيميدا فلم يخصها بنصيب. وأقتصت الآلهة منه فسلطت على بلاده خنزيراً برياً هائجاً أثار الدمار في ضواحي كاليدون حتى اقفرت وفر منها كل ذي روح . فقد كان يقتلع الاشجار بنابيه الرهيبين ويخرب الكروم وبساتين التفاح المزدانة بالزهور كما كان يغير على الحراثين وكل من يعبر في تلك البقاع فضجت البلاد منه بالشكوى وقرر ميلياجر ابن الملك اوينيوس ان يقتله ويخلص الناس من شره فحشد جمهوراً غفيراً من أبطال اليونان لمساعدته في عمليته . فكان بينهم كاستور وبوليديكتيس من سبارطة وتيسيوس من أثينا والملك ادميت من ثيرا وياسون من ايولك[2] وايولايس من طيبة ويورثيوس من فتيا[3] ويتلامون من جزيرة سالامين[4] وغيرهم كثيرون . كما جاءت اتلانتا من اركاديا وكانت سريعة العدو كأحسن الغزلان فقد نشأت بأمر من أبيها في الجبال لانه لم يكن يرغب بأن تكون له ابنة ، وهناك أرضعتها دبة في صدع بالجبال ، ونشأت الفتاة بين الصيادين ومهرت في فنون الصيد والقنص حتى ضاهت بذلك ارتيميدا .

(١) في هذه الاسطورة ناحية جديرة بالاهتمام وهي دعوة ألفيا ، ام ميلياجر على ابنها واستعداؤها الآلهة عليه عندما بلغها انه قتل أخاها في احدى المعارك وهو ما جعل ابولون يرميه بسهم فيقتله . فما الذي جعل جريمة ميلياجر تبدو من الخطورة والأهمية ان تتسبب في لعنة الأم وتثير الآلهة للانتقام . قد تفسر الاسطورة بكونها من بقايا النظام الماترياركي (الامي) عندما كان الأخ بالنسبة للام أقرب الانسباء .

(٢) انظر الباب الثاني «الارجوناوتيون»

(٣) انظر الباب الثاني «قصص طروادة» «بيليوس وفيتيدا»

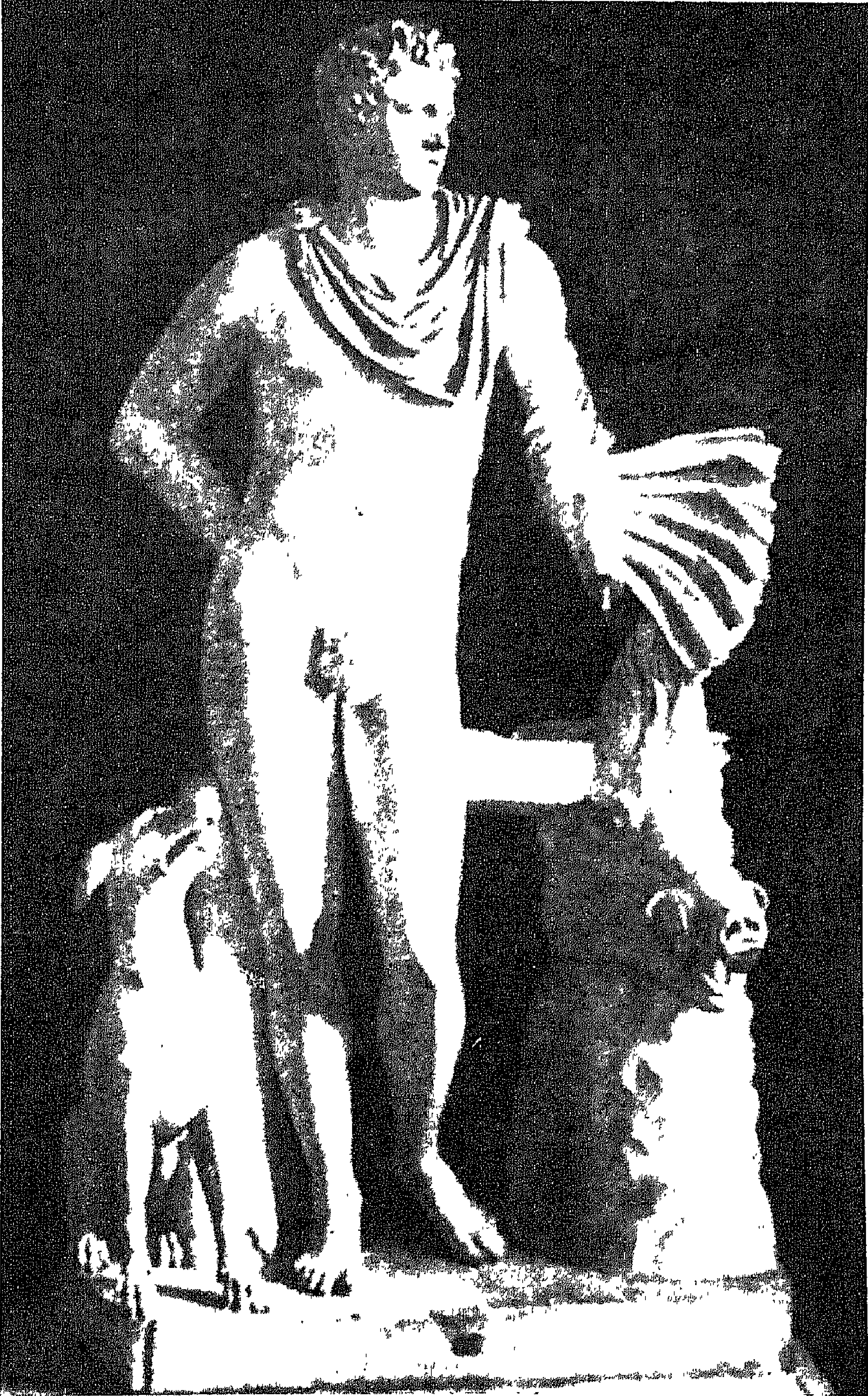
(٤) جزيرة تقع عند شواطيء اتيكا من خليج سارونيك وقد اشتهرت بالمعركة التي قامت على ارضها بين الفرس واليونانيين سنة ٤٨٠ ق.م.

وأقام الأبطال تسعة ايام يستمتعون ويلهون على موائد الملك اوينيوس المضياف ، وانطلقوا بعد ذلك للصيد فاطلقوا الكلاب الجارحة التي راحت تنبح بضراوة وشدة حتى أخرجت الخنزير من مكمنه فانطلق أمامها كالاعصار الثائر وانطلقت في اثره ومن خلفها الصيادون وكل منهم يحاول أن ينال الخنزير بحسامه ، لكن صيده كان أمراً في غاية الصعوبة لانه كان مسلحاً بنابين لم يسبق لأحد من الصيادين أن رأى لهما مثيلاً . وكاد الصياد الاركادي انيكوس ان يطعن الخنزير الا ان الوحش استدار عليه ومزقه فشدت اتلانتا قوسها ورشقته بسهم من سهامها القاطعة ، ووصل ميلياجر في تلك اللحظة فأجهز عليه بطعنة من حربته أردته صريعاً وبذلك انتهت المطاردة وفرح الجميع بالنتيجة .

ولكن من يملك الحق في نيل جائزة الانتصار ؟ لقد شارك الجميع في المطاردة ونجح كثيرون في طعن الخنزير بحرابهم القاطعة . واحتدم النقاش وازدادت شقة الخلاف واشتعلت نار الفتنة وزادتها الالهة ارتيميدا اتقاداً لانها حنقت لمقتل خنزيرها .

وادت الفتنة الى حرب طاحنة بين الايتولانيين ، سكان كاليدون والكوريتيين ، ابناء بليفرون المجاورة . ولما كان البطل ميلياجر الى صف الايتولانيين فقد مالت كفة النصر الى جانبهم .

وازدادت المعركة حدة واضطراماً وجندل ميلياجر كثيراً من الرجال وكان أخ أمه واحداً منهم . وبلغت ألفيا أنباء مصرع أخيها فحزنت عليه حزناً شديداً لكن حزنها تحول الى غضب قاهر لما علمت بان ابنها هو القاتل . فدعت الاله الكالح هاديس وزوجته بيرسيفونا أن ينزلا به انتقامهما وأعمتها ثورة الغضب فأشهدت الايرينات المنتقمات على سماع دعوتها . ولما سمع ميلياجر بدعوة أمه حزن حزناً شديداً ونكس رأسه وخرج من المعركة عائداً الى قصره فجلس في حجرة زوجته كليوباترا الفاتنة ودفن رأسه بين راحتيه . لكنه ما ان ابتعد عن ساح المعركة حتى مالت الكفة الى جانب أعدائه الكوريتيين فظهروا على الايتولانيين وما زالوا يدحرونهم حتى الجأوهم الى داخل مدينتهم كاليدون ، وخيم شبح الدمار على



ميلياجر . (نسخة من تمثال للنحات
سكوباس من القرن الرابع ق . م)

المدينة وفشلت جميع محاولات الايتولانيين في اثارة ميلياجر الى العودة من جديد الى القتال فمنّوه بالوعود وأغروه بأثمن الهدايا ، لكن ذلك لم يؤثر في نفسه ، فجاء الشيخ اوينيوس بنفسه الى حجرة كليوباترا وقرع بابها الموصد وأخذ يتوسل الى ولده أن ينسى غضبه فمدينته مهددة بالزوال . ولكن ميلياجر أبى أن يصغي اليه فجاءت اليه أمه وأخواته واصدقاؤه المحبون واستغاثوا به وحاولوا أن يثيروا نخوته لكنه ظل على قراره لا يني ولا يحيد ، بينما اقتحم الكوريتيون أسوار المدينة واضرموا النيران في كثير من المنازل وحاولوا جعل المدينة بأسرها طعاماً للنيران حتى ترنحت جوانب قصر ميلياجر فركعت زوجته على ركبتيها أمامه وصارت تتوسل اليه أن يخرج لانقاذ مدينته مصورة له ذلك الشر الذي يتهدد مدينته عندما يعفر الاعداء وجهها ويقيّد أبناؤها بالسلاسل ويساقون امام المنتصرين الى ربقة الأسر والعبودية وتكون زوجته واحدة من بين الأسرى ، فهل يرضيه ذلك ؟ ونفذت ضراعات كليوباترا الى اعماق نفس زوجها فهب من مكانه ولبس دروعه وخوذته وتمنطق بسيفه وأخذ بيديه حسامه وترسه ونزل الى الساح جباراً رهيباً فأمعن في الكوريتيين تقتيلاً وتنكيلاً حتى أزاحهم عن مدينته وأنقذ منهم بني قومه . لكنه لم ينج من الموت الذي كان يترصده فقد بلغت أسماع الآلهة دعوات أمه ولعناتها فرماه ابولون بسهم ذهبي قاتل فخر على الأرض مجندلاً وطارت روحه الى مملكة الأطياف المظلمة-١-

---

١ ـ ثمة اسطورة أخرى تتناول مصرع البطل فتحدثنا ان ربات المصير اتين الى الفيا يوم ولادة ابنها ميلياجر وقلن لها : تتم حياة ابنك عندما يتم احتراق هذه الجمرة «فأخرجت الفيا الجمرة من الموقد وأطفأتها وخبأتها في صندوق . ولكنها تذكرت النبوءة عندما قتل ميلياجر أخاها فأخرجت الفحمة من الصندوق وأحرقتها فمات ابنها عندما استحالت الفحمة رماداً .

٢ـ احدى الجزر السيكلادية في بحر ايجه .

كيباريس

عن منظومة أوفيد «ميتا مار فوز»

كان الوادي الكارثي في جزيرة كيبوتس يضم وعلاً جميلاً كان نذراً للحوريات وقد تميّز ذلك الوعل بجمال الصورة وسحر المنظر فقرونه المذهبة تتألق تحت نور الشمس وتزدان عنقه بأطواق اللآلىء واذناه بالأقراط ذات الأحجار الكريمة . وقد كان ذلك الوعل وديعاً وأليفاً لا يخشى الناس فهو يدخل المنازل ويمد عنقه لمن يرغب في ان يلامسها ويربت عليها . وكان سكان الجزيرة يحبونه ويداعبونه الا ان كيباريس الفتي ، ابن ملك الجزيرة وصديق ابولون الأحب كان اكثر من تعلق قلبه بذلك الوعل فكان يقوده الى المراعي الندية الأعشاب والجداول الناعمة الخرير ويتوج قرنيه العظيَمين بأكاليل الزهور الفواحة العبير وأحياناً ما كان يلاعبه ويثب على ظهره فرحاً ضاحكاً ثم يمضي به في الوادي الكارثي الأخضر .

وفي يوم من أيام الصيف القائظ وقد توسطت الشمس كبد السماء لترسل منها أشعتها اللاهبة قال الوعل الجميل في ظلال أجمة صغيرة يحتمي بها من شدة الحر والهجير ، وكان كيباريس يصيد في تلك الأنحاء آنذاك فلحظ مكان الوعل ورشقه بسهم نافذ دون أن يعرفه فقد كانت أوراق الأشجار تستره عن ناظره . ولما أدرك الشاب أنه قتل وعله المحبوب تفتت قلبه حزناً عليه ولوعة وتمنّى على الآلهة أن تلحقه به . وفشلت محاولات ابولون في التخفيف من لوعته فانه ما فتيء يلح عليه أن يجعل أحزانه خالدة أبد الدهر فأحاله سروة رشيقة باسقة فاكتسى جسمه بالقشور واستحالت خصلات شعره الذهبية الى أوراق السرو وثماره . ونهضت السروة الجميلة ممشوقة القامة نحو السماء كالسهم ، فتنهد الاله بحزن وقال :

ـ أبديّةً ستكون أحزاني عليك أيها الفتى الجميل ، أما أنت فقد حُمّلتَ الحزن على الآخرين الى الأبد !

ودأب اليونانيون منذ ذلك اليوم على غرس أشجار السرو في المقابر وتعليق أغصانها على أبواب منازل الثاكلين وغمر محارق أمواتهم بفروعه .

اورفيوس ويوريديكا

عن منظومة اوفيد «ميتا مار فوز»

اورفيوس في العالم السفلي

عاش المغني الأشهر اورفيوس ، ابن اله النهر ياجر وربة الفن كاليوبا ، في تراقيا . وكانت الحورية الفاتنة زوجته التي يحبها حباً لا نهاية له . لكنه لم يستمتع بالحياة طويلاً الى جوارها فلم تكن قد مضت على زواجهما الا ايام معدودة عندما خرجت مع ثلة من صويحباتها الصبايا الجميلات الى واد أخضر ليقطفن منه زهور الربيع ، واذا بحية سامة تلسعها فأطلقت يوريديكا صرخة استغاثة وهوت بين أذرع صديقاتها ثم شحب لونها وغشيت الظلمة عينيها فقد ذهبت اللسعة السامة بحياتها . وأخذت صديقاتها يندبن ويبكين ورددن جنبات الوادي نواحهن فسمعهن اورفيوس وهب اليهن مسرعاً ليرى بين ايديهن جسد زوجته الفتية المحبوبة فمزقت اللوعة فؤاده وفاضت بالدمع مقلتاه وراح يبكيها كل صباح ومساء ولم يتمكن اي شيء ان يسليه عنها فراح يغنيها ويبكيها بصوت شجي حزين جعل الطبيعة كلها تشاركه بكاءه وهي تنصت الى غنائه الحزين .

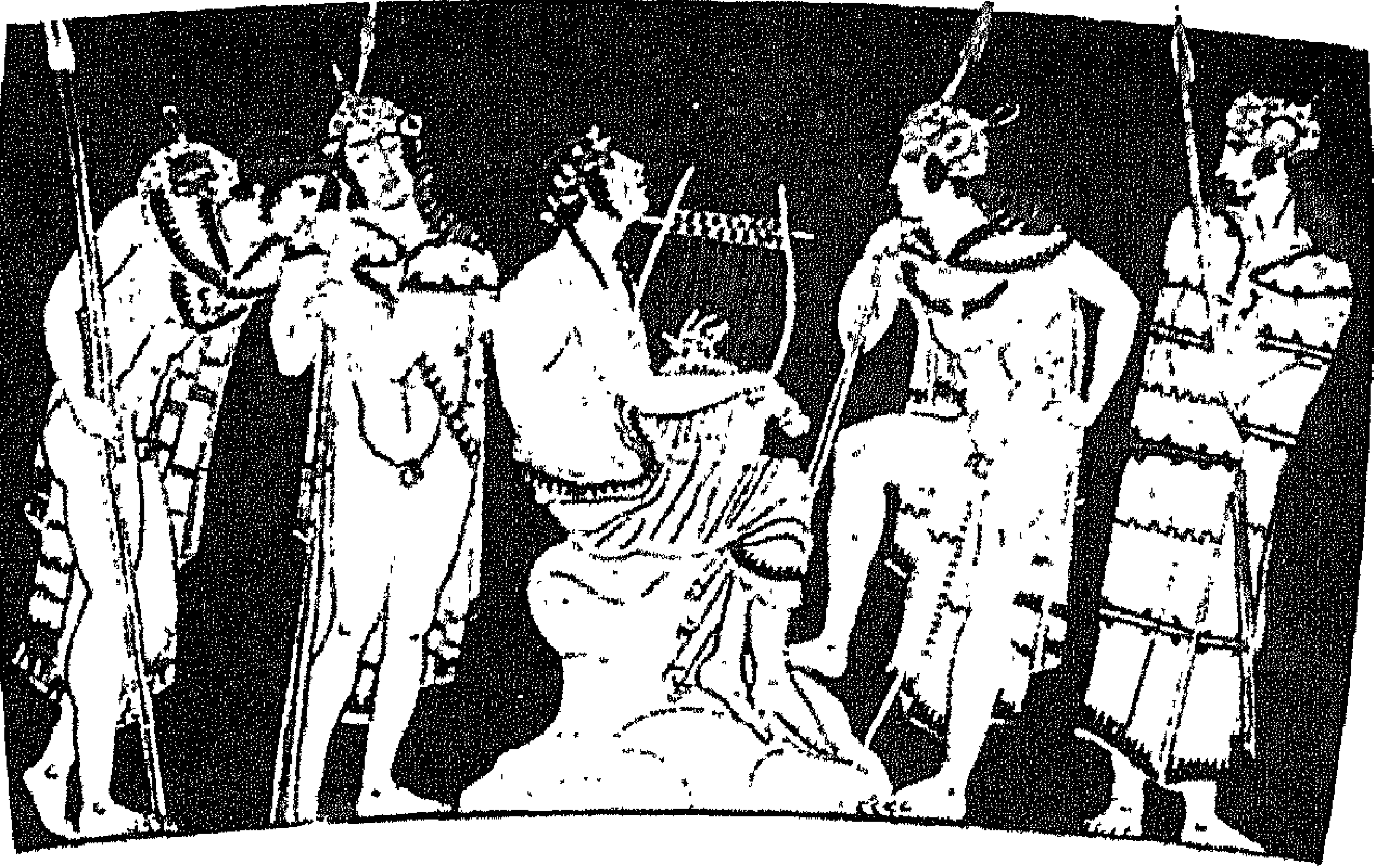
وبرح الحزن بقلب الثاكل الولهان فقرر ان يهبط إلى مملكة الظلام السفلي ويتوسل الى ملكها العظيم هاديس وإلى زوجته بير سيفونا ان يعيدا اليه زوجته فتسلل الى شاطىء نهر ستيكس المقدس عبر كهف تينار[1] وبلغ مشارف المملكة الموحشة .

١ـ تينار (هو الآن رأس ماتابان) يقع جنوب البيلوبونيز .

وقف المغني الثاكل فوق ذلك الشاطىء المقفر حزيناً مكموداً حائراً فيما عليه أن يعمل ليعبر الى الشاطىء الآخر حيث تنبسط مملكة هاديس الموحشة . وتحلقت أشباح الموتى من حوله وترددت زفراتهم الواهنة شبيهة بحفيف الأوراق عند تساقطها عن الأغصان في آخر أيام الخريف . وتردد في الفضاء صوت مجاذيف تضرب الماء ولاح زورق خارون الذي ما برح يقترب حتى استقر الى الشاطىء فطلب اورفيوس من ربانه ان يعبر به الى الشاطىء الآخر مع بقية الأرواح لكن خارون المكفهر الوجه رفض مطلبه وفشلت جميع توسلاته الا في انتزاع جواب واحد من شفتيه المقيتتين وهو : «لا !» .

مرّ اورفيوس آنذاك باصابعه على أوتار قيثارته الذهبية فغمرت ألحانها شاطىء النهر كموجة طاغية وأخذ خارون بعذوبتها وسحرها فراح ينصت اليها معتمداً على مجذافيه واذ ذاك هبط اورفيوس الى الزورق وكانت دفعة من مجذاب خارون فمضى الزورق يتهادى فوق مياه النهر الكامدة حتى بلغ غايته فنزل اورفيوس وقيثارته لا تزال تسكب أعذب الألحان وسار إلى عرش هاديس فاخترق مملكة الأشباح محاطاً بجمهور غفير من الأرواح التي تجمعت حوله مأخوذة بسحر أنغامه .

وتقدم أورفيوس من عرش هاديس حتى وصل اليه وهو يعزف ويغني ومثل أمام الاله العظيم وتململت أصابعه على الأوتار السحرية فصدرت أعذب الأنغام وتنفس صدره عن أغنية حزينة صعدتها أعماق فؤاده المكلوم فغنى حياته السعيدة الماضية وربيع أيامه المشرقة الى جانب زوجته التي اختطفتها يد الموت وغنى فراقها له اذ قضت في زهرة العمر مخلفة له الحرقة والعذاب تاركة لقلبه مرارات سعادة لم تتم . واستغرق جميع سكان العالم السفلي مصغين الى غنائه بافتتان ودهشة فنكس الملك هاديس رأسه مسحوراً وطرحت زوجته بير سيفونا رأسها على كتفه وقد ارتجفت عبرات الحزن في أهدابها وسلا تانتالوس عن مرارت جوعه وحرقة عطشه وتوقف سيزيف عن عمله المضني العديم الجدوى وجلس على الحجر الذي كان يرفعه نحو قمة الجبل واستغرق في صمت وتفكير . ووقفت الدانايات مسحورات وقد ذهلن عن اناثهن العديم القاع . بل وحجبت الالهة هيكابا الرهيبة وجوهها



اورفيوس يغني للتراقيين وهو يعزف على القيثارة .

(رسم على مزهرية) .

الثلاثة براحتيها لكي تخفي ما غشي أعينها من دموع . والتمعت العبرات في عيون الايرينات العديمات الشفقة فقد لمس غناء اورفيوس شغاف قلوبهن الحجرية . وأخيراً فترت أنغام القيثارة شيئاً فشيئاً ووهن الغناء الشجي وضعف حتى تلاشى تلاشي آهة الحزن التي لا تكاد تسمع .

وخيم على المملكة صمت عميق قطعه الاله هاديس بسؤاله عم حدا باورفيوس الى زيارة مملكة الموتى وعن الامنية التي يتمناها اليه وأقسم له بمياه ستيكس الخالدة ـ القسم الذي لا حنث لأحد من الآلهة أو الفانين فيه ـ بأنه منجز رغبة المغني الأعظم مهما عظمت فرد اورفيوس عليه بقوله :



أورفيوس ، يوريديكا وهرمز
(من اليمين الى اليسار) ـ
رسم جداري نافر من القرن الخامس ق . م)

ـ أي هاديس المجيد يا من تستقبلنا في ارجاء مملكتك الشاسعة عندما تتم حياتنا . لا لأمتع ناظري بما تحف به مملكتك من آلام وفواجع جئت اليك ، ولا لأقوم بما قام به هرقل فأحمل كلبك ذا الرؤوس الثلاثة نزلت على مملكتك . لقد جئت اليك ضارعاً متوسلاً ان تعيد إلي زوجتي الحبيبة فقد أشقاني فراقها وأوردني أشد صنوف العذاب ؟ أما كنت لتحزن وتلتاع لو حرمت زوجتك الأثيرة بيرسيفونا وأنت الاله القوي ذو الجبروت . ان زوجتي لن تغادر مملكتك الى الأبد فهي عائدة اليها دون ريب فحياتنا وجيزة ايها الاله المجيد . أجز لها ايها الاله الغاشم بالعودة الى الحياة لتنهل ولو قليلاً من لذاتها فقد قضت صغيرة فتية في ميعة الصبا .

أطرق الاله المجيد طويلاً ثم قال :

ـ حسناً ، يا اورفيوس ! اني معيد اليك زوجتك فامض بها الى ضوء الشمس المشرقة . ولكني اشترط عليك أمراً واحداً وهو ان تمضي في سبيلك دون أن تلتفت الى الوراء . فسيسير هرمز امامك ليهديك سبيل الخروج وتكون زوجتك من ورائك . احذر ان تلتفت اليها فانك اذا ما فعلت ذلك أعدتها من جديد إلى مملكتي لتقيم فيها أبد الآبدين .

أعلن اورفيوس قبوله بشرط هاديس وبادر الى الاسراع بمغادرة المملكة القاتمة وجاء هرمز السريع بطيف يوريديكا فنظر اورفيوس اليها مبهوراً مفتوناً وهم بمعانقتها لكن هرمز اوقفه بقوله :

ـ اورفيوس ، عد الى رشدك ، فأمامك طيف لا حياة فيه . هيا بنا لنخرج فطريقنا محفوف بالمخاطر .

وانطلقوا ، فكان هرمز يسير في المقدمة واورفيوس من ورائه ويوريديكا من خلفهما . وعبر خارون بهم نهر ستيكس حتى ادركوا بداية الدرب الذي يصير الى وجه الأرض ، غير ان ذلك الدرب وعر شاق يرتفع صعداً نحو الأعلى مليئاً بالأحجار والصخور . وخيمت عتمة الغسق على كل شيء حتى كاد هرمز ان يختفي بين طياتها . ولاحت في البعيد ذؤابة واهنة من ضوء يشير الى باب الخروج وازداد الضوءوضوحاًفرفرفت على المكان أضواء باهتة رقيقة ما كانت لتسمح لاورفيوس برؤية زوجته لو انه استدار نحوها . واضطربت في نفسه تساؤلات غريبة فهل تبعته زوجته الحبيبة أم هي لا تزال اسيرة المملكة الدنيا . لا ، لعلها بقيت هناك فالطريق وعر لا طاقة لها بعبوره . لا ، انها هناك وقد قضي عليها بالطواف الأدبي في مملكة الدياجير . وتباطأت خطى العاشق الولهان وأخذ يصيخ بسمعه الى خطى حبيبته . ولكن متى كانت الأطياف محسوسة مسموعة الخطى ! وتعاظم القلق في نفس البطل فأخذ يتوقف كلما تقدم بضع خطوات . وغمر الضوء المكان فزاد في اغرائه بان يستدير ليرى زوجته وأخيراً أعياه التوجس والقلق ونفذ مخزون صبره فتوقف واستدار فرأى طيف حبيبته بجانبه يكاد ان يلامسه فمد نحوه ذراعيه يريد عناقه ، لكن سرعان ما انفصل الطيف عنه وراح يبتعد شيئاً فشيئاً الى ان واراه

الظلام . وتوقف الشاب في مكانه وقد اعتصره الحزن وأهمد جوانحه حتى لكأنه استحال صخراً لا أحاسيس فيه فقد عاش موت زوجته مرتين وكان هو المسؤول عن موتها في هذه المرة .

وطال وقوف اورفيوس حتى كأن الحياة فارقته أو أن تمثالاً من المرمر أقيم في ذلك المكان . وسرت فيه الحياة من جديد فاستدار نحو الشاطىء الكامد المياه وراح ينقل خطواته باتجاهه وقد صمم على العودة ثانية الى هاديس آملاً أن يلين قلبه بالضراعة عليه يعيد اليه زوجته . غير أن الشيخ خارون رفض إنزاله في زورقه وعجزت كل توسلاته أن تلين من قلب ذلك العجوز المتحجر فلم يقبل بنقله الى مملكة الظلام والأطياف . فجلس اورفيوس على الشاطىء وأقام هناك سبعة أيام وسبع ليال وهو يذرف الدموع ويشكو آلهة العالم السفلي وقد ذهل عن كل شيء ونسي الطعام والشراب . فلما حل اليوم الثامن غادر تلك الديار المظلمة وعاد الى بلاده تراقيا كسير النفس ممزق الفؤاد .

مصرع اورفيوس

مضت أربع سنوات على موت يوريديكا وزوجها الثاكل مقيم على عهدها مخلص لهواها لا يرضى بديلاً عنها وقد كره النساء واستسلم للعزف والغناء . وفي صباح يوم ربيعي جميل خرج المغني الشجي الصوت الى أحضان الطبيعة الباسمة وقد اخضرت السهول واستيقظت براعم الأشجار فجلس فوق رابية مشرفة واحتضن قيثارته ولعب بأصابعه على أوتارها . وتردد فوق البطاح صوت غنائه الآسر واذا بالطبيعة كلها تنصت اليه مأخوذة مفتونة . فغادرت وحوش البرية أوكارها في الغابات والجبال ومضت اليه وأحاطت به مصغية مبهورة وترامت اليه الطيور من أعالي السماء وهجرت أشجار البلوط والدلب والصنوبر والسرو منابتها وسعت اليه لتلتف حوله وقد هدأت أغصانها واستقرت أوراقها فلم تبد أي حركة وهي مستغرقة في إصغائها . وفجأة رددت الآفاق البعيدة أصوات ضحك ومرح وغناء مختلط بقرع الدفوف وما زالت تلك الأصوات تقترب من المغني الأشهر حتى انكشفت عن جمهرة من النساء الباخيات (عابدات باخوس) اللاتي خرجن للاحتفال بعيد باخوس الماجن . واحدقت النساء بالمغني وفجأة صاحت إحداهن :

ـ هوذا ماقت النساء !

وضربته بعصا ملفوفة بالعساليج ، لكن العساليج حمته من الضربة فأخذت رفيقتها حجراً ورجمته به غير أن الحجر هوى مسحوراً بغناء اورفيوس وسقط عند قدميه وكأنه يطلب المغفرة . وتعالت صيحات النساء حول المغني الأكبر ودوى صراخهن وازداد قرع دفوفهن صخباً وحدة فصعقن اورفيوس وشدّدن عليه الحصار ثم انقضضن عليه كسرب من الطيور الجارحة ونزلن عليه ضرباً بالعصي والأحجار فصار يتوسل اليهن طالباً الرحمة . لكنهن لم يصغين الى توسلاته وهو الذي تسجد الطبيعة لسحر صوته ورقة غنائه ، فسقط يتخبط في دمائه وطارت روحه ومزّقت الباخيات جسمه بأيديهن المضرجة بالدماء وطرحن رأسه وقيثارته في



الباخيات (عابدات باخوس) يقتلن اورديوس .

(رسم على مزهرية) .

نهر هيرب[1] ، وفجأة كانت المعجزة الخارقة ! فما كادت الأمواج تلمس أوتار القيثارة حتى صدرت ألحانها الساحرة الحزينة وكأنها تنوح على صاحبها وراحت الطبيعة بأسرها تردد تلك الألحان مشاركة في البكاء على اورفيوس فبكى الشاطىء وبكت الأشجار والأزهار وبكت الوحوش والطيور وسالت الدموع من قلب الصخور الصماء وزادت غزارة الأنهار لفيض ما ذرفته من دموع وحلت عرائس الجبال وحوريات الماء والدردايات شعورهن حزناً وارتدين ملابس الحداد ، وتقاذفت المياه رأس المغني وقيثارته حتى ألقت بهما في مياه البحر العريض حيث تقاذفتهما الأمواج الى أن بلغت بهما جزيرة ليسبوس[2] فلفظتهما عند شاطئها حيث لا

(١) نهر في تراقيا ، وهو نهر ماريتسا المعاصر .

(٢) جزيرة في بحر ايجه بالقرب من شواطىء آسيا الصغرى ، وقد اشتهرت بكونها مسقط رأس الشاعر الأشهر الكيوس والشاعرة سابغو .

تزال تردد ألحانها العذبة . ورفعت القيثارة بعد ذلك الى السماء وصارت مجموعة بين مجموعات النجوم[1] .

أما روح اورفيوس فقد انتقلت الى مملكة الأشباح وعادت من جديد الى تلك البقاع التي بحث اورفيوس فيها عن زوجته . وهناك استقبل العاشق حبيبته من جديد وطوقها بذراعيه وصار طيفاهما ينتقلان معاً فوق السهول المغطاة بزهور الأسفوديل الذاوية حيث لا يخشى المغني من التلفت الى الوراء ليرى يوريديكا تلحق به دوماً والى الأبد .

هيياتسينت

عن منظومة اوفيد «ميتامارفوز»

كان هيياتسنت ، الابن الأصغر لملك سبارطة ، شاباً فاتناً يماثل بجماله الآلهة . وكان صديقاً لأبولون صاحب القوس اللجيني ، فغالباً ما كان أبولون الخالد ينزل على شواطىء ايفروت قادماً الى سبارطة ليزور صديقه ويمضي معه الى الصيد على سفوح الجبال وفي الغابات الكثيفة أو يتلهى معه بالألعاب الرياضية التي كان السبارطيون يعشقونها .

خرج ابولون وهيياتيسينت مرة ليتباريا برمي القرص وكان النهار قائظاً لافح الهجير فكان كل منهما يرمي لقرص عالياً في السماء ليتلقاه صاحبه . وجاء دور الاله ابولون فأخذ القرص ورماه في الفضاء فارتفع حتى لامس الغيوم ثم هوى

---

١ ـ هي مجموعة ليرا ومن بينها نجم فيجا الكبير الحجم .

نحو الأرض متألقاً كشهاب ثاقب . فجرى هيباتسينت نحو المكان الذي كان على القرص أن يسقط فيه ليأخذه ويعيده بسرعة الى الفضاء ويثبت لأبولون أنه لا يقل عنه براعة في الرمي وهو الغلام الفتي . فسقط القرص على الأرض وارتد عنها بقوة شديدة وصفع رأس هيباتسينت عندما انحنى لالتقاطه فسقط الغلام على الأرض وتفجر الدم القاني من رأسه ليخضب شعره الأجعد الجميل .

جرى أبولون نحو صديقه الجريح فانحني فوقه ورفعه عن الأرض واسند رأسه المضرج بالدماء على ركبتيه وحاول أن يوقف نزيف الدماء التي كانت تسيل مدرارة من رأسه لكن بلا جدوى فقد شحب وجه الغلام وخبت مقلتاه الألاقتا البريق وتطامن رأسه كاكليل من زهور أذبلتها أشعة شمس الظهيرة اللاهبة فصاح أبولون بيأس وقنوط :

ـ حسرتاه عليك أيها الصديق الحبيب ، هاأنتذا تموت بين يدي اللتين قتلتك بهما لما رميت بذلك القرص . أوّاه ! لو أستطيع غسل خطيئتي بالمضي معك الى مملكة الأشباح العديمة المسرات . أواه لماذا خلقت بين الخالدين ومنعت امكانية الذهاب معك .

وضم أبولون صديقه المحتضر بقوة بين ذراعيه وصارت دموعه تتساقط فوق خصلات شعره الأجعد ، وفارق هيباتسينت الحياة فطارت روحه الى مملكة الظلام والأشباح . ووقف ابولون أمام الجثة الهامدة وراح يهمس لها :

ـ ستعيش خالداً في فؤادي يا هيباتيسنت ، فلتعش اذن ذكراك خالدة بين البشر

وهكذا انبتت من دماء الفتى القانية زهرة قرمزية اللون هي زهرة الهيباتسينت وانطبعت على وريقاتها زفرات حزن الاله المجيد . وعاشت ذكرى الفتى بين الناس فهم يحتفلون بها في أعياد الهيباتسينتات[1] .

---

١ ـ اعتقد الإغريق أن بالامكان قراءة كلمتي «آي ـ آي» على أوراق الهيباتسينت البري ، وهما تعنيان: «واحسرتاه !» أما أعياد هيباتسينت الذي كان فيها مضى الهاً للرعاة فسميت بالهيباتسينتات ، وكانت تقام في شهر تموز (يوليه) فوق شبه جزيرة البيلوبونيز «في آسيا الصغرى وفي جنوب ايطاليا وفي صقلية وسيراكوزا .

بوليفيموس ، اكيس وجالاتيا

أحبت النيريدا جالاتيا الفاتنة الشاب الجميل أكيس ابن سيميفيدا وبادلها الشاب حباً بحب لكن السيلكوب الرهيب بوليفيموس نافسه عليها في حبه فقد شاهدها ذات مرة خارجة من أمواج البحر تتألق فتنة وسحراً فبهره جمالها وأسره هواها . فيا لقوة الحب الذي تثيرينه في القلوب يا افروديتا ! لقد أشعلت جذوته في قلب ذلك المكفهر الغاشم الذي كان ينظر شذراً حتى الى آلهة الاوليمب والذي لم يكن لأحد أن يجترىء على الاقتراب منه دون أن ينزل به بطشه . لقد اتقد بالهوى فؤاده فنسي مواشيه ومغائره وصار يُعنى بمظهره وجمال سحنته فهو يسرّح شعره الكثيف بالمذراة ويشذب لحيته المسترسلة الشعثاء فيقصها بالمنجل . بل ولانت روحه فلم يعد ذلك المتوحش المتعطش للدماء .

واتفق أن نزل العراف تيليموس الى شواطىء صقلية في تلك الأثناء فكهن لبوليفيموس بقوله :

ـ سيقوم اوديسيوس بسمل عينك، الوحيدة التي تتوسط جبينك .

فرد السيلكوب على العراف بقهقهة ساخرة وصاح :

ـ كذبت يا أغبى العرافين ، فعيني أصبحت ملكاً لأمرأة أخري .

كان الرأس الصخري يندفع بعيداً عن أمواج البحر وينقطع منحدراً نحو الأمواج الأبدية الهدير . وكان بوليفيموس غالباً ما يأتي بمواشيه الى ذلك الرأس فيجلس فوق إحدى الصخور ويلقي على الأرض بعصاه التي تماثل بضخامتها سارية سفينة هائلة ثم يتناول مزماره المصنوع من مائة قصبة وينفخ فيه بقوة فتنتشر الألحان الهادرة شتى الأنحاء وتتردد على صفحات البحار وفوق سفوح الجبال وفي بطون الوديان ويسمعها العاشقان اكيس وجالاتيا اللذان دأبا على الالتقاء في كهف

رطيب عند شاطىء البحر غير بعيد عن هضبة السيلكوب . وكان بوليفيموس مستسلماً ذات يوم لعزفه وغنائه الا أنه قطع فجأة ما كان فيه وهب من مكانه كثور هائج فقد وقعت عينه على العاشقين في المغارة المجاورة لشاطىء البحر وصرخ بهما صرخة تردد صداها عند قمم جبال اثينا :

ـ ها لقد رأيتكما ، وسأجعله آخر لقاء في حياتكما .

وهلع قلب جالاتيا فسارعت الى إلقاء نفسها في البحر حيث خبأتها الأمواج أما اكيس فانطلق يبحث عن ملاذ يلجأ اليه واتجهت عيناه الى البحر وهما تنطقان بالضراعة والتوسل وأخذ يصيح :

ـ جالاتيا ، أغيثيني ، النجدة يا أبي وأمي .

لحق السيلكوب باكيس ، ففصم صخرة هائلة عن الجبال ولوح بها ورجم بها الشاب ، وبالرغم من أنها لم تنله إلا بشطر منها فقد سحقته فتدفقت الدماء القانية من تحت الصخرة التي رست فوق جسد اكيس المهروس وأخفته وصار لون الدم يشف شيئاً فشيئاً ويحول لونه ليغدو شبيهاً بمياه نهر عكرها إعصار هائج ، وازداد لون الماء صفاء ورقة ثم انفلقت الصخرة ونفرت من فلقتها قصبة خضراء اللون شجية الألحان وتفجرت المياه العذبة الرقراقة من أحشائها فكانت نهراً بزغ من مياهه حتى وسطه شاب يضرب لون وجهه الى الزرقة ويتوج رأسه إكليل من القصب . لقد كان ذلك اكيس الذي استحال الهاً من آلهة الأنهار .

الديوسكوريّان - كاستور وبوليديوكيس

كانت ليدا ، ابنة فيسيتوس ملك ايتوليا ، زوجةً لتانداريوس ملك سبارطة وقد اشتهرت في جميع أنحاء اليونان بجمالها الخلاب فوقعت من قلب زيوس فعرفها[1] وكان له منها ولدان هما هيلين الالهية الفتنة وبوليديوكيس ، البطل الأشهر ، كما أنجبت من تانداريوس ولدين هما كليتيمنسترا وكاستور .

وقد نال بوليديوكيس من أبيه زيوس الخلود ، أما أخوه كاستور فكان من الفانين وكان كل من الشقيقين واحداً من صناديد اليونان المعدودين فلم يكن هناك من يبز كاستور في سباق المركبات وكان بمقدوره ترويض أشد الخيول جموحاً . أما بوليديوكيس فكان ملاكماً شديداً لا مثيل له . وقد اشترك الشقيقان في كثير من المآثر التي قام بها أبطال اليونان وكانا معاً أبداً لا يفترقان ويتبادلان أعمق الحب .

وكان للديوسكوريين ولدا عم هما لينكيوس وايداس وهما ولدا اخاريوس ، ملك ميسينا ، فكان ايداس محارباً لا يشق غباره وكان لشقيقه لينكيوس نظر نافذ يستشف به ما بأعماق الأرض حتى لا يخفاه شيء . وقد خاض الديوسكور كثيراً من المخاطر وأتيا بكثير من المآثر برفقة ولدي عمهما . وقد شنوا الغارة معاً ذات يوم على أركاديا وعادوا منها بقطيع كبير من الأبقار وطلبوا من ايداس أن يقسم الغنيمة فيما بينهم فعنّ له أن يستأثر بها مع أخيه فذبح ثوراً وقطعه أربع قطع متساوية وأعطى لكل من أخيه وولدي عمه حصة واختص نفسه بحصة واقترح عليهم إعطاء نصف الغنيمة لمن يفرغ من التهام حصته قبل الآخرين وأن يعطي النصف الآخر الى من يكون ترتيبه الثاني . وبسرعة كبيرة أتى ايداس على حصته ثم مال على حصة أخيه وأعانه على التهامها وبذلك ربحا الغنيمة مناصفةً .

حنق كاستور وبوليديوكيس على ولدي عمهما لأن ايداس خدعهما وصمما على الإقتصاص منهما رغم الصداقة والمودة الماضية فأغار الشقيقان على ميسينا

---

١ - تقول الاسطورة أن ليدا كانت تستحم في ساقية ففتن زيوس بجمالها وارتمى بين ذراعيها في هيئة بجع بديع ، هارب من نسر يطارده . أما النسر فكان افروديتا التي تواطأت مع زيوس لتنتقم من تانداريوس الذي كان قد سها - في احدى ذبائحه المقدسة للآلهة - عن اقتطاع حصة لافروديتا .

وساقا أمامهما القطيع الذي جيء به من أركاديا مضافاً اليه قسم من قطيع ايداس ولينكيوس ، ولم يكتف الديوسكور بذلك فاختطفا زوجتي ولدي عمهما ومضيا بهما .

ولما كان الشقيقان يعرفان أن ايداس ولينكيوس لن يناما على ما لحق بهما فقد اختبآ في جذع شجرة ومكثا يرقبان خروج ولدي عمهما مصممين على أخذهما غيلة لأنهما كانا يخشيان مجابهة ايداس وجهاً لوجه وهو الذي اجترأ مرة على منازلة أبولون عندما اختصما على ماربيسا الفاتنة -١- . لكن الشقيقين لم ينجحا في الاستتار عن أنظار لينكيوس النافذة فقد كشف مخبئيهما من قمة جبل التاريجيت وانقض مع أخيه الديوسكور فطعن ايداس جذع الشجرة برمحه فنفذت الطعنة في صدر كاستور واذ ذاك ترك بوليديوكيس الشجرة وهجم على ولدي عمه واعترك معهما بشدة وعنف ففرا من أمامه لكنه لحق بهما حتى ضريح أبيهما فقتل لينكيوس هناك والتحم مع ايداس في عراك فاصل دام . لكن زيوس أوقف المعركة فرشق بصاعقة من يده أحالت ايداس وجثة أخيه الى رماد .

وعاد بوليديوكيس الى حيث كان يرقد أخـوه القتيل فذرف عليه حر الدموع وتوسل طويلاً الى أبيه زيوس أن يميته الى جانبه فتجلى رب الآلهة لابنه وأجاز له أن يختار أمراً من اثنين : إما أن يعيش خالد الشباب والفتوة بين أسراب الآلهة فوق الأوليمب أو يعيش برفقة أخيه أبداً فيكونا معاً في عالم هاديس يوماً ويوماً آخر فوق الأوليمب . ولما كان بوليديوليس لا يطيق افتراقاً عن أخيه فقد اختار البقاء الى جواره وصار الشقيقان منذ ذلك اليوم يقضيان يوماً بين أطياف العالم السفلي ليصعدا في اليوم الذي يليه الى ابهاء قصر زيوس ، وتستمر حياتهما على هذه الصورة الى الأبد . ويقدس اليونانيون كاستور وبوليديوكيس كائنين من الآلهة فهما نصيرا الإنسان في جميع المخاطر وهما حاميا البشر من النوائب وشفيعاهم في الأسفار والرحلات .

١ ـ خطف ايداس ماربيسّا الفاتنة وحملها على مركبة مجنحة قدمها اليه بوسيدون . وقرر أبولون انتزاع الفتاة من ايداس فنازله واعتركا . لكن زيوس أوقف النزاع وأمر ماربيسا أن تختار لنفسها واحداً منهما فاختارت ايداس لأنها كانت تعلم أن أبولون لن يحبها حتى وفاتها بل ان الاله الخالد سيشيح عنها حالما تدركها الشيخوخة .

أتريوس وفييستيس

كان للبطل بيلوس المجيد ولدان هما اتريوس وفييستيس وقد دعا ميرتيلوس[1] ، سائس خيل اينومايس على أبيهما ولعنه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة لأنه خانه وقتله غيله وغدرا كما دعا على سلالته كلها باقتراف أشنع الجرائم والآثام وبالموت أشنع الميتات ، فأحاقت لعنته بأتريوس وفييستيس فاقترفا كثيراً من الآثام والخطايا وقتلا صفيّ أبيهما خريسيب بن اكسيونا ، جنية الماء عندما أغرتهما أمهما هيبوداميا به ثم فرا من مدينة أبيهما خوفاً من بطشه ولجآ الى ملك ميكينا ـ بسفينيل ابن بيرسيوس الذي كانَ متزوجاً باختهما نيكيبا . فلما مات سفينيل وسقط ابنه يوريثيوس في قبضة ايولايس ثم قتل على يد الكمينا ، أم هرقل ، أصبح أتريوس ملكاً على ميكينا لأن يوريثيوس لم يخلف ذرية . فتحركت الغيرة في قلب فييستيس وصمم على انتزاع العرش من أخيه مهما كانت الوسيلة الى ذلك . فتوسل بيروبا ، زوجة أتريوس فساعدته على سرقة الكبش الذهبي الجزة الذي قدمه هرمز الى أخيه . أما الذي دفعه الى ذلك فهو قرار الآلهة القائل : ـ «يكون ملكاً على ميكينا ذلك الذي تكون الجزة الذهبية بحوزته» وأخذ فييستيس يطالب بالعرش وقد حاز على الجزة ، فغضب عليه مرسل الصواعق وأعطى لأهل ميكنيا علامة عن طريق النجوم خبرهم بواسطتها ان فييستيس يطالب بالعرش باطلاً ، عن غير حق فرفض أهل ميكينا تنصيبه ملكاً عليهم فأسقط في يده واضطر الى النزوح عن ميكينا خوفاً من بطش أخيه ، لكنه اصطحب معه بوليسفين ، ابن أخيه ليجعل منه واسطة لانتقامه فصار يعلمه كما يعلم ابنه ويلقنه كره أبيه منذ نعومة أظفاره . ولما كبر الصغير وأدرك مدارك الشباب أرسله فييستيس الى ميكينا ليقتل أتريوس . لكن أتريوس تمكن منه وجندله بسيفه ولما علم بحقيقة الأمر تمزق قلبه حزناً وحنقاً وصمم على الإنتقام من أخيه شر انتقام ، فأنفذ في طلبه وتظاهر

---

١ ـ انظر اسطورة بيلومبس السابقة .

بالرغبة في مصالحته فعاد فييستيس الى ميكينا وراح من جديد يحيك المؤامرات لقتل أخيه تؤازره في ذلك يروبا ، زوجة أتريوس . وكشف أتريوس دسائس أخيه فاشتد حقده عليه اضطراماً وزاد تصميماً على نيل مأربه منه فأمر بأن يختطف أبناه . بوليسفين وتانتالوس ويقتلا وأعد من جثتيهما ألواناً من الطعام لأخيه .

ودعا أتريوس أخاه لتناول الطعام عنده وقدم له لحم ولديه ليأكله فاضطربت رعود زيوس في السماء غضباً من الجريمة النكراء وارتجف الاله هيليوس الساطع بالشعاع كمداً وحنقاً ولوى أعنة جياده المجنحة وعاد بمركبته الى الشرق كي لا تقع أنظاره على صورة أب يلتهم لحم بنيه . أما فييستيس فقد جلس إلى المائدة هادئاً مطمئناً وأكل حتى اكتفى لكنه أحس بعد ذلك بغم شديد وبأن كارثة عظيمة توشك أن تحل به فسأل أخاه عن ولديه فأمر أتريوس أن يدخل الخدم عليه حاملين رأسي بوليسفين وتانتالوس وأطرافهما . فكاد فييستيس أن يجن من هول المنظر الذي رآه وتوسل الى أخيه أن يعطيه جثتي الولدين ليواريهما الثرى لكن اتريوس طمأنه بقوله أنه كفاه مؤونة ذلك فدفنهما لكن لا في بطن الثرى بل في بطن أبيهما وبذلك أدرك فييستيس أي طعام أكل فضرب المنضدة بيده وانطرح على الأرض يعول ويندب ثم نهض وقد ذهب الحزن بلبه فلعن أتريوس وسلالته بأسرها وخرج من القصر هائماً على وجهه لا يرى ولا يفقه شيئاً حتى غيبته القفار والصحارى وهام في كثير من الأمصار والأقاليم الى أن صار الى فيسبروت ، ملك ايباف الذي أواه وألجأه عنده .

وغضب الآلهة على أتريوس وصمموا على الاقتصاص منه فانزلوا القحط على مملكته ارغوليدا فأمسكت الأرض عن الاخصاب ولم تخرج بطونها عشبة واحدة فناخ شبح المجاعة على تلك البلاد ومات الناس بالآلاف . فاتجه أتريوس الى معبد الكهنة يستطلعهم سبب الكارثة فأوعزوا اليه أن الكارثة لن تنجلي الا بإعادة فييستيس الى ميكينا ، فراح أتريوس يبحث عن أخيه في مختلف الأمصار والأقاليم لكنه لم يقع على مأواه ، الا أنه التقى بايجيست ، ابن أخيه فعاد به الى ميكينا وعهد بتربيته وكأنه ولده .

ومرت سنون طويلة واتفق أن اكتشف ولدا اتريوس ، مينيلاوس مكان عمهما فاختطفاه وجاءا به الى ميكينا ، لكن أتريوس ضن عليه بالصلح وطرحه في حبس مظلم انتظاراً لقتله . فدعا اليه ايجيست وسلمه سيفاً قاطعاً وأمره أن يمضي الى الحبس ويقتل السجين الثاوي هناك . ولم يدرك ايجيست شناعة العمل الذي أنفذ لانجازه ومضى الى الحبس وهو يظن أن والده قد أمره بذلك . لكنه ما أن وطأ عتبة باب الحبس حتى عرفه فييستيس فكشفه له عن نفسه وجلس الاثنان في السجن يدبران خطة للفتك بأتريوس ، ثم عاد ايجيست الى أتريوس وخبّره بأنه قد أتم مهمته وقتل السجين ففرح أتريوس لتمكنه أخيراً من ازهاق روح أخيه وأسرع نحو شاطىء البحر ليقدم قرباناً لآلهة الاوليمب . وهناك سدد اليه ايجيست طعنة نجلاء من سيفه الذي تسلمه ليغتال به والده فخر اتريوس صريعاً بينما كان يقوم بتقديم أضحيته . وعاد ايجيست فخلص أباه من السجن وملكا سوية على ميكينا مما اضطر ولدي أتريوس ، مينيلاوس واغاممنون الى الاجلاء عنها ففرا ولجآ الى تانداريوس ملك سبارطة وهناك تزوج مينيلاوس بهيلين ابنة تانداريوس ذات الجمال الالهي وتزوج أغاممنون بأختها الفاتنة كليتيمسنسترا . ثم رجع أغاممنون إلى ميكينا بعد حقبة طويلة من الزمن فقتل عمه فييستيس وملك العرش الذي كان يستوي عليه والده فيما مضى ، كما صار أخوه مينيلاوس ملكاً على سبارطة بعد أن مات تانداريوس .

ايساكوس وهيسبيريا

عن منظومة اوفيد «ميتامارفوز»

ولد ايساكوس في ايدا ذات الهضاب المكسوة بالغابات . وكانت أمه هي الحورية اليكسيرا ، ابنة اله النهر جرافيك . أما والده فكان بريام ، ملك طروادة فهو لذلك أخو هيكتور ـ البطل الأمجد . وقد نشأ ايساكوس وترعرع في أحضان الطبيعة فكان يهوى وحدة الجبال والغابات ويعشق أنفساح السهول ولذلك كره حياة المدينة ونبذ قصور أبيه بريام .

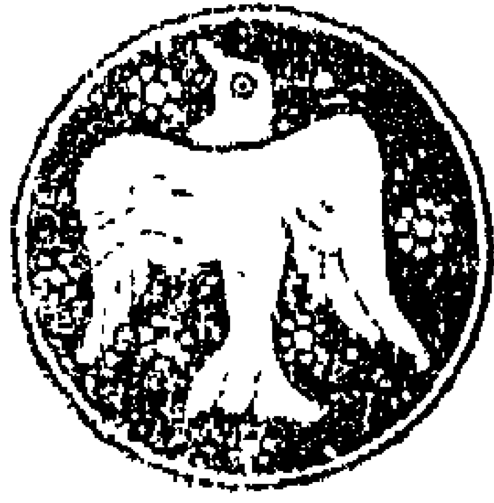
ونادراً ما كان ايساكوس يشاهد في مدينة طروادة أو بين أهلها . لكنه برغم حبه للعزلة وايثاره للانفراد لم يكن خشن الطبع ولا فظ المعشر بل كان بشوشاً باسم الثغر وقد عرف فؤاده الحب فكثيراً ما كان يشاهد الحورية هيسبيريا فوق السهول المنبسطة وبين أحضان الغابات وكان دنفاً بها مولهاً بحبها أما هي فكانت تستتر منه وتتحاشاه كلما وقعت أنظارها عليه .

ولقيها مرة على شاطىء نهر كيبرين وقد نشرت شعرها الجميل ليجف تحت الشمس . ورأته الحورية الفاتنة فولت هاربة من أمامه وأسرعت بالفرار من وجهه .

وبينما كانت الحورية في عدوها لمست ثعباناً لسعها في رجلها وأنفذ فيها سمه الزعاف فسقطت على الأرض بلا حراك وختمت المطاردة بذلك فارتمى ايساكوس على حبيبته واحتضنها وصاح من شدة الحزن :

ـ ويلاه ، يا لسوء ما قمت به اذ جريت في أثرك ! إني لم أحسب أن ثمن لحاقي بك سيكون غالياً الى هذا الحد ! لا ، ليس الثعبان وحده من قتلك فأنا أحمل أيضاً تبعة موتك وسأكون أحط منزلة من الثعبان اذا لم أفتد موتك بموتي .

ووقف ايساكوس فوق صخرة عالية وألقى بنفسه في البحر فاستقبلته الأمواج المزبدة الصاخبة . لكن قلب الآلهة فيميدا رق للعاشق الولهان الفتي فتلقته برفق بين أمواجها وكسته بالريش اذ غطس ومنعت عنه الموت الذي كان ينشده فطفا فوق صفحة الماء وهو يعجب لماذا قدر عليه أن يعيش برغم ارادته . ولذلك ارتفع بجناحيه عالياً في الفضاء وانقض على الماء محاولاً أن يجد الموت في طياته ، لكن الموت لم ينله فقد ردّته عنه الجناحان والريش . وما برح ايساكوس يعيد محاولاته المرة تلو المرة حتى رق جسمه وجفت ساقاه واستطالت عنقه فاستحال نورساً بحرياً لا يزال حتى الآن يبحث عبثاً عن منيته بين أحضان المياه .



الباب الثاني

القصص اليوناني القديم



١) رحلة الآرغو

أخذت الأساطير المتعلقة بحملة الارغوناوتيين في الأصل

عن منظومة ابولونيوس الرودوسي «أرغوناوتيكا» .

فريكس وهيلا

كان اتامانت ، ابن اله الريح ايول ملكاً على مدينة ارخومين الميسينية القديمة الواقعة في بيوتيا[1] . وقد تزوج بالهة الغيوم نيفيلا وأنجب منها طفلين هما فريكس وهيلا . لكنه خان زوجته وتزوج من لينو ، ابنة قدموس ؛ فكرهت اينو ولدي زوجها كرهاً شديداً وصممت على قتلها . فدعت اليها نساء مدينتها وأوعزت إليهن أن يسلقن الحب الذي أعده أزواجهن للبذار ويجففنه بعد ذلك ففعلن . وزرع الارخومينيون ذلك الحب في الحقول فلم تخرج منه نبتة واحدة حتى أحدقت المجاعة بالسكان وطاف شبحها في جميع أنحاء المملكة فأنفذ الملك رسله إلى دلفي المقدسة ليستطلعوا من كهنة أپولون عن سبب القحط والمجاعة ، غير ان اينو رشت الرسل عند عودتهم فكتموا عن زوجها ردّ الكهنة ولفقوا له جواباً كاذباً قائلين :

ـ أجابتنا الكاهنة بقولها أن لا زوال للكارثة عن مملكتك الا اذا ضحيت للآلهة بابنك فريكس .

---

١ ـ بيوتيا . مقاطعة تقع في اليونان الوسطى وأعظم مدنها طيبة .



فريكس وهيلا يركبان الكبش الذهبي الجزة وقد ظهرت الى اليسار امهما نيفيلا - ربة الغيوم .

(رسم على مزهرية) .

وقرر الملك ان يقدم ابنه الغالي قرباناً للآلهة ففرحت اينو بنجاح خطتها في قتل ابن زوجها .

واعد كل شيء لتقديم القربان وتُلَّ الفتى للذبح واقتربت السكين لتحتز عنقه لكنها ما كادت ان تلامسه حتى هبط من السماء كبش ذهبي الجزة أرسلته الالهة نيفيلا هدية من الاله هرمز لتفتدي به ولديها وانحنى الكبش فاعتلى فريكس وأخته متنه فصعد بهما في الفضاء وطار بهما بسرعة نحو الشمال .

وانطلق الكبش براكبيه يشق عنان السماء تترامى من تحته الغابات والسهول وتتلوى ببريقها الأنهار ، لكنه لما أشرف على النهر وحلق في سمائه ذعرت هيلا ذعراً شديداً وتراخت قبضتها فهوت نحو الأمواج المتلاطمة الابدية الهدير واختفت في طياتها دون أن يتمكن أخوها من انقاذها . وسمي البحر الذي غرقت فيه بهيلليسپونت أي بحر هيلا[1] .

وما زال الكبش الذهبي طائراً براكبه حتى بلغ شواطىء فاسيس في كالخيدا[2] البعيدة ، وكان الساحر اييت ، ابن هيليوس ، اله الشمس ملكاً على تلك البلاد ، وقد عني الملك بفريكس الصغير وربّاه حتى كبر فزوجه بابنته هالكيوبا وذبح الكبش الذهبي الجزة قرباناً للاله زيوس المجيد وعلق جزته في غابة الاله أريس المقدسة وأقام على حراستها تنيناً هائلاً مهولاً تنفث أشداقه اللهب ولا تعرف أجفانه الغمض .

وطبقت الآفاق شهرة الجزة الذهبية فانتشرت في جميع أصقاع اليونان ؛ وعرف أسلاف أتامانت ، أب فريكس ، بأن سلالتهم لن تذوق الهناء والطمأنينة الا اذا كانت الجزة الذهبية بحوزتها ، فحزموا أمرهم على الظفر بها مهما كانت السبل .

---

١ ـ هيلليسپونت ـ هو خليج الدردنيل حالياً .

٢ ـ فاسيس ، نهر ريون الحالي في القوقاز ، أما اسم كالخيدا فقد أطلقه اليونان على المناطقة المجاورة للبحر الأسود في القوقاز .

ياسون

مولده ونشأته

أقام كريثيوس ، أخو الملك اتامانت ، مدينة ايولك في فيسالياِ[1] على شاطىء خليج أزرق عميق . وكبرت المدينة وازدهرت على مر الأيام وعادت عليها التجارة والملاحة وخصوبة الأرض بالخيرات الوفيرة ، فلما مات كريثيوس غدا ابنه ايسون ملكاً من بعده . لكن پيلياس ، ابن بوسيدون ، وأخ ايسون من أمه ، اغتصب منه العرش واضطره ان يعيش في المدينة كواحد من المواطنين العديمي الشأن .

وبعد مضي فترة من الزمن ولد لايسون غلام جميل بهي الطلعة، ولما كان العرش يعود في الحقيقة اليه فانه خشي على ابنه من بطش پيلياس الظالم فأذاع بان ابنه قد مات إثر مولده وأقام احتفالاً جنائزياً لدفنه وفي الوقت نفسه نقله الى سفوح جبل بيليون حيث سلمه الى القنطور خيرون الذي يمتاز على جميع بني قومه بالحكمة ونفاذ البصيرة. فنشأ الصغيرة عند القنطور الحكيم في الغابة يشرف عليه الحكيم خيرون وامه فيليرا وزوجته هاريكلو على تربيته وسمّوه ياسون . وهناك علمه القنطور الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالقوس ولقنه فنون الموسيقى وكل ما كان في حوزته من علوم فنشأ الغلام فريداً لا مثيل له في الحذاقة والقوة والدهاء ، وكان يضارع بجماله سكان السماء .

وعاش ياسون عند خيرون حتى أتم العشرين من عمره فقرر مغادرة سفوح بيليون المنعزلة والنزول إلى ايولك لمطالبة پيلياس بعرش المدينة .

---

١ ـ فيساليا ، منطقة الى الشرق من بلاد اليونان الشمالية .

ياسون في ايولك

عن «قصيدة مديح» لپندار

بلغ ياسون مدينة ايولك فاتجه الى الميدان العام ووقف هناك معتمداً على رمحين طويلين وقد أسدل غدائره الطويلة على كتفيه . واُجتمع الناس حوله يمتعون أنظارهم بمرآه وقد فتنهم جماله فحسبوه الاله ابولون أو هرمز فقد كان كل ما فيه جميلاً متناسقاً وكل ملمح من ملامحه ينطق بالعظمة والكبرياء ويتنفس بالزهو والثقة بالنفس . ولم تكن ملابسه مألوفة بالنسبة لأهل المدينة فقد طرح على كتفيه فروة فهد وانتعل صندلاً في رجله اليمنى[1] بينما كانت اليسرى حافية .

وبعد قليل تقدمت من الساحة مركبة باذخة المظهر أطل منها الملك بيلياس فسرت الرعدة في مفاصله عند رؤية الغريب وقد لبس النعل في احدى رجليه لأن العرافين كهنوا له ذات يوم ان شخصاً غريباً ينزل اليه من الجبال على هذه الصورة ويكون ذلك الغريب ابن ايسون فيقهره بالقوة أو بالحيلة وينتزع الملك من يده ويورده حتفه .

كتم بيلياس خوفه وتوجسه وسأل الزائر الغريب بغطرسة وكبر :

ـ من تكون ايها الغلام وإلى من تنتسب ! أصدقني النبأ ولا تدنس نفسك بكاذب القول فاني عدو الباطل والكذب .

فأجابه ياسون بهدوء واعتزاز :

ـ لم يلقنني خيرون الحكيم شيئاً غير الحقيقة والصدق . واني سأظل وفياً لعهده أميناً لتعاليمه ما حييت ! لقد عشت في كهف ذلك الحكيم عشرين سنة لم

١ ـ في الصفحة ٣٤٨ ندرك السبب الذي رجل ياسون اليمنى فقط تنتعل الصندل .

اتنكب فيها يوماً سواء السبيل ولا عرفت غير الصدق مذهباً . وها انذا قد رجعت الى مدينتي وعدت الى أبي ايسون لأطالب بعرش المملكة فقد بلغني ان الزنيم بيلياس قد انتزع هذا العرش من أبي . فامضوا بي أيها المواطنون الى منزل آبائي وأجدادي العظام فاني واحد منكم وقد ولدت في مدينتكم وانا ياسون بن ايسون .

أرشد المواطنون ياسون الى منزل أبيه فمضى اليه . وما ان وقعت انظار ايسون عليه حتى عرف فيه ابنه الغالي فاحتضنه وعبرات الفرح تتناثر من عينيه وقلبه مبتهج مسرور لأنه رآه شاباً مكتمل الرجولة ساحر المحيا .

وطارت أخبار عودة ياسون فبلغت مسامع عميه : فيريس ، ملك ثيرا وامفادون المسيني فركبا ، إلى ياسون وقد اصطحبا ولديهما ادميت وميلامبود . فاستقبلهما ايسون وابنه أحسن استقبال وأقاما لهما الولائم والأفراح خمسة أيام بلياليها . وأطلعهما ياسون على رغبته في استرداد عرش ايولك فأيداه ورافقاه عندما ذهب الى بيلياس . وهناك طالب ياسون الملك بالتنازل عن السلطة ووعده بأن يترك له جميع الكنوز والثروات التي سلبها أباه ايسون ؛ فرد بيلياس عليه وقد خشي أن يرده دون ان يستجيب لطلبه :

ـ حسناً ، اني منجز لك ما طلبته ولكنني اشترط عليك أمراً واحداً وهو ان تسترحم آلهة العالم السفلي قبل هذا . فان طيف فريكس الذي مات في كالخيدا البعيدة ينادينا ويطالبنا بالذهاب الى تلك البلاد والعودة منها بالجزة الذهبية ، وقد زارني مرة في المنام وأخبرني بذلك . كما أمرني الاله ابولون نفسه بانجاز هذا الأمر عندما كنت في دلفي . انا شيخ عجوز كما ترى ، بينما انت شاب لا تزال في فجر عمرك وعنفوان قوتك ، فامض الى كالخيدا وعد الي بالجزة الذهبية لأنزل لك عن كل سلطة في ايولك .

بهذا أجاب بيلياس ابن اخيه ياسون وقد أضمر في نفسه كل شر ؛ لأنه كان على ثقة من هلاكه اذا ما وافق على المضي الى كالخيدا لانفاذ المهمة الخارقة .

ياسون يحشد الانصار
ويستعد للسفر الى كالخيدا

خرج ياسون من قصر بيلياس وشرع على التو يعد العدة للسفر الى كالخيدا . فجاب أقاليم اليونان بأسرها وأهاب بجميع صناديدها الذين اشتهروا بمآثرهم وأمجادهم أن يرافقوه في حملته فلم يتأخر منهم أحد كما لبّى هرقل ، سيد الأبطال ، دعوته . وتم لقاء الأبطال في ايولك ، فكان بينهم تيسيوس الأمجد ، افتخار اثينا ورمز أمجادها . وكان منهم الشقيقان كاستور وبوليديوكيس ، ولدا زيوس وهيرا ، وصديقاهما دايداس ولينكيوس ، وكان فيهم كالائيد وزيثوس ، ولدا بوريوس وأريفيا ، وميليانجر الكاليدوني وانكيوس وادميت وتيلامون وكان بينهم المغني اورفيوس وسواه كثيرون حتى ان بلاد اليونان لم تشهد في تاريخها الطويل مثل هذا الحشد من الأبطال الميامين . وخرجت المدينة بأسرها لتمتع أنظارها بالمشهد الفريد اذ كان كل من الأبطال يضاهي الآلهة جمالاً وقوة ومضاء ، فمن كان بمقدوره ان يقف أمامهم ، وما الذي يمكن ان يثير في قلوبهم الخوف ، وأية عقبات كانت لتحول دونهم وما يريدون !

أما سفينة الأبطال فقد بناها ارغوس ، ابن اريستور ، بمساعدة اثينا ، وقد ضمنت الآلهة مؤخرة السفينة قطعة من بلوطة مقدسة أخذتها من غابة كاهن زيوس في دودونا ، فخرجت السفينة بديعة رائعة تسير بعشرة مجاذيف ، خفيفة سريعة ، تنساب فوق مياه البحر كالطائر السريع وسميت بآرغو وسمي ركابها بالاغوناوتيين (أي ملاحي الارغو) ولم تتفرد أثينا بحماية اولئك الأبطال بل شاركتها في ذلك هيرا لانها كانت غاضبة من بيلياس ، الذي منع عنها القرابين بينما كان ياسون أثيراً على نفسها ، لانها اختبرته ذات مرة فظهرت له في هيئة عجوز فانية تقف عند ضفة نهر جبلي متدفق وهناك توسلت اليه ، والدموع في عينيها ، ان يعبر بها الى الضفة



الارغوناوتيون في ليمنوس . هرقل يعنف الارغوناوتيين لتقاعسهم عن مواصلة الرحلة . يظهر هرقل وسط اللوحة يحمل قوسه وهراوته . (رسم على مزهرية) .

الأخرى ، فرفعها على كتفيه بعناية وحذر ونقلها عبر المياه المتلاطمة لكنه فقد نعله الأيسر في مخاضته . وأحبته هيرا منذ ذلك اليوم وأصبحت نصيرته أينما حل .

وإلى جانب ذلك قام الاله أبولون بدوره في حماية الارغوناوتيين ، فهو الذي أوعز اليهم بالحملة وتنبأ لهم بالظفر وسلامة العودة .

واجتمع الأبطال الصناديد في ايولك وأجمعوا على تنصيب هرقل قائداً ، لكنه اعتذر واقترح اختيار ياسون عوضاً عنه ، كما اختير تيفيوس ليجلس في مؤخرة السفينة ويكون موجهها وهاديها وعين لينكيوس ليكون في المقدمة اذ كانت لا تخفى على عينيه خافية في اليابسة أو في أغوار الماء .

ولما أعد كل شيء للسفر انزلت ارغو الى الماء فصارت تتهادى فوقه آمنة مطمئنة ثم عبئت فيها المؤن والذخائر والماء العذب وقدمت القرابين للاله ابولون فأعطت دلائل تبشر باليمن والسلام واختتم ذلك النهار باحتفال زاخر بهيج .

ولما تخضب طرف السماء بحمرة الشفق القرمزية ايقظ تيفيس الملاح رفاقه الارغوناوتيين فنزلوا الى السفينة وجلسوا الى المجاذيف متقابلين وأخذوا يضربون بها ضربة واحدة فانطلقت آرغو تمخر العباب شامخة بديعة ثم نشر الشراع الناصع البياض فزادت الريح من سرعة السفينة وصعد الاله هيليوس الساطع بالشعاع وارتقى السماء على مركبته ذات الجياد الناصعة البياض فغرق الشراع في الأنوار الوردية وتألقت الأمواج الزاخرة بأنوار الشمس الساطعة .

ولعبت أصابع اورفيوس على اوتار القيثارة الذهبية وترددت أغنيته بديعة ساحرة فوق أمواج البحر اللامتناهية واستغرق الأبطال منصتين بنشوة وافتتان وخرجت الاسماك والدلافين من أعماق البحر مسحورة بعذوبة الغناء ومضت تسبح خلف آرغو كقطيع من الماشية يسير خلف راعيه مأخوذاً بأنغام مزماره الشجية .

الارغوناوتيّون في ليمنوس

وما هي إلا فترة وجيزة حتى كانت السفينة تنزل قلوعها على شطآن جزيرة ليمنوس التي تحكمها هيبسيبيلا الفاتنة . وكانت الجزيرة خالية من الرجال فقد قتلت النساء فيها أزواجهن لأنهم خانوهنّ ولم ينج الا الملك فودانت الذي انقذته ابنته هيبسيبيلا .

ولما وصل الارغوناوتيون الى شواطىء الجزيرة أشخصوا الى أهلها رسولاً منهم فاجتمعت النسوة في ميدان المدينة للبت في أمر الوافدين وأشارت هيبسيبيلا عليهن بمنعهم من وطء تراب الجزيرة لأنها خشيت ان يكتشف الغرباء ما اقترفت أيدي نسائها الا ان العجوز بولوكسو عارضت رأيها والحت على السماح للرجال بالنزول وأيدت رأيها بقولها :

ـ من لكن سوى الرجال من حام اذا احدقت بكن النوائب وداهمكن الأعداء ؟ ومن لكن سواهم من نصير عندما تحل الشيخوخة وينزل الكبر ؟ لا ، فلتفتح الأبواب للرجال وليسمح لهم بدخول أرضنا وليقيموا بيننا .

وأذعنت النساء لحكمة العجوز فرددن سفير الارغوناوتيين ردّاً حسناً وعززنه بامرأة من بينهن أخبرت الوافدين بقبولهم ضيوفاً في الجزيرة .

لبس ياسون رداءه القرمزي المطرز الذي حاكته من أجله الآلهة أثينا بالادا بيديها ، ونزل الى المدينة فاستقبلته هيبسيبيلا بحفاوة بالغة وأخذته الى قصرها ونزل بقية الارغوناوتيين الى البر فلم يبق فوق السفينة غير هرقل وفئة ضئيلة .

واقيمت الأفراح والمسرات فوق الجزيرة . وأحرقت القرابين للآلهة وساد اللهو والطرب فما كانت الولائم تنتهي الا لتعقبها الولائم . وهكذا تتالت الأيام حافلة ماجنة لاهية حتى كأن أبطال اليونان قد نسوا ما خرجوا في سبيله . فأرسل هرقل في طلبهم ودعاهم سراً الى السفينة وأسمعهم من اللوم والتقريع ما يستحقونه فوقفوا أمامه مخذولين مطرقين لا يجرؤ أحدهم على أن يرفع النظر الى صاحبه من شدة الخجل وقرروا ان ينطلقوا من الجزيرة في الحال ، فأعدوا السفينة واتخذ كل مكانه ، لكنهم ما كادوا ان يمسكوا بالمجاذيف حتى ظهرت نساء الجزيرة فوق الشاطىء وقد احتشدن ليتوسلن اليهم طالبات منهم البقاء ، لكنهم أبوا لأن شيئاً لا يحول دونهم وما ينشدون ، فخرجوا ثانية الى الشاطىء وودعن النساء اللاتي رحن يسكبن الدموع الغزيرة ثم عادوا الى السفينة ومالوا على المجاذيب فأرغت الأمواج تحت ضرباتهم الشديدة ومضت السفينة نحو أحضان البحر كالطائر السريع .

الارغوناوتيون فوق شبه جزيرة كيزيك

وما زالت السفينة في مسيرها حتى دخلت مياه بروبونتيدا[1] وهناك ألقت قلوعها عند شواطىء شبه جزيرة كيزيك حيث يعيش الدوليونيون ، سلالة بوسيدون ، الى جوار العمالقة الذين يستوطنون جبل الدب القريب . وكان اولئك العمالقة غلاظاً أشداء لكل منهم ستة أذرع ، فلولا حماية بوسيدون ونصرته لما استطاع الدوليونيون ان يعيشوا آمنين بالقرب منهم . وقد خرج ملك الدوليونيين فاستقبل آرغو وركابها بحفاوة وترحاب وأقام لهم مأدبة فاخرة فأقاموا في دياره يوماً وليلة وهم يلهون ويستمتعون الى أن انبلج الصباح فاستعدوا للخروج ولكنهم ما كادوا ان يلمسوا ارض السفينة بأقدامهم حتى برز لهم العمالقة من الشاطىء الآخر وهم يلوّحون بأذرعهم المتشابكة مهددين متوعدين . ثم صاروا يرفعون الصخور الهائلة او يقطعونها من الجبال ويرمونها في البحر ليقطعوا معبر الميناء على الارغوناوتيين ويمنعوهم من دخول البحر العريض فاختطف هرقل قوسه وصار يرشقهم بنباله القتالة ، وحمل بقية الأبطال عليهم وقد أشهروا الرماح واحتموا بالتروس فالتحموا معهم في معركة دامية لم تدم طويلاً حتى انكشفت عن اندحار العمالقة وقد خر اكثرهم صريعاً على الثرى وقذف بعضهم بنفسه في لجة الماء فلم ينج منهم أحد .

وتابع الارغوناوتيون رحلتهم وقد طابت الريح وهدأت الأمواج ، فأمضوا سحابة نهارهم على هذه الحال إلى أن حل المساء وانحدر اله الشمس من السماء فلفّ الليل السماء والأرض بجلباب الظلام وانعكس اتجاه الريح فمضت بآرغو ثانية نحو الشطآن التي غادرتها منذ فترة وجيزة ولهذا توقفت ثانية على شطآن كيزيك لكن أهل الجزيرة لم يتبينوا ركابها وظنوهم من قراصنة البحر فحملوا عليهم

١- بحر مرمرة حالياً .



الارغوناوتيون عند البيبريك إلى اليسار يظهر الارغوناوتيون وقد استسلموا للراحة. وفي الوسط يظهر بوليديوكيس يتدرب على الملاكمة وامامه سيلين الضاحك (طرق على اناء برونزي من القرن الرابع ق . م) .

بقيادة ملكهم الفتي وهب الأبطال ليردوهم والتحم الفريقان في قتال طاحن ولم يمض الا القليل على عقدهما مواثيق الصداقة والوفاء . وصار الأبطال يجندلون اصدقاءهم غير عالمين . وطعن ياسون ملك الجزيرة الشاب فطرحه قتيلاً . ودام القتال رهيباً تحت جنح الليل ، ولم يتوقف الا عندما أشرقت ربة السحر وأطل نور الصباح وعرف المتخاصمون بعضهم فنزل الرعب قلوبهم وقد ادركوا هول ما كانوا فيه فطرحوا أسلحتهم وشرعوا بمواراة قتلاهم الثرى وأقاموا حفلات الجناز أياماً ثلاثة واشتركوا معاً في البكاء على القتلى ، وحزن الجميع حزناً شديداً على الملك الفتي الذي قضي في أوج شبابه ، ولم تحتمل زوجته ابنة ميروب فراقه فطعنت نفسها بسيف قاطع وماتت .

الارغوناوتيون في ميزيا[1]

ومضت السفينة بركابها فسرعان ما أدركت شواطىء ميزيا وهناك نزل الأبطال ليتزودوا من الجزيرة بالماء والمؤن ، وانطلق هرقل الى غابة قريبة ليصنع مجذافاً يستبدل به مجذافه الذي انكسر فرأى شجرة طرف عالية طوّقها بذراعيه واقتلعها من جذورها وطرحها على كتفيه ومضى بها نحو الشاطىء الا انه شاهد صديقه بوليفيميوس مسرعاً نحوه ليخبره بانه سمع استغاثة من هيلاس الصغير فطرح الشجرة ومضى نحو مصدر الاستغاثة لكنه لم يعثر على الفتى الصغير فاغتم من أجله ومضى يبحث عنه في مختلف الأنحاء .

أما الارغوناوتيون فقد مكثوا فوق الشاطىء حتى لاحت نجمة الصبح فرفعوا قلوع السفينة وانطلقوا بها ولم ينتبهوا الى غياب هرقل وبوليفيميوس إلى أن أطل الفجر فاضطربت أنفسهم وانتابهم قلق شديد وجلس ياسون منكس الرأس ذاهلاً عما حوله وبدا انه لا يصغي الى شكاوى رفاقه ولا يحس بفقدان البطلين الى أن تقدم منه تيلامون . وكان أعز أصدقاء هرقل ، وراح يوسعه لوماً وتعنيفاً ويقول :

- إلى مَ تجلس هكذا هادئاً مطمئناً . ام انك فرحت لان هرقل مضى وخلت لك الساحة فليس من يعكر عليك صفو أمجادك . لا ، لَسـت بماض معكم ما لم تحولوا وجهة السفينة وتعودوا الى ميزيا فتبحثوا عن هرقل وصاحبه حتى تلقوهما .

وألقى بنفسه على تيفيس محاولاً ارغامه على العودة بالسفينة إلى الوراء ، وضاعت محاولات الأبطال في تهدئة غضبه وحدة هياجه ، غير انه لم يصغ الى أحد بل وجه الى الجميع تهمة الايقاع بهرقل وبوليفيميوس وبأنهم تركوهما على الشاطىء

١ـ مقاطعة في غرب آسيا الصغرى ، اشهر مدنها برغام .



الارغوتاوتيون عند البيبريك. في الوسط يظهر أحد أبناء بوريوس المجنحين ، وظهر بوليديوكيس بالقرب منه وهو يقيد الملك أميكوس المغلوب الى الشجرة ؛ وظهرت أثينا بالقرب من أميكوس . (طرق على اناء برونزي من القرن الرابع ق . م) .

متعمدين قاصدين . وفجأة أطلت هامة الاله البحري غلافك العرّاف من بطن الامواج وأمسك صاحبها بالسفينة فأوقفها وصاح بركابها .

ـ لقد تخلف هرقل وبوليفيميوس فوق ميزيا بارادة من زيوس مبدع الصواعق ، اذ يجب على هرقل ان يعود الى اليونان ويأتي باثنتي عشرة مأثرة خارقة في خدمة يوريسيوس وعلى بوليفيميوس ان يؤسس في بلاد الخاليبيين مدينة يسميها كيبوس . أما سبب تأخر البطلين في الجزيرة فهو خروجهما للبحث عن هيلاس الجميل الذي اختطفته حوريات الماء وأخفينه .

ولما أتم غلافك كلامه غاص في الماء من جديد وغاب عن أنظار الأبطال .

اطمأنت نفوس الأرغوناوتيين اذ ذاك واصطلح تيلامون وياسون وجلس الجميع في أماكنهم وشقت صدر الماء ضربات المجاذيف الموحدة المتناوبة ومضت السفينة تمخر العباب لتتم رحلتها الطويلة .

الارغوناوتيون في ثيبينيا[1]

(أميكوس)

ولما أطل صباح اليوم التالي نزل الارغوناوتيون على شواطىء ثيبينيا ، وكانت تلك البلاد مأهولة بقوم اسمهم البيبريك وكان ملكها اميكوس معتداً بنفسه فخوراً بقوته وبأنه الملاكم الشديد الذي لا يقهر ، فكان يرغم كل وافد إليه على النزال ويصرعه بضربات قبضته القوية . ولم يلق الارغوناوتيون لدى البيبريك من الترحيب ما لقوه في شبه جزيرة كيزيك فقد سخر اميكوس منهم ونعتهم بالمشرّدين الصعاليك وتحداهم ان يجدوا بينهم من يجرؤ على مبارزته فاكفهرت وجوه الأبطال بالغضب وخرج من بينهم بوليديوكيس الفتي ، ابن زيوس وليدا وأعلن للملك المتغطرس قبوله التحدي فتقدم أميكوس منه وقد نشر على كتفيه رداءه الأسود وطرح عليهما هراوته الثقيلة حتى غدا أقرب صورةً الى تيفون الرهيب ووقف أمامه وهو يرميه بنظرات كالشرر ، بينما بقي بوليديوكيس صامداً عزيزاً شامخ الأنف يتألق كنجم في السماء . وطرح اميكوس أحزمة الملاكمة[2] على الأرض فرفع بوليديوكيس أقربها إليه وما أن اتم ربط يديه بها حتى انقض الملك عليه كالثور الهائج فرد بوليديوكيس هجماته بحذق ومهارة ولم يتراجع أمامه خطوة واحدة . وصار كل من الرجلين يكيل لصاحبه أشد الضربات حتى كلّا فاوقف القتال برهة للاستراحة ثم التحما من جديد وتتالت اللكمات غزيرة كالمطر وشدد اميكوس هجومه محاولاً ان ينزل ببوليديوكيس ضربته القاضية لكن البطل اليوناني كان أسرع منه فسدد الى أذنه لكمة شديدة حطمت جمجمته وطرحته على الأرض يختلج اختلاجة الموت ، فهلل الارغوناوتيون للنصر وأخذوا يهتفون فرحين مستبشرين .

١ـ مقاطعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى .

٢ـ كان اليونانيون يلفون أذرعهم أثناء الملاكمة بأحزمة طويلة تصل حتى المرافق ، وكانت تثبت عليها قطع نحاسية غليظة ، فكانت ضربة الملاكم قاتلة في كثير من الأحيان .

ولما رأى البيبريك ملكهم قتيلاً حملوا على بوليديوكيس حملة رجل واحد فتلقاهم البطل بلكماته الشديدة وأطاح باثنين منهم بقبضة يده . وجرد رفاقه الارغوناوتيون أسلحتهم وانقضوا على الأعداء ، فراحت فأس انكيوس تحصد جموعهم ونزل سيف كاستور في رقابهم وصال اليونانيون في صفوفهم صولة الأسود فلاذ البيبريك بالفرار ، فلحق بهم الارغوناوتيون مسافة طويلة ثم عادوا الى الشاطىء محملين بالغنائم والأسلاب ، وهناك أمضوا الليل بطوله في مرح ولهو ، وغنى اورفيوس أغنية النصر فتردد صداها عالياً في تلك الأجواء وزغردت أوتار قيثارته فرحاً بانتصار بوليديوكيس على خصمه الغاشم الجبار .

الاغوناوتيون

عند العرّاف فينيوس

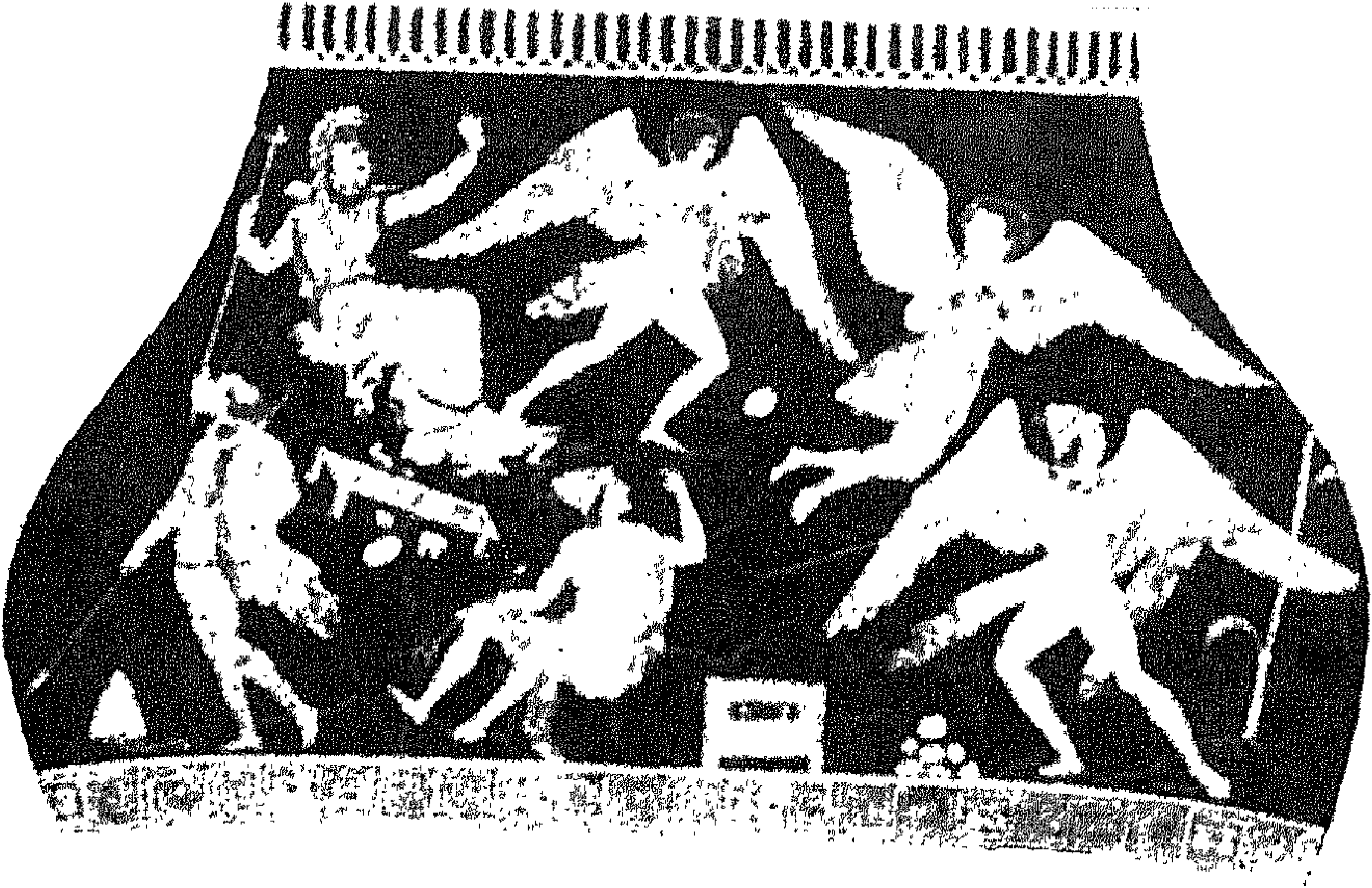
ولما أطل صباح اليوم التالي خرج الأبطال في طريقهم الطويل ، وبعد مدة وجيزة وصلوا تراقيا[1] فنزلوا على شاطئها طلباً للزاد والمؤن وهناك شاهدوا منزلاً فاتجهوا نحوه فخرج للقائهم شيخ أعمى لايكاد يستوي على ساقيه من الكبر والوهن فما كاد أن يبلغ عتبة منزله حتى هوى الى الأرض خائر القوى . فرفعه الارغوناوتيون وقد امتلأت نفوسهم بالاشفاق عليه وادركوا من كلماته انه فينيوس ابن اغينور ، وانه كان ملكاً على ترقيا لكنه عرض نفسه لانتقام ابولون لانه اساء استخدام موهبة العرافة التي وهبه اياها الاله المجيد وكشف للناس عن أسرار زيوس فأعمى ابولون بصره وسلط عليه الهارپيات اللاتي نصفهن للطيور ونصفهن للعذارى ، فصرن يهاجمن داره ويأتين على طعامه وعلى جميع ما لديه من المؤن ويطلقن الروائح الخبيثة في جميع أنحاء بيته . وأنبأته الآلهة أن حاله لن تتبدل حتى ينزل اليه الارغوناوتيون ويكون بينهم البطلان المجنحان زيثوس وكالائيد ، ولدا بوريوس . وعرف الشيخ الارغوناوتيين فصار يتوسل الى بطليها المجنحين ان يخلصاه من بلواه ، لاسيما وانه قريب لهما فهو زوج اختهما كليوباترة .

وعد الابطال فينيوس بالمساعدة وأعدوا له طعاماً شهياً ليأكله ، لكن ما كاد يتخذ مكانه[2] من المائدة ليهدىء من سعار جوعه حتى انقضت الهارپيات على

---

١ ـ مقاطعة في الشمال الشرقي من شبه جزيرة البلقان .

٢ ـ كان لليونانيين طريقتهم الخاصة في الجلوس الى المائدة . فكانوا يستلقون على جنوبهم ويتكئون مسندين احدى اليدين بوسادة .



فينيوس والهارپيات . من الأعلى الى اليسار يظهر فينيوس والى يمينه البطل المجنح زيثوس وظهرت من بعده إحدى الهارپيات وظهرت تحت صورتها صورة البطل المجنح كالائيد ؛ إلى الأسفل من صورة زيثوس يظهر هرمز جالساً ويقف الى اليسار منه أحد التراقيين . (رسم على مزهرية) .

الطعام وبدأن بالتهامه غير مكترثات لصيحات الأبطال وصراخهم ثم نشرن في المنزل أخبث الروائح وطرن خارجات كما أتين . فتبعهن الشقيقان زيثوس وكالائيد على اجنحتهما الجبارة ومازالا وراءهن حتى بلغن اوكارهن بالقرب من الجزر البيلوتية وهناك جرد الشقيقان سيفيهما وهما بضرب الهارپيات لكنهما فوجئا بايريدا رسولة الآلهة وقد انحدرت مسرعة من جبل الاوليمپ لتمسك يديهما عن الضرب وتخبرهما أن الآلهة قد أمرت الهارپيات بالكف عن مهاجمة فينيوس ، فطار الشقيقان عائدين الى تراقيا .

ومنذ ذلك الحين صارت الجزر البيلوتية تسمى بالستروفادات[1] أي جزائر العودة .

وأعد الأبطال طعاماً جديداً للشيخ بعد أن خلصوه من مطارداتِه الشريرات فتمكن أخيراً من تهدئة سعار جوعه . وكشف للقادمين الجدد عن جميع الأخطار التي لاتزال تملأ عليهم الطريق الى كالخيدا ، كما قدم اليهم سديد نصحه لكي يتجنبوا هذه الأخطار وأشار عليهم باستصراخ الآلهة أفروديتا لنصرتهم بعد ان يبلغوا هدفهم لأنها الوحيدة القادرة على مؤازرة ياسون ومعاونته في الحصول على الجزة الذهبية . وأصغى الارغوناوتيون الى نصائح الشيخ باهتمام عميق محاولين أن يعوا جيداً أقواله .

وعاد الشقيقان بعد قليل ليسردوا على الجالسين خبر مطاردة الهارپيات ففرح الشيخ لخلاصه من شرهن إلى الأبد .

صخور السيمپليچاد[2]

لم يطل مقام الارغوناوتيين عند فينوس فقد كانت المهمة تهيب بهم الى الاسراع فنزلوا الى السفينة وانطلقوا بها وقد واتتهم الريح فقطعوا مسافة طويلة . وبينما هم في مسيرهم بلغت مسامعهم أصوات تشبه عويل الأعاصير مختلطاً بقصف الصواعق وهزيم الرعود . وما زالت الأصوات تتضح في أسماعهم كلما تقدموا حتى انكشفت عن صخور شاهقة جبارة كانت تتباعد عن بعضها ثم تتصادم محدثة دوياً

---

(١) جزر الستروفاد هي ثلاث جزر صغيرة تقوم على الشاطىء الغربي من ميستيا في جنوب اليونان .

(٢) السيمپليجادات أو صخور السيمپليجاد (وتعني الصخور المتراطمة) وكان اليونانيون يتخيلونها قائمة على مداخل البحر الأسود .

يهز الجبال ، وكانت الأمواج تتلاطم من حولها فيرتفع الرذاذ عالياً اذ تلتقي فاذا ما تباعدت ثانية نفرت الأمواج واستدارت في دوامة لا نهاية لها .

كانت تلك صخور السيمپليچاد التي ذكرها الشيخ للارغوناوتيين ، وتذكروا وصيته بان يطلقوا فيها بين هذه الصخور حمامة فاذا مرقت سليمة خرجت سفينتهم سليمة دون أذى . فانحنى الأبطال على المجاذيف وتقدموا بآرغو نحو الصخور الشاهقة وقد انطبقت على بعضها ، فلما ان تراجعت اطلق حمامة بيضاء من يده- فانطلقت كالسهم وانطبقت الصخور على بعضها مزمجرة مرعدة حتى كأن السماء مادت لصوتها ، فغمر رذاذ الماء الأبطال وصارت السفينة تدور وكأن إعصاراً يتلاعب بها ، ومرقت الحمامة من بين الصخور ، ولم تفقد الا بعض ريش ذيلها الذي انطبقت عليه الصخور . فاستبشر الابطال وهتفوا بصيحات الفرح والسرور وانحنوا على المجاذيف . وانقضت على سفينتهم موجة مزبدة هائلة فقذفت بها إلى أحضان الدوامة الصاخبة وهناك اختطفتها موجة ثانية فدفعت بها الى الوراء وراحت الأمواج تغلي من حولها وتزبد مصدرة هديرها الراعد والتوت المجاذيف في سواعد الأبطال وأنت مفاصل السفينة تحت ضغط الأمواج وراحت تتأرجح فوق المياه بين صعود وهبوط ثم تقاربت الصخور وأحدقت بالسفينة تكاد أن تهرسها واذ ذاك هبت اثينا ـ بالآدا لنصرة الأبطال الميامين فصدت الصخرة بيمينها وأمسكت السفينة بيسراها ودفعتها فانطلقت كالسهم سالمة من غير سوء ، ولم تتمكن الصخور الا من مقودها الخشبي في المؤخرة فحطمته وتباعدت من جديد حتى ادركت الشاطىء فاستقرت هناك ولم تضطرب بعد ذلك . وتمت ارادة القدر بان .صخور السيمپليچاد لن تكف عن التراطم والاصطدام حتى تتمكن سفينة من اختراقها . ولما أتم الارغوناوتيون هذه المرحلة من سفرهم أيقنوا بنوال النصر فقد تجاوزوا أخطر مراحل الطريق .

جزيرة أرتيميدا والوصول إلى كالخيدا

طالت رحلة الارغوناوتيين على شواطىء بونت الايفكسيني[1] فزاروا كثيراً من البلدان ورأوا كثيراً من الشعوب الى أن لاحت امامهم جزيرة في الافق البعيد فوجهوا سفينتهم نحوها ، لكن السفينة ماكادت تقترب من الشاطىء حتى خرج من الجزيرة طائر عظيم الجناحين واتجه نحو السفينة يتألق بريشه ، وحلق فوقها ثم رشق البطل اويليوس بريشة منه فنفذت في منكب البطل نفاذ السهم وتفجر الدم من جرحه وتراخت يده حتى سقط منها المجذاف . والتف رفاقه حوله فانتزعوا الريشة ويا لدهشتهم اذ وجدوها نحاسية مشحوذة كالسهم . ثم انطلق من الجزيرة طائر ثان . لكن البطل كليتيوس كان له بالمرصاد ، فما كاد يحلق فوق السفينة حتى عاجله بسهم نافذ فسقط في الماء ناشراً ريشه النحاسي واذ ذاك أدرك الارغوناوتيون ان هذه طيور الستيمفال وان الجزيرة التي تعيش فوقها هي جزيرة ارتيميدا . وأشار امفيدامانت ، فلبس الابطال دروعهم واحتموا بتروسهم ثم تقدموا نحو الجزيرة وهم يطلقون الصراخ ويضربون على التروس بالسيوف والرماح فانقضت الطيور عليهم سرباً هائجاً وامطرتهم بوابل من سهامها الريشية ، لكنهم صدوها بالتروس فلم تنلهم بأذى . ولما فرغت الطيور من هجومها حلقت فوق السفينة بشكل دائري ثم ابتعدت عنها الى أن غيّبها الأفق .

وأوقف الأبطال سفينتهم عند جزيرة ارتيميدا ونزلوا الى البحر فما كادوا يستسلمون للراحة حتى فوجئوا باربعة من الفتيان يتجهون نحوهم في حالة يرثى لها

---

١ ـ بونت الايفكسيني : ـ أي البحر المضياف ـ بهذا صار الإغريق يسمون البحر الاسود بعد ان اكتشفوا شطآنه العميمة الخيرات وكانوا قبل ذلك يسمونه البحر الآفكسيني ـ أي الشحيح لأنه كان يخيفهم بعواصفه الهوجاء .

من البؤس والهزال ، فقد شفّت أجسامهم من الجوع وتعلقت أسمالهم بأكتافهم مهلهلة زرية لا تكاد تسترهم ، فقدم لهم الأبطال الطعام وكسوهم بالملابس وسألوهم عن حالهم فردّ عليهم آرغوس كبير الفتيان بانهم أبناء فريكس وانهم ركبوا البحر من كالخيدا قاصدين ارخومين لكن عاصفة هوجاء دهمتهم في حلكة الليل فجعلت سفينتهم حطاماً وقذفت بهم إلى تلك الجزيرة القفراء . ففرح ياسون بلقاء أنسبائه وفرح الأبطال أيضاً بهم وكشفوا لهم عما هم خارجون في طلبه فوعدهم آرغوس بالمساعدة وحذرهم من بطش الملك ادميت الا ان ذلك لم يفت في عضد الأبطال او يثنيهم عن اتمام ما هم فيه .

وخرج الأبطال في صبيحة اليوم التالي ، وما زالوا مبحرين يصلون ليلهم بنهارهم حتى لاحت قمم القوقاز امامهم شبيهة بغيوم تكاثفت على صدر الأفق البعيد ، فاستبشروا بقرب الهدف وبأنه صار وشيك المنال .

واشتدت ضربات المجاذيف متواترة جبارة متزنة فانطلقت السفينة بسرعة واستقامة . ومالت الشمس لتغيب في لجج المحيط البعيد فترامت أطياف المساء فوق المياه وصفق في الفضاء طائر عظيم فاضطرب الهواء من عظم جناحيه وقوتها ، ثم غاب ذلك الطائر في الأبعاد السحيقة حيث كان بروميثيوس مرهوناً في السلاسل مغلولاً الى الصخور وتردد في الفضاء أنين العملاق الغاشم مختلطاً بضربات المجاذيف في المياه .

دنت السفينة من الشاطىء ، ولاح مصب نهر فازيس فمضت صعوداً في مياهه حتى توقفت في خليج منه مغطى بالأعشاب والقصب وهناك أراق ياسون الخمور شكراً للآلهة ودعا آلهة كالخيدا وأرواح الموتى لنصرته في مهمته الخطيرة . ثم نام الجميع في السفينة هانئين وقد أدركوا الهدف ، لكن كثيراً من المصاعب والأهوال كان لايزال بانتظارهم .

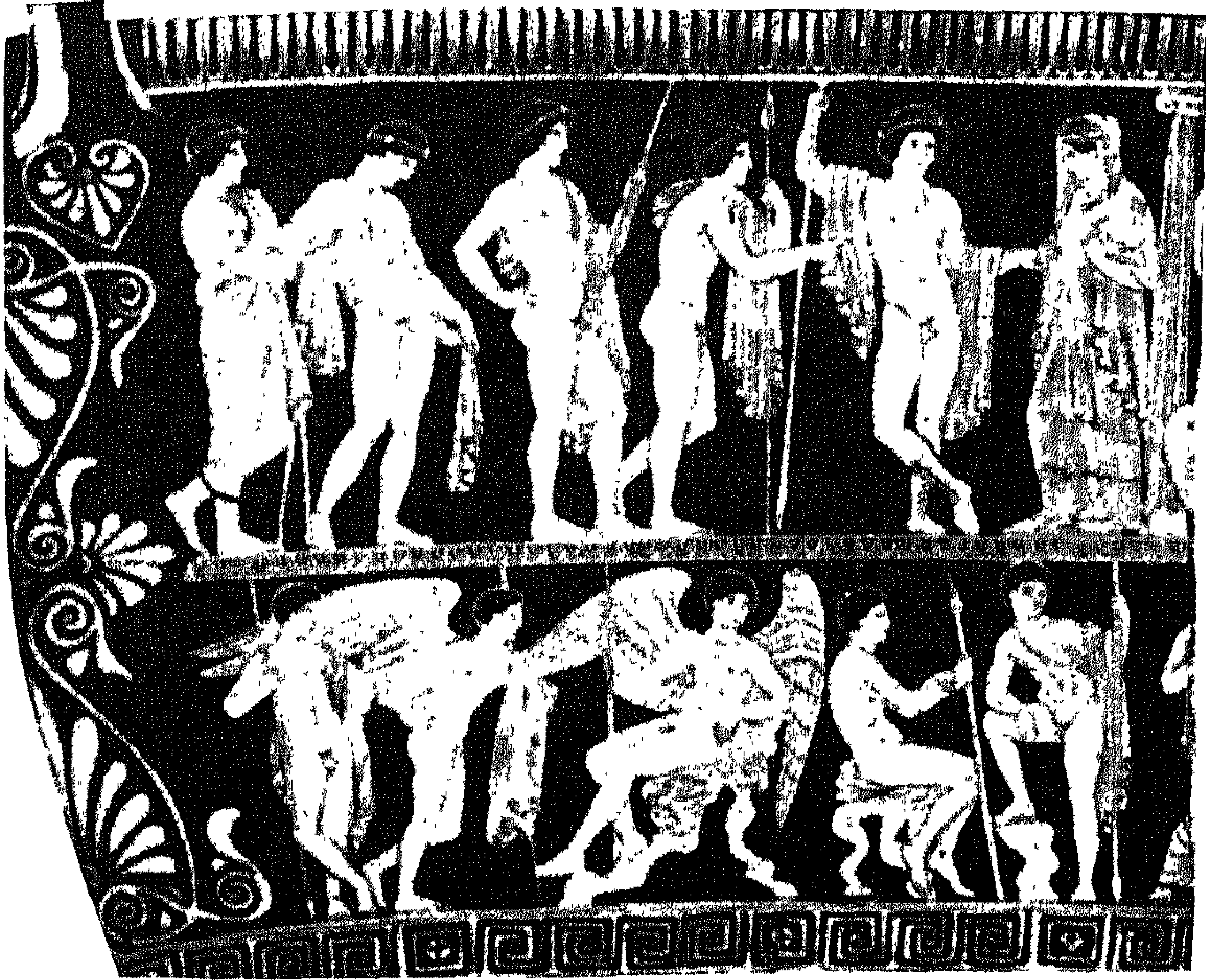
هيرا وأثينا في زيارة لأفروديتا

اجتمعت الالهتان هيرا وأثينا فوق الاوليمب المشرق للتشاور في أمر مساعدة البطل ياسون بعد أن نزل على كالخيدا . وقرر رأيهما على ان تمضيا إلى افروديتا وتطلبا منها ان تأمر ابنها الصغير ايروت بأن يرمي قلب ميديا ، ابنة ايبت بسهم ذهبي ويثير فيه حب ياسون فقد كانت الالهتان مدركتين أن أحداً سوى ميديا الساحرة يعجز عن إغاثة البطل المجيد في مهمته الشاقة .

مضت الالهتان الى افروديتا فلقيتاها جالسة على عرش ذهبي مزخرف بالعسجد وقد أمسكت بمشط ذهبي تسرح به شعرها الجميل ، فنهضت الالهة لاستقبال ضيفتيها المجيدتين هاشة باسمة وحيتهما أحسن تحية وأجلستهما على أريكتين من الذهب صنعة الإله هيفيست وسألتهما سبب مقدمها فصرّحتا لها بعزمهما على نصرة البطل ياسون وطلبتا منها أن تأمر ابنها برمي قلب ميديا . فاجابتهما الالهة بالترحاب والقبول وودعتهما أجمل وداع لما خرجتا ثم مضت لتبحث عن ابنها فوجدته جالساً مع هانيميد في احدى الحجرات ، وقد استغرق في ضحك صاخب لأنه غلب جليسه الساذج في احدى الألعاب ، فذهبت اليه واحتضنته وخاطبته بقولها :

ـ أصغ الي ايها العابث الصغير ، اريد ان تنفذ ما آمرك به . خذ قوسك وسهامك وطر بسرعة الى كالخيدا فارم هناك قلب ميديا ، ابنة ملكها بسهم من سهامك وأثر في قلبها حب البطل ياسون ثم عد الي لاعطيك الدمية التي صنعتها ادراستيا لزيوس عندما كان صغيراً .

طلب ايروت من امه تسليمه الدمية في الحال ، لكنها ما كانت لتفعل ذلك قبل أن يتم مهمته فهي تعرف رعونته وولعه بلعبث ، ولما يئس الاله من أخذ الدمية اختطف قوسه وسهامه وانطلق من قمة الاوليمب نحو كالخيدا وجناحاه الصغيران يتألقان في أنوار الشمس الساطعة .



وصول الارغوناوتيين الى كالخيدا .

الى اليمين من اعلى يظهر ياسون وميديا .

(رسم على مزهرية).

ياسون عند ايبت

هب الارغوناوتيون من رقادهم عند الصباح الباكر فعقدوا مجلساً للتشاور وأجمعوا على أن يذهب ياسون برفقة أبناء فريكس الى الملك ايبت ويطلب منه تسليم الجزة الذهبية فان أبى أكرهوه على تسليمها .

خرج ياسون الى الملك يحمل راية السلام وخرج معه أصدقاؤه . ولما كانت الالهة هيرا تخشى ان يعترضهم أحد بسوء غللتهم بغمامة حجبتهم عن الانظار حتى اذا ما شارفوا على القصر انقشعت الغمامة فرأوا أمامهم قصراً شامخاً وطيد الأركان ، تؤدي بواباته المرمرية الواسعة الى بهو فسيح مزخرف وتزدان مداخله بصفوف من الأعمدة البيضاء التي تتلألأ تحت الشمس ، وترتفع فوق الأبراج الشامخة حتى تلامس الغيوم .

كان قصر ايبت بكل ما فيه من صنع الإله هيفيست وقد قام بذلك تعبيراً عن شكره للاله هيليوس الذي وجده ذات يوم مطروحاً في سهول فليجيريا وقد أنهكته الحرب مع التيتان فحمله على عربته الذهبية ومضى به . وكان للقصر أجنحة عديدة فكان ايبت وزوجته يقيمان في اكثرها بهاء وروعة وكان الجناح الثاني مخصصاً لسكنى ابنه ابسيرت الذي كان الكالخيديون يلقبونه بابسيرت فايتون (أي المشرق) لجماله وسناء طلعته . كما كان هناك جناح خاص لكل من هالكيوبا ابنة ايبت وزوجة فريكس المتوفى وميديا الساحرة الشهيرة ، ابنة ايبت وخادمة الالهة هيكاتا .

كانت ميديا خارجة من حجرتها لزيارة هالكيوبا عندما دخل ياسون ورفاقه القصر فأطلقت الفتاة صيحة الدهشة إذ وقعت أنظارها على الغرباء وخرجت هالكيوبا على صيحتها فألفت أمامها أبناءها الأربعة فهرعت اليهم فرحة مستبشرة وأخذت تضمهم وتقبلهم بعد أن فقدت كل أمل في رؤيتهم . وبلغت الجلبة مسامع ايبت فخرج من القصر واستدعى ضيوفه اليه وأمر الخدم باعداد مائدة

عامرة . وبينما كان ياسون واييت يتبادلان آيات التحية والترحيب انحدر ايروت من السماء بجناحيه الذهبيين فنزل في القصر واختبأ وراء أحد الأعمدة فشد وتر قوسه وأخرج من كنانته سهماً ذهبياً ثم خطا مستوراً غير مرئي فوقف وراء ياسون وأنفذ سهمه في قلب ميديا فأخذ على التو ينبض بحب جامح للبطل المجيد .

ودخل ياسون الى القصر برفقة أصحابه فاتخذوا أماكنهم حول المائدة الكبيرة وتحدث آرغوس عن العاصفة الكبيرة التي حطمت سفينته وقذفت به وباخوته على جزيرة ارتيميدا حيث لقيهم الارغوناوتيون وقد أشرفوا على الهلاك جوعاً . وما كاد الملك ان يسمع بذلك حتى اتقدت عيناه بشرر الغضب لأنه ظن أن أبناء فريكس لم يجيئوا بابطال اليونان الا لانتزاع الملك من يده وان قصة الجزة الذهبية ملفقة كاذبة ، فقطب ما بين حاجبيه ونظر الى ياسون بغضب وحقد وأخذ يتوعده بالويل والثبور ويتهدده بالموت والهلاك وهم باخراجه من قصره ، وكاد الزمام ان يفلت من يد تيلامون فيرد على الملك بأسوأ العبارات لولا أن أوقفه ياسون بحركة من يده وحاول أن يهدىء من غضب أييت مؤكداً له انه لم ينزل على بلاده الا من أجل الجزة الذهبية ووعده ان يقدم له كل خدمة وان ينجز له أي مهمة يريدها مقابل أن يسلّمه تلك الجزة ؛ فأطرق أييت مفكراً ثم قال وقد صمم على ان يورد ضيفه موارد التهلكة :

ـ حسناً ، سأبلغك ما تريد ، وأعطيك الجزة الذهبية ، لكنني أشترط عليك قبل هذا أن تضع النير في عنقي ثوريَّ النحاسيّي الأرجل الناريّي الأطراف وأن تحرث حقل آريس بمحراثي الحديدي وتبذر في الأخاديد أنياب الأفعوان ، فاذا ما خرج منها المحاربون المدججون بالسلاح عليك أن تشتبك في القتال معهم وتقهرهم فاذا ما قمت بذلك كله كانت الجزة الذهبية من حقك .

لم يتسرع ياسون في الرد على اييت بل فكر ملياً ثم قال :

ـ حسناً ، أقبل بشرطك ، ولكن عليك أيضاً أن تبر بوعدك ، فأنت تعلم أن ليس بيدي أن أخالفك ما دامت مشيئة الأقدار هي التي حملتني على المجيء اليك .

ثم خرج من القصر برفقة من معه .

الأرغوناوتيون يطلبون العون من ميديا

عاد ياسون الى السفينة آرغو وحدث رفاقه بما جرى له في القصر وبالمهمة التي عهد اليه بتنفيذها فأطرق الجميع صامتين مفكرين فيما يجب اتخاذه وفي الوسيلة التي ينفذون بها مهمة اييت الى ان قطع ارغوس صمتهم بقوله :

ـ أيها الرفاق ، هناك امرأة وحيدة تستطيع مساعدتنا وهي ميديا ، ابنة الملك اييت وهي ساحرة عظيمة وبمقدورها إزاحة جميع الأخطار من سبيلنا . سأخرج إلى أمي الآن عساها تقنعها بمد يد العون الينا ، فهما تقيان في القصر معاً .

ولما فرغ آرغوس من كلامه حلقت فوق السفينة حمامة يطاردها بازي جارح فطارت الحمامة الى ياسون واحتمت بطيات ردائه وسقط البازي على السفينة فصاح العراف موبسوس :

ـ هي ذي تباشير السعد من الآلهة ، وهم يشيرون علينا بطلب المساعدة من ميديا ، فقد احتمى طائر افروديتا بصدر ياسون . ألم ينصحنا العراف فينيوس بالاتجاه الى افروديتا لتنصرنا ؟ صلوا من أجلها وليمض ارغوس الى امه مسرعاً عساها تقنع ميديا بالوقوف الى جانبنا .

واستمع الابطال الى نصيحة موبسوس فقدموا قرباناً الى افروديتا ومضى ارغوس بسرعة الى قصر اييت .

كان اييت قد حشد أهل مدينته في الساحة العامة وأعلن أمامهم عن نزول الأغراب على ديارهم وأمرهم بتشديد الرقابة على ارغو كي لا يتمكن أحد من ركابها من الفرار . وكان اييت قد أسر في نفسه ان يحرق ارغو بعد أن يهلك ياسون فوق حقل آريس كما أسر في نفسه ان يقتل أبناء فريكس بعد أن يذيقهم شديد العذاب .

حل المساء وساد الصمت في كل مكان الا في مخدع ميديا ، فقد تتالت على رأسها الأحلام والكوابيس الرهيبة وكل منها أشد هولاً من سابقه فرأت ياسون

أمامها وقد نزل لصراع الثيران الرهيبة وكانت هي الجائزة التي تقرر ان تكون من نصيبه اذا ما انتصر ، ثم رأت انها تنزل بنفسها لصراع تلك الثيران المقيتة فتقهرها بسهولة ويسر لكن أهلها يرفضون اعطاءها لياسون متذرعين بانه لم يحقق النصر بذراعه . ولهذا يحتدم الجدل بينه وبين أبيها وتعطى لها الكلمة الفصل لحسم الجدل واعطاء القرار الأخير ، فلما ان تقف الى جانب ياسون يغضب أبوها وينهال عليها باللوم والتقريع وصوته يجلجل في مسامعها . واستيقظت الفتاة مذعورة دامعة العينين وهمت بالاسراع الى اختها هالكيوبا لكنها خجلت من نفسها فأمسكت بمقبض الباب مرات ثلاثاً ثم ارتدت كسيرة وقد غلبها الحياء فانطرحت على سريرها وأجهشت في البكاء فسمعتها واحدة من جواريها واخبرت هالكيوبا بذلك فهبت تلك مسرعة الى أختها لتجدها منطرحة على السرير والدموع تتناثر من مقلتيها فصاحت :

ـ أي أختي الغالية ! ما الذي يبكيك ! أم ان مصير أولادي هو السبب ؟ ألم تسمعي بأن ابانا يدبر أمر هلاكهم .

لم تفه ميديا بشيء فقد كان ما يبكيها أمر آخر لكنها غالبت دمعها وقالت لأختها :

ـ أحلام مخيفة تزاحمت على رأسي يا أختاه . فرأيت جميع أبناءك وذلك الغريب الذي عادوا برفقته في قبضة الأهوال والمصاعب والأخطار . إن الهلاك يتربص بهم يا أختاه فليت الآلهة تمنحني القدرة على مساعدتهم .

ارتجفت أوصال هالكيوبا رعباً لما سمعت مقال أختها فاحتضنتها بين ذراعيها وصارت تتوسل اليها طالبة غوثها فهي تعلم أن ميديا قادرة على ذلك بما في حوزتها من سحر وطلاسم . فأعلنت ميديا في آخر الأمر :

ـ حسناً يا أختاه . سأقف الى جانب ذلك الغريب . فليأتني غداً الى معبد هيكاتا لأعطيه طلسماً يحصّنه من الأهوال ويساعده في انجاز مهمته . ولكن عديني ان تكتمي ذلك عن أبي فلو علم به لبطش بنا جميعاً .

خرجت هالكيوبا تاركة اختها نهباً للمشاعر المتضاربة فهي تخشى الخروج على ارادة أبيها وتحس في الوقت نفسه بالرغبة في نصرة ياسون الذي تحبه . وظلت

هذه الهواجس والأفكار تتقاذفها وتلح عليها حتى قررت الخلاص من الحياة فأخرجت حقة صغيرة مليئة بالسم وفتحتها لتشرب ما فيها لكن هيرا أثارت في نفسها حباً للحياة لا يقاوم فأعادت الحقة الى مكانها وتلاشت جميع هواجسها ليحل محلها التفكير بياسون فعزمت على نصرته مهما بلغ الثمن .

وما ان طلع الفجر وخضب بحمرته جبال القوقاز البعيدة المغطاة بالثلوج حتى عاد ارغوس الى الارغوناوتيين ليخبرهم بأن ميديا قد قبلت مساعدة ياسون وانها تدعوه للقائها في معبد هيكاتا ، فخرج ياسون وارغوس والعراف موبسوس إلى المعبد عند طلوع الشمس وزادت الالهة هيرا من جمال صفيّها ياسون وفتنته حتى صار رفيقاه ينظران اليه بعيون الاعجاب .

أما ميديا فكانت قد نهضت في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم وتناولت علبة المراهم السحرية وأخرجت منها المرهم المسمى بـ « زيت بروميثيوس » لأنه أعد من جذور النباتات التي تسقي دم العملاق الشديد ، وكان كل من يدهن جسمه بذلك الزيت يغدو منيعاً على النحاس والحديد والنار ويؤتى عزماً خارقاً مدة يوم كامل حتى تعجز أية قوة عن قهره . وقررت ميديا ان تعطي ياسون ذلك المرهم فدعت جواريها وخرجت إلى المعبد وأحست في الطريق بسعادة كبيرة أنستها كل شيء سوى أنها ماضية للقاء حبيبها .

دخلت ميديا المعبد ، وجاء ياسون بعد قليل ، فنظرت اليه واشتد وجيب قلبها حتى أعياها النطق . وهكذا وقف الشابان صامتين ثم قطع ياسون حبل الصمت فأخذ يد فتاته وقال لها :

ـ مالك تطرقين بنظرك الفاتن أيتها الصبية الحسناء ! وما الذي يخيفك مني ! ام تراك تظنين أنني أريد بك السوء ! لا ، لم تدفعني أية رغبة شريرة للحضور إليك فقد جئت طالباً منك المعونة والنصر فهل انت على استعداد لمعونتي ؟ أصدقيني الجواب فالالهة هيكاتا لن تغفر لمن ينطق بغير الحق في محرابها كما ان زيوس الذي يغوث كل مستنجد به يكره قول الباطل . لا ترديني خائباً أيتها الفاتنة فانك إذا ما بادرت الى نصرتي هتف بمجدك جميع أبطال اليونان الذين قدموا معي الى كالخيدا ، ونشروا في بلادهم آيات الشكر لك والاعتراف بصنيعك . تذكري

اريادنا ، ابنة مينوس التي مدت الى تيسيوس عونها ومساعدتها .

لم تنبس الفتاة بشيء بل رددت الى ياسون نظراتها المليئة بالافتتان والحب وزادها الحياء جمالاً وفتنة ، وبيد مرتعشة أخرجت من وسطها علبة المرهم السحري الذي أعدته وناولته البطل قائلة بصوت لا يكاد يسمع :

ـ اصغ إلي ما أقوله لك يا ياسون ففي هذا مساعدتي . استحم في النهر في المساء وارتد ثياباً سوداء اللون واحفر على الشاطىء حفرة عميقة واذبح فوقها شاة سوداء مدهونة بالعسل قرباناً للالهة هيكاتا ، وامض بعد ذلك إلى السفينة . ولكن إياك أن تلتفت إلى الوراء وأنت في طريقك فانك ستسمع عواء الكلاب فلا تخشها وتابع طريقك . وعندما يطل الصباح خذ هذا المرهم وادهن به جسمك ورمحك وترسك وسيفك فانه يمنحك قوة لا تقهر وعزيمة لا ترد وبها تحقق ما طلبه منك ابيت الملك . فاذا ما رأيت المحاربين قد خرجوا من أعماق الأرض تناول حجراً وألقه بينهم . فإذا ما رأيتهم قد التحموا واقتتلوا اهجم عليهم وأعمل فيهم سيفك . واياك ان تضيع المرهم فانك بدونه لن تستطيع شيئاً .

وصمتت الفتاة وغامت عيناها حزناً وحسرة لمجرد تفكيرها بفراق ياسون فأطرقت إلى الأرض وهمست تقول :

ـ ولا تنسني إذ تمضي إلى بلادك بعد ذلك يا ياسون ، وحاول ، ولو في نادر الأحيان أن تتذكر تلك الفتاة التي نصرتك في مهمتك والتي اسمها ميديا .

واستفسرت ميديا من ياسون عن بلاده فحدثها عن مدينة ايولك ، وعن الوادي الزاهر الذي تقوم فيه ، ودعاها أن تسافر معه إلى بلاده ووعدها بأنها ستكون هناك محط الاعجاب والاحترام ، وأن بلاده ستحيطها بالإجلال كواحدة من الربّات واختتم حديثه بقوله :

ـ ليت أباك يعقد معي عهد الصداقة الأبدية ويسمح لي بأخذك الى بلادي .

فقالت ميديا بصوت مليء بالحسرة : ـ لا ، ان هذا لن يكون . فأبي ظالم قاسي الفؤاد . فعد إلى وطنك ، وعدني فقط الا تنسني ، فيا ليت الرياح تحملني اليك ولو مرة على أجنحتها فأطير اليك واذكرك بنفسي اذ يغيبني النسيان عنك ، وأهمس لك بأنني أنا ميديا التي أنقذتك ذات يوم .

وتألقت الدموع في مقلتيها ، فنظر ياسون إليها وأحس بفؤاده يتجه نحوها فتوسل اليها ان تترك بيت أبيها سراً وتهرب معه الى ايولك ، وأحست الفتاة بأن قلبها سيذهب معه ان هو تخلى عنها وسافر وبأنها لن تحتمل لوعة الفراق ، فانسكبت الدموع من عينيها وأعلنت لياسون موافقتها على الذهاب معه ، خاصة وأن هيرا أثارت في نفسها الرغبة باللحاق به الى ايولك لتساعد على قتل بيلياس البغيض على نفس الآلهة المجيدة .

ودع ياسون ميديا بعد أن وعدها بالعودة الى المعبد لكي يقابلها ثانية ويتفقا على ما يجب عمله فركبت الفتاة عربتها وانصرفت الى منزلها فرحة مسرورة وقد أيقنت بان ياسون يبادلها الحب .

ياسون ينفّذ مطاليب ادميت

حل المساء وخيم الظلام فتسربل ياسون بالسواد وخرج الى شاطىء نهر فاسيس فاستحم في مياهه السريعة المتدفقة ثم حفر على الشاطىء حفرة عميقة ونحر فوقها شاة تقربة الى الالهة هيكاتا حسبما اوصته ميديا . وما ان تمت شعائر القربان حتى ظهرت هيكاتا وبيديها المشاعل التي تنفث الدخان الاسود ومن حولها الحيوانات الشنيعة المنظر والتنينات التي تلفظ اللهب . وكانت الكلاب الجحيمية تطلق عواءها الرهيب من حولها . فلما وقعت أنظار حوريات الماء على الآلهة المهولة فررن من أمامها وألقين بأنفسهن في لجة الماء . وسيطر الرعب على ياسون ، إلا أنه تذكر كلمات ميديا فمضى في طريقه لايلوي على شيء .

ولما تنفس الصباح انفذ الارغوناوتيون بطليهما تيلامون وميلياجر الى الملك ايبت ليأتيا بالأنياب من أجل غرسها في حقل آريس فأعطاهما أنياب الأفعوان الذي قتله قدموس وأخذ يستعد للذهاب إلى الحقل ليرقب ياسون وهو يؤدي مهمته فلبس دروعه وخوذته المتألقة كالشمس ، وأخذ ترسه ورمحه اللذين لم يكن لأحد نظيرهما ، واعتلى مركبته التي كان ابنه ابسيرت يقودها ، كما استعد الارغوناوتيون واتجهوا نحو الحقل .

دهن ياسون رمحه وسيفه وترسه بالمرهم السحري ثم دهن به جسمه فأحس بقوة خارقة تملأ جوانحه حتى صارت عضلاته شديدة كالفولاذ وجسمه قاسياً كالحديد . ووصلت سفينة الارغوناوتيين إلى ضفة حقل آريس وكان ايبت بانتظارهم هناك ، بينما انتشر أهل مدينته فملأوا الهضاب وغطوا وجه الروابي المحيطة ، ونزل ياسون الى الحقل ليرى المحراث الحديدي والنير النحاسي بانتظاره ، فمضى ليبحث عن الثورين واذ بهما ينطلقان فجأة من أحد الكهوف واللهب ينطلق من خياشيمهما فأمسك بترسه وتهيأ للقائهما واذ بهما ينقضان عليه



ياسون يصارع الثور . تظهر فوق الثور ربّة مجنحة كما تظهر ميديا الى اليمين وقد حملت الاعشاب السحرية في يديها . (رسم على مزهرية).

وينطحان الترس بقوة عظيمة يعجز أي جبار عن الصمود لها ، لكن البطل ظل راسخاً كالطود فخار الثوران خواراً شديداً وراحا ينبشان التراب بحوافرهما ويثيران سحب الغبار ثم عاودا الهجوم مرة تلو المرة والبطل أمامهما واقف صامد . وأخيراً أمسك بهما وشدهما إلى النير فانتفضا وصلياه بشواظ نارهما فلم يتزحزح أو يتأثر بالنار ولم يتركهما حتى جعل النير في عنقيهما بمساعدة كاستور وبوليديوكيس ، ثم ساقهما بحد سنانه فحرث عليهما الحقل بطوله وزرعه بأنياب الافعوان ولما فرغ من ذلك أطلقهما وصرخ فيهما صرخة عظيمة فانطلقا من أمامه كالممسوسين وغابا في بطن الكهف البعيد وبذلك انتهى الشطر الأول من المهمة العظيمة فمضى ياسون الى شاطىء فازيس وملأ خوذته بالماء وشرب حتى ارتوى ، ومكث ينتظر خروج المحاربين من بطن الأرض .

وما هي الا برهة وجيزة حتى نفر من بطن الأرض رأس سنان حاد وتبعه رأس آخر حتى تصفح وجه الأرض بستار من الحديد ثم انشق صدرها عن الرؤوس المغطاة بالطأسات والخوذ واختفى الحقل بعد ذلك تحت أقدام المحاربين المدججين بالسلاح ؛ وتذكر ياسون كلمات ميديا فأخذ بيده صخرة هائلة يعجز أربعة من صناديد الرجال عن رفعها ورماها بعيداً بين ذلك الجيش الجرار فامتشق كل من المحاربين سيفه والتحموا معاً في معركة ضارية واذ ذاك هجم ياسون عليهم وراح يجندلهم واحداً تلو الآخر حتى غمر الأرض بأشلائهم الدامية فصارت شبيهة بحقل خصيب غطته سنابل قمح حصدتها يد حصاد ماهر .

نظر ايبت الى ياسون مبهوراً بقوته الخارقة واتقدت عيناه بجمر الغضب وأسرع بالصعود الى مركبته السريعة دون ان ينبس بكلمة فقد شغله أمر واحد وهو القضاء على ذلك الغريب العديم المثيل . أما ياسون فانه عاد الى ارغو ليستريح بين رفاقه الذين أثنوا عليه وأكبروا قوته ومهارته وإقدامه .

ميديا تساعد ياسون في الحصول على الجزة الذهبية

عاد ايبت الى قصره ودعا اليه أوفر أهل مدينته حكمة وأنفذهم بصيرة فجاؤوا اليه وجلسوا معاً الى ما بعد منتصف الليل وهم يتشاورون في وسيلة يقضون بها على الارغوناوتيين . وفطن الملك الى ان ضيفه يعجز عن القيام بمهمته دون مساعدة ميديا . واستشعرت ميديا خطراً كبيراً يهدد سلامتها وسلامة ياسون فهجرتها الطمأنينة والاستقرار وأبى على أجفانها النوم فتسللت من القصر تحت جنح الليل ومضت عبر المسالك المظلمة التي لا يعرفها أحد سواها واتجهت نحو نيران

الارغوناوتيين اللاهبة وهناك استدعت اليها ياسون وفرونتيس ، أصغر أبناء فريكس وصرحت لهما بما يعتمل في صدرها من الهواجس المضطربة وأقنعتهما بضرورة الاسراع في العمل فلبس ياسون دروعه وأخذ سلاحه ومضى معها الى غابة آريس المقدسة . كان الظلام يلف كل شيء فلا يرى فيه غير ذلك البريق الذي يمزق ثنايا الغابة الهادئة منبعثاً من الجزة المعلقة فوق الشجرة المقدسة ، ولما ان اقترب ياسون وميديا من الغابة تمطى أمامهما التنين ذو الشدق اللاهب فاستعاذت ميديا منه بهيبنوس اله النوم وأخذت تتلو عليه الطلاسم والتعاويذ وتنثر على الأرض فتات الأعشاب السحرية فسقط التنين على الأرض كالصريع وليس فيه دليل على الحياة غير هزات رأسه الذي صار يتمايل واهناً منهكاً . واذ ذاك ذرت ميديا عليه شيئاً من مسحوق أعشابها فانطبق شدقه وأغمضت عيناه وصرعه النوم فتمدد تحت الشجرة المقدسة فأسرع ياسون بانتزاع الجزة وعاد مسرعاً الى السفينة برفقة ميديا .

تحلق الأبطال حول ياسون وميديا وقد غمرتهم الدهشة وراحوا يتأملون الجزة بذهول وانبهار ، لكن الوقت لم يكن ليمهلهم ، اذ كان عليهم ان يغادروا كالخيدا قبل أن يكتشف اييت سرقة الجزة فضرب ياسون على السلاسل التي كانت تقيد آرغو الى الشاطىء فقطعها وأمسك كل من الأبطال بمجذافه وكانت ضربة قوية شقت صدر الماء وانطلقت السفينة سريعة كالسهم متجهة نحو البحر ، وتتالت ضربات الأبطال رتيبة قوية فنزلت السفينة في البحر ومضت تمخر عبابه وتلاشت صورة المدينة شيئاً بعد شيء .

وفي الصباح الباكر بلغت اييت انباء اختفاء الجزة الذهبية وهرب ابنته مع الارغوناوتيين فغضب غضباً شديداً وأمر أهل مدينته أن يخرجوا جميعاً إلى الشاطىء ولما اكتشف اختفاء الارغوناوتيين وابتعادهم جهز حملة كبيرة من بني مدينته وأمرهم باللحاق بالأعداء وهددهم بالموت ان هم عادوا بدونهم فانزلت السفن الى الماء وضربت الماء بالمجاذيف وخرجت الحملة بقيادة ابسيرت ، ابن الملك .

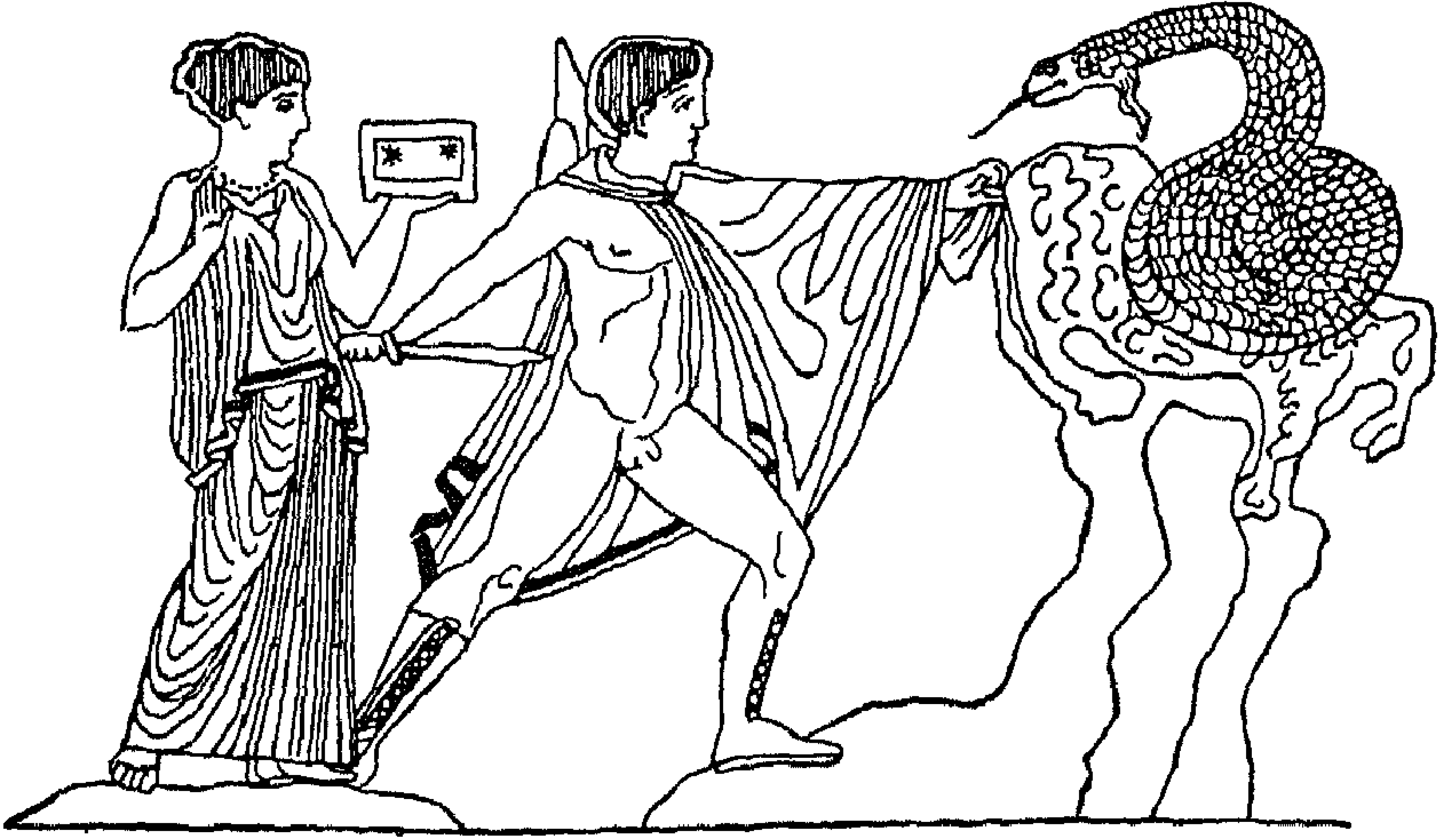
عودة الأرغوناوتيين إلى بلادهم

رفع الارغوناوتيون أشرعة السفينة البيضاء وانطلقوا فوق أمواج پونت الايقسكيني فبلغوا شطآن سكيفيا في اليوم الثالث وهناك قرروا الاتجاه شمالاً عبر نهر ايستر ثم الخروج إلى بحر الادرياتيك[1] من خلال أحد فروع ذلك النهر، لكنهم ما ان وصلوا مصبه حتى وجدوا الكالخيديين قد أمسكوا عليهم المنافذ وملأوا جميع الجزر المجاورة وكانوا قد نزلوا في تلك الاماكن اختصاراً للمسافة وخشي الارغوناوتيون الدخول في معركة مع حشود خصومهم الجرارة المجهزة بأحسن الأسلحة ولذلك لجأوا الى الحيلة فأرسلوا وفداً للتفاوض مع أبسيرت قائد جيش العدو، وحمّله ياسون أثمن الهدايا فاتفق الوفد مع ياسون ان توضع ميديا في احد المعابد ثم يحتكم بشأنها الى ملك أقرب مدينة مجاورة. أما بشأن الجزة الذهبية فقد بلغ الوفد ابسيرت بأنها من حق ياسون لأنه نفذ جميع شروط المهمة التي وعد بها ايبيت.

لكن غاية تلك المفاوضات ما كانت الا كسب الوقت فقد كانت ميديا تريد استدراج أخيها الى المعبد في احدى الجزر، وقبل ابسيرت فجاء الى المعبد المنعزل لكنه ماكاد يطأ العتبة بقدمه حتى ابتدره ياسون بسيفه فقتله وبذلك اقترف وميديا جريمة لا مثيل لها اذ سفكا في المعبد دم انسان أعزل. وأخذ ياسون جثة ابسيرت فقطعها ورماها في مياه ايستر؛ وارتعدت فرائص الكالخيدين للعملية الرهيبة فمضوا يلتقطون أجزاء جثة قائدهم بينما مضى الارغوناوتيون صعوداً في النهر يتابعون طريقهم.

---

١ - بسبب معرفتهم المحدودة بالأرض كان اليونانيون يعتقدون ان نهر ايستر (الدانوب حالياً) يتصل ببحر الادرياتيك بواسطة أحد فروعه.



ياسون وميديا يأخذان الجزة الذهبية .

(رسم على مزهرية).

ومازال اليونانيون يضربون في مياه النهر حتى بلغوا أحد فروعه فوجوه واتجهوا شطر الادرياتيك حتى بلغوا شواطىء ايليريا وهناك استقبلتهم عاصفة هوجاء فارتفعت الأمواج المزبدة عالية كالأطواد وماجت الأعاصير وكأنها افلتت من سلاسلها فمضت تصطرع فوق البحر وتمزق أشرعة السفينة . وأنّت ارغو تحت ضغط الأمواج وانحنت جوانبها وصارت تتخبط كقشة صغيرة ، وتحطمت المجاذيف في سواعد الأبطال وخيم عليهم شبح الفناء ، وفجأة تردد عند مؤخرة السفينة صوت كان مصدره قطعة البلوطة المقدسة التي وضعتها أثينا . وأهاب الصوت بالارغوناوتيين ان يتجهوا الى الساحرة كيركا لكي تطهر ياسون وميديا من دنس الدم الذي أراقاه . فما ان وجه الأبطال رأس سفينتهم نحو الشمال حتى هدأت العاصفة واستقرت الأمواج فأدرك الجميع ان تلك مشيئة الآلهة .

وعبر الأبطال نهري ايريدان ورودان فدخلوا الى البحر التيريني ومازالوا يضربون في أمواجه حتى انتهوا الى الجزيرة السحرية التي تسكنها كيركا ، اخت

ايبت فقامت هذه بتطهير ياسون من رجس الدم وذلك بأن قدمت قرباناً للاله زيوس الذي يطهر من الآثام وصبت دم الذبيحة على يدي ياسون ثم وقفت بجانب المذبح واقسمت على الايرينات الا يلاحقن البطل بغضبهن . ولم تمنع كيركا بركتها عن ميديا فقد لمحت في عينيها بريقاً خاصاً توسمت فيه عودتها بنسبها الى هيليوس ، أبيها فخلصتها من خطيئتها وبرأتها من اثم الجريمة .

وانطلق الأبطال في طريقهم الطويل فخاضوا ألواناً من الأهوال والمخاطر فدخلوا بين سكيلا وهاريبدا حيث كان يترصدهم هلاك محقق لولا ان هبت هيرا المجيدة فخلصتهم . وابحروا بجوار جزيرة السيرينات وأصغوا الى غنائهن الفاتن الشجي وأحسوا بقوة قاهرة تجذبهم نحو تلك الجزيرة لكن المغني اورفيوس ضرب على أوتار قيثارته وغنى بصوته فتلاشى أمام رقته وعذوبته سحر السيرينات واغوائهن وبذلك نجا الأبطال من شرهن وما زالوا سائرين حتى بلغوا صخور البلانكات التي تتعانق فوق معبر بحري ضيق وتتشابك عليه كالقناطر فتدور المياه من تحتها وتتلاطم بقوة شديدة تجعل العبور بينها مستحيلاً حتى ما كانت اليمامات التي تنقل الامبروزيا الى زيوس بمنجاة من خطر ذلك المعبر فكانت كل يوم تفقد واحدة من بينها . لكن هيرا بادرت الى نصرة الارغوناوتيين فطلبت من امفيتريتا ان تهدىء امواج البحر عند البلانكات فعبر الارغوناوتيون بسلام .

ومازال الابطال يطوون المسافات ويقربون الأبعاد حتى وصلوا الى جزيرة الثياكيين فنزلوا فيها وخرج ملكها الكينوي لاستقبالهم والاحتفاء بهم ودعاهم الى النزول في قصره فاطمأنت نفوس الأبطال للراحة بعد العناء وقرت عيونهم للهدوء بعد ما لقوه من أهوال ومصاعب لكنهم ما كادوا أن يمضوا سحابة ذلك النهار عندما خرجت جيوش الكالخيديين من البحر ونزلت الى الجزيرة مطالبة بميديا . فتأهب الأبطال للقتال واستعد الفريقان للمعركة الا ان الملك الكينوي وقف بينهم ووعدهم بأن يجد للامر حلاً فافترقوا بانتظار مايراه . واصدر الملك حكمه بأن تعود ميديا الى ذويها اذا كانت لم تتزوج بعد بياسون ، فأنفذت الملكة الى ياسون رسولاً تحت جنح الظلام ليخبره بحكم زوجها فأسرع البطل الى ميديا وأقاما معاً مراسيم الزواج ولما كان صباح اليوم التالي أقسم أمام جميع الكالخيديين والثياكيين بانه

متزوج من ميديا فقضى الملك بوجوب بقائها إلى جانبه . وهكذا عاد الكالخيديون الى بلادهم دون ان يحققوا ما أرادوه .

مكث الارغوناوتيون في الجزيرة حتى استراحوا وجددوا قواهم فودعوا مضيفيهم الكرماء وخرجوا يضربون في لانهايات البحر الشاسعة حتى تناهت أمام أنظارهم شطآن البيلوبونيز فاتجهوا نحوهاواذا باعصار غاشم يضطرب هائجاً هداراً فتتلاطم الأمواج كالجبال وتعود بالسفينة من جديد إلى أعماق اللجة القاصية وما تزال تضربها حتى تنتهي الى شاطىء ضحل مقفر عديم المياه فتتوقف في مياهه مترنحة مفككة وإذا بالأعشاب المتشابكة تلتف حولها وتشدها بقوة نحو القاع . وبهذا يئس الأبطال من الخلاص ونكس لينيكوس هامته وقد تلاشى لديه آخر أمل بالعودة . ونزل الارغوناوتيون إلى البر قانطين يائسين يكاد أحدهم يحس بيد الفناء تلمس كل جارحة فيه . وبينما هم كذلك اذ خرجت الحوريات من البحر فاتجهن الى ياسون وأخبرنه أنه في ليبيا[1]، وبأن على رجاله ان يتريثوا حتى تطلق امعيترينا جيادها فيرفعوا السفينة على مناكبهم ويسيروا بها عبر الصحراء الليبية . ووقف الأبطال يفكرون باللغز فمتى تطلق امفيتريتا جيادها ؟ وبينا هم على هذه الحال انبثق من أعماق البحر جواد ناصع البياض وصفق بجناحيه في الفضاء وطار من أمامهم حتى غيبته آفاق الصحراء فهرع الأبطال الى السفينة وأخرجوها من الماء ورفعوها على أكتافهم ومضوا بها عبر الصحراء . وما زالوا سائرين تحت سياط الشمس وبرغم العطش الشديد حتى كان اليوم الثاني عشر فأطلوا على بلاد الهسبريد ، وهناك استقبلتهم الهيسبريدات وأرشدنهم الى الينبوع الذي فجره هرقل من الصخرة فشربوا وتزودوا بحاجتهم من الماء وتابعوا مسيرهم نحو بلادهم لكنهم دخلوا بحيرة تريتون وهم يحسبونها البحر الذي يؤدي بهم الى اليونان ، واذ ذاك أشار اورفيوس عليهم فأقاموا ركيزة لاله البحيرة وبعد قليل ظهر أمامهم فتى بهي الطلعة رشيق القامة ، فتقدم منهم وقدم الى ايثفيموس قبضة من التراب رمزاً لقبوله نزولهم ضيوفاً عليه كما أرشدهم الى منفذ يسلكونه الى البحر . وذبح

---

١ ـ أطلق اليونانيون اسم ليبيا على كل الشاطىء الافريقي الممتد الى الغرب من مصر .

الأبطال بعد ذلك كبشاً عظيماً تقربة من الآلهة فظهر أمامهم الإله تريتون بنفسه وأمسك بسفينتهم وسار بها قريباً من الصخور الشامخة البيضاء حتى انتهى بها الى البحر العريض ، فتابع الأبطال رحلتهم حتى وصلوا الى جزيرة كريت فتوقفوا ليتزودوا بالماء لكنهم فوجئوا بمقاومة المارد النحاسي تالوس وصده . وكان ذلك المارد هدية من زيوس مرسل الصواعق الى مينوس ملك كريت وكان يقوم على حراسة شطآن الجزيرة بطولها فتلت ميديا عليه تعاويذها وطلاسمها فهوى الى الأرض وسقط منه المسمار النحاسي الذي كان يقفل الشريان الوحيد الذي تجري فيه دماؤه وبذلك تفجرت تلك الدماء فغطت وجه الأرض كالقصدير المسفوح ومات المارد فنزل الأبطال الى الشاطىء وأخذوا حاجتهم من المياه .

ثم غادرت السفينة كريت وبينما هي متجة الى اليونان أسقط ايثفيموس قبضة التراب التي سلمت اليه في بحيرة تريتون فتشكلت منها جزيرة سماها الارغوناوتيون بجزيرة كالّيستا[1] وقد استوطنها أحفاد ايثفيموس فيما بعد وسميت بجزيرة ثيرا .

وتابعت السفينة سيرها بأمان وسلام لكن عاصفة هوجاء أحدقت بها في حلكة الليل وصارت تتلاعب بها كقشة صغيرة حتى كان الأبطال يتوقعون في كل لحظة ان يرتطموا بحجر تحت الماء أو بصخرة على الشاطىء . ومازالوا يضربون في تلك المتاهات تحت جنح الظلام واذا بنور يخطف البصر ويغمر البحر كله فنظروا نحو مصدره فرأوا سهاماً الآقة نيّرة تمزق ظلام الفضاء البعيد وتنير امامهم السبيل فساروا على هديها حتى بلغوا جزيرة أناخي ومكثوا يترقبون حتى هدأت العاصفة واستقرت الامواج فخرجوا من جديد يقطعون البحر ومازالوا في مسيرهم حتى وصلوا ايولك دون ان تعترضهم بعد ذلك المصاعب .

ولما نزل الابطال في ايولك قدموا للآلهة أثمن القرابين لأنهم نصروهم وشدوا أزرهم في الطريق الطويل وخلال الرحلة الشاقة . وفرحت المدينة بأسرها لعودة الأبطال وأقامت الاحتفالات تحية للبطل المجيد الذي عاد بالجزة الذهبية .

---

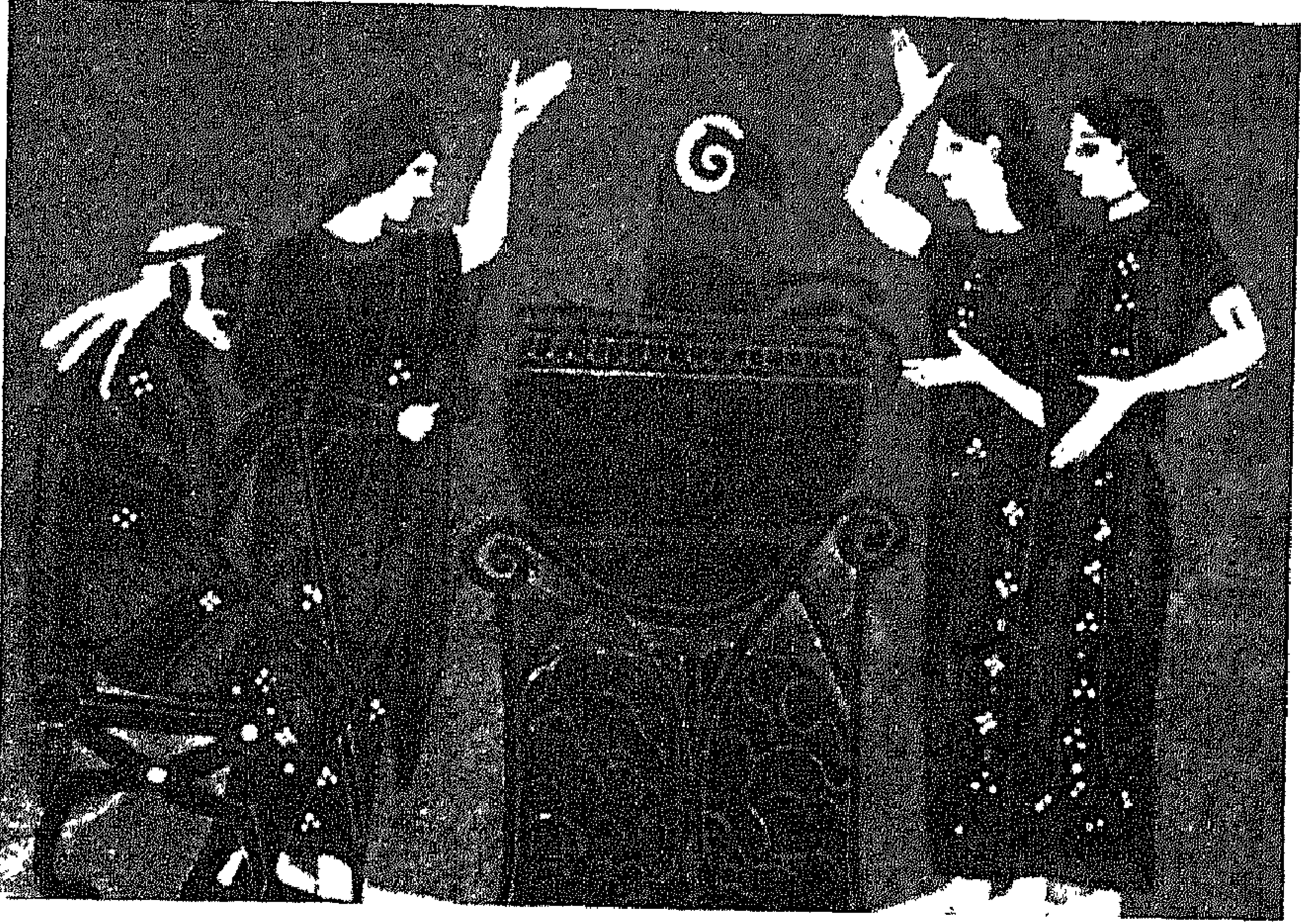
١ ـ جزيرة سانتورين حالياً .

٢ ـ جزيرة أنافي حالياً .

ياسون وميديا في ايولك
مصرع پيلياس
عن منظومة اوڤيدي « ميتامارفوز »

لم يبر بيلياس بالعهد الذي قطعه ولم يرد لياسون عرش آبائه وأجداده فأضمر ياسون ذلك في سره وصمم على الثأر منه بطريقة رهيبة وساعدته ميديا فيما أراده . واتفق ان طلب ايسون ، والد ياسون من الساحرة العظيمة ان تعيد اليه الشباب ، كما رجاها ياسون ان تنجز ذلك فقبلت ان تفعل اذا ما ساعدتها الالهة هيكاتا .

انتظرت ميديا حتى أصبح القمر بدراً فخرجت من منزلها وقد انتصف الليل واطمأن كل شيء في أحضان الكرى وساد الصمت والهدوء فما زالت تسير حافية صامتة وقد حلت شعرها وتسربلت بالسواد حتى انتهت الى مفترق طرق ثلاث فرفعت يديها نحو السماء وهتفت بصوت عال مرات ثلاثاً ثم ركعت على ركبتيها وأخذت تقرأ التعاويذ والطلاسم فاستعانت بالليل ونجوم السماء وبالقمر وبالأرض والرياح والجبال والانهار واستجارت بآلهة الغابات والليل . وابتهلت الى الالهة هيكاتا المجيدة ان تصغي اليها وتهب لنجدتها وإذ بمركبة عظيمة تنزل الى الارض وقد شدَّ الى كل ساعد من سواعدها تنين مجنح فأخذت ميديا تجمع الأعشاب والجذور السحرية من الجبال والغابات وشطآن الأنهار والبحار حتى مضت تسعة أيام وتسع ليال وهي منصرفة الى عملها ثم عادت الى منزل ايسون فأقامت مذبحاً لهيكاتا وآخر لآلهة الشباب وحفرت أمام كل من المذبحين حفرة ونحرت فوقهما النعاج السوداء بعد أن دهنتها باللبن والعسل ، ثم استجارت بهيكاتا ، الهة الظلام والسحر وتوسلت الى هاديس وبيرسيفونا ، ملكي العالم السفلي ألّا يضنا على ايسون بالحياة . وأخيراً استدعت ايسون وقرأت عليه من تعاويذها وسحرها حتى أغفى فمددته فوق الأعشاب السحرية ثم أخذت عصائر الحشائش فغلتها في قدر نحاسي حتى فارت وغطاها الزبد الأبيض فحركتها بغصن يابس نخر واذ به يخرج أخضر مكسواً بالأوراق ، واذ بالثمار الغضة تغطيه وتتناثر منه القطرات على الأرض فتستحيل زهوراً وأعشاباً خضراء ، وبذلك ادركت ميديا ان السائل قد



ميديا تحيل الكبش حملاً (رسم على مزهرية).

نضج فأخذت سيفاً حاداً وجرحت به حنجرة الشيخ العجوز وفصدت دماءه الفانية وصبت السائل السحري من ذلك الجرح فسرى في عروقه وحدثت المعجزة ! فقد اسود شعر رأس العجوز وتلاشت الغضون عن وجهه ورق مظهره وتورد خداه وافاق فألفى نفسه شاباً فتياً نضراً .

ولما رأت ميديا نجاح خطتها قررت الاقتصاص من بيلياس فأقنعت بناته بقدرتها على ان تعيد لأبيهن الشباب وزادت من التأثير عليهن فأخذت كبشاً وذبحته أمام أعينهن ورمت به في السائل المسحور ثم أخرجته حملاً ناعم الملمس فبهرت الفتيات ، ووافقن على اجراء العملية لأبيهن . وأعدت ميديا سائلاً عادياً خالياً من السحر وتمكنت من بيلياس فنومته وأدخلت بناته الى مخدعه وأمرتهن بقطع حنجرته لكنهن أبين فصاحت بهن :

ـ أيتها الغبيات ، عجلن بامتشاق السيف وانزحن من عروق ابيكن دماءه الهرمة لأبدله بها دماء جديدة فتية .

وطال تردد الفتيات ، الا انهن انقلبن فجأة جريئات فجردت كل منهن حساماً وطعنت به أباها طعنة نجلاء فهب من نومه مثخناً بالجراح ومد نحوهن يديه الواهنتين وهتف :

ـ ماذا أنتن فاعلات يا بناتي !

ما الذي دفعكن الى رفع أيديكن على أبيكن ؟!

تراخت أيدي الفتيات رعباً ووقفن شاحبات الوجوه مرتعشات ذاهلات أما ميديا فقد هرعت إلى بيلياس وأغمدت مديتها في عنقه وألقت به في القدر الغالي وما هي الا برهة وجيزة حتى ظهرت المركبة السحرية فوثبت ميديا الى داخلها وغابت عن أعين الفتيات .

وأقام ادراست ابن بيلياس احتفالاً جنائزياً فاخراً لأبيه ، وأقام المباريات فتبارى كاستور وبوليديوكيس وايثفيموس في سباق المركبات وتبارى ادميت وموبس في الملاكمة ونزل اتلانت لبيليوس في المصارعة وفاز ايثيكل في سباق الجري وكان الإله هرمز حكماً في جميع هذه المباريات .



ميديا

(من رسم على مزهرية يعود إلى نهاية القرن الخامس ق . م) .

لكن ياسون لم ينجح برغم ذلك في الوصول الى عرش ايولك ، فقد أجبره ادراست على النزوح عن ايولك بعد ما فعلته زوجته فخرج واياها قاصدين كورينث .

ياسون وميديا في كورنث . مصرع ياسون

عن مأساة يوريبيد «ميديا»

نزح ياسون وميديا عن ايولك بعد قتل بيلياس ولجآ الى كريبونت ، ملك كورنيث حيث أنجبا اثنين من الأطفال وبدأت تباشير السعادة ترفرف على منزلهما حتى في ديار الغربة . لكن الاقدار انقلبت فجأة عليهما فقد وقع ياسون في هوى غلافكا الفاتنة ، ابنة كريبونت وصمم على الاقتران بها غير مكترث بالوعود المقدسة التي قطعها لزوجته الوفية ميديا . واستشار أباها في الأمر فرضي به زوجاً لابنته وهو البطل الأشهر .

علمت ميديا بخيانة زوجها فتملكها اليأس والقنوط لانها لا تزال مقيمة على حبه ، أمينة لعهود الزواج . وهكذا ركنت الى حجرتها حزينة صامتة كحجر لا حياة : فيه ، وأبت نفسها سماع العزاء ، ثم بدأ الغضب الحاقد يسيطر عليها ، فروحها الأبية الوثابة لا تستكين للاهانة وهل يمكنها ان تنام على الضيم وهي حفيدة اله الشمس وابنة ملك كالخيدا العظيم . لا ، بل انها رهيبة عندما تغضب ولا بد ان يكون انتقامها رهيباً كحقدها وغضبها . وهكذا تقرر المرأة الغاشمة ان تقتص من جميع من أساؤوا اليها فلا ترحم منهم أحداً .

وتعصف بروحها سورة الغضب فتلعن ولديها وزوجها وتتوسل الى الآلهة ان ينزلوا عليها صاعقة تقصف حياتها وتخلصها من عذابها وآلامها ، فما الذي حدا بزوجها الى خيانتها وهي التي خلصته من براثن الموت تحت أقدام الثيران المتوحشة ، وأغمضت من أجله عيون التنين فتمكن من أخذ الجزة الذهبية ومن أجله استدرجت أخاها وأوردته موارد الموت وقتلت الملك بيلياس في سبيله لتمكّنه من عرش ايولك المنيعة . وتمزّق الآلام جوارح المرأة المهجورة المغدورة ويستبد بها

العذاب فتستصرخ زيوس ، اله الآلهة ، وفيميدا ، ربة العدالة ان يشهدوا ظلم زوجها وجوره .

ويدخل كرييونت ليأمرها بالنزوح عن كورنيث فهو يعرف بأسها وشدتها وقوة سحرها وتعاويذها ويعرف شدة غضبها عندما تغضب ، ولذلك يخشى على ابنته منها .

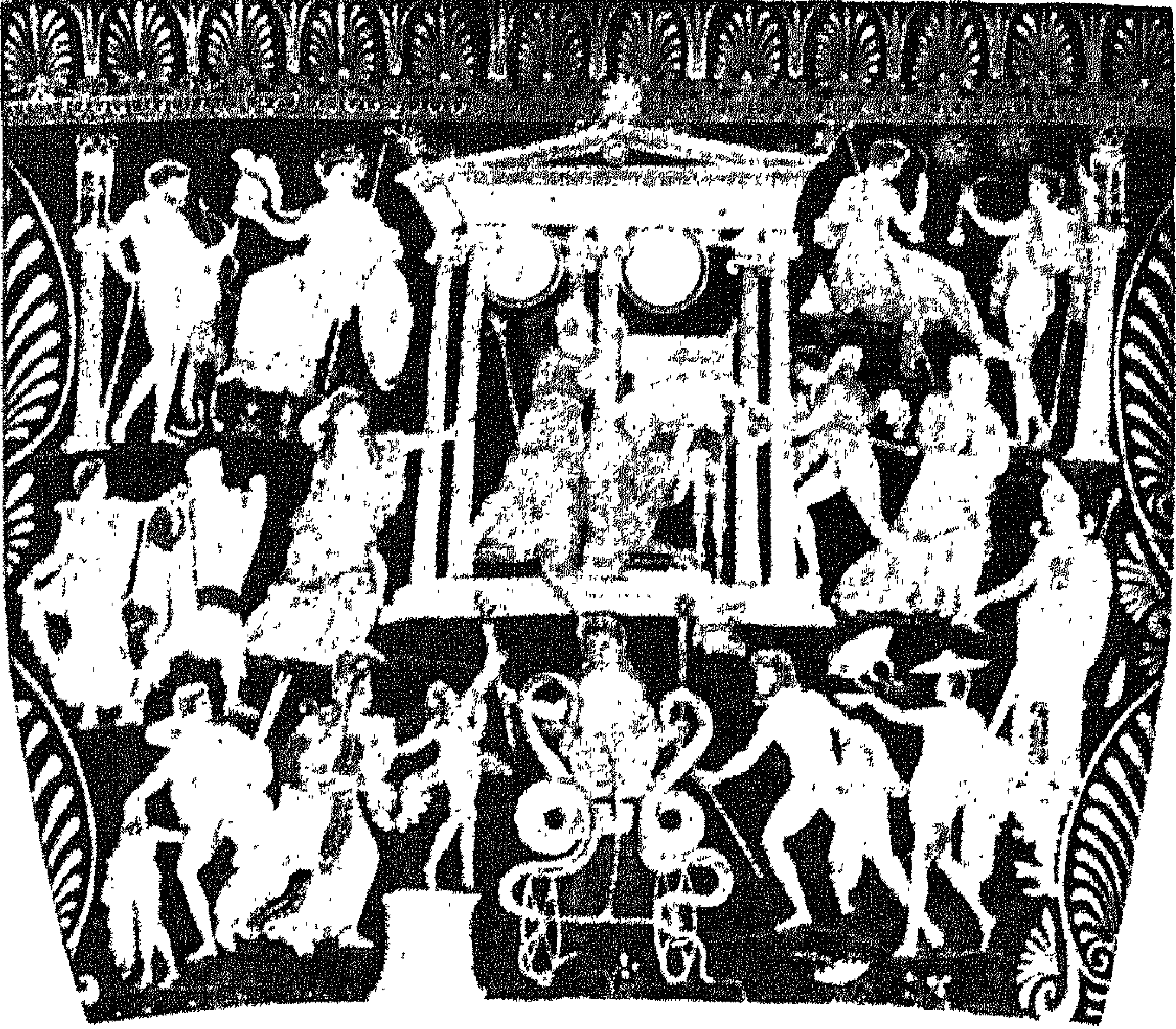
تتظاهر ميديا بالطاعة والقبول وتؤيد حق كرييونت في اخراجها من كورنيث ، لكنها ترجوه ان يسمح لها بالبقاء في مدينته يوماً واحداً فيجيبها الى طلبها لكنه يتهددها وأطفالها بالموت اذا طلعت عليهم شمس اليوم التالي في كورينث . ولكن متى كان التهديد ليثير في قلبها الذعر ، غير انها تصمم على ان تسقي كرييونت كأس المنية الذي يتوعدها به وان تنتقم من جميع أخصامها وتستشهد على ذلك بربتها هيكاتا وبالالهة سيلينا ، ذات الوجه الشاحب .

وعبثاً يحاول ياسون اقناعها بأنه من أجلها ، ومن أجل ولديها يقدم على زواجه الجديد فطفلاها سيجدان ملاذاً عند لاخوتهما ان باركت الآلهة زواجه الجديد بالأطفال . وتأبى ميديا تصديق زوجها وترميه بالخيانة والغدر وتحذره من غضب الآلهة ، وتضطرم في نفسها نيران حقد مسعور نحو ذلك الإنسان الذي طالما أحبته وضحت في سبيله ، ويخرج ياسون غاضباً متألماً تلاحقه سخريات ميديا وتهديدها .

وفي تلك اللحظة يصل ايجيوس ، ملك اثينا ، الى كورنيث ، عائداً من دلفي وهو في طريقه الى ترويسينا[1] فيحيي ميديا تحية المودة والصديق ويسألها ما خطبها وماذا ألم بها فتقص عليه قصتها وتستصرخ مروءته أن يقبلها في مدينته بعد أن أضحت منبوذة مهجورة كما تمنيه بمعسول الوعود وبأنه سيكون أباً لذرية كبيرة ان هو قبلها لاجئة في دياره فيعدها ايجيوس بذلك ويقسم لها بهيبا الهة الأرض وبجدها هيليوس ، اله الشمس وبجميع آلهة الاوليمب ، لكنه يشترط عليها أن تذهب الى أثينا لوحدها من غير رفقته فهو لا يريد الاصطدام بكرييت ، لكنه لن يسلمها أبداً للأعداء .

---

١ ـ مدينة في ارجوليدا في شبه جزيرة البيلوبونيز .



ميديا تقتل طفليها . في أعلى الصورة في القصر يظهر كريبونت وأبنته القتيلة غلافكا . في الأسفل الى اليسار تظهر ميديا وهي تقتل أحد ولديها بينما ظهر المربي الى يسارها ومعه الطفل الآخر . وفي الوسط يظهر اله الجنون اويستر يحمل مشعلاً في كل من يديه ويركب عربة شدّت اليها الأفاعي ، وظهر الى يمنيه ياسون وقد هرع مسرعاً لاغاثة ولديه . أما الشخص الظاهر في أقصى اليمين والذي يرتدي المسوح الطويل ويحمل الصولجان في يده فهو ابيت ، والد ميديا ، وقد وقف محمولاً على سحابة (رسم على مزهرية) .

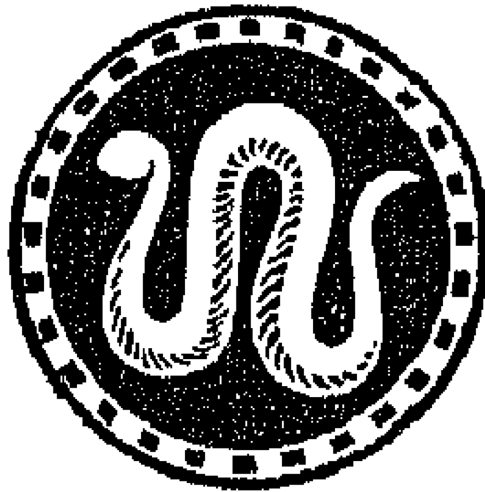
وعندما تطمئن ميديا الى مأواها تبدأ بتنفيذ خطة الإنتقام ، وتحتدم في أعماقها شهوة الثأر فتقرر قتل ولديها أيضاً فترسل جاريتها لتدعو اليها ياسون ، ولما يمثل امامها تتظاهر امامه بالرضى والطاعة وبالاذعان لارادة الأقدار وارادته لكنها ترجوه ان يقنع كرييونت بالسماح لولديها بالبقاء في كورنيث ، ويظهر الطفلان فتبكي

ميديا وتحتضنهما وتقبلهما فقلبها يفيض بحبهما لكن شهوة الانتقام تقهر في أعماقها عاطفة الأمومة .

تتظاهر ميديا بانها تريد إغراء غلافكا بقبول طفليها في بيت ياسون الجديد فترسل لها ثوباً مزركشاً نفيساً واكليلاً مرصعاً ثميناً ، لكن تلك الهدية تحمل في طياتها الموت ، فما كادت غلافكا ان تلبس الثوب وتضع الاكليل على رأسها حتى نفذ في بدنها السم الناقع الذي خضبت ميديا به الثوب ، بينما أخذ الاكليل يضغط على رأسها ويعتصره ، واخذت الفتاة تصرخ وتتلوى على الأرض ونيران السم تكوي جسمها لاهبة محرقة ، ويهرع أبوها اليها فيلحق بها في ساعة احتضارها فيضمها إليه واذا بالثوب يلتصق بجسمه فيحاول رميه عنه لكن قطع لحمه تنهار مع مزق الثوب ، وهكذا يموت الأب وابنته ضحية الهدية الرهيبة .

تسمع ميديا بموت الوالد وابنته وهي عند مدخل القصر فتفرح لذلك ، غير ان ذلك لا يروي غليلها فتقرر قتل ولديها الصغيرين لزيادة آلام ياسون ويزيدها تصميماً على ذلك خوفها مما يترصد ذينك الصغيرين من خطر عندما يهب أقرباء كرييونت للإنتقام فتدخل القصر مسرعة وهناك يتردد صراخ الطفلين فيسمعهما ياسون ويسارع الى انقاذهما، لكنه يلقى باب القصر موصداً فيحاول خلعه وفجأة تظهر ميديا في الفضاء محمولة على مركبة أرسلها الاله هيليوس ، ويلمح الأب جثتي طفليه مطروحتين عند قدمي امهما فيضرع اليها ان تتركهما له لكي يقوم بدفنهما ، لكنها تضن عليه حتى بهذه السلوى وتمضي على عربتها المسحورة لتغيب في الفضاء .

وتتالت حياة ياسون كئيبة عديمة المسرات فما كان يستقر المقام به في أي مكان ، ومرة بينما كان يسير بجوار ايستم لمح سفينته آرغو وقد أخرجها الارغوناوتيون الى الشاطىء نذراً للاله بوسيدون فتمدد تحتها ورقد في ظلها وقد أنهكه الحر والتعب ، وبينما كان غارقاً في نومه انهارت عليه السفينة التي اعتراها القدم ونخرتها عاديات الزمن فدفنته تحت حطامها .



٢) قصص طروادة

أخذت قصص طروادة عن «الياذة» هوميروس وعن مأساتي سوفوكليس «أياكس ، رامي القرص» و «فيلوكتيت» ومآسي يوريبيد «يفغينيا في اڤليدا» ، «أندروماخي» و «هيكوبا» وملحمة ڤرجيل «الاينيادة» وقصيدة اوڤيدي «البطلان» وعدد من المؤلفات الأخرى .

هيلين ، ابنة زيوس وليدا

تعرّض البطل المجيد تيندار لعدوان هيبوكوونت الذي أخرجه أيضاً من بلاده ، فهام تيندار على وجهه ردحاً طويلاً من الزمن إلى أن وجد لنفسه ملاذاً عند فيستي ، ملك ايتوليا[1] . وقد مال قلبُ الملك الى ضيفه البطل فزوجه ابنته ليدا التي كانت جميلة جمال واحدة من الالهات . ولما تغلب هرقل ، ابن زيوس على هيبوكوونت وقتله مع جميع أبنائه عاد تيندار مع زوجته الجميلة إلى سبارطة[2] حيث تسلم مقاليد الحكم من جديد .

وأنجبت ليدا أربعة أبناء : فكانت هيلين وبوليديوكيس ولديها من زيوس ، مرسل الصواعق ، وكانت كليتيمنسترا وكاستور من تيندار .

---

١ ـ منطقة في غرب اليونان الوسطى

٢ ـ المدينة الرئيسة في منطقة لاكونيا بالبيلوبونيز

كانت هيلين فتاة آسرة الجمال لا تجاريها في الفتنة والجاذبية أية واحدة من الفانيات حتى ان الغيرة منها سرت الى قلوب الأمهات . وذاعت شهرة جمالها في جميع أرجاء اليونان وبلغت مسامع تيسيوس بطل أتيكا الأعظم فأقدم على اختطافها ، لكن أخويها بوليديوكيس وكاستور تمكنا من تخليصها وإعادتها إلى قصر أبيها . وأخذ الخطاب يتوافدون على قصر تيندار طلباً ليد الفتاة الرائعة وكلٌّ منهم يحلم بأن تكون من نصيبه . غير أن والد الفتاة لم يوافق على طلب أي منهم إذ كان يخشى أن تسعى الغيرة في قلوب الآخرين فيعلنوا ضده الحرب وتكون فتنة كبرى . غير ان الداهية اوديسيوس تقدم إلى تيندار بنصيحته فقال له :-

- دع ابنتك تختر زوجها بنفسها ؛ وليقسم جميع الخطاب الآخرين على الاّ يرفعوا سلاحاً في وجه من تختاره ، بل وأن يبذلوا ما في وسعهم لنصرته اذا ما دعاهم الى ذلك !

وأخذ تيندار بنصيحة أوديسيوس وأدّى الخطاب اليمين واختارت هيلين عريسها فكان مينيلاوس ، الابن الرائع لأتريوس .

وتزوج مينيلاوس بهيلين وصار ملكاً على سبارطة بعد وفاة تيندار ، وبدأ حياة هانئة وادعة في قصره غافلاً عما يخبئه له زواجه من مصائب ومحن .

بيليوس وفيتيدا

كان البطل بيليوس الشهير ابناً للحكيم ايياك ، ابن زيوس وايغيتا ابنة اله النهر آسوب . وكان تيلامون أخاً لبيليوس وصديقاً لهرقل ـ الأمجد بين الأبطال . وقد حكم عليهما مرة بالنفي من بلديهما لأنهما قتلا أخاً لهما بسبب من الغيرة . فهاجر بيليوس إلى بلاد فتيا[1] الغنية حيث استقبله البطل ايفريتيون وأعطاه ثلث أراضيه كما زوجه ابنته انتيغونا ، لكن المقام لم يطل به في فتيا ، فقد صدف أن قتل ايفريتيون خطأً أثناء الصيد الكاليدوني وحزن بسبب ذلك حزناً شديداً وهاجر من جديد إلى ايولك حيث كانت تتربص به مصيبة جديدة . فقد وقعت زوجة الملك أكاست في هواه ، وتوسلت للوصول اليه بكل أساليب الغواية ، لكن بيليوس رفض جميع اغراءات المرأة المتيمة ، فصممت على الايقاع به وأوغرت عليه صدر زوجها فاتهمته بتدنيس حرمة البيت الذي نزل فيه ، وصدق أكاست كلام زوجته وقرر أن يزهق روح صديقه الضيف . وخرجا مرة إلى الصيد فوق سفوح بيليون الكثيفة ؛ واغتنم أكاست فرصة استغراق بيليوس في نومه العميق تحت وطأة التعب فأخفى سيفه السحري الذي كان هدية من الآلهة والذي لا يهزم صاحبه ما دام مسلحاً به . وابتعد اكاست مطمئناً الى أن القناطير البرية ستقضي على صاحبه بعد أن جرد من سيفه ؛ لكن القنطور خيرون الحكيم هب لنصرة بيليوس فساعده في العثور على سلاحه ، حتى اذا انقضت عليه القناطير البرية لتمزقه استطاع ان يقهرها بسيفه البتار ، وأن ينجو من هلاك محقق ثم أن ينتقم من أكاست الذي خانه في الغابة ، فتمكن بمساعدة الديوسكور كاستور وبوليديفك من أخذ ايولك الغنية ومن قتل أكاست وزوجته .

وعندما كشف العملاق بروميثيوس السر العظيم وقال بأن زواج زيوس

---

١ ـ مدينة في فيساليا تقع على شاطىء خليج بيغاس من بحر ايجة .



بيليوس يصارع فيتيدا
(رسم على مزهرية)

بفيتيدا يجيء بمولود يبزّ أباه قوة ويزيحه عن عرشه أشار على الآلهة بأن تزوَّج فيتيدا من بيليوس فمن ذلك الزواج يولد بطل عظيم . واستقر رأي الآلهة على ذلك الا انهم اشترطوا لإتمام الزواج أن يقهر بيليوس الالهة فيتيدا في ميدان المصارعة .

وعندما قام الاله هرمز بابلاغ بيليوس برغبة الآلهة اتجه البطل الى الكهف الذي تأوي اليه الالهة لتستريح بعد خروجها من لجة البحر ، وهناك اختبأ وراح يترقب مجيئها حتى اذا خرجت من أعماق الماء ودلفت الى الكهف الظليل انقض بيليوس عليها وشدها بذراعيه القويين فحاولت الالهة ان تتخلص منه واتخذت من أجل ذلك هيئة اللبوة والأفعى واستحالت ماءً لكن بيليوس لم يتركها بل ظل يمسك بها بقوة إلى أن تلاشت قواها فكان عليها أن تصبح زوجة لقاهرها .

وأقام الآلهة مأدبة الزواج الفاخرة في المغارة العظمى حيث يسكن الحكيم خيرون . وشارك في الاحتفال جميع الآلهة فتعالت أنغام قيثارة أبولون ، وعلى ألحانها الشجية غنت ربّات الفن الأمجاد العظيمة التي يجترحها ابن بيليوس وفيتيدا ، وانتظمت الالهات المجيدات في حلقة رقص كبيرة فتألقت كل واحدة بما تميّزت به من فتنة وجمال الّا ان الربة أفروديتا فاقتهن جميعاً بشبابها الخالد ونضرتها الساحرة . واشترك في الحفل هرمز ، رسول الآلهة ، السريع كالخاطر كما شارك فيه الاله آريس رب الحروب الغاضب ، وقد أنسته بهجة الحفل معاركه الدامية . ثم قدم الآلهة هداياهم النفيسة الى العروسين وقدم خيرون الى بيليوس رمحه الذي صنعت قناته من شجر السنديان الذي يضاهي الحديد قوة وقدم الاله بوسيدون له حصانين أما بقية الآلهة فاتحفوه بأسلحة سحرية بديعة .

عمت مباهج الفرحة الجميع باستثناء ايريدا ، ربّة الخصام التي لم تدع الى الحفل فراحت تطوف وحيدة حول مغارة خيرون وقلبها يتقد بحقد شرير . واهتدت أخيراً الى فكرة تحقق بها انتقاما من الآدبين فاخذت تفاحة ذهبية من تفاح الهسبريد البعيدة وخطت عليها عبارة واحدة : ـ «الى الأجمل» وتقدمت بهدوء من المائدة دون أن يحس بها أحد فالقت بالتفاحة فوق المنضدة . ولمح الأدبون التفاحة ورفعوها وقرأوا ما كتب فوقها . ولكن من هي الأجمل بين الحاضرات ؟ وسرعان ما استعر الشقاق بين الربات الثلاث : هيرا زوجة زيوس ، وأثينا الربة المحاربة ، وأفروديتا ربة الحب . فكل واحدة منهن تريد أن تستأثر بالتفاحة ولا تقبل بأن تتخلى عنها لسواها . فاتجهن معاً الى زيوس ، كبير الآلهة ، طالبات منه أن يحسم الخصام .

وكان صعباً على زيوس أن يتخذ قراره في هذه القضية ، فأخذ التفاحة وأعطاها لهرمز وأمره أن يذهب بالربّات إلى ضواحي طروادة حيث يرعى باريس ابن بريام قطعانه فوق سفوح ايدا الشاهقة فيطلب منه أن يقرر من هي الأجمل بين الآلهات . وهكذا انتهى الاحتفال الى خصومة شديدة جرّت الكثير من الويلات على بني البشر .

قضاء باريس

انطلق موكب الآلهة نحو سفوح ايدا حيث يرعى باريس الجميل قطعانه ، وكانت أمه هيكابا قد رأت قبل ولادته حلماً مخيفاً كان السبب في إخراجه من طر وادة . فقد رأت المرأة فيما يراه النائم كأن حريقاً مهولاً يجتاح مدينتها فانتبهت من نومها وقصت الحلم على زوجها ، فاستدعى المنجم الأعظم ليكهن له ما يعنيه الحلم ، فقال المنجم بأن هيكابا تضع مولوداً يكون سبباً في دمار مدينته . ولهذا فقد انتظروا مولد الطفل حتى اذا ولد دفعوا به على الفور الى راع اسمه أغيلاي وأمروه أن يمضي به الى سفوح ايدا البعيدة ويرميه هناك في ظلمات الغابة . لكن الوليد لم يكتب عليه الهلاك فقد عثرت عليه دبّة هناك وأرضعته ثم وجده أغيلاي بعد مرور عام فأخذه وربّاه كواحد من أولاده وأسماه باريس . وهكذا نشأ الطفل بين الرعاة وترعرع وكبر حتى صار فتى قوياً خارق الجمال بزّ أقرانه جميعاً في الشجاعة والاقدام فكان يحمي القطعان والرعاة من هجمات الوحوش المفترسة ومن قطاع الطرق حتى اشتهر بالقوة والجرأة فلقبوه الكساندر (أي قاهر الرجال) وأخذت أيامه تمضي هادئة مطمئنة وكان الفتى سعيداً قانعاً بما قسم له .

في تلك المرحلة من حياة باريس أطلت عليه الالهات برفقة هرمز فذعر الفتى لرؤيتهن وتأهب للفرار ، لكن هرمز أوقفه وخاطبه بكلماته الرقيقة وقدم إليه وديعة زيوس قائلاً .

ـ إليك بهذه التفاحة يا باريس ! أمامك الالهات الثلاث الأعظم بين الآلهة فاقض من هي الأجمل بينهن وقدم لها التفاحة ، فقد كانت مشيئة زيوس أن تكون الحكم في هذا النزاع .

أحس الفتى بكثير من الحرج وأخذ يردد نظره بين الالهات حائراً في أمره وأمرهن فأخذت كل واحدة تحاول استمالته إلى جانبها واعطاءها التفاحة فوعدته هيرا بأن تجعل آسيا بأسرها ملك يده إن هو آثرها بالتفاحة ووعدته أثينا بأمجاد الانتصارات وأن يخرج مظفراً في كل حرب أما أفروديتا فوعدت بأن تزوجه بالأجمل

بين الفانيات ـ بهيلين ، ابنة زيوس وليدا وقطعت بذلك تردد الفتى فقدم اليها التفاحة الذهبية وهكذا حكم لربّة الحب بتاج الجمال بين الالهات فصار بذلك صفيَّها الأثير وصارت نصيرته في كل ميدان . أما هيرا وأثينا فأضمرتا له الكراهية والضغينة وانتقل غضبهما إلى طروادة ومن فيها وصممتا على محق المدينة وازالتها من الوجود .

باريس يعود إلى طروادة

لم يطل بقاء باريس في غابات ايدا بعد لقائه بالالهات . فبعد ان اقتنع بريام بأن زوجته لن تقوى على نسيان ولدها ولن تتوقف عن بكائه وذرف الدموع عليه قرر ان يقيم احتفالات كبرى ومباريات على ذكرى الطفل الذي ظنه قد هلك ، وأعلن أن جائزة الفائز في تلك المباريات ستكون أفضل ثور في قطعان الملك . وصدف أن كان ذلك الثور واحداً من القطيع الذي يرعاه باريس ؛ وقد شعر الفتى بالحزن لفراق ثوره الذي يؤثره بمحبته فساقه بنفسه الى طروادة وهناك شهد مباريات الأبطال فاتقدت في نفسه شهوة المنافسة والانتصار فاشترك في الألعاب وخرج منتصراً على جميع المتنافسين الذين كان بينهم البطل الصنديد هكتور بن بريام .

وغضب أبناء بريام لهزيمتهم أمام واحد من الرعاة ، فامتشق دييثوب ، ابن بريام ، سيفه وانقض على الفتى يريد قتله ، فاندفع باريس هارباً إلى محراب زيوس ينشد الحماية فيه ، وهناك رأته العرّافة كاساندرا ، ابنة بريام فعرفته . وكم كانت فرحة الأبوين ، بريام وهيكابا ـ عظيمة لعثورهما على ولدهما المفقود ، فمضيا به إلى القصر في احتفال بهيج ؛ وذهبت الريح بكلمات كاساندرا وهي تحذر أباها وتذكره بما تخبئه له الأقدار التي جعلت من الفتى سبباً في دمار مدينته ، لكن أحداً لم يصغ إلى كاساندرا إذ كان أبولون قد قضىٰ عليها في ما مضى بألاّ يصدق أحد كهانتها على الرغم من وقوع كل ما يجري به لسانها .

باريس يخطف هيلين

مضى زمن طويل على عودة باريس إلى بيت أبيه ، وبدا أن التحول الذي طرأ على حياته قد أنساه الهدية التي وعدته بها أفروديتا لتنال التفاحة الذهبية . لقد غدا الآن أميراً وليس مجرد راع خامل الشأن ؛ بيد ان أفروديتا جاءت بنفسها لتذكر صفيّها باريس بهيلين الفاتنة ، وقدمت له كل عون ليبني سفينة جميلة المنظر ويتجه بها إلى سبارطة حيث تقيم الفاتنة هيلين . ولم تجْدِ تحذيرات العراف غيلين ، ابن بريام في ثنيه عن عزمه ، فقد صعد باريس السفينة وانطلق يشق بها صدر البحر الفسيح البعيد الشطآن . ففاض بالأسى قلب كاساندرا وهي ترى إلى سفينة أخيها السريعة الأشرعة تمضي بعيدة عن شطآن الوطن ، ورفعت ذراعيها إلى السماء وصاحت



قضاء باريس . يظهر باريس في الوسط والى يمينه اثّينا وهيرا
وتظهر على يساره أفروديتا ومعها اله الحب ايروس

- الويل ، الويل لطروادة العظمى ولنا جميعاً ! انني أرى ايليون المقدسة تلتهمها ألسنة النيران وأرى أبناء ايليون وقد تساقطوا جثثاً مضرجة بالدماء ! وأرى الأغراب يسوقون نساء طروادة وبناتها عبيدا !

تلك كانت صرخة كاساندرا ، لكن أحداً لم يصدقها ولم يعمد أحد إلى وقف باريس عما قرره .



هيلين وباريس ،

تتش نافر من القرن الثالث ق.م .

أما باريس فراح يوغل مبتعداً عن بلاده . واضطرب صدر البحر بعاصفة هوجاء ، لكن العاصفة أيضاً لم تثنه عن عزمه ، فمضىٰ في طريقه حتى قطع أراضي فتيا الخصيبة وأراضي سالامين وميكينا حيث يعيش اولئك الذين يصبحون أعداءه في المستقبل . وبلغ أخيراً شطآن لاكونيا فأرسى قلوع السفينة في خليج ايڤروت وهبط الى الشاطىء برفقة صديقة اينيوس ومضياً معاً إلى الملك مينيلاوس كضيفين لا يضمران أية نية شريرة .

واستقبل مينيلاوس باريس وصديقه بحفاوة بالغة وأقام مأدبة فاخرة على شرف ضيفيه . وخلال تلك المأدبة وقع نظر باريس على هيلين لأول مرة فراح يسترق النظر الى جمالها الالهي وقد طغى عليه اعجاب لا حدّ له .

ووقعت هيلين أيضاً أسيرة جمال ضيفها فقد بدا أمامها فتاناً بمحياه الجميل وملابسه الشرقية الباذخة . وبعد عدة أيام اضطر مينيلاوس للسفر الى كريت فطلب من زوجته العناية بالضيفين والاهتمام بشأنهما ولم يخطر بباله مقدار الاهانة التي سيلحق بها هذان الضيفان .

فما كاد مينيلاوس أن يغيب حتى صمم باريس على استغلال فرصة غيابه . وأفلحت كلماته الرقيقة المعسولة التي أعانته أفروديتا على ايجادها في اقناع هيلين بهجر بيت الزوجية وبالفرار معه إلى طروادة . وهكذا اقتادها سراً الى سفينته كما انتهب الكثير من نفائس مينيلاوس الثمينة . أما هيلين فقد أذهلها حبها عن كل شيء - عن زوجها وعن وطنها سبارطة وعن ابنتها هرميون أيضاً .

وغادرت سفينة باريس خليج ايفروت نقل على متنها الحمل الثمين . وبسرعة راحت تطوي البحر نحو طروادة وعلى وجه باريس تطوف ابتسامة السعادة فقد ظفر بهيلين أجمل الفانيات . وفجأة ، وبينما كانت السفينة تنطلق بعيدة في آماد البحر العريض خرج اله البحر نيريوس ، من طيات الموج وأوقف السفينة ليكهن لباريس بنهايته وبخراب مدينته برمتها . فحزن باريس وهيلين لكن افروديتا سارعت الى تهدئة خاطر العاشقين وأنستهما الكهانة المخيفة . وأمضت السفينة ثلاثة أيام تمخر عباب البحر بحراسة أفروديتا والريح المواتية تضرب الشراع القرمزي حتى وصلت سالمة الى الشطآن الطروادية .

مينيلاوس يستعد للحرب

ما إن غادرت هيلين الفاتنة قصر زوجها رفقة الخائن باريس حتى أنفذ الآلهة رسولتهم ايريس الى مينيلاوس في جزيرة كريت ، فانطلقت سريعة تحملها أجنحتها البراقة من جبل الاوليمب ، وما هي الا ومضة عين حتى مثلت أمام الملك المخدوع لتخبره بالمصيبة التي نزلت بساحته . فشد الملك قلوع العودة ووصل سبارطة بعد حين ، وكم كان غضبه شديداً عندما اكتشف خيانة زوجته وفقدان كنوزه النفيسة . فانطلق من فوره إلى أخيه أغاممنون يحدثه في أمر ضيفه الخائن وطريقة الاقتصاص منه . واستقبل أغاممنون أخاه بكثير من المشاركة الروحية ونصحه بأن يبادر على الفور بجمع اولئك الابطال الذين أقسموا ذات يوم على أن يبذلوا ما في وسعهم لنصرته ساعة الشدة ثم ان يخرج بهؤلاء الابطال وبجيوشهم الجرارة الى حرب طروادة . فأخذ مينيلاوس بنصيحة أخيه واتجها معاً الى بيلوس لمقابلة الملك نسطور الحكيم الذي كان قد طعن في السن .

كان الشيخ نسطور واحداً من أكبر حكماء اليونان ، قابل في حياته الطويلة أعداداً من الأبطال الميامين وشارك بنفسه في كثير من المعارك المجيدة وكانت له أيضاً تجربته الطويلة في فنون الحرب والقتال فقد عايش ثلاثة أجيال من المقاتلين الأشداء .

واحتفل نسطور بمقدم مينيلاوس وأغاممنون ، وأظهر حنقاً شديداً على باريس حتى انه صمم على ان يشارك بنفسه في الحملة على طروادة وان يصحب معه ولديه فرازيميد وانتيلوخ ، كما وافق على ان يرافق الشقيقين - مينيلاوس وأغاممنون - في جولتهما على الأقطار اليونانية لكي يحض الأبطال على الاشتراك في الحملة .

وافق عدد كبير من الأبطال على تلبية النداء ، يُلزم بعضهم القسم الذي أداه في الماضي وتحدو بعضهم الآخر شهوة الحرب والقتال فكان ممن قبل الاشتراك



باريس يخطف هيلين . من اليسار الى اليمين : يظهر اينيوس متقلداً رمحه وترسه ؛ باريس يقود هيلين من يدها ، وتظهر أفروديتا وراءهما . (رسم على مزهرية)

في الحملة : الملك ديوميد ، ملك آرغوس ، ابن تيديوس العظيم والذي كان ندّاً للاله آريس في القوة ، وكان منهم بالاميد ، الابن الحكيم للملك إيڤبيا ، وايدومينيوس الحفيد المجيد لمينوس ، ملك كريت ، وفيلوكتيت ، صديق هرقل ، وهو الذي منحه هرقل سهامه قبل موته ، وكان العراف قد كهن بأن طروادة لن تفتح بدون هذه السهام . وشارك في الحملة أيضاً الأياكسان : أياكس ، مَلك سلامين والابن الأمجد لتيلامون ، صديق هرقل - ولم يكن ثمة من يضاهيه في القوة بين الأبطال ، واياكس ابن البطل اويليوس من لوكريدا[1] . كما اشترك أيضاً عدد كبير من الأبطال . ولم يكن هناك مندوحة من اجتذاب الداهية اوديسيوس ابن لايرت ، ملك ايتاكا للمشاهمة في الحملة . الاّ ان اوديسيوس لم

---

١ ـ مقاطعة في اليونان الوسطى تقع بين بيوتيا وايتوليا

يكن راغباً في مغادرة ايتاكا ، فقد كان حديث العهد بالزواج من الحسناء بينيلوب ولم يتجاوز ولده البكر تيليماخ أيامه الأولى بعد ، فكيف يهجر حياته الهادئة السعيدة ويفارق زوجته وولده المحبوبين ويسافر بعيداً إلى أسوار المدينة البعيدة والتي قد لا تقدر له العودة منها . ولهذا فانه لما علم بقدوم الأبطال اليه وبينهم مينيلاوس وأغاممنون ، نسطور وبالاميد قرر سلوك مسلك الحيلة فتظاهر بالجنون وصار يبذر الملح في حقله ويحرثه بمحراث شد اليه حماراً وثوراً . وكان بالاميد أول من تنبه إلى الحيلة فأخذ الرضيع تيليماخ بأقماطه ووضعه داخل خط الفلاحة أمام محراث أبيه . واضطر اوديسيوس للتوقف فمهما عظمت رغبته في البقاء فانها لم تكن لتعادل رغبته في الابقاء على صغيره حياً . وهكذا كشف بالاميد تظاهر اوديسيوس بالجنون وكان على هذا أن يغادر ايتاكا وان يودع زوجته وولده ويغيب سنوات طويلة تحت الاسوار الطروادية ، لكنه ابطن حقداً شديداً على بالاميد وصمم على الانتقام منه لأنه أجبره على الانخراط في الحملة .

أخيل

كان على الأبطال ان يضموا الى حملتهم بطلاً آخر هو الشاب أخيل ، ابن الملك بيليوس والالهة فيتيدا ، اذ كان كالخاس قد كهن للاتريديين بانهما لن يفتحا طروادة ما لم يشترك أخيل في الحرب ضدها . لقد خط القدر في أسفاره كثيراً من المآثر لأخيل فكان مقدراً له أن يكون أعظم الأبطال الذين يقاتلون عند أسوار طروادة وأن يحقق الكثير من أمجاد الحروب لكنه لا يعود حياً من هناك بل يهلك برمية سهم وهو في أوج صولته وسطوته . وكانت فيتيدا تعرف ما تخبئه الأقدار لابنها فكانت تحاول تجنب المقدور بكل ما لها من قوة وحيلة ، فعندما كان رضيعاً كانت تدهن جسمه بالامفروزيا وتطرحه في النار لتجعله منيعاً على الموت وتضمن له الخلود . لكن زوجها بيليوس تنبه من نومه فجأة في إحدى الليالي فرأى زوجته قد وضعت الصغير في النار فاستبد به الرعب وهو يرى ولده بين الجمر وجرد سيفه وهجم على فيتيدا فذعرت الالهة وفرت هاربة واختفت في لجة البحر في قصر أبيها نيريوس . أما أخيل فدفع به أبوه الى القنطور خيرون ليقوم على تربيته وتعليمه فصار هذا يطعمه أمخاخ الدببة وأكباد الأسود حتى صار بطلاً قوياً لا يشق غباره فكان يجندل الأسود والخنازير الضارية وهو في السادسة من عمره وكان يلحق بالوعول دون مساعدة الكلاب إذ كان سريعاً في عدوه خفيف الحركة . وبالاضافة إلى هذا علمه خيرون الغناء والعزف على القيثارة ذات الأنغام الشجية . ولم تنس الالهة فيتيدا ابنها الحبيب فكانت تخرج من طيات الموج لتلتقي به وتبدي اهتمامها به دوماً وفي كل مناسبة .

ولما كبر أخيل وأدرك مدارك الشبان شاع في أرجاء اليونان نبأ التعبئة العامة للخروج إلى طروادة ولما كانت فيتيدا تعلم بما يخبئه القدر لابنها فقد أخفته في جزيرة سكيروس[1] في قصر الملك ليكوميد حيث عاش أخيل بين بنات الملك مرتدياً

---

١ ـ جزيرة في بحر ايجة الى الشمال الشرقي من جزيرة ايڤبيا .



القنطور خيرون يعلم أخيل العزف على القيثارة

(لوحة جدارية من بومبي)

ملابس النساء . وهكذا صار مخبؤه مجهولاً من الجميع . غير ان الكاهن كالخاس كشف لمينيلاوس عن ذلك المخبأ فاتجه اليه اوديسيوس وديوميد . ودبّر اوديسيوس حيلة بارعة للكشف عن شخصية أخيل إذ نزل مع صاحبه على الجزيرة في هيئة التجار المتجولين وعلى هذه الصورة دخلا قصر ليكوميد ونشرا ما يحملان من بضائع أمام الأميرات فكانت هناك الأقمشة البديعة والعقود الذهبية والأساور والأقراط والأغطية المطرزة بالذهب ، وكان بين ذلك كله سيف وغمد وخوذة وترس ودروع . وأخذت الفتيات يقلبن المعروضات الذهبية والأقمشة الفاخرة ؛ أما أخيل الذي كان مستتراً فلم يرفع عينيه عن الأسلحة . وفجأة ارتفع صليل معركة حربية خارج القصر وترددت أصوات الأبواق وصلصة السلاح . كان اولئك هم اصدقاء ديوميد واوديسيوس وقد ضربوا على التروس ليوحوا بأصوات المعركة . وتفرقت الأميرات وقد استبدبهن الرعب أما أخيل فقد اختطف السيف والترس واندفع لملاقاة الأعداء اذ تراءى له ان قصر الملك قد هوجم . وبهذه الطريقة تعرف اوديسيوس وديوميد على أخيل الذي وافق على المشاركة في الحملة بكل فرح ومسرة . واتجه مع صديقه الحميم باتروكل والعجوز الداهية فينيكس للانضمام الى الأبطال . أما بيليوس فقدم لابنه الدروع والأسلحة التي قدمها اليه الآلهة بمناسبة زواجه من فيتيدا كما قدم اليه رمح خيرون وحصاني بوسيدون .

طروادة

يا للمدينة العظيمة المنيعة الأسوار التي تحشد أبطال اليونان للقضاء عليها . لقد أسسها البطل ايل ، ابن حفيد داردان بن زيوس وزوجته البليادة[1] ايلكترا . وكان داردان هذا قد نزل في أركاديا عند الملك تيفكر فزوجه هذا من ابنته وأقطعه جزءاً من أراضيه كبائنة لابنته فاقيمت فوقها مدينة داردانيا . وكان تْروس حفيداً لداردان وكان ايل ابن تروس . وقد شارك ذات مرة في سباق للأبطال في فريجيا ففاز على جميع المتنافسين وأجزي على ذلك بخمسين فتاة وخمسين شاباً كما أهداه ملك فريجيا بقرة فاقعة اللون وأشار عليه أن يسير وراءها وأن يبني مدينة في مكان وقوفها فالمنجمون يتوقعون مجداً عظيماً لتلك المدينة . وعمل ايل بمشورة الملك الفريجي واقتفى أثر البقرة حتى وقفت على هضبة الالهة آتي فبنى ايل مدينته في ذلك المكان ؛ ورفع يديه بعد ذلك الى السماء وابتهل الى زيوس أن يرسل إليه آية يستدل بها على أن الآلهة قد باركت عمله . فلما خرج من خيمته صباح اليوم التالي لمح أمامه صورة لأثينا بالادا وقد نقشت في قطعة من الخشب ، فكان ذاك هو البالاديوم الذي نيطت به حماية المدينة . ولم تكن المدينة قد سورت بعد في عهد ايل باستثناء المنطقة القائمة على الهضبة ، أما الجزء القائم في أدنى السفح فترك مكشوفاً الى أن سوّره الالهان بوسيدون وابولون خلال الفترة التي كان عليهما ان يعملا في خدمة لاوميدونت ، ملك طروادة وابن ايل . وهكذا أقام الالهان حول المدينة سوراً منيعاً لا سبيل الى اختراقه الا من نقطة واحدة وهي التي أنجزها البطل اياك ، الذي قام على معونة الالهين خلال عملهما .

وعندما كان الأبطال يجمعون جموعهم للزحف على طروادة كانت المدينة تحت حكم بريام ، حفيد ايل وكان الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من أبناء لاوميدونت بعد أن اقتحمها هرقل بن زيوس . وكان بريام ملكاً واسع الثراء ، وكان قصره الذي يعيش فيه مع زوجته هيكابا فاخراً غنياً بالنقوش والزخارف وكان له خمسون من البنين والبنات يمتاز من بينهم هكتور ببسالته وقوته فما كان أشد

---

١ ـ البلياد ـ الهات اطلق اسمهن على احدى مجموعات النجوم

الصعاب التي تنتظر أبطال اليونان في حربهم للطرواد الشجعان غير أن أمجاد الانتصار مقرونة بالغنائم الوفيرة كانت تنتظر من يقهر الطروادين ويفتح المدينة .



أوديسيوس يتعرف على أخيل
(لوحة جدارية من بومبي)

أبطال اليونان في ميزيا

تجمعت الجيوش والأبطال في خليج اڤليدا استعداداً للانطلاق نحو الشواطىء الطروادية فاحتشد على الشاطىء جيش عظيم يعد مائة ألف[1] من الرجال المدججين بالسلاح وكان عليهم أن يبحروا معاً الى طروادة فوق ١١٨٦ سفينة . وقبيل الرحيل اجتمع قادة الجيوش وصناديد الأبطال تحت شجرة دلب عظيمة تجاوز عمرها المئة عام وشرعوا بتقديم الذبائح والقرابين الى الآلهة أملاً في ضمان سلامة الوصول . وفجأة خرج من تحت أحد المذابح ثعبان رهيب المنظر يتألق بلون الدم وانطلق بجسمه المهول يتموّج بجناحيه العظيمين فتسلق شجرة الدلب حتى قارب ذروتها وكان هناك عش يحتضن عصفورة وثماني فراخ فانقض الثعبان عليها والتهمها جميعاً ثم استحال حجراً من توّه . ووقف الابطال تحت الشجرة وقد أذهلتهم المفاجأة وحاروا في تفسير مرمى تلك الاشارة الالهية . غير ان العرّاف كالخاس كشف لهم عن مغزاها وقال لهم انهم يحاصرون طروادة سنوات تسعاً فالافعوان التهم تسعة من العصافير ثم يفتحون المدينة في السنة العاشرة بعد أن يخوضوا ألواناً من المصاعب . وأدخلت النبوءة السرور على قلوب اليونانيين فاطلقوا سفنهم في عرض البحر وقد امتلأت نفوسهم بالأمل بالنهاية السارة المرتقبة للحملة . وأخذت السفن تنطلق من خليج اڤليدا واحدة تلو الأخرى . ومال أصحاب المجاذيف على مجاذيفهم وتقدم الاسطول الجبار مسرعاً نحو الشطآن الآسيوية .

ولم يمض غير يسير من الوقت حتى بلغت السفن شواطىء ميزيا التي يحكمها البطل تيليف ابن هرقل ، فهجم اليونانيون على تلك الأراضي وهم يحسبونها بلاد

---

١ ـ يخضع الرقم هنا لكثير من المبالغة . فلم يكن بالامكان جمع مثل هذا الجيش خلال تلك الايام . وهذا تلوين ملحمي يضفي طابع التهويل على الحرب اليونانية ـ الطروادية .

الطرواد وأخذوا يعيثون فيها فساداً فخرج تيليف اليهم على رأس جيش جرار والتحم الطرفان في معركة ضارية .

وشارك في المعركة أخيل وصديقه الحميم باتروكل الذي جرح أثناء القتال لكنه بقي يحارب الى جانب صديقه غير آبه لجرحه .

وأخيراً تمكن أخيل بعد صعوبة فائقة من دحر تيليف وألجأه للفرار .

ونزل الليل فتمكن تيليف من دخول مدينته تحت جنح الظلام وعند الصباح الباكر بدأ اليونان يجمعون جثث قتلاهم ليكتشفوا أثناء ذلك انهم لم يخوضوا حرباً ضد الطرواديين بل ضد الميزيين وملكهم تيليف ابن هرقل فغلبهم الحزن بسبب ذلك وسارعوا إلى عقد الصلح مع تيليف ؛ ووعدهم هذا بأن يؤازرهم في حربهم هذه غير أنه أحجم عن المسير معهم الى طروادة لأنه كان متزوجاً من ابنة بريام ولم يشأ أن يرفع السلاح على أبي زوجته .

ودفن اليونان قتلاهم وغادروا ميزيا باتجاه الشواطىء الطروادية ، وفجأة اضطربت العواصف وهاج البحر وصارت الأمواج تنقض عليهم كالأطواد وتتقاذف سفائنهم وكأنها نثرات صغيرة من الخشب ، فضل اليونان الطريق وتاهوا في البحر زمناً طويلاً حتى وجدوا أنفسهم في الخليج الذي انطلقوا منه منذ حين ، وأخذت السفن ترد تباعاً الى خليج اقليدا ؛ وهكذا انتهت الحملة الاولى إلى خيبة كبرىٰ .

اليونان في أڤليدا[1]

أخذت عن مسرحية «يوريبيد» «يفغينيا في اڤليدا»

عندما تجمعت السفن من جديد في اڤليدا أخرجها اليونان الى الشاطىء فاجتمع معسكر ضخم وقفل كثير من الجنود عائدين الى ديارهم ولم يكن أحد يعرف متى تبدأ الحملة مسيرها الى طروادة . وكان الملك اغاممنون ، القائد الأعلى للجيوش واحداً ممن غادروا اڤليدا . فماذا يفعل اليونانيون إزاء ذلك كله ؟ لقد كانوا بحاجة إلى من يرشدهم من جديد إلى شطآن طروادة . ولم يكن أحد قادراً على ذلك غير تيليف الذي كانوا قد بادؤوه القتال منذ حين ، وكان أخيل قد جرحه أثناء ذلك في فخذه وعجزت كل الوسائل عن شفاء جرحه الذي أخذ يزداد سوءاً مع الأيام حتى استحال على البطل احتمال الآلام . وأخيراً توجه تيليف الى كاهن دلفي وقد برّحت به الآلام ، وهناك تضرع إلى ابولون أن يخبره بطريقة تشفيه من جرحه فاجابته عرّافة المعبد بأن لا أحد يستطيع شفاءه إلّا أخيل من جرحه. فارتدى تيليف اسمالاً بالية واتخذ هيئة متسول بائس واتجه الى قصر اغاممنون في ميكينا ليطلب من صاحبه ان يسعى له لدى أخيل كي يعمل على شفاء جرحه . وكانت كليتيمنسترا ، زوجة أغاممنون ، أول من شاهده ، فكشف لها شخصيته فأشارت المرأة عليه بأن ينتظر حتى يعود أغاممنون الى قصره وعند دخوله البوابة يختطف ولده الرضيع اوريست من مهده ويسرع به إلى المذبح ويهدد بتحطيم رأس الوليد على حجر المذبح اذا ما رفض أغاممنون مساعدته على علاج جرحه . وقام تيليف بما أملته عليه المرأة وخشي أغاممنون من أن يقتل الغريب ولده فأجابه إلى طلبه وزاد من رغبته في ذلك علمه بأن تيليف دون غيره قادر على هداية اليونان في الطريق إلى طروادة . وهكذا سارع فأنفذ الرسل الى أخيل لكن هذا دهش دهشة بالغة وتساءل كيف له أن يشفي جريحاً وهو الجاهل في فن الطب غير ان الداهية

---

١ ـ اڤليدا ـ مدينة على شاطىء الخليج الفاصل بين جزيرة ايڤبيا واليونان الوسطى .

اوديسيوس قال له أن ليس ضرورياً ان يكون طبيباً وان بمقدوره ان يشفي جريحه ببرادة من حديد السنان الذي طعنه به . وهكذا بردوا رأس السنان وذروا بالبرادة جرح تيليف فعاد سليماً معافى . وابتهجت نفس تيليف وأراد أن يثيب اليونان على شفائه فقبل بأن يكون مرشد الاسطول الى الشطآن الطروادية وهو ما كان يرفضه قبل ذلك بشدة .



أخيل
(رسم على مزهرية)

وهكذا فقد وجد الدليل لكن اليونانيين كانوا برغم ذلك عاجزين عن الاقلاع : فقد زادت الرياح اضطراباً اذ سلطتها أرتيميدا على الاسطول غضباً على اغاممنون الذي قتل غزالتها المقدسة . وانتظر اليونان هدوء الريح من غير طائل ـ فقد ظلت الرياح تضطرب كحالتها الأولى وفي الاتجاه نفسه . وسيطرت الملالة على نفوس الأبطال المحتشدين بسبب من ركود الحركة وتفشت الأمراض في الجيش مثلما بدأت تظهر بوادر السأم والضجر حتى خشي القادة من حركة التمرد . وأخيراً اعلن العراف كالخاس لقادة الجيش قراره الرهيب :

ـ لن يهدأ غضب الالهة ارتيميدا على اليونانيين ما لم يضحوا لها بيفغينيا الفاتنة ، ابنة أغاممنون .

يا لهول النبأ الذي كان ينتظر أغاممنون لدى عودته الى اڤليدا . لقد كان على استعداد لأن يرفض الرحلة بأسرها في سبيل ان يحفظ حياة ابنته الحبيبة ، وأنفق

مينيلاوس وقتاً طويلاً من أجل اقناعه بالامتثال لارادة الالهة الى أن لانت قناته فأرسل عدّاءً الى كليتيمنسترا في ميكينا لينقل اليها رغبة زوجها في أن ترسل يفغينيا إلى اڤليدا وطلب من العداء ان يخفي سبب استقدام الفتاة وأن يبلغ كليتيمنسترا بأن أخيل يريد أن يعقد زواجه على ابنتها قبل الانطلاق في الحملة على طروادة . وانطلق العداء في طريقه الى ميكينا غير ان مشاعر الابوة فاضت في قلب اغاممنون فأرسل عداء آخر بصورة سرية عن الجميع لكي يبلغ كليتيمنسترا بالاّ ترسل ابنتها الى اڤليدا . لكن مينيلاوس ألقى القبض على العداء الثاني وانهال بالتقريع على اغاممنون لأنه يسلك مسلك الخونة حتى شجر بين الشقيقين خلاف وجدل عنيف قطعه وصول الرسول ليعلن بأن كليتيمنسترا وابنتها واوريست الصغير قد وصلوا لتوّهم وتوقفوا بجوار العين القريبة من المعسكر .

برح اليأس بفؤاد الأب اغاممنون فقد قضي عليه ان يضحي بابنته الحبيبة بل وأن يسلمها بيده الى يد الموت على مذبح الالهة ارتيميدا . وكان مينيلاوس نفسه على استعداد لأن يرفض تلك التضحية عندما رأى الى الحزن القاتل الذي يعصف بأخيه . لكن اغاممنون يعلم ان كالخاس سيذيع على المعسكر بأسره رغبة الآلهة فيضطره اضطراراً الى تقديم اضحيته . بل ولو حدث ان تكتم كالخاس على ذلك الأمر لما تردد اوديسيوس في إعلانه اذ انه يعرف رغبة الالهة .

ذهب أغا ممنون للقاء زوجته وابنته يثقل فؤاده حزن عميق قاتل وحاول أن يبدو هادئاً مطمئناً الاّ انه لم يقو على ذلك ، فقد لحظت يڤيغينيا ان اباها يطوي جوانحه على أحزان هائلة فراحت تحاصره بأسئلتها لكنه لم يجب بشيء ولم يكشف لزوجته عن حقيقة الأمر بل حاول اقناعها بالعودة الى ميكينا لأنه لم يرد ان تكون شاهدة على مصرع ابنتها . وأخيراً غادر أغاممنون زوجته وابنته واتجه إلى كالخاس عسى أن يجد لديه سبيلاً آخر لانقاذ الفتاة الحبيبة .

وما كاد أغاممنون يختفي حتى ظهر أخيل وكان قد جاء ليقابل الملك الميكيني ويطالبه بضرورة الاسراع في الخروج إلى طروادة فقد سئم المقام في افليدا دون عمل ، كما سرى الملل في نفوس المرميدون أيضاً وهم أيضاً يطالبون بالخروج الى القتال او العودة الى الوطن . ولما علمت كليتيمنسترا بشخصية ذلك الرجل الذي



يفغينيا تقدّم قرباناً . يظهر في الوسط اثنان من الخدم يحملان يفغينيا ويظهر كالخاس الى اليمين وأغاممنون الى اليسار ، كما تظهر في الأعلى أرتيميدا حاملة قوساً وتظهر الغزالة التي أرسلتها .
(لوحة جدارية من بومبي)

يسأل عن زوجها هشت له ورحبت به كخطيب لابنتها . ودهش أخيل لذلك إذ لم يسبق له ان فاتح اغاممنون برغبته في الاصهار اليه . وأحست المرأة بالخجل اذ عرفت ان اخيل لم يفكر بالزواج من ابنتها وارتج عليها فلم تدر ما تقول . آنذاك دخل العدّاء الثاني الذي كان أغاممنون قد أنفذه بالرسالة الثانية إلى ميكينا وحدّث كليتيمنسترا بما دعا زوجها لأن يستدرجها إلى افليدا صحبة ابنتها فاستبد الرعب

بالمرأة وقد تمثلت هلاك ابنتها . من يقف الى جانبها في هذه المحنة ؟ وركعت المرأة عند قدمي أخيل وضمت ركبتيه وراحت تضرع اليه أن يحميها واستحلفته على ذلك بأمه فيتيدا ، ابنة نيريوس الماجدة . ولان قلب البطل لحزن الأم ويأسها وأقسم لها بنيروس ، اله البحر الشيخ ، بأنه سينصرها ولن يدع يداً تمتد الى ابنتها بسوء . واندفع أخيل خارجاً من خيمة أغاممنون إلى خيمته أخذت زوجته تقرعه بقارص القول لانه انتوى ازهاق روح ابنته .

بماذا كان لأغاممنون أن يجيب ؟ ان قرار التضحية بابنته الحبيبة لم يكن صادراً عنه ؛ غير انه كان عاجزاً عن الاعتراض فاكتفى بالقول بأنه لو استجاب لضراعات زوجته لأقدم اليونانيون في ثورة غضبهم على قتله وقتل كل ذويه فالتضحية بالفتاة كانت لصالح اليونان بأسرها .

وبدأ الهياج في المعسكر اليوناني . وكاد المرميدون ان يقتلوا أخيل رجماً بالحجارة لما علموا بأنه سيحول دون التضحية بالفتاة التي سميت لتكون زوجة له . واندفعت جموع المحاربين صوب خيمة أغا ممنون وقد أشهروا أسلحتهم ، أما أخيل فجرد سيفه وترسه أيضاً ووقف بباب الخيمة استعداداً لحماية يفغينيا حتى آخر قطرة من دمه .

آنذاك أقدمت يفغينيا على حسم المعركة الموشكة الوقوع . فقد أعلنت بأعلى صوتها عن استعدادها لأن تمضي مختارة بنفسها الى سكين المذبح من أجل القضية المشتركة فهي لا تريد أن تقف ضد ارادة ارتيميدا ، ابنة زيوس المجيدة فلتكن هي القربان ، وليكن نصبها التذكاري تلك الانقاض التي تتبقى من طروادة بعد ان يفتحها اليونان . وبهذا استطاعت يفغينيا أن تقنع أخيل بأن يحجب عنها حمايته والّا يبدأ حرباً يقتل الأخ فيها أخاه ، فاطاع أخيل رغبة الفتاة رغم احساسه بالحزن البالغ نحو تلك الحسناء الباسلة التي نفذت سهام محبتها في فؤاده بعد ان اتخذت قرارها البطولي .

وبهدوء ورباطة جأش توجهت الفتاة الى المكان الذي أقيم فيه المذبح على اسم الالهة ارتيميدا فسارت شامخة الرأس أخّاذة الجمال بين صفوف الجند التي لا تحصى أعدادها الى ان وقفت بجانب المذبح . وانتحب أغاممنون وهو ينظر الى

ابنته الحبيبة وألقى بطرف ردائه الطويل على وجهه لكي لايشهد موتها . أما يڤغينيا فوقفت ثابتة بجوار المذبح . واستجاب الجميع لأمر الكاهن تالفيبي فلاذوا بالصمت العميق . وجرد العرّاف كالخاس سكين القرابين من غمده ووضعه في سلة ذهبية ووضع على رأس العذراء اكليلاً يرمز الى انها الاضحية التي تقاد الى المذبح . وخرج أخيل من بين صفوف المقاتلين فاخذ اناء مليئاً بالماء المقدس وأخذ الدقيق المقدس المخلوط بالملح ورش بالماء يڤغينيا والمذبح ثم رش رأس الفتاة بالدقيق ودعا الآلهة ارتيميدا بصوت عال وتضرع اليها ان تهب الجيش سلامة الوصول الى الشواطىء الطروادية وتتوج حروبه بالنصر على الأعداء . وأمسك كالخاس بسكين الأضاحي فتجمدت أوصال الحاضرين في رهبة وفرقاً ، ورفع العراف السكين ليطعن بها يڤغينيا ولمس النصل جسم الفتاة لكنها لم تهو الى الأرض مضرجة بدمائها تئن انين الموت . لا ! فقد حدثت المعجزة الكبرى اذ اختطفت ارتيميدا اضحيتها يڤغينيا وطرحت على المذبح غزالة نالتها طعنة العراف فراحت تتخبط بدمائها الحارة التي ضرجت المذبح بينما كانت تنتفض انفاضة الموت . وتعالت صيحات المحاربين وقد أذهلتهم المعجزة . وارتفع صوت كالخاس عالياً مبتهجا فقال :

ـ هي ذي الاضحية التي طالبت بها ارتيميدا ـ ابنة زيوس مرسل الرعود . افرحوا وهللوا ايها اليونانيون فالالهة تعدنا بسلامة الوصول وبالنصر على الطرواد .

والحق ان الغزالة التي ارسلتها ارتيميدا ما كادت تنتهي من الاحتراق حتى تبدلت الريح وغدت مواتية للملاحة . وتسابق اليونانيون ليعدّوا أنفسهم للرحلة البعيدة وعلت البشاشة وجوه القوم أما أغاممنون فسارع الى خيمته ليخبر كليتيمنسترا بما حصل عند المذبح وليستحثها على العودة الى ميكينا .

أما الالهة ارتيميدا فاسرعت بيڤغينيا الى ساحل البونت الايفسكيني ، الى تافريدا[1] البعيدة حيث صارت الفتاة كاهنة لمعبد الالهة المجيدة .

---

(١) تافريدا هي جبال القرم حالياً .

رحلة اليونانيين الى شواطىء طروادة . فيلوكتيت

عن مأساة سوفوكل «فيلوكتيت»

مضت السفن تقطع سطح البحر الى طروادة تدفعها الريح المواتية إلى ان ظهرت شطآن ليمنوس حيث تقوم جزيرة خريس -١- الخالية من العمران الا من مذبح اقيم على اسم ربة البحر خريسا ، حامية الجزيرة وكان على اليونانيين ان يبحثوا عن ذلك المذبح ويقدموا فوقه أضحية لربة الجزيرة ، فقد كان مقدراً الاّ يفتحوا طروادة الا بعد ان يمروا بجوار شطآن خريس ويقدموا أضحية فوقها . أما المذبح فكان قد أقامه البطل الأعظم ياسون عندما كان يبحر مع أصدقائه الارغوناوتيين الى كالخيدا القاصية من أجل احضار الجزة الذهبية . ومن بعده جاء هرقل ابن زيوس فقدم أضحيته ايضاً فوق ذلك المذبح بينما كان في طريقه الى طروادة لينتقم للاهانة التي لحقت به من الملك لاوميدونت . وكان فيلوكتيت صديق هرقل ، يعرف مكان المذبح فتطوع لارشاد القوم اليه فسار نحوه يتبعه قادة اليونان ، ومضوا يقطعون طريقهم بين الأعشاب والنباتات البرية الى أن ظهر المذبح أمامهم وقد تداعى وكادت ان تتقوض اركانه ، فدنا الأبطال منه وفجأة خرجت عليهم من بين الأعشاب أفعى مهولة الحجم ونهشت البطل فيلوكتيت في قدمه فصرخ وهوى إلى الأرض وهرع اليه بقية الابطال لكن بعد فوات الاوان فقد نفذ السم في الجرح وصار مثيراً للألم الى حدود لا تحتمل وأخذ ينز بالقيح والصديد ليملأ الجو برائحة لا تطاق . وبرّحت الآلام بفيلوكتيت بعد العودة الى السفينة وصار أنينه يتصاعد آناء الليل وأطراف النهار حتى ان صراخه منع اليونانيين من الرقاد . وضجر القوم به ضجراً شديداً فلم يعد بمقدورهم تحمل الروائح المتنتنة التي ينشرها جرحه الفظيع . وأخيراً ، وبنصيحة من اوديسيوس ، أجمع القوم على ،

(١) تقع شمال بحر ايجه .

أن يلقوا بالجريح التاعس في مكان ما فوق الشاطىء . فلما عبروا بجانب جزيرة ليمنوس كان فيلوكتيت قد استغرق في اغفاءة قصيرة فامر اوديسيوس بحمله وطرحه فوق الشاطىء المقفر ، وهناك خلوا فيلوكتيت وحيداً بين الصخور وتركوا بجانبه ملابسه وقوسه وسهاماً وقدراً يسيراً من الطعام . وهكذا تخلى اليونانيون عن البطل الذي لا تفتح طروادة الا بقوسه وسهامه . وكان على فيلوكتيت ان يكابد مرارات العيش فوق الجزيرة الخالية مدة سنوات تسع حتى اضطر اليونانيون الى ان يرسلوا اليه من يطلب منه النصرة والعون . وكان ذلك في السنة العاشرة من حصار طروادة .

واتجه اليونانيون في طريقهم البعيد ، واخيراً اقتربوا من الشطآن الطروادية حيث تنتظرهم ألوان لا حصر لها من المصاعب والأخطار والمآثر .

السنوات التسع الأولى من حصار طروادة

عن مجموعة من مؤلفات الكتاب الأقدمين أما
لوحة مصرع بالاميد فأخذت عن قصيدة اوفيدي «التحولات»

فرح اليونانيون لانتهاء رحلتهم الطويلة . لكنهم عندما اقتربوا من الشواطىء وجدوا أمامهم جيشاً كبيراً من الطرواديين يقودهم هكتور ، الابن الأعظم للشيخ العجوز بريام . فكيف لهم ان ينزلوا الى الشاطىء وقد عرفوا جميعاً بأن الهلاك يتربص بأول شخص تلمس قدماه أرض الأعداء . وهكذا أخذوا يترددون في النزول وكان بينهم البطل برتيسيلاي الذي كان متعطشاً إلى المجد حتى انه كان على استعداد للقفز الى الشاطىء والاشتباك في المعركة على التو ؛ الا انه لم يشأ أن يكون اول النازلين فقد كان يعرف النبوءة المخيفة كما كان يعرفها اوديسيوس ايضاً ، و ذلك رمى بترسه على الشاطىء وقفز من السفينة فوقه بمهارة ورشاقة ، ورآه بروتيسيلاي فحسبه قد نزل على الأرض الطروادية لا فوق ترسه ، وبهذا تراءى له أن أول اليونانيين قد هبط ودفعته روح المغامرة وشهوة المجد حتى ذهل عن كل شيء عن وطنه وعن زوجته الجميلة لاوداميا الشابة ، فقفز الى الشاطىء وانقض على الأعداء شاهراً سيفه . فهز هيكتور رمحه الثقيل وطعنه به طعنة أوردته حتفه ، فتمدد على الأرض صريعاً وكان أول من روّى الأرض الطروادية بدمه . وحمل اليونانيون على الأعداء حملة رجل واحد فنشبت حرب ضارية تزحزحت خلالها جموع الطرواديين حتى انسحبوا الى ما وراء أسوار مدينتهم المنيعة . وفي اليوم التالي عقدت هدنة بين الطرفين من أجل أن يوارى القتلى بطن الثرى .

وبعد أن دفن اليونانيون قتلاهم انصرفوا الى بناء معسكرهم المنيع فأخرجوا

سفنهم الى الشاطىء وانتشروا فوقه شريطاً طويلاً يبدأ بجبال سيغيون وينتهي بجبال رويتيون ، وأقـامـوا بينهم وبين طروادة جـداراً مرتفعاً وحفروا خندقاً عظيماً وراءه وخرب كل من أخيل (وأياكس تيلامونيد) خيامه على جانبي المعسكر ليتمكنا من مراقبة الاعداء ويمنعاهم من مباغتة الجيش . وانتصبت في وسط المعسكر خيمة الملك أغاممنون الفاخرة بعد أن اختاره اليونان قائداً عاماً للجيوش ، وبالقرب من الخيمة كانت تنبسط ساحة الاجتماعات العامة . أما الداهية اوديسيوس فقد ضرب خيمته بالقرب من تلك الساحة ليتمكن من الخروج الى الاجتماعات في اي وقت يشاء ، ولكي لا يخفى عليه شيء مما يجري هناك . وعلى الرغم من انه لم يكن في بداية الحملة راغباً في الانضمام اليها فانه لم يلبث ان تحول إلى عدو لدود للطرواديين وصار اشد المطالبين بتدمير مدينتهم مهما كلف ذلك من تضحيات .

وما أن انتهى الطرواديون من اقامة معسكرهم وتوطيد أسسه حتى أرسلوا بالملك مينيلاوس وبالداهية اوديسيوس في سفارة الى الطرواديين لاجراء المفاوضات واحتفى الحكيم انتينور بمقدم السفيرين واستقبلهما في منزله وأقام لهما مأدبة فاخرة ، فقد كان يتطلع ، بكل جوارحه ، الى عقد الصلح وتحقيق مطالب مينيلاوس . وما أن سمع الملك بريام بأنباء السفارة حتى دعا الى اجتماع عام من أجل تحقيق تلك المطالب ، وشارك مينيلاوس واوديسيوس في الاجتماع فاتجه الأول الى جموع الطرواديين بكلمة موجزة بليغة طلب اليهم فيها ان يعيدوا اليه زوجته هيلين والنفائس التي سطا عليها باريس . وتكلم اوديسيوس من بعده فبهر الطرواديين بفصاحة خطابه الذي حث فيه الأعداء على الاستجابة لطلب مينيلاوس ، واقتنع الطرواديون بضرورة تلبية تلك المطالب جميعها خاصة وان هيلين الفاتنة قد أعلنت ندمها على خطوتها الطائشة وعلى مغادرة بيت زوجها البطل . وحض انتينور بني قومه على الاصغاء لصوت الحق والامتثال لمطلب اليونانيين فقد كان يرى الى تلك الفواجع الدامية التي لا بد وان يسببها الصدام بين الطرفين . غير ان ابناء بريام وقفوا معارضين لفكرة الصلح مع اليونان وكان أشدهم تطرفاً في ذلك باريس الذي لم يكن ليقبل بأن تنتزع منه هيلين والغنائم التي جاء بها . وأيده أشقاؤه في موقفه فما

كان منه الا ان رشا انتياخ الذي أخذ يطالب حتى بالقبض على مينيلاوس وإعدامه . غير ان بريام وهكتور وقفا ضد تلك الفكرة فقد عز عليهما أن يهان السفيران اللذان تشملهما حماية زيوس ، مرسل الصواعق . وهكذا سرت الفوضى في الاجتماع ولم يتم الوصول الى قرار نهائي .

إذ ذاك نهض العرّاف غيلين ، ابن بريام ، وصاح بالطروادیين الّا يهابوا الحرب مع اليونانيين فالآلهة تعد طروادة بالعون . وصدق الطرواديون عرافته فرفضوا مطالب مينيلاوس فكان على الرسولين ان يعودا صفر الأيادي وترك الأمر للسيف ليكون الفيصل بين الفريقين .

تحصن الطرواديون داخل أسوار مدينتهم المنيعة ولم يجرؤ أحد على الخروج منها أما اليونانيون فضربوا الحصار على المدينة وشنوا الغارة تلو الغارة لاقتحام الأسوار لكنهم باؤوا بالفشل فمالوا الى الضواحي يعيثون فيها فساداً واتجهوا لاحتلال جميع المدن التي كانت حليفة لطروادة فكانوا يشنون غاراتهم عليها من البر والبحر . وقد أبدى أخيل بطولات خارقة خلال تلك الحملات . فدخل اليونان جزر تينيدس ، ليسبوس واقتحموا مدينتي بيداس وليرنيس وغيرهما ودمّروا مدناً كثيرة أخرى داخل البلاد واحتلوا ايضاً مدينة طيبة[1] التي كان يحكمها الملك



مينيلاوس
(تمثال نصفي من القرن الرابع ق . م)

(١) مدينة تشترك في الاسم مع أشهر مدن بيوتيا في اليونان .

ايستيون ، ابو اندروماك ـ زوجة هيكتور ، وفي يوم واحد قتل أخيل اخوة اندروماك السبعة كما قتل أباها ايضاً غير انه خاف من غضب الآلهة فلم يمثل بجثة الملك القتيل بل قام بدفنه[1] أما والدة اندروماك فاقتيدت سبية الى معسكر اليونان واستباح اخيل طيبة وأخذ منها الأسلاب الثمينة كما سبى فيها الفتاة خريسييدا الفاتنة . ابنة خريس كاهن الاله أبولون ، وقدمها اليونانيون هدية الى اغا ممنون .

وأسرف اليونانيون في اتلاف كل ما يحيط بطروادة بينما لم يكن أبناء المدينة يجرؤون على مغادرة الأسوار فمن يجازف بذلك يغدو عرضة للقتل أو الأسر المهين والبيع في أسواق النخاسة .

وهكذا قدر على الطرواديين أن يذوقوا صروف العذاب خلال السنين التسع من الحصار وأن يندبوا الكثيرين من ابطالهم الذين تهاووا صرعى في المعارك ، بيد ان السنة الأشد قسوة لم تكن قد حلت بعد ، اذ كانت أمامهم السنة العاشرة ، سنة الآلام العظمى ، سنة سقوط طروادة .

وقد عانى اليونانيون بدورهم كثيراً خلال تلك السنين التسع ، فقد شاع فيهم القتل ايضاً وسقط كثيرون من أبطالهم بسيوف الأعداء ، كما سقط البطل الحكيم بالاميد ، الا انه لم يهلك على أيدي العدو بل أودى به الداهية اوديسيوس كراهية وحقداً . وكان بالاميد هذا حكيماً قدم العديد من الارشادات النافعة لبني قومه وقدم لهم من الخدمات ما لا يقدر بثمن فكان يعالج الجراح والأمراض بالأعشاب وأقام لليونانيين منارة يهتدي بها الخارجون من المعسكر الى طريق العودة في حلكة الليل . ولهذا كان يحظى بتقدير بني قومه وكان مسموع الكلمة بينهم فأثار بذلك نقمة اوديسيوس اذ كان يلاحظ ان اليونانيين يؤثرونه بالطاعة والاحترام . وتذكر اوديسيوس ايضاً كيف كشف بالاميد حيلته عندما تظاهر بالجنون لينجو من السفر الى طروادة ، فكانت هذه الذكرى سبباً في تأجيج حقده فراح يقدح زناد فكره ليختلق ذريعة لقتل بالاميد وسنحت له الفرصة عندما دعا بالاميد قومه الى

---

(١) كان اليونانيون يعتقدون بأن أرواح الموتى الذين يحرمون الدفن تعاني من هيام أبدي ولا تعرف الاستقرار . ولهذا كان الحرمان من الدفن يعد أشد اهانة توجه للميت .

انهاء القتال والعودة الى الوطن فكان ذلك منطلقاً لخطّة اوديسيوس الغادرة ، فقد أخذ كيساً من النقود وأخفاه في خيمة بالاميد وراح يؤكد للجميع بأن بالاميد هذا لا يدعو من تلقاء نفسه الى فك الحصار عن طروادة بل هو يفعل ذلك لقاء رشوة من الملك بريام . ولم يكن عدد المستائين من دعوة البطل قليلاً فلو تم العمل بموجبها لضاعت عليهم تلك الغنائم الهائلة التي يمنّون انفسهم بالحصول عليها عند سقوط طروادة ، ولهذا لقيت دسيسة اوديسيوس صداها في آذانهم فلما أحس الداهية بأن الكثيرين باتوا يصدقون خيانة بالاميد سارع الى اثبات الخيانة بالدليل القاطع فأشاع بأن بريام قدم رشوة الى بالاميد وذهب الى أغاممنون وأبلغه بأن بالاميد يتصل بالاعداء عن طريق أسير من فريجيا وان ذلك الفريجي قد قتل على ايدي رجال اوديسيوس عندما حاول الخروج من المعسكر اليوناني . وأضاف الداهية فدبّج رسالة على لسان بريام موجهة الى بالاميد وتتضمن اشارة الى الذهب الذي أرسله الملك الطروادي نظير اقناعه اليونانيين بفك الحصار والعودة الى أرض الوطن ؛ ثم أمر اوديسيوس الأسير الفريجي بحمل تلك الرسالة الى بريام حتى اذا خرج من المعسكر انقض عليه رجال اوديسيوس وقتلوه وحملوا الرسالة الى سيدهم فسارع بها إلى أغاممنون ، فأمر هذا باستدعاء قادة الجيوش ومن بينهم بالاميد الذي لم يكن يحدس بالخطر الذي يخبأ له . وهناك جابهه اوديسيوس بالتهمة أمام الجميع وضاعت محاولات البطل في تبرئة نفسه واقناع القادة بانه لم يفكر حتى مجرد تفكير بالخيانة وضاعف من حراجة موقفه ان اوديسيوس اقترح تفتيش خيمته فلما تم ذلك وجدوا كيس الذهب بداخلها وكان ذلك دليلاً دامغاً على الخيانة ، فانعقدت المحكمة على الفور وانتهت بالحكم عليه بالموت رجماً بالحجارة . وضاعت كل محاولات بالاميد في اقناع اليونان ببراءته وبالعفو عنه اذ لم يرض أحد بالاصغاء الى المتهم ـ البريء . وهكذا قيدوه بالسلاسل الثقيلة واقتادوه الى شاطىء البحر وبدأوا تنفيذ الحكم فلم تصدر عن البطل آهة أو زفرة واحدة ، اللهم الا عبارة واحدة همس بها وهو يلفظ النفس الاخير :

ـ وا حسرتاه عليك ايتها الحقيقة ، لقد مُتِّ قبلي !



أخيل يقتل ترويل ابن بريام
(رسم على مزهرية)

وبهذه الكلمات مات البطل الأسمى خلقاً والأبعد نظراً بين أبطال اليونان ولم تشفع له خدماته الجليلة التي قدمها لبني قومه ، الا ان القتلة دفعوا غالياً ثمن فعلتهم فقد أنزل ناوبليوس ، ملك ايوبيا وأب بالاميد بهم ضروباً من الانتقام على مصرع ولده البريء .

ولم يقنع اوديسيوس بازهاق روح بالاميد بل وحكم عليها بالهيام الأبدي فقد أمر بمنع دفن البطل القتيل وبترك جثته على شاطىء البحر فريسة الوحوش البرية والطيور الكاسرة . لكن البطل اياكس تيلامونيد وقف معارضاً لذلك فأقام للجثة جميع طقوس الدفن ووارى البطل بطن التراب بكل ما يستحقه من تعظيم وإجلال ، ذلك أن أياكس لم يقتنع ولو للحظة واحدة بخيانة البطل القتيل .

الخصومة بين أخيل وأغاممنون

عن «الياذة» هوميروس

مضت تسع سنوات على حصار اليونانيين لطروادة ، وبدأت السنة العاشرة من تلك الحرب الضروس . وفي بدايتها نزل خريس ، كاهن الاله أبولون على معسكر اليونانيين وراح يبتهل اليهم جميعاً أن يعيدوا اليه ابنته خريسييدا لقاء فدية عظيمة . واستمع القوم الى كلام الكاهن وأجمعوا على ردّ ابنته اليه وقبول فديته العظيمة ، غير أن الغضب عصف بأغاممنون فاتجه الى الكاهن بقوله :

ـ إليك عني أيها العجوز وإياك أن تظهر بعد هذه المرة بالقرب من سفني ، والا فلن يشفع لك أي شيء حتى ولو كنت كاهناً للاله أبولون . لن أعيد ابنتك اليك بل سأبقيها قيد العبودية طيلة حياتها . وإذا كنت حريصاً على العودة سليماً من حيث أتيت فاحذر أن تثير غضبي .

سرى الرعب في قلب الكاهن خريس فراح يجر خطواته مبتعداً عن المعسكر حتى صار على شاطىء البحر وهناك رفع ذراعيه نحو السماء وابتهل الى الاله أبولون ، ابن لاتونة بهذه الكلمات :

ـ ايه ، أيها الاله الذهبي السهام ، أصغ الى ضراعات خادمك الأمين وأنزل نقمة سهامك باليونانيين على ما أنزلوه بي من مذلة وهوان . . .

وما أنْ سمع الاله أبولون ضراعة كاهنه خريس حتى انحدر مسرعاً كالوميض من قمة الأوليمب تتألق على كتفه كنانته والسهام الذهبية تصلصل في داخلها وانطلق الي المعسكر اليوناني وعيناه تطلقان شرر الغضب حتى إذا وصل المعسكر أخذ سهماً وأطلقه علي الآخيين فأنَّ وتر القوس وانطلق منه السهم الأول فالثاني وتلاه ثالث فرابع وصارت السهام تتتالى كحبات البرد وهي تحمل الموت والدمار فحل الطاعون بالمعسكر وحمل أعداداً كبرى من الرجال فاخذت نيران المحارق تتعالى هنا وهناك وخيم شبح الفناء على المعسكر بأسره .

مضى الطاعون يجول معربداً تسعة أيام بلياليها ، فلما كان اليوم العاشر قام أخيل ـ بتحريض من الالهة هيرا ـ فاستدعى المعسكر اليوناني للاجتماع وذلك للبحث في الوسيلة التي يمكن بها تخفيف غضب الآلهة ، فلما انتظم اجتماع الأبطال التفت أخيل الى اتريوس ووجه اليه الكلام فقال :

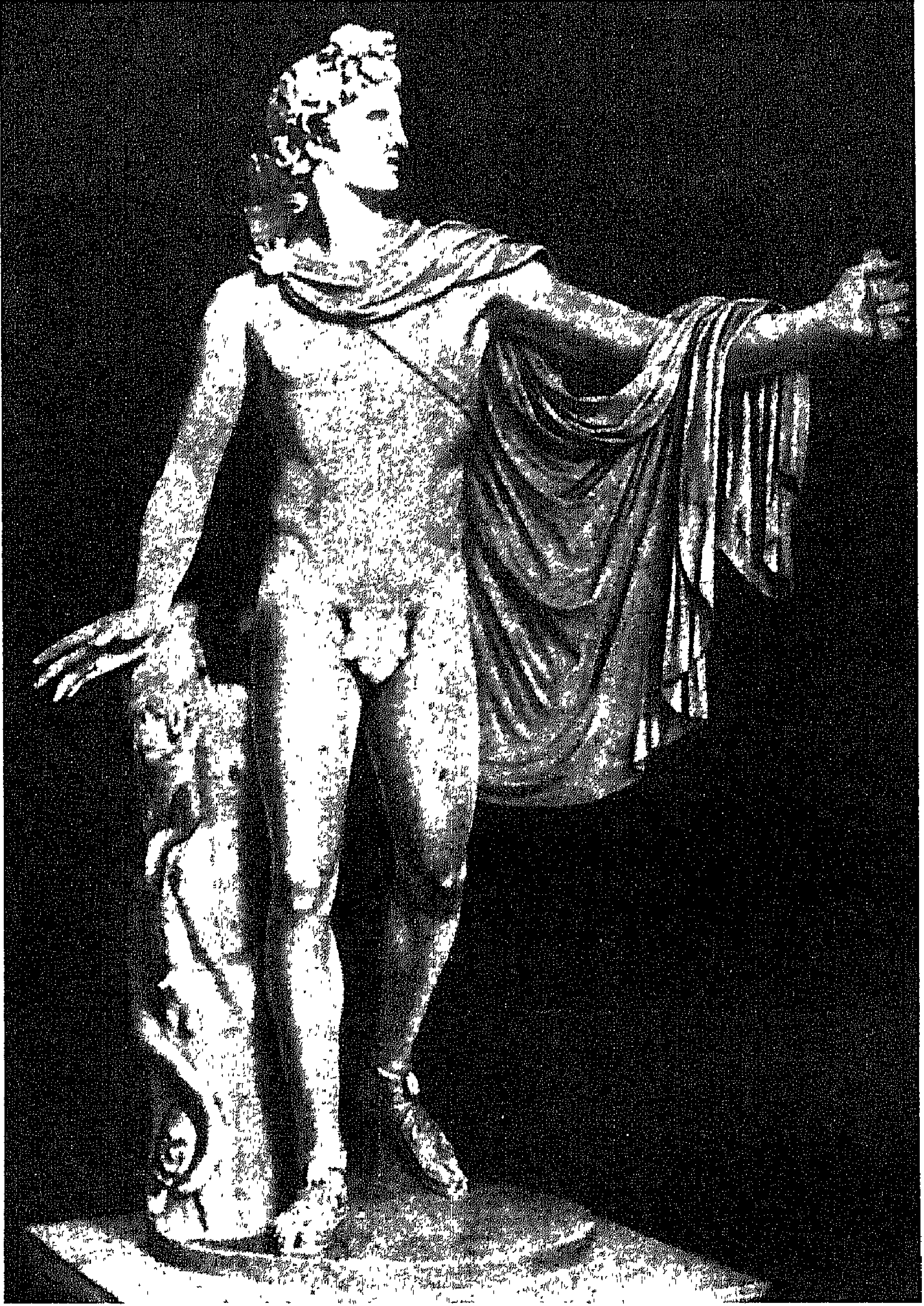
ـ لم يعد أمامنا إلا أن نشد القلوع باتجاه الوطن يا ابن اتريوس ؛ فأنت ترى الرجال يتهاوون صرعى المعارك ومنجل الطاعون . ولكن ربما كان من الخير لنا قبل ذلك أن نطلب الى العرافين أن يخبرونا بم أغضبنا الاله أبولون ، ذا القوس اللجيني وفيم سلط الطاعون الرهيب على معسكرنا .

وما أن فرغ أخيل من كلامه حتى نهض الكاهن كالخاس ، فطالما كشف لبني قومه رغائب الأرباب ، وقال أنه على استعداد ليكهن السبب الذي أغضب الاله الماضي السهام ، لكنه لن يفعل ذلك الا إذا ضمن له أخيل الحماية من الملك أغاممنون ، وردّ أخيل عليه بالإيجاب وأقسم على ذلك بالاله أبولون فأعلن الكاهن آنذاك قوله :

ـ لقد غضب علينا ابن لاتونة العظيم بسبب العار الذي ألحقه أغاممنون بكاهنه لما طرده من المعسكر وردّه مخذولاً ورفض قبول الفدية الكبيرة منه لقاء ابنته ، لن نستطيع تهدئة غضب أبولون الا إذا أعدنا الفتاة السوداء العينين الى أبيها وضحينا لأبولون بمائة رأس من الثيران .

سمع أغاممنون مقالة العراف فاستشاط غضباً عليه وعلى أخيل ، لكنه ، وقد تأكد له الاّ مفر من تسليم الفتاة الى أبيها أظهر موافقته على ذلك غير أنه طالب بالتعويض عن سبيته فأخذ أخيل يمطره باللوم والتقريع لما أبداه من أنانية وجشع وهو ما زاد أغاممنون غضباً وهياجاً وراح يلوّح بأنه قادر ، بما له من سطوة وسلطان ، أن ينتزع تعويضه عن خريسييدا ، بحصة أخيل أو أياكس أو أدويسيوس من الأسلاب ، فصاح أخيل وقد استشاط غضباً :

ـ أيها الطماع العديم الحياء ، أنت تهدد بأنك ستنتزع منا نصيبنا بينما لم يسبق لأي منا أن نال من الغنائم مثل ما نلت ، نحن الذين ما جئنا الى هنا الا لنشد أزرك وأزر أخيك . ها أنت ذا تهدد بأن تسلبني حصتي وما حزته بقوة ساعدي . لا من الخير لي أن أعود الى وطني فتيا ، فأنا لست راغباً بمضاعفة ما لديك من غنائم وأسلاب .



أبولون رامي السهام (تمثال من القرن الرابع ق.م)

فأجابه أغاممنون بصوت يتهدج من شدة الغضب : ـ وماذا ، عد الى بلادك ، فإنني لا أبغض أحداً من الملوك كما أبغضك ، إنك الوحيد الذي تبذر بذور الشقاق . لست خائفاً من غضبك فاصغ الى ما أقوله لك : سأعيد خريسييدا الى أبيها ما دامت تلك ارادة أبولون لكنني سأنتزع منك جاريتك بريسييدا نظير ذلك وستعرف اذ ذاك مدى ما أتمتع به من قوة وسلطان ؛ وليكن على حذر كل من تسول له نفسه أن يطاولني في القوة والبطش .

وما أن سمع أخيل كلمات أغاممنون حتى عصف به غضب جامح فامتدت يده بسرعة الى مقبض سيفه ، لكنه ما أن جرد السيف حتى منتصفه وتهيأ للانقضاض على أغاممنون حتى أحس بلمسة رقيقة على شعره فالتفت واستدار وقد سيطر عليه الرعب اذ مثلت أمامه أثينا ـ بالادا ، ابنة مرسل الرعود ، وقد كانت خفية عن أعين الجميع الا عن ناظريه ، وكانت هيرا هي التي أرسلتها لأنها لم تكن راغبة بهلاك الأبطال وكان أخيل وأغاممنون يتكافآن قيمة بالنسبة لها . وتمتم أخيل يسأل الالهة أثينا :

ـ ما الذي جاء بك يا ابنة زيوس من قمة الأوليمب ؟ أم حضرت إلى هنا لتشهدي مهانتي أمام أغاممنون ؟ فأجابته أثينا ـ بالادا بقولها :

ـ لا أيها البطل الأعظم ، ما من أجل هذا جئت ، بل من أجل أن اهدىء غضبك هذا إذا كنت مصغياً لارادة الالهة . أغمد سيفك ولينبْ عنه لسانك ، وافضح بكلماتك العنيفة أغاممنون وصدق ما أقوله لك ، فلن يمضي الا القليل من الوقت ويعقد في هذا المكان اجتماع آخر لكي يعتذروا لك عن إساءتهم هذه بهدايا تزيد قيمتها أضعاف ما ينتزعونه منك الآن . فهدىء من حدة غضبك واخضع لارادة الخالدين .

وأذعن أخيل لارادة الآلهة فأعاد السيف إلى غمده بينما طارت أثينا عائدة الى مجمع أرباب الأوليمب المشرق .

وضاعف أخيل من شتائمه لأغاممنون فنعته بالمعتدي على الآخرين وبالعربيد وبالجبان والكلب . ثم رمى بصولجانه على الأرض وأقسم بأنّ يوماً سيأتي ويذكر اليونان مدى حاجتهم إليه لكن أغاممنون لن ينال شيئاً آنذاك مهما تضرع الى أخيل . وضاعت محاولات العجوز نسطور ، ملك بيلوس في تهدئة المتخاصمين إذ لم يصغ اليه أغاممنون ، ولم يهدأ غضب البطل بل انطلق خارجاً بصحبة صديقه باتروكل والمارميدون الشجعان صوب خيامهم وصدورهم تتقد بالغضب .

أما أغاممنون فقد أمر بانزال إحدى السفن السريعة الى البحر وبأن تحمل فوقها على اسم الاله أبولون وتنقل اليها ابنة الكاهن خريس الفاتنة ، وكان على السفينة أن تسير بقيادة الداهية اوديسيوس الى طيبة ، الى مدينة ايستيون ، أما اليونانيون فأمرهم أغاممنون أيضاً بأن يقدموا أثمن القرابين الى أبولون تهدئة لغضبه .

انطلقت السفينة سريعة فوق أمواج البحر اللانهائي وما هي الا فترة قصيرة حتى أطلت على ميناء طيبة فأنزل اليونانيون الأشرعة واتجهوا بها صوت المرسى وهناك نزل اوديسيوس صحبة فرقة من الجند فأخذ خريسييدا من يدها وسار بها الى أبيها وحيّاه بقوله :

ـ أيها الكاهن المبجل ! لقد جئت إليك بأمر من أغاممنون لكي أعيد ابنتك إليك كما جئتك أيضاً بمائة من الثيران لتقربها الى الاله أبولون العظيم الذي سلّط علينا شآبيب نقمته .

فرح الكاهن العجوز بعودة فتاته اليه فضمها الى صدره بحنان ثم شرع بتقديم القرابين الى أبولون ورفع ضراعاته اليه قائلاً :

ـ اسمع صوتي يا صاحب السهام اللجينية فقد طالما استمعت الى ضراعاتي ! أزل شديد نقمتك عن بني اليونان واصرف عنهم بلاء الطاعون الذي أنزلته بهم .

سمع أبولون ضراعات كاهنه العجوز فصرف الطاعون عن معسكر اليونان ، ولما انتهى القوم من تقديم قرابينهم أقاموا حفلاً فاخراً في طيبة كان الغلمان يقدمون فيه الكؤوس مترعة الى الآدبين وارتفعت أصوات الفتيان المنشدين اليونان بالتراتيل على اسم أبولون واتصلت المأدبة حتى غروب الشمس ، وأطل صباح اليوم التالي بعد أن اطمأنت النفوس الى عميق الكرى فخرج اوديسيوس بفرقته عائداً الى المعسكر الكبير . وأرسل أبولون ريحاً هوناً حملت السفينة كالنورس الأبيض فوق صفحة البحر . ولم يمض الا القليل من الوقت حتى بلغت شاطىء المعسكر فالتقاها الغواصون وأخرجوها إلى البر وتفرقوا في خيامهم .

وبينما كان أوديسيوس غائباً في طيبة كان اغاممنون ينفذ تهديده لأخيل ، فقد دعا اليه العدائيين تالفيبيوس وايفريبات وأنفذهما لاحضار بريسييدا فانطلقا على غير رغبة منهما نحو خيمة أخيل وهناك ألفياه جالساً مستغرقاً في تفكير عميق فتقدما



بريسييدا تُنتزع من أخيل
(لوحة جدارية من بومبي)

منه وغلبهما التهيّب والحياء فلم يستطيعا أن ينطقا بكلمة واحدة فابتدرهما ابن بيليوس بقوله :

ـ سلاماً أيها العدائين . أعرف أن لا حيلة لكما في كل ما جرى ، فالذنب ذنب أغاممنون دون سواه . لقد جئتما بطلب بريسييدا . أي صديقي باتروكل ، ادفع اليهما بالجارية وليشهدا بعد هذا على أن ساعة القصاص آتية دون ريب ، ذلك عندما تشتد حاجتهم الى ساعدي لأدفع الأخطار عن اليونانيين وعندما يعجز أغاممنون ، وقد أضاع رشده ، عن إنقاذ بني قومه .

وانهمرت الدموع من مقلتي آخيل وهو يغادر رفاقه واتجه نحو الشاطىء المقفر وفتح نحو البحر ذراعيه مستغيثاً بأمه فيتيدا بصوت عال حزين :

ـ أماه ، ما الذي يجعل زيوس ، مرسل الصواعق ، يجردني من المجد وقد جئت بي الى هذا العالم من أجل حياة قصيرة . بلى . لقد حرمني من كل مجد كما أهدر أغامنون كرامتي وهو ينتزع مني غنيمة البطولات التي قمت بها . أماه ، هلاّ أصغيت لي يا أماه !

سمعت فيتيدا نداء ابنها الحبيب فغادرت قصر بيليوس البديع وخرجت من لجة الماء العميقة ، وانطلقت فوق الأمواج المزبدة سريعة كالسحابة حتى إذا وصلت الى ابنها الحبيب ضمته الى صدرها قائلة :

ـ مالك تذرف الدموع هكذا يا بني ! أفْضِ اليّ بما يثقل صدرك .

وحدّث أخيل أمه بالإهانة المرة التي ألحقها أغاممنون به وراح يتوسل اليها أن تصعد سريعاً نحو الأوليمب الوضاء وتطلب من زيوس إنزال عقابه بأغاممنون وذلك بأن ينصر الطرواديين حتى يزحموا اليونان إلى حدود السفن ليدرك القائد الأعلى سوء ما اقترفت يداه . وأكد أخيل لأمه بأن زيوس لن يرفض طلبها فيكفيها أن تذكره بما قدمته له من عوْن عندما ائتمر عليه آل الأوليمب وعزموا على تنحيته فقيّدوه بالسلاسل فاستنجدت فيتيدا بالعملاق بريآريوس ذي الأذرع المائة لمساعدة كبير الآلهة فلما ظهر اهتزت قلوب الجميع وجبنوا عن رفع أيديهم على زيوس . فلتذكر فيتيدا زيوس بهذه القصة ولن يرفض لها طلباً بعد ذلك .

انهمرت الدموع من عيني فيتيدا وخاطبت ولدها بقولها : ـ أي ولدي الحبيب ، لماذا ولدتك لكل هذه المصائب ! بلى ، إن حياتك لن تطول ونهايتك قريبة دون ريب . وها أنتذا أمامي قصير العمر وأوفر المخلوقات حظاً من التعاسة . ايه يابني ، لا تتألم هكذا فهاأنذا صاعدة الى الأوليمب الوضاء لأتوسل

الى زيوس ، مرسل الصواعق من أجل أن يمد لي يده بالمساعدة . أما أنت ، فعد إلى خيمتك واعتكف بداخلها ولا تشارك في المعارك . لقد غادر زيوس الأوليمب في هذه اللحظة لحضور مأدبة الاثيوبيين[1] يرافقه جميع الخالدين . وسيعود بعد اثني عشر يوماً واذ ذاك أذهب إليه وألقي بنفسي عند قدميه آملة أن أوفق إلى إقناعه .

وغادرت فيتيدا ولدها المحزون فنهض من مكانه واتجه نحو خيام رفاقه المارميدون الشجعان وكفّ منذ ذلك اليوم عن حضور اجتماعات القادة أو الاشتراك في الحرب ، فقد أنزوى وحيدا في خيمته على الرغم من الشهوة التي تجتاح صدره الى القتال .

مضى أحد عشر يوماً ، وفي اليوم الثاني عشر خرجت فيتيدا من لجة البحر يلفها ضباب الصباح الباكر وانطلقت نحو الأوليمب المشرق وهناك انطرحت عند قدمي زيوس وضمت ركبتيه ثم رفعت اليه ذراعيها فلمست بهما لحيته الكثيفة وقالت :

ـ أي أبانا الأعظم ، مدّ يدك بالعون إلى ولدي . استجبني إذا كنت قد قدمت لك أي عون في يوم من الأيام .

أرسل نصرك إلى الطرواديين إلى أن يهرع اليونان الى ولدي طالبين منه المساعدة ويقدموا له آيات الولاء والتقدير .

احتفظ زيوس بصمته طويلاً قبل أن يرد على فيتيدا ، وأخيراً صعد زفرة عميقة من صدره وقال :

ـ اعلمي يا فيتيدا أنك بطلبك هذا تثيرين حفيظة هيرا التي لا بد وأن تحقد علي فهي ، وبدون هذا كله ، مستاءة مني لأنني أبذل عوني الى الطرواديين ، ولهذا أرى أن تبتعدي الآن عن جبل الأوليمب كي لا تقع عينها عليك ، وأعدك بأن أحقق لك ما طلبت واليك آية مني بذلك .

وما أن أتم زيوس كلامه حتى قطب بين جفنيه بالغضب وانتصب شعر رأسه فاضطرب الأوليمب بأسره واطمأن خاطر فيتيدا فهبطت مسرعة من القمة الشاهقة لتغوص في لجة الماء من جديد .

أما زيوس فاتجه نحو المائدة التي جمعت بين الخالدين فوقف الجميع اجلالاً

---

١ ـ الاثيوبيون ـ شعب يعيش في الطرف الجنوبي من الأرض حسب معتقدات اليونان .

له ، فلما استقر به المقام واستراح فوق عرشه الذهبي تقدمت منه هيرا وقد لفتت انتباهها زيارة فيتيدا فقالت له :

ـ قل لي أيها الماكر . من ذا الذي كُنت تتحدث اليه من بين الخالدين . انك دائب على اخفاء أفكارك وخططك عني . فأجابها زيوس بقوله :

ـ هيرا ، حذار أن تطمعي بالإطلاع على كل ما أفكر فيه . أما ما يمكنك أن تعرفيه فسأفضي به اليك قبل الجميع . لكن لا تحاولي أن تكشفي أسراري ولا تسأليني عنها .

فقالت هيرا :

ـ ايه يا مسيِّر السحاب . انك تعرف أنني لم أحاول في أي يوم استجلاء أسرارك فأنت دوماً تقرر كل شيء دون اشراك أحد في قرارك . إلا أنني أخشى أن تكون فيتيدا قد أقنعتك اليوم بأن تثأر لابنها أخيل وتهلك أعداداً من اليونانيين . أعرف أنك وعدتها بأن تلبي طلبها .

نظر زيوس الى زوجته نظرة تتقد بالغضب وأمرها بأن تلزم الصمت وتمتثل لما يقوله لها إذا كانت حريصة على أن تكون في منأى عن عقابه . فخافت هيرا وانهارت فوق عرشها الذهبي وسرى الخوف بين الآلهة بسبب الخصومة بين الإلهين الكبيرين . فنهض هيفستوس الأعرج وراح ينحي عليهم باللائمة لأنهم يثابرون على الاختصام بسبب البشر وقال :

ـ ان مآدب الآلهة ستخلو قريباً من البهجة والمسرات ، إذا كنا سنختصم دوماً من أجل الفانين . ثم التفت إلى هيرا ورجاها أن تخضع لإرادة زوجها فما أشد انتقامه حين يغضب ، إنه قد يطيح بالآلهة جميعاً عن عروشهم .

وذكر هيفستوس أمه بيوم ألقى به زيوس من قمة الأوليمب عندما هرع لمساعدة أمه لما تعرضت لغضب أبيه . وأخذ هيفستوس كأساً فملأه بالنكتار وقدمه لها فعلت البسمة وجهها ، أما هو فراح يتنقل بين الأوليمبيين بخطاه العرجاء ويملأ كؤوسهم بالنكتار . وتعالت ضحكاتهم وهم ينظرون اليه منحنياً فوق المائدة الكبرى ، فساد الهدوء مجلسهم من جديد واستغرقوا في وليمتهم الى أن بزغت شمس الصباح وهم يستمعون الى ألحان قيثارة أبولون وأغاني ربات الفن . فلما انتهت المأدبة تفرقوا في مخادعهم وغرق الأوليمب بأسره في سبات عميق .

الاجتماع العام. تيرسيت

عن «الياذة» هوميروس

استسلم الأرباب الخالدون للنوم العميق فوق الأوليمب الوضاء واستغرق النوم في طياته كلاً من المعسكر اليوناني ومن طروادة العظيمة . أما زيوس فكان الوحيد الذي لم ينم ، لأنه كان يقلب فكره ليستنبط خطة ينتقم بها للإهانة التي لحقت بأخيل . وانتهى قراره الى أن يسلط على أغاممنون حلماً كاذباً فدعا اليه ربّ النوم وأمره أن يذهب الى المعسكر اليوناني ، وقال له :

ـ انطلق على جناحيك السريعين أيها الموت الخدّاع وامثل أمام أغاممنون وزيّن له الخروج باليونانيين الى القتال ، وأخبره بأنه يجتاح طروادة هذا اليوم لأن هيرا طلبت الى أهل الأوليمب أن يمسكوا عونهم عنها ، فالخطر محدق بالمدينة الجبارة .

انحدر رب الأحلام مسرعاً الى الأرض في هيئة العجوز نسطور الذي كان أغاممنون يجله كل الإجلال ، ومثل أمام القائد اليوناني في نومه وأنبأه بما أمره به رسل الصواعق . فهب أغاممنون من رقاده والكلمات التي أوحى بها اليه لا تزال تتردد في مسمعه . فنهض وارتدى ملابسه الفاخرة وتناول صولجانه الذهبي ومضى مسرعاً الى المكان الذي تقف فيه سفن اليونانيين بعد أن أخرجت الى الشاطىء . كان الفجر قد بدأ يتوهج في الأفق مؤذناً بمشرق هيليوس ، اله الشمس ، في السماء فاستدعى أغاممنون الرسل وأمرهم بدعوة المقاتلين الى اجتماع عام . أما القادة فجمعهم بالقرب من سفينة نسطور وقص عليهم الحلم الذي أرسله اليه زيوس مرسل الصواعق .

تهيأ القادة للاستعداد للقتال غير أن أغاممنون أراد أن يختبر الرجال قبل الخروج بهم الى أسوار طروادة . فقرر أن يطرح عليهم فكرة العودة الى الوطن . وبينما كان القادة يعقدون اجتماعهم كان الجند اليونانيون يتجهون الى ساحة الاجتماع فكانت أفواجهم الكثيرة العدد تسير شبيهة بأسراب نحل خرجت من المغائر الجبلية ، حتى كان من الصعب على المنادين أن يوصلوا أصواتهم الى الجموع كلها من أجل أن تلتزم الصمت وتصغي الى ما يقوله القادة الملوك ، المتحدرون من سلالة زيوس . وأخيراً لزم كل مكانه وساد الصمت . واستهل أغاممنون الاجتماع بخطاب تحدث فيه عن مصاعب الحرب وعن المعارك التي خاضها اليونانيون عند أسوار طروادة دون جدوى وأشار الى أن لا مندوحة من العودة الى الوطن بعد أن ثبت العجز عن قهر المدينة . وانصت اليونانيون باهتمام الى حديث أغاممنون ، وفجأة اضطرب الجمع بأسره وكأنه البحر وقد عبثت به الرياح الجنوبية والشرقية ورفعت فوق صفحته شامخات الموج . وتدافع الجنود نحو السفن وهم يطلقون الصيحات المدوية ، فارتجت الأرض تحت ضربات أقدامهم وانعقدت فوقهم سحب الغبار وتردد صدى الصراخ في جنبات المعسكر فقد كان الجميع يتسابقون الى إنزال السفن في الماء تدفعهم الرغبة الشديدة في العودة الى بلادهم .

وترددت أصداء الصراخ في جنبات الأوليمب نفسه فخشيت هيرا أن يفك اليونانيون حصارهم عن طروادة فأنفذت أثينا ـ بالادا الى معسكرهم لتصرفهم عن ذلك فاندفعت تلك كالعاصفة الشديدة ونزلت في المعسكر ومثلت أمام أوديسيوس وخاطبته بقولها :

ـ أحقاً أزمعتم الخروج الى أرض الوطن يا ابن لايرت الكريم . أتتخلون عن هيلين الرائعة وتدعونها في طروادة ليسعد بها بريام وأهل طروادة . هيا أمض بسرعة فاقنع الجيوش بالعودة عن هذا القرار .

ما أن سمع أوديسيوس كلام أثينا وهي تخاطبه بصوتها الجهوري المخيف حتى رمى بمسوحه عن كتفيه وانطلق نحو السفن حيث لقي أغاممنون فخطف منه الصولجان ، رمز القيادة العليا ، وراح يحاول إقناع الجميع ، القادة وأنفار الجند ، بالتوقف عن إنزال السفن الى الماء والعودة الى الاجتماع من جديد . وأخذ يضرب

بالصولجان أولئك الذين علت أصواتهم على غيرهم أو أمعنوا في الابتعاد عن طروادة . ومن جديد أخذت أفواج الجيش تتجه نحو المكان المعهود وأصواتها العالية ترتفع الى عنان السماء ، فكأنها أمواج بحر مضطرب تصطدم بصخور الشاطىء محدثة دوياً كهزيم الرعود . وأخيراً عاد كل الى مكانه ولزم الصمت باستثناء ترسيت[1] الذي واصل احتجاجه وصراخه اذ كثيراً ما كان يبيح لنفسه بالتطاول على الملوك وكان يختص بكراهيته اوديسيوس والبطل أخيل ابن فيتيدا . أما في هذه المرة فوجه كلامه الى أغاممنون نفسه فقال أنه قد آن له أن يقنع بما أصاب من غنائم وسبايا وما كنزه من أموال فدية للأسارى من أبناء طروادة الموسرين ، الذين يقبض عليهم أنفار الجنود . وأخيراً دعا الجيش للعودة سريعاً الى أرض الوطن وترك أغاممنون وحيداً تجاه الأسوار ليعرف بعد ذلك أساعده الجنود في المعارك أم لم يساعدوه ويدرك ما إذا كانوا أوفياء له حقاً . وأفاض تيرسيت في تقريع أغاممنون وأنحى عليه باللائمة لما ألحقه بأخيل من اهانات ، غير أنه لم يستثن أخيل أيضاً من هجومه فوصفه بالخسّة والدناءة . وكان اوديسيوس واحداً ممن أصغوا الى هجوم تيرسيت بكل انتباه فاتجه نحوه في نهاية حديثه وصاح به بصوت مخيف :

ـ صه عن ثلب الملوك والقدح فيهم أيها الأحمق واياك أن تتحدث عن العودة الى أرض الوطن ! فمن يعرف نتيجة العمل الذي بيتناه ! أصغ وتذكر جيداً أنني فاعل ما أقوله لك ـ اعلم أنني اذا سمعتك تنال أغاممنون مرة ثانية بسوء فإني قابض عليك ومجرّدك من كل ما ترتديه وضارب ايّاك ضرباً مبرحاً ومخرجك من الاجتماع الى السفن دامي العينين ، والا فليبعد رأسي عن كتفي العريضين ولأحرم من حمل اسم أبي تيليماخ .

صرخ أوديسيوس بهذه الكلمات ثم لوح بالصولجان وضرب به تيرسيت على ظهره فنفرت الدموع من عيني تيرسيت من شدة الألم وظهرت فوق ظهره بقعة حمراء مكان الضربة واكفهر وجهه من شدة الخوف وراح يمسح دموعه بكفه .

---

١ ـ يقدم هوميروس لوحة «تيرسيت» من وجهة النظر الارستقراطية التي كان الشاعر يعبر عنها ؛ بيد أن هذا الجندي البسيط كان يعبر في الواقع عن نظرات أنداده الأنفار الذين لم تكن تهمهم حروب طروادة الا قليلاً ولا تشغلهم غير فكرة العودة السريعة الى أرض الوطن .

وضحك[1] القوم جميعاً وهم ينظرون اليه وراحوا يتبادلون الكلام فيما بينهم قائلين :
ـ لقد قام اوديسيوس بكثير من الأعمال المجيدة خلال الإجتماعات وفي حومة الوغى ، غير أن هذا العمل يعد أكبر مآثره ، فيا لها من طريقة شكم بها ذلك المهذار الذي لن يجرؤ بعد هذا على الإساءة الى الملوك المقربين الى قلب زيوس .

أما أوديسيوس فاتجه بكلامه الى المجتمعين بينما كانت أثينا تقف بجانبه في هيئة جندي . وأخذ البطل يحض الرجال على مواصلة حصار طروادة لأنهم إذا ما عادوا الى بلادهم دون اقتحام المدينة غطوا بالعار وجه قائدهم أغاممنون ووجوههم أيضاً . وتساءل في خطابه عما إذا كانت الخسّة قد بلغت بهم درجة القبول بالإنسحاب شأن ما يفعل الأطفال أو الأرامل وعما إذا كانوا حقاً قد نسوا نبوءة العراف كالخاس بضرورة الانتظار ونسوا أيضاً تلك الآية التي أرسلها زيوس في افليدا ! إن اليونان لن يصلوا الى غايتهم من طروادة الا في السنة العاشرة . وأثارت الكلمة الحمية في نفوس الرجال من جديد فردّوا على اوديسيوس بأصوات التهليل القوية ورددت الضواحي الأصداء المدوية لتلك الأصوات ، وفجأة انهض العجوز الإلهي نسطور فخيّم الهدوء من جديد فاتجه الشيخ اليهم بنصيحته وهي أن يدخلوا الحرب ضد طروادة وأن تقسم الجيوش أثناء الهجوم تبعاً للأصول والقبائل لكي يشد الأصل من أزر الأصل والقبيلة من أزر القبيلة ، وفي هذه الحالة يمكن أن يعرف القائد القوي من القائد الضعيف والقبيلة الباسلة من الجبانة ويعرف أيضاً سبب العجز عن اقتحام طروادة ـ أهي ارادة من الآلهة الخالدين أم هو جهل بتسيير دفة الحروب . ووافق أغاممنون على الخطة فأمر الجند بالتفرق لتناول الطعام ومن ثم الاستعداد للمعركة الفاصلة التي لن يسمح فيها لأحد بقسط من الراحة . والويل لمن يبقى قريباً من السفن أو يولي الأدبار في المعركة فعقابه سيكون شديداً وسيقذف به الى الكلاب وجوارح الطير .

---

١ ـ بالطبع لم يضحك الجميع سخرية من تيرسيت وتأييداً لمسلك أوديسيوس . فإذا كان الملوك العظام قد ضحكوا فان الجنود ، زملاء تيرسيت ، كانوا يتعاطفون معه ويرون في ما قام به تعبيراً عما يجول في خاطر كل منهم .

تعالت صيحات الجنود شبيهة باضطراب البحر عندما يدفع أمواجه المشمخرة كالأطواد . وما هو الا القليل حتى تفرقت الجموع وسارع كل الى خيمته فتعالت سحب الدخان فوق النيران المتفرقة في أرجاء المعسكر إذ بدأ الجميع بتقوية أجسامهم استعداداً للجولة القادمة كما قدّم كلٌّ قرباناً للاله وتضرع اليه أن يحميه خلال المعركة الدامية . أما أغاممنون فتقرب الى زيوس بثور عظيم ذبحه في حضور مشاهير الأبطال ودعا الى زيوس أن يمنّ عليه بالنصر وباجتياح المدينة المنيعة وقصر الملك بريام قبل أن ينزل الظلام على الأرض وأن يمكنه من قتل هكتور بعد أن ينفذ الرمح بين ضلوعه . لكن الاله زيوس العظيم ، مرسل الصواعق لم يقبل ضراعات أغاممنون بل كان يعد له مجموعة من المصائب في ذلك اليوم . وما أن تمت مراسم القربان وانتهت المأدبة التي أقيمت بتلك المناسبة حتى أخذ نسطور يحث القادة على سوق الجيوش الى أرض المعركة .

وسارع كل قائد فالتحق بفرقته وأخذ المنادون يدعون المحاربين بأصوات عالية . فوزعهم القادة توزيعاً قتالياً واتجهوا بهم نحو أسوار المدينة فأنَّ صدر الأرض من وقع خطى الجنود وسنابك الخيل وردّد وادي سكاماندر-١- أصداء الضجيج الرهيب . كان الجنود يتحرقون شوقاً الى ملاقاة الأعداء وكانت أثينا ـ بالادا تطوف بين الجيوش كالريح تحث المقاتلين على الصمود وتثير فيهم همم الأبطال . وكان القادة يتقدمون الزحف فوق العربات يتقدمهم جميعاً الملك أغاممنون بوجهه القاسي المربّد حتى كان أشبه بزيوس . وهكذا سارت الجيوش في نسق موحد نحو الأسوار الطروادية .

---

١ ـ نهر كان يجري ملاصقاً لطروادة .

المبارزة بين مينيلاوس وباريس

عن «الالياذة»

اتخذت ايريدا هيئة بوليت بن بريام وانحدرت مسرعة من قمة الاوليمب فأنذرت الطرواديين بأن جيوشاً جرارة لا حصر لأعدادها تتجه اليهم من معسكر اليونان . وكان الطرواديون قد عقدوا آنذاك اجتماعاً عاماً فأمر هيكتور بفضّه .

وتدافع الطرواديون وحلفاؤهم الى الأسلحة ثم توزعوا أماكنهم وفق خطة القتال ، وفتحوا باب المدينة وأخذت فرقهم المدججة بالسلاح تخرج من البوابة واحدة اثر الأخرى وهي تطلق صرخات شبيهة بأصوات الغرانيق أثناء طيرانها أمام الجموع اليونانية فأخذت تقترب من المدينة وهي تلتزم الصمت المخيف ؛ وحجبت الميدان سحب الغبار المتصاعدة .

والتقى الجمعان ، غير أن المعركة لم تبدأ ، إذ برز باريس من بين الصفوف وقد ألقى على كتفه بفروة فهد وتألقت الكنانة والسهام خلف ظهره ولمع السيف البتار عند جنبه وأمسك بكل من يديه رمحاً ، وصاح باليونانيين أن يخرجوا له واحداً من أبطالهم ليبارزه . وما أن رآه مينيلاوس حتى قفز من عربته واندفع الى الأمام تلمع أسلحته فوق جسده وتتهلل أساريره وهو ينظر الى غريمه كما ينظر الأسد الى طريدته .

وما أن رأى باريس خصمه مينيلاوس حتى ارتعدت فرائصه رعباً فاندس بين الصفوف خشية الهلاك ، وشهد هكتور موقفه ذلك فراح يسوطه بكلمات التقريع على جبنه ويقول له :

ـ أنت لا تبدو شجاعاً الا في المظهر . ليت أمك لم تلدك اذن لما ألحقت بنا كل هذا العار . ألا تسمع ضحكات اليونانيين وسخريتهم بك . أم كفتك

شجاعتك فقط لتخطف هيلين ، زوجة مينيلاوس وتجيء بها وبالاً على أهل طروادة . هل أخافك مينيلاوس ؟ هل عرفت أي صنف من الرجال هو زوج المرأة التي خطفتها ! ايه ، لو كان الطرواديون أكثر عزماً وتصميماً لرجموك بالحجارة على ما لقوه بسببك من أهوال . فأجاب باريس أخاه بقوله :

ـ من حقك أن توبخني يا هكتور . لكن لا عليك . فإنني سأواجه مينيلاوس في ميدان المبارزة فمر الجيوش بالتوقف وأنني سأنازل خصمي من أجل هيلين الفاتنة ، ولتكن نصيب الغالب من بيننا .

ولما سمع هكتور ذلك الكلام من أخيه اتجه الى وسط الجيش الطروادي الزاحف فأوقفه وتهيأ اليونانيون لرشقه بالسهام بل وبدأ بعضهم يرشقه بالحجارة ، لكن أغاممنون أوقفهم بقوله :

ـ كفى يا أبناء اليونان ، هدوءاً يا رجال الآخيين . فهكتـور اللامع الخوذة يتجه بخطابه اليكم .

ولما ساد الصمت أعلن هكتور بأن أخاه باريس يقترح حسم النزاع على هيلين بالمبارزة . فردّ عليه مينيلاوس بقوله :

ـ أصغ الي يا هكتور . لقد آن لنا أن نوقف هذه الحرب الدامية . فليواجه كل منا ، أنا وباريس خصمه ، وليهلك من بيننا من كتب عليه الهلاك . لنتفق على هذا ، ولكن ادع الشيخ بريام ليقسم بنفسه على ضمان الاتفاق فأبناؤه جميعاً من المخادعين .

سرّ الجميع لذلك الاقتراح ، وأنفذ هيكتور الرسل لاستدعاء أبيه .

وفي ذلك الوقت اتخذت ايريدا هيئة لاوديكا الجميلة ، ابنة بريام ، ومثلت أمام هيلين ودعتها أن تخرج الى البرج القائم عند بوابة سكيه حيث اجتمع شيوخ طروادة برئاسة بريام ليشهدوا المبارزة بين باريس ومينيلاوس وارتدت هيلين ملابسها الفاخرة وجدّت السير في اثر ايريدا برفقة اثنتين من الجواري . وتذكرت هيلين زوجها الأول ووطنها سبارطة الحبيبة فانهمرت الدموع من مقلتيها ، ورآها شيوخ طروادة وهي تتقدم منهم فاتنة رائعة فتهامسوا فيما بينهم قائلين :



باريس
(تمثال من القرن الثالث ق.م)

ـ لا ، لا يلام اليونانيون أو الطرواديون على أنهم يخوضون حرباً ضارية من أجل هذه الفاتنة . فهي تضاهي بجمالها جمال الربات الخالدات ، ولكن مهما كان جمالها فمن الأفضل لها أن تعود الى بلادها فتكفينا وأولادنا مغبة الموت .

أما بريام فاستدعى هيلين الى ناحيته و راح يستوضحها أسماء الأبطال الذين يراهم على الأسوار فأشارت الى البطل الصنديد أغاممنون وإلى الداهية أوديسيوس والى أياكس ثيلامونيد وإلى ايدومينيوس ـ ملك كريت . وأعجب بريام بجمال هؤلاء الأبطال وبهيئاتهم ، في عدة الحرب الرائعة . وإذ ذاك وصل رسل هكتور بطلبه فنهض الملك مسرعاً وأمر بأن تشد العربة ثم انطلق بها من خلال بوابة سكية برفقة انتينور .

نهض كل من أغاممنون وأوديسيوس لاستقبال الشيخ بريام وقدمت القرابين لأرباب الأوليمب وتم أداء الأيمان المغلظة على الوفاء بشروط الاتفاق . آنذاك اتجه بريام بكلامه الى الجيشين فقال :

ـ أيها البواسل ، يا رجال طروادة وبلاد اليونان ، أنني انصرف الآن الى مدينتي فقواي لا تطاوعني على أن أشهد المبارزة بين ولدي وبين الملك الصنديد مينيلاوس . فزيوس وحده يعلم من يسقط منهما قتيلاً .

وانطلق الشيخ مبتعداً عن ساحة المعركة بينما كان هيكتور واوديسيوس يخطّطان ميدان المبارزة ، وأخيراً طرحا حصى الحظ في خوذة وهزاها ليُعرف من من الخصمين يقذف أولاً برمحه فكان ذلك من نصيب باريس .

جرد كل من البطلين سلاحه وخرجا الى الميدان يتطاير من عيونهما الشرر وتنطلق الكراهية والحقد . ولوح باريس برمحه وطعن مينيلاوس فتلقى الدرع الثقيل الطعنة لكن الدرع لم ينثلم بل انحنى عليه سنان الرمح ، ورفع مينيلاوس صوتاً ضارعاً الى زيوس لكي يساعده فينتقم من باريس ليكون في ذلك عبرة فلا يُرد على الكرم بالإساءة بعد ذلك ، وهزّ برمحه فطعن به درقة باريس فاخترقها ونفذت الى الدرع ومزّقت ملابس باريس ولم ينج منها لو لم يشح بجسمه جانباً . فجرد مينيلاوس سيفه وضرب به خوذة باريس فتحطم السيف قطعاً أربع ولما فرغت يد مينيلاوس من السيف تقدم من خصمه فأمسك به من خوذته وراح يجره نحو المعسكر اليوناني وحزام الخوذة يشد على عنق باريس حتى يكاد يخنقه . وكاد مينيلاوس أن يصل بغريمه الى المعسكر اليوناني عندما نهضت أفروديتا لنصرة حبيبها

الأثير فقطعت حزام الخوذة التي بقيت في يد مينيلاوس بينما هوى صاحبها الى الأرض فحاول مينيلاوس أن يجهز عليه بطعنة من رمحه لكن افروديتا غمرته بسحابة داكنة وحملته سريعاً الى طروادة . وضاعت محاولات مينيلاوس في العثور على خصمه فراح يتنقل بين صفوف الطرواديين كوحش ضار لكن أحداً لم يرشده اليه رغم كراهيتهم الشديدة لباريس ؛ عند ذاك صاح الملك أغاممنون بصوته الجهوري :

- اصغوا الى أيها الطرواديون واليونان . لقد شهدتم جميعاً انتصار مينيلاوس . فلتعيدوا الينا هيلين وما سطا عليه باريس من كنوز ، ولتدفع لنا الجزية فوق ذلك .

لكن مطلبه بقي دون ردّ . وهكذا لم يقدر للمعركة أن تنتهي .

بندار يحنث بالقسم . الحرب

عن «الالياذة»

عندما قرر مينيلاوس وباريس الدخول في المبارزة كان الآلهة يأدبون في أبهاء قصور زيوس وكانت الربة الفتية هيبا تصب النكتار في الكؤوس والأوليمبيون يقصفون وهم ينظرون الى طروادة من علياء سمائهم . وأخذ زيوس يمازح هيرا ويقول لها أنه سيوقف المعركة الدامية بين الطرواديين واليونان بعد أن انتصر مينيلاوس لكن الآلهة هيرا ألحت عليه في أن يرسل أثينا الى معسكر الطرواديين لكي تثير أحدهم على أن يحنث بيمينه ، فوافق زيوس على مطلبها دون رغبة منه . وانطلقت أثينا عند جبل الأوليمب مسرعة كشهاب ثاقب وسقطت وسط جيش الطرواد فبهت القوم ولم يفهموا ما تعنيه هذه الإشارة . أتعني أن يبدأ القتال أم هي آية من زيوس من أجل عقد الصلح ؟ أما أثينا فقد اتخذت هيئة لاودوك ، ابن انتينور وتقدمت من باندار ، رامي السهام الشهير وأقنعته بأن يصرع مينيلاوس بواحد من سهامه ، وأطاع باندار فتناول سهماً من سهامه النافذة ودعا الإله أبولون لنصرته وأطلق السهم فأن وتر القوس وانطلق . وكاد أن يصيب مقتلاً من مينيلاوس لو لم تثنه أثينا بيدها وتطعن به ذلك الجزء من جسمه والذي يحميه درع مزدوج . فاخترق السهم الدروع ونفذ في جسد البطل وعلى الرغم من أنه لم يكن عميقاً فقد تفجر الدم غزيراً ، وجن جنون أغاممنون وهو يرى أخاه جريحاً لكن مينيلاوس طمأنه الى أن الجرح غير خطر . وأمر أغاممنون باستدعاء الطبيب ، البطل ماهاون فتقدم هذا وفحص الجرح وذر عليه العقار الشافي وبينما كان أغاممنون وغيره من الأبطال منهمكين في علاج الجرح حمل الطرواديون على اليونان فسارع أغاممنون الى جيشه وراح يرتب صفوفه وينفخ العزيمة في المحاربين .

تقدم اليونانيون للالتحام بأعدائهم في صمت رهيب لا تقطعه غير صيحات القادة . أما الطرواديون فانقضوا عليهم يطلقون صيحات الحرب . وكانت أثينا ـ بالادا تتقدم جيوش اليونان ويقود اله الحرب آر يس جيوش الطرواد والتحمت معركة بالأيدي واختلطت فيها صيحات الظفر بأنين المحتضرين .

وتراجعت جموع الطرواد أمام ضغط الأعداء وزاد اليونان تراصاً وتكتلا عند الهجوم فجاش بالغيظ صدر أبولون ، نصير الطرواد وترددت صيحاته :

ـ إلى الأمام يا أبناء طروادة الميامين ! لا تتوهموا أن صدور اليونانيين قدّت من الصخور أو أن اجسامهم من الحديد . انظروا . إن اخيل ليس معهم ولا يحارب الى جانبهم فهو يقبع في خيمته حرداً مغضبا .

وبهذه الصرخة أثار رامي السهام حماسة الطرواديين ، فحمي الوطيس وتفجرت الدماء وتساقط الأبطال وأثارت أثينا حمية اليونان فوهبت في المعركة قوة لاتضاهى للملك ديوميد ابن تيديوس ، ولم يلبث الطرواديون أن بدأوا بالتقهقر .

ولاحظ باندار ، رامي السهام الشهير ، إقدام الملك الماجد ديوميد فشد وتر قوسه وسدد اليه سهماً نفذ الى كتفه فتخضبت دروعه بالدم القاني وطافت الفرحة في وجه باندار فقد حسب انه أصاب مقتلاً من خصمه وراح يثير حماسة الطرواد معلناً بأنه قتل ديوميد . أما هذا فقد دعا اليه البطل سفينيل وطلب منه ان ينتزع السهم من الجرح ففعل . وكرر ديوميد ضراعاته الى أثينا ان تقتص له ممن جرحه بسهمه فمثلت الآلهة أمام عينيه ونفخت فيه قوة جبارة وإقداماً لا يجارى وأمرته بأن يندفع في المعركة فيجتاح كل من يلقاه باستثناء الأرباب الخالدين الذين ليس له ان يجرح منهم أحداً سوى أفروديتا . واندفع البطل في معمعة القتال كأسد ضار لم يزده جرحه إلا قوة وضراوة وهياجا .

وإذ رأى البطل اينيوس الى ديوميد وهو يصول في المعركة ويجول اندفع في الصفوف يبحث عن باندار فلما رآه طلب منه ان يقوما معاً بالهجوم على ديوميد فقفز باندار في عربة اينيوس وانطلقا معاً ليتصديا للبطل اليوناني .

ولما رأى سفينيل الى البطلين الماجدين ، اينيوس وباندار ، راح يقنع صديقه بالتراجع عن مواجهة هذين الصنديدين . لكن البطل ديوميد رفض النصيحة

باستنكار وشمم ، وأخذت عربة اينيوس تقترب منه مسرعة ولوح باندار برمحه وطعن به ديوميد فخرق الرمح الترس وارتطم بالدرع الذي حمى صاحبه . واستبشر باندار وهو يظن انه قد قتل عدوه لكن هذا لوح برمحه وطعن به خصمه فجندله وأسقطه من العربة فوثب اينيوس منها واحتمى بترسه وبدأ بحماية جثة صديقه وهو يلوح بالرمح الطويل . فرفع ديوميد عن الأرض حجراً هائلاً يعجز عن رفعه اثنان من الرجال الأشداء وأخذه بيد واحدة وضرب به اينيوس بقوة خارقة فأصابه في فخذه . فسقط البطل على ركبتيه مشرفاً على الهلاك لو لم تهرع افروديتا الى نصرته فحمته بثيابها وتهيأت لحمله من ساحة المعركة .

لكن ديوميد أغار على أفروديتا أيضاً وطعنها برمحه الثقيل فجرحها في معصمها فأطلقت الربة صرخة ثاقبة وألقت باينيوس من أحضانها فغمره أبولون بسحابة سوداء من عنده بينما أخذ ديوميد يهدد الربة بصيحته :

ـ هيا ، يا ابنة زيوس ، ابتعدي عن ساحة القتال ! أما كفاك اغواء الضعيفات من النساء .

وغادرت ربة الحب ميدان المعركة فانقض ديوميد على اينيوس من جديد ، فكر عليه ثلاث مرات وفي كل مرة يصده الإله ابولون فلما كانت الرابعة نهره الاله بصوت مرعب :

ـ انتبه الى نفسك يا ابن تيديوس . تراجع ولا تجرؤ على مهاجمة الخالدين ! واعلم ان الفانين لن يعدلوا الآلهة في القوة والبأس .

سرى الرعب في قلب ديوميد وهو يسمع الى كلمات ابولون الغاشم وتراجع الى الوراء بينما رفع أبولون البطل اينيوس ونقله الى معبده في طروادة حيث قامت الربتان ليتا وارتيميدا اخت ابولون بعلاج الجريح وشفائه . وأقام أبولون في ساح المعركة مثالاً لاينيوس فدارت حوله معركة ضارية .

أما أفروديتا الجريحة فانطلقت من الميدان الى حيث يجلس آريس اله الحرب العاصف ، ورجته ، من خلال العبرات ، أن يعيرها عربته ، فانطلقت على متنها الى الاوليمب المشرق . وهناك سقطت عند قدمي الأم ديونا تشرق بدموعها وتشكو ألم الجرح البليغ . فمسحت ديونا على ذراعها الرقيقة وشفتها من جرحها

بينما كانت هيرا وأثينا تسخران منها وتقولان لزيوس مرسل الصواعق :

ـ ترى ألم تقم الالهة أفروديتا باغواء امرأة ثانية من الآخيات لتفر مع واحد من عشاقها الطرواديين ؟ لعلها خدشت يدها وهي تداعب تلك الآخية .

أما زيوس فابتسم وهو يدعو إليه افروديتا ويقول لها :

ـ ابنتي الحبيبة . المعارك الطاحنة ليست من شأنك انت . لك ان تهتمي بشؤون الزواج وقضايا الغرام أما المعارك فخليها لآريس العاصف وأثينا المحاربة .

وفي ذلك الوقت كانت الساحة ميداناً لمعركة ضارية حول المثال الذي صاغه أبولون . وطار أبولون الى آريس ورجاه ان يخفف من غلواء ديوميد . وامتثل الاله المضرج بالدماء لأبولون فاتخذ هيئة البطل التراقي أكامانت وراح يجول بين الطرواديين ويحثهم على الاقدام والجرأة . وحمي وطيس المعركة من جديد وعاد اينيوس الى الساحة وقد بريء من جراحه وفرح الطرواديون وهم يرون اليه سليماً معافى فالتأمت صفوف الطرواد بعد تمزقها وحملوا على الأعداء حملة رجل واحد . وانتظر اليونان هجوم الطرواد كغيوم الصواعق التي تغطي الجبال والتي تعجز سافيات الريح عن تبديدها . وأخذ البطلان أوديسيوس وديوميد يحثان اليونان على القتال فدارت رحى المعارك من جديد وراح الملك أغاممنون يصول ويجول واسلحته تلتمع فوقه وتهاوى الأبطال واحداً تلو الآخر وظلام الموت يغطي عيونهم . وكان هكتور يقاتل في طليعة الطرواديين يشد من أزره آريس ، اله الحرب ، وربة المعارك اينيويو . ولما لمح ديوميد اله الحرب آريس تقهقر الى الوراء وصاح بقومه اليونانيين :

ـ ايها الرفاق ! لا عجب ان يحارب هكتور بكل هذه البسالة فآريس يقف الى جانبه بنفسه . تراجعوا الى الوراء واحذروا أن تشتبكوا في حرب مع الآلهة .

وزاد ضغط الطرواديين على اليونان فسقط في المعركة تليبتوليم الفتى ابن هرقل وقد جندله رمح ساربيدون ابن زيوس ، لكن تليبتوليم جرحه أيضاً في فخذه . وبكثير من المشقة رفع الأصدقاء ساربيدون من ساح المعركة حتى وقبل أن ينجحوا في نزع الرمح من جرحه . ولما لمح الجريح البطل هكتور رجاه ان ينزل

أشد ضرباته بالعدو . فاندفع هكتور الى المعركة من جديد وجندل الكثيرين من الأبطال برمحه واشتد ضغط قومه على أعدائهم .

ولما رأت هيرا الى ما آلت اليه الحال استدعت اثينا اليها واخذتا تستعدان معاً لدخول المعركة بغية كبح جماح آريس ، فقرنتا الخيول الى العربة الجميلة بمساعدة هيبا ، وارتدت اثينا دروعها ووضعت الخوذة الثقيلة على رأسها واحتبت بالايجيدا التي تحمل رأس الفرغونة ميدوزا وقفزت ، والرمح ، في يدها ، الى عربة هيرا . وبينما كانت الربتان تنطلقان مسرعتين من على ذروة الاوليمب الشاهق لمحتا زيوس منفرداً بنفسه فوق قمة عالية فأوقفت هيرا الأحصنة وهتفت به :

ـ ألا يغضبك منظر آريس الهائج وهو يجندل الأبطال ؟ انني ارى كم يفرح ابولون وافروديتا لذلك المنظر . وهل ستغضب مني اذا قمعت الاله آريس وألزمته حدّه .

فرد عليها حامل الترس الأعظم بقوله :

ـ اذهبي ، ولتقف أثينا ـ بالادا مواجهة لأريس ، فليس من احد سواها بقادر على ان يسبب له الحزن .

حثت الالهة هيرا جيادها حتى بلغت ملتقى نهري سيميوس وسكاماندر وهناك ترجّلت الربتان من العربة وربطتا الجياد ولفتاهما بسحابة سوداء . واتخذت هيرا هيئة ستينتور ، الرجل ذي الصوت الجبار ، واستحثت همم اليونان على الصمود في القتال ، ثم اقتربت من ديوميد وكان يمسح بيده على الجرح الذي انزله به بيندار وأخذت تعنفه على تأخره في القتال في الطرواد وهو الأمر الذي ما كان ليفعله والده ، المحارب الأمجد تيديوس ، لكن ديوميد ردّ على الربة بقوله :

ـ لا ، لا يا ابنة زيوس الألاقة العينين ، لا اهاب الحرب ضد الطرواد ، بل أذكر فقط أنك حذّرتني من الالتحام في المعركة مع الآلهة الخالدين .

فقالت أثينا :

ـ لا عليك يا ابن تيديوس وصفيّ أثينا . تقدم الآن ولا تخش آريس ولا أحداً غيره من الخالدين فانني أنا التي انصرك وأشد أزرك . فاهجم على آريس فهو منذ فترة قصيرة وعد بمساعدة اليونانيين واذا به يقف الى جانب الطرواد .

ودلفت أثينا الى عربة ديوميد رفقة سفينيل فأنَّ محور العربة المصنوع من خشب البلوط تحت ثقل الربّة المجيدة ، وبينما كان آريس مشغولاً بتجريد البطل القتيل بريفانت من دروعه ضربت أثينا الجياد إليه فلمح آريس البطل ديوميد جالساً بجانب أثينا فترك جثة القتيل الذي جندله ليطعن بالرمح ابن تيديوس . لكن أثينا أبعدت الرمح فحاد عن طريقه فضاعفت أثينا من قوى صفيها البطل أضعافاً مضاعفة فطعن الإله آريس طعنة شديدة برمحه وسحب الرمح من الجرح العميق فصرخ آريس صرخة رهيبة تعدل صرخة عشرة آلاف مقاتل دفعة واحدة . وارتجفت جموع المقاتلين الطرواد واليونان فرقاً من هول الصرخة . وانطلق آريس الى الاوليمب المشرق تغطيه سحابة قاتمة ، وهناك أخذ يشكو لأبيه زيوس مسلك أثينا ـ بالادا التي آزرت ديوميد حتى جرحه . فالقى زيوس على ابنه نظرة شزر مرعبة لأنه كان يمقته أشد المقت بسبب شغفه بالحروب الدامية وقال له انه ودّ لو يطرحه في أعماق التارتار المظلمة لو لم يكن ابنه . فكف آريس عن شكواه واستدعى زيوس الطبيب الآلهي باون فعالج جرح الاله حتى أبراه ، وتقدمت هيبا فغسلت آريس وألبسته فاخر الملابس وعادت الالهتان هيرا وأثينا أدراجهما الى الاوليمب المشرق ، وبهذه الطريقة تمكنتا من كبح جماح آريس الذي لايرتوي من دماء الحروب .

ظلت المعركة دائرة بوحشية وضراوة حول اسوار طروادة ، واستطاع اليونانيون ان يزحموا أعداءهم الطرواديين وهوى الكثير من أبطال المدينة على أيدي أياكس ، ديوميد ، مينيلاوس وأغاممنون وغيرهم من صناديد اليونان الذين جردوا القتلى من دروعهم الفاخرة ولحظ العراف هيلين ابن بريام بأن هزيمة الطرواد غدت وشيكة فراح يضرع الى هكتور ذي الخوذة الألاقة والى اينيوس ابن افروديتا ان يثيرا همة الطرواد ويعودا مسرعين الى طروادة فيرقفا قلب الالهة أثينا بالقرابين والهبات الوفيرة وأطاع هكتور أخاه وراح يستحث قومه على الثبات وتشديد المقاومة .

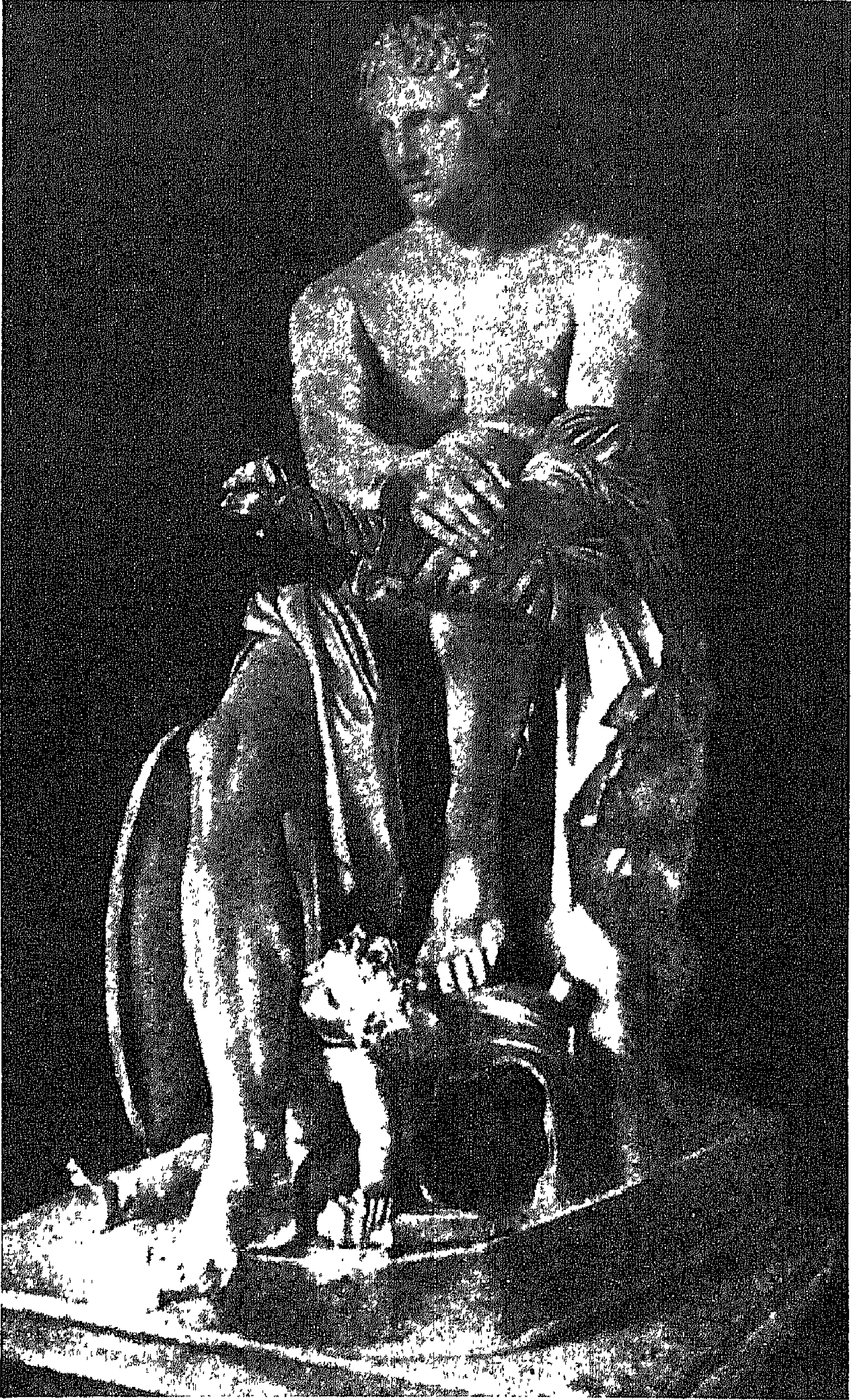
هيكتور في طروادة

الوداع بين هيكتور واندروماك

عن « الالياذة »

دخل هكتور طروادة عبر بوابات سكية ، فاحاطت به النساء والأطفال يستفهمونه عن أحوال الأزواج والآباء . غير أن هكتور لم يقل شيئاً بل طلب منهم ان يرفعوا الصلوات إلى آلهة الأوليمب وسارع الى قصر أبيه بريام حيث استقبلته أمه هيكابا وهمت باحضار النبيذ اليه ليشد به قواه غير انه استماحها أن تعفيه من الطعام والشراب وان تدعو نساء طروادة فيحملن نفائس الهدايا الى اثينا ـ بالادا يكون من بينها غطاء ثمين موشى بالزخارف البديعة ويطلبن منها ان تحد من طغيان ديوميد . فسارعت الأم لتلبية طلب ابنها ، أما هو فاتجه مسرعاً الى منزل أخيه باريس .

كان باريس آنذاك منهمكاً في تفحص أسلحته الثمينة بينما كانت هيلين توزع الأعمال على جواريها . فأخذ هيكتور يعنف أخاه على جلوسه هادئاً بينما يحدق الدمار بمدينته ، فرد عليه باريس بأنه يستعد للالتحاق بالمعركة وأن هيلين نفسها تدفعه الى ذلك . وتوجهت هيلين الى هكتور بعبارات الترحيب والود وطلبت منه أن يجلس ويستريح من وعثاء الشدائد التي مرّ بها ، أما زوجها باريس فأخذت تقرعه على اهماله وعدم احساسه بالعار ووجهت اللوم الى نفسها على ما الحقته بطروادة من مصائب ولكن ذلك تم بسبب باريس لا بسببها هي . واعتذر باريس عن المكوث في بيت شقيقه واندفع مسرعاً ليرى زوجته وابنه قبل ان يعود الى المعركة . انه لم يكن يعرف ، هل يقدّر له ان يراهما من جديد ، وهل يعود من القتال حياً ام تقضي الآلهة عليه بالموت .



آريس في استراحة
(تمثال من القرن الرابع ق . م .)

دخل هكتور قصره ، لكنه لم يلمح اندروماك وابنها هناك بل أخبرته الجواري بأن زوجته قد هرعت بابنها الى الاسوار حيث لا تزال تنتحب وتسكب الدموع .

خرج هكتور من قصره مسرعاً نحو بوابة سكية فلقي زوجته هناك ومن خلفها الحاضنة تحمل الصغير استياناكس ، ابن هكتور الذي يباري بجماله أول نجم يتألق عند الصباح . وأمسكت اندروماك بيد زوجها وأخذت تنتحب أمامه وتقول :

ـ أي زوجي الحبيب ! اقدامك سيلقي بك الى التهلكة . انك لا ترحمني ولا ترحم ابنك ، قريباً أغدو أرملة بعد أن يقتلك الأعداء ، فالأفضل لي الا أعيش من بعدك ، فأنت تعرف ان لا أحد لي سواك ، انك الأب بالنسبة لي والأم والزوج . ارحمني وارحم طفلك الصغير ولا تذهب الى القتال بل اصدر أمرك الى الجيش ليرابط عند شجرة الجميّز فهناك فقط يمكن ان تخرق أسوار طروادة .

لكن هكتور اللامع الخوذة ردّ عليها بقوله :

ـ هذا ما يثير خوفي أنا أيضاً . ولكن سيكون عاراً ما بعده عار أن استتر وراء الأسوار وأحبس نفسي بعيداً عن المعركة . أعرف جيداً أن يوم طروادة آت لا ريب فيه ، لكن ليس هذا ما يؤرقني بل يؤرقني مصيرك أنت ، يؤرقني ان تصبحي سبية واحد من اليونانيين وأن تصبحي في الغربة عبدة تحيكين النسيج لواحدة من الأغراب وتحملين لها الماء . آنذاك ينظرون اليك وانت تذرفين الدموع فيقولون : هي ذي زوجة هيكتور الذي فاق جميع أبطال طروادة في الجرأة والإقدام فيكون ذلك سبباً لمضاعفة أحزانك . لا ، الخير لي أن أموت قبل أن أراك تقادين الى الأسر وقبل أن اسمع صوت نحيبك .

وتقدم هيكتور بعد ذلك من ابنه ليضمه الى صدره ، لكن الصغير صرخ وهو يلتصق بصدر حاضنته ، فقد أخافته غرة الفرس المتألقة فوق خوذة أبيه . فخلع هيكتور الخوذة ووضعها على الأرض وأخذ ابنه بذراعيه وقبله ثم رفعه عالياً الى السماء وراح يبتهل الى زيوس والى جميع الالهة بقوله :

ـ أنت يا زيوس ويا آلهة الأوليمب الخالدين ! أضرع إليكم أن تقدروا لولدي هذا ذيوع الصيت والشهرة بين أبناء بلاده مثلما قدرتم ذلك لأبيه . فليكن قوياً باسلاً وليكن ملكاً على طروادة ، وليقولوا بعد ذلك عندما يرونه عائداً من ميدان القتال انه بزّ برجولته أباه . فليقهر بصولته الأعداء وليكن قرة عين لأمه .

هكذا تضرع هيكتور الى الآلهة ثم أعاد الطفل إلى أمه فضمته الى صدرها وابتسمت لزوجها من خلال دموعها فرق لها قلبه المحزون فتقدم منها وضمها الى صدره وقال :

ـ لا تحزني يا حبيبتي ، فلن يستطيع أحد من الأبطال أن يرسلني الى مملكة هاديس الغاشم الا إذا قدرت الآلهة ذلك ، ولن يستطيع أحد أن يتخطى ما كتبه القدر ، لا الشجاع ولا الجبان . فاذهبي يا حبيبتي الى البيت واشغلي نفسك بالغزل والحياكة وتوزيع العمل على الجواري بينما نذهب نحن الرجال لنهتم بأمور القتال والمعارك وسيكون علي شطر كبير من ذلك كله .

وضع هيكتور خوذته على رأسه وسارع بالذهاب نحو بوابة سكية ومضت اندروماك الى بيتها وهي تلتفت بين الفينة والفينة الى الوراء لترى الى زوجها وهو يبتعد عنها . فلما وصلت قصرها والدموع تفيض من عينيها بكت معها كل الجواري اذ لم يكنّ يأملن بأن تقدر لهيكتور العودة بعد ذلك .

وعند البوابة لحق باريس بهيكتور وكان يمضي مسرعاً الى ساحة القتال ودروعه النحاسية تتألق تحت شعاع الشمس فخاطبه هيكتور بقوله :

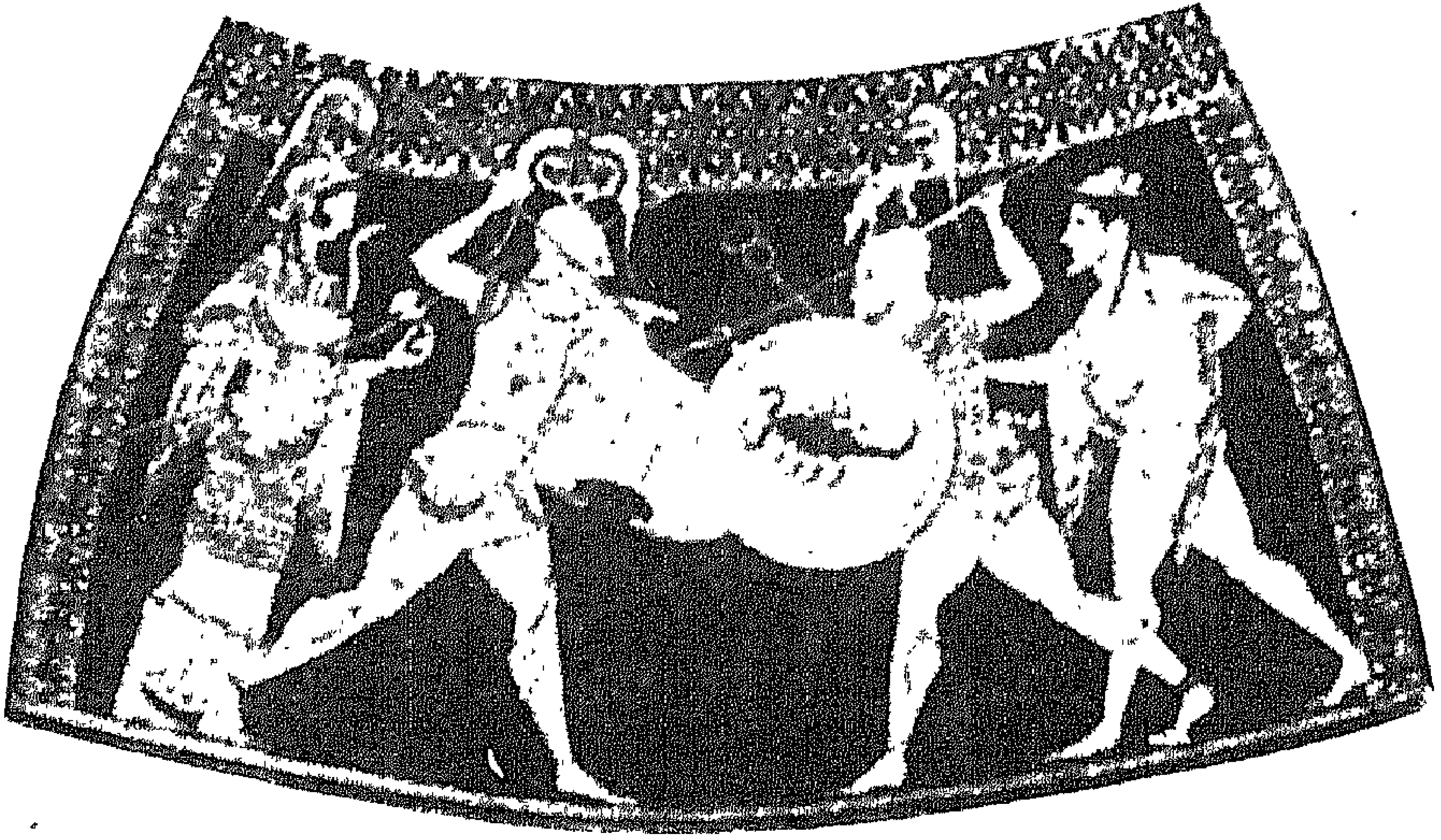
ـ أي أخي ، اعلم انه لا يحق لأي رجل منصف الا ان يقدر مآثرك الكثيرة ، غير انك كثيراً ما تمضي الى المعركة دون رغبة أو حماسة . وكم يؤلمني ان اسمع بني قومك ينحون عليك باللائمة ولكن لا عليك ، فلنسارع باللحاق بالرجال .

اتصال المعارك . المبارزة بين هيكتور واياكس

عن « الالياذة »

خرج هكتور وباريس من بوابة سكية ، وخرج الطرواديون وهم ينظرون الى البطلين الشقيقين فكأن قوة جديدة سرت في أجسامهم فاندفعوا معهما الى القتال بروح جديدة . وتهاوى كثير من الأبطال بسيوف هيكتور وباريس وغلافك ، وأخذ اليونانيون بالتقهقر . ونظرت أثينا ، ابنة زيوس الألاقة العينين ، الى ذلك فهرعت نحو طروادة المقدسة ، وعند شجرة الجميز الهرمة الشامخة عند طرف الحقول ، والتي مضى عليها مئة عام التقى ابولون بالالهة المنحدرة من جبل الاوليمب في طريقها لنصرة اليونان واستطاع ان يقنعها بوقف القتال فوافقت واتفق الاثنان على ان يوقفا المعارك ويوحيا لهيكتور بدعوة أعظم أبطال اليونان للمبارزة . وما كاد الالهان ينتهيان من قرارهما حتى تجلى ذلك في عيني العراف غيللين ابن بريام فدنا من أخيه هيكتور ونصحه بأن يدعو أكبر أبطال اليونان للمبارزة ، وكشف له آنذاك بأنه سمع أصوات ساكني السماء الذين نصحوه بأن يسلك هذا المسلك وان القضاء لم يأذن بهلاك هكتور في هذه المبارزة .

وعلى الفور أوقف هيكتور المعركة وكف أيدي الطرواديين عن القتال فنحا اغاممنون نحوه وخرست أصوات الحرب واقتعد الجنود الأرض وقد انهكتهم المعارك ، وهبطت أثينا وأبولون على هيئة عقابين كاسرين فحطا على شجرة الجميز العتيقة يرمقان جيوش الطرواد واليونان بنظرات الاعجاب . وشمل الهدوء الجميع فنهض هيكتور وصاح بصوت جهوري واضح فدعا واحداً من أبطال اليونان للمبارزة ووعد بألّا يحقر جثة عدوه اذا قتله ولا يجردها من دروعها وطالب بأن يعد البطل اليوناني بذلك فيما لو عقد له النصر . وسمع اليونان صيحة التحدي لكنهم لزموا الصمت فلم يجرؤ أحد منهم على التصدي للبطل الطروادي ، فاستبد الحقد



المبارزة بين هكتور وأياكس . من اليسار الى اليمين :
أثينا فأياكس فهكتور فالإله هرمز
(رسم على مزهرية)

بمينيلاوس وهم بالنزول الى الميدان لكن اغاممنون منعه من ذلك خوفاً من أن يسقط بسيف هيكتور الذي كان أخيل نفسه يهاب استقباله في ساح النزال . وانهال الشيخ نسطور بالتقريع على اليونانيين وما ان اتم كلامه حتى انحدر الى الساحة سبعة من الأبطال : الملك اغاممنون ، ديوميد ، الأخوان أياكس ، ايدومينيوس ، ايفريبيل واوديسيوس . واشار عليهم نسطور باجراء قرعة فلما وضعت الاسهم في الخوذة أخذ نسطور يهزها ليصار الى اختيار واحد من هؤلاء الصناديد .

تضرع اليونانيون الى الآلهة ان تقع القرعة على اياكس تيلامونيد أو ديوميد أو أغاممنون فوقعت على اياكس فتهلل وجهه بالفرح ولبس دروعه وخرج إلى مقدمة الصفوف اليونانية ومضى لمقابلة عدوه مهولاً ثابت الخطى شبيهاً بآريس مهيباً ومخيفاً يرفع بيده ترساً مغطى بالنحاس عظيم الحجم كبرج من الأبراج ويهز بيده رمحاً هائلاً فنزل الرعب في قلوب الطرواديين وهم ينظرون إليه وسرى الى قلب هكتور نفسه . وتواجه البطلان وكل منهما يسدد النظرات المخيفة الى صاحبه . وكان

هيكتور سابقاً الى طعن خصمه لكن طعنته لم تحطم درع اياكس فلوح هذا برمحه وطعن به هيكتور فنفذت الطعنة من الترس واصابت درع هيكتور ومزقت ثوبه ولم يحم البطل الطروادي من الموت سوى قفزته نحو الجنب . وانتزع البطلان رمحيهما والتحما من جديد فسدد هيكتور الى خصمة طعنة ثانية لكن سنان رمحه التوى ، ومن جديد خرقت طعنة اياكس ترس هيكتور واصابت منه جرحاً خفيفاً في عنقه ، لكن هذا لم ينه المبارزة فقد رفع هيكتور صخرة كبيرة عن الأرض وضرب بها درقة اياكس فصلصل النحاس الذي يغطيها ، ثم أخذ اياكس صخرة أعظم حجماً وضرب بها ترس هيكتور فحطمه وأصاب هيكتور في رجله فسقط على الأرض لكن أبولون سارع اليه فأنقذه .

وامتدت يدا البطلين الى السيوف ، وكان لهما أن يقطع أحدهما الآخر لو لم يسارع العرّافون ويضعوا بينهما الصولجانات صائحين :

ـ كفاكما قتالاً ايها البطلان ! اننا جميعاً نرى انكما بطلان وان كلاكما كفؤ لصاحبه وأن زيوس يكن لكما نفس المودة والتقدير . ها هو الليل قد اقبل والراحة من حق الجميع .

فصاح اياكس بعرّاف الطرواديين : ان ما تقوله أنت كان على هيكتور أن يقوله فهو البادىء بالتحدي ، وأنا مستعد لوقف القتال اذا ما رغب في ذلك .

فردّ هيكتور عليه بسرعة : ـ أي تيلامونيد ، لقد وهبك الآلهة وأجزلوا لك في الهبة فمنحوك طول القامة والقوة ورجاحة العقل ، فأنت الأمجد بين أبطال اليونان . لننه مبارزة اليوم ويمكننا أن نتواجه فيها بعد في ساح المعركة ، ولكن فلنتبادل تحية الوداع بهدايا تكون تذكاراً للقائنا هذا . وليذكر أبطال طروادة واليونان أن البطلين تقابلا وهم يشتعلان بالكراهية وافترقا صديقين .

قال هيكتور هذا وأخذ سيفه المرصع بالفضة فقدمه الى اياكس فنزع اياكس زنّاره القرمزي الثمين وقدمه الى هكتور . وبهذا انتهت مبارزة البطلين ففرح الطرواديون لأن قائدهم خرج سليماً من لقائه باياكس الصنديد وشيعوه الى طروادة باحتفال كبير . وسرّ اليونانيون أيضاً وهم يرون الى مدى قوة بطلهم أياكس تيلامونيد ، فأقام الملك أغاممنون مأدبة على شرفه ودعا اليها كافة الأبطال فتواصلت

المأدبة حتى نزول الظلام .

وعند انتهاء المأدبة نصح الشيخ نسطور قومه بأن توقف الأعمال الحربية لمدة يوم واحد من أجل أن يدفنوا الأبطال الذين سقطوا صرعى في الحرب ولكي يقيموا سوراً حول المعسكر والسفن .

وعقد الطرواديون أيضاً مجلسهم الحربي وتطارحوا خلاله ما ينبغي عمله ، فأشار انتينور بأن تعاد هيلين والكنوز المسروقة الى اليونان . لكن باريس واجه الاقتراح برفض مطلق واكتفى بالموافقة على ان تعاد النفائس المسروقة ويزاد عليها نفائس اخرى من خزائنه الخاصة . وأشار الملك بريام بأن يوجه رسول الى اليونانيين صبيحة اليوم التالي فينقل اليهم ما انتهى اليه الاجتماع فاذا وافقوا تم الصلح والا فليتصل القتال الى أن يؤزر الآلهة بنصرهم أحد الفريقين . فلما أصبح الصباح خرج رسول الطرواد الى اليونانيين ليعرض عليهم ما انتهي اليه من قرار لكنهم رفضوا قبوله واكتفوا بالموافقة على أن يقف القتال يوماً واحداً من أجل دفن القتلى .

وبدأ الفريقان بدفن قتلاهم قبل بزوغ الشمس فحملوا الجثث الى المحارق وأضرموا النيران فيها . وفي غضون يوم واحد أقام اليونانيون حول معسكرهم سوراً عالياً متعدد الأبراج وحفروا أمامه خندقاً عميقاً . ودهش آلهة الأوليمب من هذا الانجاز العظيم . أما الإله بوسيدون فقد حنق على اليونانيين لأنهم لم يقدموا القرابين للآلهة خلال بناء السور ، غير أن زيوس طمأنه وأشار عليه بأن يدمر السور فيما بعد ويغمره برمال الشاطىء .

وما أن فرغ اليونانيون من عملهم حتى بدأوا باعداد طعام العشاء ، وكانت السفن قد وصلت من ليمنوس في ذلك الوقت محملة بالخمور ففرحوا بها وتسارعوا الى شرائها وبدأوا مأدبتهم العامرة ، لكن الاحتفال لم يمض بهدوء فقد تواصل قصف الرعود المستمر منذراً بالكثير من الويلات ، وكان ذلك اشارة من زيوس ، فكان الرعب يسيطر على الآدبين فتنسكب الخمرة من كؤوسهم ولم يجرؤ أحد منهم على أن يشرب دون أن يريق شيئاً من شرابه على اسم زيوس . وأخيراً انتهى الاحتفال وهجع المعسكر بأسره في احضان الكرى .

انتصار الطرواد

عن « الالياذة »

في الصباح الباكر عندما أطلت ايوس ، ربة الفجر على صفحة السماء واشتعل الشرق ببريق قرمزي جمع زيوس آلهة الأوليمب في أبهاء قصره وقال لهم :

ـ أصغوا الي ايها الخالدون ! حذار أن يتجرأ أي منكم على الهبوط من قمة الاوليمب ليقدم العون لليونان أو الطرواد . أما من يخالف أمري فسأرمي به في أعماق التارتار العديم القرار ليعرف هناك مدى سطوتي وقوة بأسي وإنني أقوى منكم مجتمعين . فإذا خامركم أن تعرفوا مدى قوتي فخذوا سلسلة ذهبية ودَلّوها حتى الأرض وقفوا جميعاً هناك وحاولوا مجتمعين أن تشدوا السلسلة لتزيحوني عن جبل الأوليمب . أما أنا فأمسك بيد واحدة وارفعكم في الفضاء جميعاً والأرض معكم ببحارها وما عليها .

أشاعت كلمات زيوس الرعب في قلوب الآلهة فاجابته الآلهة اثينا بقولها :

ـ أي مرسل الصواعق العظيم ، نعلم جميعاً أن لا حدود لقوتك ، لكننا جميعاً نحس بالاشفاق على اليونان . هل نتركهم حقاً ليد الهلاك ؟ فأجابها زيوس :

ـ اطمئني يا ابنتي فلا أروم إهلاكهم جميعاً .

وبعد ان انتهى زيوس من كلامه شد عربته الى الخيول الذهبية الأعراف ورفع الصولجان الذهبي بيده وانتصب فوق العربة بملابسه الذهبية . وحث جياده على الاسراع فانطلقت به بين الارض والسماء الى جبال ايدا[1] الشاهقة وهناك

١ ـ أيدا ـ جبل يقع في آسيا الصغرى ، الى الشرق من طروادة ، في جنوب غرب فريجيا .

جلس على القمة المنيعة يطل على اليونانيين وابناء طروادة وهم يستعدون للقتال .
التقى الجيشان في الميدان ودارت معركة طاحنة امتدت حتى الظهيرة فأخذ زيوس ميزاناً ذهبياً ووضع في كفتيه أنصبة الطرواد واليونان فارتفعت كفة الطرواديين حتى السماء بينما هبطت كفة اليونانيين حتى الأرض فهددت الكثيرين منهم بالفناء . إذ ذاك تردد قصف الرعود من على قمة الجبل الشاهق ورمى عظيم الآلهة بصاعقة في معسكر اليونان فارتعد المقاتلون رعباً ولاذوا بالفرار واتجهوا نحو اسوار معسكرهم ليحتموا وراءها فلم يبق في الميدان سوى نسطور وقد جرح أحد خيوله بسهم سدّده نسطور فقمص الحصان على خلافيتيه وعبثاً حاول صاحبه أن يقطع حباله بينما كان هيكتور يدنو منه بعربته وكاد الشيخ أن يهوى قتيلاً بضربة من هيكتور لولا ديوميد الذي اسرع لمساعدته وصاح باوديسيوس أن يأتي معه لنجدة الشيخ غير أن اوديسيوس لم يسمع نداءه فخطف ديوميد الشيخ نسطور ووضعه في عربته وانطلق ليجابه هيكتور وسدد اليه طعنة شديدة برمحه لكنه أخطأ الهدف ، إذ جاءت الطعنة في صدر سائق عربة هيكتور فجندلته صريعاً وجنحت به الجياد وصعد البطل ارخيبتوليم ليستقر مكان السائق . ولو رأى الفارون الى مأثرة ديوميد لتوقفوا لكن زيوس ألقى أمام جياده صاعقة ألّاقة فتوهجت الصاعقة بوهج مخيف وجعلت الجياد تتراجع إلى الوراء ، ولذلك راح نسطور يستحلف ديوميد ان يغادر ميدان المعركة فزيوس قد قدّر النصر لغيره . وعلى الرغم من رغبة ديوميد الجامحة في مواصلة القتال فانه أصغى لرجاء نسطور ووجه خيله نحو جموع اليونانيين الفارين بينما كان الطرواديون يطلقون صيحاتهم الرهيبة ويمطرون أعداءهم بسحب من السهام . وضحك هكتور من خصمه ديوميد الذي لاذ بالفرار . وقد حاول هذا مراتٍ ثلاث أن يعود الى القتال لكن قصف رعود زيوس تردد ثلاثاً ؛ وأدرك هيكتور أن زيوس يعد الطرواديين بالنصر عن طريق هذه الاشارة فراح يحث قومه على اللحاق بالأعداء ويطلق تهديده باحراق السفن عندما يقتحم معسكر الأعداء ، فحنقت هيرا عليه بسبب تبجحه وتهديده وراحت تضرع الى الاله بوسيدون ان يمد يد عونه الى اليونان لكن سلطان البحار لم يستجب لمطلبها .

وانتقلت المعركة الى المكان الملاصق للسور المحيط باليونان وأوحت هيرا لأغاممنون ان يثير حماسة قومه فصعد الى سفينة اوديسيوس واتجه بوجهه نحو المقاتلين وراح يحرضهم على الثبات والصمود بشجاعة كما راح يضرع الى الاله زيوس أن يمد يد العون الى اليونان ويحول دون هلاكهم على أيدي الطرواد . فرق له قلب الاله الأعظم وأرسل آيته الى اليونان ، فقد حلق عقاب فوق مذبح زيوس يمسك مهاةً بمخالبه ورماها فوق المذبح . ولما رأى اليونانيون الى هذه الآية عادت الروح اليهم فصمدوا لهجوم الاعداء وكان الملك ديوميد اشدهم قوة وبأساً فجندل الكثيرين من الأبطال وأخذ الآخرون يحاربون بضراوة الأسود وقد امتاز من بينهم تيفكر ، أخ أياكس تيلامونيد الذي جندل بسهامه أبطال الطرواد واحداً تلو الآخر كما قتل البطل المجيد غوركيفيون ، ابن بريام ، ومثلما تميل الوردة الحمراء تحت ثقل الندى الذي يكللها مال غوركيفيون الجميل برأسه المجلل بالخوذة وهوى الى الأرض . كما قتل تيفكر البطل ارخيبتوليم ، سائق عربة هكتور وصديقه ، فاضطرم صدر هيكتور بالحقد والغضب وانقض على تيفكر ورماه بصخر ثقيل فأصابه في كتفه عند منبت العنق . وأنّ البطل اليوناني وكاد هيكتور أن يجهز عليه لو لم يسارع أياكس فيغطي بالترس أخاه ويأمر تابعيه فيحملوا الجريح الى السفن .

ومن جديد حرض زيوس الطرواديين على القتال ، فراحوا يزحمون اعداءهم حتى أوصلوهم الى السفن . وكان هكتور يصول ويجول مثيراً الرعب في الصفوف ، واشتد اشفاق هيرا على اليونانيين فأهابت بأثينا أن تقوم بما يخفف العبء عنهم ، فارتدت أثينا ملابس القتال وهبطت صحبة هيرا من ذروة الأوليمب الشاهق ، ورآهما زيوس تنحدران من الذروة نحو قمم ايدا الشاهقة ، فأنفذ ايريذا ، رسولة الآلهة لتأمرهما بالتوقف وتنذرهما بغضب الاله الأعظم . فهلع قلب الربتين خوفاً من زيوس وعادتا أدراجهما الى الاوليمب والحزن يملأ قلبيهما ، وما هو الا القليل حتى عاد مرسل الصواعق الى الاوليمب ولما سأل الربتين عن سبب الكدر الذي هما فيه ردّتا عليه بانهما تشفقان على مصائر اليونان ، فقال زيوس بأن الطرواد سوف يواصلون انتصاراتهم الى أن يصطلح اغاممنون مع أخيل ويرسل اليه الهدايا الثمينة لقاء الاهانة الكبيرة التي ألحقها به .

ومالت الشمس الى المغيب ولف الليل الأرض بردائه الأسحم وتوقفت المعركة الدامية . واطاع الطرواديون أمر قائدهم هيكتور ، فلم يعودوا الى مدينتهم المقدسة بل انتشروا للمبيت في الميدان وتركوا المدينة لحماية الفتيان والشيوخ . لقد كان هيكتور يأمل في أن يحقق الانتصار الشامل على الأعداء ويزيحهم عن أراضي بلاده . وأضرم الطرواديون نيراناً كثيرة في الميدان فكانت تتألق مع غياهب الليل كالنجوم .

أغاممنون ينشد المصالحة مع أخيل

عن « الالياذة »

غمرت الكآبة صدر أغاممنون بسبب انتصار الأعداء ، فوزع المنادين ليدعوا أمراء الجيش الى الاجتماع حتى اذا التأم الجمع خاطبهم بقوله انه لم يعد ثمة مفر من الانسحاب إلى بلاد اليونان لأنها مشيئة زيوس على ما يبدو . لكن ديوميد ردّ عليه بغضب وقال ان بمقدوره ان يغادر وحيداً اذا كانت هذه رغبته ، أما بقية القادة فسيبقون ويواصلون القتال الى أن تسقط طروادة في أيديهم ، كما ردّ نسطور فكرة الرحيل وأشار على أغاممنون أن يقيم مأدبة يتطارح القادة خلالها ما يجب عمله بينما يلتزم الحرس بحراسة المعسكر .

وهكذا خرج سبعمئة من الشبان بقيادة سبعة من الأمراء لحراسة المعسكر اليوناني ، أما بقية القادة فمكثوا في خيمة أغاممنون . وخلال المأدبة أشار نسطور على أغاممنون بالصلح مع أخيل واستجاب أغاممنون لنصيحة الشيخ فأعلن أمام

الجميع عن استعداده لأن يبذل الأموال الكثيرة لأخيل وان يرد اليه بريسييدا وأن يزوجه احدى بناته عندما يعودون الى الوطن وان يجعل بائنتها عدداً من المدن الزاهرة ؛ وأثنى الأمراء على قرار أغاممنون وأجمعوا على أن يرسلوا أياكس تيلامونيد واوديسيوس وفينيكس والرسولين ايفريبات وغوديس لمفاوضة أخيل فقد كان أخيل يؤثرهم بمودة خاصة . وحمّل نسطور الأبطال كثيراً من النصائح .

وصل الرسل الى خيمة أخيل فألفوه جالساً يعزف على قيثارته ويغني أمجاد الأبطال بينما جلس صديقه باتروكل الى جانبه . واحتفى أخيل بمقدم الأبطال وأقام من أجلهم مأدبة لائقة ، فلما فرغوا من تناول الطعام توجه اوديسيوس اليه بخطابه وحاول اقناعه بقبول المصالحة مع اغاممنون وحدثه عن زحف الطرواد على اليونان بقيادة هيكتور كما عدّد له الهدايا التي وعد اغاممنون أن يقدمها دليلاً على الصلح وذكّره بالنصائح التي زوّده ابوه بها عندما وجّهه في الحملة وقوله له أن يبتعد دوماً عن الشقاق والخصومات . لكن أخيل رفض المصالحة مع ملك ميكينا ، فهو لم ينس الاهانة المريرة التي وجهها اليه بل وزاد بأن قال بأنه يرفض الصلح مع أغاممنون حتى ولو منّاه بهدايا تعادل ثروات طيبة المصرية . وأصر على موقفه المعاند بل وهدد بالعودة الى فتيا . آنذاك بدأ فينيكس الكلام وحاول بدوره اقناع أخيل خوفاً على مصائر اليونان ، وأقسم عليه الاّ يتصرف كتصرّف ميلياغر ذات يوم عندما نشبت الحرب بين الكوريت والايتوليين . لكن أخيل لم يجبه بكلمة واحدة . فلم يكن من اياكس الا ان نهض وطلب اوديسيوس الاسراع بمغادرة الخيمة والذهاب لابلاغ الابطال بالردّ الأخير ، لكنه قام بمحاولة أخيرة لاقناع أخيل فبقي هذا مصراً على موقفه وكان آخر ما أفضى به أنه لن يتصدى لهيكتور الا عندما يقوم باحراق السفن اليونانية ويصل الى سفن أخيل وخيمته .

غادر الأبطال خيمة أخيل صامتين ولم يبق معه غير فينيكس . وعندما وصلوا الى اغاممنون نقل اياكس واوديسيوس ردّ أخيل فأصغى اليه القادة واجمين . ونصح ديوميد بالانصراف عن أخيل لأن عروض أغاممنون نفخت قلبه بكبرياء وغطرسة . واقترح على الجميع ان يمضوا الى النوم بعد أن قووا أجسامهم بالطعام والنبيذ وطلب منهم ان يستعدوا جيداً للمعركة الدامية في اليوم التالي .

اوديسيوس وديوميد يخرجان
للتجسّس على معسكر الأعداء

عن « الالياذة »

غرق المعسكر اليوناني في احضان الكرى ولم يبق منتبهاً غير أغاممنون . كان وحيداً يصعد الزفرات ، أسير أفكاره الحزينة ، يردد أنظاره في معسكر الأعداء والنيران تتألق حوله ويعجب لأصوات النايات المتعالية والقهقهات التي تتردد من ذلك الجانب حتى اذا مال بنظره الى الجانب اليوناني كان الحزن يمزق قلبه ويكاد يمد يده ليقطع شعره . وأخيراً نهض أغاممنون من فراشه والقى على منكبه بفروة أسد كبيرة وتناول رمحه وانطلق الى نسطور ينشد لديه النصيحة والرأي وكيف يبتعد بقومه عن الهلاك . ولقي في الطريق أخاه مينيلاوس وقد استعصى عليه النوم أيضاً وسهّده التفكير في المصير الفاجع لاولئك الذين غادروا ديارهم واهاليهم في سبيله . واتفق الأخوان على عقد اجتماع عام فمضى مينيلاوس لدعوة الأمراء وانطلق اغاممنون الى نسطور . وسمع نسطور وقع خطواته المقتربة لكنه لم يتميّز شخصه تحت جنح الظلام فصرخ به أن يسمي نفسه ففعل . ودلف أغاممنون الى خيمة الشيخ الحكيم وأفضى اليه بما يعتمل في صدره وطلب منه أن يرافقه الى المجلس العام فاستجاب له نسطور ومضيا معاً الى اوديسيوس ثم الى ديوميد الذي كان قد أسند رأسه الى ترسه العظيم وأغمد رمحه بجانبه واستسلم للرقاد فايقظاه وأنبآ بقية القادة بالاجتماع ثم ذهبا ليتفقدا الحرس فوجدوهم ساهرين مستيقظين وقد ثبتوا أنظارهم في حلكة الليل يترقبون مخافة أن يباغتهم الأعداء . وعبر القادة الخندق وقعدوا على الأرض أمام المعسكر ، واقترح نسطور ارسال العيون إلى معسكر الأعداء ليتعرفوا على نواياهم وهل يباغتون اعداءهم أم ينصرفون الى المدينة . وانبرى البطل الماجد ديوميد للمهمة الخطيرة وطلب ان ينضم اليه واحد



اوديسيوس وديوميد يقبضان على الجاسوس الطروادي دولون
(رسم على مزهرية)

من الأبطال فلباه عدد من الأبطال ولما طلب أغاممنون منه أن يختار من بينهم من يريده رفيقاً وقع اختياره على اوديسيوس ، صفي اثينا ـ بالادا فقد كان على ثقة بامكانية نجاتهما سالمين حتى من لظى النيران بفضل حيل اوديسيوس وألاعيبه . وتسلح البطلان بما قدمه لهما الرجال من عتاد لأنهما جاءا الاجتماع أعزلين .

ومثلما أرسل اليونانيون عيونهم الى معسكر الطرواد أراد هؤلاء أن يستطلعوا قدرة أعدائهم على الدفاع . وتجرد للمهمة دولون ، ابن ايڤميد ، المشهور بسرعته في العدو وقد عزم على التسلل حتى سفن الأعداء والتنصت على أحاديث القادة خلال اجتماعهم . وهكذا فقد تسلّح وطرح على كتفيه فروة ذئب ثم انطلق الى معسكر الأعداء ، لكنه لم يقطع غير جزء من الطريق عندما لمحه ديوميد واوديسيوس فانبطحا على الأرض ريثما جاز قليلاً ثم انطلقا في اثره ككلبي صيد يطاردان أرنباً أو غزالاً .

وصرخ ديوميد وهو يشهر رمحه : قف والا طعنتك بهذا الرمح فيكون فيه حتفك .

وقذف بالرمح من فوق كتف دولون فالقى في قلبه الذعر فتسمر الرجل في مكانه وقد ابيض رعباً فتقدم البطلان اليونانيان وأمسكا به فراح يضرع اليهما ان

يبقيا على حياته ، فبدأا باستجوابه عما جاء به الى معسكر اليونان ومن ذا الذي أرسله وكيف تتوزع القوات الطروادية وحلفاؤها ، وأفضى لهما دولون بكل شيء طمعا في رحمتهما ؛ وأضاف فحدثهما عن المكان الذي يربض فيه التراقيون وملكهم ريس ، صاحب الخيول البديعة والأسلحة الذهبية ، لكن الطروادي لم يحظ بما كان يأمله من رحمة فقد جرده اليونانيان من خوذته ومن فروته الذئبية ومن سلاحه وخبأ اوديسيوس تلك الأسلاب في مكان يسمح بأخذها في طريق العودة وانطلق مع صاحبه الى معسكر التراقيين .

تسلل البطلان الى المكان الذي يرقد فيه الملك ريس بجوار خيوله ، ومثلما ينقض الأسد على قطيع وادع من الماعز والأغنام انقض ديوميد على التراقيين الهاجعين فجندل اثني عشر منهم وقتل الملك ريس نفسه أما اوديسيوس فحل أربطة الخيل وأخرجها من المعسكر ، وهمّ ديوميد باخراج العربة بما تحمله من أسلحة ذهبية لكن اثينا ـ بالادا مثلت أمامه وقالت :

ـ فكّر بعودتك الى معسكرك يا ابن تيديوس . آن لك أن تعود أدراجك والا اضطررت الى الفرار اذا ما قام واحد من الآلهة المعادين لك بايقاظ الطرواديين المهاجمين .

أطاع ديوميد النصيحة وأسرع فامتطى واحداً من الجياد وامتطى اوديسيوس جواداً آخر وانطلقا باتجاه المعسكر اليوناني .

شهد أبولون الالهة أثينا ـ بالادا وهي تقدم عونها إلى ديوميد واوديسيوس فهرع الى معسكر الطرواد وأيقظ البطل هيبّوكونت ، نسيب ريس . فهب هذا من رقاده ونظر الى مربط الخيل فوجده خالياً فراح ينادي على ريس لكن أحداً لم يجب فاعلن النفير في المعسكر . وأخذ المجتمعون ينظرون الى ما فعله ديوميد واوديسيوس بعيون مليئة بالرعب اما هذان فالتقطا أسلحة دولون المخبوءة في الطريق وانطلقا الى المعسكر حيث ينتظرهم ملوك اليونان وهناك قص اوديسيوس عليهم مصرع ريس والاثني عشر تراقياً على يدي ديوميد وحصولهما على الخيول العجيبة ، فأشاد الرجال بالبطلين وشملت الفرحة الجميع ، وعقلوا حصاني ريس أمام خيمة ديوميد أما أسلحة دولون فأخذها اوديسيوس الى سفينته .

المعركة بجوار المعسكر اليوناني

عن « الالياذة »

ما كاد الشرق يتلون بأول ألوان الصباح المشرق حتى أنفذ زيوس الهة الشقاق الى معسكر اليونان فوقفت فوق سفينة اوديسيوس الضخمة وأطلقت صيحة مدوية ونفخت في الجميع شهوة نحو القتال لا تقاوم . وصاح أغاممنون يحرض الأبطال على القتال وهو يرتدي أسلحته النفيسة ويهز بيده رمحه الطويل ، فاندفع ابطال اليونان الى الحرب راجلين فتلقاهم الطرواديون بجرأة وبسالة يتقدمهم البطل هيكتور ، وأخذ الأبطال يصولون في الميدان كالذئاب المسعورة فتهلل وجه الهة الشقاق لمناظر الدماء ، أما بقية الآلهة فانسحبوا نحو الاوليمب المشرق الى حجراتهم الفارهة وقد أحزنهم أن يقدم كبير الآلهة عونه للطرواد . أما زيوس فكان يملأ أنظاره بمرأى المعركة التي امتاز اغاممنون فيها بضراوته فقد جندل أعداداً من الرجال برمحه الثقيل وقتل اثنين من أبناء بريام هما ايس وانتيف وكانا يحاربان معاً في عربة واحدة وقد لمحهما أغاممنون منذ فترة قصيرة قبل ذلك في معسكر اليونان عندما اقتادهما أخيل بعد أن اسرهما على سفوح ايدا . ولم يتمكن الطرواديون من نجدة الشقيقين فهلكا معاً ، كما جندل اغاممنون ولدي أنتيماخ فانتقم بذلك من أبيهما الذي أغوته رشوة باريس فأفتى بقتل مينيلاوس عندما توجه هذا بسفارة الى طروادة ، وقد ضرع الشقيقان الى البطل طالبين الرحمة دون جدوى، وبعد ذلك اندفع اغاممنون نحو أشد اماكن المعركة ضراوة وراح يجتاح الصفوف ويجندل الأبطال كما تلتهم النار الغابة فتتساقط في أوارها الأشجار التي تطيح بها النار العاصفة . كانت العربات تندفع في ساح المعركة كالرعود القاصفة وكان اغاممنون يستقبل الأبطال الواقفين فوقها برمحه فينتهي بهم الى الموت ، وهكذا اضطربت حشود الطرواد ولاذوا بالفرار لكنهم توقفوا عند نهر سكيية .

فقد رأى زيوس تقهقر الطرواد فأمر الالهة ايريدا بأن تنطلق الى هيكتور فتوعز اليه ان يدخل المعركة بمجرد أن يرى أغاممنون جريحاً لأن زيوس يهبه قوة جبارة يستطيع بها أن يزيح اليونان حتى سفنهم . وانحدرت الربة الى هيكتور وأخبرته بمشيئة زيوس فوثب البطل من عربته وراح يثير الحماسة في بني قومه بينما كان اغاممنون يصول في جموعهم ويجندل أبطالهم برمحه ، حتى قتل اينفيدامانت ، ابن انتينور ، وهب كوونت ، الابن الأكبر لانتينور ، لينتقم لمصرع أخيه فطعن أغاممنون طعنة جرحته في ذراعه بقرب المرفق فرد عليه ملك ميكينا بضربة أطارت رأسه فسقط الأخ الاكبر قتيلاً فوق جثمان أخيه لكن اغاممنون عجز بعد ذلك عن مواصلة القتال اذ اشتدت آلام جرحه .

ولما رأى هيكتور أغاممنون يغيب في عربته مدحوراً أخذ يشجع المحاربين بصوته الجهوري وألقى بنفسه في أتون المعركة فجندل العديد من الأبطال وأحدق الهلاك باليونان لكن اوديسيوس دعا ديوميد للمساعدة فهب الاثنان يتصديان للهجوم ورأى ديوميد هيكتور يقترب منه مسرعاً فقذفه برمحه فأصاب خوذته وحال ابولون دون أن تخترق الطعنة الخوذة فأنقذ هيكتور من موت محقق لكن البطل هوى الى الأرض من شدة الضربة وغاب عن الوعي . وبينما كان ديوميد يخترق صفوف المحاربين لكي يرفع رمحه استعاد هيكتور وعيه ووثب الى عربته فنجا من الموت فاستشاط ديوميد غضباً لعجزه للمرة الثانية عن قتل خصمه اللدود فلوّح برمحه من جديد وطعن به واحداً من أبطال الأعداء فصرعه ، وبينما كان منحنياً عليه ليجرده من دروعه سدّد باريس إليه سهماً صائباً فجرحه وسارع اوديسيوس اليه فحماه بترسه حتى تمكن من انتزاع السهم من الجرح ، الا أن ديوميد لم يتمكن بعد ذلك من مواصلة القتال فغادر الميدان .

وكما تحيط الكلاب بأسد خرج من الغابة فهو يقف مكشراً عن أنيابه الحادة ، أحاط الطرواديون بأوديسيوس فراح يرد طعناتهم برمحه فجندل منهم الكثيرين ومن بينهم هاروب ، أخ الملك سوك ، فانقض هذا على البطل اليوناني انتقاماً لأخيه ، وسدّد اليه طعنة شديدة استطاع اوديسيوس ان يردّها بترسه لكنها

جرحته جرحاً عميقاً في خاصرته ، غير أن اوديسيوس تمكن ، رغم جرحه ، من أن يرد سوك على أعقابه ثم طعنه بالرمح في ظهره فأرداه قتيلاً ، ومد يده بعد ذلك فتحسس موضع الجرح في خاصرته فانتزع منه الرمح فنفر الدم غزيراً منه ، ولما رآه الطرواديون جريحاً انقضوا عليه فصار يستصرخ اليونانيين أن يخفوا لنجدته ، فسارع اليه أياكس تيلامونيد وغطّاه بترسه العظيم كالبرج كما سارع مينيلاوس ورفعه على عربته وخرج به من ساحة المعركة بينما اقتحم اياكس جموع الاعداء وراح يضرب فيهم برمحه يميناً وشمالاً وفي ذلك الوقت جرح باريس البطل ماخاون بسهم في كتفه الأيمن فطلب ايدومينيوس من نسطور أن يرفع الجريح الى المعسكر اليوناني ورأى كيبريون ، سائق مركبة هكتور ، كيف يزحم أياكس الجند الطروادي وأخبر سيده بذلك فاندفع هكتور ، مسرعاً الى ذلك المكان ليشد من أزر المقاتلين هناك ، وألقى زيوس الرعب ، في قلب أياكس فطرح ترسه المهول وراء ظهره وراح ينسحب بهدوء شبيهاً بالأسد تبعده عن القطيع ثلة من الكلاب والرعاة البواسل .

كان البطل خلال انسحابه ، يتوقف مرة تلو المرة ، ليصّد هجوم الطرواديين محتمياً بترسه ، ورآه البطل ايفريبيل فسارع الى نجدته ، لكن باريس أيضاً ناله بسهمه فكان على ايفريبيل أيضاً أن يغادر ساح المعركة ، بينما سارع اليونانيون إلى نجدة بطلهم اياكس وحموه حتى خرج من المعركة دون أن يصاب بأذى .

كان أخيل يرقب المعركة من على مقدمة سفينته ، ولمح الشيخ نسطور ينقل واحداً من الجرحى فاستدعى صديقه باتروكل وطلب منه ان يذهب الى نسطور ويستطلع منه هوية الجريح فربما كان ماخاون ؛ وانطلق صديق أخيل الى خيمة الشيخ فرأى ماخاون الجريح وكانوا يهيئون له شراباً . ولمح الشيخ الحكيم البطل باتروكل فدعاه للجلوس فاعتذر بضرورة الاسراع بالعودة الى أخيل . آنذاك حدثه نسطور بالوضع الحرج وضغط الطرواد وسمّى له أسماء الجرحى من بين كبار الأبطال ورجاه أن يفعل شيئاً لصالح قومه كأن يطلب من أخيل أن يعيره دروعه ويقود المارميدون الى المعركة فيحسبه الأعداء أخيلاً فيحجموا عن القتال وينال

اليونانيون بذلك قسطاً من الراحة . فوافق باتروكل ومضى الى صديقه مزمعاً ان يستأذنه الدخول في المعركة . ولقي في طريقه ايڤريبيل الجريح وهو يكابد آلاماً مبرحة ، فالسهم لا يزال مغروساً في فخذه والدماء تنزف منه كالجداول فاشفق قلب الشاب للبطل الجريح وأعانه حتى وصل به الى سفينته وهناك أخرج السهم من الجرح وذرّ عليه عقاراً شافياً بينها كان ايڤريبيل يحدثه بما يعانيه اليونانيون من ضغط الطرواد .

ودارت رحى المعركة من جديد . ولم يعد السور والخندق كافيين لحماية اليونان ، لكن الطرواديين لم يكونوا قادرين على اجتياز الخندق والسيطرة على السور الذي يحتمي اليونانيون وراءه . وهمَّ هيكتور باجتياز الخندق على عربته لكن جياده عجزت عن ذلك وجمحت نحو الخلف ؛ عند ذلك عمد الطرواديون الى خطة جديدة أشار بها بوليدامانت فانقسموا خمس فرق كبيرة وترجّلوا وبدأوا يقاتلون راجلين وقد تخلوا عن عرباتهم ، الا البطل آسيوس ، فانه لم يترجل اذ كان يريد أن يطارد اليونان الفارين وأن يخرق بفرقته صفوفهم وينقض بعد ذلك على السفن . لكن اللابيفيينّ بوليبيت وليونتيس تمكنا من صده عند الأسوار . كانا ينتصبان أمام البوابة كشجرتي بلّوط متينتين ويتصديان لزحف المهاجمين بشجاعة وقوة بينها كانت الأسوار تهيل على المهاجمين مطراً من الأحجار الكبيرة ووابلاً من السهام . وتمكن البطلان من ردّ هجوم آسيوس وقتلا أعداداً من المهاجمين ، لكن فرقة جديدة أخذت تتقدم نحو الاسوار يقودها هيكتور وبوليدامانت . إذ ذاك أرسل زيوس آية عظيمة فقد ظهر فوق جحافل الطرواد عقاب يحمل في مخالبه حية ما فتئت تتلوى حتى نهشت العقاب في صدره فأطلق صيحة ثاقبة وأسقط الحية وسط الجيوش الطروادية ثم توارى عن الأنظار . ولما رأى بوليدامانت تلك الآية نصح هكتور بالكف عن القتال والعدول عن فكرة احتلال المعسكر اليوناني لكن هذا أصمّ أذنيه عن سماع النصيحة ومضى يتقدم بفرقته باتجاه الأسوار .

اثار الإله زيوس عاصفة هوجاء . فارتفعت أعمدة الغبار فوق سفن الإغريق ، لكن اليونانيين واصلوا دفاعهم عن السور بقوة وجلد رغم اشتداد العاصفة . وخلع الطرواديون مسننات السور وأخذوا ينتزعون قطع الخشب

الضخمة التي تدعم الأبراج تمهيداً للإطاحة بها . واستقبل اليونان المهاجمين بالأحجار وبالسهام والرماح ، وكان الأخوان اياكس وتيفكر يثيران الحماس في صدور المحاربين من أجل أن يصمدوا . وتقدم البطل الشجاع ساربيدون من البوابة محتمياً بترسه وأمسك برمح طويل في كل من يديه ودعا البطل الليكي غلافك ليقف الى جانبه وكان مينيسفيوس يحرس البوابة فأرسل بطلب الشقيقين اياكس فهرع اليه اياكس تيلامونيد وأخوه تيفكر وبانديون . وبينما كان البطل ايبيكليوس يتسلق السور رفع اياكس حجراً ضخماً وضربه فأطاح به ، وجرح تيفكر البطل غلافك بسهمه . أما ساربيدون فإنه لم يتراجع بل تمكن من أن يهدم جزءاً من السور إلى أن نجح أياكس وتيفكر في صده . وأهاب ساربيدون بالليكيين أن يقوموا بهجوم جديد . فانقضوا معاً على السور لكن اليونان حلوا بينهم وبين ذلك . لقد أخفق الليكيون في اقتحام السور لكن اليونانيين لم يستطيعوا ازاحتهم عنه . وهكذا عجز كل من الفريقين عن حسم المعركة ، وكان هيكتور أول من اقتحم معسكر اليونان فقد رفع حجراً هائلاً يصعب ان يزحزحه اثنان من الرجال الأشداء الا بواسطة العتلة ، وضرب به البوابة الضخمة فلم تصمد أمام ضربته ولا صمد الترباس الهائل الذي كان يدعمها بل أصدرت دوياً هائلاً وتفتتت قطعاً واندفع هيكتور في المعسكر تتقد عيناه بشرار الغضب ، واندفع الطرواديون من ورائه . وهكذا تم اجتياح السور فلاذ اليونانيون بالفرار ، وانطلقوا الى السفن وسادت الفوضى كل مكان .

القتال عند السّفن

«عن الالياذة»

وبدأ الاشتباك قرب السفن ولم يعد زيوس يعيره انتباهاً لثقته من أن أحداً لم يُقْدم على مساعدة اليونان . ولما رأى الاله بوسيدون ذلك سارع بالهبوط من على جبل تراقيا من حيث كان يتفرج على المعركة ومضى الى قصره ثم شد خيوله البحرية الى عربته . وترك خيوله وعربته في مغارة واسعة على شاطىء البحر وقيّد ارجل الخيول بسلاسل من ذهب واتخذ هيئة الكاهن كالخاس ثم ظهر للأخوين أياكس وراح يحضهما على القتال ، ولمسهما بصولجانه فنفث في عروقهما قوة جبارة أدركا معها ان من يتحدث اليهما إله في هيئة كاهن فزادهما ذلك ثقة واندفاعاً في القتال . وراح بوسيدون يجول بين الصفوف ويثير اليونانيين على المجالدة فتجمعوا حول الشقيقين ترساً الى ترس وخوذة الى خوذة وأشرعوا الرماح ووقفوا يترقبون هجوم الأعداء بقيادة البطل الشديد هيكتور .

ومثلما ينحط صخر ضخم انفصم عن جبل شاهق الارتفاع فهو يجتاح ما أمامه حتى يصل الى قرارة الوادي ولا ينتهي الى الهدوء حتى في ذلك المكان ؛ هكذا اندفع هيكتور في جموع اليونان والرمح والترس في يديه ؛ الى أن اوقفته الصفوف المتراصة المتساندة فراح يهيب بالطروادیين أن يمزقوا صفوف الاعداء واشتبكت معركة ضروس فتساقط اليونانيون فوق أرض المعركة وخرّ فيها امفيباخ ، حفيد بوسيدون فاشتد الحنق بالاله العظيم وأهاب بالملك ايدومينيوس ان يخرج للانتقام . كان البطل المجيد يتألق بملابسه الحربية البراقة شبيهاً ببروق زيوس وقد اندفع الى المعركة فلقي فيها صديقه ميريدون وكان رمحه قد انكسر لتوه بعد ان طعن به ترس دييفوب ابن بريام ، ومضى يلتمس رمحاً آخر ، فاعطاه ايدومينيوس رمحاً من عنده ، وانطلق البطلان معاً نحو الجناح اليوناني الأيسر .

رأى الطرواديون ايدومينيوس يتقدم فانقضوا عليه ، لكنه تصدى لهم وألجأهم الى الفرار ، ولما رآه دييفوب ابن بريام يطارد قومه دعا صديقه اينيوس للمساعدة وهجما معاً على ايدومينيوس واستصرخا باريس واغينور لمساندتهما فدارت رحى معركة رهيبة لأن اليونانيين سارعوا الى نجدة بطلهم وصلصلت على الصدور ضربات الاسلحة النحاسية شديدة عالية .

أما هيكتور فانقض على الجهة المجاورة للشاطىء حيث كان الشقيقان أياكس يحميان السفن ويتصديان للأعداء متساندين كثورين شدا الى نير واحد فهما يجرّان معاً محراثاً واحداً ويسيران في خط واحد وهما يفلحان الأرض العميقة . وتجمع حولهما كثير من الأبطال بينما كان اللوكريون يقفـون وراءهما وقد تسلحوا بالأقواس والمقاليع وراحوا يمطرون المهاجمين بسحب من نبالهم . وكاد الطرواديون أن يتضعضعوا لكن بوليدامانت أشار على هيكتور بأن يستدعي الاشجع بين الابطال ويتفقا على الانقضاض معاً على الأعداء أو العودة . ومضى هيكتور يدعو الأبطال لكنه لم يلق منهم الكثيرين فقد كانوا يرقدون جثثاً رمادية اللون عند سفن اليونان أو هم انسحبوا من المعركة مثخنين بالجراح ، فكان باريس يتصدى بمفرده لهجمة الأعداء . وتوجه هيكتور الى أخيه باللوم لكنه لم يكن محقاً في لومه : فقد كان باريس يخوض الحرب بشجاعة نادرة ولم يكن ذنبه أن الكثيرين من الأبطال قد جرحوا وأن الأكثر قد قتلوا . وصاح باريس بأخيه ان يستصرخ الطرواديين للقتال فاندفعوا كعاصفة هوجاء لكن اليونانيين لم يرهبوا هجومهم ولمح اياكس تيلامونيد هيكتور فصاح به أن يدنو اكثر من الجموع اليونانية . وظهر العقاب في الجو وحوّم فوق اياكس فاستبشر اليونان وعدوا ذلك آية لهم . لكن الطرواديين بقيادة هيكتور أطلقوا صرخة وانقضوا عليهم وردّ اليونان عليهم بمثل صرختهم فتعالت الصيحات من الجانبين تشق عنان السماء .

سمع نسطور صيحات الجيوش في خيمته مع ماخون ، فأمسك بترسه ورمحه وخرج من خيمته واتجه الى اغاممنون ، وفي الطريق التقى بملك ميكينا وبديوميد واوديسيوس وقد أثخنتهم الجراح فسارعوا معتمدين على رماحهم يرومون مراقبة المعركة فانقبضت قلوبهم عندما رأوا المعركة وقد انتقلت الى جوار السفن كما

أحزنهم دمار السور الذي بنوه ليحتموا به من هجوم الأعداء ولم يعرفوا كيف يمكنهم ان يقدموا عونهم للجيوش وماذا بوسعهم ان يفعلوا لانقاذهم من الهلاك ، وتأهب أغاممنون لاصدار أمره باطلاق السفن نحو الماء لكن اوديسيوس منعه من ذلك لأنه كان يخشى ان يؤدي الى تفكير اليونان بالفرار اكثر من تفكيرهم بالقتال . واقترح ديوميد ان يرتدي عدة الحرب ويظهر أمام الجيش وبذلك يرفع من معنوياته دون أن يشارك في القتال لكي لايجرح من جديد .

ولما رأت هيرا الى هزيمة اليونان قررت ان تقدم لهم عونها ولو بالحيلة فرأت ان تسلط النوم على زوجها زيوس وتستغل فرصة رقاده فتمنح النصر لليونان .

وانطلقت هيرا من الاوليمب الى جبل ليمنوس حيث التقت باله النوم هيبنوس ، وقد تهيب هيبنوس إغضاب الاله الأعظم لكن هيرا توصلت الى اقناعه بما أرادت فانطلقا معاً وكان زيوس فوق قمة جبل ايدا فاختبأ هيبنوس فوق شجرة صفصاف ضخمة في هيئة طائر شجي الألحان فاستطاع بذلك أن يغرق زيوس في نوم عميق ، ثم انطلق اله النوم بعد ذلك الى مزلزل الأرض بوسيدون ليخبره بأن زيوس غارق في النوم .

سرّ بوسيدون بالخبر فراح يثير اليونان نحو القتال بينما كان أغاممنون وديوميد واوديسيوس ينظمون صفوف المقاتلون وقد تحاملوا على جراحهم ، وقاد بوسيدون فرقة يونانية ليواجه بها الطرواديين ، واحتدم البحر وتسارعت امواجه حتى وصلت الى السفن والخيام وانقض اليونان على أعدائهم أشبه بالموج المندفع فاضطرم أوار المعركة من جديد . ورمى هيكتور عدوّه اياكس برمحه لكنه لم يجرحه . فردّ عليه اياكس بحجر هائل وجاءت الضربة في صدره فخر هيكتور على الأرض كما تخر شجرة بلوط ضخمة ضربتها صاعقة من صواعق زيوس فسقط رمحه من يده أما ترسه الهائل فراح يضغطه الى الأرض واندفع اليونان نحو البطل الصريع لكن الطرواديين هرعوا اليه ونقلوه من ساح القتال وقد أغشي عليه ، فوصلوا به شاطىء نهر كسانف ورشوا بالماء وجهه فشهق وفتح عينيه ونهض وتدفق الماء من بين شفتيه ثم انكفأ على وجهه من جديد وغاب عن الوعي . ولما رأى اليونان الى ما حدث لهيكتور حملوا على الطرواد حملة رجل واحد فدارت المعركة أشد ضراوة من السابق

وذاق الكثيرون من الأبطال طعم الموت فيها سواء من جانب الطرواد او من جانب اليونان . ولاذ الطرواديون بالفرار فلم يتوقفوا الا عندما كانوا خارج الخندق بمعسكر اليونان .

وفي تلك اللحظة أفاق زيوس من نومه فرأى الطرواديين يلوذون بالفرار واليونانيين يطاردونهم بقيادة بوسيدون فغضب أشد الغضب وراح يعنف هيرا على ما فعلته بل وهددها بأن يقيدها بسلسلة من ذهب ويعلقها بين السماء والأرض لأنها أغرت بوسيدون بمساعدة اليونان لكن هيرا أقسمت أغلظ الأيمان بأن بوسيدون يفعل ذلك دون مشورتها .

وبسرعة الخاطر انطلقت الربة الى الاوليمب حيث كان الآلهة يأدبون فاخذت هيرا تقنعهم بالّا يعارضوا مشيئة زيوس كما أخبرت آريس ـ اله الحرب ـ بمصرع ابنه أسكالاف الذي جندله دييفوب فانخرط الاله في البكاء وهب من مكانه مسرعاً فارتدى ملابس القتال لينطلق الى ساحة المعركة فينتقم لابنه لكن أثينا اوقفته وذكرته بأمر زيوس بأن يمسك الجميع مساعدتهم عن الفريقين . أما هيرا فأنبأت ابولون وايريدا برغبة زيوس في ان يمثلا بين يديه فوق جبل ايريدا .

وحضر الالهان بين يدي زيوس الأعظم فأمر ايريدا بأن تطير الى بوسيدون وتنقل اليه أمر زيوس بالخروج من أرض المعركة على الفور ، ولم يكن اله البحار راغباً في تنفيذ الأمر فقال بانه يضاهي زيوس في القوة والبأس وان من شأن الاله الأعظم ان يصدر أوامره الى أبنائه وبناته لا الى بوسيدون ؛ الا انه رضخ أخيراً للأمر فغادر ميدان القتال مهدداً بأن عداء أبدياً سيكون بينه وبين زيوس اذا ما كرر هذا تقديم عونه للطرواديين .

أما أبولون فأمره كبير الآلهة بأن يأخذ صولجانه ويخيف به اليونان وان يعيد الى هيكتور قواه ، فانحدر ابولون ، كالعقاب الجارح الى الأرض ووقف بجانب هيكتور بينما كان البطل يستعيد وعيه فخاطبه ابولون بقوله :

ـ انهض ايها البطل فانا أبولون ، وقد أرسلني اليك زيوس فانطلق الى جيوشك ومرها بالكر على اليونان من جديد وسأكون أنا على رأس المقاتلين .

ونفث ابولون في صدر هيكتور قوة هائلة فنهض ومضى الى الطروادين ففرحوا بوجوده بينهم سليماً معافى وذهل الأعداء وهم يرونه ثانية في طليعة الصفوف ، وكر الطرواديون على اليونان وأخذوا يزحمونهم وزادت المعركة احتداماً وضراوة وازدادت الدماء تدفقاً وواصل اليونانيون تصديهم للأعداء ، لكن ذلك لم يدم طويلاً فما ان هز ابولون بصولجانه حتى اضطربت جموع اليونان وتراقصت قلوبهم في ضلوعهم ونسوا شجاعتهم وولوا مدبرين ، وانطلق الطرواديون في اثرهم وابولون يمهّد لهم السبل فملأ الخندق المجاور للسور وسوّاه على مدى رمية رمح . ولم يتوقف اليونان حتى السفن وهناك راحوا يستغيثون بالآلهة لتنصرهم كما راح الشيخ نسطور يضرع الى زيوس بقوله :

ـ تذكر يا زيوس تلك القرابين التي طالما قدمها اليونان على اسمك وهم يناشدونك ان تمنحهم عَوْداً سعيداً الى الوطن . اصرف يد الفناء عنا يا عظيم الاوليمب ولا تمنح الطراودين نصرك النهائي .

سمع زيوس ضراعة نسطور فقصف برعوده من أعماق السماء وفسر الطرواديون تلك الرعود على انها آية مشجعة فانقضوا على اليونان كأمواج البحر المضطرب التي ترتفع أعظم من سطح السفينة فاشتبكت المعركة لصق السفن وحارب اياكس بضراوة الاسود ليحمي السفن ووقف أخوه تيفكر إلى جانبه يجندل بسهامه الأبطال ، فلما صوب سهمه نحو صدر هيكتور ليقتله بادر زيوس الى حماية ابن بريام فسقطت القوس من يد حاملها وانقطع وترها وتفرقت السهام . فحل الرعب بقلب تيفكر وأدرك ارادة الآلهة . أما اياكس فنصح أخاه بأن يعدل عن القوس ويحارب طعناً بالرمح .

وتأججت نار المعركة وفاضت الدماء أنهاراً حول السفن ووقف اليونانيون سداً نحاسياً يحمونها بالدروع والتروس ، وقام ابطالهم بالبطولات الخارقة لكن هجوم الأعداء كان يزداد ضراوة واشتداداً . وبدا وكأن المهاجمين ليسوا جيشاً متعباً أنهكه القتال بل جيش جديد في أوج قوته ونشاطه . وراح أياكس يقفز من سفينة الى سفينة وترسه العظيم في يده يصد به زحف الطرواد ويستصرخ بصيحاته المهولة

قومه الى القتال . أما هيكتور فكان ينقض على الأعداء انقضاض العقاب على صغار الطير بل وأمسك بيده مقدمة سفينة بروتيسيلاي وأمر بأن يعطوه مشعلاً ليحرق به السفينة ، وعجز اياكس تيلامون نفسه عن صد الهجوم فبينما كان يواجه أعداءه طعناً بالرمح أمطروه بوابل سهامهم وخدرت يده اليسرى من ثقل الترس الذي تحمله وراح البطل يتنهد بصعوبة وتحدّر العرق من جسمه كالنهر وبدأ يتراجع الى الخلف بينما اندفع هيكتور إلى الأمام فضربه بسيفه فقطع سنان رمحه ، واقتنع اياكس بأن ارادة زيوس هي ان تذهب سفن اليونان طعماً للنار . والحق ان الطرواديين كانوا قد أحرقوا سفينة بروتيسيلاي فتصاعدت نيرانها نحو السماء وبدا أن نهاية اليونانيين قد اقتربت ، وفجأة جاءهم الغوث من حيث لا يحتسبون .

بطولات باتروكل ومصرعه

عن «الالياذة»

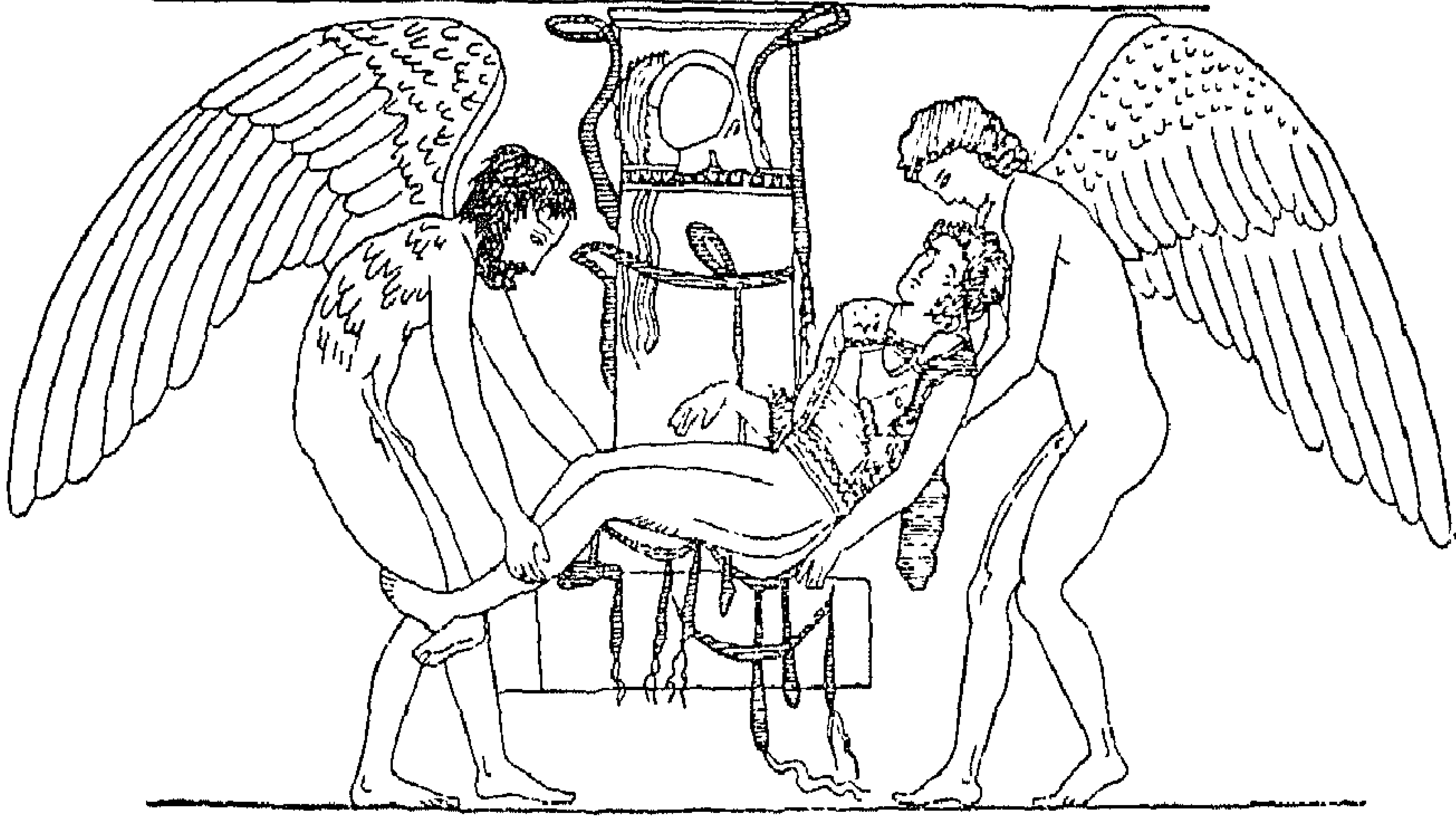
عندما اجتاح الطرواديون معسكر اليونان كان باتروكل يجلس بالقرب من ايفريبيل الجريح ، فقفز من مكانه وأطلق صرخة ثاقبة وجرى مسرعاً إلى خيمة أخيل وتقدم منه دامع العينين فسأله أخيل :

- مالك تبكي يا باتروكل كطفلة رضيع تجري وراء امها وتطلب منها ان ترفعها على ذراعيها . هل وصلتك أنباء محزنة من فتيا ؟ ام انك تبكي اليونانيين وهم يتساقطون صرعى بالقرب من السفن ؟ كاشفني بأسباب حزنك ولا تخف شيئاً .

فأجابه باتروكل بقوله : «ايه يا ابن بيليوس ! كارثة ماحقة حلت بقومنا فاكبر ابطالنا جرحى . أتحجم حقاً عن مد يد المساعدة ! اذا كان هذا الوضع لا يرضيك فاطلقني صحبة رجالك المرامدة واعطني شكة حربك لأرتديها عسى يحسبني الطرواديون إياك فيكفوا عن القتال . وبهذا نتمكن من ابعادهم عن السفن بقوات فتية :

هكذا راح باتروكل يضرع الى أخيل دون أن يعلم أنه بذلك يطلب لنفسه الموت .

أدرك أخيل ما يحف بقومه من مصاعب وتناهى إلى مسامعه صوت هيكتور يعلو فريداً في المعركة فادرك ان ابطال اليونانيين قد احتجبوا عن القتال ، ولم يكن أخيل يروم هلاك قومه فقبل باعطاء دروعه لباتروكل وشرط عليه الا يحارب الطرواد الا اذا أحدق الخطر بسفنه وان يعمد في هذه الحالة الى صد الأعداء والحيلولة دون احراق الد فن . لكنه منع باتروكل من أن يسير بالمرامدة الى أسوار طروادة اذ كان يخشى ان يهلك صديقه الحبيب هناك .



تانات ، اله الموت وهيبنوس ، اله النوم
يحملان جثمان ساربيدون (رسم على مزهرية)

وفجأة لمح اخيل احدى سفنه داخنة تحترق فاطلق صيحة غاضبة وقال :

ـ أسرع يا باتروكل . انني ارى النار تلتهم السفن ، اسرع بارتداء عدة حربي بينما أجهز كتائب المارميدون للقتال !

وأسرع باتروكل فارتدى دروع صديقه وشكة حربه ولم يستثن من ذلك غير الرمح لأنه كان ثقيلاً جداً لا يمكن ان يحارب به غير صاحبه . وسارع افتدوميدونت ، سائق عربة أخيل فقرن الخيول الى العربة بينما كان أخيل يعد الرجال للقتال ؛ وكان هؤلاء يتحرقون شوقاً إلى الخروج للمعركة أشبه بالذئاب الجارحة تتوثب للانقضاض على الوعول . وأخذ أخيل ينفث الحماسة في رجاله ويأمرهم ان يحاربوا بشجاعة الأبطال لكي يدرك الملك اغا ممنون مدى الخطأ الذي ارتكبه عندما اهان الأمجد بين أبطال اليونان . واندفع المرامدة في نار المعركة يطلقون صرخة الحرب المدوية وترددت صيحتهم المرعبة في جنبات المعسكر . ورأى الطرواديون باتروكل في دروع صاحبه فظنوه أخيلاً وقد تناسى خصومته

ونهض لانجاد قومه المدحورين فبدأ كل طروادي يفكر بانقاذ نفسه . أما باتروكل فاقتحم صفوف الأعداء ـ ومضى يجندل بحسامه المحاربين بالقرب من سفينة بروتيسيلاي ، وتقهقرت صفوف الطرواديين لكنهم لم يغادروا المعسكر على الفور بل اكتفوا بالابتعاد عن السفن الا ان اليونانيين لحقوا بهم وصرعوا منهم الكثير وأزعجوهم عن المعسكر فانتقلت الحرب الى خارج الخندق وتساقط المقاتلون صرعى . وكان اياكس تيلامونيد يتقد رغبة في قتل هيكتور . وعلى الرغم من ان البطل الطروادي بدأ يحس بالنصر يبتعد عنه فانه لم ينسحب بل بذل كل ما لديه من جهود الا انه وجد نفسه مضطراً للانسحاب بنفسه فعبرت به جياده الخندق واقتحمت الميدان .

وساق باتروكل جياده عبر الخندق وصاح بقومه أن يلحقوا به وراح يبحث عن غريمه هيكتور الذي نجا على عربته ، وانعقدت سحب الغبار فوق الميدان من حشود المحاربين الطرواديين وسارع هؤلاء ليستتروا خلف اسوار مدينتهم المنيعة لكن باتروكل قطع طريق العودة على الكثيرين فساقهم من جديد باتجاه السفن وقتل منهم الكثيرين برمحه الثقيل . ولما رأى ساربيدون ماحل بالابطال على يدي باتروكل صاح برجاله الليكيين ان يصمدوا واستعد لمجابهة عدوه فوثب من عربته ووقف يترقب وصوله وترجل باتروكل ايضاً واشتبك البطلان كصقرين يقتتلان فوق صخر شاهق وقد علا صياحهما من أجل الطريدة . ورأى زيوس تلك المبارزة فأحس بالشفقة على ولده ساربيدون وأراد أن ينقذه . وقد أحست هيرا بمعاناة زوجها ولكنه بدلاً من أن تشير عليه بانقاذه أخذت تذكره بالآلهة الكثيرين الذين يصلون نار الحرب الطروادية وبأن الكثيرين منهم قد لقوا حتفهم ؛ فاذا ما أقدم زيوس على انقاذ ابنه ساربيدون عمد الآلهة الآخرون الى انقاذ أبنائهم ولهذا فان على زيوس ان يسمح بهلاك ولده اذا كانت الاقدار قد حتمت ذلك . ووعى زيوس نصيحة زوجته فنثر قطر الندى الدامي على حقول طروادة وكان ذلك تشريفاً لابنه الذي قدر عليه ان يسقط على يد باتروكل الغاشم .

كان باتروكل البادىء في مهاجمة خصمه فقذف برمحه فصرع خادم ساربيدون الأمين . وردّ ساربيدون فطعن عدوه لكنه لم يصب منه مقتلاً فقد طاش

الرمح جانباً وقتل أحد الخيول المربوطة الى عجلة باتروكل . واشتبك البطلان من جديد ، وأخطأ ساربيدون مرماه من جديد ، أما باتروكل فقد طعن ساربيدون في صدره فسقط الملك الليكي المجيد كما تسقط شجرة البلوط وقد اجتثها الحطاب من جذورها . وصاح ساربيدون يدعو صديقه غلافك بقوله :

- أي صديقي غلافك ، أناشدك أن توقظ الحماسة في صدور الليكيين لكي يحاربوا بشجاعة من أجل ملكهم ساربيدون أما أنت فتولّ الدفاع عني فسيلحق بك عار الأبد اذا ما جرّدني اليونانيون من دروعي .

وانطلقت صيحة الاحتضار من صدر البطل الليكي ثم أطبق تانات ، اله الموت أجفانه فغمرت الأحزان قلب غلافك وآلمه ان يكون عاجزاً عن حماية جثمان صديقه بسبب ما يعانيه من جراح ، فابتهل الى الآلهة طالباً ان يبرأ من جروحه . وبلغت الضراعة مسامع أبولون فشفاه وأعاده صحيحاً كما كان فجمع غلافك الليكيين وأبطال طروادة اينياس ، اغينور ، بوليدامانت بل وهيكتور ذا الخوذة الألاقة لكي ينافحوا معاً عن جثمان ساربيدون فتجمع الأبطال وهبوا لنصرة غلافك فنادى باتروكل قومه ان يرسلوا الرجال لنصرته ، وكان الشقيقان أياكس اول من لبى النداء واحتدمت معركة ضارية حول جثة القتيل بينما نشر زيوس حولها سحابة من الظلام ليزيد من ضراوة المعركة .

وتعالت أصوات القتال الرهيبة فكأنها أصوات جماعات من الحطابين تقطع الأشجار في الغابات الجبلية . وكان جثمان ساربيدون يتمدد معفراً بالدم والغبار وقد غمرته السهام . أما زيوس فلم يرفع عينيه عن ميدان المعركة تتنازعه الرغبة في ان يصرع باتروكل بقرب جثمان ساربيدون والرغبة في ان يتيح له القيام بأمجاد جديدة ليزيح الطرواديين حتى اسوار مدينتهم ، وقرر أخيراً أن يطيل في أجل باتروكل ، فسلط الرعب على هيكتور وألجأه الى الفرار فتبعه بقية الأبطال وانطلقوا في أثره ، وبهذا تمكن اليونان من تجريد ساربيدون من دروعه وأمر باتروكل بحملها الى الخيام . فاستدعى زيوس الاله أبولون وأمره بأن يرفع جثمان ساربيدون وان يغسله من التراب والدم ويدهنه بالادهنة العطرية ويلبسه فاخر الملابس - ثم يحمله الى

ليكيا ليقوم اخوته واصدقاؤه هناك بدفنه بكل إجلال واحترام فاطاع ابولون ارادة أبيه ونفذ مطلبه .

وفي ذلك الوقت كان باتروكل يسوق الطرواديين نحو أسوار المدينة ويسعى في الوقت نفسه الى حتفه فقد جندل الكثير من الأبطال وكاد أن يقتحم المدينة ويحتلها لو لم يسارع أبولون ـ بأمر من زيوس ـ فيقف فوق أحد الأبراج العالية ليصد محاولات باتروكل في تسلق الاسوار ، فلما كانت محاولته الرابعة صاح به أبولون صيحة جبارة وقال :

ـ الزم حدودك وابتعد عن الاسوار أيها البطل الباسل فلم يقدر لك ، بل للبطل أخيل تدمير طروادة العظيمة .

تأخر باتروكل ولم يجرؤ على اثارة حنق الاله ابولون ذي السهام الذهبية النافذة من بعيد .

مضى هيكتور ممعناً في سيره الى ان توقف قرب بوابة سكيه حيث تردد بين ان ينقض على باتروكل او يأمر قومه بالاحتماء وراء الاسوار . واذ ذاك مثل أمامه أبولون في هيئة واحد من اخوته ونصحه بالغارة على باتروكل في الميدان المكشوف فأمر هيكتور سائقه كيبريون بأن يلوي أعنة الخيل ، فلما رأى باتروكل هيكتور ترجل عن عربته وأمسك بيمناه بحجر هائل ولوح برمحه العظيم في اليسرى ووقف يترقب وصول هيكتور حتى اذا دنا منه ضربه بالحجر فأصاب رأس السائق كيبيريون فانحدر السائق من فوق العربة كما يسقط الغواص وهو يثب الى لجة البحر فصاح باتروكل ساخراً :

ـ ما اسرع كيبريون في الغوص . فلو كان هذا بحراً لصاد كثيراً من الاسماك وهو يقفز من سفينته . ثمة كثرة من الغواصين بين الطرواديين .

وانقض باتروكل على جثة قتيله فقفز هيكتور من عربته واعترك مع خصمه على الجثة ، والتحمت من جديد معركة ضارية فاشتبك اليونان والطرواد مثلما تختصم الريح الشرقية والجنوبية ايفر ونوت في واد مغطى بالغابات الكثيفة فتتمايل الأشجار مطلقة حفيفاً عالياً وتصطفق الغصون ويُضرب بعضها بعضاً وتتردد بعيداً أصوات انكسار الأشجار من البلوط والصنوبر والسرو . وطال العراك بين الطرواد

واليونان ومالت الشمس الى المغيب وكر باتروكل على أعدائه ثلاث مرات وهو في كل مرة يصرع تسعة من الأبطال برمحه العظيم حتى اذا كر في المرة الرابعة تصدى له الاله ابولون بعد ان تجلل بضباب كثيف ، فوقف وراء البطل اليوناني وسدد اليه ضربة بين المنكبين فغامت عيناه بالظلام وتقدم الاله فنزع عن رأسه الخوذة التي كانت فيما مضى تتألق على هامة بيليوس العظيم فأخذت تتدحرج معفرة بتراب الأرض . وتحطم الرمح في ذراع باتروكل كما سقط ترسه العظيم على الأرض . ثم حل ابولون دروعه فوقف بين الطرواديين مجرداً من قوته وسلاحه ، ومع هذا لم يجرؤ البطل ايوفورب على مواجهة البطل اليوناني الأعزل وجهاً لوجه بل طعنه بالرمح من الخلف واختفى بين صفوف الطرواد فبدأ باتروكل بالتراجع نحو قومه ، ورآه هيكتور جريحاً ، وكما يقتل الأسد في صراعه عند الغدير أحد الخنازير المتوحشة على ضفة الجدول هكذا قتل هيكتور باتروكل . وافترت اسارير ابن بريام فقد صرع صديق أخيل الذي كان يهدد بدمار طروادة . وخر باتروكل على الأرض صريعاً وقال لعدوه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

ـ لك ان تتباهى الآن بانتصارك الذي حققته بعون زيوس وأبولون . الآلهة هم الذين هزموني عندما جردوني من دروعي فذاك الأمر يسير عليهم . ولكن لو هاجمني عشرون رجلاً من أمثالك لصرعتهم بحسامي . لقد أهلكني أبولون وايوفورب فكنت أنت ثالثهما . تذكر جيداً ما أقوله لك الآن . لم يتبق لك في الحياة الا القليل فالموت قريب ، قريب منك جداً وقد قدرت الآلهة ان تسقط صريعاً بيد أخيل .

وأسلم باتروكل الروح بعد هذه الكلمات ، فطارت روحه هادئة نحو مملكة هاديس الكالحة حزينة على مفارقة ذلك الجسد الفتي القوي .

وصرخ هيكتور بالقتيل :

ـ ما لك تتنبأ لي بالموت يا باتروكل ؟ من يعلم فقد يسبقني أخيل إليه مجندلاً بحسامي .

وانتزع هيكتور رمحه من جثة باتروكل وانقض على افتوميدونت بغية ان يستحوذ على جياد أخيل .

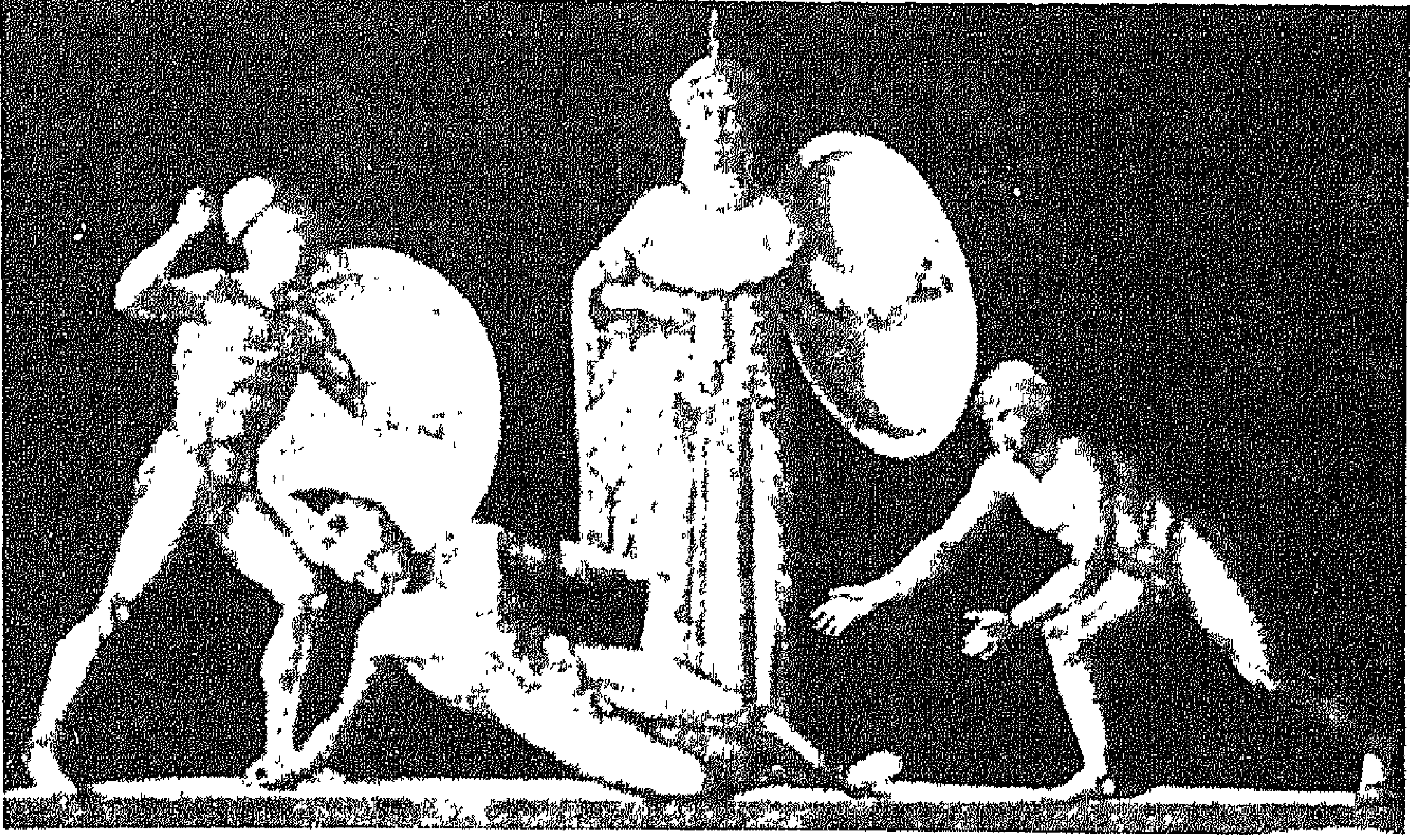
الصراع على جثمان باتروكل

عن «الالياذة»

رأى الملك مينيلاوس جثة باتروكل مطروحة على الثرى ، فانطلق مسرعاً اليها ; لم يهن عليه ان يدنس الطرواديون جثمان البطل الذي هلك في سبيله ، وراح مينيلاوس يدور حول الجثمان شبيهاً بالليث الضاري ، فكان يحميه بالترس ويهز الحسام بيده .

واراد الطروادي ايوفوروب الذي طعن باتروكل في ظهره ان يسيطر على الجثة فتقدم من مينيلاوس تحدوه الرغبة الجامحة في الانتقام من ملك سبارطة الذي قتل أخاه .

طعن ايوفوروب عدوه بحسامه فجاءت الطعنة في الترس ولم تتمكن من خرقه ، فرد مينيلاوس عليه فطعنه في عنقه طعنة قوية فخر البطل الى الأرض صريعاً وبدأ مينيلاوس بتجريده من دروعه الثمينة ، لكن الاله ابولون ، حامل السهام حرض هيكتور على مهاجمة مينيلاوس فانقض البطل الطروادي عليه لكن مينيلاوس أبى أن يتراجع عن جثمان باتروكل اذ كان يعرف ان اليونانيين سوف يسومونه اللوم والتحقير اذا ما فعل ، وكان في الوقت نفسه يخشى ان يطوقه الطرواديون فقرر ان يستصرخ اياكس للاسراع اليه واغاثته وكان هكتور قد نجح في الامساك بجثة باتروكل وفي تجريدها من دروع أخيل عندما وصل اياكس ، فاضطر هيكتور لترك الجثمان ، ولما رأى غلافك ذلك صار يقرّع ابن بريام وينعته بالجبن وبالخوف من اليونان وبذلك اضطره الى اقتحام المعركة فنادى هيكتور على تابعيه وخدمه الذين كانوا يحملون شكة حرب أخيل الى طروادة وأمرهم أن يعودوا إليه بها فارتداها واستعد لخوض المعركة ، ورآه زيوس في هيئته الجديدة ففكر في نفسه قائلاً : «ألا تشعر بدنو أجلك أيها السيء الطالع . انت ترتدي دروع الرجل



الصراع على جثمان باتروكل .

(الجزء الأوسط من الافريز الأمامي لمعبد جزيرة ايغينيا . القرن الخامس ق . م)

الذي يهابه الجميع . سأمنحك النصر الآن نظير شيء واحد وهو ان زوجتك لن تتلقى أبداً من يديك دروع عدوّك أخيل «هكذا فكر زيوس» وقطب بين حاجبيه دلالة على ان ذلك ما سيحدث .

أما هيكتور فأحس بقوة وشجاعة ماضيتين فراح يحرض الأبطال على الاستبسال في المعركة واستصرخ مينيلاوس رجاله بصوت عال من أجل حماية جثمان باتروكل ، فكان اول من انجده اياكس وتلاه ايدومينيوس وميريون وسواهم . وقارب الابطال بين التروس حتى كادت تتلاحم حول جثة البطل القتيل لكن الطرواديين صدوهم وتسلطوا على الجثمان من جديد فكر اياكس تيلامونيد عليهم واستعاده من أيديهم بعد ان قتل البطل الذي كان يجر الجثة من القدمين . ودارت رحى المعركة حول الجثمان وتأخر الطرواديون لكن ابولون حث اينياس على

اقتحام الميدان فعاد بجيشه الى الاشتباك وازدادت المعركة ضراوة حتى خضبت الدماء الأرض وتزاحمت الجثث فوق بعضها واضطربت المعركة اضطرام النار ، وضرب زيوس ضباباً كثيفاً حول الجثمان حتى بدا وكأن الشمس والقمر قد احتجبا لشدة الظلام الذي أحاط بالجثمان وما حوله بينما كانت ساحة المعركة تسبح في ضياء الشمس والسماء صاحية لا سحابة فيها . وهكذا كان الابطال يصطرعون في غياهب الظلام للاستئثار بالجثة .

وبعيداً عن ساح المعركة كانت تقف خيول أخيل الخالدة تذرف الدموع لمصرع صديق سيّدها . وحاول افتوميدونت عبثاً ان يجبرها على التحرك من مكانها فقد ظلت واقفة منكسة الرؤوس وقد مست أعرافها الأرض . ورآها زيوس في وقفتها الحزينة فقال : «ايه ، ايتها الخيول المنحوسة ! لم قدمناك هدية الى بيليوس ايتها الخالدات ! أكان ذلك كيما تذوقي آلام البشر ، فليس من نبتة على الأرض اكثر شقاء من بني الانسان . ولكن لا عليك ، فلن يتمكن هيكتور من الاستحواذ عليك . سأمنحك القوة فاحملي سائقك افتوميدونت من الساحة وانطلقي . أما الطرواديون فسأهبهم نصراً جديداً ، ولكن لهذا اليوم فقط وحتى تغيب الشمس » .

ونفث زيوس في الخيول قوة هائلة فانطلقت في الميدان تحمل سائقها . ورفع السائق حسامه الثقيل وأهوى به على البطل آريت فقتله وجرده من دروعه فرحاً لأنه انتقم لمصرع سيده بهذه الطعنة على الأقل .

كانت المعركة تزداد ضراوة حول الجثة ، فهبطت الالهة اثينا ضمن سحابة قرمزية واتخذت هيئة البطل فينيكس واخذت تشجع المحاربين اليونان على المجالدة والصمود . فأخذ مينيلاوس يرد على البطل ـ دون أن يتعرف فيه على اثينا ـ ويستغيث بالالهة أثينا قبل جميع الآلهة أن تمد اليه يد النجدة . ففرحت الآلهة المجيدة ونفثت في مينيلاوس قوة لا ترد . وكان أبولون يحض الطرواديين على الثبات فزادت المعركة شراسة ودماء وهز زيوس بصولجانه وتردد هزيم رعوده فسيطر الرعب على ابطال الهيلاد وانقبض قلب اياكس تيلامونيد وهو يرى إلى قومه الفارين ، وراح يضرع إلى زيوس ان يجلو الضباب وان يوقف مصارع اليونان فاذا

لم تكن له مشيئة في ذلك فليجعل مصارعهم في ضوء الشمس . وسمع زيوس ضراعة البطل فكشف الضباب وتألقت الشمس من جديد وطلب اياكس من مينيلاوس أن يبحث عن أنتيلوخ ابن نسطور ويرسله الى أخيل فيخبره بمصرع صديقه وبأن الطرواديين قد يستحوذون على جثمانه . فعمل مينيلاوس بمشورة أياكس وبحث عن انتيلوخ وأخبره بالنبأ الفاجع فسيطر الرعب والقنوط على قلب انتيلوخ لأنه لم يكن بعد قد عرف بالنبأ المفجع وانطلق الى مهمته بينما كانت رحى المعركة تزداد ضراوة حول الجثمان ، وأشار أياكس على مينيلاوس وميريون ان يحملا الجثة الى المعسكر بينما يقوم هو بتغطية انسحابهما ويصد هجمات الأعداء . وما أن رأى الطرواديون البطلين يرفعان الجثة حتى انقضوا عليهما كالكلاب المسعورة ، الا انهم توقفوا أمام هجمة أياكس وقد ابيض لونهم من شدة الرعب ، وزادت المعركة احتداماً فكانت كالحريق الذي يدمر مدينة ويلتهم ما حولها ، وسار مينيلاوس يحمل جثة بارتوكل على ذراعيه بينما كان أياكس يدافع بضراوة ضد هجمات الطرواديين في مقدمتهم اينياس وهكتور .

وفي ذلك الوقت كان أخيل يجلس ساهماً بالقرب من خيمته يفكر في السبب الذي أخّر صديقه عن العودة وزاد قلقه أن اليونانيين ركنوا ثانية إلى الفرار بل وساورته الشكوك في مصرع صديقه . وفجأة وصل ابن نسطور وهو يبكي وينتحب واعلن عن مصرع باتروكل ففاض قلب أخيل بحزن لا يوصف ووثب الى الموقد فأخذ منه الرماد بكلتا يديه وراح يحثوه على رأسه ، وتساقط الرماد على ملابسه وطرح البطل نفسه على الأرض وراح يقطع شعره بيديه ، وشاركه انتيلوخ بكاءه وأمسكه بيده ليمنعه من أن يقتل نفسه حزناً والتياعاً . وضج صوت أخيل بالبكاء فسمعت أمه فيتيدا صوت نحيبه فأخذت هي الأخرى تنتحب بصوت عال وهرعت اليها اخواتها النيرييدات وتعالى بكاؤهن جميعاً .

وصرخت الآلهة المجيدة : ـ الويل لي ، الويل لي يا شقيقاتي الغاليات . لماذا جئت بأخيل الى هذا العالم ، ولماذا ربيته ولماذا أخرجته الى أسوار طروادة . لا ، لن أراه بعد الآن عائداً الى غرف بيليوس الزاهرة فقد كتب عليه أن يمضي بقية

أيامه القصيرة محسوراً مقهوراً ! يدي قصيرة عن مساعدته في آلامه ! فلأذهب إليه الآن لأرى ما الذي يعاني منه .

وظهرت فيتيدا أمام ولدها الباكي تصحبها شقيقاتها وأمسكت برأس ولدها وهي تغمره بدموعها وأسئلتها :

ـ لماذا تعول هكذا يا ولدي ! صارحني ولا تخف عني شيئاً فقد أنجز زيوس ما طلبته وساق جيش اليونان حتى السفن ، فهم لا يطلبون الا شيئاً واحداً وهو أن تمد لهم يد العون .

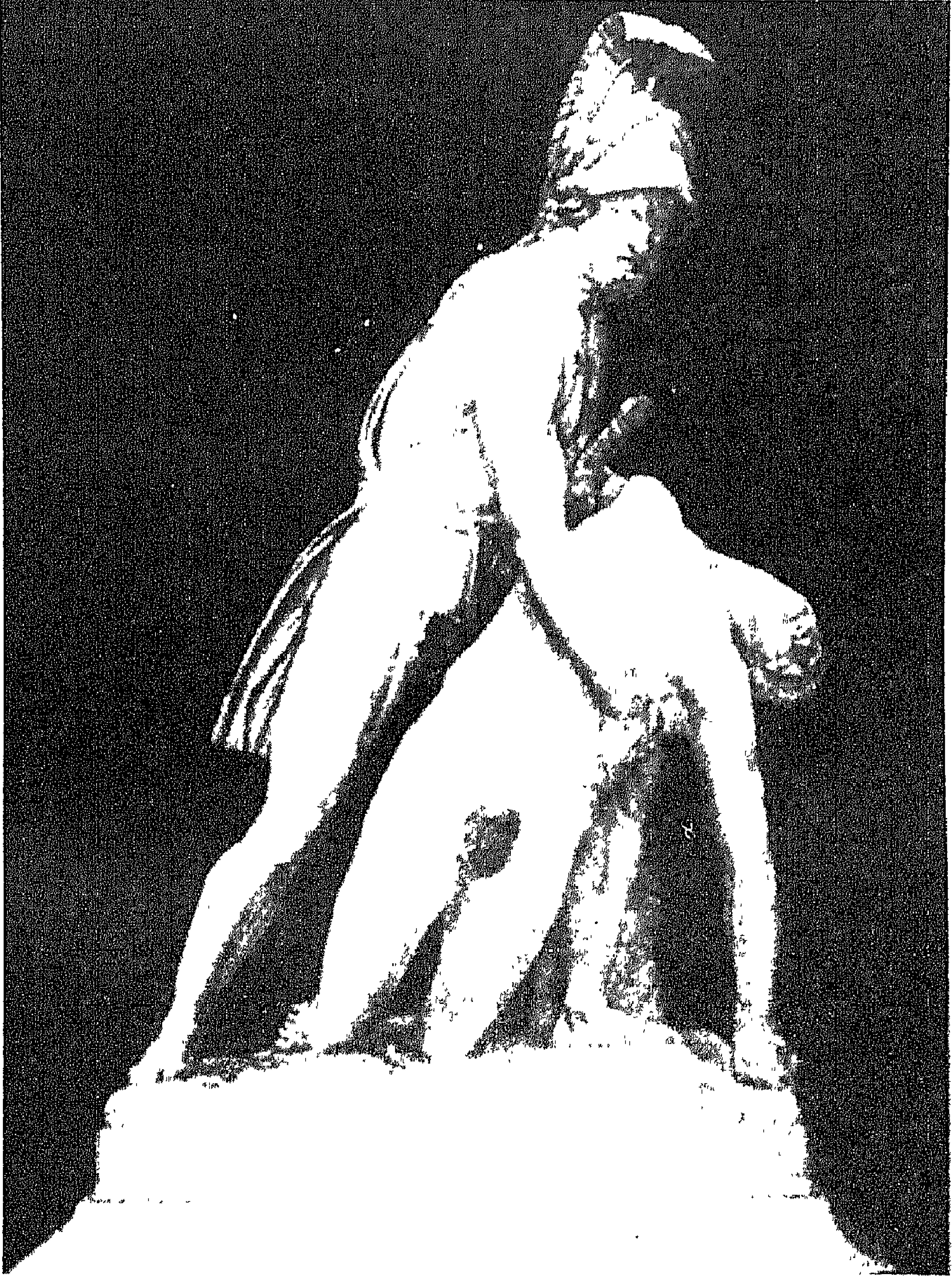
فاجابها أخيل بقوله : ـ اعرف هذا يا أمي الحبيبة . ولكن أي سعادة في هذا بعد أن فقدت باتروكل ، باتروكل الذي أحبه أكثر من جميع الناس وكان أغلى علي من حياتي . لقد قتله هيكتور وانتزع تلك الدروع التي أهداها الآلهة لبيليوس . لن أقبل الحياة بين الناس ما لم أقتل هيكتور بحسامي ، وما لم يدفع حياته ثمناً لحياة صديقي .

فصاحت فيتيدا : ـ ولكنك تعرف ان عليك أن تموت من بعد هيكتور .

فاجاب : ـ فلأمت الآن وفي هذه الساعة ما دمت عجزت عن انقاذ حياة صديقي . لعله استغاث بي قبيل مصرعه . ايه ، تبّاً للحقد فانه يدفع بالعقلاء الى الجنون . بلى . سأنسى حقدي على أغاممنون وسألقي بنفسي الى المعركة من جديد لكي أقتل هيكتور ، فلم أعد أهاب الموت . لم يكتب لأحد أن يفر من مخالبه بل لم يفر منه حتى هرقل الذي كان زيوس يؤثره بأعظم الحب . أنا مستعد لأن أموت هناك حيث اختار لي القدر ، ولكنني سأحقق قبل ذلك مجداً عظيماً . لا ، لا تمسكيني يا أماه فلا شيء يمكن أن يوقفني .

بهذا أجاب أخيل أمه فلم تطلب منه غير شيء واحد وهو الاّ يدخل المعركة الا بعد ان تحضر له أسلحة جديدة يصنعها هيفيست من أجله .

وغاصت النيرييدات في لجة البحر فقد طلبت فيتيدا منهن أن يخبرن أباها نيريوس بما حدث عند اسوار طروادة أما هي فصعدت الى قمة الاوليمب نحو الاله هيفست .



مينيلاوس يرفع جثمان باتروكل
(تمثال من القرن الرابع ق . م)

هذا وكان اليونانيون قد صمدوا بمشقة كبرى لضغط الطرواد وحاول هيكتور مرات ثلاثاً ان ينتزع الجثة من يدي مينيلاوس فكان ينقض على اليونانيين كلسان اللهب الهائج . وفي المرات الثلاث كان يصده الشقيقان أياكس . ورغم هذا كله كاد هيكتور أن يسيطر على جثة باتروكل لو لم تقم الالهة هيرا بارسال ايريدا ، رسولة الآلهة ، الى أخيل ، لتحضه على الاشتراك في المعركة دفاعاً عن جثة صديقه ، لكن أخيل لم يستطع ذلك اذ لم تكن لديه الدروع ، وعند ذلك أمرته ايريدا ان يقف أعزل فوق المتراس الترابي المحيط بالمعسكر اليوناني ليخيف الطرواد المهاجمين بمنظره .

ذهب أخيل الى المتراس فألقت أثينا ـ بالادا بالصولجان على كتفيه وأحاطت رأسه بهالة ذهبية ذات اشعاع عجيب فكان الألق يشع من رأسه حتى يطاول السماء . وشمخ أخيل بقامته فوق المرتفع وأطلق صرخة مرعبة رافقتها صرخة اطلقتها أثينا ـ بالادا فسرى الرعب في قلوب الطرواد وارتعدت فصائل الخيل فقمصت الى الوراء ، وسيطر الرعب على قلوب السائقين فوق مركباتهم عندما رأوا النار تشتعل حول رأس أخيل . وأطلق أخيل ثلاث صرخات وفي كل مرة كان يثير القشعريرة والفوضى في معسكر الطرواد بل وهلك من جرّاء ذلك اثنا عشر بطلاً من أبطال الطرواد فمنهم من ارتطموا بالرماح ومنهم من داسته سنابك الخيل . أما اليونان فحملوا جسد باتروكل ووضعوه على نقالة وحملوه الى خيمة أخيل وقد تعالى نواحهم وعويلهم وسار في المؤخرة أخيل ابن بيليوس وهو ينتحب بصوت عال وينظر الى صديقه الذي كان أرسله الى المعركة الدامية .

أمرت هيرا اله الشمس هيليوس أن ينحدر الى مياه المحيط قبل موعده ، فخيم الليل وانتهت المعركة وغرق معسكر اليونان في النوم بينما اجتمع الطرواديون في الميدان لتبادل الرأي والمشورة وظلوا وقوفاً لا يجرؤون على الجلوس خشية ان يباغتهم أخيل ، واقترح بوليدامانت على قومه ان يعودوا الى طروادة على الفور والا ينتظروا في مكانهم ذاك حتى الصباح فينقض عليهم أخيل ويفتك بهم اذا ما هاجمهم في الميدان المكشوف . لكنهم اذا ما دخلوا المدينة ووقفوا على الأسوار نجوا من سطوة أخيل وأفسدوا عليه دورانه حول المدينة على خيوله السريعة . لكن

هيكتور ردّ تلك المشورة وأمر الطرواديين بالبقاء في ميدان المعركة ووزع الحرس أمام المعسكر إذ كان يأمل بالانقضاض من جديد على سفن اليونان واجلائها عن الشواطىء الطروادية وأعلن انه لن يتردد عن مواجهة أخيل اذا ما قرر ذاك أن يدخل المعركة وعند ذلك لن يكون هناك بد من أن يعود أحدهما بالنصر الى وطنه ـ هو أو أخيل . وعكرت أثينا ـ بالادا أذهان الطرواديين فبقوا في الميدان بعد ان توزعوا في معسكرهم .

أما في معسكر اليونان فراح أخيل يندب صديقه المحبوب وقد عقد ذراعيه فوق صدر القتيل . كان يبكي بصوت عال ويطلق الزفرات شبيهاً بأسد انتزع الصياد أشباله فعاد من الصيد ولم يجدها في عرينه فهو يدور في الغابة ويطلق زئيره القوي باحثاً عن أشباله السليبة .

كان يصيح : ـ ايتها الآلهة . ما الذي دفعني الى أن أبذل الوعد لوالد صديقي بأنني سأعود معه الى الوطن ؟ لا ، فقد قدر علينا معاً ان نخضب الأرض الطروادية بدمنا . لن يقدر لأبي ولا لأمي الحبيبة ان يرياني عائداً من ساحة المعركة . فلأمت ياعزيزي باتروكل ، ولكن لن يكون ذلك قبل أن انتقم لمصرعك ، واقيم لك احتفالات الدفن الفاخرة .

وأمر أخيل اصدقاءه بأن يغسلوا الجسد المسجى ويدهنوه بالعطور ، فقام الاصدقاء بالمهمة ووضعوا جثمان باتروكل فوق محفة فاخرة وغطوه بغطاء رقيق ثم غمروه بستار فاخر ، وأمضى المرامدة ليلهم في النواح على باتروكل تشاركهم النواح السبايا الطرواديات والداردانيات اللاتي أسرهن أخيل وباتروكل .

فيتيدا في زيارة هيفست . أسلحة أخيل

عن « الالياذة »

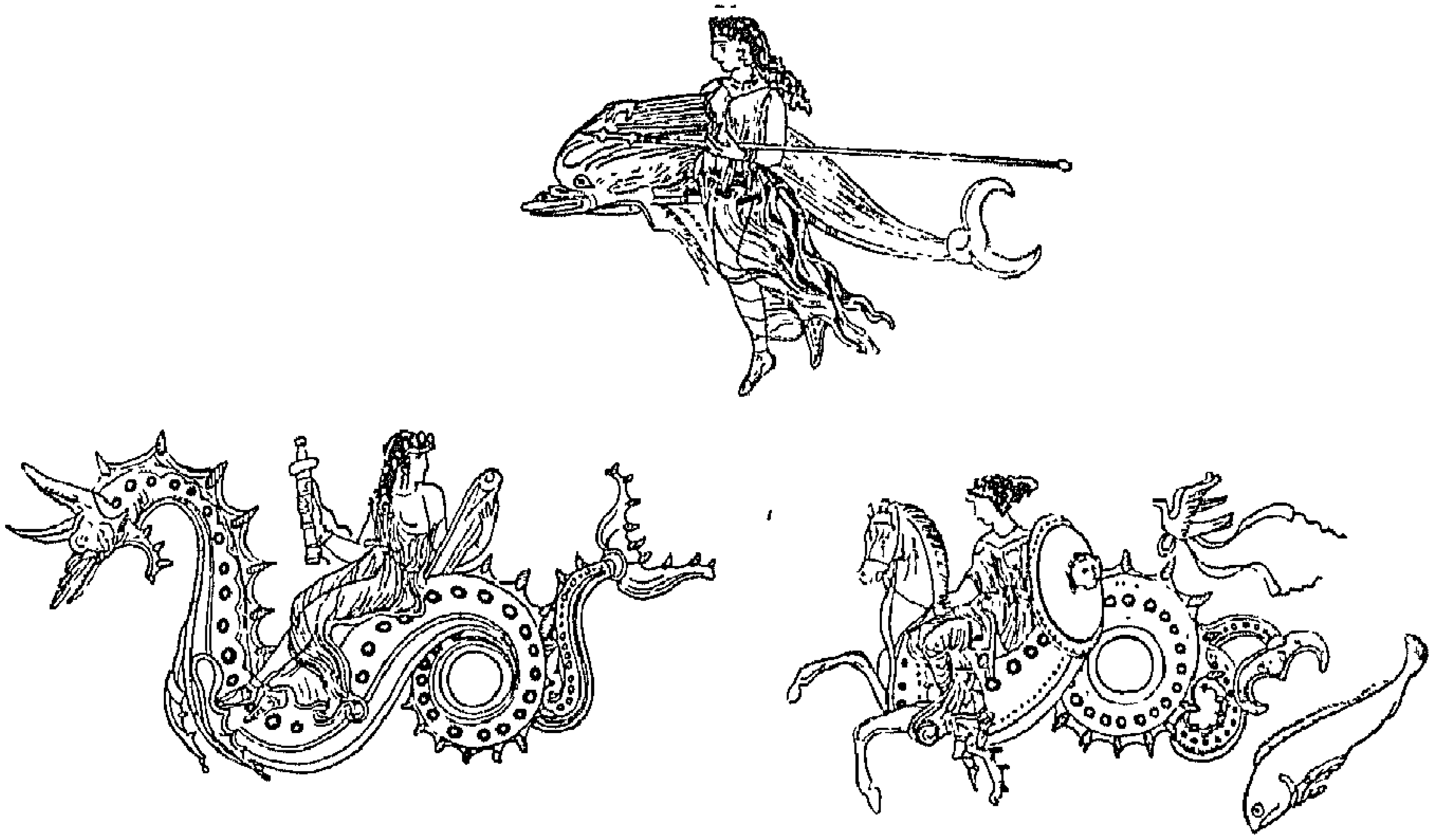
انطلقت الالهة فيتيدا مسرعة نحو الاوليمب المشرق ، الى القصر النحاسي للاله هيفست ، ولما دخلت القصر كان اله الصناعة في مصنعه وقد غطاه العرق ، وكان عاكفاً على صنع عشرين ركيزة من ذوات القوائم الثلاث . كانت هذه الركائز تعتمد على عجلات ذهبية وتتحرك من تلقاء نفسها صوب الآلهة ثم تعود من تلقاء نفسها . ولم يكن قد بقي سوى انجاز المقابض المرصعة لهذه الركائز فكان هيفست منصرفاً الى صناعة مسامير المقابض عندما دلفت فيتيدا الى القصر . ورأت هاريتا ، زوجة الإله الفاتنة ، ضيفتها المجيدة ، الالهة فيتيدا فرحبت بها وأمسكتها برقة من يدها قائلة :

- تفضلي إلى الداخل يا فيتيدا فما أقل زياراتك لنا . ما الذي جاء بك .

ودعت هاريتا زوجها هيفست ان يسرع بالدخول لاستقبال الربة المجيدة . فلما سمع هيفست بحضور فيتيدا التي أنقذت ذات يوم حياته عندما قذفت به الالهة هيرا من قمة الاوليمب هرع الى لقائها ، فنهض مسرعاً عن الكير وجمع عدته التي يعمل بها ووضعها في صندوق مرصع بالفضة ثم مسح يديه وصدره وعنقه ووجهه باسفنجة طرية ، وبعد أن انتهى من ازالة العرق والسخام ارتدى ملابسه وأمسك بالعكاز الثمين الذي يعتمد عليه في سيره وخرج لاستقبال الالهة ، تسنده من تحت ابطيه خادمات صنعهن من الذهب فكن يسرن الى جانبه كالأحياء . وأمسك الإله فيتيدا من ذراعها وسألها :

- خبريني ، ما أنت بحاجة اليه يا فيتيدا ! وسأبذل كل ما في وسعي .

وأخبرته فيتيدا والدموع تنهمر من عينيها كيف حُرم ولدها من الدروع التي كان الآلهة وهبوها لوالده بيليوس وكيف قتل هيكتور باتروكل كما أخبرته عن عذابات ابنها أخيل وحزنه على صديقه وتعطشه الى الثأر ولكنه لا يملك السلاح ، وطلبت فيتيدا من هيفست ان يصنع لابنها السلاح . فأصغى هيفست لمطلبها



النيريدات يحملن السلاح إلى أخيل
(رسم على مزهرية)

ووعدها ان يطرق لها شكة كاملة من السلاخ ما أن تقع عليها أي عين حتى تنبهر لروعتها وبهائها .

وعاد هيفست الى مصنعه فأخذ الكيران ورتّبها وأمرها ان تنفخ النار . فامتثلت النيران لأمره وأخذت تنفخ الهواء بناء على طلبه فهي تتحرك تارة بانتظام وطوراً بسرعة وهي تثير في الأتون ناراً عالية . والقى هيفست في النار نحاساً وقصديراً وفضة وذهباً نفيساً ثم ثبت سندانه وأمسك بمطرقته الضخمة وملقطه المهول وبدأ عمله بصنع الترس لأخيل فزينه بصورة عجيبة بديعة اذ نقش عليه الأرض والبحر والسماء ونقش في السماء ـ الشمس والقمر والنجوم وبين النجوم صور البلياد والهياد ومجموعة اوريون والدبين ، كما طرق عليه مدينتين يقيمون في احداهما عرساً فتظهر احتفالات العرس وجوقات الشبان والفتيات يسترقن النظر اليهن من عتبات المنازل بينما انعقد اجتماع شعبي في احدى الساحات وظهر مواطنان يتجادلان حول دية قتيل ، وقد انقسم المواطنون قسمين يناصر كل منهما أحد المتجادلين والرسل يهدئون المواطنين بينما يجلس شيوخ المدينة حلقةً وقد أمسك كل منهم بيده صولجاناً وراح يتلو قراره حول القضية ، واستقرت في وسط

الحلقة وزنتان[1] من الذهب مكافأة لمن يقضي بين المتخاصمين بالصورة الأعدل.. اما المدينة الأخرى فتظهر محاصرة بالأعداء وقد عهد الرجال بحمايتها للزوجات والأطفال والشيوخ اما هم فنصبوا كميناً برئاسة اله الحرب آريس والالهة اثينا ـ بالادا وقد ظهرا مهيبين مخيفين ، وتقدم الجميع متسللان يرقبان الأعداء . ولكن ها هي ذي القطعان وقد ساقها الأعداء فاندفع من في الكمين ليخلصوا الأبقار والأغنام وبلغ الضجيج معسكر الأعداء فهرعوا لنجدة أصحابهم ودارت المعركة الدامية تصول فيها الهات الشر والخصومة واله الموت الرهيب ، كما طرق هيفست على الترس منظر أعمال الفلاحة ، فالفلاحون يسيرون وراء المحاريث حتى اذا وصلوا نهاية الحقل قدم الخدم اليهم أقداح النبيذ ، ونقش الإله أيضاً مناظر الحصاد فبعضهم يقوم بحصاد القمح ويحزمه آخرون ، ويقوم الأطفال بجمع السنابل المتبقية في الحقل بينما وقف المالك يمتع انظاره بالمحصول الوفير ، وانتحت النساء مكاناً جانبياً لاعداد الغداء للحصادين وبالقرب من ذلك كله ظهر منظر قطاف العنب فالفتيان والفتيات يحملونه في السلال ، وظهر شاب جميل يعزف على القيثارة تلتف حوله حلقة من الراقصين ، كما صور هيفست قطيعاً من الثيران انقض عليه اسدان فالرعيان يحاولون طرد الأسدين بينما ذعرت الكلاب من التقدم فاكتفت بالنباح . وصوّرت بالقرب من ذلك شياه فضية الأصواف ومعالف وحظائر وأكواخ للرعيان وأخيراً صور هيفست شباناً وفتيات عقدوا حلقة راقصة وقد امسك كل منهم بيد الآخر ، وظهر الأهالي يشاهدون الرقص . وأحاط هيفست الترس كله بصورة المحيط الذي يدور حول الأرض ، وبعد ان أنهى الترس صنع هيفست لأخيل درعاً يتقد كاللهب الساطع وخوذة ثقيلة ذهبية الغرة وغمداً من الرصاص المرن .

ولما فرغ اله الصناعة من عمله حمل شكة الحرب الى الالهة فيتيدا فانطلقت كالصقر الخاطف السرعة من قمة الاوليمب الى الاراضي الطروادية البعيدة تحمل السلاح لابنها .

---

١ ـ ذكرت الوزنتان بـ « التالانت » وهو مقياس من مقاييس الأوزان ، فقد كان الذهب يقيم بوزنه لأن النقود لم تكن قد عرفت بعد .

الصلح بين أغاممنون وأخيل

عن « الالياذة »

وعند الصباح الباكر ومع أول اشعاعات الفجر حملت فيتيدا الدروع الى ولدها فوجدته قد طوق جثة صديقه باتروكل يبكيه ويندبه . وحاولت الأم ان تهدىء من لوعة ابنها فقدمت له الدروع التي لم يستطع أيٌّ من المرامدة ان يثبت فيها نظره بسبب بريقها الأخاذ . فاتقدت عينا أخيل بالهياج وأخذ شكة الحرب البديعة وصار يمعن فيها النظر وقرر أن يخرج الى حرب الطرواد من توه ، الا ان شيئاً واحداً كان يؤرقه وهو أن يتعرض جسد صديقه للفساد . لكن فيتيدا طمأنته ووعدته ان تحفظ الجسد فتنفث النكتار والامفروزيا في خيشوميه لتجعله اكثر بهاء مماكان عليه في الحياة ، ونصحت ابنها بالذهاب لدعوة القوم الى الاجتماع .

سار أخيل على شاطىء البحر يدعو قومه إلى الاجتماع فاستجاب الجميع لندائه واتجهوا نحو خيمة اغاممنون فلم يتبق أحد عند الخيام والسفن وأقبل اوديسيوس وديوميد يعرجان كما دخل أغاممنون وكان يشكو من جراحه . فلما التأم الشمل وساد الصمت تقدم اخيل باقتراح المصالحة مع أغاممنون وأهاب بالجميع سرعة الاستعداد للقتال ، ففرح اليونانيون لما سمعوا بانتهاء القطيعة بين البطلين ونهض أغاممنون من مكانه واعترف بذنبه وقال بأن آلهة الخصام قد أعمت بصيرته فهي التي تمشي بخطوات خفيفة في عيون الناس وتوقعهم في شراكها حتى انها أعمت زيوس نفسه ذات مرة ، ووعد اغاممنون بأن يقدم لأخيل كامل الترضية التي كان وعد بها في سبيل الصلح ؛ لكن تلك الهدايا لم تكن ضرورية لأخيل اذ لم يكن يفكر الا بالمعركة وبالانتقام من هيكتور فصار يناشد الجميع سرعة الالتحاق بالمعركة لكن الداهية اوديسيوس نصح بشيء من التريث وقال بأن من الافضل ان ينصرف الجنود الى تناول كفايتهم من الطعام والشراب ريثما يقوم أخيل باستلام الهدايا واستعادة بريسييدا التي ردت اليه . ووافق أغاممنون على نصيحة اوديسيوس

فطلب منه ان يذهب بنفسه رفقة بعض الفتيان فيحضروا بريسييدا والهدايا كما بعث بالرسول تالفيبيوس ليحضر خنزيراً لتقديمه قرباناً للآلهة الاوليمبية لقاء الصلح . وضاعت طلبات أخيل الى الجميع بأن يحولوا اهتمامهم عن الهدايا إلى الاهتمام بالمعركة ، فقد كان يبغي أن يتجه اليونان من فورهم إلى الحرب ثم يجلسون معاً الى مأدبة واحدة بعد ان يشفوا غليلهم من الأعداء . وتأخر أخيل عن المأدبة التي أقامها القوم فلم يخطر له الطعام بينما يرقد في الخيمة جثمان صديقه الذي لم يؤخذ بثأره . لكن اوديسيوس تمكن من اقناعه بأن يؤخر البدء في المعركة ، وأخيراً حمل الداهية العطايا من خيمة أغاممنون وجاء بالجواري وبينهن بريسييدا .

وتوزع الجميع في أماكنهم ، واتجه المرامدة نحو سفنهم بعد أن تلقوا هدايا أغاممنون ، وسار أخيل معهم ولم يلبث قادة اليونان ان حضروا اليه وطلبوا منه ان يقوي عزمه بالطعام لكنه رفض ، وبقي اغاممنون ومينيلاوس واوديسيوس ونسطور وايدومينينور وفينيكس الى جانبه يحاولون تهدئته لكنه لم يكن يفكر بغير صديقه القتيل فراح يخاطبه وهو يصعد الزفرات :

ـ مر زمن كنت فيه تقدم لي الطعام قبل المعركة ، وها انت ذا ترقد مجندلاً بالحسام . ليس هناك من فجيعة تعدل فجيعتي بك حتى ولو كان الميت أبي أو ولدي المحبوب نيوبتوليم الذي تركته في سكيروس وكنت آمل أن أموت وحيداً في الغربة وأن تعود إلي فتيا وتأخذ معك اليها ابني الصغير .

ومضى اخيل يبكي بمرارة وحزن وأخذ الأبطال يطلقون الزفرات وكل منهم يفكر في من تركه وراءه على أرض الوطن . ومن أعلى الأوليمب رأى زيوس الى أحزان أخيل فأمر اثينا ان تهبط اليه وان ترش صدره بالنكتار والامفروزيا فانحدرت أثينا سريعة كالصقر وسكبت النكتار والامفروزيا في صدر أخيل كيما يظل محتفظاً بقواه .

أخيل يدخل المعركة ضد الطرواديين

عن « الالياذة »

لبس اليونانيون أسلحتهم وأخذت فرقهم تخرج من المعسكر واحدة تلو الأخرى ، وكانوا ينطلقون الى القتال مثلما تنطلق ندف الثلج محمولة على الهواء . وكان عددهم كثيراً فكانت خوذاتهم ورماحهم وتروسهم تتألق تحت الشمس . وارتجت جنبات الشاطىء تحت أقدام المحاربين ، كما تسلّح ابن بيليوس فلبس الدروع التي صنعها هيفست وحمل سيفه عبر كتفه وأمسك بترسه المتألق كالشمس ثم أخرج رمحه الهائل من غلافه ولم يكن ثمة من يستطيع أن يطعن به سواه . ولبس أخيل خوذته الألاقة كالنجمة وخرج من خيمته . كانت عيناه تتقدان ببريق الغضب بينما كان قلبه كالسابق يتقطع بحزن لايحتمل . وقرنت خيوله الى المركبة وصعد سائقه افتوميدونت اليها وأمسك بيديه السوط والأعنة ، ثم وثب أخيل الى المركبة وتحدث الى حصانيه قبل ان يتجه الى المعركة فقال :

ـ أي كسانف وباليوس ! يا ولدي بودارغا الالهية . أخرجاني حياً من المعركة ولا ترمياني كما رميتما باتروكل صريعاً في ساحة الوغى .

وفجأة مال كسانف نحو أخيل منكس الرأس وخاطبه بلسان بشري منحته هيرا له فقال :

ـ أي أخيل المجيد ، سنعود بك اليوم حياً من ساحة المعركة ، لكن يومك الأخير قد دنا . لا يد لنا في مصرع باتروكل فقد جندله أبولون صاحب السهام عندما وهب عدوه النصر . وحتى لو اننا انطلقنا بك كريح زيفير فمن المقدر عليك ان تهلك على يد الإله ابولون وواحد من الأبطال الفانين .

فصاح أخيل بغضب :

ـ ما لك تكهن لي بالموت يا كسانف ! أعرف أنه قد كتب علي الموت هنا ، بعيداً عن أبي وأمي . ولكنني لن أبرح ميدان المعركة الا بعد ان ابلل بالدم أرض طروادة انتقاماً لباتروكل .

ودفع أخيل بخيوله الى أرض المعركة بينما كان اليونانيون قد نسقوا صفوفهم في الميدان وبدأوا هجومهم على الطرواد الذين كانوا يحتلون نبوة من الارض بالقرب من طروادة .

آنذاك أمر الإله زيوس الالهة فيميدا أن تدعو الآلهة الى المجلس فاجتمع في أبهاء زيوس الارباب جميعاً بل واجتمع فيها آلهة الأنهار والجداول واجتمعت الحوريات وربات الينابيع . وقال مرسل الصواعق للمجتمعين انه لن يتدخل بصفته الشخصية في القتال بل سيكتفي بمراقبته من علياء الاوليمب ، أما بقية الآلهة فيمكنهم أن يشاركوا في الحرب وإلى الجانب الذي يريده كل منهم . وكان زيوس يخشى أن يتزعزع الطرواديون أمام هجمة أخيل الصاعقة فيغدو بوسعه احتلال المدينة . وعلى الفور انحدر الآلهة الى الأرض ، ووقفت هيرا وأثينا ـ بالادا وبوسيدون وهرمز وهيفست الى جانب اليونان بينما وقفت أفروديتا وارتيميدا ولاتونا وآريس وأبولون والاله النهري كسانف[1] الى جانب الطرواد .

ما كاد الآلهة الاوليمبيون يقتربون من الجيوش حتى أضرمت الهة الشقاق ، ايريدا ، نار الخصام . واطلقت أثينا ـ بالادا صرخة مدوية وهي تنطلق بين صفوف اليونان فأجابتها صرخة آريس اله الحرب الشبيه بالعاصفة الرهيبة . والتقى الجيشان وترددت أصداء رعود زيوس وتدحرجت الصواعق في السماء وزلزل بوسيدون الأرض بما فيها فاضطربت الجبال من قواعدها الى ذراها ، واضطربت طروادة العظيمة وسفن الاغريق ، حتى حل الرعب في قلب هاديس مالك مملكة الموتى فوثب عن عرشه خشية أن تنفجر الأرض وتنكشف صورة مملكته المشحونة بالصور المهولة التي تثير الرعب حتى في قلوب الأرباب الخالدين ، ودارت رحى المعركة الرهيبة ، ولم يكن أخيل يرغب في غير شيء واحد وهو أن يلتقي بغريمه هيكتور .

---

١ ـ هو اله نهر سكاماندر .

وظهر أبولون ، مرسل السهام في هيئة ليكاون ابن بريام فمثل امام اينياس وقال له الا يتهيّب ، وهو ابن الالهة افروديتا ، من مبارزة أخيل ابن الالهة الأدنى في المرتبة ، وبذلك حث اينياس على القتال فاندفع ابن اغنيس مسرعاً الى الامام ولمحت هيرا ذلك كله وخشيت ان يقدم أبولون يد المساعدة الى اينياس . أما بوسيدون فنصح الآلهة بأن يمسكوا ايديهم عن التدخل في المعارك وأن يجلسوا على المتراس الترابي الذي أقامه اليونان فيما مضى فوق شاطىء البحر ، ويمكنهم بعد ذلك أن يتدخلوا اذا تدخل في المعارك آريس والإله أبولون . وفهم الآلهة المناصرون لليونان نصيحة بوسيدون فقبعوا بعيداً عن المعركة أما الآلهة المناصرون للطرواد فجلسوا على صخور كاليّكولون .

التقى اينياس بأخيل فاستقبله هذا بسخرية وتعال وذكره بفراره السابق امامه ونصحه بأن يعود ويستتر خلف ظهور المحاربين . لكن اينياس ردّ عليه بأن لا جدوى من اخافته كطفل صغير وافتخر عليه بأصله الرفيع الذي أنجب الأبطال الأماجيد وكان اينياس متعطشاً الى الاسراع ببدء المعركة فسدّد بيده الجبارة طعنة هائلة الى درع أخيل لكنها لم تؤثر فيه . ولم تكن بأخيل حاجة إلى ان يتفادى الضربة بترسه فقد كان يعرف أن أي يد انسانية لا يمكن ان تخرق الدرع الذي صنعته يد اله . وضرب أخيل خصمه برمحه فخرق درعه ، لكن اينياس انحنى فتفادى الضربة القاتلة غير ان الظلام طاف في عينيه اذ أيقن أنه اصبح بين براثن الموت . وجرد أخيل سيفه والتقط اينياس حجراً هائلاً لكن الإله بوسيدون لم يرد لصفيه الهلاك فسارع الى نجدته ورفع رمح أخيل والقى به عند قدميه ونشر أمام عينيه ضباباً كثيفاً ثم رفع اينياس ورماه بقذفة من يده الجبارة فألقاه بعيداً عند اطراف ساحة القتال . وهناك مثل مزلزل الأرض أمام اينياس وحذره من أن يتقدم صفوف المقاتلين ما دام أخيل على قيد الحياة . ثم كشف غشاء الضباب عن عيني أخيل فشده البطل وهو يرى الى رمحه عند قدميه بينما اختفى اينياس من امامه وأدرك ان الآلهة تحمي خصمه وأيقن أن اينياس لن يجرؤ بعد هذا على مواجهته في المعركة .

واندفع أخيل بهياج شديد في المعركة ففتك بأعداد من الرجال بينما كان يبحث عن خصمه هيكتور الذي منعه الإله أبولون من التصدي لعدوه وأمره بالبقاء في مؤخرة الصفوف لكن أخيل لم يلبث ان قتل بحسامه بوليدور ، ابن بريام ، وكان أصغر من تبقى من أبناء الملك الطروادي وأحبهم الى قلب أبيه فلما رآه هيكتور صريعاً نسي نصائح أبولون وبرز لأخيل في الميدان فلما رآه هذا اتقدت عيناه الفظيعتان بجمر الفرح وصاح :

ـ هوذا الذي حطم قلبي بحزن عظيم . فليكن . إننا لن نعود الى المراوغة ولن يفر أحدنا من وجه الآخر في ميدان القتال . ادن مني لأرسلك سريعاً إلى مملكة هاديس .

لكن هيكتور رد عليه بقوله :

ـ ليس معروفاً بعد من الذي يقتل من بيننا . وقد لا يكون لي جبروتك يا أخيل ، لكن الآلهة وحدهم يعرفون من الذي يجب أن يسقط من بيننا . ثم ان لي حسامي أيضاً .

وطعن هيكتور خصمه برمحه ، لكن أثينا ـ بالادا حولت مسار الحسام بنفخة من فمها فسقط عند قدمي أخيل . فانقض أخيل على هيكتور لكن أبولون سارع الى نجدته ولفه الضباب الكثيف فطعن اخيل عدوه مرات ثلاثاً وفي كل مرة يطيش رمحه في الضباب وعندما انقض في المرة الرابعة صاح بصوت رهيب :

ـ للمرة الثانية تنجو من الموت . للمرة الثانية ينهض أبولون الى انقاذك ، ولكنني سأنال منك قريباً عندما ينبري أحد الآلهة لنصرتي .

وفي حمأة الغيظ والكراهية انقض أخيل على أبطال طروادة فصرع الكثيرين منهم بحسامه القتّال . وراح يجتاح الصفوف كحزيق لا يرحم . ومثلما تنهرس سنابل القمح تحت أقدام الثيران عندما يدرس الفلاح الشعير ، هكذا كانت تنهرس الأجساد والتروس والخوذ تحت سنابك خيل أخيل . كان البطل متعطشاً الى أمجاد الحروب فخضب يديه بالدماء ولاذ الطرواديون بالفرار من أمامه لكنه تعقبهم حتى نهر سكاماندر ، وألقى بنفسه بين صفوفهم فشطرها شطرين اندفع شطر منها باتجاه المدينة لكن هيرا سدّت المنافذ أمامهم بسحابة سوداء ، أما الشطر



الالهة أثينا تدخل المعركة

(نسخة صنعت في روما في القرن الثاني ق . م عن تمثال يوناني يعود للقرن الخامس ق . م)

الثاني فاندفع الى جهة النهر وراح المقاتلون يبحثون عن النجاة في مياهه فتلاطمت أمواجه وتعالت لكثرة السابحين فيه وحاول بعضهم أن ينجو بالخوض في مياهه بينما بحث آخرون عن ملاذ تحت جروفه الحادّة ، لكن أخيل جرّد سيفه وألقى بنفسه في النهر وصار يضرب الفارين وأمسك بعشرين من فتيانهم فقيد أيديهم بالسيور وأمر المرامدة أن يمضوا بهم الى المعسكر بينما كر راجعاً الى النهر ليثخن في الأعداء .

وعلى شاطىء النهر أمسك أخيل بليكاون ، الابن الصغير لبريام وهو ذلك الفتى الغر الذي سبق أن أسره البطل في مزارع العنب وباعه عبداً في ليمنوس . وارتمى الشقي الصغير على قدمي أخيل يناشده الرحمة ويعده بفدية عظيمة . ولكن أنّى للرحمة أن تنفذ الى القلب المتعطش للانتقام ، ألم يهلك قبل هذا باتروكل الأشهر بين الأبطال ، ألن يموت أخيل أيضاً بسلاح الأعداء ، فلماذا اذن يُبقي على هذا الفتى الصغير ! وأهوى أخيل بسيفه على عنق الفتى فارداه قتيلاً وأمسكْ به من رجله ورمى به الى النهر طعاماً للأسماك .

وأزداد أخيل وحشية وتعطشاً للدماء وصار يهدد أعداءه بأن سكاماندر لن ينقذهم من غضبه مهما حملوا اليه من القرابين ، بل أنه سيقتلهم جميعاً انتقاماً لباتروكل ولمن هلك من اليونان . فاستشاط كسانف ، اله نهر سكاماندر ، غضباً لهذه الغطرسة ، وفي ذلك الوقت كان استيروبيوس ، ابن الاله النهري اكسيوس ، يستعد لمجابهة أخيل فطعنه برمحين معاً فخدش بأحدهما مرفقه الأيمن فرد عليه أخيل بطعنة شديدة من رمحه القاتل لكن الرمح مال جانباً وانغرس عميقاً في ضفة النهر وحاول استيروبيوس أن ينتزعه من الأرض فلم يستطع بل وكان أعجز من أن يرفع ذلك الرمح عن الأرض . وانقض عليه ابن بيليوس وعاجله بضربة من سيفه فأرداه قتيلاً ورمى بجثته في مياه سكاماندر وقتل بعده عدداً من الأبطال فصاح الإله كسانف من أعماق الماء :

ـ أخيل ، أخرج ضحاياك من مياهي واقتل من تشاء في الميدان ولكن ليس في مياهي ! لقد سدت الجثث منافذي الى البحر فأمسك عن قتلهم .

فرد أخيل عليه بقوله

ـ أي كسانف ! لن اتوقف عن تقتيل الطرواديين حتى اطاردهم الى المدينة أو

ألقى هيكتور في الميدان .

فاستصرخ كسانف الاله أبولون بصوت مرتفع قائلاً :

ـ ايها الاله الرامي من بعيد ! ألن تنجز ما أمرك به زيوس ، مرسل الصواعق ! ألم يأمرك بأن تحمي الطرواديين سحابة هذا النهار والى أن يغمر الليل بظلامه التلال والسهول !

واضطربت مياه سكاماندر وأخذت تئن بصوت رهيب وتلفظ جثث القتلى الى الشاطىء ، أما الأحياء فخبأهم اله النهر في الكهف ، وضجت الأمواج حول أخيل عندما قذف بنفسه في الماء فلم يقو على الوقوف على قدميه ، فأمسك بأغصان شجرة دلب عالية تنتصب شامخة على الشاطىء ، لكن الشجرة هوت بعد أن انجرف النهر من تحتها وامتدت كالجسر على سطح الماء ، فقفزأخيل من النهر وراح يهرول من فوق الأرض فلحق به فيض هائل من المياه وأحدقت به الأمواج تريد ابتلاعه . وحاول البطل مرات عديدة أن يصارع الأمواج ، ولكن أكان بمقدوره وهو الرجل الفاني ، أن يصارع اله النهر الخالد ! لقد غمرته المياه وبدأت تلطم عارضيه بقسوة وتجرف الأرض من تحت قدميه الى أن صرخ أخيراً وهو يرفع ناظريه الى السماء :

ـ أي زيوس ، يا مرسل الصواعق ! أَقُضي علي ، أنا الذي قدر علي الا أقتل بغير سهام أبولون وعند أسوار طروادة ، أَقُضي علي أن أموت ميتة خاملة رخيصة شبيهاً براعي خنازير جرفه نهر جبلي وهو يحاول أن يقطعه مخاضةً ! أوّاه كان من الأشرف لي أن أقتل بحسام هيكتور ، الأمجد بين ابطال الطرواد .

ما كاد أخيل ينتهي من ندائه حتى مثل أمامه بوسيدون وأثينا ـ بالادا فشدا من عزيمته وأمراه بأن يواصل كفاحه حتى يطرد الطرواديين الى المدينة ويقتل هكتور ، وقالا انه سيعود بعد النصر ظافراً معززاً الى المعسكر ، ونفثت أثينا في صدره قوة لاترد فعجز سكاماندر عن مجاهدته فاستغاث بأخيه سيمويس ، اله الجدول ، وزاد ارتفاع السد المائي المغطى بالزبد والذي رفعه سكاماندر ضد أخيل وصار يحيط به إحاطة السور ، فاشتد خوف هيرا من أن يهلك ابن بيليوس فأرسلت ابنها الاله هيفست ليتصدى لسيمويس ، فأضرم الإله الأعرج ناراً هائلة

على الأرض فاحترقت بها جثث الطرواديين الذين قتلهم أخيل ، ولم تلبث الأرض التي غمرتها الأمواج أن جفت وسلط هيفست نيرانه على النهر أيضاً فاحترقت على شاطئه أشجار الدلب والزان والصفصاف واشتعل القصب الأخضر الريان واللوتس أما الاسماك فانتشرت في اتجاهات شتى في قاع النهر محاولة أن تجد في الأعماق ملاذاً من النار التي تلتهم كل شيء ، والتهب سيمويس فاستصرخ الاله هيفست بصيحته قائلاً :

ـ أي هيفست ! لا أحد من الآلهة قادر على التصدي لك ولن يخطر لي أبداً أن أقف في وجهك . أطفىء نيرانك الشديدة ولن أعود أبداً لنصرة الطرواد . فلينفرد بهم ابن بيليوس وليفعل ما شاء !

وزادت المياه غلياناً وفارت من وهج النار والحرارة ، وتوقف الجدول عن الجريان واضمحل سكاماندر من شدة الحريق ، وأخذ الإلهكسانف يضرع الى هيرا ان تخفف من غلواء ابنها وأقسم لها بيمين الآلهة المعظم الا يعود على معاونة الطرواديين حتى ولو احترقت طروادة عندما يطلق اليونانيون النيران في ارجائها . فكفت هيرا يد ابنها عن قتال النهر فأخمد نيرانه ؛ واحتدم الجدال العنيف بين الآلهة فالتحموا في معارك ضارية حتى أنّت الأرض تحت أقدامهم . وقهقه زيوس ضاحكاً وهو يراهم قد تماسكوا بالأطواق ، فقد انقض آريس اله الحرب ، على الالهة أثينا ـ بالادا لينتقم منها على ما قدمته من مساعدة لديوميد حتى جرحه ، فضرب آريس بحسامه الترس الأعظم في يد أثينا لكنه لم يستطع خرقه فرفعت أثينا حجراً هائلاً وضربت به عنق آريس فطرحته أرضاً وصلصلت فوقه الدروع وتمرغت لِمّته في التراب . وأسرعت أفروديتا ، الهة الحب ، لنصرته وحاولت أن تسحبه من الميدان لكن اثينا عاجلتها بطعنة رمح في صدرها فطرحتها أرضاً . ودعا بوسيدون ، الهُ البحر ، الإلهَ أبولون الى المبارزة ، لكن الإله الرامي من بعيد لم يستجب للتحدي اذ كان يخشى ان يرفع يده على مزلزل الأرض ، الأخ الاكبر لزيوس . وعنّفت الالهة ارتيميدا أخاها أبولون على احجامه عن التصدي لبوسيدون وسمعت الالهة هيرا بذلك فثار غضبها وشدّت ارتيميدا من يدها وانتزعت منها القوس وضربت به الالهة الشابة فتناثرت سهام ارتيميدا وجرت ،

والدموع تخضب وجهها ، كحمامة تفر من الصقر ، فجمعت الالهة لاتونا السهام ورفعتِ قوس ابنتها ومضت في اثرها . أما ارتيميدا فصعدت الى الاوليمب ورفعت شكواها ، والدموع تنهمر من عينيها ، الى زيوس بسبب الاهانة التي الحقتها بها هيرا . وعاد الآلهة الآخرون الى الاوليمب وقد زها بعضهم افتخاراً بانتصاره بينما كان الآخرون يتميّزون حقداً وغيظاً أما أبولون فانطلق مسرعاً الى طروادة اذ كان يخشى أن يدمرها اليونانيون رغم انف القدر .

ورأى الشيخ بريام مطاردة أخيلْ للطرواديين فأمر بان تفتح بوّابات المدينة ليدخل منها المقاتلون ويستتروا بالاسوار . ونفث ابولون في صدر أغينور قوة هائلة وحرضه على مواجهة أخيل بينما تخفى هو في ثنايا سحابة داكنة ووقف الى جانب البطل الطروادي ليحميه من رمح أخيل . وجرذ أغينور حسامه وانتظر وصول أخيل فطعنه بالرمح طعنة شديدة جاءت في المهاميز لكنها ارتدت عنها ، فانقض أخيل على اغينور يريد قتله لكن ابولون لفه بسحابة وساعده على تفادي الموت المحقق . واتخذ أبولون هيئة اغينور وانطلق يجري أمام خصمه ويراوغ في الميدان وأخيل يجد في مطاردته غير عالم بأنه يطارد إلهاً . وبهذا أنقذ أبولون الطرواديين ومكنهم من الاستتار في مدينتهم المقدسة .

دخل الطرواديون المدينة فرووا ظمأهم الى الماء وجففوا عرقهم واستراحوا قليلاً من عناء المعارك والجري ، ثم صعدوا الى الأسوار فلم يبق في الساح أحد سوى هيكتور الذي وقف عند بوابة سكية وكأن قدره المحتوم قد سمّره في ذلك المكان .

المبارزة بين أخيل وهيكتور

عن « الالياذة »

أمضى أخيل طويلاً من الوقت في مطاردة الإله أبولون ، وأخيراً توقف الاله رامي السهام وكشف لأخيل عن حقيقته فغضب البطل غضباً شديداً وود لو ينزل انتقامه بالاله فيصرعه ، ولكن أنى له ذلك ؟! وهكذا ارتد من جديد الى الأسوار شبيهاً بالكوكب الذي يسطع في سماء الخريف ويسميه الناس سيريوس وينذر الفانين بالكوارث . ورأى الشيخ بريام الى أخيل وهو يقترب من أسوار المدينة فصرخ محذراً ولده :

ـ ولدي ، عجل بدخول المدينة ولا تتعرض لابن بيليوس فهو يفوقك قوة . ادخل المدينة ! فآمالها مرهونة بك ، صن نفسك لانقاذ قومك الطرواديين والطرواديات . تذكر كم واحداً من ابنائي قتل بسيف أخيل . أشفق علي انا الشيخ التعيس ، انا الذي صب زيوس عليه كل ضروب الكوارث والمحن في نهاية عمري . قدّر علي أن أرى أبنائي يقتلون وبناتي يحملن سبايا وأن أرى الأطفال الابرياء يذبحون ثم أن أقتل على عتبة منزلي وأن تسرع الي الكلاب التي ربيتها فتلغ في دمي . اشفق علي يا ولدي وعد الى المدينة .

واستصرخت هيكابا العجوز ولدها ان يحتمي بالاسوار وذكرته بأيام الماضي البعيد وكيف أرضعته طفلاً وهدهدته في أحضانها فهل يقبل بعد ذلك كله أن يهلك أمام عينيها وأن يغدو طعاماً للكلاب عند سفن الأعداء دون أن تتمكن أمه أو زوجته من بكائه .

لكن هيكتور صمم بكل عناد وشمم ان يترقب وصول عدوه ، فوقف يعتمد بترسه العظيم على قاعدة البرج بانتظاره . ولم يكن بمستطاع البطل الطروادي ان يتفادى الصدام مع أخيل إذ كان يخشى أن يتّهمه الطرواديون بتضييع المدينة عندما

ركن الى الاعتماد على قوته . ألم ينصحه بوليدامانت بالاختفاء بالجيش في طروادة قبل ان يثور أخيل الى القتال . والآن لم يعد ثمّة غير شيء واحد ـ وهو أن يشتبك مع خصمه في المعركة فقاتل أو مقتول . وخطرت لهيكتور خاطرة : أن يخرج لمجابهة أخيل أعزل من السلاح ويعده باعادة هيلين الفاتنة وجميع النفائس المسروقة من مينيلاوس وأن يقدم له نصف ما في طروادة من كنوز ، لكنه سرعان ما أبعد تلك الخاطرة فقد كان يعرف ان عدوه لن يسمح بالاتفاق معه وانه سيقتله لا محالة فيموت أعزل كواحدة من أضعف النساء .

وازداد أخيل اقترابا وسرى الخوف في أوصال هيكتور فاسلم قدميه للفرار وانطلق يجري حول أسوار طروادة وانطلق أخيل العاصف في أثره كما ينطلق الصقر الجارح في طلب يمامة ضعيفة ، فركض البطلان حتى التفا حول المدينة ثلاثاً .

كانت المطاردة عنيفة قام هيكتور خلالها بعدة مراوغات ليقترب من الأسوار ويتيح لقومه أن يضربوا أخيل بسهامهم لكن خصمه لم يمكنه من ذلك . وأوشك أخيل أن يمسك بهيكتور أكثر من مرة لكن ابولون نفث فيه قوة كبرى فلما كانت الدورة الرابعة واقترب البطلان من منابع سكاماندر ألقى الإله زيوس في كفتي ميزانه الذهبي بمصيرين للموت ـ أحدهما لأخيل والآخر لهيكتور فهبطت كفة هيكتور الى مملكة هاديس الموحشة . عند ذلك تخلى ابولون عن صفيّه بينما اقتربت اثينا ـ بالادا من أخيل وأمرته بالتوقف ووعدته بالنصر ثم اتخذت هيئة دييفوب ، أخ هيكتور ومثلت أمام البطل واقنعته بالتصدي لابن بيليوس ووعدته بالمساعدة . فثبت هيكتور في مكانه وصاح بخصمه :

ـ لن أعود الى البحث عن النجاة في الفرار يا ابن بيليوس ، فلنتقاتل ولنر من منا يقتل الآخر ، أتكون نهايتي على يدك أم أنا الذي أحقق النصر . ولكن لنُشهد الآلهة قبل المعركة على ما سأقول : إنني أعدك بألاَّ أقوم بتحقير جسدك اذا ما منحني زيوس النصر فعدني بأن تحذو حذوي في ذلك :

لكن أخيل أجابه بصوته الرهيب :

ـ لا ، لن تفرض علي مواثيقك أيها العدو الكريه ! فلا مواثيق بين الأسود وبني البشر أو بين الذئاب والخراف . لا ، بل استجمع ما لديك من قوة

واستحضر ما تعرفه من فنون القتال فلا منجاة لك ! انك ستدفع لي ثمن دم صديقي الذي أرقته وصحبي الذين قتلتهم بيديك .

وسدد أخيل طعنة من رمحه الثقيل الى هيكتور فانحنى الى الارض وتفادى الضربة القاتلة . وسارعت الالهة أثينا بالادا فالتقطت الرمح وأعادته الى صاحبه . ونهض هيكتور فشك برمحه ترس أخيل ، لكن الرمح ارتد ارتداد القصبة الضعيفة عن ترس هيفست . ولم يكن لدى هيكتور رمح آخر فأغمض البطل عينيه واستغاث بأخيه دييفوب ان يهب لنجدته لكنه كان قد اختفى فأدرك هيكتور أن أثينا ـ بالادا قد خدعته وأن القدر قضي عليه بالموت فجرد سيفه وانقض على عدوه فالتقاه خصمه بهجوم مضاد وطعنه بالسيف في عنقه فخر البطل الطروادي على الأرض يتخبط في دمه . ولم يستطع ان يتلفظ بشيء الا بهذه الكلمات التي خاطب بها عدوه المنتصر فقال: •

ـ أقسمت عليك يا أخيل ، بحياتك وحياة جميع أقربائك الا تطرح جسمي طعاماً لكلاب المرامدة ، بل أعده إلى أبي وأمي وسيدفعون لك فدية لا تحصى لقاءه .

ـ لا ، عبثاً تستعطفني أيها الحقير ، ولو استسلمت للحقد الذي يغلي في عروقي لمزقتك بنفسي . لن يستطيع أحد أن يرد عن جسدك الكلاب حتى ولو عرضوا علي أغلى الأثمان بل ولو أعطوني وزنك ذهباً . لن يتوصل بريام وهيكابا الى افتداء جثمانك .

فصعد هيكتور زفراته الأخيرة وهو يقول :

ـ أوه ، كنت أعرف انك لن تتأثر لضراعتي ففي صدرك قلب من حديد ، ولكن اخش غضب الآلهة ، انه ولا شك سيحيق بك أيضاً فيصيبك باريس بسهمه بمساعدة الإله ابولون قرب بوابة سكية .

وبهذه الكلمات فارق هيكتور الحياة وطارت روحه الى مملكة هاديس الموحشة وهي تنعي حظها التاعس .



المبارزة بين أخيل وهيكتور
(رسم على مزهرية)

ودعا أخيل جموع اليونانيين مزهواً بانتصاره ، فسارعوا اليه وراحوا ينظرون بمزيج من الاعجاب والدهشة الى قامة هيكتور المطروح على الأرض وجماله . وبادر كل منهم الى طعن البطل القتيل برمحه فقد صار ذلك ميسوراً بعد أن كان محالاً عليهم عندما كان البطل المجيد يضرم النيران في سفنهم .

وخطرت لأخيل خاطرة تجردت من الرحمة لكنه سرعان ما عمد الى تنفيذها فخرق كعبي هيكتور وأولج بين عروقهما حزاماً قوياً ، وبعد أن شد جثة القتيل الى المركبة وثب الى داخلها ورفع بيده الدروع التي سلبها من القتيل وضرب خيوله لتنطلق في الساحة فانسحب جثمان هيكتور خلف المركبة وارتفع الغبار واسود وجه هيكتور الجميل وراح يتدحرج فوق الأرض .

وشاهدت هيكابا المنظر الفاجع من علياء الأسوار فأخذت تقطع شعرها الأشيب حزناً وفجيعة ومرارة وتضرب بيديها على صدرها بعد ان مزقت حجابها . وانتحب بريام بمرارة وجهد أبناؤه في ردّه عن طلبه حينما عزم على الخروج الى أخيل

ليستعطي من القاتل جثة ابنه القتيل ويذكره بأبيه الشيخ الذي يماثل بريام في الضعف والشيخوخة . وسمعت اندروماك أصوات البكاء والعويل فسقط المكوك من يدها وهرعت تجري الى الأسوار ، ومن هناك شاهدت جثمان زوجها يدور خلف مركبة أخيل معفراً بالتراب ، فسقطت مغشياً عليها وتلقتها أيدي نساء طروادة وسقط عن وجهها الوشاح الثمين الذي قدمته لها افروديتا كهدية وتبعثر شعرها ، فلما استعادت وعيها ، راحت تلطم وتعول فقد بقيت وحيدة في الدنيا وتيتم ولدها استياناس وكتب عليه أن ينشأ وحيداً محروماً لا حامي له . وانتحبت نساء طروادة فقد قتل حامي طروادة العظيم .

دفن باتروكل

عن « الالياذة »

عاد اليونانيون الى سفنهم ، ولم يأذن أخيل لرجاله بالتفرق في الخيام بل أمرهم بأن يدوروا ثلاث دورات حول جثمان باتروكل المطروح فوق المحفة وهم يعولون بأصوات عالية ، وطوق أخيل جثة صديقه بذراعيه وراح يندبه ويصيح :

ـ قرّ عيناً ايها البطل العظيم . فقد أنجزت ما وعدتك به ، وجئت اليك بجثة قاتلك لأطرحها طعاماً للكلاب . وسأقتل اثني عشر من فتيان طروادة عند محرقتك انتقاماً لمصرعك .

وبالقرب من المحفة التي أسجي فوقها القتيل طرح أخيل جثة هيكتور عارية لا ساتر فوقها ، ثم أقام لرجاله المارميدون مأدبة حافلة ، وأقنعه الامراء اليونانيون بأن يتوجه الى أغاممنون وهناك ألحوا عليه بأن يغتسل وأن يشارك في المأدبة لكنه رفض ، وكان كل مطلبه أن ينظم اغاممنون احتفالات الحرق والدفن .

وأكل الأبطال وشربوا حتى اكتفوا ، وتفرقوا بعد ذلك في خيامهم طلباً للنوم ، أما أخيل فاستلقى على شاطىء البحر الأبدي الخفقان يئن أنيناً موجعاً حزيناً الى أن صرعه الكرى فنام واذ ذاك بدا له طيف صديقه ورجاه ان يسارع باقامة طقوس الدفن لتتمكن روحه من الاستقرار في مملكة هاديس . وطلب باتروكل أن تدفن عظامه في القبر الذي سيضم رفات أخيل فقد تقرر أن يوضع رفات البطلين في قارورة واحدة كانت قد قدمتها الالهة فيتيدا . وبسط أخيل ذراعيه ليعانق طيف صديقه لكن الطيف لم يلبث أن توارى بعد أن أطلق زفرة حزينة ، فانتبه أخيل من نومه وراح يندب صديقه من جديد بصوت عال فشاركه المرامدة بكاءه . وفي آخر الليل استقبلته الآلهة ، ايوس ، بشيرةُ هيليوس ، وكان لايزال يسكب مرَّ الدموع .

وفي الصباح المبكر أرسل اغاممنون اليونانيين الى سفوح ايدا الشاهقة ليحضروا الحطب للمحرقة ، فجمعوا منه ركاماً عظيماً على شاطىء البحر ووضعوا فوقه جثة باتروكل باحتفاء عظيم وغطوها بشعورهم التي قطعوها كما قطع أخيل شعره ووضعه في راحة صديقه ، وكان أخيل قد نذر ذلك الشعر لاله النهر سبيرخيوس[1] ليعود سالماً الى وطنه . وبعد ذلك أطلق أغاممنون المحاربين ليعودوا الى السفن فلم يبق بالقرب من المحرقة غير القادة فنحروا أعداداً من الكباش والثيران وغلفوا جثمان باتروكل بدهنها كما نضدوا حول المحفة أوانٍ مملوءة بالزبد والعسل ونحروا كلبين وحصانين وذبح أخيل اثني عشر شاباً من شباب طروادة وسجّى جثثهم الى جانب باتروكل . أما جثة هيكتور فتركت مطروحة بالقرب من النار تحرسها الآلهة افروديتا بعد أن دهنتها بالزيوت المعطّرة ونشر أبولون فوقها سحابة منع بها أشعة الشمس المحرقة من أن تؤثر فيها .

ولما أعد كل شيء للدفن أشعل أخيل النار لكنها لم تضطرم بما فيه الكفاية فصلى أخيل الى الهي الريح ـ بوريس وزيفير وضرع اليهما ان يذكيا النار فاسرعت ايريدا وانطلقت الى ابهاء زيفير حيث كان آلهة الريح يأدبون ودعتهم لنصرة ابن بيليوس . فاندفع الريحان بوري وزيفير يعولان بأصوات كالزئير وعقدا الغيوم فوق البحر . ومن أنفاسهما العظيمة ارتفعت الأمواج المشمخرة فوق صفحة الماء ، وسرعان ما وصلت الرياح الى شواطىء طروادة فأذكت النيران بقوة شديدة فبقيت مشتعلة طيلة الليل . أما أخيل فراح يغرف الخمر بآنية مزدوجة الفوهة ويريقها مردداً اسم صديقه باتروكل.

وعند الصباح كانت المحرقة العظيمة قد مالت الى الذبول وأخذت بالاضمحلال ، وبلغ الجهد بأخيل مبلغه فارتمى بالقرب من النار الخامدة وغرق في نوم عميق أيقظته منه أصوات الأمراء اليونانيين . وأستأذن هؤلاء البطل في اطفاء جمرات النار الخابية وجمعوا عظام باتروكل ووضعوها في القارورة الذهبية ثم حفروا حفرة ووضعوا القارورة فيها ورفعوا فوق الحفرة أكمة جنائزية كبرى .

---

١ ـ يقع نهر سبيرخيوس جنوب فيساليا .



دفن باتروكل

في الوسط الى يسار المحرقة يظهر أخيل وهو يقتل الأسرى الطروادين ، بينما وقف أغاممنون الى اليمين يقوم بطقوس إراقة الخمر على اسم القتيل . في الأسفل الى اليمين يظهر أخيل على مركبته وقد شد إليها جثمان هيكتور . (رسم على مزهرية) .

ولما انتهت طقوس الدفن أقام أخيل على شرف صديقه مباريات فاخرة بدأت بسباق المركبات وشارك فيها البطل ايڤميل ابن ادميت ، والبطل ديوميد والملك مينيلاوس وانتيلوخ ابن نسطور والبطل ميريون . وكان ديوميد أول من وصل بجياده الى الهدف وقد نصرته الالهة أثينا . ولم يتأخر انتيلوخ ابن نسطور عنه الا قليلاً ثم جاء بعدهما مينيلاوس واستطاع ابن نسطور ان ينتزع منه المرتبة الثانية بالحيلة . وكان الأخير هيريون . أما البطل ايڤميل ، وهو اكبر سائق للمركبات ،

فقد نزلت به كارثة ، اذ أن الالهة اثينا لم تشأ له أن يفوز فحطمت نير مركبته وقذفت به الى الأرض فارتض ارتضاضاً شديداً . ووزع أخيل الهدايا النفيسة على جميع المشاركين في السباق كما حمل هدية الى الشيخ نسطور وكان قد عجز عن المشاركة في سباق الأبطال : فقد أوهنت الشيخوخة قواه ومضى عهد كان فيه المجلي في السباق مع كبار الأبطال . وبدأت بعد ذلك مباراة الملاكمة وشارك فيها البطل العظيم ايبيوس والبطل ايفريال ، وفاز ايبيوس على منافسه وطرحه أرضاً ، وتبارى اياكس تيلامون والملك اوديسيوس في المصارعة واعتركا طويلاً دون أن يتمكن أحدهما من قهر منافسه فنالا جائزة متكافئة . أما مباريات الجري فشارك فيها اياكس ، ابن اويليوس واوديسيوس وانتيلوخ ابن نسطور ، وانطلق اياكس يسابق الريح وتلاه اوديسيوس في المرتبة فدعا اوديسيوس الالهة اثينا ان تنصره وسمعت الالهة دعاءه فزلقت قدم اياكس وسقط البطل على الأرض فتقدم اوديسيوس الى الهدف ونال الجائزة الأولى . أما في مباراة الطعان فنزل ديوميد لاياكس ابن تيلامون وخشي اليونان ان يفتك كل منهما بصاحبه فأوقفت المباراة ونال البطلان جائزة متعادلة . وبز بوليبيت جميع المتسابقين في مباراة القرص . أما في رمي السهام فقد اوثقوا حمامة الى سارية عالية بحبل وكان على الرامي ان يخرقها بسهمه فشد تيڤكر قوسه وأطلق سهمه لكنه لم يقطع غير الحبل الدقيق الذي اوثقت به الحمامة ، فانطلقت الى السماء غير ان البطل ميريون راشها بسهمه فنال جائزة الرماية . أما جائزة رمي الرماح فاعطيت للملك أغاممنون فلم يكن ثمة من يبزه في ذلك الفن .

وانتهت الالعاب وارفضّ القوم وسرعان ما غرق المعسكر في نومٍ عميق فلم يبق يقظاً غير أخيل الذي استغرقه بكاء صديقه بمرّ الدموع . وأخيراً نهض عن سريره وراح يتجول على شاطىء البحر حتى تألق الفجر في السماء فشد خيوله الى مركبته وشد اليها جثة هيكتور ودار بها ثلاث دورات حول أكمة المدفن ؛ وأخيراً ألقى بالجثة بعيداً ثم عاد الى خيمته .

بريام في خيمة أخيل . دفن هيكتور

عن « الالياذة »

رأى الآلهة من علياء الاوليمب الى أخيل وهو يزدري بجثة هيكتور فحنق الاله أبولون وأراد الآلهة أن يقوم هرمز بسرقة جثمان هيكتور ، لكن هيرا واثينا اعترضتا على القرار وآزرهما بوسيدون في ذلك ، فبقي الجثمان أحد عشر يوماً منشوراً بالقرب من خيمة أخيل لايستره شيء ، وأنحى ابولون باللائمة على الآلهة لأنهم يسمحون لأخيل الذي نسي العطف والضمير ان يدنس جثمان البطل الطروادي . ونشب خصام بين ابولون وهيرا حسمه زيوس بكلمة منه اذ انفذ ايريدا رسولة الآلهة بطلب الى الالهة فيتيدا لتحمل الى ولدها أمر زيوس بأن يسلم جسد هيكتور لأبيه بريام لقاء فدية كبيرة فقد كان زيوس يختص هيكتور العظيم بوافر المودة .

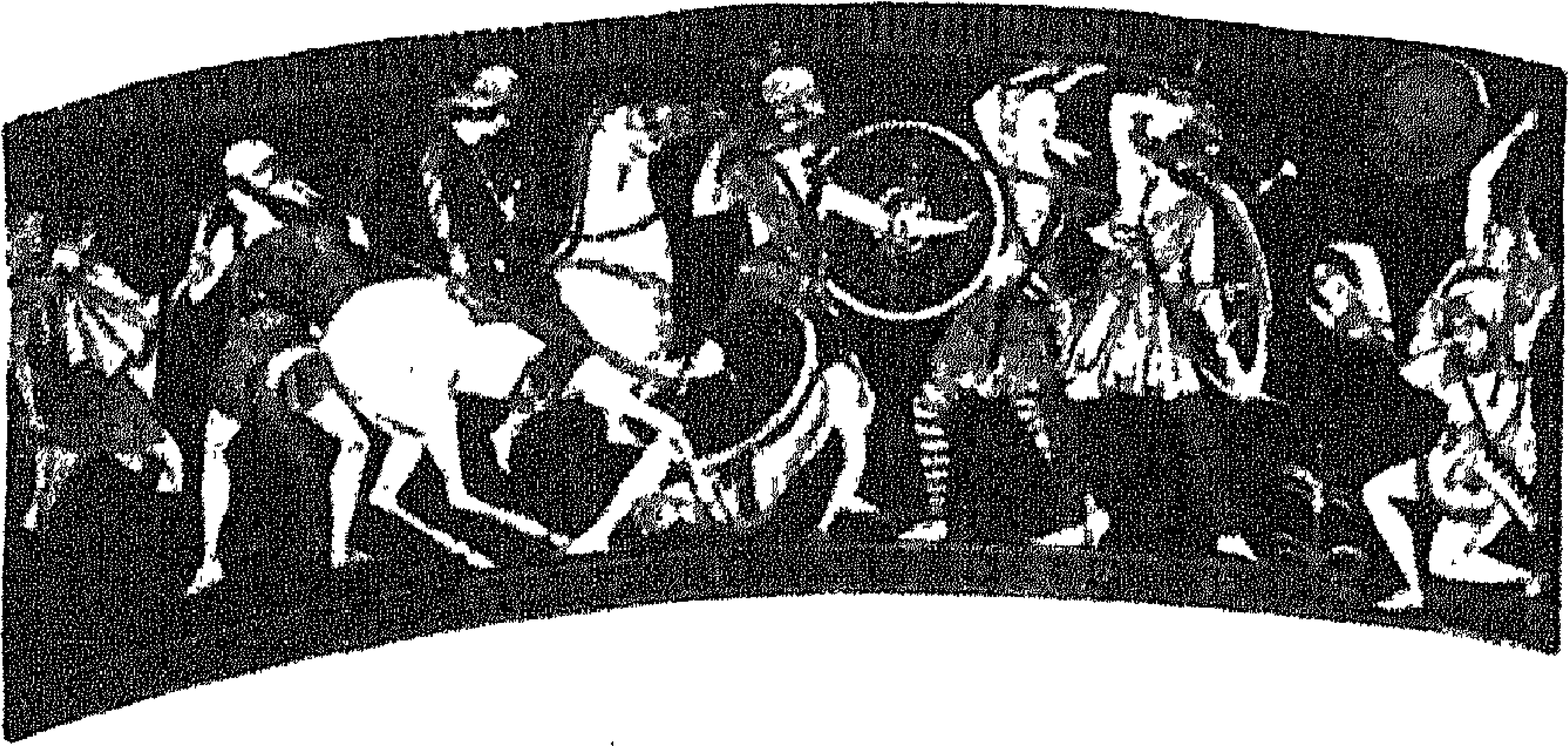
انطلقت ايريدا الى الالهة فيتيدا سريعة كالخاطر فمثلت أمامها في لحظة عين . وكانت فيتيدا تجلس آنذاك بين ربات البحر وتذرف الدموع على ابنها . فلما سمعت من شفتي ايريدا ارادة زيوس ارتدت ملابس الحداد السوداء وانطلقت الى الاوليمب ، وهناك احتفى الآلهة بمقدمها وهيأت أثينا لها متكأً بجانب زيوس بينما حملت هيرا اليها كأساً ذهبية تفوح منها رائحة النكتار . وصارحها زيوس برغبته فانطلقت من توها الى الأرض نحو خيمة ابنها المحزون وجلست قريباً منه وأخذت تربت عليه بيدها الرفيقة الحنون وقالت له إن زيوس والآلهة جميعاً حانقون عليه بسبب هيكتور وهم يأمرونه بأن يسلم الجثة لبريام فانصاع البطل لإرادة الآلهة .

وفي ذلك الوقت قام زيوس بارسال ايريدا الى بريام ، فلما هبطت الالهة على اجنحتها القزحية في قصره كان الشيخ الطروادي التاعس يذرف الدموع على ولده وقد أخفى وجهه بوشاحه وأحاط به أبناؤه ينتحبون معه فدنت منه وأمرته بأن يخرج الى معسكر اليونان بفدية عظيمة ووعدته ان يكون هرمز دليله الى مبتغاه .

لما سمع بريام كلام الآلهة هب من مجلسه ودخل القصر وأمر أولاده أن يعدوا عربة لنقل الهدايا ومركبة من أجله ثم دعا زوجته العجوز هيكابا وقال لها بأنه ذاهب الى معسكر اليونان ، فارتعدت العجوز خوفاً واستحلفته بالآلهة الّا يمضي الى حتفه المؤكد لكنه هدأ من روعها وقال لها انه يمضي الى أخيل اذعاناً لامر الآلهة . واختار بريام النفيس من الهدايا وبدأ التأهب للخروج وأخذ يستحث ابناءه على الاسراع في عملهم . وخشي أبناء بريام إغضاب والدهم فعجلوا بربط البغال الى المركبة ووضعوا فوقها صندوقاً للهدايا وقرنوا الجياد الى المركبة . فاعتلى الشيخ مركبته وضرب الخيل فانطلقت به تتقدمها عربة الهدايا التي تجرها البغال ويقودها السائق ايديوس . وكان مودعو بريام يذرفون عليه الدموع وكأنهم يشيعونه الى مثواه الأخير .

ولما خرج بريام من المدينة وجه اليه زيوس ابنه هرمز ليكون هادياً له في طريقه . فربط هرمز نعليه المجنحين الى قدميه وتناول القضيب الذي يغلق به عيون الفانين وانطلق الى طروادة ، وبينما كان بريام يورد خيله وبغاله ماء النهر لتشرب ظهر له هرمز في هيئة فتى خارق الجمال فارتعد الشيخ ـ اذ خاف أن يقتله الفتى ويسلبه النفائس ، لكن هرمز زعم بأنه خادم لأخيل واقترح على بريام أن يوصله الى المعسكر ففرح وعرض على الفتى كأساً ثمينة كهدية لكن هرمز اعتذر عن قبولها وصعد مركبة بريام وحث الجياد على الاسراع . وكان الحرس اليوناني يقف عند بوابة المعسكر فغمرهم هرمز بنوم عميق وسحب مزاليج الابواب وفتحها وقاد بريام سراً الى الداخل ثم فتح بوابات جناح المرامدة فلما دنا بريام من خيمة أخيل كشف له هرمز عن نفسه وأمره أن يدخل الخيمة بجرأة . فترك بريام ايديوس عند النفائس لحراستها ودلف الى الخيمة وكان أخيل قد فرغ لتوه من طعامه ، ودون ان يلحظ أحد شيئاً دخل بريام وجثا على ركبتيه أمام أخيل وراح يضرع اليه بالكلمات التالية :

ـ أي أخيل المجيد ! تذكر أباك الشيخ مثلي . فربما يكون جيرانه قد حاصروا مدينته كما حاصرت مدينتي ولم يبق له من ينقذه من الكارثة . أما أنا التاعس فقد فقدت جميع أبنائي تقريباً كما قتلتَ أيضاً هيكتور أعظمهم جميعاً ، وهو ما دفعني



حرب الأمازونات (رسم على مزهرية)

الى القدوم الى سفنك ، فتعطف علي واقبل فديتي فأنت ترى الى ما أنا فيه من أحزان فلم يؤت أحد من الشقاء ما أوتيت اذ قدر علي أن أقبل يدي قاتل أبنائي .

أثارت كلمات بريام أوجع الذكريات في قلب أخيل ، فبكى وهو يذكر أباه الشيخ بينما راح بريام يندب ابنه الشاب هيكتور . ونهض أخيل أخيراً وانهض بريام عن الأرض وقال له :

ـ أيها التاعس . لقد قدر عليك أن ترى الكثير من الأحزان في حياتك ، ولكن كيف قررت أن تأتي وحيداً الى مَن قتل الكثيرين منِ أبنائك . لا ريب ان في صدرك قلباً من حديد . ولكن اهدأ ، وكف عن النحيب واجلس هنا . فقد قضت الآلهة على البشر بأن يذوقوا في حياتهم غصات الحزن التي لم يبرأ منها غير الآلهة الخالدون . كف عن ذرف الدموع فانك لن تبعث الحياة في جسد ابنك . انهض واجلس هنا .

ـ فاجاب بريام : ـ لا ، لاتطلب مني الجلوس يا أخيل ، لن اجلس قبل أن تعيد ابني الي . تقبل الفدية مني ودعني انظره بعيني .

فنظر أخيل الى بريام نظرة تتقد بالغضب وقال :

ـ إخشَ أن تثير سخطي ايها العجوز ، فانا وبغير هذا أعرف ان علي أن أعيد جثة هيكتور فهي ارادة زيوس نقلتها الي امي الالهة فيتيدا . وأعرف أن من اوصلك الي اله والا لما جرؤت على دخول معسكر اليونان . فاصمت الآن لأنني أخشى أن أنكث في سورة الغضب بوصية زيوس وهي : غوث المستغيث .

قال أخيل ذلك ثم خرج فدعا أصدقاءه وأمرهم بحل وثاق خيول بريام وبغاله وأن يدخلوا ايديوس الى الخيمة . وقامت الجواري بغسل جثمان هيكتور وألبسنه فاخر الملابس ، وتقدم أخيل بنفسه فرفعه ووضعه فوق محفة مزركشة ثم قام اصدقاؤه فرفعوا المحفة ووضعوها فوق العربة . ودعا ابن بيليوس العظيم روح صديقه باتروكل الا تسخط عليه لأنه أعاد جثمان هيكتور الى أبيه ووعده بأن يضحي له بسهم من الفدية . ولما فرغ أخيل من ذلك عاد الى خيمته وقال للشيخ بأنه قد أعاد جثمان هيكتور ، ثم أقام مأدبة فاخرة ودعا بريام ليشد من قواه بالطعام والشراب ، وخلال العشاء ردّد بريام نظر الاعجاب بأخيل وبما يمتاز به من قوة وصباحة وجه كما ردّد أخيل نظر الإعجاب بالشيخ وما يتسم به من مهابة وسمو وأخذ يصغي الى كلماته الحكيمة .

وبعد تناول الطعام طلب بريام من أخيل أن يأذن له بنيل قسط من النوم الذي لم ينعم به منذ مصرع ولده . فأمر أخيل فأقاموا أمام الخيمة فراشين فاخرين لبريام وايديوس ، وبينما كان الشيخ يتأهب للنوم سأله أخيل كم يوماً يحتاج لدفن ولده ووعده بألا يبدأ حرباً خلال هذه المدة ، فطلب الشيخ مهلة عشرة أيام فطمأنه البطل على أنه لن يبدأ حرباً خلال هذه الفترة وانه سيمسك قومه أيضاً عن القتال وربت أخيل بحنان على ذراع الشيخ رامياً بذلك الى أن يطمئن قلبه ثم افترقا .

وغرق الجنود في أحضان النوم ونام الآلهة أيضاً على قمة الاوليمب المشرق ولم يبق يقظاً غير الاله هرمز ، فشخَصَ أمام فراش بريام وأيقظه وأمره أن يعجل بمغادرة المعسكر خشية أن يراه أحد من الأعداء ويطمع بالحصول على فدية كبيرة لقاءه . فهب بريام من سريره وأيقظ ايديوس ، وشد هرمز الخيل والبغال وأخرجها من المعسكر بهدوء . ولم يتخل عن الشيخ بريام الا عند شطآن سكاماندر .

وصل بريام الى طروادة عند الفجر ، وكانت كاساندرا أول من رآه فاطلقت صرخة مدوّية استصرخت بها جميع أهالي طروادة ، فتجمع رهط كبير عند أبواب المدينة تتقدمهم هيكابا وأندروماك وهما تولولان وتقطعان شعريهما . وبكى جميع الطرواديين وحاولوا أن يقتربوا من المحفة التي يرقد فوقها القتيل ، لكنهم تفرقوا بأمر من بريام وتقدم الموكب الحزين نحو بيت هيكتور .

بكت اندروماك زوجها بدموع مرة فقد كانت تبكي فيه حاميها الوحيد بعد أن هلك أهلها جميعاً ولم يبق لها أحد في الحياة ، وأيقنت المرأة آنذاك بسقوط المدينة المجيدة وبأن الطرواديات يؤخذن سبايا ويقتل ابنها الصغير استياناس انتقاماً لليونانيين الذين جندلهم أبوه في ساحة الوغى ، وزاد من أحزان المرأة أن زوجها قضى بعيداً عنها دون أن يهمس حتى بكلمة تأسٍّ أخيرة تكون ذخيرة لها تتذكرها وهي تبكيه ليل نهار ، وأعولت هيكابا وهي تذرف جداول الدمع على ابنها الغالي الحبيب .

وبكت هيلين أيضاً على هيكتور ، فهي لم تسمع منه أي كلمة لوم أو تعنيف ، ولم تر منه أية اساءة قطّ . وكان ذلك البطل الرقيق الروح يقف حامياً لها فكانت رقته زاجراً للآخرين عن الاساءة اليها . وهكذا فقدت فيه الصديق والملاذ الوحيد في طروادة حيث أمسى الجميع كارهين لها حانقين عليها .

وأمر بريام بأن تعد محرقة عظيمة ، فأمضى الطرواديون تسعة أيام ينقلون للمحرقة الأحطاب من جبال ايدا وفي اليوم العاشر رفعوا جثمان بطلهم هيكتور فوق المحرقة وأضرموا النار ثم جمعوا رفات البطل في قارورة ذهبية ووضعها في ضريح وأغلقوا جدرانه بألواح حجرية وشادوا فوق ذلك أكمة هائلة ، وبينما كان الطرواديون يغمرون المدفن كان حراسهم يشددون الرقابة خشية ان يباغتهم اليونانيون بالهجوم ، وبعد الدفن أقام بريام مأدبة حافلة في قصره .

وهكذا دفن الطرواديون بطلهم هيكتور العظيم .

الحرب مع الأمازونات . بينفيسيليا

عن قصيدة اوفيديوس «البطلات»

وملحمة فرجيل «الاينيادة»

توالت الكوارث على طروادة بعد مصرع هيكتور ، فقد فقدت المدينة حاميها البطل الشديد ، ولم يجرؤ ابناؤها على مغادرة الأسوار ليواجهوا اعداءهم في الميدان الفسيح . وكانت طروادة تفتقر الى البطل الذي يكافىء أخيل في ميدان المبارزة . ولاح شبح النهاية بالنسبة للمدينة العظيمة ، وفجأة وصلتها نجدة مفاجئة . فمن الآماد البعيدة لبونت[1] القصي ظهرت الامازونات الباسلات فوق خيولهن السريعة بقيادة بينفيسيليا التي كانت تريد بقتالها اليونانيين ـ أن تتطهر من الاثم الذي جنته اذ قتلت أختها[2] غير عامدة أثناء الصيد . وكانت المحاربة بينفيسيليا ، ابنة آريس الباسلة تتباهى بأنها ستهزم جموع اليونان الأماجيد وتزيحهم عن أسوار طروادة وتحرق سفنهم ، فرحب الطرواديون بجيش الامازونات ترحيباً حاراً واستقبل بريام بينفيسيليا كما يستقبل ابنته وأقام مأدبة عامرة احتفالاً بمقدمها .

وفي اليوم التالي ارتدتِ الأمازونات أسلحتهن البديعة وخرجن في مقدمة الجيش الطروادي لقتال اليونان . وبسط بريام يديه نحو السماء وتضرع الى الآلهة أن تهبه النصر . وبدأت معركة طاحنة ضروس فاندفعت بينفيسيليا وجيشها الأمازوني اندفاع الريح العاصف في صفوف الأعداء وراحت تجندل الأبطال واحداً تلو الآخر فاضطربت صفوف اليونانيين وأخذوا بالتقهقر وأوصلتهم

---

١ ـ البحر الأسود .

٢ ـ كانت بينفيسيليا تأمل ـ بمساعدتها للطرواديين الذين تحميهم ارتيميدا ـ أن تستميل قلب الالهة التي سخطت عليها بسبب جريمة قتل أختها .

بينفيسيليا حتى سفنهم وكاد النصر النهائي أن يعقد للامازونات وفجأة برز الى الميدان أخيل وأياكس تيلامون وكانا قد تأخرا عن الصفوف لأنهما استلقيا عند أكمة باتروكل حزينين على ضياع صديقهما فلما سمعا صعصعان المعركة ارتديا بسرعة عدة القتال وانطلقا الى الميدان كأسدين ضاريين ورأت بينفيسيليا البطل الجبار أخيل فجابهته بشجاعة واقدام وشكته بحسامها القوي لكن الحسام تناثر قطعاً على ترس ابن بيليوس ، فثنت المحاربة بضربة أخرى لكنها عجزت عن جرحه فانقض أخيل عليها بغضب مرعب وطعنها في صدرها ، وأحست الامازونة بجرح الموت فاستجمعت بقايا ما لديها من قوة وحاولت ان تجرد سيفها لكن أخيل الجبار عاجلها بطعنة من رمحه فجندلها وحصانها ، فخر الحصان على الأرض واستلقت صاحبته بجانبه ، فنزع أخيل الخوذة عن رأسها وتوقف مبهوراً بجمال



الأمازونة .
نسخة من تمثال للنحات فيديوس ، القرن الخامس ق . م

المرأة التي قتلها بيده . كانت المرأة القتيل ، ابنة آريس ، فاتنة فتنة أرتيميدا فوقف الفتى مصعوقاً فوق جثمان ضحيته وأحس بسهام الحب تتغلغل في فؤاده وبينما كان يقف ذاهلاً أسير الافتتان والحزن تقدم منه تيرسيت وأخذ يسخر منه كعادته ، وإمعانا في السخرية جرد حسامه وأغمده في عيني المرأة القتيل ، فاستبد بأخيل غضب لا يوصف فرفع يده وأهوى على تيرسيت بصفعة شديدة طرحته قتيلاً في مكانه . واضطرم قلب ديوميد حقداً على أخيل لأنه قتل نسيبه ، ولم يستطع اليونانيون أن يفصلوا بين البطلين الا بمشقة كبيرة .



أخيل يقتل بينفيسيليا
(رسم على مزهرية)

ورفع أخيل صريعته بينفيسيليا بهدوء ورفق وحملها الى خارج الميدان وسلم اليونانيون للطرواد جثث بينفيسيليا والامازونات الاثنتي عشرة اللاتي قتلن في المعركة بكامل عدتهن وأسلحتهن فأقام لهن الطرواد احتفالاً جنائزياً كبيراً وأحرقوهن .

أما أخيل فتوجه الى جزيرة ليسبوس حيث قدم القرابين الثمينة للاله ابولون وارتيميدا وامها لاتونا ضارعاً لهم أن يطهروه من اثم دم تيرسيت الذي أراقه . وبأمر من أبولون قام الداهية اوديسيوس بتطهير أخيل .

الحرب مع الاثيوبيين . ميمنون

عن « الاوديسية » وعن « التيوغونيا »
لهسيود و « الاينيادة » لفرجيل .

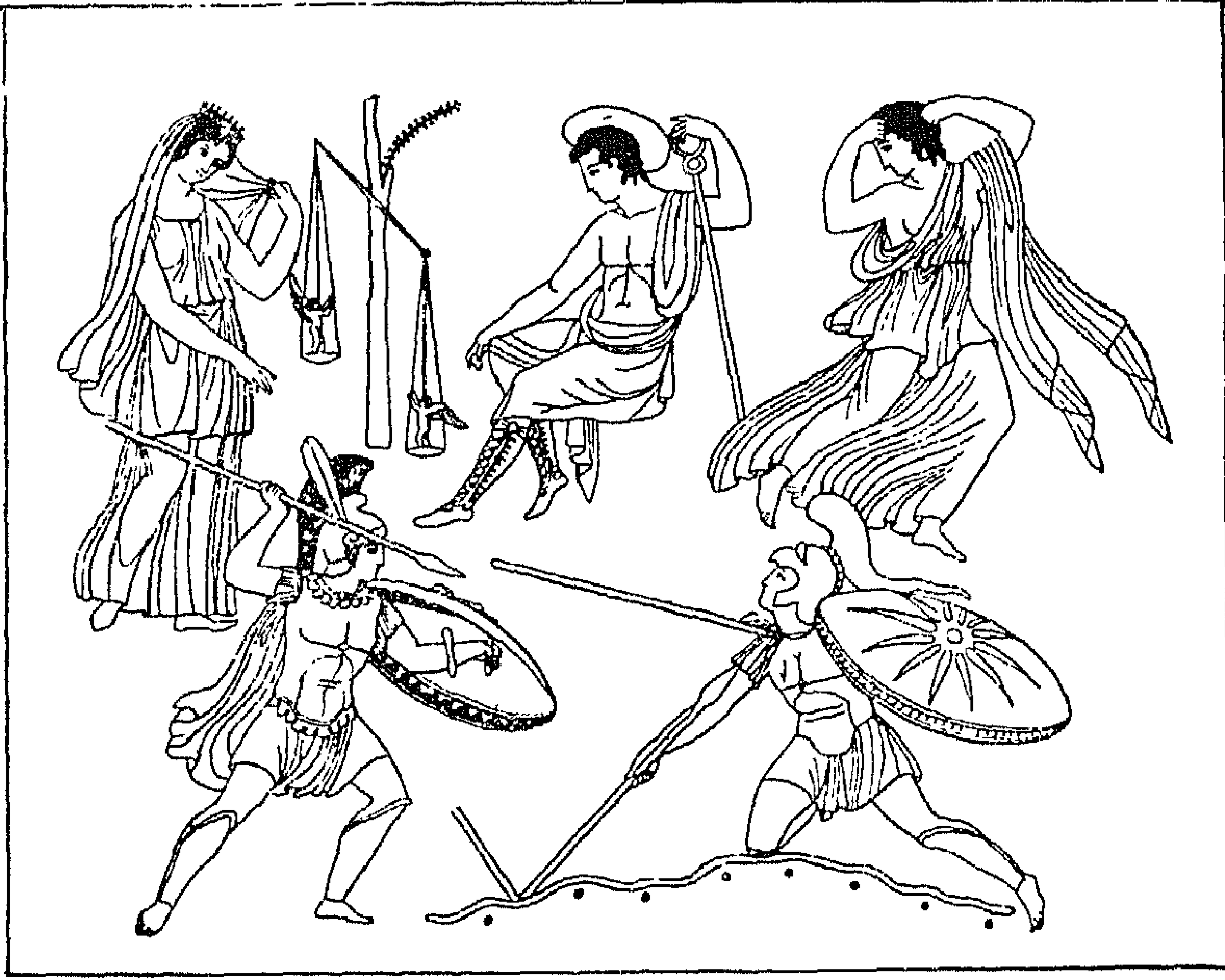
وتضاعفت صعوبات المقاومة أمام الطروادين بعد مصرع بينفيسيليا ، لكن الغوث لم يلبث أن جاء من جديد . فمن شواطىء المحيط المزبد الذي يضطرب بمياهه حول الأرض كلها زحف ميمنون الى طروادة بجيش جرار من الاثيوبيين[1]. وكان ميمنون ابنا لايوس ، الهة الفجر الفاتنة ولتيفون وكان نسيباً لبريام ؛ ولم يكن أحد من الفانين يضارعه في الجمال فقد كان يتألق كنجم الصباح بين جيوش الطرواد في دروعه الذهبية ، صناعة الاله هيفست .

كان ميمنون العدو المكافىء لأخيل . ومن جديد دارت رحى المعركة عند أسوار طروادة يتقدم ميمنون جموع الطرواد ويسير أخيل في طليعة الجيش اليوناني ؛ إلا أنه كان يتحاشى اللقاء مع ميمنون فقد كان يدرك أنه إذا ما قتله فلن يلبث طويلاً حتى يسقط بسهم من سهام أبولون . وأغار ميمنون على الشيخ نسطور ، فهل كان بمقدور الشيخ الفاني مواجهة البطل الفتي ميمنون ؟!

لوى نسطور أعنة جياده وحاول ان يفلت من عدوه بالفرار ، لكن باريس شد وتر قوسه وأطلق سهمه فقتل به أحد الجياد ، وأيقن الشيخ بالهلاك فاستجار بابنه انتيلوخ فسارع الولد البار الى انجاد أبيه وكان من الأفضل له أن يموت من أن يسلم أباه للموت . فرفع عن الأرض حجراً ثقيلاً وضرب به ميمنون لكن ابن الالهة ايوس احتمى بخوذة هيفست وردّ على خصمه بطعنة من رمحه فخر انتيلوخ على الأرض صريعاً وقد افتدى حياة والده بحياته . فانتحب الشيخ نسطور وحاول

---

١ ـ الاثيوبيون ، شعب خرافي ، كان ـ حسب المعتقدات اليونانية ، يعيش في أقصى جنوب الأرض .



المبارزة بين أخيل وميمنون

يظهر في الأعلى هرمز وهو يزن المصيرين اللذين يتخذان هيئة شكلين مجنحين ؛ وتظهر الالهة فيتيدا الى يسار هرمز وتظهر الى يمينه الالهة ايوس ، حزينة لمصرع ولدها فهي تقطع شعرها بسبب ذلك .

(رسم على مزهرية).

ميمنون أن يجرد القتيل من دروعه على الرغم من فراسيميد الابن الأخير لنسطور ، قد انقض عليه رفقة صديقه فيريوس فانضم اليهما نسطور يحاول حماية جثمان ولده . لكن ميمنون تعفف عن قتال الشيخ ولم يرفع عليه يده ، واقتتل اليونانيون والاثيوبيون بضراوة حول الجثة واستغاث نسطور بالبطل القوي أخيل ، وسرى

الرعب في جسد البطل عندما عرف بمقتل انتيلوخ فقد كان يؤثره بمودة خاصة دون جميع الأبطال وكان صديقه الأوحد بعد باتروكل . وهكذا أنسته محنته الجديدة كل ما عداها بل ونسي أن عليه أن يهلك بعد ميمنون . واندفع الى المعركة فلما رآه ميمنون قادماً رماه بحجر ثقيل لكن الحجر ارتد بعيداً بعد أن ضرب الترس وجرح أخيل في يده . وطعن أخيل خصمه فجرحه في كتفه لكن أحد البطلين لم يلتفت الى جرحه بل جردا سيفيهما والتقيا من جديد ، وكانا متكافئين في القوة وكل منهما ابن آلهة وعلى كل منهما تتألق الشكة التي صنعها هيفيست :. والتحم البطلان وقد احتميا بترسيهما ، ونظر الآلهة الى هذه المبارزة من علياء الاوليمب بينما كانت أمّا البطلين ، ايوس وفيتيدا ، تضرعان الى زيوس ، كلٌ من أجل ابنها . فأخذ زيوس ميزاناً ذهبياً ووضع في كل كفة منه مصير أحد البطلين ووزنهما فانحدر مصير ميمنون عميقاً اذ قدر عليه ان يسقط على يد أخيل ، فانتحبت ايوس اذ كان عليها ان تفقد ابنها الحبيب ؛ واستل أخيل حسامه الثقيل وشك به صدر ميمنون فاحتجبت أمه ايوس بغمامة داكنة من فرط حزنها وأنفذت الى الميدان بأبنائها آلهة الرياح فحملوا جثمان ميمنون بعيداً الى شطآن ايسيب . حيث ندبته الحوريات وأقمن له مدفناً .

أما الاثيوبيون فحوّلهم الآلهة الى طيور ، فهي تجتمع كل سنة على شاطىء ايسيب عند مدفن ميمنون حيث تبكي مليكها القتيل .

وبكل إجلال قام اليونانيون باحراق جثة انتيلوخ ووضعوا رفاته في قارورة ووضعوها فيما بعد في مدفن واحد الى جانب رفاة أخيل وباتروكل .

---

١ - نهر في آسيا الصغرى (يسمى حاليا تشالتالدار) .

مصرع أخيل

انقض أخيل على الطرواديين يحدوه غضب لايحد وصمم على أن ينتقم منهم شر انتقام لمصرع صديقيه باتروكل وانتيلوخ . فراح يثخن فيهم طعناً وتقتيلاً ويوغل في صفوفهم كأسد جريح ويجندل أبطالهم واحداً تلو الآخر . فلاذ الطرواديون بالفرار وسارعوا الى الاختباء وراء أسوار مدينتهم ولاحقهم أخيل حتى بوابة سكية وقد زاد من ضراوة حقده احساسه بمصيره المحتوم .

أوشك أخيل أن يقتحم المدينة المقدسة ويجعلها طعاماً للدمار والتخريب لكن أبولون أوقفه بصيحة مدوية ، بيد أن أخيل كان حانقاً على الإله الذي طالما خلص هيكتور والطرواديين من بين يديه فهدد بأن يوجه انتقامه الى الاله الغاشم ويطعنه برمحه فغضب أبولون غضباً شديداً ونسي وعده السابق بحماية أخيل ، ذلك الوعد الذي قطعه على نفسه اثناء احتفالات فيتيدا وبليوس ؛ وهكذا فقد لف الإله نفسه بغمامة سوداء واختفى عن الانظار وأخذ السهم الذي أطلقه باريس على عدوه فأصاب به أخيل في كاحل رجله وهو المقتل الوحيد[1] في جسد البطل المجيد ؛ وأحس البطل بدنو الموت فامتشق السهم من الجرح وسخط على أبولون سخطاً شديداً لأنه تسبب في موته فقد كان الفانون أعجز من أن ينالوه بسوء لولا نصرة الآلهة . واستجمع أخيراً ما تبقى له من قوة ثم نهض عن الأرض مخيفاً كأسد يحتضر وانقض على اعدائه فجندل منهم الكثيرين ، لكن اعضاءه لم تلبث أن همدت وأخذ الموت يدنو منه فوقف مترنحاً واعتمد على حسامه واطلق في الأعداء صيحة رهيبة فقال :

---

(١) كانت فيتيدا قد غمست ابنها الرضيع أخيل في مياه ستيكس ، النهر الذي يجري تحت الأرض في مملكة هاديس ، وكانت تمسكه بكاحل قدمه ولهذا غدا جسمه منيعاً كالحديد بينما لم يمسّ الماء كاحله فكان فيه مقتله .

ـ الويل لكم ، فانتم هالكون أيضاً وسأقتص منكم حتى بعد موتي .

لاذ الطرواديون بالفرار خوفاً من هذه الصرخة لكن أخيل كان يحس باضمحلال قواه حتى تلاشت نهائياً فسقط على الأرض وصلصلت دروعه الذهبية فوقه وارتجت الأرض من تحته لكن اعداءه تهيبوا الاقتراب منه إذ كانوا يرتعدون فرقاً منه في موته بسبب ما كان يثيره من رعب في قلوبهم في حياته ، لكنهم لم يلبثوا أن تغلبوا على خوفهم وبدأت المعركة تدور حول جثة الأعظم بين الأبطال ، وشارك فيها صناديد اليونان والطرواد فتراكمت الجثث تلالاً حول الجثمان بينما كان يرقد ساكناً مهولاً لا تبلغ مسامعه صرخات القتال ، وانعقد الغبار كالاعصار تحت أقدام المحاربين ، وسالت الدماء انهاراً وبدا ان المعركة لا نهاية لها وفجأة تردد هزيم صواعق زيوس وزمجرت عاصفة رهيبة أمسكت أيدي الطرواديين عن القتال فقد أبى زيوس عليهم أن يحرزوا على جثمان أخيل فرفع اياكس تيلامون الجثة وحملها الى السفن بينما تولى اوديسيوس حمايته من هجمات الأعداء ، وسالت سحابة من السهام والرماح من الجانب الطروادي نحو اوديسيوس بينما كان يتراجع على أعقابه خطوة خطوة ويتصدى بصدره للزحف الشديد .

حمل اياكس جثة أخيل الى السفن فقام اليونان بغسلها ودهنوها بالزيوت المعطرة ووضعوها فوق محفة فاخرة واحاطوا بها وهم يعولون ويندبون ويقطعون شعورهم . وبلغت أصواتهم مسامع فيتيدا فخرجت من لجة البحر مع أخواتها النيرييدات ، فلما علمت بمصرع ابنها الحبيب أطلقت صرخة مدوية ارتجفت لها قلوب اليونان وكادوا أن يولوا هاربين الى السفن لو لم يوقفهم الشيخ نسطور . وأمضت فيتيدا والنيرييدات وجموع اليونان مدة سبعة عشر يوماً ينوحون على القتيل وانحدرت الربات من أعالي الاوليمب لينشدن تراتيل الموت الحزينة على شرف القتيل ، وبكى الآلهة الخالدون حزناً على البطل المجيد . وفي اليوم الثامن عشر أقيمت محرقة هائلة وضعت فوقها جثة أخيل وكدس اليونانيون فوقها كثيراً من الأضاحي ، ولبس الأبطال أفخر ملابسهم الحربية ليشاركوا في احتفالات الاحراق . ولما خبت نيران المحرقة جمع الأبطال عظام أخيل ووضعوها في القارورة الذهبية التي ضمت رفات باتروكل ، ودفن اليونان ابطالهم الثلاثة ـ أخيل

وباتروكل وانتيلوخ في مدفن واحد وركموا فوقه أكمة عالية تشرف على البحر لتشهد على ما أتاه المدفونون في حياتهم من أمجاد .

وبعد الدفن اقيمت المباريات على شرف القتيل وأخرجت فيتيدا من البحر أجمل النفائس لتكون جوائز للفائزين . كانت تلك الجوائز رائعة ، حتى ليمكنها ان تثير اعجاب أخيل نفسه فيما لو كان بين الأحياء .

مصرع أياكس تيلامون

عن تراجيدية سوفوكل « أياكس حامل الترس »

مات أخيل وبقيت دروعه الذهبية التي صنعها هيفست فأمرت فيتيدا أن تمنح الدروع لمن بز الجميع في الدفاع عن جثمان ابنها .

وعلى هذا كان يجب أن تنتهي الدروع الى واحد من اثنين ـ أياكس أو اوديسيوس . فاحتدم النقاش بينهما ولم يهتدوا الى طريقة لحسمه اذ كان كل من البطلين جديراً بالجائزة . واجتمع الرأي أخيراً على أن يترك الحكم فيها للأسرى الطرواديين . فوقفت أثينا ـ بالادا الى جانب صفيها المحبوب اوديسيوس وبمساعدة منها قام أغاممنون ومينيلاوس بتزوير قرعة أياكس ولجآ الى الغش في احصاء أصوات الطرواديين فكانت الدروع من نصيب اوديسيوس . فحزن أياكس العظيم حزناً شديداً ومضى الى خيمته وقد صمم على أن يقتص من ولدي اتريوس ومن اوديسيوس .

وعندما خيم الليل وهجع المعسكر اليوناني جرد أياكس سيفه وخرج ينتوي قتل أغاممنون وأخيه ، لكن الآلهة أثينا ـ بالادا سلطت عليه الجنون ، وكانت الآلهة قد سخطت عليه منذ زمن بعيد بسبب عنجهيته واشتداد ثقته بنفسه ورفضه عون



أياكس واوديسيوس يتنافسان على أسلحة أخيل ، يظهر أغاممنون بينهما ، كما يظهر المحاربون وهم يمسكون بالبطلين من ذراعيهما
(رسم على مزهرية)

الآلهة . فهجم أياكس على قطيع من البقر وصار يهوي عليها بسيفه وهو يظن أنه يفتك بخصومه اليونانيين . حتى اذا شفى غليله من القتل ساق أمامه ما بقي من الثيران متوهماً انه يسوق الأسرى وذهب بها الى خيمته وراح يسومها العذاب ويمتع ناظريه بآلامها وموتها فقد كان يحسبها ولدي اتريوس . لكنه لم يلبث أن عاد الى رشده وكان رعبه شديداً لما رأى الخيمة قد اكتظت بجثث الثيران الصريعة ، وأحدق به رعب لايوصف وأخذ يتساءل عمّا ألمّ به فحدثوه بكل شيء فاستولى عليه الحزن والقنوط وقرر ان يغسل بدمه ما لحق به من عار ، فعهد بحماية ابنه ايفزيساك الى أخيه تيفكر والى المحاربين الذين وفدوا معه من سالامين وامتشق سيفه الذي تلقاه هدية من هيكتور وقال بأنه ذاهب ليضرع الى الآلهة كي ترأف به ، وليقدم سيفه قرباناً الى هاديس والهة الليل ، وغادر قومه ومضى يطلب مكاناً قصياً على شاطىء البحر .

وشاع في معسكر اليونان نبأ اياكس وما أقدم عليه من أعمال ، وشهد الجميع ذبائح الثيران والأغنام وجثث الرعيان القتلى . وتقفى اوديسيوس آثار الدماء وأوضح أن ذلك تم بيد أياكس . فغلى قلبا أغاممنون وأخيه مينيلاوس بالحقد وقررا الانتقام وانزال العقوبة بالجاني .

وفي الوقت نفسه جاء داعية من طرف تيڤكر فقال لرفاق اياكس بأن يعملوا على صيانة بطلهم المجيد وحمايته لأن الهلاك محدق به سحابةَ ذلك النهار فقط فاذا ما تفاداه غدا بمنجاة من كل خطر . وما هي الا هنيهة حتى ظهر تيڤكر نفسه فلما عرف بأن أخاه ذهب الى شاطىء البحر انطلق للبحث عنه وخشي ان يصيبه مكروه ، ولم تخنه ظنونه لأنه لم يعثر على الشاطىء الا على جثة البطل . لقد طرح اياكس بنفسه على سيفه وهكذا قضى الاكبر بين جبابرة اليونان بعد أخيل .

ولم يسمح مينيلاوس وأغاممنون لتيڤكر بدفن أخيه ، وكاد الأمر أن يتحول الى صراع دام بين الطرفين وأن يتطور الى حرب قبلية في المعسكر اليوناني ، لكن اوديسيوس تدخل في النهاية وأقنع أغاممنون أن يسمح بدفن البطل المجيد نظير ما قدمه من خدمات جليلة لليونان . هكذا ظهرت أكمة دفن جديدة بالقرب من أكمة أخيل . وتحت تلك الرابية يثوي رفات أياكس ، ابن تيلامون المجيد .

فيلوكتيت . آخر أيام طروادة

عن مأساة سوفوكل « فيلوكتيت »

بعد وفاة أخيل وأياكس واصل اليونانيون حصارهم لطروادة بعناد واصرار لكنهم عجزوا عن احتلالها . وفي ذات يوم تنصت اوديسيوس على كلام العرّاف هيلين ابن بريام عبر الأسوار فعرف بمقره واستطاع ان يحتال عليه فيأسره ، وبهذه الطريقة عرف اوديسيوس ان طروادة لن تسقط الا اذا اشترك في الحملة شخصان وهما : فيلوكتيت ومعه سهام هرقل المسمومة ونيبتوليم ابن أخيل . وعلى الفور قرر اوديسيوس ان يتوجه في رحلة بعيدة الى البطلين .

عندما وصل اوديسيوس الى قصر الملك ليكوميد في جزيرة سكيروس لم يجد كبير عناء في اقناع نيبتوليم ابن أخيل بالانضمام الى حملة طروادة فقد كان الفتى ، شأن أبيه ، يتقد رغبة في تحقيق الامجاد الحربية العظيمة . فسارع بالسفر مع اوديسيوس على الرغم من دموع أمه ديداميا التي حاولت اقناعه بالبقاء .

بيد ان اقناع فيلوكتيت كان أكثر مشقة . فقد سبق ان انفض عنه الجميع وتركوه وحيداً منبوذاً يقضي أيامه فوق جزيرة خريس الموحشة الجرداء في مغارة تنفتح على الشرق والغرب من خلال منفذين فكانت الشمس تدفئها في الشتاء وتلطف الريح جوها في الصيف ، وكان فيلوكتيت يتحصل على طعامه بمشقة وجهد وذلك انه كان يرمي الحمام البري بقوسه ، اما جرحه العميق فكان يسبب له آلاماً لا تحتمل فما كان يتحرك الا بكثير من العناء لكي يحضر لنفسه الماء . وكان يقدح النار بصعوبة بالغة وذلك بضرب حجرين ببعضهما . وهكذا أمضى البطل عشر سنوات فوق الجزيرة على هذه الحالة . ونادراً ما كان البحارة ينزلون على شواطىء الجزيرة الاّ أن أحداً منهم لم يرض بأن يحمل معه فيلوكتيت الى اليونان وكان ولدا اتريوس واوديسيوس سبب كل هذه الآلام الطويلة المبرّحة فكان



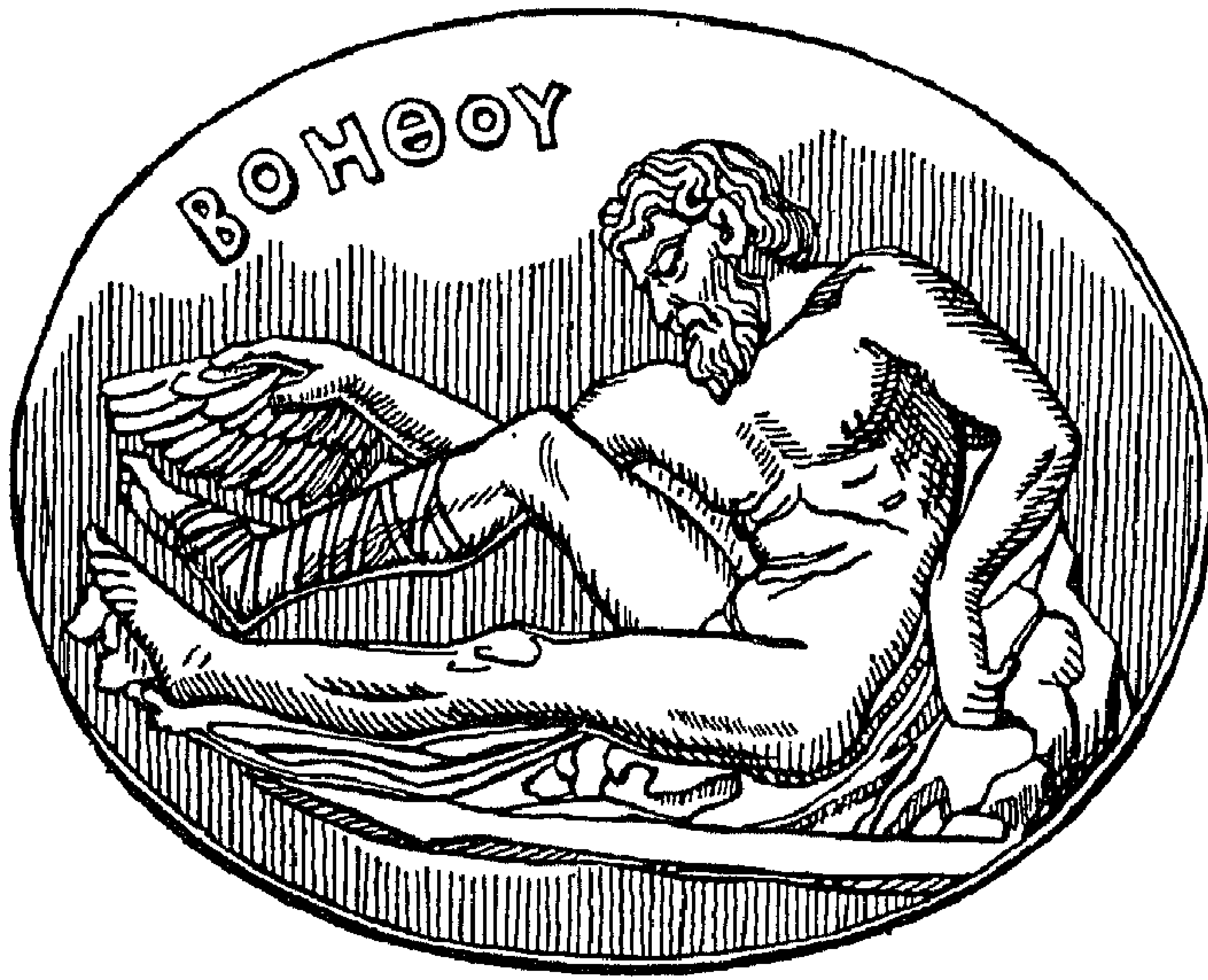
نيوبتوليم يستعد للخروج إلى طروادة من جزيرة سكيروس .
يظهر نيوبتوليم وبيده رمحان وهو يقف أمام الملك ليكوميد الجالس على عرشه ، كما تظهر ديداميا ، ام نيوبتوليم ، أمام ولدها .
(رسم على مزهرية)

فيلوكتيت يضمر لهما أشد الكراهية والحقد ويشتهي لو تسنى له أن يصرعهم بسهامه .

كان اوديسيوس يعرف أن الموت سيحيق به اذا ما رآه فيلوكتيت ، ولهذا صمم على إخضاعه بالحيلة . فأقنع نيوبتوليم الفتي بأن يمضي الى البطل الجريح ويحدثه بأنه عائد من طروادة وأنه قد انسحب من الحصار بعد إهانة ألحقها به أمراء اليونان فاذا طلب فيلوكتيت منه أن يصحبه الى اليونان فليوافق وبهذه الطريقة يمكنه السيطرة عليه والاستحواذ على قوسه ونباله ونقله الى السفينة . وبذلك يكون من السهل تسييره الى طروادة . ولم يكن نيوبتوليم يرضى بأن يسلك مسلك الخديعة لكن اوديسيوس أقنعه بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لاجتذاب فيلوكتيت الى السفينة فوافق .

وعندما وصلت السفينة الى خريس خرج نيوبتوليم وثلة من المحاربين الى الشاطىء واتجه نحو المغارة وكان فيلوكتيت غائباً عنها لكنه لم يلبث أن ظهر .

كان يدخل الى الحفارة وهو يصعد التنهدات المضنية ، فقد كان الجرح يثير فيه آلاماً مبرحة ، وابتهج لقدوم الزائرين بل وزاد من ابتهاجه كون القادم



فيلوكتيت

(صورة منقوشة على قطعة من الأحجار الكريمة للفنان بويت ، القرن الاول ق . م .)

نيوبتوليم ، ابن اخيل الذي لم يلبث أن ألقى اليه بتلك القصة الملفقة التي صاغها اوديسيوس ، وحدثه بمصرع أخيل وباتروكل واياكس فحزن فيلوكتيت لمصرع اولئك الذين كان يؤثرهم بالحب دون جميع الأبطال ووافق على السفر الى اليونان رفقة نيوبتوليم بل وسلم الى البطل الفتي سهامه وقوسه وتضرع اليه ان يحميه من الداهية اوديسيوس بل وراح يستحثه على الاسراع في السفر .

وفجأة وصل أحد المحاربين ليعلن أن البطل فينيكس وأبناء تيسيوس قادمون ليحملوا فيلوكتيت الى طروادة. وعلى الرغم من الآلام الرهيبة التي كان فيلوكتيت يرزح تحتها فانه سارع باللجوء الى الشاطىء، ورأى نيوبتوليم الى هذه المعانيات الشديدة فبارحته الرغبة في مواصلة خدعته واعترف لفيلوكتيت بالحقيقة وهمّ بتسليمه قوسه ونباله لكن اوديسيوس انطلق من كمين كان قد نصبه في مكان

قريب وحال دون وصول السلاح إلى فيلوكتيت . آنذاك حاول البطل الجريح أن يجري ويصعد إلى شاهق ليرمي بنفسه في البحر من هناك كي لا يكون أداة طيعة في أيدي خصومه الأعداء . وأخيراً رفعه الأتباع بأمر من اوديسيوس وألقوا به في السفينة فانتابه حزن وبأس عظيمان ،

وكان ذلك كله فوق احتمال نيوبتوليم فدفع اليه بالقوس والنبال وبهذا انهارت خطة اوديسيوس من أساسها بل انه لاذ بالفرار لأنه كان يعلم ما يعنيه التعرض لسهام فيلوكتيت .

قام نيوبتوليم بمحاولة جديدة لاقناع فيلوكتيت بمرافقته الى طروادة ومساعدته في اخضاع المدينة ، لكن فيلوكتيت رفض رفضا قاطعاً فهو لا يستطيع نسيان تلك الآلام التي أسلمه اليها كل من أغاممنون واخوه مينيلاوس واوديسيوس . وبات جلياً انه قد كتب على الأبطال أن يغادروا الجزيرة دون أن يحققوا هدفهم .



«ديوميد واوديسيوس يسرقان البالاديوم
(نقش نافر من القرن الثالث ق.م)

وفجأة مثل أمام فيلوكتيت الاله هرقل بكل بهائه وسنائه وأمره بأن يمضي الى طروادة ووعده بأن يبرئه من جراحه وان يحقق له مجداً عظيماً أثناء سقوط المدينة . فامتثل فيلوكتيت لارادة صديقه وصعد طواعية الى سفينة اوديسيوس وانتقل الى طروادة حيث كانت جلائل الأعمال بانتظاره .

حقق نيوبتوليم الكثير من المآثر عند وصوله ميدان القتال . فلم يكن ثمة من يضاهيه في القوة والشجاعة فتساقط الابطال على يديه ومن بينهم ايفريبيل بن

تيليف ، سليل هرقل وكانت أمه قد أرسلته لمساعدة بريام طمعاً في الهدية الثمنية وهي عسلوج كرمة من الذهب زرعه زيوس للصبي الفاتن هانيميد بن بريام فكان ايفريبيل ، ذو الوجه الالهي الصبيح ، أعظم بطل من حماة طروادة بعد سقوط ميمنون .

ولم يطل المقام بفيلوكتيت عند أسوار المدينة حتى جرح بسهمه باريس الذي كان مسؤولاً عن أهوال الحرب كلها . وقد أنفذ فيلوكتيت فيه سهماً من سهام هرقل التي لا يمكن البرؤ منها فقدر على باريس ان يهلك في عذاب مرير اذ نفذ السهم عميقاً في جسده فغادر مدينته متجهاً الى الغابة حيث مات صريع آلام لا تطاق ؛ لقد مات بعيداً في البراري التي عاش فيها ردحاً طويلاً من حياته راعياً بسيطاً بعيداً عن الهموم وصروف الدهر . وعثر الرعاة على جثته فبكوا طويلاً رفيقهم القديم وأقاموا محرقة عالية رفعوا جثمانه عليها وأضرموا فيها النار ، ثم جمعوا رفاقه ووضعوه في آنية دفنوها بعد ذلك في أعماق التراب .

وتضاعفت صعوبات الدفاع عن المدينة ومع هذا عجز الأعداء عن اقتحامها فقرر اوديسيوس ان يقوم بمجازفة خطيرة فشوّه وجهه بضربات السياط وارتدى أسمالاً ودخل طروادة في هيئة متسول فقير ليتقصى أخبار المدينة وما يفكر به الطرواديون . ورآه أبناء المدينة وهو يجمع الصدقات التي يجود بها المحسنون في المناطق المكتظة بالناس . ولم يتعرف عليه أحد سوى هيلين فدعته الى منزلها واكرمته وأقسمت له على صيانة سره . وهكذا تعرف اوديسيوس الأحوال في المدينة المحاصرة وقتل عدداً من حراسها وعاد سالماً الى معسكره . ثم قام بمغامرة أشد خطراً صحبة البطل ديوميد فقد دخلا المدينة سراً وتسللا الى معبد أثينا بالادا المقدس حيث تقوم صورة خشبية للالهة كانت قد سقطت ذات مرة من السماء (بالاديوم) وكان حتماً على اليونانيين ان يستولوا عليها فما كان لطروادة ان تقهر والصورة في معبدها . وهكذا فقد سرقها البطلان بعد عناء ونصب وقتلا عدداً من الطرواديين في طريق العودة .

«سقوط طروادة»

في الأصل عن «الانيادة»
لفرجيل

ورغم كل التضحيات والبطولات عجز اليونانيون عن اقتحام المدينة المجيدة فاقنعهم اوديسيوس بأن يركبوا مركب الحيلة .فيصنعوا حصاناً خشبياً ضخماً يتسع جوفه لعدد كبير من الأبطال ثم ينسحب الجيش بعيداً عن شطآن المدينة ويستتر خلف جزيرة تينيدوس[1] ، وعندما يحمل الطرواديون الحصان الى المدينة يخرج منه الابطال فيفتحوا الابواب لبني قومهم الذين يتسللون اليهم خفية . واكد اوديسيوس ان ليس من طريقة أخرى لاقتحام المدينة .

وأرسل زيوس علامة الى العراف كالخاس فأكد لليونانيون على ذلك فقام الفنان ايبيوس الشهير بمساعدة تلميذه وبعون من الالهة اثينا ـ بالادا باقامة حصان هائل الحجم دخله كل من نيوبتوليم ، فيلوكتيت ، مينيلاوس ، ايدومينيوس ، ديوميد ، اياكس الأصغر ، ميريون ، واوديسيوس وعدد من الأبطال الآخرين ، فامتلأ جوف الحصان بالصناديد المدججين بالسلاح وأغلق ايبيوس المنفذ اغلاقاً محكماً لا يسمح حتى بالتفكير بأن الحصان يحمل في جوفه ما يريب . وعمد اليونان بعد ذلك الى منشآتهم فأحرقوها وركبوا سفنهم التي انطلقت بهم في أرجاء البحر العريض .

ومن فوق الأسوار العالية كان الطرواديون يرقبون الحركة الغريبة في معسكر الأعداء واستغلق عليهم ما يدور هناك الى أن رأوا أعمدة الدخان الكثيفة فادركوا أن اليونانيين قد غادروا فخرجت جموع الطرواديين من المدينة مهللة مستبشرة وانطلقوا الى المعسكر يعبثون بتلك البقاع التي انتصبت فوقها منذ حين خيم ديوميد

---

١ ـ جزيرة في بحر ايجة عند شواطىء طروادة .

وأخيل وأغاممنون ومينيلاوس وغيره من الأبطال وكانوا على ثقة من ان الحصار قد انتهى وانكشفت الصعاب وان بامكانهم الانصراف الى الحياة الآمنة المطمئنة .

وفجأة توقف الطرواديون وقد شلت الدهشة حركتهم . كان أمامهم حصان خشبي هائل الحجم ؛ وقفوا مبهوتين يتساءلون ما السر في اقامة هذه المنشأة العجيبة ، واقترح بعضهم القاء الحصان في البحر بينما نصح آخرون بنقله الى المدينة ووضعه فوق الاكروبوليس ، واشتدت حدة الحوار واذا بالكاهن لاوكوون يبرز أمام جموع المختصمين ويحاول بكل ما أوتي من مهارة وحجج أن يقنع أبناء مدينته بتدمير الحصان فقد كان واثقاً من وجود المحاربين اليونانيين بداخله وان في الأمر مكيدة حربية تمخض عنها خيال الداهية اوديسيوس فلاوكوون لا يصدق ان يرحل اليونان عن طروادة . واستحلف الكاهن ابناء مدينته بكل الآلهة ان يكونوا على حذر من ذلك الحصان ومن كل ما تصنعه الايدي اليونانية حتى ولو كانت هدايا تقدم اليهم ، ثم جرد حساماً عظيماً وضرب به الحصان فترنح من شدة الضربة وصلصل السلاح بداخله لكن الآلهة ضربت غشاوة على أسماع الطرواديين فقرروا ان ينقلوا الحصان الى مدينتهم لتتم بذلك ارادة القدر .

وبينما كان الطرواديون يتحلقون حول الحصان ويضيقون الحلقة من حوله انتهت اليهم صرخة حادة ، فقد كان الرعاة يسوقون امامهم أسيراً مقيداً وقد أسلم نفسه اليهم طوعياً . وكان ذلك الاسير ـ اليوناني سينون وقد أحاط به الطرواديون وراحوا يسخرون منه بينما وقف في وسطهم صامتاً يردد الشكوى ويذرف الدموع على حظه العاثر حتى حركت دموعه قلب الشيخ بريام وجموع الطرواديين فأخذوا يسألونه عن هويته ولماذا تأخر عن قومه فالقى عليهم قصة ملفقة صاغها اوديسيوس ، وقال بأن الداهية اليوناني همَّ بقتله لأنه نسيب بالاميد الذي يكن له اوديسيوس أشد الكراهية ، ولهذا تربص به حتى كان القرار الأخير بفك الحصار وعند ذلك أقنع العراف كالخاس أن يذيع بأن الآلهة تطالب بقربان بشري لقاء العود الميمون الى الوطن ، وأمضى كالخاس وقتاً طويلاً يتردد في من يقع عليه الاختيار ليقدم قرباناً الى أن أشار بيده الى سينون فأخذ ذلك الرجل واقتيد الى المذبح ، لكنه تمكن من قطع الحبال التي شدوه بها ولاذ بالفرار من موت محقق ،



لاوكوون وولداه وقد طوقتهم الأفاعي . (مجموعة نحتية للفنانين أغيساندر ، بوليدور وأثيندور الذين عاشوا في جزيرة رودوس في القرن الاول ق . م) .

وأمضىٰ وقتاً طويلاً بين أدغال القصب الكثيفة ينتظر أوبة اليونان الى بلادهم . فأمر بريام بأن تحل قيود الأمير وسأله عمّ يعنيه ذلك الحصان الخشبي ، وكان ذاك ما ينتظر سينون أن يسأل عنه فأشهد الآلهة جميعاً على صدقه فيما يقول وأعلن أن اليونانيين قد صنعوا الحصان ليستميلوا به قلب أثينا بالادا التي سخطت عليهم بسبب سرقة البالاديوم من طروادة ، ولهذا فانه سيكون الحامي القدير للمدينة اذا ما حمله الطرواديون الى داخلها . وصدق الطرواديون هذه الحكاية فقد لعب سينون دوره فيها بمهارة وذكاء .

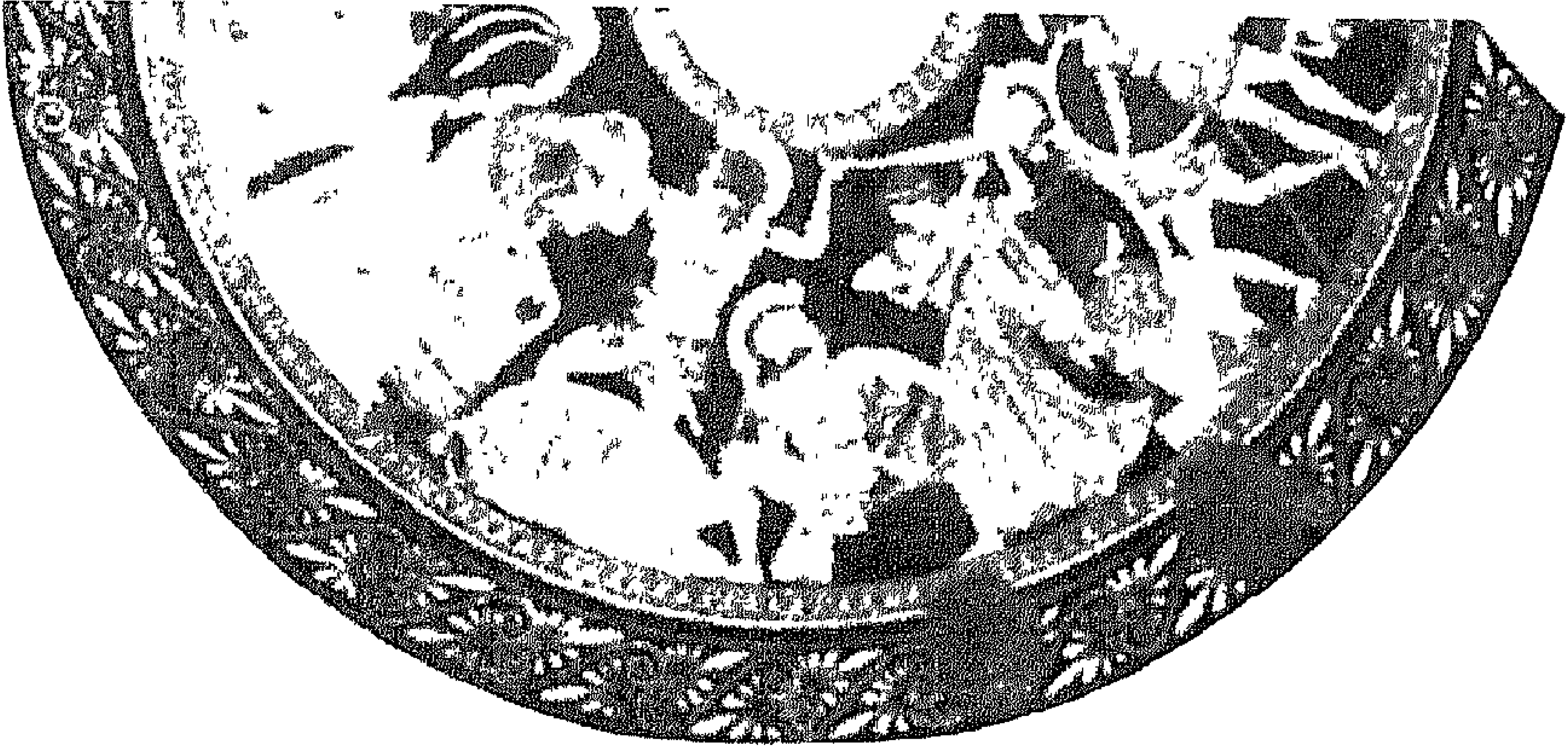
ومما زاد من اقتناع الطرواديين بصدق سينون حدوث المعجزة الكبرى التي أرسلتها اثينا فقد ظهر في البحر ثعبانان رهيبان اندفعا بسرعة يسبحان الى الشاطىء ويتلويان بجسميهما الفظيعين حلقات لا حصر لها فوق امواج البحر وترتفع فوق أمواجه أعرافهما المتوهجة بلون الدم وتطلق عيونهما الشرر ، وواصلا زحفهما الى الشاطىء حيث كان لاوكوون منصرفاً الى تقديم قربان للاله بوسيدون فتدافع الطرواديون الى مختلف الاتجاهات وقد عراهم ذعر شديد بينما زحف الافعوانان نحو ولدي لاوكوون وطوقاهما . وهرع لاوكوون لاغاثة ولديه لكن الزاحفين التفا أيضاً حوله وأخذا ينهشان بأسنانهما الافعوانية الحادة جسده وجسدي ولديه . وحاول الكاهن البائس ان يخلص ولديه من الشدقين الرهيبين وكان ذلك محالاً فقد سرى السم في الاجسام الثلاثة وسرت الرعدة فيها فأطلق لاوكوون صرخة ثاقبة وهو يستشعر دنو الموت . وهكذا هلك الكاهن الطروادي بعد أن شهد موت ولديه البريئين . لقد أراد أن ينقذ وطنه رغم ارادة الآلهة ! ولما فرغ الثعبانان من عملهما الرهيب زحفا ليختفيا تحت ترس تمثال لاثينا ـ بالادا .

زاد مصرع لاوكوون من قناعة الطرواديين بنقل الحصان الخشبي الى المدينة فهدموا جزءاً من سورها اذ لم يكن بالمقدور ادخال الحصان الهائل الحجم من البوابة . وتوقف الحصان أربع مرات وهو يرتطم بالجدار عندما كانوا يدخلونه عبر الثغرة فكانت الأسلحة تصلصل بداخله بصوت عال لكن الطرواديين لم يسمعوها . وأخيراً أدخل الحصان الى الاكروبوليس . وسيطر الرعب على العرافة كاساندرا وهي تراه في مكانه وأنذرت قوتها بدمار المدينة لكن الطرواديين قابلوها

بالهزء والسخرية ـ فقد كانوا لا يصدقون ما تقوله .

جلس الأبطال داخل الحصان في صمت مطبق ينصتون الى كل نأمة تصل اليهم من الخارج بل واستمعوا الى هيلين الجميلة الضفائر وهي تناديهم بأسمائهم وتحاكي أصوات زوجاتهم . وبذل اوديسيوس عناء كبيراً حتى أجبر رفاقه على لزوم الصمت وضغط بيده على فمه ليمنع نفسه من الاجابة . وسمع الابطال أصوات الطرواديين الفرحة وصخب مآدبهم العاهرة التي كانت تدار في طروادة بأسرها احتفالاً بفك الحصار . وأخيراً نزل الليل وساد الصمت وغرقت المدينة في نوم عميق وارتفع صوت سينون بالقرب من الحصان الخشبي فقد جاء ليخبر الأبطال بامكانية الخروج .

كان سينون قد فرغ من إضرام نار عظيمة عند بوابة طروادة اشارة الى الاغريق المتخفين خلف تينيدوس ليسارعوا الى طروادة وبدأ الأبطال يتسللون من جوف الحصان بحرص وحذر خشية ان يثيروا جلبة بأسلحتهم الثقيلة ، وكان في مقدمتهم اوديسيوس وايبيوس . وتوّزع الابطال في شوارع المدينة الغارقة في النوم وسارع بقية المقاتلين اليونان لينضموا اليهم فاندفعوا عبر الثغرة الى طروادة ودارت معركة ضارية دافع الطرواديون خلالها بكل ما وصلت اليه أيديهم فكانوا يرمون أعداءهم بجذوع الأخشاب وبالمقاعد ، بأدوات المنازل ويقاتلون بالسفافيد التي شكوا بها لحوم الشواء . ولم يرحم اليونانيون أحداً من أبناء المدينة فكان النساء والأطفال يفرون في شوارع المدينة صارخين مولولين . وأخيراً وصل اليونان الى مقر بريام المحصّن بالأسوار والابراج فدافع الطرواد بشجاعة منقطعة النظير وهدموا برجاً بكامله على رؤوس أعدائهم فزاد ذلك من اضطرام الوحشية في قلوب اليونان ففتح نيوبتوليم ابن أخيل بالفأس منفذاً في القصر وكان اول من ولجه وتبعه الأبطال والمقاتلون الآخرون فضج قصر الملك بعويل النساء وصراخ الأطفال . وعند مذابح الآلهة تحشدت بنات بريام وزوجات أبنائه ينشدن الحماية في تلك الأماكن . وارتدى بريام عدة حربه بغية ان يحمي النساء أو يسقط دونهن في ساح القتال لكن زوجته العجوز هيكابا توسلت اليه أن يبحث عن ملجأ عند المذبح فكيف له ، وهو العجوز الفاني ان يجابه ضراوة اولئك المتعطشين الى الدماء .



دمار طروادة . من اليسار إلى اليمين : نيوبتوليم يقتل بريام الذي تظهر على ركبتيه جثة حفيده استياناس ابن هيكتور ، وتظهر اندروماك وراء نيوبتوليم وهي تدافع عن نفسها ضد مقاتل يوناني كما يظهر وراءها ولدا تيسيوس وقد تعرفا على جدتها التي كانت سبية عند بريام (رسم على مزهرية)

وفجأة اقتحم القصر نيوبتوليم وكان يطارد بوليت ابن بريام الذي أصيب بجرح قاتل . وبضربة من رمحه طرح نيوبتوليم الفتى عند قدمي والده بريام فرد الشيخ على نيوبتوليم بضربة من رمحه لكن الرمح ارتد عن الدروع كقصبة ضعيفة فاهتاج نيوبتوليم وامسك بالشيخ من شعره الأشيب وطعن صدره بسيفه الماضي فخر الشيخ صريعاً في المدينة التي حكمها السنوات الطوال ولم ينج أي من أبنائه من القتل ، بل وقتل أيضاً حفيده استياناس ، ابن هيكتور فقد انتزعوه من حجر أمه التاعسة وألقوا به من فوق الأسوار الشاهقة . كما قتل مينيلاوس في القصر دييفوب الذي كان نائماً والذي آلت اليه هيلين بعد وفاة باريس . وكاد مينيلاوس ان يقتل هيلين أيضاً في سورة غضبه لكن أغاممنون منعه من ذلك بينما أثارت الالهة أفروديتا حب المرأة في قلبه من جديد فاعادها الى سفينته محاطة بالاجلال والاحترام .

أما العرافة كاساندرا ، ابنة بريام فبحثت عن ملاذ لها في مذبح أثينا بالادا ، وهناك وجدها اياكس ، ابن اويليوس . وانطرحت كاساندرا عند قدمي تمثال الالهة واحتضنت ركبتيه بذراعيها فجذبها اياكس بعنف شديد وانتزعها بفظاظة وقسوة حتى سقط التمثال المقدس على أرض المعبد وتحطم ، فسخط اليونانيون على أياكس ونقمت عليه الالهة المجيدة واقتصت منه بعد ذلك أشنع اقتصاص .

لم ينج أحد من بين أبطال طروادة سوى اينياس الذي حمل على ساعديه أباه الشيخ أنخيس وابنه الصغير اسكانيوس وخرج بهما من طروادة ، كما رأف اليونانيون بالبطل الطروادي انتينور لأنه كان دوماً ينصح قومه بأن يردوا هيلين الى اليونانيين وان يردوا معها النفائس التي كان باريس قد سلبها مينيلاوس .

وظلت طروادة تشتعل بالنيران فترة طويلة بعد ذلك ، فكانت السنة اللهيب تتصاعد عالية الى السماء . وبكى الآلهة مصرع المدينة المجيدة ، وكان الحريق يرى من مسافات بعيدة ، ومن خلال أعمدة الدخان والألق الهائل عرفت الشعوب المجاورة بسقوط المدينة المجيدة التي بقيت فترة طويلة أعظم مدينة في آسيا .

عودة اليونانيين إلى الوطن

في الأصل عن مسرحيتي «اندوماك» وهيكابا
ليوريبيد

غنم اليونانيون أسلاباً وفيرة من طروادة فقد أجزتهم المدينة اوفر جزاء على ما كابدوه من ويلات وآلام خلال سنوات الحصار العشر . فحملوا الى سفنهم كثيراً من الذهب والفضة والآنية وعدداً لا يحصى من السبايا الفاتنات .

ولما بلغت السفن اليونانية الساحل المقابل لهيلّيسبونت برز أمامها طيف أخيل يطالب بأن يضحى له ببوليكسينا ، ابنة بريام الفاتنة التي كانت سميت زوجة له فيما مضى . ولم يرغب اغاممنون في التنازل عن الفتاة الجميلة فقد تضرعت اليه كاساندرا ان يرأف بأختها ويشملها برعايته لكن اوديسيوس أصر على تقديم الأضحية مذكراً بالخدمات الهائلة التي قدمها أخيل لليونان خلال الحصار الطروادي . بل وكانت بوليكسينا مستعدة لأن تسلم نفسها طواعية لسكين القرابين لان في ذلك خلاصها من ربقة الأسر وعبودية الغربة ، واتجهت الفتاة بكل هدوء وكبرياء الى المذبح حيث كان نيوبتوليم ينتظرها والمدية في يده ، ولم تسمح الفتاة بأن يمسّها ذلك الشاب الذي كان عليه ان يمضي بها الى الموت فقد أبى عليها كبرياؤها أن تمضي عبدة الى مملكة هاديس ، فتقدمت بنفسها الى المذبح وقدمت صدرها للسكين وصعّد نيوبتوليم زفرة ألم وهو يغمد السيف في صدرها فتفجر الدم القاني ليصبغ المذبح الذي اقيم على اسم أخيل .

وبعد أن قدمت بوليكسينا قربانا اتجه الاغريق في طريقهم البعيد الى الوطن ، وكان عليهم أن يذوقوا الكثير من المصاعب خلال ذلك الطريق فهلك الكثيرون منهم دون أن يلمسوا تراب الوطن .

كانت الالهة أثينا قد أثارت شقاقاً وخصومات بين اليونانيين وولدي أتريوس وكان ذلك منذ أيام دمار طروادة . فمينيلاوس يريد التعجيل بالعودة الى اليونان بينما يطالب أغاممنون بالتريث حتى يستميلوا قلب أثينا بالأضاحي ، ولم يكن اغاممنون يعلم بأن أي شيء عاجز عن استمالة قلب الالهة . واتصل جدل الشقيقين يوماً بكامله وفي اليوم التالي كان قسم من السفن اليونانية قد غادر الشواطىء الطروادية بعد أن استوفى نصيبه من الأسلاب والغنائم فغادر نسطور وديوميد ونيوبتوليم وايدومينيوس وفيلوكتيت ولحقت بهم بعد ذلك سفائن مينيلاوس فلحق بنسطور وديوميد فوق جزيرة ليسبوس . كما اقلعت سفن اوديسيوس أيضاً الّا ان الداهية اختلف مع رفاق الطريق فوق جزيرة تينيدوس فقفل عائداً الى اغاممنون في طروادة .

ومن جزيرة ليسبوس أبحر الأبطال الى جزيرة ايڤبيوس حيث قدموا قرباناً للاله بوسيدون عند الرأس الذي يحمل اسم الاله هيفست ثم مضوا يمخرون العباب إلى بلادهم . ووصل ديوميد الى ارغوس بعد أربعة أيام كما وصل نسطور إلى بيلوس وكتب العود الحميد لكل من ايدومينيوس وفيلوكتيت ونيوبتوليم.

أما مينيلاوس فقدر عليه أن يكابد ضروباً من المحن والمصاعب فبالقرب من رأس سونيوس في الطريق الشرقي من أتيكا أطلق الاله أبولون سهمه على فرونتيس ، ربّان مينيلاوس فنزل الملك الى الشاطىء ولم يعد الى البحر الا بعد أن اقام احتفالات فاخرة لدفن ربّانه ، فلما التفّت سفنه حول رأس ماليوس الخطير الى الطرف الجنوبي الغربي من لاكونيا سلط زيوس عاصفة شديدة فانطلقت في البحر أمواج كالجبال المشمخرة وقذفت العاصفة ببعض السفن الى كريت حيث تحطمت على الصخور ولم ينج ركابها الا بمشقة كبيرة . أما السفن المتبقية التي كان مينيلاوس فوقها فقد ضربت في البحر طويلاً حتى وصلت شطآن مصر . وظل مينيلاوس يطوّف بينَ الشعوب الغريبة مدة أربع سنوات طوال ، فنزل عند الصيداويين والاثيوبيين وعند غيرهم من الشعوب ، ونزل في قبرص وفينيقيا وفي ليبيا البعيدة ذات القطعان الوفيرة التي لا حصر لأعدادها ، وقد تلقى مينيلاوس الكثير من الهدايا النفيسة وجمع ثروات طائلة . وفي مصر قدمت بوليدامنـا ، زوجة فوون

لهيلين الفاتنة دواء سحرياً أعد من عصارة نبات غريب يمكن لمن يتناوله مع النبيذ أن يسلو همومه مهما اشتدت . وأخيراً ، وفي طريق العودة من مصر نزل مينيلاوس على جزيرة فاروس . وهناك راح ينتظر الريح المواتية عشرين يوماً . وكانت الجزيرة خالية من السكان وفيها أشرفت المؤن على النفاذ وأحدق خطر الموت جوعاً بالجميع فهرعت الالهة ايدوفيا ، ابنة الاله البحري بروتيوس لانقاذهم فتجلت لمينيلاوس وعلمته كيف يسيطر على بروتيوس وكيف يرغمه على كشف ارادة الآلهة . وما كادت الهة الفجر ان تظهر في سماء الصباح التالي حتى خرج مينيلاوس بثلاثة من أصحابه الأشداء الى شاطىء البحر حيث تنتظرهم ايدوفيا ومعها أربعة جلود لعجول البحر فألبستهم الجلود ودهنت أنوفهم بالأمفروزيا ليتحملوا روائح الجلود الكريهة . ورقد مينيلاوس ورفاقه على الشاطىء دون حراك . وأخيراً خرج بروتيوس من البحر بقطيعه من العجول فأحصى عددها ثم استلقى مطمئناً على الرمل ونام . فصرخ مينيلاوس ورفاقة صرخة واحدة وانقضوا عليه وبدأوا معه صراعاً عنيفاً تحول الاله خلاله الى أسد والى ثعبان والى فهد وخنزير بري والى ماء والى شجرة لكن مينيلاوس ورفاقه ظلوا ممسكين به بشدة حتى تطامن ذلك الشيخ واتخذ هيئته الاولى وسأل مينيلاوس عم يريد أن يعرفه فسأله مينيلاوس عن الاله الذي سخط عليه وحبس عنه الريح المواتية . فأمر بروتيوس الملك مينيلاوس ان يعود الى مصر ويتقرب الى الآلهة هناك فتهبه عوداً سعيداً الى الوطن ، كما كشف الاله لمينيلاوس مصيره ومصير زوجته هيلين وكشف له ما ينتظر كل واحد من الأبطال في طريقه من طروادة . ونفذ مينيلاوس أمر بروتيوس فعاد الى مصر وقرب القرابين الى الآلهة فأرسلت له الرياح فعاد بسلام الى مدينته سبارطة حيث أمضى بعد ذلك حياة طويلة حافة بالسعادة ، وبعد وفاته حُمل وزوجته هيلين الفاتنة الى جزائر الراغدين حيث يعيشان حياة هانئة أبدية لا تشوبها الأكدار .

وقدر على أغاممنون أن يخوض ألواناً من المخاطر في طريقه الى الوطن ، فقد تيسر له ولأصدقائه أن يصلوا بسلام الى شطآن ايفبيوس ، وهناك ، وعند رأس هيريوس ارتفعت عاصفة شديدة أرسلتها أثينا التي نقمت على اليونان وخاصة على أياكس ابن اويليوس فتحطم عدد من السفن وضاع عن الشاطىء كما تحطمت

سفينة اياكس وكاد أن يذهب أيضاً طعاماً للأمواج لولا ان شملته رأفة الاله بوسيدون مزلزل الأرض ، فقد أمر الأمواج أن تلقي به فوق صخرة هيريوس وبذلك نجا أياكس لكنه لم يلبث أن أهلك نفسه بغطرسته فقد هتف بصلف جنوني بأنه حقق نجاته بنفسه ودون عون من الآلهة بل وعلى الرغم من ارادتها وسمع بوسيدون الكلمات المتجبرة للبطل فاغتاظ غيظاً شديداً ولوح بخطافه المثلث الشعب وضرب الصخرة التي كان اياكس يقف فوقها فانفلقت وانحط شطرها الأعظم بصوت رهيب الى أعماق البحر حاملاً اياكس معه ، فمات البطل غريقاً في لجة الماء الذي كان بوسيدون قد أخرجه منه لتوه . أما سفن اغاممنون فقد أفلتت بمشقة كبيرة من الرياح حتى وصلت الى شطآن الوطن ، لكن صاحبها لم يقدر له ان يرشف سعادة العودة في بلاده ميكينا الغنية بالذهب بل كان يتربص به الموت على يد زوجته الخائنة كليتيمنسترا .



٣) الاوديسية

اوديسيوس عند الحورية كاليبسو

«عن الاوديسية»

كابد اوديسيوس صروفاً من المصاعب والمحن في طريق عودته إلى ايتاكا فقد هلك رفاق الطريق وغالتهم أيادي الأقدار فطوّف البطل وحيداً يضرب في أرجاء الأرض وآماد البحر العريض الى أن ألفى نفسه أخيراً فوق جزيرة اوجيجيا-١- عند الحورية كاليبسو فأمضى لديها سبع سنوات طوالاً ودخلت السنة الثامنة والحزن ينهش قلبه وتشده الأشواق الى تراب الوطن والى الأسرة البعيدة ، فكان يضرع الى الحورية أن تطلق سراحه لكنها لا تقابل ضراعاته بغير الرفض الى ان رقت له قلوب آلهة الاوليمب فعقدوا اجتماعاً قرر زيوس خلاله أن يستجيب لرغبة ابنته المحبوبة أثينا ويعيد اوديسيوس إلى بلاده على الرغم من ارادة بوسيدون الذي سخط عليه وصار يمعن في مطاردته لأنه سمل عين ولده السيكلوب .

١ـ اعتقد اليونان أن اوجيجيا تقع في مكان ما الى الغرب في بقعة متوسطة من البحر .

في ايتاكا . الخطّاب يلهون ويبدّدون أموال

اوديسيوس في غيابه

قرر الآلهة اعادة اوديسيوس إلى بلاده فانحدرت اثينا من ذروة الاوليمب إلى الأرض وهبطت في ايتاكا متخذة هيئة مينتوس ، ملك التافيين ، واتجهت إلى منزل اوديسيوس حيث التقت بالخطاب المتغطرسين الذين تجمعوا يطلبون يد بينيلوب ، زوجة الغائب البعيد ، كان هؤلاء قد توزعوا أماكنهم في قاعة الطعام يلعبون النرد وينتظرون انتهاء العبيد والخدم من اعداد المائدة . وكان تيليماخ أول من رأى الآلهة في صورة مينتوس فسارع بادخال ضيفه إلى المنزل وأجلسه الى منضدة منفردة بعيدة عن طاولة الخطاب وما هو إلا قليل حتى بدأت الوليمة فأكل الضيوف غير المدعوين وشربوا حتى اكتفوا فدعوا المغني فيميوس ليمتعهم بأغانيه وموسيقاه العذبة بينما انحنى تيليماخ على أذن ضيفه يشكو له بصوت خفيف معاناياته بسبب هؤلاء الثقلاء المزعجين ، وكشف له عن أحزانه العميقة بسبب غياب أبيه : فلو أنه عاد لوضع حداً لهذا العبث والاستهتار والمآسي ، ثم سأل تيليماخ ضيفه عمن يكون فاسمت الآلهة نفسها باسم مينتوس وقالت بأنها كانت على معرفة جيدة باوديسيوس الذي يشبهه تيليماخ شبهاً كبيراً وتظاهرت بأنها جاهلة بما يجري في بيت أوديسيوس حتى سألت تيليماخ أليس ما يحتفلون به عرساً أو عيداً ولماذا يلهو الضيوف على هذه الصورة ، فانطلق لسان تيليماخ بالشكوى ، وحدثه عن إلحاح هؤلاء الرجال على بينيلوب في أن تختار لنفسها زوجاً من بينهم كما حدثه عن مسلكهم الفظ ولهوهم وتبديدهم لأموال أبيه ، فلما انتهى من كلامه نصحته أثينا أن يطلب العون من أبناء ايتاكا فيدعوهم إلى الاجتماع ويشكو اليهم مسلك الخطاب كما نصحته بأن يسافر الى بيلوس فيقابل الشيخ نسطور ثم إلى سبارطة فيجتمع بالملك مينيلاوس ويتعرف منهما على مصير أبيه . وبعد تقديم هذه النصائح حيت الآلهة تيليماخ

واتخذت هيئه طائر وغابت عن أنظاره فأدرك الفتى أن محدثه لم يكن إلا الهاً .

آنذاك هبطت بينيلوب من علّيتها الى قاعة المآدب فسمعت المغني وهو يغني عودة الأبطال من طروادة فأمرته بأن يكف عن ترديد أغانيه الحزينة هذه ويغني واحدة أخرى . لكن تيليماخ قاطعها بقوله ان الملوم في اختيار الأغنية ليس المغني ، بل الاله زيوس الذي ألهمه انشاد هذه الكلمات دون سواها . وطلب تيليماخ من أمه أن تعود إلى مخدعها وأن تشغل نفسها هناك بما يليق بالمرأة ، ربة البيت ، من أعمال كالغزل ، والنسج والاشراف على أعمال الجواري وادارة شؤون المنزل ، وطلب منها ألا تتدخل فيما لا يعنيها من أمور فهو الآمر الناهي في بيت أبيه ولا أحد غيره . فأصغت بينيلوب إلى ابنها وامتثلت لأمره وعادت إلى مخدعها وبينما كانت تغلق الباب وراءها تذكرت زوجها البعيد فانهمرت دموعها وظلت تبكي حتى أغرقتها أثينا في سبات عميق .

وعندما غابت بينيلوب راح الخطاب يتجادلون حول من يظفر بها زوجة في النهاية فقطع تيليماخ حديثهم وقال انه سيطلب عون الاجتماع الشعبي ليوقفهم عن غيهم وذكّرهم بغضب الآلهة وقصاصهم ، لكن ذلك لم يؤثر عليه الا قليلاً فاستمروا يصرخون ويشربون ويعربدون حتى ساعة متأخرة بعد منتصف الليل .

انصرف تيليماخ إلى مخدعه ترافقه العجوز يوركليا خادم اوديسيوس والتي ربت تيليماخ صغيراً . واستلقى الفتى على سريره وأمضى الليل ساهداً لا يغمض له جفن ، كان تفكيره متجهاً إلى الرحلة التي نصحته أثينا أن يقوم بها . وعندما أشرق صباح اليوم التالي أمر الشاب الرسل الجهوري الأصوات بدعوة الايتاكيين فتسارع الناس إلى الاجتماع الشعبي وأقبل تيليماخ والرمح في يده يتبعه كلبان سريعان ، وكان يتألق بجماله وفتوته حتى افتتن به الحاضرون وافسح شيوخ ايتاكا الطريق أمامه حتى تصدر الاجتماع وجلس في مقر والده ، وهناك اتجه الى قومه يطلب وقوفهم الى جانبه للتخلص من شرور هؤلاء الخطاب الذين ينتهبون منزله واستحلفهم باسم زيوس والهة العدالة أن ينصروه .

وبعد أن أنهى تيليماخ كلامه جلس في مكانه وانخرط في البكاء فتساقطت العبرات من عينيه فخيم صمت مهيب على الحاضرين سرعان ما قطعه انطينوس ،



تيليماخ وبينيلوب

(رسم على مزهرية)

وهو واحد من الخطاب المتعجرفين ، فقد نهض من مكانه ليرد على تيليماخ وينحي باللائمة على بينيلوب التي لجأت إلى أسلوب المكر لتتهرب من وعدها ، فقد أعلنت أنها ستختار زوجها عندما تفرغ من نسج بساطها النفيس فهي تنصرف الى حياكة النسيج في النهار حتى إذا حل الليل نقضت جميع ما انتهت منه في النهار . وهدد أنطينوس بأن الخطاب لن ينصرفوا ما لم تختر بينيلوب لنفسها زوجاً من بينهم ، وطالب تيليماخ بأن يردّ أمه الى بيت أبيها فيضطرها بذلك الى قبول أحد الخطاب . ورفض تيليماخ أن يطرد أمه من المنزل وأشهد الاله زيوس على ما يعانيه من مصاعب واهانات بسبب هؤلاء الثقلاء المتعجرفين . واستمع الاله الأعظم الى شكواه فأرسل اليه آيته ـ إذ حلق في الجو صقران عظيمان وحوّما فوق الجمع المضطرب ثم اشتبكا في عراك شديد وراح كل منهما يمزق صدر الآخر وعنقه ثم انطلقا حتى اختفيا عن أبصار المجتمعين المبهورة . ونهض هاليفيرس ، العرّاف

بالطيور لينبىء المجتمعين بأن هذه الآية نذير بعودة وشيكة لاوديسيوس ، والويل آنذاك للخطاب ، فادويسيوس سيعود مجهولاً من الجميع وانه سينتقم بقسوة وشدة ممن يدنس حرمة منزله . فرد يوروماخ ، وهو أحد الخطاب ، على العرّاف بالسخرية وهدّده بأن الخطاب سيقتلون اوديسيوس نفسه وانهم لا يهابون أحداً ، .. لا تيليماخ ولا نذر الطير التي يخوف بها العرّافون .

جهد تيليماخ في أن يقنع الخطاب بالكف عن عبثهم وطلب من المجتمعين أن يعطوه سفينة سريعة ليبحر فوقها الى نسطور في بيلوس حيث يأمل أن يتعرف على بعض أخبار والده . ولم يؤيده أحد سوى مينتور العاقل ، صديق اوديسيوس ، الذي اتجه بعبارات اللوم الى المجتمعين لانهم يسمحون للخطاب بتوجيه الاهانات إلى تيليماخ . فلاذ المواطنون بالصمت بينما نهض ليوكريت ليسخر من تيليماخ ويهدد اوديسيوس بالهلاك إذا ما حاول اثر عودته أن يخرج الخطاب من بيته . وبلغت وقاحته في الكلام حداً جعل الاجتماع ينفض من تلقاء ذاته .

ذهب تيليماخ إلى شاطىء البحر أسير حزن عميق وهناك تضرع الى اثينا ـ بالادا بصلاته وابتهالاته فظهرت له في هيئة مينتور وطلبت منه أن يدع الخطاب وشأنهم لأنهم بعماهم هذا يهيئون أنفسهم لحتفهم الذي يدنو يوماً بعد يوم ؛ ووعدته بأن تعد له سفينة وأن ترافقه في الطريق الى بيلوس وأمرته أن يعود إلى منزله ويهيء ما يلزم للرحلة البعيدة .

أطاع تيليماخ الالهة وعاد الى منزله ليلتقي من جديد بضيوفه غير المدعوين وقد استعدوا لاحتفالاتهم اللاهية . وسخر أنطينوس منه لما رآه فأمسكه بيده ودعاه الى الاشتراك في المأدبة ؛ لكن تيليماخ انتزع يده بحنق ومضى وهو يهدد بانتقام الآلهة ثم دعا الخادمة الأمينة يوريكليا واتجه معها إلى خزائن أبيه العامرة ليتزود منها بما هو ضروري لرحلته وأفضى للخادم العجوز دون سواها بسرّ رحلته وأوصاها بأمه خيراً ، فأخذت الخادم تضرع اليه الا يغادر ايتاكا لانها خافت عليه الموت ، غير أنه بقي مصراً على قراره .

كانت أثينا في ذلك الوقت قد اتخذت هيئة تيليماخ وطافت أنجاء المدينة فجمعت عشرين من المجذفين الفتيان كما ذهبت إلى نيومون فطابت منه سفينة

فقدمها لها ببشاشة وسرور وهكذا غدا كل شيء معداً للرحيل فدخلت أثينا قاعة الخطاب دون أن يلحظها أحد وألقت على الجميع نوماً ثقيلاً ثم عادت فاتخذت هيئة مينتور وأخرجت تيليماخ من القصر وسارت به الى الشاطىء بينما كان المعاونون ينقلون المؤن الكثيرة التي أعدتها يوريكليا فوضعوها في العنابر وما هو إلا القليل حتى صعد تيليماخ وصديقه مينتور الزائف الى السفينة وأرسلت أثينا ريحاً مواتية فانطلقت السفينة بركابها سريعة في أرجاء البحر العريض .

تيليماخ عند نسطور ومينيلاوس

عن «الاوديسية»

كانت الريح مواتية وسريعة . فما أن بدأ هيليوس في صبيحة اليوم التالي يرقى قبة السماء فوق خيوله الثلجية البياض حتى كانت سفينة تيليماخ قد وصلت الى بيلوس-١- ولقي الفتى أهل المدينة وقد احتشدوا لتقديم القرابين الى الاله بوسيدون ، فقد ذبحوا عدداً كبيراً من الثيران وأعدوا مأدبة حافلة ، وتحلقت جموعهم حول مناضد هائلة فحول كل واحدة خمسمئة من الآدبين . وكان الخدم قد بدأوا بتقديم الطعام عندما لمح نسطور الوافدين الأغراب تتقدمهم أثينا بالادا في هيئة مينتور فنهض العجوز واحتفى بمقدم الضيوف وهرع ابنه بيسيسترات فدعاهم إلى الوليمة وقدم الى اثينا كوباً مترعة بالنبيذ وطلب منها أن تقدم سكيبة على اسم بوسيدون الذي يقام الحفل على اسمه . وسرّت الالهة لأن بيسيسترات اختصها بتقديم الكأس الأولى .

١ـ مدينة في جنوب البليو بونيز في ميسينا .

ولما انتهت المأدبة سأل نسطور ضيوفه من أين جاؤوا فأجابه تيليماخ بأنه ابن اوديسيوس وأنه جاء إلى بيلوس يتنسم أخبار والده . وسرّ نسطور لما عرف بهوية ضيفه وأنه ابن الرجل الذي يخصه بالاجلال والتقدير بفضل ما امتاز به من رجاحة العقل . وعجب الشيخ لوجوه الشبه بين الابن وأبيه والتي لم تقتصر على ملامح الوجه بل وعلى رجاحة العقل . وروى الشيخ لضيفه ما قدر على الأبطال أن يذوقوه من مصاعب ومشاق في طريق العودة ، غير أنه لم يستطع أن يخبره بشيء عن اوديسيوس ، كما وأشفق عليه من تلك المحن الكثيرة التي سيكون عليه ان يتحملها من قبل الخطاب المتغطرسين الذين ينتهبون بيته ؛ ونصحه بأن يسارع بالعودة إلى منزله وأن يعرج قبل ذلك على الملك مينيلاوس ويزوره لأنه كان آخر العائدين الى الوطن فلعله على شيء من العلم بمصير اوديسيوس . وكان نسطور على ثقة من ان الآلهة سيقدمون العون لابن اوديسيوس فيتعرف على مقام أبيه .

نزل الليل وتأهب تيليماخ للعودة إلى سفينته ليبيت فوقها ، لكن نسطور لم يسمح له بذلك فقد كان يرغب في أن يستضيف ابن اوديسيوس في قصره ، أما مينتور فنصح تيليماخ بالبقاء في القصر بينما استعد هو للعودة الى السفينة زاعماً بأن عليه أن يبحر الى الكاوكونيين ليستوفي ديناً مستحقاً له هناك ، ولهذا اتخذ هيئة صقر بحري واختفى عن أنظار البيلوسيين المندهشة . آنذاك أدرك الجميع أن الآلهة أثينا نفسها تقدم مساعدتها لتيليماخ .

وفي صبيحة اليوم التالي تقرب نسطور من الآلهة العظيمة بعجلة مذهبة القرنين فلما انتهت مراسم القربان والمأدبة شد ابناء نسطور الجياد الى المركبة ووثب اليها تيليماخ وبيسيسترات وانطلقا معاً في الطريق الى مينيلاوس .

مضت الجياد مسرعة تنهب الأرض ، وفي المساء أدرك المسافران فيرا[1] حيث كان يعيش البطل ديوكل . وهناك رحب البطل بالشابين واستضافهما واكرمهما في بيته حتى إذا تألق الشفق بحمرة الفجر انطلقا معاً في طريقهما فحلا بسبارطة عند المساء .

١ـ مدينة على شاطىء مسيبيا .

عندما وصل الشابان إلى سبارطة كانت المدينة تقيم احتفالاً كبيراً . فمينيلاوس يجهز ابنته ليرسلها عروساً الى نيوبتوليم ، ابن أخيل والذي كان قد وعده بها زوجة وهما في طروادة . وبالاضافة الى ذلك كان مينيلاوس يحتفل بعرس ابنه ميغابينت فكان الضيوف يسرحون ويمرحون والمغنون يدخلون البهجة على قلوبهم بالعزف على القيثارات بينما كان اثنان من الفتيان يرقصان على الانغام الشجية . ووصل الشابان القصر والاحتفالات في ذروتها فرآهما واحد من الخدم فسارع الى سيده يستأذنه أيستقبل القادمين . فأمره مينيلاوس بأن يسارع فيحل الجياد عن المركبة ويدعو الغريبين الى القصر . ألم يسبق له أن عانى نفسه من ألوان المحن خلال تجواله الطويل وأكل الطعام على موائد الآخرين . ولهذا فانه لن يمنع أحداً حق الضيافة . وسارع الخدم الى تنفيذ ما أمر به الملك فربطوا الخيول وساروا بالضيفين الى القصر حيث اغتسلا في الحمامات البديعة وارتديا فاخر الملابس وانضما الى الآدبين بعد ذلك وقد بهرهما منظر الثراء والفخامة التي وقعت عليها أنظارهما عند كل خطوة كما أن الملك أحسن وفادة القادمين وأجلسهما الى جانبه .

كانت مأدبة مينيلاوس عامرة فاخرة وقد دهش تيليماخ لفخامة القصر والمأدبة وانحنى على صديقه يهمس له بأنه لم ير في حياته مثل هذه الأبهة وانه يظن ان شيئاً لا يمكن ان ينافس هذا سوى قصور زيوس . وسمع مينيلاوس كلمات ضيفه فابتسم وقال له بانه لا يمكن للفانين أن يضاهوا الآلهة الخالدين فإذا كانت ثروات قصره عظيمة فالأعظم منها تلك المخاطر التي خاضها حتى توصل الى هذه الثروات . ولكن مهما بلغ من هذه المخاطر فانها لا تعد شيئاً اذا ما قورنت بما قدر على اوديسيوس ان يراه . وسمع تيليماخ اسم أبيه بينما كانت هيلين الفاتنة الشعر تدخل القاعة وتتبعها جواريها وقد حملن لها مغزلاً ذهبياً وسلة فضية مذهبة الحواشي مليئة بالغزل . ولما نظرت هيلين الى الغريبين أدهشها شبه أحدهما بأوديسيوس فأفضت بذلك إلى زوجها وبلغت كلماتها مسامع بيسيسترات فقال لها بأن من أمامها هو تيليماخ ابن اوديسيوس ، ففرح مينيلاوس فرحاً شديداً لرؤية ولد صديقه المحبوب الذي طالما خاض الشدائد في سبيله ، وأخذ يستعيد ذكريات المآثر الكبرى التي قام بها اوديسيوس والمحن الكثيرة التي كابدها اليونانيون عند أسوار

طروادة . وتحدثت هيلين ايضاً عن أمجاد أوديسيوس فكان ذلك باعثاً جديداً لدموع تيليماخ . وبكى بيسيسترات أيضاً ، وهو يذكر أخاه انيليوخ الذي سقط قتيلاً عند طروادة ، كما استيقظت في قلب مينيلاوس أحزانه العميقة على من قتلوا في الحرب ، فأخذت هيلين دورق النبيذ وسكبت فيه العقار المستحضر من النبات السحري والذي تلقته هدية من باليدامنا ، ملكة مصر ليذهب بالخواطر الكئيبة عن قلوب المحزونين ، لكن الوقت كان قد تأخر ، وما هو إلا قليل حتى انسحب مينيلاوس وضيوفه وتفرقوا في مضاجعهم وأرجأوا إتمام الحديث الى اليوم التالي .

وعند الفجر المبكر خرج مينيلاوس من مقصورته ودخل غرفة تيليماخ ليسأله سبب مقدمه الى سبارطة فأخبره بأنه جاء يستقصي عن مصير أبيه فحدثه مينيلاوس بمغامراته وبما تكهن له اله البحر بروثيوس عن مصائر العائدين من طروادة . فاوديسيوس وفقاً للكهانة لا يزال يعيش أسيراً في جزيرة كاليبسو . وكان ذلك أقصى ما استطاع أن يفيد به مينيلاوس ، وقد حاول بعد ذلك اقناع تيليماخ بالبقاء في ضيافته لمدة اثني عشر يوماً ، لكن الفتى رجاه الاّ يؤخره عن الاسراع في العودة الى بيته ، واتصل الحديث بينهما طويلاً .

وفيما كانا يتجاذبان أطراف الحديث كان الضيوف يتقاطرون من جديد الى القصر الملكي حيث ستتوالى الأفراح من جديد .

الخطاب يتربّصون الموت بتيليماخ عند

عودته إلى إيتاكا

«عن الاوديسية»

بينما كان تيليماخ غائباً جاء نيومون الى الخطاب وأخبرهم بعفوية ان الفتى قد غادر ايتاكا ، فارتعدت فرائصهم خوفاً اذ ظنوا انه خرج يطلب المساعدة من البطلين نسطور ومينيلاوس ، فنصحهم انطينوس ان يجهزوا سفينة ويخرجوا بها الى عرض البحر ويترصدوا عودة تيليماخ فيباغتوه ويغتالوه . ووافق الخطاب على الخطة الشريرة فجمعوا المجذفين وخرجوا الى شاطىء البحر وجهزوا السفينة وأبحروا باتجاه جزيرة أستيريدا لينصبوا كمينهم هناك .

علمت بينيلوب بالخطة فامتلأت خوفاً على ولدها ، ولم تكن ايضاً تعلم بخروجه ، وهمت بارسال خادم الى الشيخ لايرت ، اب اوديسيوس ليخبره بما يترصد حفيده من أخطار لكن الخادمة يوريكليا أمسكتها عن ذلك ونصحتها بأن تضرع الى اثينا طالبة عونها فأطاعت الملكة وقربت الى الالهة اثينا قرباناً وابتهلت اليها طويلاً ثم انصرفت الى مخدعها حيث غلبها النوم . واستجابت اثينا لضراعات المرأة الحزينة فأرسلت اليها في النوم طيف أختها ايفتيما فطمأنتها بأن ولدها يعود من غيبته سالماً ، فسألته بينيلوب عن مصير زوجها لكن الطيف لم يرد بشيء واختفى مثلما يختفي الضباب الخفيف ، واستيقظت بينيلوب وفهمت أن الالهة أرسلت لها ذلك الطيف .

اوديسيوس يغادر جزيرة الحورية كاليبسو

قرر الأرباب في اجتماعهم ان تقوم اثينا بمساعدة تيليماخ على العودة سالماً الى وطنه وان تحميه من أي أذى قد يلحقه به الخطاب . وكان على هرمز أن يطير الى جزيرة اوجيجيا ليأمر كاليبسو بالافراج عن اسيرها اوديسيوس .



زيوس يرسل هرمز الى الحورية كاليبسو (رسم على مزهرية)

لبس هرمز نعليه المجنحين وانطلق من قمة الاوليمب فطار فوق البحر كعقاب بحري ، ووصل الجزيرة في طرفة عين . كانت الجزيرة بديعة عامرة تنمو في وسطها أشجار السنديان والحور والصنوبر والأرز والسرو وتغطي مروجها الحشائش الغضنة ، وقد تناثرت بينها زهور البنفسج والليلك النضر . وكانت هناك أربعة ينابيع تروي الجزيرة وتتلوى بين أشجارها وتتدفق منها الجداول الصغيرة ، والحورية كاليبسو تعيش هناك في كهف بارد غطته عساليج الكرمة التي تتدلى منها العناقيد اليانعة . فلما دخل هرمز الكهف كانت كاليبسو جالسة تنسج على نول ذهبي رداءً عجيب النقوش ، أما اوديسيوس فكان يجلس لوحده بعيداً على صخرة بحذاء الشاطىء ويحدق في الأبعاد البحرية القاصية ويذرف الدموع وهو يتذكر ايتاكا حبيبته . كان البطل يمضي أياماً بكاملها على مثل هذه الحالة محزوناً قانطاً محسوراً .

لمحت كاليبسو هرمز قادماً فهبت لاستقباله وطلبت منه ان يجلس وقدمت له الامفروزيا والنكتار فأكل من طعام الآلهة حتى اكتفى ثم أبلغ الحورية الرسالة فحزنت حزناً شديداً إذ علمت بأن عليها أن تفارق البطل الذي أحبته ، وكان أقصى أمانيها أن تستبقيه الى جانبها الى الأبد ثم أن تهبه الخلود ، ولكن ما كان بوسعها أن تخالف إرادة زيوس .

ولما ودع هرمز كاليبسو اتجهت الحورية الى شاطىء البحر حيث يجلس اوديسيوس الحزين وقالت له :

ـ كفكف دموعك يا اوديسيوس ولا تغتم بعد الآن فانني سأرسلك الى بلادك . فاذهب واقطع ما يلزمك من الاشجار واصنع منها طوفاً قوياً يحملك الى وطنك وسأمنحك ريحاً مواتية ، فلتعد الى ديارك ما دامت هذه ارادة الآلهة .

فرد عليها اوديسيوس بقوله : ليس رحيلي ما تدبرينه ايتها الحورية بل هناك شيء آخر . كيف لي أن أقطع البحر الصاخب فوق طوف يمكن أن ينقلب في كل لحظة . ان السفينة المتينة تعجز عن عبوره . لا ايتها الحورية ، لن أوافق على ركوب الطوف إلا إذا أقسمت لي قسماً لا حنث فيه بأنك لا تدبرين هلاكي .

فهتفت كاليبسو : صدق من قال أنك الأوسع حكمة والأبعد نظراً بين جميع الفانين يا اوديسيوس . اقسم لك بمياه ستيكس[1] نفسه انني لا أسعى في هلاكك .

وعادت كاليبسو باوديسيوس الى الكهف فأقامت مأدبة وحاولت خلالها ان تقنعه بكل الوسائل ان يبقى الى جانبها ووعدته بأن تمنحه الخلود وقالت له انه لو امعن فكره في ما يتربص به من محن خلال طريق العودة لوافق على البقاء لديها . لكن رغبة البطل في العودة الى بلاده كانت أشد من أن تقاوم فقد عجزت كاليبسو بكل وعودها وهباتها أن تنسيه ايتاكا والاسرة البعيدة .

وفي اليوم التالي شرع اوديسيوس ببناء الطوف ، فلبث أربعة أيام يقطع الأشجار ويشذب الجذوع ويشدها إلى بعضها ويثبتها بالألواح حتى صار الطوف جاهزاً فشد اليه الصاري والشراع . وزودته الحورية بما يلزم من المؤن وودعته فنشر

١ـ كان القسم بمياه ستيكس ، النهر تحت الأرضي ، يعد قسم الآلهة الذي لا حنث فيه .

الشراع وانطلق الطوف في عرض البحر تدفعه الريح المواتية .

ظل اوديسيوس يضرب في البحر ثمانية عشر يوماً يهتدي خلالها بالثريا والدب الأكبر إلى أن لاحت الأرض أمامه وكانت أرض الفياكيين . آنذاك لمحه الاله بوسيدون وكان عائداً من بلاد الاثيوبيين ، فغضب وأمسك برمحه المثلث الشعب وضرب به البحر فارتفعت عاصفة هوجاء وغطت السحب وجه السماء وأطبق ظلام يشبه ظلام الليل وحركت الرياح الأمواج العالية وصارت تضربها من جميع الجهات وسرى الرعب في قلب اوديسيوس حتى انه غبط الأبطال الذين سقطوا عند أسوار طروادة على مصائرهم لأنهم ماتوا ميتة مجيدة . وانقضت على الطوف موجة عاتية مروعة ودفعت به نحو لجة البحر فغاب اوديسيوس في أعماق الماء ولم يخرج منه الا بصعوبة اذ عوّقته الملابس التي قدمتها اليه كاليبسو عند توديعه . ومع ذلك فانه استطاع أن يلحق بطوفه فتمسك به ووثب على سطحه بمشقة وجهد ، وأخذت الرياح تتلاعب بالطوف من كل جانب فمرة يصفعه بوريوس الكاسر ليتلقاه نوت او يقذف به ايفر الصاخب ليرميه الى زيفيرا[1] ، بينما أحدقت به الأمواج عالية كالجبال المشمخرة .

ورأت ربة البحر ليوكوثيا اوديسيوس على تلك الحالة فطارت اليه في هيئة نورس بحري وحطت على الطوف ثم اتخذت هيئتها الأولى وأمرت البطل بأن يخلع ملابسه ويقفز من الطوف الى الماء ويتجه الى الشاطىء سباحة ، وقدمت اليه خمارها المسحور لينقذه . ولما فرغت من كلامها عادت الى هيئتها النورسية وطارت . لكن اوديسيوس تردد في التخلي عن الطوف فسلط بوسيدون عليه موجة هائلة كالطود ضربت الطوف فبعثرت أخشابه كما تبعثر الريح حزمة من القش في مختلف الاتجاهات . وتعلق اوديسيوس بواحدة من الاخشاب واعتلاها ثم نضا عنه ملابسه والتف بخمار ليوكوثيا وألقى بنفسه في البحر نحو الجزيرة فرآه بوسيدون وصاح به .

١- بوريوس ، نوت ، ايفر وزيفير هي - على التوالي - الريح الشمالية الجنوبية ، الشرقية فالغربية .

ـ يكفيك ما لقيت اليوم ، فاسبح الآن واضرب في البحر الى ان ينقذك من ينقذك فسأذيقك ألواناً من العذاب في المستقبل .

وضرب بوسيدون جياده فانطلقت به نحو قصره تحت الماء بينما هرعت اثينا لنجدة اوديسيوس فأوقفت حركة الرياح وبدأت تهدىء من حركة البحر المضطرب .

وظل اوديسيوس يضرب في البحر يومين وليلتين حتى هدأ البحر في اليوم الثالث . ومن ذروة إحدى الأمواج العالية لمح الأرض قريبة منه ففرح فرحاً لا يوصف ، ولكنه عندما اقترب من الشاطىء سمع صوت مصب النهر في البحر بينما كانت الأمواج تزأر مضطربة مزبدة بين صخور الشاطىء والأحجار الخفية تحت المياه . فأحدق الهلاك المحتوم بالبطل لولا معونة أثينا فأمسك باحدى الصخور لكن موجة صفعته وانتزعته عن الصخرة وحملته الى البحر من جديد فأخذ يسبح على طول الشاطىء باحثاً عن مكان يخرج منه إلى البر . وأبصر بمصب النهر فتضرع إلى اله النهر كي يمد اليه يد العون . وسمعه الاله فأوقف مجراه قليلاً وساعد اوديسيوس على الوصول الى البر . فخرج البطل العظيم لكن مصارعة الأمواج كانت قد أوهنته فهوى على الأرض بلا حراك ، وعاد الى وعيه بعد لأي فنزع خمار ليوكوثيا ورماه في البحر دون أن ينظر إلى الوراء فسبح الخمار بسرعة وعاد الى يدي صاحبته . وإلى جانب الشاطىء وجد اوديسيوس شجرتي زيتون ملتحمتين ترتفع تحتهما اكوام العشب المتعانقة فحشر نفسه بين أوراقها كي يحمي نفسه من برودة الليل ، وأدركته الالهة اثينا فاسقطت على عينيه نوماً ثقيلاً .

اوديسيوس وناوسيكايا

عن «الاوديسية»

بينما كان اوديسيوس يرقد نائماً بين أوراق الاعشاب الجافة ذهبت أثينا إلى مدينة الثياكيين-١- فدخلت قصر الملك الكينوي واتخذت هيئة ابنة البحار ديمانت وظهرت للأميرة ناوسيكايا في نومها وأخذت تعنفها على قلة اعتنائها بمظهرها وبملابسها وذكرتها بيوم زواجها القريب وبأن عليها أن تعد الملابس النظيفة لنفسها ولأهلها ولأولئك الذين سيحملونها الى منزل العريس . واستحثت الآلهة ناوسيكايا على أن تعجل بالذهاب مع جواريها لغسيل الملابس في الينابيع العذبة التي تنفجر عند شاطىء البحر ثم غادرتها وصعدت الى الاوليمب المشرق .

استيقظت ناوسيكايا عند اشراقة الفجر وقد أثار قلقها المنام الذي رأته فهرعت الى والديها فلقيت امها اريتا جالسة بين جواريها الى جانب الموقد وهي تغزل غزلاً قرمزي اللون ، أما أبوها فلقيته عند الباب وكان في طريقه إلى مجلس شيوخ الثياكيين ؛ فدنت الفتاة منه ورجته أن :يهيء لها مركبة تجرها البغال كيما تذهب بها إلى النهر لغسيل الثياب .

وقالت الفتاة لابيها : ـ ها لقد تكدس لدينا الكثير من الملابس المتسخة وسأذهب لغسلها فحريّ بك أن تتألق بنظافة ملابسك في مجلس الشيوخ ، كما ان ابناءك الشبان يودون أن يظهروا في حلبات رقص الثياكيات بملابس نظيفة ، وعلي وحدي أن أعني بذلك كله .

قالت ناوسيكايا ذلك ، أما الزواج الذي كانت تتوق اليه من أعماق نفسها فلم تلمح اليه بشيء فقد منعها الحياء من ذلك . لكن الكينوي أدرك فكرة ابنته

١ـ الثياكيون ـ شعب خرافي كان اليونان يعتقدون ان جزيرتهم تقوم في مكان ما في أقاصي غرب البحر .



اوديسيوس وناوسيكايا . يظهر اوديسيوس في أقصى اليسار وتظهر أثينا أمامه بالقرب منها ناوسيكايا وقد ظهرت وصيفاتها ، وراءها .
(رسم على مزهرية)

الخفية فابتسم ابتسامة الرقة والعطف وأمر الخدم باعداد العربة ذات المحفة وأن تقرن اليها البغال ، فسارعت ناوسيكايا الى اعداد نفسها ، وأعطتها الملكة الطعام والنبيذ لتتمكنُ وجواريها من تناول طعام الغداء كما اعطتهن اناء ذهبياً مليئاً بالزيت المعطر ليدهن اجسامهن بعد الاغتسال .

وانطلقت الفتاة وجواريها الى شاطىء البحر بمرح وسرور . فوصلن الينابيع العذبة وغسلن الملابس ثم نشرنها على الشاطىء الرملي لتجف ، فلما فرغن من ذلك اغتسلن ودهن اجسامهن بالزيت المعطر ثم تناولن الطعام وأخذن بعد ذلك باللهو على شاطىء البحر ورحن يلعبن بالكرة وقد تعالى صوت ضحكهن . وفي ذلك الوقت اخترعت اثينا فكرة ايقاظ اوديسيوس فرمت ناوسيكايا بالكرة الى واحدة من صاحباتها لكن اثينا صدتها بيد قوية غير منظورة فسقطت في البحر . فأطلقت الفتيات صرخة حادة ايقظت اوديسيوس من رقاده ، واحتار البطل في أمره ماذا يفعل أيخرج الى اللاعبات ام يبقى في مخبئه ؟ وأخيراً غطى جسمه بالأغصان والأعشاب واتجه نحوهن . كان منظره مخيفاً وقد غطاه الزبد وأعشاب البحر ، وذعرت الفتيات من مرآه فتفرقن خائفات ولم تبق منهن سوى ناوسيكاياالتي نفثت فيها اثينا جرأة وقوة . فوقف اوديسيوس متردداً مرتبكاً أمام الفتاة الجميلة وأخذ

يتوسل اليها بكلماته فقال :

ـ ايتها الفاتنة ! أتوسل اليك باسطاً ذراعي ، فأنت تضارعين بجمالك الآلهة ارتيميدا . أربّة أنت ؟ أما اذا كنت من الفانيات فما أسعد أبويك اذ لهما مثل هذه الفتاة ! انك بجمالك ذكرتني بغصن نخلة تنمو بجوار مذبح ابولون في ديلوس . أشفقي علي أيتها العذراء ! فقد أمضيت عشرين يوماً أضرب أرجاء البحر الصاخب . أعطني مزقة من القماش أغطي بها جسدي العاري وليحقق الآلهة جميع رغائبك لقاء ذلك ! وأتوسل إليهم أن يهبوك الزواج السعيد .

فأجابته الفتاة بقولها : ـ ايها الغريب ، من كلامك أرى أنك لست واحداً من طغام البشر وأن الآلهه قد أغدقت عليك الحكمة ، ولكن زيوس يرسل السعادة والتعاسة الى المشاهير والمغمورين . فاصبر على ما كتبه عليك . أما هنا فانك لن تكون بحاجة إلى أي شيء ، سأريك الطريق الى المدينة فأنا ـ ابنة الكينوي ملك الثياكيين .

وجمعت ناوسيكايا وصيفاتها وأمرتهن أن يقدمن الملابس النظيفة والطعام لاوديسيوس . فاغتسل البطل في النهر ودهن جسمه بالزيت المعطر وارتدى الملابس وأغدقت أثينا عليه من الجمال ما جعله يبدو في عيون ناوسيكايا وصويحباتها الهاً هبط الى الارض . وتمنت كل واحدة لو حظيت بزوج يماثله في البهاء والفتنة . وقدمن له الطعام والنبيذ فأطفأ سعار جوعه الشديد .

ثم أعد موكب العودة الى المدينة فدعت ناوسيكايا اوديسيوس ان يتبعها وطلبت منه أن يتأخر عنها في دخول المدينة فينتظر عند البوابة في حديقة الكينوي بالقرب من غابة أثينا ويتركها تمضي وحيدة الى المدينة ، فقد خشيت الفتاة ان يتقول الثياكيون عليها عندما يرونها مع هذا الغريب الجميل ويظنوا انها اختارته زوجاً لها . وفضلاً عن ذلك نصحته ان ينطرح عند قدمي الملكة أريتا ويطلب عونها لأن شعب الثياكيين يحترمها كواحدة من الالهات بفضل ما اتصفت به من حكمة ورحمة . وبعد ان قالت ناوسيكايا ذلك ضربت البغال باتجاه المدينة وتبعتها الوصيفات واوديسيوس . وأبطأت الأميرة من سير المركبة ليتمكن اوديسيوس والوصيفات من اللحاق بها .

اوديسيوس عند الملك الكينوي

عن «الاوديسية»

عادت ناوسيكايا الى القصر فخرج اخوتها للقائها وحلوا البغال عن المركبة وحملوا محفة الملابس الى القصر بينما اتجهت الفتاة الى مخدعها حيث أحضرت لها مربيتها ايفريميدوزا عشاء فاخراً .

توقف اوديسيوس قليلاً عند بوابة المدينة ثم دخل . ولفته الألهة اثينا بغلالة داكنة حجبته عن الأنظار لكي لا يتعرض له أحد من الثاكيين بالاهانة ، ثم تجلت له بنفسها في صورة فتاه ثياكية توجه اوديسيوس اليها ان ترشده الطريق الى قصر الكينوي فوافقت الآلهة ان ترافقه بنفسها ونصحته الا يتوجه بأسئلته الى المارة لأن الثياكيين ـ في رأيها ـ لا يرحبون بالغرباء فتبع اوديسيوس الالهة صامتاً وقد بهره ثراء المدينة ومرساها الذي شد اليه رتل من السفن والميدان العريض وأسوار المدينة المنيعة . وأخيراً وصلا قصر الكينوي فالتفتت أثينا الى اوديسيوس ونصحته ان يفاتح الملكة أريتا بطلب الحماية والعون ثم انسحبت من أمامه واختفت عن الأنظار .

إذا كان ثراء المدينة قد أثار إعجاب اوديسيوس فان ما أثاره أكثر ثراء قصر الكينوي . فقد كان مصنوعاً من النحاس اللامع يفضي بابه الذي صب من قطعة من الذهب الى أبهاء القصر الذي صفحت سقوفه بالفضة وصيغت عتباته من النحاس . ووقف على البوابة كلبان مهولان أحدهما ذهبي والآخر نحاسي ـ صنعة الاله هيفست . ودخل اوديسيوس القصر حيث كانت الأرائك الطويلة الفاخرة ممتدة على طول الجدران وقد غطيت بالمفارش الثمينة ، تقوم على جوانبها تماثيل شبان يمسكون بمشاعل صبت من الذهب . كان القصر عجيباً وكان الأعجب

البستان الممتد الى جانبه وقد تألقت فيه جميع أنواع الثمار في الصيف والشتاء . فرياح زيفير الدافىء تدفى أجواءه وترتفع فيه أشجار الكرمة التي تقدم عناقيدها اليانعة خلال العام بطوله ، وتترقرق مياه الينبوع الصافي في البستان وينبثق ينبوع آخر عند مدخل القصر . ومكث اوديسيوس طويلاً يردد نظرات الاعجاب فيما يراه وأخيراً دخل قاعة المآدب حيث كان الكينوي وأريتا وأعيان الثياكيين يقدمون السكائب للاله هرمز من الخمرة المعطرة . واقترب اوديسيوس من اريتا ملفوفاً بسحابة وهوى عند قدميها . في تلك اللحظة كشفت اثينا السحابة فرأى الجميع البطل المجيد وعقدت السنتهم الدهشة . أما اوديسيوس فصاح يرجو من الملكة ان تقدم عونها للغريب المنكود . فلما أتم توسلاته تأخر وجلس قرب رماد المدفأة على نحو ما يفعل طالب الحماية . وأشار الشيخ الأكبر سناً بين الحاضرين على الكينوي الملك فأمسك بيد اوديسيوس وأجلسه إلى جانبه وجاءه الخدم بالطعام والشراب وأهرق الحاضرون السكائب على اسم الاله زيوس مرسل الصواعق وحامي الغرباء المستغيثين . أما الكينوي فدعا جميع الحاضرين اليه في اليوم التالي ليقيموا احتفالاً كبيراً على شرف الغريب اذ كان يحسبه واحداً من الآلهة الخالدين نزل عليه في هيئة رجل من الفانين . لكن اوديسيوس بدد شكه فحدثه بتلك الويلات التي قاساها خلال طريقه من جزيرة الحورية كاليبسو وحدثه ايضاً بما قدمته له الاميرة ناوسيكايا من عون بعد أن لقيته وحيداً على شاطىء البحر . وأنصت الكينوي الى حديث اوديسيوس بانتباه عميق ثم هتف معبراً عن اعجابه بحكمة ضيفه :

ـ يا آلهة الاوليمب الخالدين ! لو تهبوا ابنتي رجلاً يشابه هذا الغريب لمنحته ثروة كبيرة كبائنة ! أما أنت أيها الغريب فلن نمسك بك فوق جزيرتنا على الرغم من ارادتك . سننقلك الى بلادك . فالثياكيون لا يهابون اي طريق في البحر مهما ابتعد مداه .

ولكن كان الوقت قد تأخر وانتهت الوليمة . وأمرت الملكة أريتا بأن يعد سرير الضيف الغريب ، وما هي إلا فترة قصيرة حتى غرق القصر كله في سبات عميق .

وفي صباح اليوم التالي أمر الكينوي بان يجتمع الثياكيون في الميدان ليقرروا كيف ينقلون اوديسيوس الى بلاده . واتخذت أثينا هيئة أحد الرسل المنادين وراحت تدور في المدينة وتدعو المواطنين إلى الساحة . ورافق الكينوي ضيفه الى الميدان وأجلسه الى جانبه ، وما هو إلا القليل حتى انعقد الاجتماع العام ، ونظر الثياكيون بدهشة الى الغريب الذي منحته الآلهة مهابة وجمالاً عظيمين وتوجه الملك الكينوي الى قومه بقوله :

ـ أصغوا إلي أيها المواطنون ! لقد نزل بساحتنا ضيف غريب وهو يسألنا أن نساعده في العودة إلى بلاده . اننا لم نمنع مساعدتنا أحداً من الغرباء في يوم من الأيام . فلنعد سفينة ولنحمل ضيفنا عليها الى بلاده . وانني ادعو الذين يودون الابحار معه الى مأدبة عامرة ؛ وليدع المغني ديمودوك ليبهج الآدبين بغنائه الساحر .

كان ذلك ما قاله الكينوي ، وعلى الفور انبرى اثنان وخمسون من المجذفين الأقوياء ليعدوا السفينة للابحار . وخرج الشيوخ يتبعون الكينوي الى القصر . وأعد الخدم مأدبة حافلة فذبحوا ثورين واثنتي عشرة نعجة وثمانية خنازير . واستدعي المغني الأعمى ديمودوك فجلس الآدبون حول المائدة العامرة وبدأت الحفلة المرحة . ولما فرغ الجميع من تناول الطعام أخذ ديمودوك قيثارته المعلقة بمسمار فوق رأسه وضرب على أوتارها الحية وغنى اغنية مؤثرة تضمنت جدلاً دار بين اثنين من الأبطال الأماجيد وهما اوديسيوس وأخيل خلال حفلة عامرة . وسمع اوديسيوس الأغنية فثارت في نفسه الذكريات الدفينة ، وسالت الدموع من عينيه ، فطرح على رأسه رداءه القرمزي لكي لا يلحظ الثياكيون بكاءه . فلما ختم المغني الضرير أغنيته مسح اوديسيوس دموعه وتناول كأسه الذهبي وسكب سكيبة على شرف الآلهة الخالدين . ومن جديد راح المغني ينشد مآثر الأبطال عند طروادة . وتجدد بكاء اوديسيوس ولم ينتبه أحد إلى ذلك غير الملك الكينوي الذي أخذ يفكر في ما يدفع الغريب الى البكاء وأدرك السر في ذلك .

وعندما فرغ الضيوف من الطعام دعاهم الكينوي للذهاب إلى الساحة للمشاركة في الألعاب فلحق به الجميع وسار إلى جانبه البطل اوديسيوس وأخذ الفتيان الثياكيون يتبارون في مختلف الألعاب : في الجري والمصارعة والقفز

والملاكمة ورمي القرص ، وعندما أوشكت المباريات ان تنتهي نهض الشاب يوريال الجميل القوي العضلات وتقدم من لاوداموس ، ابن الكينوي الذي كان يبز الجميع جمالاً واقترح عليه أن يدعو الغريب إلى المشاركة في المباريات فقد كانت تبدو عليه ملامح القوة والعزم . وتردد لاوداموس الجميل في البداية ثم دنا من اوديسيوس ودعاه بلباقة الى المشاركة في الألعاب لكن اوديسيوس اعتذر عن ذلك فقد كان مرهقاً بالشوق للسفر الى بلاده . وسمع يوريال رفض اوديسيوس فقال ساخراً :

ـ أرى أيها الغريب أنه ليس بمقدورك ان تقف في مستوى الفتيان الأقوياء . لعلك واحد من التجار الذين يطوفون البحار ويصرفون نشاطهم الى العمل في التجارة دون سواها .

قطب اوديسيوس حاجبيه بغضب شديد وأجاب : ـ لقد نطقت بعبارة جارحة يا يوريال ! من خلالك أرى أن الالهة لا يمنحون الانسان كل شيء . فأنت مثلاً وهبوك الجمال لكنهم لم يهبوك الحكمة . لقد أهنتني بكلامك ولكن اعلم انني طويل الباع شديد في المباريات ، وقد شاركت في الكثير منها وحملت من الأحزان الكثير وتعرضت لألوان من المخاطر وفقدت الكثير من قواي لكنني لا زلت احتفظ بالوفير منها .

قال اوديسيوس ذلك ورفع عن الأرض حجراً ثقيلاً ورماه فأرسله بعيداً وأحدث صفيراً عالياً وهو يطير فوق رؤوس الثياكيين فانحنوا لكي لا يسقط عليهم لكن الحجر حلق فوق الجموع المحتشدة وسقط في مكان يبعد عن أبعدمكان وصل اليه رماة القرص بالرغم من خفة القرص إذا ما قيس بذلك الحجر . واتخذت اثينا هيئة أحد الشيوخ الثياكيين فأشارت الى مكان سقوط الحجر بعلامة وقالت بأن الحجر قد ابتعد الى حد يعجز أي من الثياكيين عن بلوغه مهما اوتي من القوة ، اذ ذاك صاح اوديسيوس ببهجة وسرور :

ـ ايها الشبان الثياكيون ، من يستطيع منكم ان يرمى الى هذا المدى فليفعل ، وسأرمي آنذاك بحجر يتجاوز ما وصل اليه . انني أتحداكم جميعاً في

مباراة الملاكمة والمصارعة والجري . فليتقدم من بينكم من يريد ، باستثناء لاودأموس فلن اتحداه لانني لن أرفع يدي على من استضافني في بيته .

فرد الكينوي على اوديسيوس بقوله : أرى أيها الغريب أن عبارة واحدة من جانب يوريال قد جعلتك تتحدى جميع المنافسين في الألعاب لتستعرض أمامنا قواك الخارقة للعادة . يمكنك أن تتفوق علينا جميعاً وفي جميع الألعاب ، الا في الجري فقد اختصتنا الآلهة في الفوز فيه كما جعلتنا البحارة الأمهر في العالم . كما أننا نهوى الغناء والموسيقى والرقص وفخامة الولائم . بعد قليل يدعى المهرة بين الراقصين وتقتنع بأن افتخارنا بهذا الفن ليس عبثاً .

وأمر الكينوي بأن يؤتى بقيثارة ديمودوك فتسارع الخدم الى اجابة طلبه وأخذ المغني القيثارة وضرب على اوتارها الذهبية وغنى أغنية مرحة سريعة فتشابكت أذرع الفتيان وتحلقوا في رقصة سريعة على غنائه فأخذ اوديسيوس يحملق فيهم مبهوراً برشاقة حركاتهم . ولما انتهى الرقص أمر الكينوي أن يقدم كل من الشيوخ الى اوديسيوس رداءً فاخراً وتالانتاً من الذهب . وكان على يوريال أن يقدم لاوديسيوس هدية متميّزة نظير كلمته الجارحة فسحب سيفه الثمين من غمده وقدمه إلى أوديسيوس قائلاً :

ـ أيها الغريب ! اذا كنت قد فهت بكلمة أساءت إليك فلتحمل الريح كلمتي هذه ولتنسها ! ولتهبك الآلهة عوداً حميداً الى بلادك حيث تجتمع بزوجتك وأسرتك .

فأجاب اوديسيوس قائلاً : ـ لتحفظك الآلهة يا يوريال ، ولن تندم أبداً على أنك قدمت لي سيفك وغسلت بذلك الاهانة التي وجهتها لي .

كانت الشمس قد مالت إلى المغيب وسارع الجميع نحو القصر وهناك مضى اوديسيوس الى مخدعه المخصص له ووضع الهدايا المقدمة له في صندوق فاخر كانت قد أرسلته اريتا وربطه بحبل ربطة كانت قد علمته كيركي اياها ، ثم ارتدى ملابسه الفاخرة وذهب الى قاعة المآدب حيث لقي ناوسيكايا ، فخاطبته الأميرة بكلمات تنبض بأحزان الفراق وقالت :

ـ أيها الغريب الرائع . قريباً تعود الى وطنك ، فحاول هناك أن تتذكرني ولو قليلاً فأنت مدين لي بحياتك .

فأجابها اوديسيوس بقوله : ايتها الفاتنة ناوسيكايا ، ليت زيوس مرسل الرعود يضمن لي سلامة العودة الى وطني وهناك سأصلي لك ما دمت حياً كما أصلي لواحدة من الآلهات فأنت التي أنقذت حياتي .

وجلس البطل إلى جانب الكينوي وبدأ الاحتفال البهيج ، وخلال ذلك طلب اوديسيوس من ديمودوك أن يغني أغنية عن الحصان الخشبي الذي أقامه الأبطال بالقرب من طروادة . وبدأ المغني نشيده فبدأت دموع اوديسيوس تنهمر مدرارة ، ولحظ الكينوي ذلك فقطع غناء ديمودوك وسأل ما الذي يبكي الغريب كلما تردد الانشاد عن مآثر الأبطال في طروادة ، ووعد الكينوي أن يحمل الغريب الى وطنه كائناً من يكون وأقسم على انجاز وعده رغم يقينه بأن بوسيدون سيقتص من الثياكيين لأنهم ينقلون الغرباء إلى أوطانهم رغم إرادته وكان بوسيدون قد هدد بأن يوماً سيأتي ويحيل السفينة التي تحمل الغرباء صخرة ثم يضرب حول المدينة جبلاً شاهقاً . كان الكينوي يعرف ذلك كله لكنه مع ذلك قرر أن يفي بوعده لاوديسيوس ، لكنه يريد الآن أن يعرف من هذا الغريب الذي يجلس الى جواره ، ولهذا اتجه بخطابه إلى أوديسيوس فسأله عمن يكون وطلب منه أن يسرد جميع المغامرات التي قدر له أن يخوضها .

فأجاب اوديسيوس بقوله : ـ ايها الملك المجيد ، تريد أن تتعرف على المحن التي كتب علي أن أعيشها ومن أي بلاد أكون ومن أبي . فاعلم اذن انني اوديسيوس ، ابن لايرت ، ملك جزيرة ايتاكا . وقد أخبرتك بما قاسيت منذ أن غادرت جزيرة الحورية كاليبسو . أماالآن فسأروي لك مغامراتي الأخرى في طريق عودتي من طروادة . فاسمع قصتي .

قال اوديسيوس ذلك وبدأ يسرد مغامراته الطويلة .

اوديسيوس يروي مغامراته

الكيكون واللوثوفاغ

بدأ اوديسيوس حديثه بقوله : ـ حملتنا الرياح المواتية من طروادة فانطلقنا في أرجاء البحر الخضم الى أن وصلنا بلاد الكيكون-١- فاحتللنا مدينتهم إسمار وقتلنا جميع السكان فيها وسبينا النساء ودمرنا المدينة . وحاولت طويلاً أن أقنع أصحابي بالاسراع في العودة الى الوطن لكنهم لم يصغوا إلي . وفي ذلك الوقت استغاث الكيكون الناجون بالكيكون المقيمين في الدواخل فحملوا علينا معاً . كانوا في عدد أوراق الشجر أو أزاهير الربيع النابتة في المروج ، واشتبكنا معاً في قتال دام بالقرب من سفننا لكنهم تمكنوا من التغلب علينا واضطررنا الى الفرار بعد ان خسرت ستة من أصحابي من كل سفينة . وقبل أن ننطلق في الخضم البعيد أطلقنا صيحات ثلاثاً بأسماء أصحابنا القتلى ثم انطلقنا في خضم البحر العريض محزوني القلوب على أصحابنا وفرحين بالنجاة سالمين .

ما كدنا ندخل البحر حتى سلط زيوس علينا ريح الشمال بوريوس فزمجرت العواصف وتلبد وجه السماء بالغيوم وأطبق الظلام علينا من كل جانب ومزق بوريوس الاشراعة عن السواري مرة تلو المرة فحركنا السفن بالمجاذيف حتى وصلنا الى جزيرة خالية أقمنا فوقها يومين وليلتين الى ان هدأت العاصفة . وبعد ثلاثة أيام نشرنا الأشرعة وانطلقنا في طريقنا ، إلا أننا لم نصل الى وطننا المحبوب ، فقد ضللنا طريقنا عبر العاصفة وانتهى بنا الابحار بعد عشرة أيام الى جزيرة كانت جزيرة اللوثوفاغ-٢- فأوقدنا ناراً على شاطئها وأخذنا باعداد الطعام ، وأرسلت ثلاثة

١- شعب خرافي

٢ ـ أي آكلي اللوتس

من أصحابي ليستطلعوا الجزيرة ومن من البشر يقطنها . واحتفى اللوثوفاغ بمقدمنا وقدموا لنا اللوتس الحلو المذاق الذي ما أن تناوله أصحابي حتى نسوا وطنهم وفقدوا الرغبة في العودة الى ايتاكا ، وتمنوا أن يقضوا بقية عمرهم فوق الجزيرة . لكننا سقناهم الى السفن بالقوة واوثقناهم اليها بالحبال كي لا يفروا . وعلى الفور أمرت أصحابي أن يجلسوا إلى المجاذيف وأن يغادروا الجزيرة على التو . فقد كنت أخشى أن يأكل الآخرون اللوتس وينسوا وطنهم ايضاً .

اوديسيوس في جزيرة السيكلوب . بوليفيم

عن «الاوديسية»

وبعد تطواف طويل في أرجاء البحر وصلت وأصحابي إلى أرض السيكلوب المتوحشين الذين لا يخضعون للقوانين . وهم لا يحرثون الأرض ومع ذلك فهي تسخو عليهم بخيراتها . وهناك في أعماق المغائر يعيش العمالقة ـ السيكلوب والواحد منهم لا يعرف أحداً سوى أفراد أسرته لأنهم لا يعقدون الاجتماعات العامة . ولم نصل الى أرضهم على الفور بل دخلنا في البداية خليج جزيرة صغيرة تقع غير بعيد عن موطن السيكلوب وهي جزيرة لم تطأها قدم انسان من قبل على الرغم من خصوبة ترابها . وكانت قطعان الماعز البري ترعى بكثرة هناك فلم تبال بنا بسبب ذلك . ولما كنا قد نزلنا الشاطىء خلال الليل فقد أغفينا بهدوء فوق الرمال وانطلقنا في الصباح لصيد الماعز فكان نصيب كل واحدة من سفني تسعة رؤوس بينما افردت لسفينتي عشراً منها . وأمضينا يوماً كاملاً في الاستراحة بعد الصيد ونحن نقيم الولائم البهيجة على الشاطىء بينما كانت أصوات السيكلوب وثغاء القطعان تتناهى الينا من أراضي السيكلوب . وفي صباح اليوم التالي قررت

أن أبحر بسفينتي الى تلك الأراضي لأتعرف على ذلك الشعب الغريب . فعبرنا الخليج الضيق مسرعين وتوقفنا قريباً من الشاطىء . وهناك رأينا مغارة تكللها أشجار الغار ويحيط بها سياج من الصخور الهائلة الأحجام . فأخذت معي اثني عشر رجلاً من أصحابي الأوفياء وحملت قربة من الخمر وطعاماً وانطلقت الى مغارة السيكلوب ، وقد عرفنا فيما بعد انه كان متوحشاً إلى حد مروع وانه كان يعيش وحيداً منبتاً عن الآخرين ، يرعى قطعانه الكثيرة ولم يكن شأن السيكلوب الآخرين شبيهاً بالبشر ، بل كان عملاقاً هائل القوة وله عين واحدة في جبينه . ولما دخلنا مغارته لم يكن بداخلها بل كان يرعى قطعانه وكان في المغارة عدد كبير من سلال الجبن وكان اللبن الخثير في الجرادل والأواني الكبيرة وفي المغارة حظائر للحملان والجديان . وحاول أصحابي اقناعي بأن نسلب أفضل الحملان والأجبان ونسرع بالعودة الى السفينة . لكنني ، لم اصغ اليهم لسوء حظي ، فقد كنت راغباً في مقابلة السيكلوب نفسه . وأخيراً جاء فألقى عند مدخل المغارة بحملة هائلة من الحطب . ولما رأيناه سيطر الرعب على قلوبنا فتدافعنا في الزاوية الاشد إظلاماً من المغارة بينما كان السيكلوب يدخل قطيعه الى المغارة حتى إذا تم ذلك أغلق الباب بصخرة هائلة وأخذ يحلب الماعز والأغنام فلما فرغ من ذلك أضرم النار ليعد طعامه وآنذاك وقعت عينه علينا فسألنا بصوت أجش :

- من أنتم ومن اين جئتم ؟ لا شك أنكم تجوبون البحار دون عمل وتسببون المصائب لجميع الشعوب .

فأجبته قائلاً : - بل نحن يونانيون نبحر من طروادة وقد حملتنا العاصفة الى هذا المكان ونرجو منك أن تقبلنا ضيوفاً ، فأنت تعرف ان زيوس يقتص ممن يسيء إلى الغرباء ويمنعهم حق الضيافة .

فرد السيكلوب علي بصوت وحشي : - واضح أنك جئت إلى هنا من بلاد قصية ايها الغريب ما دمت تظنني أخاف آلهتك . ما شأني بزيوسك هذا ! لست أخشى غضب زيوس ولا أريد الرأفة بكم وسأعمل ما يروق لي . قل لي اين سفنك ؟

أدركت ما الذي يرمي اليه السيكلوب بسؤاله عن سفني فأجبته :

ـ لقد حطمت العاصفة سفينتي عند صخور الشاطىء فلم ينج أحد سواي وأصحابي هؤلاء .

لم يجب السيكلوب بشيء بل سارع فأمسك باثنين من أصحابي بيديه الضخمتين وخبط بهما الأرض فقتلهما . ثم مزق جسديهما وسلقهما على النار والتهمهما . فسيطر علينا رعب لا سبيل إلى وصفه وأخذنا نبتهل إلى زيوس من أجل خلاصنا . أما السيكلوب فانه انطرح على الأرض ونام بعد ان فرغ من عشائه الرهيب . وهممت بقتله فجردت سيفي غير أني نظرت إلى الصخرة الضخمة التي أغلق بها المدخل وأدركت أن النجاة غدت محالاً . وحل الصباح فقتل السيكلوب اثنين آخرين من رجالي والتهمهما وساق قطيعه من المغارة ثم أغلق المدخل بالصخرة . وظللت طويلاً أُعمل الفكر في حيلة ننجو بها إلى أن وصلت الى حل . فقد عثرت في المغارة على خشبة ضخمة تشبه السارية ربما كان السيكلوب ينتوي أن يتخذ منها عصا . فشذبت نهايتها بسيفي وحرّقتها قليلاً على الجمر وأخفيتها . وعند المساء عاد السيكلوب مع قطيعه فأمسك باثنين من أصحابي وقتلهما ولما انتهى من عشائه تهيأ للنوم ، لكنني دنوت منه وقدمت له كأساً من الخمر فشربها وطلب كأساً ثانية وقال :

ـ اسكب لي وقل لي ما اسمك لانني أريد أن أتحفك بهدية .

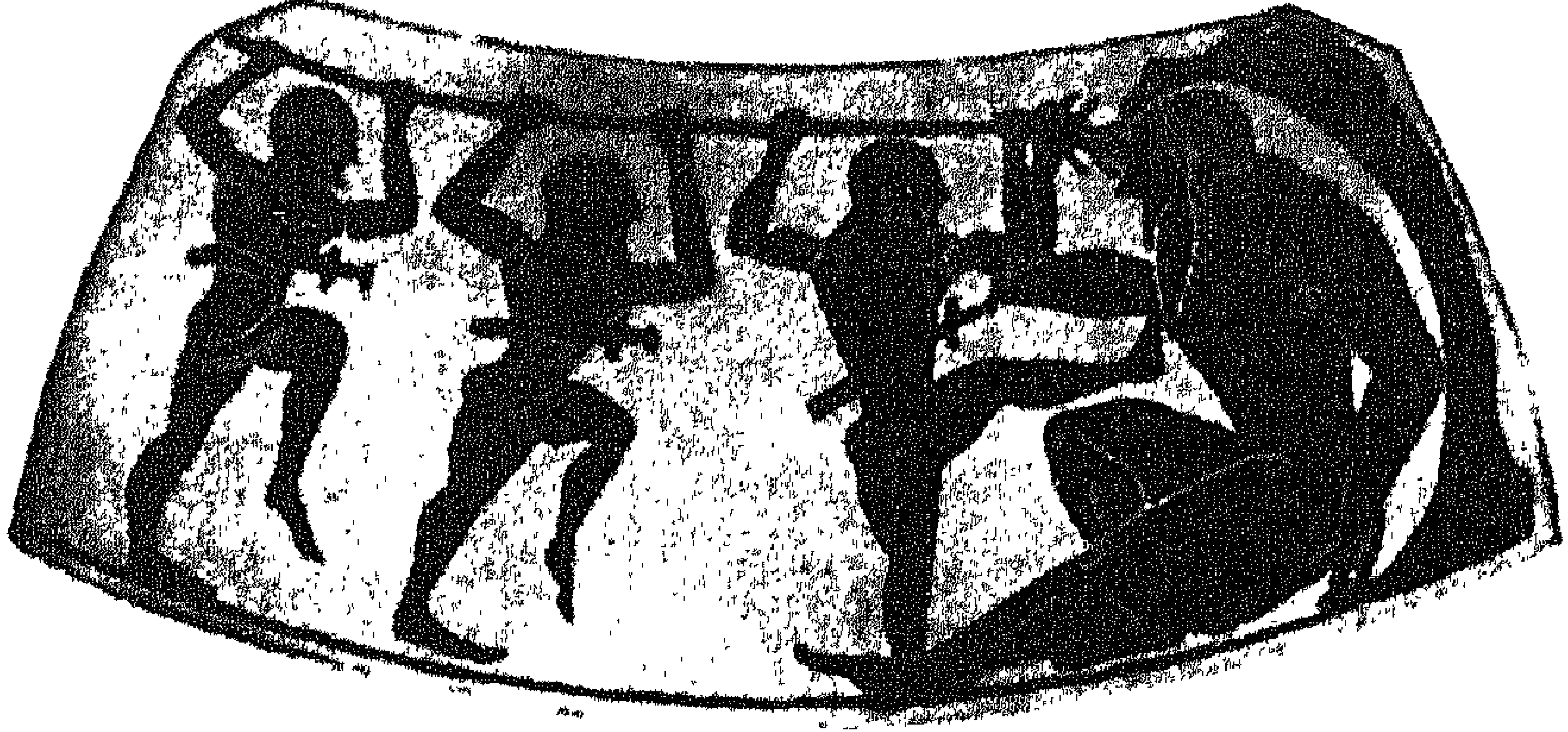
فسكبت له كأساً ثانية وثالثة وقلت له وأنا أقدمها :

ـ أتريد معرفة اسمي ؟ اسمي لا أحد .

ـ اسمع اذن يا لا أحد . ستكون آخر من آكلهم وهذه هديتي لك . قال ذلك ضاحكاً وشرب الكأس الثالثة فترنح وسقط على الأرض ونام .

آنذاك أعطيت الاشارة لرفاقي فأمسكنا معاً بالطرف المحدودب من الخشبة ووضعناه في النار حتى اشتعل ثم أدخلناه في عين السيكلوب ، فجأر من شدة الألم وانتزع من عينه الخازوق الداخن وصار يستغيث بالسيكلوب الآخرين فتقاطروا اليه يسألونه :

ـ ما الذي حدث لك يا بوليفيم ؟ من أساء إليك . هل اجترأ أحد على سرقة قطعانك ؟ لماذا أيقظتنا ؟



سمل عين السيكلوب . (رسم على مزهرية) .

فأجابهم بوليفيم وهو يجأر بصوته الرهيب .

ـ بالحيلة لا بالقوة يقتلني لا أحد .

فغضب السيكلوب وردّوا عليه قائلين : ـ إذا كان لا أحد أساء إليك فليس لك أن تجأر بهذه الصورة . مرضك إذن مرسل من لدن زيوس ولا سبيل إلى ردّ ما قضى به .

وبهذه الكلمات انصرفوا الى حال سبيلهم .

وأسفر الصباح ، فنهض بوليفيم وأزاح الصخرة عند مدخل المغارة وهو يئن أنيناً رهيباً وصار يخرج قطيعه وهو يتحسس ظهر كل شاة بيده فأخذت أربط كل ثلاثة كباش الى بعضها وأربط واحداً من أصحابي الى بطن الكبش الأوسط ، أما أنا فتعلقت بجزة الكبش الأعظم في القطيع وبسطت نفسي أسفل بطنه وعبرت الكباش برجالي أمام بوليفيم وكان آخرها الكبش الذي تعلقت به فأوقفه السيكلوب وصار يناجيه ويشكو اليه ما أصابه من ذلك الشرير لا أحد . ثم أطلق الكبش أخيراً فنجونا من هلاك محقق . وبعد ذلك سقنا قطيع بوليفيم الى السفينة حيث كان الأصدقاء بانتظارنا ، ولم أسمح لرفاقي بندب رفاقهم بل صعدنا

مسرعين إلى السفينة بعد أن سقنا اليها أغنام بوليفيم وانطلقنا عن الشاطىء فلما بلغنا مسافة يمكن منها سماع صوت الانسان صرخت بالسيكلوب قائلاً :
ـ أصغ أيها السيكلوب ! انك بقسوتك وبطشك سلطت عليك غضب زيوس . لن تستطيع بعد الآن أن تقتل ضيوفك التاعسين وتزدردهم .
وسمع السيكلوب كلامي فرفع عن الأرض صخرة عظيمة وضرب بها البحر فكاد أن يحطم بها حيزوم السفينة وتلاطم الماء من شدة الضربة فأحدقت بالسفينة موجة هائلة قذفت بها إلى الشاطىء لكنني دفعتها بواسطة خشبة طويلة فانطلقنا في البحر من جديد ، فصرخت بالسيكلوب مودعاً :
ـ اعلم يا سيكلوب أن من سمل عينك هو اوديسيوس ملك ايتاكا .
فتأوه المتوحش من شدة القهر وردّ بصيحة مهولة :
ـ تحققت اذن نبوءة قيلت لي منذ زمن بعيد ! كنت أظن اوديسيوس عملاقاً هائلاً لا مخلوقاً تافهاً مثلك .

وأخذ بوليفيم يشكو إلى أبيه بوسيدون ويضرع إليه أن يقتص مني لأنني حرمته البصر ، وأمسك بصخرة أضخم حجماً من الأولى وضرب بها البحر فسقطت خلف مؤخرة السفينة واصطفقت الأمواج الهائلة وحملت سفينتي ورمت بها بعيداً في البحر فكان في ذلك نجاتنا . وبلغنا سالمين الجزيرة التي كان يقيم فوقها رفاقي وهناك قدمنا القرابين الى الآلهة وأمضينا الليل على بر الجزيرة وفي اليوم التالي انطلقنا في البحر العريض حزانى على اصدقائنا الذين فقدناهم .

وما هو الا قليل من الزمن حتى وصلنا جزيرة ايول الطافية في البحر والمحاطة بسور نحاسي لا سبيل الى اختراقه ، أما شواطئها فتشمخ بصخورها النافرة عالياً من لجة الماء ، ويعيش فوقها ايول مع زوجته وأبنائه الستة وبناته الست حياة هادئة لاهية فهم يمضون أيامهم في ولائم متصلة في أبهاء القصر الفاخرة . وقد أقام لنا المآدب مدة شهر بكامله وهو يصغي إلى قصصي حول مآثر الأبطال حول طروادة .

وسألته أخيراً ان يأذن لي بالسفر الى بلادي فوافق . وعند الوداع أهداني قربة كبيرة مربوطة بحبل من الفضة وضعت فيها الرياح المروَّضة ولم يطلق ايول غير سراح الريح الغربي من بينها ، ليحمل سفني الى ايثاكا الحبيبة ، وحظر علي أن افتح القربة قبل أن أصل الى بلادي ، ولكن لم تجر ارادة زيوس بعودتي الى الوطن ، فما أن ظهرت ايتاكا في اليوم العاشر من الابحار حتى اسقط الآلهة على عيني نوماً عميقاً ، فبدأ أصحابي يتهامسون فيما بينهم وقالوا لا بد أن يكون ايول وهبني الكثير من الذهب والفضة ووضعه في القربة ما دمت لا أسمح بفتحها . وغلب عليهم الفضول ففتحوا القربة فانطلقت منها الرياح جميعاً وانعقدت في البحر عاصفة هوجاء فاستيقظت على زمجرتها وهممت بأن القي بنفسي في البحر من شدة اليأس لكنني أذعنت للقدر فغطيت رأسي بدثاري واستلقيت على مقدمة السفينة .

وحملتنا العاصفة من جديد الى جزيرة ايول فصعدت الى القصر صحبة واحد من رفاقي وتوسلت الى الاله أن يمدّني بعونه من جديد لكنه غضب علي وطردني من قصره شر طردة وقال بأنه لن يقدم العون ابداً الى من يمقته الآلهة ويعملون على هلاكه . فخرجت من القصر وأنا أذرف الدموع .

اوديسيوس في أرض الليستريغون

عن «الاوديسية»

وانطلقنا في الطريق البحري من جديد ، وضربنا في أرجاء اليم ستة أيام بكاملها حتى انتهينا الى احدى الجزر . فدخلنا خليجاً هادئاً وتقدمت احدى عشرة سفينة من سفني الى الشاطىء وسحبها أصحابي إلى الرمال أما سفينتي فأرسيتها عند مدخل الخليج وصعدت صخرة عالية استكشف منها الضواحي فلم أتبين أي بستان أو آرض حريث فلم يكن ثمة غير الدخان المتصاعد من بعض الأماكن .

فأرسلت ثلاثة من أصحابي ليستكشفوا الجزيرة ومن يعيش فوقها ، فانطلقوا ؛ وبالقرب من أحد الآبار ، غير بعيد عن المدينة الكبيرة لقوا فتاة مهولة الحجم قادتهم الى قصر أبيها أنتيفاتيس ، ملك الليستريغون . وهناك رأوا زوجته وهي امرأة بحجم جبل . فأمرت باستدعاء زوجها وكان في اجتماع الشيوخ فجاء مسرعاً وقبض على أحد أصحابي فمزقه ليعد لحمه طعاماً فلاذ الآخران بالفرار وراحا يجريان نحو السفن بينما كان انتيفاتيس يدعو الليستريغون فتجمعوا عند شاطىء البحر وصاروا يأخذون الصخور الهائلة ويضربون بها السفن فكانت اصوات السفن المتكسرة تختلط بصرخات المحتضرين حتى قتلوا جميع رجالي في السفن الاحدى عشرة وحملوهم الى المدينة على الاسنة ولم أنج من المحنة الا بمشقة كبيرة وضاعت جميع سفني الا واحدة .

اوديسيوس في جزيرة الساحرة كيركي

عن «الاوديسة»

ظللنا نضرب في البحر طويلاً ونحن نذرف الدموع على رفاقنا الذين قتلوا الى أن وصلنا جزيرة ايبيا[1] حيث كانت تعيش الساحرة الفاتنة كيركي ابنة الاله هيليوس . فأمضينا على شاطىء الخليج الهادىء يومين وفي اليوم الثالث تمنطقت بسيفي وأمسكت برمحي وانطلقت في عمق الجزيرة . ومن أعلى صخرة هناك شاهدت دخاناً يتصاعد من خلف الغابة ، فقررت أن أعود الى السفينة لأرسل بعض أصحابي فيستطلعوا من يعيش هناك . وفي الطريق الى السفينة قدر لي أن أقتل برمحي ظبياً كبير الحجم ، فحملته الى السفينة وأعددنا من لحمه مائدة حافلة وقوينا أنفسنا بالطعام والنبيذ ثم غفونا على صوت الأمواج البحرية . وفي الصباح قسمت أصحابي فريقين ترأست أحدهما وسلمت قيادة الفريق الثاني ليوريلوخ واقترعنا فوقعت القرعة على يوريلوخ ليتوغل في أعماق الجزيرة فانطلق باثنين وعشرين من الرجال .

حث الرجال خطاهم وجدوا في المسير حتى وصلوا قصر كيركي، وكانت تحيط به الأسود والذئاب المدجنة التي ما ان أبصرت برفاقي حتى أخذت تبصبص بأذنابها وتتودد اليهم كما تتودد الكلاب الى أصحابها . لقد كانوا جميعاً بشراً مسختهم الساحرة بشراب سحري . ومن القصر تناهى الى أصحابي صوت غناء شجي فدعوا كيركي فخرجت اليهم ورحبت بهم ودعتهم الى القصر فدخلوا وقدمت لهم الخمر ممزوجة بالعقار المسحور فشرب الرجال ولمستهم كيركي بعد ذلك بصولجانها فاستحالوا الى خنازير بينما بقيت عقولهم بشرية على طبيعتها ، ثم

---

١ ـ جزيرة خرافية كان اليونان يتصورون وقوعها في أقصى الغرب .

حشرتهم في الزريبة وطرحت لهم ثمار البلوط بينما كانوا يذرفون الدموع ، ولم ينج منهم غير يوريلوخ لأنه لم يدخل القصر مع الداخلين .

عاد يوريلوخ مسرعاً الى السفينة وأخذ يروي لنا ما حل وقد بلغ منه الرعب مبلغه . فهرعت مسرعاً الى القصر وأنا لا أفكر الا بانقاذهم . وفي الطريق ظهر أمامي الاله هرمز في هيئة شاب جميل فعلمني كيف أحرر نفسي من سلطان كيركي وأعطاني جذور نبات شديد المفعول يمكنه أن يبطل سحر الساحرة ، فانطلقت الى القصر وهناك استقبلتني الساحرة ببشاشة وترحيب وأدخلتني الباب وأجلستني على كرسي فاخر الترصيع وأحضرت لي شرابها المسحور فلما فرغت من شربه لمستني بصولجانها وقالت :

ـ امض الآن الى زريبة الخنازير وتمرغ هناك مع الآخرين .

أما أنا فقد جردت سيفي حسبما أمرني الاله هرمز وانقضضت على الساحرة وهددتها بالموت فجثت على ركبتيها وقالت :

ـ اوه ، أخبرني من تكون ؟ فان أحداً قبلك لم يقاوم جرعتي السحرية . بل أعرف . أنك اوديسيوس الواسع الحيل . لقد تنبأ هرمز لي منذ زمن بعيدة بأنك قادم الي . أعد سيفك الى غمده .

أغمدت سيفي وأجبرت كيركي على أن تقسم لي بقسم الآلهة على أن لا تلحق بي أذى ففعلت وطلبت مني أن أقيم عندها وعرضت علي أن أنال قسطاً من الراحة فوافقت وبينما كنت مستسلماً للهدوء انصرفت وصيفاتها ، وهن بنات آلهة النهر والجداول ، فاعددن مأدبة فاخرة فلما شعرت بالراحة وتجدد القوى ارتديت الملابس الفاخرة ودخلت قاعة المآدب وجلست الى المنضدة الحافلة بأشهى الألوان لكنني لم أمد يداً الى الطعام بسبب ما اعتراني من هم وحزن ، فسألتني كيركي عن أسباب حزني فأجبتها بأني لن أصيب شيئاً من الزاد حتى يعود أصحابي الى هيئتهم البشرية ؛ فأخرجتهم الساحرة من الحظيرة ودهنتهم بدهان سحري وأعادتهم هيئتهم الأولى بل وجعلتهم أكثر جمالاً وأوفر قوة ، فسرّ أصحابي لرؤيتي وأثارت فرحتهم الاشفاق حتى في قلب الساحرة . وطلبت كيركي أن أذهب الى الشاطىء

وأعود بمن تخلف من أصحابي فمضيت إليهم واستدعيتهم وحاول يوريلوخ بكل الوسائل أن يثنيهم عن الذهاب الى الساحرة وأن يقنعهم بكذب وعودها لكنه لم يفلح ، وأخيراً اجتمعنا معاً في القصر البديع حيث أقامت لنا الساحرة مأدبة فاخرة .

أمضينا عاماً كاملاً في قصر كيركي ، فلما انصرم العام طلبت منها أن تأذن لي بالسفر الى بلادي فاستجابت لطلبي لكنها قالت بأن من واجبي قبل العودة الى الوطن أن أزور مملكة هاديس الغاشم وألتقي فيها بطيف العراف الطيبي تيرسيوس ليكهن لي بما يخبئه لي المستقبل . وأرشدتني كيف أقدم القرابين وأستدعي أطياف الموتى فحفظت تعليماتها وارشاداتها وأخذت أجمع أصحابي للسفر ، وتعالت جلبة الاستعداد للرحيل فأيقظت ايلبينور الذي كان ينام على سطح القصر فقفز من فراشه وهب مسرعاً نحو أصوات رفاقه ناسياً أنه ينام على السطح فسقط من ذلك المكان الشاهق الى الأرض ودقت عنقه ، فبكينا كثيراً رفيقنا ولم نتمكن من إقامة احتفالات دفنه على الفور إذ كان علينا أن نسارع للخروج في طريقنا البعيد الى آخر أطراف الكون ، الى مدخل مملكة هاديس .

اوديسيوس يدخل مملكة هاديس

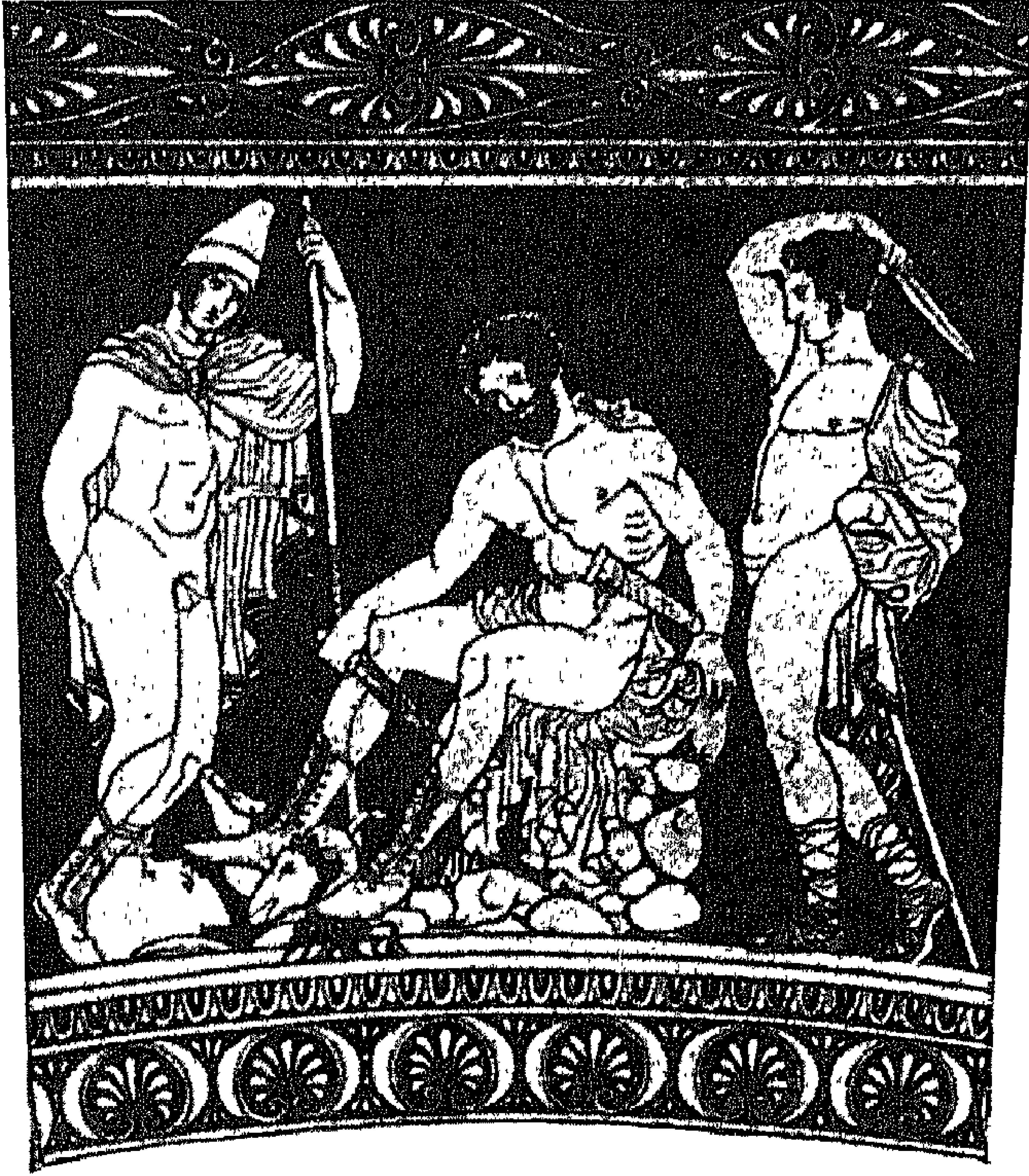
عن «الاوديسة»

ما أن كشفت لأصحابي الوجهة التي يمتد فيها طريقنا حتى ران عليهم الذعر لكنهم صعدوا السفينة مذعنين لأمري فانطلقنا نحو الشمال القصي . ومنحتنا كيركي ريحاً مواتية فدفعت سفينتنا بسرعة حتى وصلنا مياه الاوقيانوس الأشيب وتوقفنا عند شاطىء بلاد الكيميريين[1] الكئيبة ، حيث لا يشرق هيليوس بأنواره في أي وقت فالأرض هناك مغطاة بضباب بارد يطرح الظلام عليها برده الأبدي الكثيف . وهناك سحبنا سفينتنا الى الشاطىء وأخذنا النعجة والكبش الأسود اللذين أعطتناهما كيركي تقدمةً للآلهة تحت الأرضية وانطلقنا الى حيث يصب الكوتسيت والبيريفليغيتونت في الآخيرونت[2] عند الصخرة الشامخة . فلما وصلت المكان حفرت بسيفي حفرة عميقة وسكبت حولها ثلاث سكيبات بادئاً بالعسل ثم بالخمر فالماء ونثرت فوقها دقيق الشعير ثم نحرت النعجة والكبش فسالت دماؤهما في الحفرة واحتشدت أرواح الموتى حشداً عظيماً عندها وأخذت تصطرع وتتشاحن وتتدافع وتحاول كل واحدة منها أن تكون البادئة في شرب دم القربان . كانت بينها أرواح عرائس وشبان قضوا في زهرة العمر وأرواح شيوخ وأرواح رجال تساقطوا صرعى في ميادين القتال . فتملكني الرعب ورفاقي فاحرقنا الذبيحتين ودعونا الاله هاديس الكئيب وزوجته بيرسيفونا . وجردت سيفي وجلست قرب الحفرة لأحول دون احتشاد الأرواح . وكان أول من وصل روح ايلبينور فقد سبقتنا روحه الى بوابة مملكة الموتى . وتوسل ايلبينور إلي أن أدفن جثمانه لتنال روحه الراحة في

---

١ ـ الكيميريون شعب خرافي كان ـ حسب التصورات اليونانية ـ يعيش في أقصى الشمال الغربي من الأرض .

٢ ـ الكوتسيت والبيريفليغيتوتت والآخيرونت ـ أنهار تجري في مملكة هاديس تحت الأرضية .



أوديسيوس يستدعي أرواح الموتى
(رسم على مزهرية)

مملكة هاديس . فوعدته بذلك ، وطارت الى الحفرة روح أمي انتيكليا وكانت لا تزال حية عندما غادرت اتياكا . وعلى الرغم من كل ما أحسست به من شفقة نحوها فانني منعتها الاقتراب من الحفرة فقد كانت الأولوية لتيرسيوس الطيبي لينهل من الدماء ، وأخيراً ظهرت روح العراف الكبير فعبت من الدم حتى ارتوت ثم وقف طيف تيرسيوس ليقول لي أن بوسيدوس مزلزل الأرض ، ساخط علي لأنني أعميت ابنه السيكلوب بوليفيم . لكن العراف كهن لي بأنني أصل بلادي رغم مشيئة الاله شريطة ألا يمس أصحابي ثيران هيليوس في جزيرة ترىناكريا فاذا ذبحوا تلك الثيران هلكوا ، وأنجو آنذاك بمفردي وأعود الى بلادي بعد مصاعب كثيرة ،

وهناك أدرك ثأري من الخطاب ولكنني أحمل بعد ذلك مجذافي وأجوب أصقاعاً مختلفة من الكون حتى أدرك شعباً لا يعرف البحر ولم ير سفينة في حياته فيسألني أحدهم لماذا أحمل رفشاً على كتفي . وعلي في هذه الأرض أن أقدم قرباناً الى بوسيدون ثم أعود الى منزلي حيث أقدم القرابين لجميع الآلهة وأعيش بعد ذلك في اتياكا آمناً مطمئناً حتى يوافيني الأجل المحتوم . كان ذاك ما تنبأ به العراف تيرسيوس قبل أن ينصرف ، وقد توالت بعده أطياف الموتى أمام عيني فعبت روح أمي من الدم وحدثتني بما جرى في بلادي حتى وفاتها وطمأنتني بقولها أن أبي لايرت وزوجتي بينيلوب وولدي تيليماخ لا يزالون على قيد الحياة . وحاولت أن أعانق طيف أمي الحبيبة فبسطت له ذراعي مرات ثلاثاً لكن الطيف كان ينزلق من بين يدي في كل مرة . ورأيت في مملكة هاديس أطياف العديد من الأبطال ولكنني عاجز عن أن أحيط بهم عدداً اذ لا تكفي لذلك ليلة بكاملها . أما الآن فقد تأخر الليل وحان الوقت لأختم قصتي وليذهب كل الى سريره وينام .

قال اوديسيوس لكن المجتمعين صاروا يتوسلون اليه ويستحلفونه أن يتم روايته ورجته الملكة اريتا والملك الكينوي الا يقطع حديثه فالجميع على استعداد للإصغاء حتى مطلع الفجر ، فاستمر اوديسيوس يروي قصته فقال :

- ورأيت هناك روح الملك إغاممنون وقد شكا إلي بحرقة ومرارة زوجته كليمنسترا وايجيست اللذين قتلاه يوم وصوله الى بلاده ونصحتني روحه ألا أثق بزوجتي بينيلوب عند عودتي ، كما رأيت روح أخيل وباتروكل وانتيلوخ وأياكس تيلامون . فحدثت أخيل بالمآثر المجيدة التي حققها ولده نيوبتوليم وفرح كثيراً لذلك على الرغم من أنه شكا لي حياته الكئيبة التي يعيشها هناك وقال انه يؤثر أن يكون أحقر أجير في الأرض على أن يكون ملكاً في مملكة أرواح الموتى . ووددت لو اصطلحت مع روح أياكس العظيم ، فقد أهنته إهانة بالغة لما تنازعنا على أسلحة أخيل لكنه انصرف عني صامتاً ولم ينبس بكلمة . ورأيت أيضاً قاضي الأموات ، الملك مينوس وشهدت عذابات تانتال وسيزيف ، وأخيراً دنت مني روح هرقل ، الأعظم بين الأبطال ، بينما كان هو مقيماً في الاوليمب بين الخالدين . وترقبت دنو أرواح الموتى الآخرى من كبار الأبطال في العهود السابقة لكن الأطياف أطلقت في تزاحمها

وتدافعها صرخة رهيبة جعلتني أفر هارباً الى سفينتي خوفاً من أن تسلّط بيرسيفونا عليَّ الهولة الرهيبة ميدوزا .

وأسرعنا في دفع السفينة الى مياه الأوقيانوس الأشيب وغادرنا بلاد الكيميريين . وبعد حين وصلنا بسلام جزيرة ابيا فالتجأنا إلى شاطئها وسقطنا في سبات عميق .

اوديسيوس يبحر بالقرب من جزيرة السيرينات

وبين سكيلا وهاريبدا

عن «الاوديسة»

وفي اليوم التالي دفنا جثمان ايلبينور وأقمنا أكمة عظيمة على ضريحه . ولما عرفت الساحرة كيركي بوصولنا أقبلت الينا نحو الشاطىء تتبعها وصيفاتها وقد حملن الى السفينة كثيراً من الطعام الفاخر وقربة من النبيذ ، فأولمنا وامتد احتفالنا حتى الليل فلما انصرفنا الى النوم حدثتني الساحرة عن المخاطر التي تتربص بي في الطريق وعلمتني كيف أنجو منها .

وما أن تألقت نجمة الفجر في السماء حتى أيقظت رفاقي فحدرنا السفينة الى البحر ومال المجذفون على مجاذيفهم فانطلقت السفينة تشق صدر البحر العريض ، ونفخت الريح الرخاء في الأشرعة فانسابت السفينة هادئة سريعة فوق صفحة الماء ولم تكن جزيرة السيرينات بعيدة عنا فالتفت الى أصحابي وقلت لهم :

ـ أيها الرفاق ! قريباً نعبر بجوار جزيرة السيرينات ؛ انهن يغوين البحارة العابرين ويسلمونهم الى براثن الموت فجزيرتهن مغطاة بعظام من مزقنهم من البشر . سأسد آذانكم بالشمع اللين كي لا تسمعوا غناءهن فتهلكوا . أما أنا فشدّوني الى السارية فقد أذنت لي كيركي أن أسمع غناءهن ، ولكن ـ زيدوني قيوداً وشدوا وثاقي اذا ما اجتذبني الغناء وطالبتكم باطلاق سراحي .

ما أن نطقت بذلك حتى سكن الهواء المواتي فجأة فأنزل أصحابي الشراع ومالوا على المجاذيف ، وصارت جزيرة السيرينات على مرمى البصر فختمت بالشمع آذان أصحابي وأمرتهم فشدوا وثاقي الى السارية بقوة حتى لم يتحرك مني أي مفصل وانطلقت سفينتنا مسرعة بجوار الجزيرة، التي كانت تصدر عنها أصوات الغناء الشجي . كانت السيرينات يخاطبننا بقولهن :

ـ اوه ، هلم الينا يا اوديسيوس العظيم ! وجه سفينتك نحونا لنشنف آذانكم بغنائنا الشجي . لن يعبر أي غريب دون أن ينصت الى غنائنا العذب . فإذا ما استمتع به حتى الثمالة غادرنا وهو يعرف الكثير . نحن على علم بما عانى منه اليونانيون عند أسوار طروادة بارادة الآلهة وبما يجري على الأرض .

سحرني غناء السيرينات فأشرت الى أصحابي أن يحلوا وثاقي ولكنهم ، وقد تذكروا أوامري ، زادوني وثاقاً جديداً فلما غابت جزيرة السيرينات عن أنظارنا حل أصحابي وثائقي وانتزعوا الشمع من آذانهم .

واصلت سفينتنا طريقها بهدوء ، ولكنني فجأة سمعت في الأبعاد زمجرة رهيبة ورأيت دخاناً يتصاعد وعرفت أن تلك هي هاريبدا فذعر أصحابي وأفلتوا المجاذيف من أيديهم فتوقفت سفينتنا عن المسير فطفت عليهم جميعاً أشد ازرهم واحثهم على التقدم

ـ أيها الرفاق . لقد كابدنا آلاماً عظيمة وجنبنا الكثير من الأهوال . ليس الخطر المحدق بنا أشد هولاً مما لقيناه في مغارة بوليفيم فلا تتخلوا عن شجاعتكم وانحنوا على المجاذيف بقوة وسينجينا زيوس من الهلاك . سيروا بالسفينة ووجهوها بعيداً عن المكان الذي ينفث الدخان ويتعالى منه الصوت الرهيب واتجهوا أقرب الى الصخرة .

أثرت حمية الرجال فأعملوا المجاذيف بقوة ولم أقل لهم شيئاً عن سكيلافكنت أعرف أنها لن تسحب من سفني غير ستة رجال بينما كان ممكناأن نسقط جميعاً في هاريبدا . أما أنا فنسيت نصائح كيركي وامتشقت حسامي منتظراً انقضاض سكيلا وعبثاً صرت أرقب رؤيتها بعيني .

انطلقت السفينة مسرعة في المعبر الضيق ورأينا هاريبدا وهي تشفط مياه البحر وتبتلعها . كانت الأمواج تصطخب عند شدقيها وفي أحشائها العميقة كانت رمال البحر والأتربة تغلي وكأنها في مرجل على النار فعندما تنفث الماء كان يغلي ويتدفق بزمجرة رهيبة وتصفع الرشقات المالحة أشرعة السفينة بصوت مخيف . وقفت شاخصاً بأبصاري الى هاريبدا أسير رعب شديد . وفي ذلك الوقت مدت سكيلا أعناقها الستة وبأشداقها المهولة الستة ذات الصفوف الثلاثة من الأسنان اختطفت ستة من أصحابي فلم أر شيئاً غير أذرعهم وهي تضطرب في الهواء بينما تعالت أصوات استغاثتهم ، وقد التهمتهم سكيلا عند مدخل الكهف وهكذا عبرنا بين سكيلا وهاريبدا وقد أنهكنا الجهد والتعب وانطلقنا الى جزيرة هيليوس ، تريناكريا .

اوديسيوس في جزيرة ترينا كريا[1]

تحطم سفينة اوديسيوس

وبعد فترة قصيرة من الزمن لاحت أمامنا جزيرة اله الشمس وأخذنا نقترب منها حتى سمعنا خوار الثيران والأغنام المقدسة . ولما تذكرت نبوءة تيرسيوس وتحذيرات الساحرة كيركي صرت أحاول إقناع أصحابي بتجاوز الجزيرة وألا نقف حذاءها . لقد أردت بذلك أن أجنبهم خطراً ماحقاً لكن يوريلوخ أجابني بقوله :

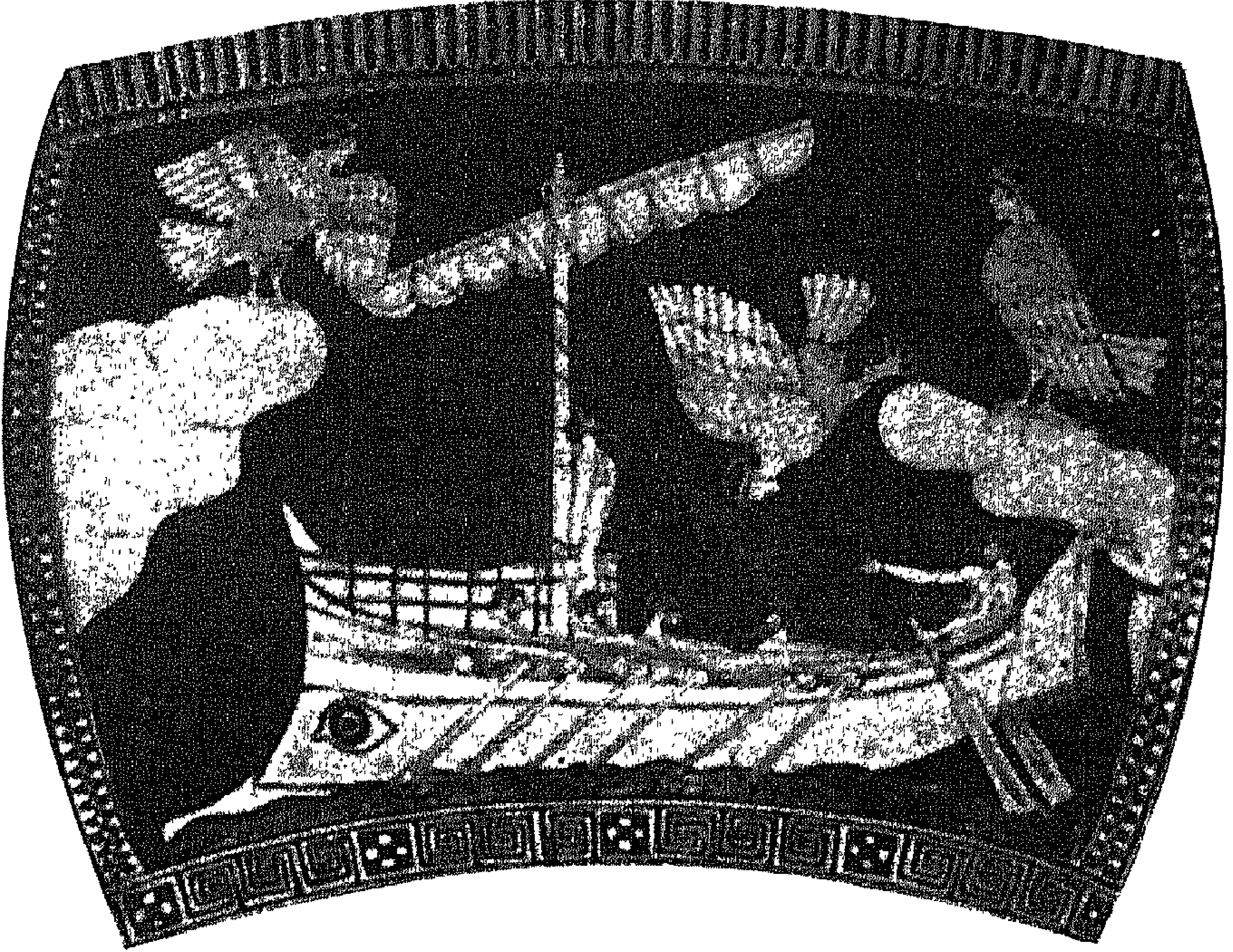
ـ ما أقسى فؤادك يا اوديسيوس . لكأنك مقدود من النحاس فلا تعرف الكلل . أما نحن فقد تعبنا ؛ فما أكثر الليالي التي قضيناها ساهدين وها أنتذا تمنعنا من الخروج الى الشاطىء لننال قسطاً من الراحة ونتقوى ببعض الطعام . من الخطر الإبحار في الليل فقد تتحطم السفن في الظلام رغم ارادة الآلهة عندما تنقض عليها عواصف الرياح العاتية . لا . الخير في أن ننزل الى الشاطىء ثم نتابع طريقنا مع اشراقة الفجر .

لقيت كلمات يوريلوخ قبولاً من الرفاق فأدركت الاّ مناص لي من الوقوع في الكارثة . فدنونا من الجزيرة وسحبنا السفينة الى الشاطىء وأرغمت أصحابي على أن يقسموا الأيمان المغلظة بالا يتعرضوا لثيران الاله هيليوس بسوء . وأخيراً أعددنا طعام العشاء وبدأنا بتناول الطعام ونحن نذرف الدموع حزناً على رفاقنا الذين اختطفتهم سكيلا ، فلما أنهينا العشاء رقدنا جميعاً على الرمال طلباً للراحة والنوم .

وفي الليل أرسل زيوس عاصفة رهيبة . فزمجر بوريوس بصوته القوي وغطت السحب المكفهرة وجه السماء وازداد الليل حلكة وسواداً فلما أسفر الصبح سحبنا سفينتنا الى كهف بجوار الشاطىء لنحميها من العاصفة وكررت طلبي الى

---

١ ـ أحياناً كان اليونانيون يطلقون اسم «ترينا كريا» على صقلية الحالية .



سفينة اوديسيوس تعبر بجوار جزيرة السيرينات
(رسم على مزهرية)

أصحابي بألا يتعرضوا للقطعان المقدسة فوعدوني خيراً . وظلت الرياح المعاكسة تصفر شهراً كاملاً دون أن نتمكن من الانطلاق . وأخيراً نفذت جميع المؤن وتحتم علينا أن نتقوت بما نحصل عليه من صيد البر أو البحر . وشيئاً فشيئاً أخذ الجوع يستبد بأصحابي فمضيت بمفردي وانتحيت مكاناً قصياً في أعماق الجزيرة حيث ابتهلت الى الآلهة أن ترسل لنا الريح المواتية وأن تستجيب لطلبي في أقرب وقت . لكن الآلهة أغرقتني ـ دون أن أشعر ـ في نوم عميق . وبينما كنت غارقاً في نومي أقنع يوريلوخ أصحابي بذبح بضعة رؤوس من قطيع الاله هيليوس وقال لهم أن بامكانهم بعد العودة أن يلطفوا من غضب الاله ببناء معبد فاخر على اسمه وتقديم

القرابين الثمينة له ، وأنهى كلامه اليهم بقوله أنه إذا ما صمم زيوس على الانتقام للثيران الذبيحة فان من الأفضل للبحارة أن يهلكوا بين طيات الماء من أن يهلكهم عذاب الجوع .

أذعن أصحابي ليوريلوخ فأخذوا أفضل ثيران القطيع وذبحوها وقدموا شطراً من لحومها قرابين للآلهة واستعاضوا عن الدقيق بأوراق البلوط وأراقوا الماء بدلاً من الخمر اذ لم يكن قد تبقى لديهم شيء من ذلك كله . وانصرفوا بعد ذلك الى شيّ اللحوم على النار . آنذاك أفقت من نومي واتجهت نحو السفينة فشممت قتار اللحم المشوي من بعيد وأدركت ما يجري فصرخت برعب :

ـ يا آلهة الأوليمب ! لماذا أرسلتم علي النوم . لقد اقترف أصحابي جريمة رهيبة فذبحوا ثيران هيليوس المجيد .

وفي ذلك الوقت قامت الحورية لامبيتيا بإخبار هيليوس بما جرى فشكا الى الآلهة إساءة رفاقي وهدد بأن ينحدر إلى الأبد في مملكة هاديس الكئيب وأن يحجب أنواره عن الآلهة والبشر ، وحاول زيوس أن يهدىء من سخطه فوعده بأن يدمر بصاعقته سفينتي ويهلك أصحابي .

كان من العبث تقريع أصحابي أو لومهم على ما جنوه . الا أن الآلهة لم تلبث أن أرسلت الينا آية مروّعة : فقد تحركت جلود الثيران المسلوخة وخارت لحومها خوار الشكوى والتطمت العاصفة ستة أيام بكاملها فكان أصحابي يذبحون عدداً من الثيران في كل يوم . وفي اليوم السابع هدأت العاصفة وتحركت الريح المواتية فانطلقنا . ولكن ما كادت جزيرة ترينا كريا تحتجب عن انظارنا حتى حشد زيوس السحب القاتمة فوق رؤوسنا فانقض زيفير علينا مزمجراً وانعقدت عاصفة رهيبة وانكسرت سارية السفينة كالقصبة وسقطت وضربت رأس النوتي الكبير أثناء سقوطها فهوى الى الماء صريعاً . وأبرقت صاعقة زيوس وضربت سفينتنا فحطمتها قطعاً متناثرة وابتلع البحر أصحابي جميعاً فلم ينج من بينهم سواي . وبكثير من المشقة أمسكت بنثرة من السارية وأرنبة السفينة وظللت متعلقاً بها حتى هدأت العاصفة الا أن نوت أخذ ينفخ رياحه ويتجه بي نحو هاريبدا وكانت في ذلك الوقت تشفط مياه البحر بزمجرة مخيفة . فتمسكت بأغصان شجرة التين النامية على

صخرة وتعلقت بها فوق الهاوية المروّعة وانتظرت طويلاً الى أن لفظت الصاري والارنبة فأطلقت أغصان الشجرة وهويت الى شظايا سفينتي وبهذا نجوت من الهلاك في الأشداق الرهيبة كما خلصني زيوس من أشداق سكيلا اذ أنها لم تنتبه إلي وأنا أسبح في أمواج البحر المتلاطمة .

ظللت تسعة أيام اتقلب في البحر العديم الشطآن وأخيراً قذفت بي الأمواج عند جزيرة كاليبسو . ولكن سبق لي أن حدثتكم بتفاصيل ذلك كما رويت لكم ما تعرضت له من المخاطر الشديدة قبل أن أصل الى جزيرتكم ومن غير المحمود إعادة ما سبق ورويته بل وقد يكون فيه الكثير من الإملال على نفوسكم .

وبذلك ختم اوديسيوس حديثه عن مغامراته .

عودة اوديسيوس الى إتياكا

عن «الاوديسة»

في اليوم التالي تأهب الثياكيون للسفر فشحنوا السفينة بالهدايا المقدمة الى اوديسيوس وأشرف الكينوي بنفسه على الاستعدادات فلما أنجزت قدم قرباناً إلى زيوس وأقام مأدبة وداع فاخرة ، وانتظر اوديسيوس حلول المساء بفارغ الصبر وشعر بالفرح عندما رأى الشمس تميل الى المغيب والمساء يوشك أن ينزل . فلما بدأت الظلمة تتكثف ودع اوديسيوس الملك الكينوي وزوجته شبيهة الآلهة واتجه نحو السفينة تتبعه الجواري وهن يحملن صندوق الهدايا والنبيذ وخزين المؤن من أجل الرحلة . وصعد اوديسيوس السفينة واستلقى على المقعد المخصص له . وانحنى المجذفون الأقوياء فوق المجاذيف فانطلقت السفينة في البحر العريض . وأسقط الآلهة على اوديسيوس نوماً عميقاً خلال الطريق بينما كانت سفينته تنطلق

أسرع من العقاب في البحر حتى اذا كان الفجر الباكر وصل الى شواطىء ايتاكا غير بعيد عن كهف النايادات . وحمل الثياكيون اوديسيوس النائم بحذر شديد الى الشاطىء وأرقدوه على الرمل ووضعوا الى جواره الهدايا التي قدمت اليه ثم انطلقوا في طريق العودة الى بلادهم . ولمح بوسيدون السفينة فاستشاط غضباً على الثياكيين لأنهم عصوا ارادته وحملوا اوديسيوس الى بلاده وشكاهم الى أخيه زيوس مرسل الصواعق فنصحه هذا بأن يحيل السفينة الى صخرة عالية عندما يعودون الى شاطىء بلادهم ، ليكون في ذلك عبرة وعقاب . فانطلق بوسيدون الى جزيرة الثياكيين حيث أخذ يترقب عودة السفينة حتى إذا لاحت عند الأفق والتأمت جموع المستقبلين عند الشاطىء وأطلت عليهم السفينة وبدأت تقترب من حوض المرسى تحولت فجأة الى صخرة فنقلوا خبر المعجزة الى الكينوي فأيقن أن بوسيدون قد نفذ وعيده بالاقتصاص من الثياكيين . واستدعى الملك سكان الجزيرة وأمرهم أن يقدموا القرابين لاستعطاف اله البحر لكي لا يطوق مدينتهم بجبل عظيم . فأخذوا يبتهلون الى بوسيدون بلهفة وخشوع كي يستميلوا قلبه وأقسموا له أن يكفوا عن حمل الغرباء الى ديارهم .

أما أوديسيوس فقد استيقظ على شاطىء البحر فلم يتعرف على بلاده اتياكا اذ كانت أثينا قد غطت المناطق المجاورة بضباب كثيف فخيم البأس والقنوط على قلب البطل وظن أن الثياكيين حملوه الى واحدة من الجزر الخاوية وأخذ يشكو ساخطاً مصيره التاعس .

لكنه لما نظر حوله وجد الهدايا قريبة منه ، سليمة لم تمس ففرح وراح يتمشى فوق الشاطىء حائراً لا يدري انّ يتجه واذا به يلقى فتى بالغ الجمال فسأله عن هذه البلاد فأخبره الفتى بأنها اتياكا وسأله بدوره عمن يكون فأجابه اوديسيوس بأنه غريب يعود بأصله الى كريت وانه فرّ منها بعد أن قتل ارخيلوخ ابن ايدومينيوس بسبب ثأر قديم وانه كان ينتوي أن ينتقل على سفن الفينيقيين الى بيلوس أو ايليدا لكن الفينيقيين غدروا به فرموا به فوق الشاطىء بينما كان نائماً وسلبوه أمتعته . واستمع الفتى الى رواية اوديسيوس باهتمام ثم ابتسم ابتسامة مفاجئة وغير هيأته فظهرت الالهة اثينا ـ بالادا أمام ادويسيوس وأثنت على مهارته في اختراع القصص ونفثت فيه

الروح ووعدته بمعونتها وقالت له أنها إذا أمسكت عونها عنه حتى ذلك الوقت فلأنها كانت تخشى إغضاب الاله بوسيدون . ثم أمرته ألا يخبر أحداً بهويته لكنه لم يستطع أن يصدق انه في اتياكا فلما قشعت اثينا الضباب من حوله تعرف البطل على بلاده فهوى على الأرض يقبل التراب . ثم اقتربت اثينا منه ولمسته بصوبجانها فحولته الى متسول عجوز ـ فقد تجعد الجلد على وجهه وكتفه وهزل جسمه وتساقط شعره الأجعد عن رأسه وأكمدت عيناه بينها تغطت وجنتاه بالأخاديد . وألبسته أثينا أخلاق الثياب وحمّلته صرة رثة مربوطة بخيط وأعطته عكازاً وأمرته أن يخبىء هدايا الثياكيين في مغارة ويمضي في هيئته البائسة الى ايوميوس راعي الخنازير ، أما هي فانطلقت مسرعة الى سبارطة لتستدعي تيليماخ ابنَ اوديسيوس .

اوديسيوس وايوميوس

عن «الاوديسية»

عندما اقترب اوديسيوس من كوخ الراعي ايوميوس ألفاه وحيداً عاكفاً على عمله قرب باب منزله ولمحت الكلاب اوديسيوس فهجمت عليه ونبحته بشراسة وكادت أن تمزقه لو لم يسارع اليه الراعي ويردّها عنه .

وخاطبه الراعي بكلامه دون أن يعرفه فقال : ـ ايها الغريب ، كنت موشكاً على أن تهلك وان تضيف حزناً جديداً الى أحزاني السابقة بسبب هلاك اوديسيوس . ولكن هيا بنا الآن الى داخل الكوخ حيث أقدم لك الطعام وحيث يمكنك أن تستريح .

دخل اوديسيوس الكوخ المبني من حجارة غير مشذبة والذي تجاوره حظائر الخنازير وأجلسه الراعي فوق أكوام العشب المنضدة والتي غطيت بجلد غزال ناعم ثم دخل حظيرة الخنازير الصغيرة فأخذ اثنين منها وذبحهما وطهاهما كما صب النبيذ في اناء خشبي ووضع ذلك كله فوق المنضدة . وخلال اعداد الطعام كان ايوميوس يدمدم بالشكوى من الخطاب المتغطرسين الذين يبددون ثروة اوديسيوس ويذبحون قطعانه كما يفعل القراصنة . وأصغى اوديسيوس الى حديثه بانتباه وتصميم وهو يفكر بطريقة يقتص بها من هؤلاء الجناة . وبينما كان يتناول الطعام راح يستفسر الراعي عن سادته فلما أجابه بأن سيده قد هلك أقسم اوديسيوس له بأن سيده سيعود في أقرب وقت . لكن الراعي لم يصدق ذلك وسأل ضيفه عمن يكون فألقى اوديسيوس اليه بواحدة من قصصه الملفقة .

قال اوديسيوس ان اخوته الاكبر سناً قد أساؤوا اليه وظلموه في قسمة الميراث فتزوج بامرأة ثرية حتى أمسى واحدا من الأغنياء ، كما قال انه خاض حروب طروادة وانه عرّج على مصر في طريق عودته الى بلاده وان المصريين قتلوا جميع رفاقه تقريباً لان اليونانيين نهبوا واحدة من مدنهم ، لكنه نجا من المذبحة بعد أن تضرع الى ملك مصر أن يرأف به . وزعم بأنه أقام فيها سبع سنين ثم توجه الى فينيقيا فأقنعه أحد الفينيقيين أن يسافر معه الى ليبيا ففعل لكن زيوس حطم سفينتهم بصاعقة من عنده فلم ينج أحد سواه وقد قذفت به الامواج الى شاطىء بلاد الڤسبروتيين[1] وهناك حدثه ملك الڤيسبروتيين بأن اوديسيوس سيعود إلى بلاده محملاً بالنفائس الثمينة ؛ وتوجه بعد ذلك على سفينة للڤيسبروتيين إلى دوليخيا لكن ربابنة السفينة أضمروا بيعه عبداً فلم يستطع أن يفلت منهم الا بمشقة كبيرة وذلك عندما توقفوا عند شاطىء ايتاكا . وقد صدق الراعي القصة كلها باستثناء ما نقله الغريب عن ملك الڤيسبروتيين وعن عودة اوديسيوس ، بل وعاتبه على أنه

١ـ شعب كان يعيش في ايبيريا ، ويتحدث اوديسيوس عن الڤيسبروت ودوليخيا لكي يعطي لقصته موثوقية اكبر فايتاكا تقع على الطريق الممتدة من ڤيسبروتيا إلى دوليخيا وهي مدينة في أكارنانيا .

يقول ذلك بغية ان يحصل في ايتاكا على بشارة من أقرباء اوديسيوس ، لكن هذا قال له .

ـ اسمع يا ايوميوس ، عدني اذا عاد اوديسيوس أن تعطيني رداءً جديداً أما اذا كذبت عليك فلك ان تقذف بي من أعلى صخرة الى أعماق البحر بعد أن تستدعي جميع الرعيان ليشهدوا مصرعي ، وليكف الأغراب بعد ذلك عن تلفيق القصص الكاذبة .

وسرعان ما عاد الرعاة بالقطعان فذبحوا خنزيراً سميناً وجلسوا معاً لتناول العشاء وخلال ذلك خص الراعي ضيفه بأفضل قطعة من اللحم وقدم له النبيذ ليشرب قبله وهو ما تتطلبه حقوق الضيافة .

ولما فرغوا من تناول العشاء ثارت في الساحة عاصفة هوجاء تصحبها أمطار غزيرة ونزل البَرَد . ولم يكن لدى اوديسيوس ما يتدثر به أثناء نومه فروى لايوميوس والرعاة قصة لمح بها الى غرضه فقال :

ـ اصغ الي يا ايوميوس وانتم ايها الاصدقاء . مرة وعند مشارف طروادة نصبت مع مينيلاوس واوديسيوس كميناً في أجمة للقصب وكان الجو بارداً والثلج ينزل ندفاً كبيرة وكنت قد نسيت أن آخذ معطفي معي فأفضيت بأمري لاوديسيوس فدبر حيلة على الفور اذ نهض من مكانه وايقظ المحاربين الراقدين بالقرب منه وقال بانه رأى حلماً مزعجاً ولهذا فانه يخشى ان يكونوا قد أوغلوا في الابتعاد عن السفن فلا بدّ اذن من إرسال احدهم الى اغاممنون ليرسل التعزيزات . وعلى التو نهض أحد المحاربين فخلع معطفه واتجه مسرعاً الى السفن أما أنا فتناولت المعطف وتدثرت به ونمت قرير العين حتى مطلع الفجر .

أدرك الراعي مرمى القصة فأعد لاوديسيوس مرقداً بجوار الموقد وفرشه بجلود الغنم والماعز ورمى لضيفه بالغطاء الذي يتدثر به عادة في الشتاء ، فنام اوديسيوس نوماً هادئاً بينما تقلد ايوميوس بحمائل سيفه وأخذ رمحه بيده والتف بمعطفه وخرج من الكوخ نحو القطيع الذي يرعى عند قدمي الصخر .

عودة تيليماخ إلى ايتاكا

عن «الاوديسية»

غادرت اثينا اوديسيوس المتخفي في هيئة متسول وتوجهت الى سبارطة فوصلتها بسرعة الريح واتجهت الى قصر مينيلاوس فدخلت غرفة تيليماخ وصاحبه بسيسترات ، وكان هذا يغط في نوم عميق بينما كان تيليماخ يتقلب في سريره لأنه كان دائم التفكير في أبيه متصل الحزن عليه . ودنت أثينا من طرف سرير الفتى وانحنت عليه قائلة :

ـ آن الأوان لتعود إلى منزلك حيث تركت أملاكك . ان الخطاب المتهورين ينتهبونها وسيذهبون بكل شيء اذا لم تعد . ثم لا تأمن تقلّب قلوب النساء ، فإذا ما وافقت أمك على الزواج من يوريماخ نسيتك وانصرفت الى التفكير بأطفالها من الزوج الثاني . عد بسرعة الى منزلك وتذكر شيئاً واحداً وهو أن الخطاب ينصبون لك كميناً وعليك لكي تتجنبه أن تبحر في الليل قرب الجزيرة وتتوقف عند الصباح الباكر في مكان خفي على شاطىء ايتاكا . أما السفينة فأرسلها الى المدينة وتوجه أنت الى الراعي ايوميوس وأنفذ من عنده رسولاً ليبلغ بينيلوب عن وصولك .

وابتعدت اثينا بعد أن أتمت نصائحها .

وعلى الفور ايقظ تيليماخ صديقه وصار يستحثه على السفر في طريق العودة إلى بيلوس ، لكن بيسيسترات اقنعه بالتريث حتى الصباح فليس من اللائق ان يغادروا مينيلاوس تحت جنح الظلام ودون توديعه . فأذعن تيليماخ لنصيحة صديقه ولم تلبث آلهة الفجر ان ظهرت في السماء وأطل الصباح فدخل الملك مينيلاوس غرفة الشابين فاستقبله تيليماخ عند الباب واستأذنه السماح له بالعودة الى بلاده . ولم يشأ مينيلاوس ان يوقف ضيفه عن السفر لكنه طلب منه أن يتريث قليلاً حتى تعد له الهدايا ، ثم عليه ايضاً ان يقوي نفسه بالطعام قبل الانطلاق .

وخرج مينيلاوس ليأمر خدمه باعداد المائدة ثم دعا اليه هيلين وابنه ميغابينت وذهب معهما الى خزائن النفائس ليختار الهدايا لضيفه ، كما أخرجت هيلين رداءً فاخراً نسجته بنفسها وقدمته لتيليماخ ليكون رداءً لعروسه في المستقبل .

تناول الشابان الطعام وتقبلا هدايا مينيلاوسَ وتهيآ للسفر ، وخرج الملك مينيلاوس من قصره يحمل كأساً من الخمرة فدعا باسم الآلهة وأراق الكأس وطلب من الشابين أن ينقلا تحياته إلى الشيخ نسطور ، ولما صعد تيليماخ العربة وآخذ بيديه الأعنة ظهر بغتة فوق القصر عقاب يحمل في مخالبه اوزة فصرخ الخدم وراحوا يجرون وراءه ليذعروه لكنه تعالى في السماء واختفى في الجانب الأيمن من القصر وأدرك الجميع انها آية من الآلهة . وطلب تيليماخ من مينيلاوس تفسيراً لذلك فأطرق ملك سبارطة مفكراً ، لكن هيلين عاجلت الى الردّ بدلاً منه فقالت :

ـ أصغوا الى ما أقوله لكم ! هوذا ما أوحى به إلي آلهة الاوليمب . مثلما أخذ العقاب الاوزة ومزقها هكذا يعود اوديسيوس الى بيته ويمزق الخطاب ، بل وربما يكون قد وصل الى بلاده وبدأ يخطط للانتقام .

فهتف تيليماخ فرحاً : ـ أي هيلين الرائعة . إذا ما أنجز زيوس ما قلته الآن قدستك عند عودتي الى وطني مثلما أقدس الآلهة .

وعند هذه الكلمات ضرب الفتى جياده فانطلقت مسرعة باتجاه بيلوس .

أمضى الشابان ليلتهما في فيرا عند البطل ديوكل ووصلا بيلوس في اليوم التالي ، وطلب تيليماخ من بيسيسترات ان لا يميل به على قصر نسطور لأنه كان يخشى ان يستوقفه الشيخ يوماً آخر ، فوافق بيسيسترات ونقل صديقه إلى السفينة رغم معرفته بأن أباه لن يكون مسروراً لذلك ، بل وصار يستحث تيليماخ على الاسراع بالابحار كي لا يأتي نسطور بنفسه الى الشاطىء اذا ما عرف بعودة تيليماخ فيكون في ذلك سبب لتأخيره . وبسرعة رفع أصحاب تيليماخ السارية وكانوا على وشك الاقلاع عندما وصل العراف ثيوكليمين الى السفينة . كان فارّاً من آرغوس خوفاً من الثأر لجريمة قتل . وتوسل العراف الى تيليماخ أن يرفعه معه في السفينة الى ايتاكا حيث لا يمكن ، ان يطلبه أقرباء القتيل . فوافق تيليماخ وسمح له بالصعود

الى السفينة التي انطلقت بعد ذلك مسرعة تدفعها الريح المواتية في البحر العريض .

آنذاك كان اوديسيوس لا يزال مقيماً عند ايوميوس ، وأراد في اليوم التالي أن يخرج ليجمع هبات المحسنين بل وهَمَّ بأن يطلب من الخطاب أن يقبلوه خادماً عندهم ، لكن ايوميوس أقنعه بالعدول عن ذلك وحدثه عن جلافة هؤلاء القوم وشراستهم . فأخذ اوديسيوس يستفسر عن حال أبيه لايرت وزوجته بينيلوب فحدثه الراعي بكل شيء دون أن يفطن إلى أنه لا يحدث غريباً . وأخيراً طلب اوديسيوس من ايوميوس ان يحدثه كيف وصل بنفسه إلى ايتاكا فرد الراعي بحماسة واندفاع وقال بانه ولد في جزيرة سيرا وانه ابن الملك كتيسيوس ، وقد نزل الفينيقيون يوماً بجزيرتهم فأغروا جارية أبيه الفينيقية المولد بأن تخطفه من أبيه فيحملوها معهم الى بلادها لقاء ذلك ، فوافقت الجارية واقتادت الغلام سراً من القصر وساقته الى سفينة الفينيقيين فانطلق هؤلاء في البحر باتجاه بلادهم وأبحروا مدة ستة أيام فلما كان اليوم السابع قتلت الآلهة ارتيميدا الجارية بسهم من سهامها أما الفينيقيون فنزلوا شاطىء ايتاكا حيث باعوا الصغير عبداً للايرت .

راح اوديسيوس يصغي بانتباه الى قصة الراعي التي انتهت في الهزيع الأخير من الليل ، وأخيراً استسلم الرجلان للرقاد ، لكن نومهما لم يدم طويلاً فما هو إلا وقت قصير حتى تألقت النجمة الصاحية في السماء ايذاناً ببداية يوم جديد .

وفي ذلك الصباح وصل تيليماخ إلى ايتاكا فأرسى في مكان مستور حسبما أمرته أثينا ونزل من سفينته وطلب من صديقه بيرايوس أن يؤوي ثيوكليمين في بيته لبعض الوقت وتأهب للذهاب إلى ايوميوس . وفجأة حلق فوقه عقاب يحمل حمامة في مخالبه فأمسك العراف بيد تيليماخ وقال له همساً :

ـ فأل حسن يا تيليماخ . فلا يوجد في ايتاكا اسرة أشد بأساً من أسرتك وسيمتد حكمكم إلى الأبد .

فرح تيليماخ للنبوءة ، وأرسل برفاق رحلته الى المدينة وانطلق سعيداً الى ايوميوس .

تيليماخ يعود الى ايوميوس . اوديسيوس وتيليماخ

عن «الاوديسية»

استيقظ اوديسيوس وايوميوس في الصباح الباكر فأعدّا طعام الافطار وبدآ يقويان نفسيهما بالطعام . وفجأة قفزت كلاب تيليماخ تبصبص بأذنابها وتطلق نباحها المستبشر للقاء سيدها القادم وتتودد اليه . وتناهى صوت الخطى المقتربة إلى اوديسيوس ثم ظهر تيليماخ عند مدخل الكوخ فقفز الراعي من مكانه وضم اليه الفتى القادم وأخذ يقبله وعبرات الفرح تنسكب من مقلتيه . لقد كان سعيداً بعودته كما يسعد الأب لعودة ابنه الوحيد بعد فراق طويل . ونهض اوديسيوس لكي يخلي مكانه لابنه العائد فخاطبه تيليماخ بمودة وترحيب وقال :

ـ تفضل بالجلوس أيها الشيخ المحترم ! لا تشغل نفسك بأمري فايوميوس سيعد لي مكاناً .

وبسرعة هيأ ايوميوس لتيليماخ مكاناً يجلس فيه وقدم اليه الطعام والنبيذ ، وبينما كان يتناول طعامه سأل الراعي عن الضيف الغريب وعمن جاء به إلى ايتاكا ، فحدثه ايوميوس بالقصة الزائفة التي سمعها من اوديسيوس وطلب منه ان يقبله في بيته . لكن تيليماخ لم يستطع ان يعد بذلك فكيف له ، وهو الفتى الحدث ، ان يتصدى لجموع اولئك الخطاب السفهاء ؟ فهو لا يعد الا بارسال بعض الملابس وسيف يكون هدية للعجوز الغريب ثم ان يبذل له العون حتى يعود الى بلاده . وأبدى اوديسيوس شفقته على تيليماخ واستفسره عن سفاهة الخطاب وسأله ، وهو يتظاهر بالجهل بكل شيء ، ألا ينظر شعب ايتاكا والأقرباء اليهم نظرة العداء ؟ وأنهى كلامه بقوله :

ـ خير للمرء أن يقتل في بيته وهو يجاهد الخطاب المعتدين من أن يحتمل إهاناتهم ويرى اليهم وهم ينتهبون داره ويبددون أمواله .

ولكن ما كان بوسع تيليماخ ان يرد على ذلك ؟ كان له فقط أن يبيّن مدى المصاعب التي يكابدها في التصدي لاولئك الأعداء الذين يبيتون ايضاً النية

لقتله . انه يخشى ان يخبر حتى أمه بعودته ولهذا أرسل اليها ايوميوس وأمره أن يسرّ اليها بنبأ عودته ليبقي ذلك سراً عن الخطاب . أما إخبار العجوز لايرت فكان مهمة منوطة ببينيلوب فعليها أن ترسل اليه واحدة من إمائها اذ كان العجوز يخاف خوفاً شديداً على حفيده .

هرع ايوميوس لينفذ وصية تيليماخ . وما كاد يغيب حتى مثلت الالهة اثينا ـ بالادا أمام ناظري اوديسيوس دون أن يراها تيليماخ وأخرجت اوديسيوس من الكوخ ومسته بصولجانها عن ركن الكوخ فأعادته إلى هيئته السابقة وأمرته أن يكشف لابنه عن نفسه .

ورآه تيليماخ في صورته الجديدة فصاح : ـ أيها الغريب ، انك تظهر الآن في هيئة جديدة . لا ريب أنك واحد من الآلهة الخالدين فارفق بنا وسنقدم لك أعظم القرابين .

فأجابه اوديسيوس : ـ لا ، لست الهاً . بل أنا أبوك اوديسيوس والذي بسببه تحتمل إهانات الخطاب المتغطرسين .

وعانق اوديسيوس ابنه وأخذ يقبله والدموع تتساقط من عينيه . لكن تيليماخ لم يستطع ان يصدق على الفور بأن أباه قد عاد أخيراً الى الوطن . فمنذ هنيهة كان يراه في هيئة عجوز شريد تاعس . فكيف تأتى له أن يتغير هكذا وهل يمكن لأحد من الفانين أن يأتي بمثل هذه المعجزة ؟ وغلبت الشكوك على تيليماخ فأخبره والده بأن الآلهة اثينا حولته رجلاً غريباً ثم اعادته الى هيئته الأولى ، فتهلل وجه الفتى بالسعادة وعانق أباه وهو يبكي ، وفي ذروة الفرح راح يسأله عن طريق عودته وعمن حمله الى ايتاكا فحدثه اوديسيوس بما قدمه له الثياكيون وكيف غيّب هداياهم في كهف عميق وكيف مثلت أمامه الالهة اثينا وأرسلته الى ايوميوس ، وأخذ اوديسيوس يستفسر ابنه عن الخطاب واستبد به السخط والغضب واشتدت لديه الرغبة في ان يرد على إهاناتهم . ولكن هل يمكن ذلك ؟ فالخطاب كثر وقد تجمعوا من كل حدب وصوب حتى صار عددهم مئة وستين رجلاً فهل يستطيع اوديسيوس وابنه ان يجابها لوحدهما هذه الفرقة كلها في حرب مكشوفة . ولكن لاوديسيوس مساعدين قويين يعجز الفانون عن التصدي لهما مهما بلغت قوتهم وهما ـ زيوس

مرسل الصواعق وابنته الآلهة اثينا .

وقرر اوديسيوس ان يتصرف معتمداً على عونها : فكان على تيليماخ أن يمضي الى الخطاب في المدينة ثم يتبعه اوديسيوس في هيئة متسول بمرافقة ايوميوس ، ويتظاهر بطلب صدقات المحسنين وعليه ان يحتمل الاهانات الموجهة اليه مهما بلغ من حدتها ، حتى اذا ما اعطى الاشارة كان على تيليماخ أن يخبىء جميع أنواع السلاح باستثناء ما يتسلح به هو وأبوه . وأهم ما في الأمر كله ان تبقى عودة اوديسيوس سراً لا يعلم به أحد فكثير من الخدم قد نسوا ولاءهم السابق . وناقش الأب وابنه الخطط مناقشة طويلة ومفصلة .

آنذاك وصلت سفينة تيليماخ إلى المدينة فأرسل أصحابه رسولاً الى بينيلوب يخبرها بعودة ابنها والتقى ايوميوس بالرسول عند باب المنزل فمضيا الى بينيلوب . وأعلن الرسول النبأ بصوت جهوري أما ايوميوس فانحنى وأسر للمرأة بما قاله ابنها ففرحت لذلك أعظم الفرح .

وسرعان ما سرت الأنباء إلى الخطاب فاستنفروا وعقدوا اجتماعاً في الساحة ليتبادلوا الرأي فيما ينبغي عمله . ونصح انطينوس بقتل تيليماخ لأنه العقبة الوحيدة في سبيلهم ، لكن امفينوموس لم يوافقه على ذلك فقد كان يخشى أن يسخط زيوس ، وأشار باستشارة الآلهة قبل الشروع في ذلك العمل فإذا وافقوا كان على استعداد ليقتل الفتى بيده أما إذا حجبوا موافقتهم فان من الخير ألاّ يرفع الخطاب أيديهم على تيليماخ . ووافقه الجميع على رأيه ثم دخلوا القصر معاً .

وأعلم الداعية ميدونت بينيلوب بما يهيئه الخطاب فدخلت القاعة وبدأت توبخهم على غدرهم ووجهت كلامها بصفة خاصة إلى أنطينوس الذي كان اوديسيوس قد أسلف له الإحسان فيما مضى وأنقذ أباه من غضب الشعب . وأخذ يوريماخ يهدىء من روعها وقال لها ان الخطاب لن يرفعوا ايديهم على ابنها لكنه كان في الوقت نفسه يفكر بالوسيلة التي يزهق بها روح الفتى البريء .

وفي ذلك الوقت كان ايوميوس قد عاد إلى كوخه ، واعادت اثينا اوديسيوس شيخاً غريباً ليخفى أمره على ايوميوس . وتحدث اليه الراعي بما رآه في المدينة ثم انصرف الى اعداد الطعام للجميع فتناولوا العشاء ثم تفرقوا للرقاد .

اوديسيوس يدخل قصره في هيئة رجل غريب

عن «الاوديسية»

وما أن صبغت أنامل الفجر صباح اليوم التالي بلونها القرمزي حتى توجه تيليماخ الى المدينة . وبينما كان خارجاً أمر ايوميوس بأن يأخذ الغريب الى المدينة ليجمع صدقات المحسنين هناك .

ولما عاد تيليماخ إلى بيته كان اول من قابله مربيته العجوز يوريكليا ففرحت به فرحاً شديداً وصارت تبكي وهي تضمه إلى صدرها . وخرجت الاماء للترحيب بالفتى العائد كما خرجت بينيلوب لاستقباله ، فضمت ابنها الى صدرها وراحت تمطره بأسئلتها عن رحلته وعما انتهى اليه من معلومات ، لكنه أمسك عن الحديث بشيء بل سارع بالخروج الى ساحة المدينة ليأتي بثيوكليمين إلى منزله .

ولما وصل تيليماخ الى ساحة المدينة أحاط به الخطاب وصار كل واحد يتودد اليه بمعسول الكلام وهو يضمر التفكير في قتله ، وبعد قليل وصل الساحة ثيوكليمين مع بيرايوس الذي كان قد أواه في بيته عندما كان تيليماخ غائباً عن المدينة .

ودعا تيليماخ ضيفه إلى الدخول ، فاغتسل كل منهما في الحمام المرمري الفاخر ثم جلسا لتناول الطعام فخرجت اليهما بينيلوب وجلست بالقرب من منضدتهما والغزل في يدها . فروى لها تيليماخ ما وقع له في رحلته الى بيلوس وسبارطة فأحزنها أن يعود ابنها دون أن يعرف شيئاً عن أبيه ، لكن ثيو كليمين هدأ من روعها واكد لها ان اوديسيوس في ايتاكا ولعله يتخفى في مكان ما لكي يعد الاعداد الصحيح للاقتصاص من الخطاب ولولا ذلك لما ارسلت الآلهة علامتها عند عودة تيليماخ .

وبينما كان الثلاثة مستغرقين في حديثهم كان الخطاب يلهون في الساحة

برمي القرص والرمح ، وبعد قليل ساق الرعاة عدداً كبيراً من رؤوس الضأن لتذبح من أجل الوليمة . فدخل الخطاب حشداً متراطماً الى القصر وانصرفوا الى تهيئة أنفسهم للمأدبة ، ثم دعاهم العدّاء ميدونت الى قاعة الطعام .

وفي ذلك الوقت كان اوديسيوس وايوميوس يقطعان الطريق بهدوء نحو المدينة واوديسيوس يتكىء على عكازه متخذاً هيئة سائل زري الهيئة ؛ وكانا قد اقتربا من المدينة عندما قابلهما الراعي ميلانتيوس عند العين التي تستقي منها المدينة . فأخذ يسخر منهما ويسلقهما بالفاظه القاسية فقال :

ـ هوذا وغد يقود وغداً آخر . اين تقود هذا السائل يا ايوميوس الغبي . احترس من أن يحطم أضلاعه الخطاب اذا ما جرؤ على الظهور في قصر اوديسيوس .

ثم سدد برجله ركلة شديدة الى اوديسيوس لكنه لم يتزعزع ؛ وجاهد نفسه كثيراً حتى لا يستسلم للغضب ويضرب رأس ذلك النذل بالأرض فيقتله . أما ايوميوس فتوعده بعودة سيده وبأن أمور المعتدي ستؤول إلى الأسوأ آنذاك . الا ان هذا رد عليه رداً فظاً وقال انه عبثاً ينتظر عودة سيده وان تيليماخ سيهلك على أيدي الخطاب اما ايوميوس فيباع للأغراب وانصرف ميلانتيوس بعد أن أطلق كل هذه التهديدات .

واصل ايوميوس واوديسيوس طريقهما بهدوء حتى اقتربا من القصر فوصلتهما أصوات الغناء وموسيقى القيثارات فقد كانت حفلة الخطاب في أوجها ، فعبر ايوميوس وصاحبه الساحة وهما يتحدثان بصوت عال ، وعند عتبة الباب وفوق كومة من النفايات كان ينطرح الكلب العجوز آرغوس الذي ما أن سمع صوت سيده حتى اشرأبت أذناه وبصبص بذيله عند دنو سيده وحاول النهوض ليهرع لاستقبال سيده غير ان قواه خذلته فقد كان يحتضر بعد ان لقي من اهمال الجميع ما لقيه . وتعرف اوديسيوس ايضاً كلبه الوفي فانحدرت دمعة من عينه سارع الى مسحها بكفه كي لا يلحظها ايوميوس ، واختلجت اطراف الكلب اختلاجة الموت الأخيرة وهدأ . لقد انتظر عودة سيده عشرين عاماً وعرفه حتى وهو في هيئة المتسول .

تقدم ايوميوس الى قاعة الولائم وجلس الى جانب تيليماخ ثم دخل اوديسيوس لكنه لم يتجه نحو الآدبين بل جلس عند المدخل واستند بظهره إلى الباب . فأخذ تيليماخ خبزاً ولحماً وأمر أحد الخُدم ان يحمله إلى اوديسيوس ويبلغه بأن يتقدم بجرأة من المحتفلين ليستجدي . فنهض اوديسيوس وأخذ يتجه إلى الحاضرين فرداً فرداً فأعطاه كل منهم ما سمحت به نفسه الا انطينوس ، فألحف اوديسيوس عليه في المسألة فغضب الرجل المشهور بفظاظته وبطشه ودفع عنه اوديسيوس فمضى عنه هذا وهو يقول :

ـ اجل ، أرى لك عقلاً لا يتكافأ في الحسن مع وجهك ما دمت تبخل علي بكسرة من الخبز الذي ليس في الأصل من حقك .

استشاط انطينوس غضباً حتى انه رفع كرسياً وضرب به اوديسيوس بكل ما أوتي من قوة فأصابه في ظهره لكن اوديسيوس لم يتزحزح من شدة الضرب بل بقي شامخاً كالطود الثابت الا انه هز رأسه متوعداً وعاد الى مكانه بجانب الباب وهو يقول :

ـ ليس عيباً ان ينال الانسان الضرب دفاعاً عما يملك . وإذا كانت الايرينات ، ربات الانتقام يحمين المتسولين فان الموت ينتظر انطينوس هنا بدلاً من الزواج .

ازداد انطينوس هياجاً وثورة على اثر هذه الكلمات لكن الخطاب أخذوا يوبخونه على أنه أهان الغريب الذي دخل فكم مرة دخل الآلهة الخالدون منازل البشر في مثل هذه الهيئات الزريّة . كما شق على تيليماخ أن يرى الإهانات توجه إلى أبيه ، لكنه كظم غيظه وهو يذكر الاتفاق بينهما .

وعلمت بينيلوب ايضاً بما حل بالغريب فزادت كراهيتها للسفيه أنطينوس ودعت اليها الراعي ايوميوس وصارت تستفسر منه عن الغريب فلما علمت منه ان اوديسيوس كان مرة ضيفاً على أب هذا الغريب صاحت :

ـ اؤمن بأن اوديسيوس وتيليماخ سيقتصان أشد اقتصاص من الخطاب عندما يعود الغائب .

ولم تكد تنهي كلامها حتى عطس تيليماخ بصوت مرتفع فسرت الأم لهذه

العلامة وغدت أكثر ايماناً بان الخطاب سيهلكون على يدي زوجها ان عاجلاً أو آجلاً .

أمرت بينيلوب الراعي ان يدعو الغريب اليها لتستعلم منه عن احوال زوجها اوديسيوس ، لكنه رفض ان يذهب اليها من توه وطلب ان تتريث حتى المساء لكي لا يزيد من إثارة الخطاب فوافقت .

وازدادت المأدبة صخباً وضجيجاً .

وحل الليل وكان ايوميوس قد مضى الى منزله منذ وقت غير قصير لكن الخطاب لم يتفرقوا بعد ، وفجأة ظهر عن الباب متسول آخر اشتهر في ايتاكا كلها بنهمه ولجاجته وشراهته للشراب وكانوا يلقبونه بايروس . فلما رأى الغريب في المنزل راح يسعى في طرده لكن اوديسيوس لم ينصرف فأخذ ايروس يهدده بالضرب ما لم يخرج ، واحتدم الشجار بينهما وبلغ مسامع انطينوس فحاول أن يستغله لامتاع نفسه والخطاب فقرر أن يحرش بين ايروس والغريب على الاقتتال ، ووعد المنتصر منهما بأحشاء الماعز المقلية وأن يسمح له بالدخول كل يوم للاستجداء . والتف الخطاب حول اوديسيوس وايروس وحرضوهما على استعراض قواهما . فوافق اوديسيوس على منازلة ايروس لكنه اشترط على الحاضرين ألاّ يمدوا يد العون إلى خصمه ، فأقسم الخطاب على ذلك . فخلع اوديسيوس رداءه الممزق وائتزر به ونظر الخطاب بدهشة الى شدة جسم البطل والى ساعديه المفتولين ورحابة صدره ومنكبيه وسيطر الذعر على قلب ايروس لكنه لم يستطع أن ينسحب لأن العبيد كانوا قد قبضوا عليه وشدوا وسطه واوقفوه في مواجهة خصمه فكاد أن يهوي الى الأرض رعباً ورازه اوديسيوس بنظره وفكر ـ أيقتله بضربة من يده أم يكتفي بطرحه على الأرض ؟ وانتهى الى انه سيثير شكوك الحاضرين اذا ما أنزل بخصمه ضربة قاضية ، ولذلك انتظر حتى ضربه ايروس على كتفه فرد عليه بضربة قوية على صدغه فسقط هذا على الأرض وجأر من شدة الألم فأمسكه اوديسيوس من رجله وسحبه من قاعة المآدب الى خارج البهو وهناك أجلسه بقرب الجدار وألقى فوقه بخلاته البالية وأعطاه عصاه بيده ، ولقنه بذلك درساً لأنه فكر في أن يطرده ـ وهو الغريب ـ من منزله . وسرّ الخطاب لأن الوافد الغريب خلصهم من إلحاح ايروس

وبحاجته فأخذوا يهنئون اوديسيوس على انتصاره وأخذ أحدهم ، وهو أمفينوموس كوب النبيذ ودعا له بأن تعيد الآله اليه الثروة والسعادة . وقد كان أمفينوموس خير الجميع وقد منع الآخرين مرات من الشغب وحمى تيليماخ مرات . وقد عرف اوديسيوس بذلك كله فرغب في انقاذ الرجل ونصحه بأن يبتعد عن ثلة الخطاب وان يعود إلى أبيه لأن اوديسيوس سيرجع قريباً ويكون الموت مصير الجميع ، ولكن امفينوموس لم يصغ للنصيحة وبذلك سار بنفسه إلى لقاء حتفه .

وفي تلك الأثناء أيقظت أثينا ـ بالادا بينيلوب لتخرج إلى الخطاب وتزيدهم رغبة في الاقتران بها ، ولتزيدها ايضاً رفعة في عيون زوجها وابنها لقاء وفائها ومحبتها . فاستدعت المرأة اليها يورينوما وأمرتها أن تستدعي اثنتين من الوصيفات لترافقاها في الخروج إلى قاعة المآدب لتظهر للخطاب . وعندما خرجت يورينوما أسقطت اثينا سنة من النوم على بينيلوب وغمرتها خلال نومها بجمال جعلها تتألق كآلهة الحب افروديتا . ثم أيقظتها الوصيفات من رقادها فنهضت وخرجت الى الخطاب فنظر الجميع اليها باعجاب شبيه بالانبهار ، أما هي فصاحت بابنها وعنفته على انه سمح بأن يتعرض الغريب المسكين للاساءة في بيته . وأصغى تيليماخ الى تعنيف أمه بأدب ، واتجه يوريماخ إلى بينيلوب يطري جمالها الأخاذ فأصغت بينيلوب إليه واجابته بأن جمالها قد غادرها منذ غادرها اوديسيوس وانه لن يعود اليها الا بعودة زوجها . والقت المرأة لومها على الخطاب لأنهم يضطرونها لقبول الزواج المقيت بالنسبة لها ولأنهم يلتهمون مال زوجها . ففي الماضي كان الخطاب يستميلون قلوب النساء بهداياهم لا بتبديد أموال الآخرين . لكن الخطاب لم يدركوا مقصد بينيلوب بل أصغوا اليها بهدوء وأرسلوا خدمهم ليجيئوا بالهدايا الثمينة التي قدموها إلى بينيلوب وهم يظنون انهم يستميلون قلبها بذلك . فقبلت بينيلوب الهدايا بصمت ثم انصرفت الى مخدعها بصحبة وصيفاتها .

ما كادت بينيلوب تغيب حتى أمر الخطاب الجواري بأن يحضرن ثلاثة مصابيح ضخمة ويوقدنها ليزيد ذلك من ألق القاعة وجمالها فأحضرت الجواري المصابيح وطلب اوديسيوس منهن ان ينصرفن الى شؤونهن بينما يهتم هو بأمر المصابيح ؛ غير ان واحدة منهن ، وهي ميلانتو ، أخذت تسخر منه وتشتمه

فهدّدها بأن يشكوها إلى بينيلوب فخافت الجواري ذلك وسارعن بالاختفاء بينما صار اوديسيوس يعنى بالمصابيح ، وحاول يوريماخ ان يسخر منه ويدخل المسرة على قلوب الحاضرين فهتف به قائلاً :

ـ لا ريب في ان احد الآلهة قد أرسل الينا هذا الغريب لكي نقيم ولائمنا في ضوء اكثر اشراقاً . فنحن لا نستضيء بالمصابيح بل بنور صلعته التي لم تبق الأيام فيها شعرة واحدة .

وقهقه الجميع ضاحكين بينما واصل يوريماخ سخرياته من اوديسيوس الذي ردّ عليه بكل هدوء :

ـ ما أشد زهوك بنفسك يا يوريماخ . بل وأنت تحسب نفسك قوياً لا لشيء الا لأن من يحيطون بك جماعة من الضعفاء . فلو عاد اوديسيوس لضاق بك هذا الباب الواسع لسرعة جريك في الفرار .

غضب يوريماخ غضباً شديداً فأخذ ركيزة وضرب بها اوديسيوس بكل قوة ، لكنه حاد عنها فأصابت ذراع الساقي فسقط على الأرض وأسقط الكأس من يده ، فتصايح الخطاب وعبروا عن ضيقهم وسخطهم لأن النزاع ساد بينهم منذ أن ظهر الغريب في مجلسهم لكن تيليماخ قال بأن النزاع قد نشب لسبب آخر هو أن الخمرة قد لعبت برؤوس الجميع وعلى الرغم من استياء الخطاب من كلمة تيليماخ كان لا بد من الانصراف فأترع كل منهم كاسه الأخيرة وشربها ثم تفرقوا .

وعندما تفرق القوم قال اوديسيوس لابنه ان الوقت قد حان لاخراج السلاح من القاعة فاستدعى تيليماخ المربية يوريكليا وأمرها أن تحبس الجواري في غرفتها كي لا يرين كيف يحمل السلاح الذي يجب نقله من مكانه لئلا يفسده الدخان المتكاثر ، فامتثلت المربية لطلبه وأخذ الأب وابنه يحملان السلاح بينما كانت أثينا تنير لهما الطريق بمشعلها . وقد دهش تيليماخ للنور الذي يغمر المكان من المشعل غير المرئي فسأل أباه عن مصدره ، لكن اوديسيوس حذره من كثرة الأسئلة فقد خشي أن تسخط الآلهة عليه بسبب ذلك . ولما تم نقل السلاح توجه اوديسيوس الى مخدع بينيلوب وكانت تنتظر لقاء الغريب بفارغ الصبر لتسأله عن زوجها . أما تيليماخ فاتجه الى مخدعه ونام .

اوديسيوس وبينيلوب

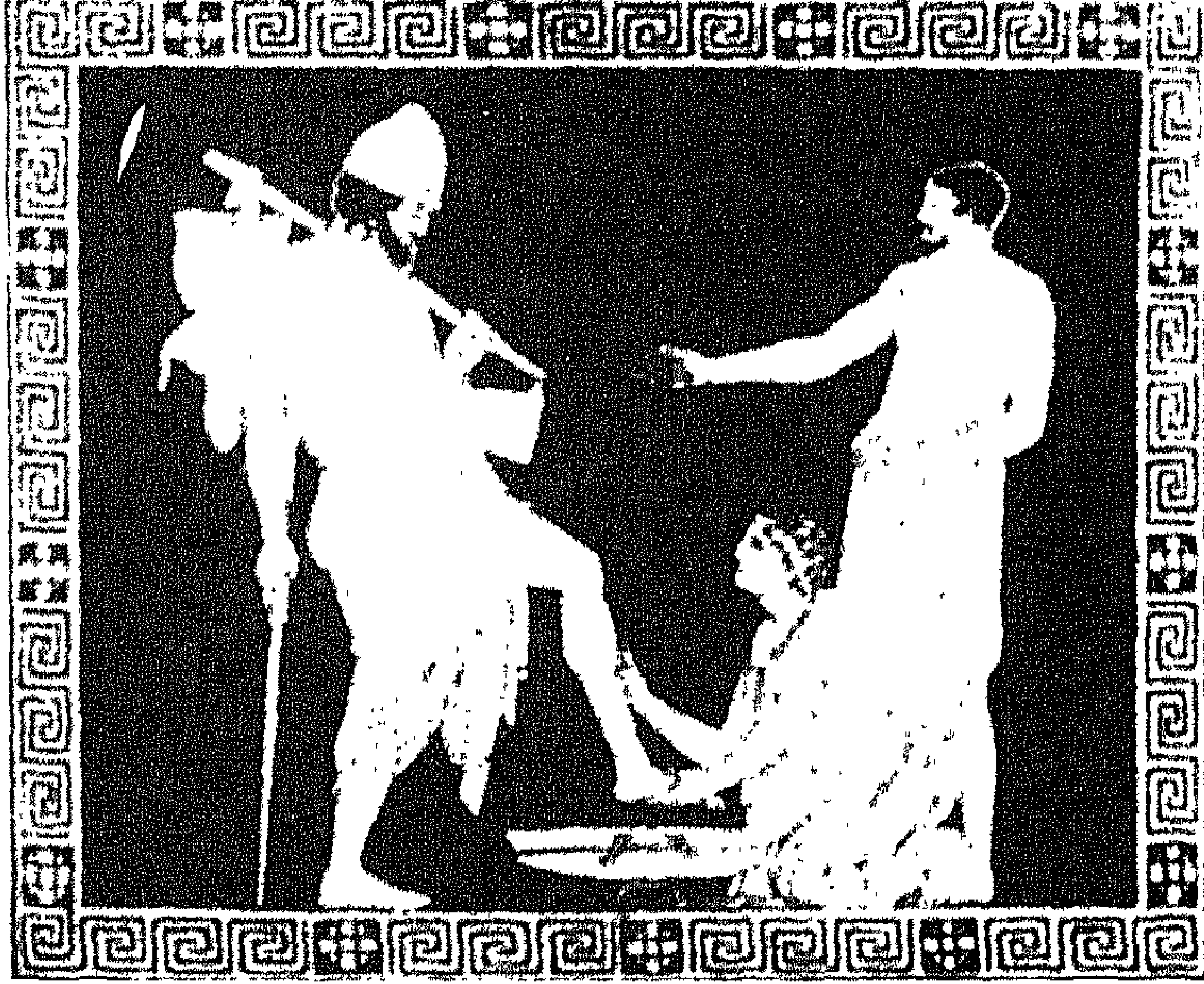
عندما ذهب تيليماخ الى غرفة نومه دخلت بينيلوب قاعة الولائم في وصيفاتها ، وهناك هيأن لها بقرب الموقد مقعداً من العاج مطعماً بالفضة وانصرفن بعد ذلك الى تنظيف مناضد الولائم . وانهالت ميلانتو بشتائمها على اوديسيوس من جديد وهمت بطرده من المنزل وهددته بأن تلقي عليه جمرة متقدة اذا لم يخرج ، فنظر اوديسيوس اليها نظرة شديدة وقال :

ـ ما الذي يغضبك مني ! اذا كنت شحاذاً فهذه قسمتي ، ولكن مر زمان كنت فيه ثرياً ثم ضاع مني كل شيء بارادة من زيوس . من يدري فلعلك أنت تفقدين جمالك وتتعرضين لكراهية سيدتك . على رسلك ، فاوديسيوس عائد وستسألين آنذاك عن وقاحتك . أما إذا لم يعد فتيليماخ هنا ، وهو يعرف كيف يجب أن تسلك الجواري ولا تخفى عن عينيه خافية .

وسمعت بينيلوب كلام اوديسيوس فانتهرت جاريتها قائلة :

ـ أنت دائمة الأذية نحو الجميع ككلب مربوط . احذري فانني أعرف سلوكك وقد يأتي يوم تدفعين فيه رأسك ثمناً لهذا . أم أنك لا ترين أنني أنا التي دعوت هذا الغريب الى هنا .

وأمرت بينيلوب بأن يوضع لاوديسيوس مقعد بجوار الموقد ، فلما جلس بالقرب منها أخذت تسأله عن زوجها فقال بأنه عندما كان في كريت استضاف اوديسيوس في بيته لما نزلت به عاصفة شديدة الجأته الى شواطىء تلك الجزيرة وكان في طريقه الى طروادة . وبكت بينيلوب لما سمعت أن الغريب قد قابل زوجها منذ عشرين سنة . وحاولت أن تتثبت من صحة حديثه فاستفسرته عما كان يرتديه زوجها من الملابس ولم يكن ثمة ما هو أيسر من ذلك على الغريب فوصف الملابس بدقة وتفصيل حتى لم يعد لدى المرأة شك في صدق قوله ، ثم أخذ يؤكد



يوريكليا تغسل قدمي أوديسيوس
(رسم على مزهرية)

لها بعد ذلك أن زوجها حي وانه كان منذ فترة في بلاد الثيسپروتيين وانه سافر من هناك الى دودونا-١- ليسأل مهبط وحي زيوس هناك وقال :

ـ اوديسيوس عائد عما قريب . انه سيصل قبل أن ينصرم العام الحالي بل وقبل أن يظهر القمر الجديد .

ودت بينيلوب لو تصدق محدثها لكنها لم تستطع فما أكثر ما أمضت في انتظاره من أيام وسنين . فأمرت الجواري أن يهيئن مرقداً ناعماً للغريب . وشكرها اوديسيوس على ذلك وطلب منها أن تقوم العجوز يوريكليا بغسل قدميه قبل أن يمضي الى النوم .

---

١ ـ مدينة في ايبيريا في الشمال الغربي من اليونان ، اشتهرت في العهود القديمة بمعبد زيوس فيها ووجود مكان لاستنزال وحيه .

ورحبت المربية بطلب الغريب لأنه كان بكل ما فيه بقامته وبمظهره بل وبصوته أيضاً شديد الشبه بسيدها الغائب الذي طالما حملته على ذراعيها في سابق الأيام . وجاءت العجوز بالماء الساخن في إناء نحاسي وانحنت تغسل قدمي الغريب فلاح أمام عينيها ندب في رجله كانت تعرفه جيداً . ففي يوم من الأيام البعيدة كان اوديسيوس يقوم بالصيد صحبة أبناءاوتوليك على سفوح البرناس فطعن خنزيراً برياً برمحه فارتد عليه الخنزير وضربه بخرطومه فأحدث في رجله جرحاً عميقاً اندمل مع الزمن وبقي منه الندب ، وبذلك الندب عرفت العجوز اوديسيوس فقلبت الحوض من شدة المفاجأة وأراقت ما فيه من ماء وغامت عيناها بالدموع وصاحت بصوت يتهدج من المفاجأة والسرور :

ـ أوديسيوس ! أنت يا ولدي ، كيف لم أعرفك ؟

وهمت بأن تطلق صيحة الفرح لتعلم بينيلوب بعودة زوجها لكن اوديسيوس سارع فغطى فمها بيده وقال هامساً :

ـ أجل ، أنا اوديسيوس الذي هدهدته على ذراعيك ! ولكن إياك أن تنبسي بكلمة واحدة وتكشفي سري والا أوردتني حتفي . وإياك أن تخبري أحداً بعودتي والا أنزلت بك عقاباً لا يعرف الرحمة على الرغم من أنك مرضعتي وحاضنتي . اياك أن تعرف الجواري منك بعودتي وإلا جمعت بك معهن عندما أقتص منهن لسوء مسلكهن .

أقسمت يوريكليا أن تحفظ السر ، وفي سعادة فرحتها بعودة سيدها سارعت وجاءت بماء جديد وغسلت قدميه ، ولم تلحظ بينيلوب شيئاً مما حدث فقد صرفت أثينا انتباهها عن ذلك .

وعندما عاد اوديسيوس الى مجلسه أخذت بينيلوب تشكو مصيرها التاعس وحدثته بحلم رأته منذ عهد قريب ، فقد رأت عقاباً ينقض من السماء ويمزق اوزاتها المنزلية جميعاً ، فبكت وشاركتها البكاء نساء اتياكا جميعاً . ولكن العقاب عاد فجأة فوقف على سطح القصر وهتف بصوت بشري : ليس هذا حلماً يابينيلوب بل علامة لما سيتحقق في المستقبل القريب . فالوز ـ هو الخطاب وأنا اوديسيوس الذي يعود قريباً .

أما اوديسيوس فقال لها إن رؤياها غنية عن التفسير وانها تفسر نفسها بنفسها . لكن بينيلوب لم تقو على تصديق ذلك كله ، وبدت لها عودة زوجها أمراً أقرب الى المحال فقالت للغريب انها صممت في اليوم التالي أن تختبر الخطاب وذلك بأن تحمل اليهم قوس اوديسيوس وتتحداهم أن يشدوه ويرموا به ، وانها قررت ان تختار من بينهم من يصيب الهدف . ونصحها الغريب الاّ تتلكأ في اجراء هذه التجربة وأضاف :

ـ قبل أن يتمكن واحد من الخطاب من شد القوس ورمي الهدف يكون زوجك قد وصل .

وعلى هذه الصورة راحت بينيلوب تتحدث الى الغريب دون أن تفطن الى أنها تتحدث الى زوجها . لكن الوقت كان قد تأخر وكان عليها أن تذهب الى سريرها على الرغم من استعدادها لتمضي الليل بطوله في الحديث الى الغريب . . فنهضت وذهبت الى مخدعها صحبة وصيفاتها وهناك أسقطت اثينا عليها نوماً هانئاً عميقاً .

أما اوديسيوس فهيأ لنفسه مرقداً من جلد ثور وأغنام ورقد فوقه لكنه لم يستطع النوم اذ كان الثأر من الخطاب يملك عليه تفكيره ، واقتربت الآلهة اثينا من مرقده وشدّت من إزره ووعدته بالعون ، وطمأنته الى أن آلامه قد أوشكت على الانتهاء .

وأخيراً أسقطت أثينا النوم على عينيه لكن نومه لم يطل فقد أيقظه نحيب بينيلوب المرتفع وشكواها لأن الآلهة تمنع زوجها من العودة الى بيته . فنهض اوديسيوس ورتب مضجعه وخرج الى فناء قصره وأخذ يضرع الى الاله زيوس أن يرسل اليه علامة في أول كلمة يسمعها ذلك الصباح . وتقبل زيوس ضراعة البطل فجلجل الرعد في السماء . أما أول عبارة سمعها اوديسيوس في ذلك الصباح فكانت دعوة رفعتها الى السماء واحدة من الجواري وكانت تطحن القمح بالرحى ، وقد تمنت في دعوتها أن يكون ذاك آخر يوم تطحن فيه لولائم الخطاب . ففرح اوديسيوس وعرف أن زيوس يؤازره ليحقق انتصاره .

اوديسيوس يقتل الخطّاب

عن «الاوديسية»

عند الصباح دخلت الاماء جملة واحدة الى قاعة الولائم وأخذن يهيئنها لمأدبة جديدة . وأرسلت يوريكليا بعضهن لاحضار الماء وأمرت بعضهن بمسح الأرض وأن تغطى المقاعد بمفارش قرمزية جديدة ، وأن تغسل الأواني والقدور . وبعد قليل دخل تيليماخ القاعة وسأل المربية عن الغريب وكيف قضى ليله ، ثم خرج الى ساحة المدينة . وجاء ايوميوس وفيلوتيوس وميلانتوس بالماعز والأغنام والخنازير وبعجلة لوليمة الخطاب . وحيى ايوميوس وفيلوتيوس الغريب أجمل تحية وأبديا تعاطفهما معه لأنه يضرب في هذا العالم وحيداً دون مأوى . وتذكر فيلوتيوس سيده اوديسيوس وتحسّر على غيابه ونظر الى الغريب وهو يتساءل في نفسه أكتب عليه أيضاً أن يضرب غريباً في هذا العالم . وأخذ الرجلان يضرعان الى الآلهة أن تعيد اوديسيوس الى بيته . ورغب اوديسيوس في أن يطمئن خادميه الوفيين فقال لفيلوتيوس :

ـ أقسم لك بزيوس العظيم وبالموقد المقدس في قصر اوديسيوس بأنك لن تخرج من مكانك هذا الا ويكون اوديسيوس قد عاد ، وسترى بعينيك انتقامه من الخطاب .

ولكن بينما كان ايوميوس وفيلوتيوس يرحبان بالغريب أخذ ميلانتوس الفظ يوجه اليه الشتائم من جديد وهدد بضربه إذا لم يخرج من بيت اوديسيوس . فلم يرد اوديسيوس عليه بل قطب حاجبيه بغضب وصمت .

وأخيراً بدأ الخطاب يتوافدون وكانوا قد أجمعوا على قتل تيليماخ لكن الاشارة التي أرسلها زيوس أوقفتهم فتحلقوا حول المائدة وبدأت الوليمة . ووضع تيليماخ

طاولة ومقعداً لاوديسيوس بقرب الباب وأمر بأن يصب له الطعام والنبيذ وصاح بصوت جهوري يحمل التهديد :

ـ اجلس مطمئناً أيها الغريب وتناول طعامك مع ضيوفي واعلم أنني لن أسمح لأحد أن يمسك بسوء فبيتي ليس مقصفاً تجتمع فيه حثالات البشر بل هو قصر اوديسيوس .

سمع انطينوس كلام تيليماخ فصاح به :

ـ أيها الأصحاب ! ليهددنا تيليماخ ما طاب له ذلك . فلو لم يرسل زيوس إشارته لكنا أسكتناه الى الأبد وقضينا على هذه المقيت !

لكن تيليماخ لم يرد على ذلك التهديد بل جلس صامتاً في مكانه ينتظر الاشارة التي اتفق عليها مع أبيه . وزادت الالهة اثينا الخطّاب شغباً لتزيد جيشان الرغبة الانتقامية في صدر اوديسيوس ، وأثارت كتيسيبوس ، وكان من أكثرهم رعونة وعربدة فصاح :

ـ اسمعوا ما أقول لكم . إن الغريب قد تلقى من تيليماخ نصيباً وافياً من الطعام والنبيذ . فعلينا أيضاً أن نجود عليه بشيء . أما أنا فقد سمحت نفسي له بهذا .

وأخذ كراع ثور وضرب به اوديسيوس بقوة فمال عن الضربة فصاح تيليماخ :

ـ من حسن حظك أنك لم تصب هذا الغريب والا لأنفذت رمحي في صدرك ولكان على أبيك أن يقيم مأتماً بدلاً من الفرح الذي تنتظره . أنذركم جميعاً وللمرة الأخيرة بأنني لا أسمح بأن يهان ضيوفي في منزلي .

لم يرد الخطاب بشيء وكرر اغيلايوس نصحه لهم بأن يتوقفوا عن اهانة الغريب .

وفجأة أثارت الالهة اثينا زوبعة من الضحك المجنون في صدور الخطاب وغشت بصائرهم فصاروا يقهقهون بوحشية وامتقعت وجوههم وجحظت عيونهم وسيطر الهم على أفئدتهم جبالاً ثقيلة ، وصاروا يلتهمون اللحم النيء كوحوش

كاسرة ، وأخذوا في حمأة جنونهم يوجهون سخرياتهم الى تيليماخ بينما جلس هذا هادئاً لا يحفل بهزئهم . وتردد صراخ الخطاب في مخدع بينيلوب أثناء المأدبة الفاخرة ؛ لكن أحداً في التاريخ كله لم يعدّ مأدبة كتلك التي أعدتها الآلهة أثينا وزوج بينيلوب لأولئك الخطاب .

ونهضت بينيلوب أخيراً وذهبت الى الخزين الذي وضعت فيه معدات اوديسيوس وذخائره ونفائسه فأخذت من هناك قوسه العظيمة وكانت فيما مضى ملكاً لايفريت[1] ، وقد قدمها ابنه هدية لاوديسيوس فرفعتها بينيلوب وحملت معها الجعبة المليئة بالسهام واتجهت بهما الى غرفة الولائم فوقفت قرب البهو واتجهت الى الحاضرين بخطابها فقالت :

ـ اصغوا إليّ ! لقد حملت اليكم قوس اوديسيوس . وقد اخترت أن أكون زوجة للذي يستطيع من بينكم أن يحني هذه القوس ويطلق منها سهماً ينفذ في أثنتي عشرة حلقة متتالية .

وسلمت القوس لايوميوس فبكى وهو يرى الى قوس سيده ويحمله الى الخطاب . وشاركه البكاء فيلوتيوس الوفي فأثارا غضب الخطاب ببكائهما . ونهض تيليماخ فثبت في الأرض ركائز ذات حلقات وسوّى ما بينها . وكان أول من حاول أن يحني القوس فشدّه مرات ثلاثاً لكنه عجز عن ذلك ولما حاول في المرة الرابعة أومأ اليه أبوه برأسه فكف عن محاولاته . وحاول كل من الخطاب بدوره أن يشد القوس فكان أولهم ليودوس لكنه لم يستطع حتى أن يحركها لقسوتها فطلب انطينوس من ميلانتوس أن يحضر شحماً يلين به الوتر ، لكن جهود الخطاب ذهبت عبثاً فلم يفلح أحد في شد الوتر .

وفي ذلك الوقت خرج ايوميوس وفيلوتيوس من القاعة وتبعهما اوديسيوس فاستوقف خادميه الوفيين في الساحة وكشف لهما عن شخصيته وأراهما الندب الذي كان قد خلفه الخنزير في رجله ففرح الخادمان وراحا يغمران يديه بالقبلات فهدأ اوديسيوس من روعهما وأمرأن يؤدي كل منهما عمله عندما يمسك اوديسيوس

---

١ ـ ملك أويخاليا (انظر الكتاب الأول ـ هرقل وايفريت) .



اوديسيوس يقتل الخطاب . (رسم على مزهرية) .

بالقوس فيهرع ايوميوس الى يوريكليا ويأمرها أن تحبس الجواري ولا تسمح لهن بالخروج ويسارع فيلوتيوس فيحكم رتاج البوابات . وبعد هذه الاجراءات عاد اوديسيوس الى قاعة الولائم وجلس هادئاً في مكانه عند الباب .

عندما عاد اوديسيوس الى مكانه كان يوريماخ يسخن القوس على اللهب بعد أن انتهى من حكه بالشحم . فلما فرغ من ذلك حاول جاهداً أن يثنيه فلم يفلح . ولما وجد الخطاب أن جهودهم ذهبت عبثاً أجمعوا رأيهم على أن ينصرفوا الى لهوهم على أن يعودوا الى محاولاتهم في اليوم التالي فالتفت اوديسيوس اليهم وطلب أن يسمحوا له بتجريب حظه في ثني القوس فاستقبلوه بالهزء والسخرية بينما كان في قرارة نفوسهم يشفقون أن يُلحق بهم العار أما بينيلوب فاتخذت موقفاً مغايراً وأصرت على أن تعطى له القوس فانتهرها تيليماخ وأمرها أن تعود الى غرفتها وطلب من ايوميوس أن يدفع بالقوس للغريب فاتجه ايوميوس اليه وسط صيحات الاستنكار من جانب الخطاب فذعر الراعي وهم بالعودة لكن تيليماخ صاح به أن يتم ما أمره به فسلم القوس لاوديسيوس وهرع الى يوريكليا ينقل اليها أمر سيده بينما كان فيلوتيوس يحكم رتاج الأبواب .

أخذ اوديسيوس قوسه وراح يتفحصه بامعان كما يتفحص المغني قيثارته قبل أن يبدأ الغناء . ومن غير أن يبذل جهداً كبيراً حنى القوس وشد وتره ثم مرّ عليه باصبعه فأن القوس أنيناً عميقاً وامتقعت أوجه الخطاب . وأرسل زيوس علامته للبطل فتردد هزيم الرعد وتهلل قلب اوديسيوس بالفرح وأخذ من جعبته سهماً وأطلقها في الهدف دون أن يتحرك من مكانه فنفذ السهم من الحلقات الاثنتي عشرة . فالتفت اوديسيوس الى ابنه وقال :

ـ تيليماخ ، ان ضيفك لم يلحق بك العار ! ترى أنني حنيت القوس دون عناء . لا . إن قوتي لا تزال على حالها . فلنقم بإعداد وليمة أخرى لضيوفك ، ولتعزف خلالها قيثارة من نوع جديد .

وقطب اوديسيوس بحاجبيه فكانت تلك اشارة منه الى ولده . فجرد تيليماخ سيفه وأمسك برمحه ووقف الى جانب أبيه يتألق بالنحاس الساطع .

ونزع اوديسيوس رداءه البالي ووقف عند الباب ونثر السهام من كنانته الى الأرض وصاح بالخطاب :

ـ نجحت في إصابة الهدف الأول ، ولي الآن هدف آخر لم أسدد إليه سهامي بعد وسيساعدني أبولون ، صاحب النبال على إصابته .

وبهذه الصرخة سدد اوديسيوس سهمه الى انطيتوس فاخترق السهم عنقه بينما كان يتهيأ لشرب كأس من الخمر فترنح انطيتوس وهو يتخبط بدمائه وضرب الطاولة فقلبها ثم خر صريعاً الى الأرض . فنهض الخطاب يطلقون الصرخات وتدافعوا نحو السلاح الذي كان معلقاً بالجدران لكنهم لم يجدوا منه شيئاً . أما اوديسيوس فصاح مهدداً من جديد .

ـ أيها الكلاب الحقيرة ! أم ظننتم أنني لن أعود . وأنكم سوف توالون النهب والعربدة دون حساب . لا . فالموت الآن بانتظاركم جميعاً .

وعبثاً حاول يوريماخ أن يستعطف اوديسيوس ويجعله يرأف بالخطاب ويقبض منهم ثمناً عالياً لقاء ما بددوه والتهموه من بيته لكن اوديسيوس رفض أن يستمع له ، فقد كان يشتعل رغبة في الانتقام وأدرك الخطاب الا مندوحة لهم من الدفاع عن أنفسهم فجردوا سيوفهم وحاولوا أن يحتموا من سهام اوديسيوس بالمناضد وانقض يوريماخ بسيفه على اوديسيوس لكن سهماً استقر في صدره فخر على الأرض يتخبط في دمه . فانقض امفينوموس على اوديسيوس لكن تيليماخ عاجله بطعنة من رمحه فجندله ثم اندفع جرياً الى الخزين ليأخذ منه السلاح له ولأبيه ولايوميوس وفيلوتيوس فاخرج أربعة دروع وثمانية رماح وأربع خوذات وفي ذلك الوقت كان اوديسيوس يرسل سهامه الى صدور أعدائه فيجندلهم واحداً تلو الآخر . وجاء تيليماخ بالسلاح فلبس الرجال الأربعة عدة الحرب ووقفوا صفاً واحداً في وجه الأعداء وقد جردوا الرماح .

أما الخائن ميلانتيوس فقد لحظ كيف ذهب تيليماخ ليحضر السلاح فتسلل الى الخزينة التي كان تيليماخ قد غفل عن قفلها في غمرة سرعته فأخرج ميلانتيوس منها عشرين درعاً ورمحاً وبهذه الطريقة وصل السلاح الى الخطاب فذعر أوديسيوس اذ رآهم وقد تسربلوا بالسلاح وعرف أن هناك من يقدم لهم العون ؛ وكان

ايوميوس قد لمح الخائن وهو يتسلل الى الخزينة فأخبر سيده بذلك فأمره أن يذهب برفقة فيلوتيوس ويحصرا ميلانتيوس في مكانه ويشدا الباب بالحبال . فتسلل هذان الى الخزينة وميلانتيوس مشغول باخراج السلاح منها فقبضا عليه وطرحاه أرضاً ولويا أطرافه الى الخلف وأوثقاه ربطاً ثم شداه الى دعامة السقف وقالا له ساخرين :

ـ عليك بحراسة السلاح الآن يا ميلانتيوس فقد هيأنا لك مضجعاً مريحاً فلا خشية عليك من الرقاد طيلة الليل .

وتناول كل من الرجلين سلاحاً وسارعا للالتحاق باوديسيوس الذي كان في ذلك الوقت يصد هجوم الخطاب مع ابنه تيليماخ .

آنذاك ظهرت أثينا بالادا لاوديسيوس في هيئة مينطور فاستصرخه اوديسيوس للوقوف الى جانبه ضد الأعداء بينما هدده الخطاب بالموت ان هو فعل .

وازدادت أثينا حنقاً على الخطاب فلامت اوديسيوس على أنه لا يحاربهم بالشجاعة التي حارب بها إزاء طروادة ثم تحولت الى طائر وقف على إحدى دعائم السقف فوق الخطاب ، الذين أشرعوا رماحهم وقاموا بثلاث هجمات على اوديسيوس وتيليماخ وتابعيه الوفيين ، لكن أثينا كانت تحيد سلاحهم في كل مرة . أما اوديسيوس وأصحابه فقد جندلوا أربعة من الأعداء في كل مرة . وخرق فيلوتيوس برمحه صدر كتيسيبوس الوقح وصاح بلهجة النصر :

ـ ستصمت الآن أيها اللعان الوقح ! فهذا ردّي على كراع الثور التي قدمتها لاوديسيوس .

وتهاوى الخطاب صرعى واحداً تلو الآخر . وفجأة لوحت أثينا فوق رؤوسهم بترسها المرعب فأخذوا يتدافعون كالممسوسين في مختلف الجهات كما يتدافع الثيران في الحقول وقد عقصها سرب من الدبابير في وهج الصيف . وأخذ أوديسيوس وتيليماخ وايوميوس وفيلوتيوس يمزقون اعداءهم مثلما تمزق الجوارح الحمائم ، فكان الخطابُ المحتضرون يجأرون بأصوات رهيبة واستحال عليهم أن يجدوا الملاذ في أي مكان . ودنا لييودوس وضرع اليه ان يرأف به لكن اوديسيوس

لم يحفل بضراعته بل قطع رأسه بضربة من سيفه ، ولم يرحم اوديسيوس أحداً سوى المغني فيميوس فقد شفع فيه تيليماخ لأنه كان يغني للخطاب رغم ارادته ، كما انه رحم الداعية ميدونت الذي استتر بجلد بقرة . وأمر اوديسيوس كلاً من فيميوس وميدونت ان يخرجا الى البهو وينتظراه هناك أما هو فتحقق من نتيجة المعركة فاكتشف ان جميع اعدائه قد صرعوا ولم ينج منهم أحد .

اذ ذاك أمر اوديسيوس باستدعاء يوريكليا فأقبلت مسرعة لتراه واقفاً فوق جثث ضحاياه مضرجاً بالدماء شبيهاً بأسد مزق قطيعاً من الثيران . فأمرها اوديسيوس ان تستدعي الجواري اللواتي ابدين تعاطفاً مع الخطاب فأدخلت يوريكليا اثنتي عشرة منهن فتعالى عويلهن وهن يرفعن الجثث وينضدنها في بهو القصر ثم قمن بتنظيف القاعة وغسلها حتى اذا فرغن من ذلك أمر اوديسيوس بشنقهن جميعاً فدفعن حياتهن ثمناً لما اقترفنه في حق اوديسيوس وبينلوب كما الحق اوديسيوس بهن الخائن ميلانتيوس .

وبعد أن نالت الجواري وميلانتيوس العقاب الذي استحقوه أمر اوديسيوس يوريكليا بأن تحضر البخور وتقوم بطقوس التطهير فبخرت القاعة كلها ، واجتمعت إماء اوديسيوس فاحتشدن حول سيدهن وقبلن يديه باكيات سعيدات بعودته ، وبكى اوديسيوس أيضاً وهو يلتقي بساكني قصره .

اوديسيوس يكشف عن نفسه لبينيلوب

عن « الأوديسية »

بينما كان اوديسيوس يستقبل قاطني قصره هرعت يوريكليا الى مخدع بينيلوب فأيقظتها وزفت اليها البشرى السعيدة فقد عاد زوجها وثأر من الخطاب فأفناهم عن بكرة أبيهم . ولم تصدق بينيلوب ما سمعته وظنت ان المربية تسخر منها ، وظلت يوريكليا طويلاً تحاول اقناع سيدتها بتلك الحقيقة وبأن الغريب الذي تحادثت معه طويلاً كان اوديسيوس دون غيره وانها عرفته بندبة في رجله لكنه أمرها أن تكتم سر عودته عن زوجته . وعلى الرغم من كل براهين يوريكليا كان صعباً على بنيلوب أن تصدق بأن اوديسيوس تمكن بمفرده من القضاء على جميع الخطاب ، ووافقت أخيراً ان تمضي الى قاعة الولائم وهناك وجدت نفسها حائرة فيما تفعل وكيف يكون مسلكها : أترتمي في أحضان اوديسيوس أم تطالب بالبراهين على أن ذلك الغريب ـ زوجها . وأخيرا جلست بالقرب من الغريب وأخذت تتطلع اليه بنظرات ثابتة فتارة ترى فيه زوجها بلحمه ودمه وطوراً تحجبه الشكوك ولما رأى تيليماخ ترددها صاح بها قائلاً :

ـ أمي الحبيبة ! اتطوين صدرك على حجر في مكان القلب ؟ زوجك عاد اليك وأنت تجلسين هادئة هكذا ولا تنبسين حتى بكلمة ! هل يمكن لإمرأة سواك ان تستقبل زوجها بمثل هذا البرود وقد عاد اليها بعد كل هذا الفراق الطويل ؟

فأجابته بينيلوب :

ـ أي ولدي ! أنت ترى انني عاجزة من شدة الاضطراب عن أن أقول شيئاً ، فاذا كان الغريب هو حقاً من تقول فان بيني وبين أبيك سراً يمكننا من خلاله فقط ان يتعرف أحدنا على الآخر .

فابتسم اوديسيوس وقال لتيليماخ :



أوديسيوس وبينيلوب
(رسم جداري من بومبي)

ـ أي بني ، لا تلح على امك كثيراً . انها ستقتنع بعد أن تسائلني ومن الصعب عليها أن تتعرف علي وأنا في هذا الرداء . علينا الآن ان نناقش كيف نكتم خبر هلاك الخطاب عن أهل المدينة لنتجنب ثورتهم علينا ، فقد قتلنا أشهر الشبان ولابد أن يهب ذووهم للثأر لهم .

وأمر أوديسيوس الجواري والعبيد أن يغنوا ويرقصوا معاً على أنغام قيثارة فيميوس ليوهموا الناس بأن احتفالاً يجري داخل القصر . فانعقدت حلقات الرقص والغناء فكان المارة يظنون ان احتفال زفاف الملكة على أحد الخطاب قد بدأ .

أما أوديسيوس فقد اغتسل وارتدى ملابس فاخرة ودخل من جديد الى البهو وقد أفرغت عليه اثينا بهاء الهيأ فجلس في مواجهة زوجته وقرر أن يكشف لها سراً لا يعرفه أحد سواهما فاستدعى يوريكليا وأمرها أن تعد له فراشاً فقالت لها بينيلوب :

ـ حسناً ، اعدي له فراشاً يا يوريكليا ولكن في المخدع الذي بناه اوديسيوس . أزيحي السرير من المخدع وضعي الفراش فوقه فصاح اوديسيوس معترضاً :

ـ محال يا ملكتي ! فمن يستطيع أن يحّول ذلك السرير الضخم الذي صنعته بنفسي ! أنت تعرفين جيداً انه مصنوع من جذع زيتونة هائلة الحجم كانت تقوم في ساحة القصر فقطعتها وأحطت جذعها المقطوع بجدار وصنعت منه سريرنا الضخم ثم وشيته بالذهب والفضة والعاج فهل قام أحد في غيابي بنشر الجذع وتحريك السرير .

اذ ذاك أيقنت بينيلوب ان من أمامها هو أوديسيوس، فما كان أحد سواهما يعرف سر بناء السرير . فبكت المرأة وارتمت في أحضان زوجها وصارت تقبله برقة وحنان . وضم اوديسيوس زوجته الى صدره وراح يغمرها بقبلاته كما يقبل الناجي من الغرق تراب الأرض بعد أن ترميه الأمواج الى الشاطىء . وبكى الزوجان طويلاً متعانقين ، وكان يمكن ان تفاجئهما نجمة الفجر وهما على هذه الحالة لو لم تقم اثينا باطالة الليل وتمنع الهة الفجر ايوس الألاقة من الخروج الى السماء .

غادر اوديسيوس وبينيلوب قاعة الولائم وذهبا الى مخدعهما . أما تيليماخ فأمر العبيد والاماء أن يكفوا عن الغناء والرقص . وغرق القصر كله في أحضان الكرى ولم يبق مستيقظاً غير اوديسيوس وبينيلوب ، وقص اوديسيوس على زوجته مغامراته وأصغت المرأة اليه بتفهم وحب وحدثته بما جرى لها وكتب عليها ان تعانيه خلال غيبته الطويلة .

أرواح الخطّاب في مملكة هاديس

عن « الاوديسية »

استدعى الإله هرمز أرواح الخطاب بواسطة صولجانه الذهبي الذي يغمر به أعين الناس ويلقي النوم على الأجفان فتبعته الأرواح وهي تطلق صراخاً مزعجاً . كانت جلبتها أشبه بجلبة الخفافيش التي تهيم مذعورة في مغارة مظلمة عندما يسقط واحد منها وقد انقطع عن الحجر الذي كان متعلقاً به .

انطلقت الأرواح سرباً متراصاً خلف هرمز تتبعه في الطريق المظلم فأخذ يسير بها مبتعداً أكثر فأكثر بجوار مياه المحيط الأشيب وعبر بها بجوار بوابة اله الشمس هيليوس فالبلاد التي تقطنها آلهة النوم ثم بجوار صخرة ليوكادا[1] الى أن وصل بها المروج المغطاة بالأسفوديل[2] حيث تقيم أرواح مملكة الموتى . وكانت روح أخيل في طليعة مستقبليها تسير الى جانبها أرواح باتروكل ، وانتيلوخ واياكس تيلامون . وقد أحاطت بهم جميعاً أرواح الخطاب ثم ظهرت روح أغاممنون فتعرفت على روح أمفيميدونت ، لأن أغاممنون كان قد نزل ضيفاً عنده في اتياكا عندما جاء ليستدعي اوديسيوس للخروج الى طروادة . فبادره أغاممنون بسؤاله :

ـ خبريني يا روح امفيميدونت ، ما الذي جاء بكم هكذا على هذه الصورة . أهي عاصفة بحرية ذهبت بكم جميعاً أم هم الأعداء اجتاحوا بلادكم وقتلوكم وسلبوكم ما تملكون !

وقصت روح امفيميدونت كيف تقدم الخطاب الى بينيلوب ظناً منهم بأن اوديسيوس لن يعود . لكن المرأة كانت صادقة الوفاء لزوجها فيما كانت تود حتى ان

---

١ ـ صخرة بيضاء كان يعتقد انها تقوم عند بوابة مملكة هاديس تحت الأرضية .

٢ ـ زنبق بري ذو لون أصفر باهت .

تسمع بالزواج من جديد . وقد عاد اوديسيوس أخيراً وأنزل بالخطاب انتقاماً قاسياً عقاباً لهم على ما انزلوه في بيته من دمار . ففرحت روح أغاممنون لما عرفت بأن اوديسيوس قهر المصاعب وصاحت :

ـ فلتهنأ بحياتك يا اوديسيوس الحبيب ، سيشتهر وفاء زوجتك وتعيش ذكراها خالدة في نفوسهم إلى الأبد فيغنون بها وينشدون لها القصائد ، أما أنا فقد نالني مصير آخر . لقد خانتني زوجتي أفظع خيانة وستذكر بالشر أبداً بين الناس .

اوديسيوس عند لايرت

وفي الصباح الباكر ارتدى اوديسيوس وتيليماخ وايوميوس وفيلوتيوس دروعهم اللماعة وتروسهم ورماحهم ليخرجوا معاً لزيارة لايرت . وأمر اوديسيوس زوجته بينيلوب أن تلزم القصر ولا تخرج منه لما علم بأن مصرع الخطاب قد سرى في جميع أرجاء المدينة . ثم غادر الرجال الأربعة المدينة الى الضاحية تحجبهم غيمة كثيفة فوصلوا منزل لايرت الذي كان يعيش فيه مع عبيده وجاريته العجوز . فأرسل اوديسيوس مرافقيه ليسبقوه الى ذلك المنزل ويعدوا مائدة هناك أما هو فمضى يبحث عن أبيه فألفاه منهمكاً في عمله : كان يهيء حفرة لزرع فسيلة صغيرة ، وكان رث الهيئة ينتعل في قدميه صندلين ويغطي رأسه بقباء من جلد الماعز وقد تساقط معظم شعره ولف يديه بقفازين خشنين . وبكى اوديسيوس لمرأى أبيه فقد كان يثير الاشفاق بهيئته الشبيهة بهيئة المتسول . وتردد فيما يجدر به عمله : أيكشف له عن نفسه على الفور أم يتريث أملاً في أن يتعرف عليه بنفسه .

وأخيراً قرر اوديسيوس ان يسلك على هذا النحو : فاقترب من أبيه وتظاهر بأنه لا يعرفه فبدأه الحديث وكأنه يتحدث الى عامل بسيط ويستفسر منه عن عمله وعمن يكون صاحب هذا البستان ، كما اختلق قصة جديدة يعرف فيها بنفسه فزعم أنه غريب وأضاف :

ـ سبق لي أن أضفت اوديسيوس في منزلي وقدمت له الهدايا النفيسة وجئت الآن آملاً أن انزل في ضيافته . أخبرني هل وصلتُ الى بلاده ايتاكا ؟ . »

سقطت دمعة كبيرة من عين الشيخ وأجاب :

ـ أيها الغريب ، أنت في ايتاكا ، لكنك لن تلقى اوديسيوس هنا ، وبيته أيضاً وقع في ايادي الأشرار . أما اوديسيوس فربما يكون قد مات وأنا أبوه . ولكن قل لي من أنت ؟ ومن أين جئت ؟

ومن جديد سمى اوديسيوس نفسه باسم ملفق وادار دفة الحديث من جديد عن اوديسيوس فقال بانه استضافه منذ سنوات خمس فبلغ الحزن بالشيخ أشد مبلغ وأخذ التراب بيديه الاثنتين وحثاه على رأسه وأن أنيناً عميقاً من شدة الألم . ولم يطق اوديسيوس أن يتحمل منظر أحزان والده فارتمى عليه وضمه بذراعيه الى صدره وصاح :

ـ أبتي ، أنا ولدك اوديسيوس . وقد عدت اليك بارادة الآلهة . فكفكف دموعك . لقد انتقمت من الخطاب الذين دمروا بيتي .

لم يصدق لايرت كلام ابنه فطلب دليلاً على صحة ما يقول فأراه اوديسيوس ندبة الجرح في رجله وعدّ له الأشجار المثمرة التي أهداها الشيخ له في طفولته . فبكى الشيخ فرحاً وعانق ابنه وهو يصيح :

ـ يا زيوس العظيم . أيقنت الآن ان في الأوليمب المشرق آلهة عادلين ، اذ دفع الأشرار حياتهم ثمن ما اقترفته ايديهم . ولكن أخشى أن يهب أهل ايتاكا الى هنا لينتقموا لمصرع أبنائهم .

لكن اوديسيوس طمأن اباه وسار به الى المنزل حيث نصبت مائدة عامرة . وهناك اغتسل لايرت وارتدى ملابس نظيفة جديدة ووهبته أثينا عافية ونشاطاً جديدين . وجلس الجميع الى المائدة وفي ذلك الوقت عاد دوليوس ، العبد الشيخ ومعه ابناؤه . فلما دخل المنزل وقف مبهوتاً اذ رأى الى المائدة ضيفاً عرف فيه اوديسيوس فاندفع اليه وراح يقبل يديه ويستمطر عليه بركات الآلهة بفرح . وأولم الجميع وليمة فاخرة في بيت لايرت .

ثورة أهل المدينة وصلحهم مع أوديسيوس

ترددت الأخبار في المدينة بان الخطاب جميعاً قد قتلوا على يد اوديسيوس العائد فهرع ذووهم الى قصر اوديسيوس يطلقون صرخات الغضب والاستنكار وحملوا قتلاهم ثم اجتمعوا في ساحة المدينة يتجادلون فيما يجب عمله . وراح العجوز يوبيتوس ، أب انطينوس يؤلب الشعب ليقف بأسره في وجه اوديسيوس ، وينتقم منه لمقتل الخطاب . بينما حاول المغني فيميوس والداعية ميدونت تهدئة الشعب واقناع الجميع بالا يرفعوا أيديهم على اوديسيوس فالآلهة تقف الى جانبه وهلاك الخطاب كان بارادة من زيوس . كما وقف معهما العراف غاليفيريس فذكر المواطنين بنصائحه التي قدمها لهم ونصائح مينطور بالا يسمحوا للخطاب أن يشغبوا في بيت اوديسيوس ، وقال لهم ان المواطنين هم المذنبون الآن ، ومن الأفضل الرضوخ لاوديسيوس لكي لانجر على أنفسنا مصائب جديدة . فوقف شطر من المواطنين الى جانب غاليفيرس بينما اندفع شطر آخر الى السلاح برئاسة يوبيتوس .

كانت الالهة اثينا ترقب ذلك كله من ذروة الأوليمب العالي فسألت أباها زيوس ، مرسل الصواعق :

ـ أبي . قل لي ما الذي قررته ؟ أتثير حرباً عظيمة أم تنشر السلام بين المتحاربين .

فأجابها زيوس بقوله : أي بنيتي الحبيبة . أنت التي قررت ان ينتقم اوديسيوس من الخطاب فانتقم وكان له الحق في ذلك . وسيكون ملكاً على ايتاكا . أما موت الخطاب فسنذروه في غياهب النسيان ، ليسود الوئام والسلام والمحبة في ربوع ايتاكاويتس ، الجميع في وفرة وسلام .

كان ذلك ما رد به زيوس فانطلقت اثينا الى السيتاكا وقد احتشد الأهالي وتقدموا نحو بيت لايرت في جمع غفير ، فرآهم واحد من أولاد دوليوس وأنذر من في البيت فأسرع كل الى السلاح ، بل وأخذ

العجوز لايرت ودوليوس ما يتسلحان به وخرجوا جميعاً الى البهو ينتظرون وصول خصومهم وظهرت الآلهة أثينا لاوديسيوس في هيئة مينطور ففرح لرؤية الآلهة واتجه الى ولده تيليمياخ يخاطبه فقال :

ـ أي بني . ستثبت لي اليوم أنك لا تنسى انحدارك من جنس أصيل اشتهر في الأرض كلها ببسالته .

فهتف تيليماخ قائلاً : ـ أي أبي الحبيب . سترى انني لن آتي بما يشين جنسك المجيد .

وسمع لايرت كلامهما ففاض قلبه السعادة وقال :

ـ يا لليوم الذي خبأته لي الآلهة . ما أسعدني ! فولدي وحفيدي يتباريان في المروءة والشجاعة .

تقدمت الآلهة أثينا من لايرت وأمرته أن يدعو زيوس والالهة أثينا لنصرته ويسدد رمحه نحو الأعداء ويطلقه دون تحديد للهدف فلوح لايرت برمحه واطلقه فحطم الرمح الخوذة النحاسية ليوبيتوس وحطم جمجمته فهوى الى الأرض صريعاً . وانقض اوديسيوس وتيليماخ على الأعداء وكان لجميع مواطني ايتاكا أن يهلكوا لو لم تصرخ الآلهة اثينا بهم :

ـ كفاكم قتالاً يا أبناء ايتاكا . تفرقوا دون اراقة الدماء .

ران رعب شديد على ابناء ايتاكا وسقطت الاسلحة من أيديهم وهووا الى الأرض عند سماع صوت الآلهة حتى اذا عادوا الى رشدهم ، ركنوا الى الفرار ليبقوا على حياتهم . فصاح أوديسيوس بهم صيحة مدوية وانطلق يجري في أثر الفارين . لكن زيوس أرسل صاعقة من يده فسقطت عند قدمي أثينا . فأمسكت الآلهة بأوديسيوس وقالت له :

ـ يا ابن لايرت ، يا شبيه الآلهة ، اهدأ بالاً وكف عن القتال حتى لا تحنق عليك مرسل الصواعق زيوس !

فرح اوديسيوس لكلام الالهة وكف عن مطاردة الفارين . وبعد قليل اتخذت أثينا ـ بالادا هيئة مينطور وأقامت صلحاً بين أهل ايتاكا والملك

اوديسيوس ، صلح وسلام وطيد عزَّزته الأيمان المغلظة من الطرفين .



٤) آغا ممنون وابنه اوريست

مصرع اغاممنون

عن مسرحية اسخيل «أغاممنون»

عندما اتجه اغاممنون في طريقه الى طروادة وعد زوجته كليتيمنسترا بأن يبلغها خبر سقوط المدينة وانتهاء الحرب الضروس ؛ واتفقا على أن يشعل عبيده النيران فوق ذرى الجبال فتنتقل هذه الاشارة من جبل الى جبل حتى تصل قصره فتكون كليتيمنسترا أول من يعلم بسقوط المدينة المجيدة .

وتواصل الحصار تسع سنين مريرة ، ثم حلت السنة العاشرة التي قالت النبوءة أن طروادة تسقط خلالها فكانت كليتيمنسترا تتوقع وصول الأنباء وتنتظر أوبة زوجها في كل يوم ، وتخشى أن يباغتها بوصوله المفاجىء ولذلك ترسل أحد عبيدها في كل يوم عند بداية المغيب فيرقى إلى سطح قصرها المنيف ويمكث هناك الليل بطوله محدقاً في العتمة ، ويجري هذا خلال ليالي الصيف الدافئة وابان العواصف والرياح الهوجاء وفي ايام الشتاء عندما تنزل الثلوج ويجمد البرد الأوصال . وكانت الأيام تمضي تلو الأيام والعبد المطيع ينتظر ظهور الاشارة ، كما كانت كليتيمنسترا تنتظرها أيضاً ولكن ليس من أجل أن تلاقي زوجها بالفرح والسرور ، لا ، فالمرأة قد نسيت زوجها منذ زمن طويل واتخذت زوجاً آخر هو ايجسب وحزمت امرها على قتل أغاممنون يوم عودته المظفرة الى ربوع بلاده .

وكانت الظلمة حالكة السواد وقد دنت الساعات الأخيرة من الليل وأخذ الشرق يصطبغ بألوان الفجر الخفيفة عندما لاحت في البعد نار عظيمة يتصاعد لهيبها فوق إحدى الذرى القاصية . فكانت الاشارة التي طال انتظارها .

لقد سقطت المدينة المجيدة وبعد قليل يعود أغاممنون ؛ ففرح العبد لانتهاء ليالي ترقبه الطويلة وسارع إلى كليتيمنسترا ليزف اليها البشرى المفرحة ، فهل كانت المرأة سعيدة يا ترى .

ولكي تبعد كليتيمنسترا ظلال الشكوك عنها تظاهرت بالفرح والسرور ودعت وصيفاتها فمضين معاً لتقديم قرابين الشكر الى الآلهة . بينما كانت تطوي في جوانحها على أمر آخر .

واجتمع أهل المدينة أيضاً عند قصر أغاممنون فقد وصلتهم الأنباء المفرحة عن سقوط المدينة العظيمة .

وأراد شيوخ المدينة أن يستقبلوا أغاممنون عند بهو القصر على الرغم من أنهم كانوا يرتابون بعودته السريعة ، لكن الرسول الذي وصل قطع شكوكهم إذ أعلن بأن أغاممنون قد أصبح على مشارف المدينة فتظاهرت كليتيمنسترا بالاستبشار والفرح وسارعت إلى القصر وكأنها تتهيأ لاعداد مستلزمات الاستقبال ؛ ولكنها ما كانت تستعد للاحتفال بمقدم زوجها بل لقتله .

وأخيراً لاحت المركبة من بعيد يعتليها أغاممنون وهو يتقدم طليعة جيشه المظفر . كان المحاربون يسيرون وقد تزينوا بالزهور والأغصان المخضوضرة يسحبون وراءهم غنائم لا تحصى وأعداداً من السبايا . وإلى جانب الملك تجلس العرافة كاساندرا ابنة بريام . .وحيى الأهالي عودة الملك أغاممنون بالهتافات العالية وخرجت كليتيمنسترا للقائه وأمرت أن تفرش الطريق الى القصر بالبسط القرمزية اللون ليستقبل الملك كما تستقبل الآلهة ، بل ان اغاممنون تهيب أن يسخط الآلهة اذا ما قبل كل تلك الحفاوة والاجلال فخلع نعليه واتجه الى القصر حافياً تتبعه زوجته الغادرة وهي تحدثه بآلام انتظارها الطويل وما عانته خلال فراقه ، الا انها توقفت عند مدخل القصر وصاحت :

ـ زيوس ! زيوس ! استجب لضراعتي وأعني على إتمام ما انتويته .

ثم دخلت القصر رفقة زوجها .

وتزاحم الأهالي عند بوابة القصر صامتين فقد ران عليهم نذير مأساة مروّعة فلم يتفرقوا .

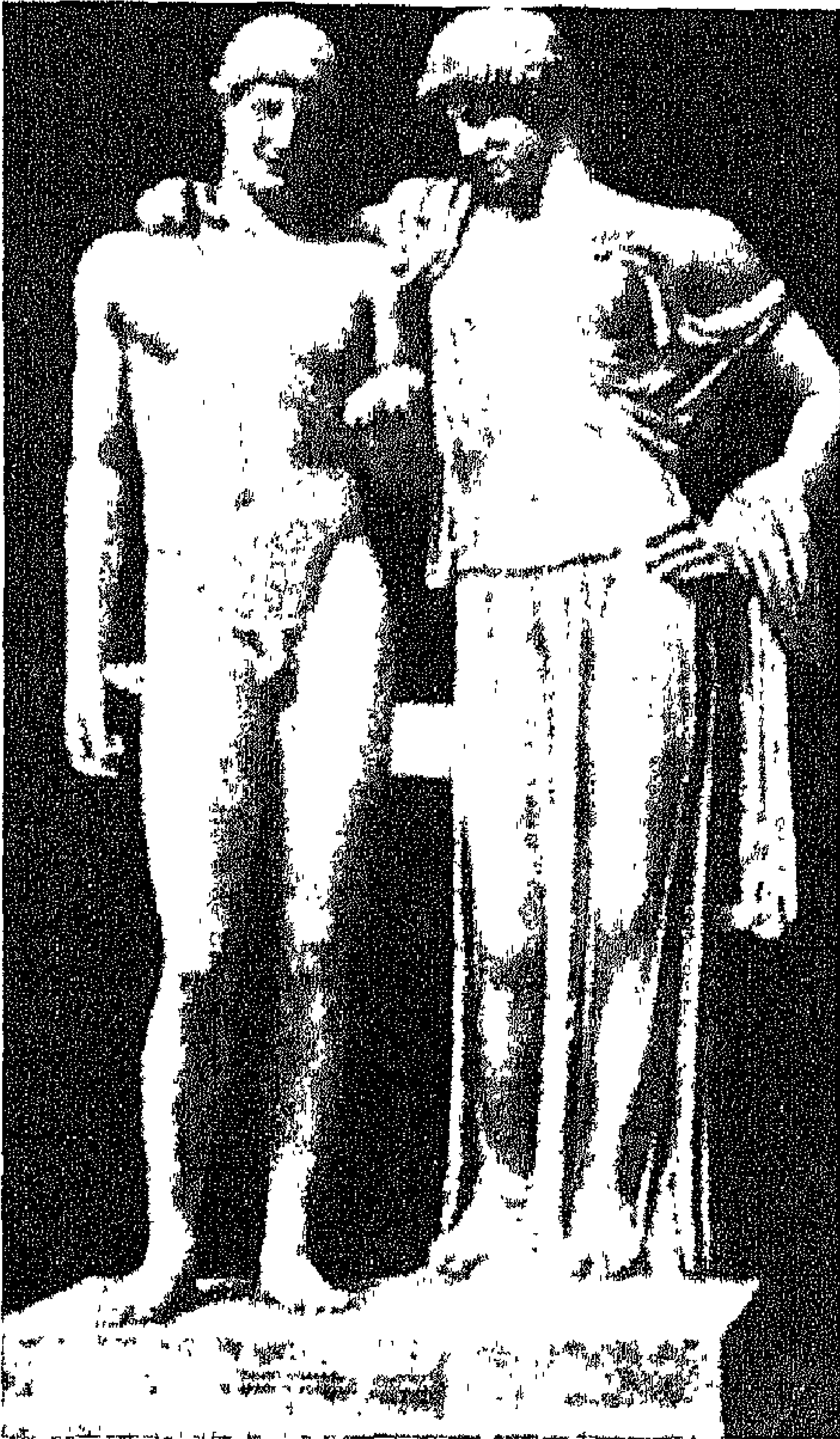
وفجأة مزقت الصمت صرخة رهيبة . لقد قتلت كليتيمنسترا زوجها عندما كان خارجاً من الحمام فقد ألقت عليه غطاء فضفاضاً تخبط فيه كالشبكة ولم يستطع

أن يدافع عن نفسه عندما أهوت عليه بالفأس وضربته ضربات ثلاثاً القته على الأرض صريعاً .

وخرجت كليتيمنسترا الى الشعب ملطخة الثياب وبيدها فأس تقطر بالدماء . فامتلك الرعب جميع المواطنين من فظاعة الجريمة بينما وقفت المرأة مزهوة بما فعلته وكأنما أتت شيئاً عظيماً . ولكن الهواجس بدأت تتسرب إليها بعد قليل وتسري في نفسها وخزات الضمير فلا مفر لها من أن تنال العقاب على جريمتها ولا بد وأن يظهر من ينتقم لأغاممنون وهو ما يخيف المرأة ويعذبها . وبعد قليل خرج ايجيست من القصر وقد ارتدى الملابس الملوكية وأمسك بالصولجان في يده ، وسيطر على الناس الاستياء والاستنكار وكادوا أن يفتكوا بايجيست لو لم تحمه المرأة الغادرة ، ثم أخذ الناس يتفرقون شيئاً بعد شيء وقد آلمهم مصرع أغاممنون البطل ، بينما دخل ايجيست وكاتيمنسترا القصر فرحين بالسلطة التي انتزعاها بالجريمة النكراء . لكن الاقدار لم تسمح لهما بالافلات من القصاص فقد كان العقاب القاسي يترصدهما ، تمسك به يد القدر التي لا ترحم .

اوريست ينتقم لمصرع أبيه

عن مسرحية «خويفوري» أو «الضارعات»[1]



أوريست وايلكترا
(تمثال من القرن الخامس ق.م)

مضت سنوات عديدة على مصرع أغاممنون ، ومرة ظهر بالقرب من ضريحه القائم قرب القصر شابان في ملابس الغرباء . كان أحدهما قد تمنطق بسيفه وهو يبدو في الثامنة عشرة من عمره أما الثاني فبدا أكبر سناً منه بقليل وقد تسلح برمحين . وتقدم الأصغر وجز خصلة من شعره وضعها فوق الضريح . كان ذاك اوريست ابن أغاممنون الذي أنقذته مربيته يوم مصرع أبيه فنشأ بعيداً عن وطنه عند ستروفيوس ، ملك فوكيدا .

أما رفيقه فكان بيلاد ابن ستروفيوس . وما كاد أوريست ينتهي من تقديم تضحيته لأبيه ، حتى ظهرت الجواري في بوابة القصر وبينهن ايلكترا ، ابنة أغاممنون . كانت مثلهن جميعاً قد

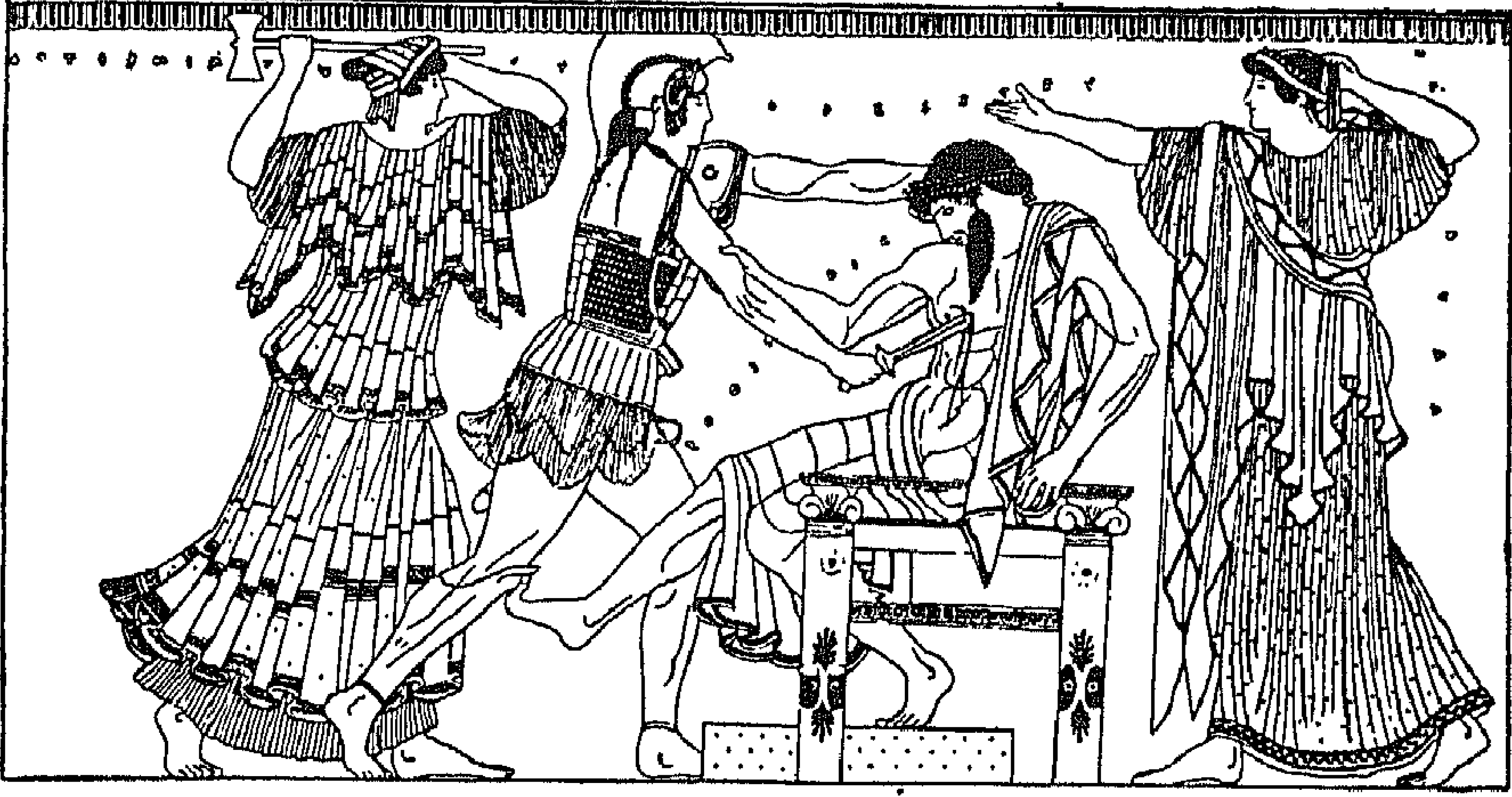
١ـ تعني بكلمة أدق «القائمات بطقوس إراقة الخمر على اسم الآلهة فوق ضريح المتوفى» .

تجلببت بالسواد وقصّت شعرها فليس فيها ما يميزها عن الجواري . وسارع الشابان واختبآ يرقبان ما تفعله الجواري . أما هؤلاء فتقدمن من القبر ودرن حوله مرات ثلاثاً وقد رفعن نواحاً رهيباً . كانت كليتيمنسترا قد أرسلتهن لأنها رأت في الليلة الماضية حلماً مفزعاً أرقها ، وخشيت أن تكون روح زوجها غاضبة عليها فأرسلت الجواري لكي يلطفن من احتدام غيظه . لكنهم كن يكرهن سيدتهن لقتلها زوجها ولأنها كانت تسومهن العذاب ، يزيد من قسوتها عليهن أنهن سبايا من طروادة يذكرنها دوماً بزوجها القتيل .

واستجابت ايلكترا لنصيحة الجواري فاستبدلت ضراعتها الى طيف أبيها بان يستقر ويرتاح وبالطلب إليه أن ينزل انتقامه بكليتيمنسترا ، وما كانت لايلكترا ان تتصرف الا هكذا اذ انها كانت تكره امها القاتلة كراهية لا حدود لها .

ولما انتهت الطقوس وتهيأت الجواري للذهاب رأت ايلكترا خصلة الشعر على الضريح وكانت شبيهة بشعرها فحدست بأنها لأخيها اوريست فرفعتها وفكرت ماالذي يمنع أخاها من الحضور بنفسه الى هذا المكان ولم يكتف بارسال خصلة من شعره ؟ إذ ذاك اقترب اوريست من أخته بهدوء فلم تتعرف عليه لانها لم تره مذ كان طفلاً صغيراً ، ولذلك كان فرحها عظيماً عندما كشف لها عن حقيقته وقال لها بأنه جاء إلى هنا بإرادة الاله ابولون الذي أمره في دلفي بان ينتقم لمصرع أبيه من أمه ومن ايجيست وهدده بأن ينزل به الجنون ما لم يصدع بما أمر . وطلب اوريست من أخته أن تلتزم جانب الحذر فلا تحدث أحداً بقدومه الى المدينة .

ولم يمض الا قليل من الوقت على دخول ايلكترا الى القصر حتى قرع الباب كل من اوريست وبيلاد فخرج الخادم اليهما فأخبراه بأنهما يريدان مواجهة كليتيمنسترا لينقلا اليها أنباء هامة . فدخل الخادم واستدعى سيدته فخرجت الى البوابة وهناك أخبرها ابنها ان ملك فوكيدا قد طلب منه أن ينقل اليها نبأ وفاة أوريست وأنه ينتظر تعليماتها بخصوص جثمانه وكيف يتصرفون به . ففرحت كليتيمنسترا للنبأ السار فقد هلك من كان يهددها بالانتقام وسارعت بنقل الخبر إلى ايجيست الذي كان آنذاك غائباً في المدينة فهرع مسرعاً الى القصر واندفع الى الداخل دون أن



أوريست يقتل ايجيست . تظهر كليتيمنسترا وراء اوريست
وهي تحمل فأساً . وتظهر ايلكترا وراء ايجيست .

يصحب جنده الذين كانوا يقومون على حراسته ليل نهار ، فكان بالانفصال عنهم يسعى الى حتفه ، فما أن دخل القصر حتى عاجله اوريست بطعنة من سيفه فجندله صريعاً ، فخرج أحد الخدم مروّعاً الى كليتيمنسترا يستصرخها للنجدة فأدركت المرأة بأن ساعة القصاص قد حانت .

وفجأة خَرج اليها اوريست والدم يقطر من سيفه فهوت عند قدميه تضرع له أن يرأف بها ، أليست أمه التي أرضعته من صدرها . ولم يكن بيده أن يرحمها فهو ينفذ ارادة أبولون .

وهكذا أمسك بها من يدها وجرّها الى حيث كانت جثة ايجيست وهناك قتلها انتقاماً لأبيه .

وتحت وطأة الرعب والانكار أخذ الأهالي يتجمعون عند بوابات القصر وقد عرفوا بمصرع كليتيمينسترا وايجيست . ولم يبد أي منهم شيئاً من الرحمة للطاغية ايجيست أو للزوجة الغادرة . وفتحت بوابة القصر وشهد الجميع الجثتين

المضرجتين بالدماء يقف فوقهما اوريست والسيف في يده . لقد كان يرى نفسه على حق في كل ما فعل ، فقد كان ينفذ ارادة أبولون بانتقامه لأبيه . ولكن فجأة ظهرت أمامه الايرينيات[1] ، ربات الانتقام اللاتي لا يعرفن الرحمة ، وكانت الأفاعي السامة تتلوى حول رؤوسهن وتشتعل مآقيهن بلهيب الحقد المتلظي ، فارتجفت أوصال اوريست لمرآهن وأحس بان وعيه يضطرب بالتدريج فغادر القصر تطارده ربات الانتقام وانطلق الى مذبح الاله أبولون في دلفي ينشد الحماية من الاله الذي انفذ مشيئته .

ابولون وأثينا ينقذان اوريست من مطاردة الايرينيات «ربات الانتقام»

عن مأساة اسخيل «الايومينيدات»

وأخيراً وصل اوريست الى دلفي المقدسة تطارده الايرينيات المنتقمات ويعذبه التطواف والحزن فجلس هناك في المعبد قريباً من الاومفال[2] ولحقت به الالهات الرهيبات حتى في المعبد ولكن الاله النبّال أسقط عليهن النوم هناك فأغمضن عيونهن الرهيبة .

وفيما كانت الالهات غافلات مَثَل الاله ابولون أمام اوريست وأمره أن يذهب الى اثينا وهناك يطلب الحماية من التمثال القديم لاثينا ـ بالادا . ووعد الاله بتقديم العون للشاب التاعس وقدم اليه أخاه هرمز ليكون دليله في الطريق . فنهض الفتى وتسلل من المعبد بهدوء وانطلق الى اثينا مع هرمز .

١ـ الكلمة تعني باليونانية ـ اللاتي لا يعرفن الرحمة .

٢ـ حجر كبير كان يقوم في معبد دلفي وكان اليونان يعتقدون أنه يقع في مركز الأرض التي كانوا يتصورونها منبسطة .



Эринии преследуют Ореста. *(Рисунок на вазе.)*

الايرينيات يطاردن أوريست

(رسم على مزهرية)

وما كاد الفتى يخرج من المعبد حتى اندفع طيف كليتيمنسترا من بطن أرض المعبد . فلما وجد الربات نائمات بدأ بايقاظهن وتعنيفهن فقد توقفن عن ملاحقة القاتل الذي سفك دم أمه . واستحثت كليتيمنسترا الربات على ملاحقة أوريست الذي غاب والا يمنحنه هنيهة من الراحة . لكن الربات كن غارقات في سبات عميق ، يصدرن غطيطاً في نومهن ويطلقن صرخات مفاجئة متقطعة وكأنهن يطاردن القاتل الفارّ . وأخيراً وبعد مشقّة كبيرة صحت احداهن من نومها فأيقظت أخواتها فاستبد بهن الغضب لما اكتشفن غياب ضحيتهن اوريست وأسقطن الملامة على ابولون لانه انتزع القاتل من أيديهن . غير ان ابولون طردهن من معبده وهددهن بقوسه ونباله فانطلقن سرباً في اثر اوريست يدفعهن غضب عاصف شديد .

في ذلك الوقت كان اوريست قد وصل الى اثينا وجثا عند قدمي تمثال الالهة المجيدة واحتضنها بذراعيه . وسرعان ما أدركته الايرينيات اللاتي بحثن عنه كل مكان . وكن على استعداد لأن يمزقنه لكنهن ما اجترأن على تدنيس حرمة المكان المقدس .

وبلغت صيحات الايرينيات المتوعدة مسامع الالهة اثينا فمثلت أمامهن تتلألأ بأسلحتها الوضاءة . وطالبت الآلهات اثينا وتوعدنها والحنن على أن يسلم اليهن اوريست لينزلن به العقاب على قتله أمه ، بينما كان اوريست يضرع لاثينا أن تحميه ويذكرها بأبيه أغاممنون وبمصرعه الفاجع على يدي زوجته الخائنة . ثم هل كان انتقامه بدافع شخصي ، انه لم يكن غير استجابة لمشيئة ابولون . وراح الشاب يضرع الى الالهة أن تقضي في أمره بنفسها .

تقبلت اثينا ضراعات اوريست ، وعقدت للبت في أمره محكمة (أريوباغ)-١- من بين شيوخ المدينة . ومن ذلك الحين الاريوباغ يعقد في أثينا ويجتمع فوق الهضبة التي ضربت الأمازونات فوقها خيامهن لما هاجمن تيسيوس . ومنذئذ تسمى بهضبة أريس لأن الامازونات كن يقدمن القرابين اليه .

اجتمع القضاة الذين اختارتهم أثينا وجيء بجرتين ليسقط كل منهم حصاة في إحداهما عند الاقتراع . وبدأت المحكمة التي شاركت فيها أثينا في صورة واحد من القضاة المحلفين . وتجمع الشعب ليشهد المحاكمة . كانت الايرينيات يتهمن اوريست ويطالبن بحق وغيظ ان يصدر الحكم ضده ، كما حضر أبولون للدفاع عن اوريست فكان يرافع بهدوء ورباطة جأش مدافعاً عن الشاب وبرّر فعلته بكونه قد اقتص من كليتيمنسترا نظير الجريمة الرهيبة التي ارتكبتها ـ وهي قتل زوجها ،



الايرينيا النائمة
(نقش نافر من القرن الثالث ق.م)

١ـ الاريوباغ ـ محكمة كانت تعقد في اثينا من ممثلي العائلات الكبرى .

البطل العظيم ، الملك أغاممنون ثم انه ـ في نهاية المطاف ـ قد نفذ إرادة الآلهة . واستمع المحلفون الى أقوال الطرفين وبدأ الاقتراع بعد ذلك .

تم الاتفاق على أن يبرأ أوريست اذا ما كان عدد الاصوات للاتهام والبراءة متكافئاً . فلما أحصي عدد الاصوات تبين أن أصوات الادانة تكافيء أصوات التبرئة ، وتبين أن التكافؤ حصل لأن اثينا اقترعت لصالح البراءة قائلة بأنها فعلت ذلك لأنها لا أم لها فهي ابنة زيوس من غير أم .

وهكذا برئت ساحة اوريست. وكان على الايرينيات أن يتوقفن عن المطاردة.

عصف الغضب بالايرينيات لأن المحكمة جردتهن من حقوقهن الأصلية في انزال العقاب بالمجرمين . وهددن بان يسلطن الجدب على ايتاكا بأسرها ويوقعنها في بحر من المصائب . لكن أثينا لطفت من غضبهن ، وأقنعتهن بالبقاء في اتيكا والاقامة في المغارة المقدسة حيث سيقدم أهالي المدينة كل توقير واحترام لهن .

وافقت الربات الرهيبات فسار الأهالي بهن في موكب مهيب بقيادة اثينا وكهنتها الى مذبحهن ـ وهو المغارة القائمة عند قدمي هضبة أريس .

ومنذ ذلك الحين صارت الايرينيات حاميات اتيكا بأسرها وسمّين بالايومينياد ـ أي ربات الرحمة (الصافحات) .

اوريست يذهب إلى تاڤريدا لإحضار تمثال

ارتيميدا المقدس

عن «يفغينيا في تاڤريدا» ليوريبيد

لم يتخلص اوريست نهائياً من عذاب ربات الانتقام فلم ينصعن جميعاً لقرار الأريوباغ وبقي بعضهن متسلطاً على اوريست يحرمنه الهدوء والراحة آناء الليل والنهار . وأخيراً وبعد أن أضناه العذاب والأرق اتجه اوريست الى معبد ابولون في دلفي حيث أمره الاله العظيم أن يخرج الى تافريدا البعيدة[1] ويحضر من هناك تمثال الالهة ارتيميدا المقدس . وكانت المجازفة خطرة فقد كانت قبيلة التاڤر التي تعيش هناك تتقرب الى التمثال بجميع الغرباء الوافدين الى ذلك المكان فكان ممكناً أن يتعرض اوريست لمثل ذلك المصير .

ومع كل هذا توجه اوريست في الطريق البعيد ومبغاه أن يتخلص من عذاب الايرينيات مهما كان الثمن . وبعد أن ضرب مع صديقه طويلاً في البحر وصلا إلى تاڤريدا وخبآ السفينة بين صخور الشاطىء واتجها نحو معبد ارتيميدا دون أن يعلما بأن كاهنته هي يڤغينيا ، اخت اوريست ، والتي هم اليونانيون بالتضحية بها لتلك الالهة ذات يوم . ولم يُقْدم الشابانَ على الغارة على المعبد وانتهاب التمثال في وضح النهار بل انتظرا نزول الليل ، غير ان الرعاة رأوهما فهاجموهما! وقبضوا عليهما بعد صراع طويل ، وشدوا وثاقيهما وجاءوا بهما الى الملك فأمر بتقديمهما قرباناً الى الآلهة .

وفي الصباح حُمل الشابان مقيدين الى المعبد ولم يساور الكاهنة أي شك فكان عليها أن تذبح أخاها بيدها . وفي الليل رأت حلماً أزعجها فقد رأت أن زلزالاً دمر

---

[1] ـ هي منطقة القرم حالياً .



يفغينيا تقود أوريست وبيلاد المقيدين إلى معبد أرتيميدا
(رسم نافر من القرن الثاني ق.م)

قصر أبيها فلم يتبق منه الا عمود واحد تنحدر منه غدائر شعر أشقر ، ورأت نفسها تغسل العمود تمهيداً لذبحه قرباناً ؛ وأيقنت يفغينيا أن شقيقها قد قتل فقررت أن تقدم قرباناً على اسمه ، وبينما كانت تقوم بطقوس القربان ساق الخدم اليها اوريست وبيلاد موثوقين بالحبال فصارت تسألهما عمن هما ومن أي أرض جاءا ولما عرفت انهما يونانيان سألتهما عن أغاممنون وعن أخيها اوريست ولم يكن بمقدور الشابين أن يحدثاها بكثير من الأنباء البهيجة .

وقررت يفغينيا أخيراً أن تضحي بأحد الشابين وأن توجه الآخر برسالة إلى أخيها في اليونان ليعرف اوريست بأن أخته لا تزال على قيد الحياة واذ ذاك فقط تم التعارف بين الأخ وأخته وفرحا لذلك غاية الفرح . وبقي على الثلاثة ان يدبروا طريقة للخلاص والفرار من تاڤريدا .

قررت يفغينيا أن تلجأ إلى الخديعة ، فأخبرت ملك التاڤريين بأن تمثال الآلهة قد مسّه الدنس ولا بد من تطهيره في مياه البحر وتطهير الضحيتين أيضاً قبل الذبح ، فأذن الملك لهم جميعاً بالخروج .

وفي احتفال مهيب ذهبت يفغينيا مع خادمات المعبد الى شاطىء البحر واتجهت الى مخبأ سفينة اوريست . الخادمات يحملن تمثال ارتيميدا بينما كان الخدم يسحبون اوريست وبيلاد في قيودهما الثقيلة . فلما دنوا من البحر أمرت يفغينيا أن يتنحى الخدم جميعاً جانباً فما كان لهم أن يشهدوا طقوس التطهير . فلما غاب الخدم أطلقت يفغينيا سراح أخيها وصديقه الوفي وأسرعت معهما إلى السفينة . وارتاب الخدم لامتداد زمن إجراء الطقوس فاتجهوا إلى الشاطىء ، ويا لدّهشتهم إذ شاهدوا هناك السفينة التي كان اوريست قد أعدّها ليشحن أخته فوقها . فانقض الخدم على الوافد الغريب لينتزعوا منه كاهنتهم وبدأت معركة انتهت بهزيمة الخدم فدخل اوريست ويفغينيا ومرافقوهما السفينة وانحنى الرجال على المجاذيف وانطلقوا في البحر العريض ولكن لم يكن مقدراً لهم أن يغادروا تافريدا بهذه السهولة .

فقد هبت عاصفة هوجاء وضربت السفينة بالشاطىء من جديد وأشرف الجميع على الهلاك بوقوعهم في أيدي ملك التافريين لو لم تهب الالهة اثينا ـ بالادا لنجدتهم . فقد ظهرت لملك التافريين وأمرته أن يسرّح يفغينيا وأخاها وجميع مرافقيهما وكل من يقدمون على خدمة معبد ارتيميدا ليتجهوا الى بلاد اليونان . فامتثل الملك لمشيئة الالهة وبهذا غدا بمقدور يفغينيا ان تعود الى وطنها الذي حملتها الالهة ارتيميدا منه ذات يوم الى بلاد التافريين .

وطابت ريح العودة لسفينة اوريست فلما عاد إلى بلاده قتل أليتوس ، ابن ايجيست الذي كان قد غصب العرش في غيابه ، كما زوج أخته ايلكترا لصديقه الوفي بيلاد الذي قبل بالتضحية بحياته تحت سكين يفغينيا الذبائحية في تافريدا . أما يفغينيا فرسمت كاهنة لمعبد ارتيميدا الذي أقيم على شاطىء البحر في ايتاكا ، غير بعيد عن أثينا .



٥) قصص طيبة

أوديب

طفولته . شبابه

وعودته إلى طيبة

عن مأساة سوفوكل : « أوديب ملكاً ».

كان بوليدور ، ابن قدموس ، ملكاً على طيبة ، وكان له ولزوجته نيوكتيدا ولد اسمه لابداك وقد ورث عرش طيبة ، وولد له ولد اسمه لايوس فورث العرش عن أبيه . ومرة نزل لايوس ضيفاً على بيلوبس وأقام عنده فترة طويلة في بيسا ، الا انه ردّ ردّاً خسيساً على كرم الضيافة الذي أبداه الملك نحوه فقد خطف الطفل الصغير خريسيب ، ابن بيلوبس وحمله معه الى طيبة ، فبرح الحزن والغضب بالأب ولعن لايوس ودعا عليه بأن تقتص منه الآلهة فيقتل على يد ولد من صلبه . وكان على الدعوة أن تتم .

فلما عاد لايوس إلى طيبة ذات الابواب السبعة تزوج يوكاستا ، ابنة مينوكيوس وعاش معها فترة طويلة حياة هانئة لا يكدر صفوها غير شيء واحد وهو عدم انجابه للاطفال . فقرر أخيراً أن يذهب الى دلفي ويستفسر الاله ابولون عن سبب عدم إنجابه . وهناك جبهته الوسيطة ، كاهنة أبولون بردّ رهيب اذ قالت :

ـ ستحقق الآلهة رغبتك يا ابن لابداك ، وترزق بمولود ذكر . ولكن اعلم ان هلاكك على يده وتتحقق دعوة بيلوبس .

تملك الرعب لايوس ، ففكر طويلاً بطريقة يتجنب بها ارادة القدر الغاشم ؛ وقرر أخيراً أن يقتل ولده فور ولادته .

ولم يطل الزمن بلايوس حتى ولد له ولد فأخذ الأب القاسي سيوراً جلدية وشد بها قدمي الوليد ثم ثقب راحتي قدميه بالحديد الحاد ودعا عبداً له وأمره أن يلقي بالرضيع في الغابة البعيدة على سفوح كيثيرونا[1] لتمزقه الوحوش الضارية .

١ـ جبل في اليونان الوسطى بين أتيكا وبيوتيا .

لكن العبد لم ينفذ أمر سيده فقد أشفق على الغلام ودفع به سراً إلى عبد لبوليب ، ملك كورنيث ، وكان العبد آنذاك يرعى قطيع سيده على سفح الجبل فحمل العبد الغلام إلى سيده الملك ، ولما كان الملك محروماً من الأطفال فقد صمم ان يتبنى الصغير ويربيه ولياً للعهد . وأسمى الملك الطفل الصغير أوديب بسبب قدميه المتورمتين من الجراح .

وهكذا نشأ أوديب وترعرع عند بوليب وزوجته ميروبا اللذين تبنياه وسمياه ابناً لهما وكان يحسبهما أبويه ، لكنه بعد أن كبر وأدرك مدارك الرجال كان في مجلس شراب مع رفقة له فذهبت الخمرة بأحدهم فعيّر اوديب بأنه لقيط وكان ذلك صدمة مذهلة للفتى ، فلعبت الهواجس في رأسه وانطلق الى بوليب وميروبا وحاول طويلاً ان يقنعهما بأن يكشفا له سر مولده لكن أياً منهما لم يهدىء خاطره بشيء فقرر أن ينطلق الى دلفي فيستطلع ذلك السر .

وذهب أوديب الى دلفي كواحد من الغرباء البسطاء ، وهنا تقدم بسؤاله ، في مسقط الوحي فأجابه أبولون على لسان وسيطته بقوله :

ـ أوديب ، ما أفجع المصير الذي تنتهي إليه. انك تقتل أباك وتقترن بأمك وينتج عن زواجك هذا أطفال تلعنهم الآلهة ويكرههم البشر .

ارتعدت فرائص اوديب رعباً ، فكيف له أن يتخلص من مصيره التاعس . وكيف يتجنب قتل أبويه والزواج من أمه فالوسيطة لم تسمّ أيّاً منهما .



أبو الهول
(تمثال من القرن السادس ق.م)

وهكذا استقر رأيه على الا يعود ثانية الى كورنيث ، فماذا يكون المصير لو ان بوليب وميروبا أبواه . أيصبح بعد ذلك كله قاتلاً لبوليب وزوجاً لميروبا ! لا ، من

الخير له أن يقضي حياته شريداً أبدياً لا ولد ولا عائلة ولا وطن ، وعلى ذلك استقر قراره .

ولكن متى كان للانسان ان يفر من قدره ؟ لم يكن اوديب يدري أنه كلما حاول أن يبتعد عن مصيره كلما ازداد قرباً من الطريق الذي خطه له القدر .

وهكذا خرج من دلفي شريداً بلا مأوى ، ولم تكن له وجهة معينة يتجه نحوها ، فسلك أول طريق أمامه وكانت الطريق المؤدية الى طيبة ، وفي هذه الطريق وعند قدم جبل بارناس حيث تتلاقى طرق ثلاث ، وفي وسط درب ضيق واجه اوديب عربة تقل عجوزاً أشيب مهيب المظهر ، كانت العربة تسير بتوجيه سائقها ويحيط بها العبيد . وصاح القائد بصوت فظ وأمر أوديب أن يفسح الطريق ولوح بالسوط فوق رأسه فغضب أوديب وصفع السائق وأراد أن يسير بحذاء العربة واذا بالشيخ يلوح بصولجانه ويضرب أوديب على رأسه .

استشاط اوديب غضباً فرد على الشيخ بضربة من عصاه فهوى الشيخ الى الارض صريعاً ، وانقض اوديب على تابعيه وأوسعهم ضرباً باستثناء واحد منهم تمكن من الاختباء ، وبهذا تحققت ارادة القدر فقد قتل اوديب اباه لايوس دون أن يدري . وكان الشيخ لايوس آنذاك في طريقه الى دلفي ليستهدي رأي أبولون في الكيفية التي يتخلص بها من أبي الهول المتعطش للدماء .

ومضى أوديب في طريقه غير عابىء بمسؤولية القتل ، فهو لم يكن البادىء في الهجوم بل كان يدافع عن نفسه . وأوغل الشاب في طريقه أكثر فأكثر في الطريق المرسوم له حتى انتهى به المسير الى طيبة .

كانت مدينة قدموس ترزح تحت وطأة كارثة رهيبة ، فقد أحدقت بها مصيبتان : فأبو الهول الرهيب ، وليد تيفون وايخيدنا ، يربض قرب المدينة فوق جبل سفينغيون مطالباً بفرائس جديدة ؛ وهاهوذا العبد قد أقبل يحمل نبأ مصرع الملك لايوس على يدي رجل مجهول . ولما رأى أوديب أحزان المواطنين قرر أن ينصرهم من المصيبة ؛ وصمم ان يتصدى لأبي الهول بنفسه .

كان الوحش هولة مخيفة لها رأس امرأة وجذع أسد مهول ذي مخالب حادة وجناحين عظيمين . وقد قررت الآلهة أن يظل أبي الهول مسلطاً على المدينة حتى



أوديب يحل أحجية أبي الهول
(رسم على مزهرية).

ينجح أحد البشر بحل أحجيته التي كانت الهات الفن قد طرحتها عليه ، فكان يطرح الأحجية على كل من يمر بجانبه لكن أحداً لم يتوصل الى نتيجة فكانوا يموتون ميتة شنيعة في الأحضان الحديدية لذراعي أبو الهول ذوي المخالب . وحاول الكثيرون من أبناء طيبة الشجعان ان ينقذوا المدينة لكنهم هلكوا جميعاً .

تقدم أوديب من أبي الهول فابتدره هذا بأحجيته المعقدة فقال :

ـ قل لي ، من هو الذي يمشي في الصباح على أربع ، وفي النهار على اثنتين وفي المساء على ثلاث ، وهو فريد بين الأحياء في مشيته فعندما يسير على أربع يكون أقل قوة وأبطأ حركة منه في الأوقات الأخرى .

لم يستغرق حل الأحجية لحظة واحدة من تفكير أوديب فأجاب على الفور :

ـ إنه الانسان ! فعندما يكون صغيرا يكون ذلك في فجر حياته فهو ضعيف يدب على أربع . أما في النهار ، أي في مرحلة نضجه فهو يمشي على رجلين أما في المساء ، أي في شيخوخته ، فيمشي عجوزاً يحتاج الى ما يستند عليه فيأخذ العكاز وهكذا يسير على ثلاث .

وهكذا حل أوديب الأحجية ، فصفق أبو الهول بجناحيه واتجه الى البحر فالقى بنفسه فيه من فوق صخرة شاهقة اذ قضت عليه الآلهة بأن يموت حالما تحل أحجيته .

وعاد أوديب الى طيبة فنصّبه ابناؤها ملكاً عليها ، اذ كان كريونت ، الملك الذي تسلم الحكم في مكان لايوس القتيل ، قد أعلن ان ملك طيبة سيكون ذاك الذي يخلصها من براثن أبي الهول . وحكم اوديب المدينة وتزوج من يوكاستا ، أرملة لايوس وكان له منها ابنتان ـ أنتيغونا واسمينا ، وولدان ـ ايتيوكل وبولينيكس ، وبهذا تحققت النبوءة الثانية فقد تزوج بامه وكان له منها أطفال .

أوديب في طيبة

عن مسرحية سوفوكل : « اوديب ملكاً ».

وصار أوديب ملكاً على طيبة وأخذ في تصريف امور المدينة بحكمة وتعقل وسارت الحياة هادئة مطمئنة لا تعكر صفوها شائبة . لكن القدر كان قد قضى على اوديب بالشقاء ، ولهذا السبب أحدقت كارثة بالمدينة . فقد سلط أبولون ، الإله النبال ، طاعوناً رهيباً على طيبة أخذ يفتك بالشيوخ والشبان حتى صارت أقرب الى ان تكون مقبرة كبرى وصارت جثث الموتى الذين لم يدفنوا تلقى في الأسواق والساحات وتتردد أصداء الصرخات والآهات في كل مكان ، ومن كل مكان تتصاعد زفرات الزوجات والأمهات . ولم يكن المرض فقط حل بالمدينة بل وتسلطت عليها المجاعة أيضاً اذ أمسكت الأرض عن اعطاء المحاصيل وفتك الطاعون بالمواشي ولاحت نهاية المدينة المجيدة . وعبثاً ضاعت القرابين التي قدمها الأهالي للآلهة كما ضاعت ابتهالاتهم أيضاً فقد صم الآلهة أسماعهم وتركوا المدينة للكوارث المدمرة .

أخذ الناس يتجهون جماعات الى الملك أوديب رجاء عونه ومساعدته وبغية أن يهديهم الى طريق الخلاص من الويلات والمصائب التي نزلت بساحتهم ، فهو الذي سبق أن أنقذهم من أبي الهول . وكان أوديب نفسه يعاني من أجل طيبة وقد أنفذ كريونت ، أخ يوكاستا إلى دلفي ليستطلع أبولون طريقة الخلاص من الكارثة . وكان المتوقع أن يعود قريباً فكان أوديب ينتظره بفارغ الصبر .

هوذا كريونت قد عاد يحمل معه ردّ الآلهة . لقد أمر أبولون أن يُطرد من المدينة ذلك الرجل الذي استنزل الويلات على المدينة بسبب وجوده فيها . كان على الأهالي أن يثأروا لدم ملكهم المراق بطرد قاتله من المدينة أو حتى بإعدامه . ولكن كيف يُهتدى الى القاتل ؟ ألم يقتل الملك في الطريق ، ألم يضرب عبيده ماعدا

واحداً ؟ وجدّ اوديب في البحث عن القاتل وقرر أن يجده كائناً من كان ، حتى ولو اختبأ في قصره أو كان أقرب الناس إليه ، ولهذا فأوديب يدعو أهل المدينة إلى اجتماع عام ليستشيرهم في الطريقة التي يقبضون بها على القاتل ، فيشير الشعب الى الكاهن تيرسيوس ويطلب أوديب منه أن يسمي قاتل الملك . وماذا كان بوسع العراف أن يجيب ؟ بلى ، انه يعرف القاتل ولكنه لايقوى على تسميته ، فهو يقول لأوديب :

ـ أوّاه ، بل دعني أعود الى منزلي وسيكون أيسر على كلينا أن نحمل العبء الذي ألقته علينا الآلهة .

لكن أوديب يلح عليه في الطلب ويصيح :

ـ أيها الحقير . انت لا تريد الاجابة . انك بصمتك هذا تفجر الغضب حتى في الصخر .

لقد احتفظ تيرسيوس طويلاً بصمته وطوى جوانحه على سر القاتل ، غير ان كلمات اوديب الغاضبة حركت شجونه فأعلن :

ـ أوديب ، إنك أنت الذي تدنس أرضنا . فالقاتل الذي تبحث عنه هو أنت ! وقد تزوجت ـ دون علمك ـ بالمرأة الأثيرة الى قلوبنا جميعاً ، تزوجت بأمك .

عصف الغضب بأوديب عندما سمع هذه الكلمات فانهال على رأس العراف بالشتيمة والتقريع ونعته بالكذّاب وهدده بالموت وقال له ان كريونت هو الذي لقنه هذه الكلمات لأنه يريد أن يحتل مكانه على العرش . ولاذ تيرسيوس بالصمت وهو يعي وعياً كاملاً انه يقول الحقيقة ؛ فهو يعلم أن اوديب ، وان كان بصيراً فانه لايرى جميع تلك الشرور التي يخلقها بنفسه على غير ارادة منه . فأوديب لايرى أين يعيش ولايرى أنه هو عدو نفسه وعدو أسرته . وتعجز كل التهديدات أن تنال من شجاعة تيرسيوس ، فهو يصارح أوديب بكل جرأة ورباطة جأش بأن القاتل أمامه . فالقاتل ابن مدينة طيبة على الرغم من انه وفد اليها غريباً ، وهو سيقع دون ريب ، في قبضة القدر الغاشم الذي ينزل به عقابه فيغدو كفيفاً بعد إبصار ، وفقيراً بعد إثراء وهو سيخرج من طيبة الى المنفى ويفقد كل شيء .

وأنصت أهل المدينة إلى تيرسيوس وقد شل الرعب ألسنتهم فهم يعرفون أن الكذب لم يعرف سبيله الى شفتيه في يوم من الأيام .

أما أوديب فانه في سورة غضبه يتهم كريونت بتدبير ذلك الأمر رغبة في الاستحواذ على السلطة في طيبة . وتحضر يوكاستا فيحدثها بما قاله تيرسيوس ويتهم أخاها بتدبير مكيدة شريرة ويسألها كيف قتل لايوس وكيف ألقى بابنه الوحيد فوق سفوح كيثيرون فتحدثه يوكاستا بكل شيء وهكذا يتسلل أول خيوط الشك إلى روحه ويثقل فؤاده الحدس بحلول شيء رهيب فيصيح :

ـ أي زيوس ، ما الذي قدرته علي ! أحقاً أن الذي كان بصيراً هو تيرسيوس الكفيف وليس أنا .

ويسأل أوديب عن العبد الذي نجا أين هو ، وهل هو على قيد الحياة ويعلم ان ذلك العبد يرعى القطعان على سفوح كيثيرون فيرسل أوديب في طلبه لأنه يريد أن يعرف الحقيقة كلها بالغة من القسوة ما بلغت .

وما ان تنطلق الرسل لاحضار العبد حتى يصل رسول من كورنيث يحمل نبأ وفاة الملك بوليب الذي فتك به المرض ، وهذا يعني ان ارادة القدر لم تتحقق فقد قدر على أوديب أن يقتل أباه ، وهذا يعني أيضاً أن أوديب قد لايكون ابنا لبوليب . ويسري الأمل في قلب اوديب ان يكون قد تفادى ما حتمه عليه القدر لكن الرسول يحطم ذلك الأمل ، فهو يقول لأوديب أن بوليب لم يكن أباه وانه هو بنفسه كان قد حمله الى ملك كورنيث طفلاً صغيراً وكان أحد رعاة الملك لايوس قد سلمه إليه .

يستمع أوديب الى حديث الرسول برعب وتزداد الحقيقة المروعة وضوحاً في عينيه .

ولكن ها هو ذا الراعي . انه في البداية لايريد أن يقول شيئاً بل يؤثر التكتم على ما يعرفه ، لكن أوديب يهدده بالعقاب الشديد اذا ما أخفى الحقيقة .

وتحت وطأة الخوف اعترف الراعي بأن الطفل الذي كان قد أعطاه للرسول هو ابن لايوس الذي حكم عليه أبوه بالموت بينما تعطف عليه الراعي وأدركته الشفقة من أجله .

كم تمنى أوديب آنذاك لو انه مات طفلاً بريئاً وكم أنحى على الراعي باللائمة لأنه حال بينه وبين الموت في ذلك الوقت ، فقد اتضح كل شيء امامه الآن ، فهو يعرف من خلال أحاديث يوكاستا بموت لايوس ويعرف انه هو الذي قتل أباه ويتضح له من كلام الراعي انه ابن لايوس ويوكاستا . وهكذا نفذت مشيئة القدر رغم كل محاولات اوديب ان يتفاداها . وفي يأس قاتل يدخل اوديب القصر . انه قاتل ابيه وزوج أمه ، وأطفاله هم في الوقت نفسه بنوه واخوته من أمه .

وتنتظر اوديب في القصر صدمة جديدة ، لقد كانت يوكاستا أضعف من أن تحتمل هذه الأهوال التي تكشفت أمامها فشنقت نفسها في غرفة نومها ، وفي دوامة الحزن الذي لايوصف ينتزع أوديب الدبابيس من ثياب زوجته ويفقأ بها عينيه . انه لم ير من حقه بعد هذا كله ان يشهد ضياء الشمس ولا أن يرى أطفاله فقد مات بالنسبة له كل شيء ولن تعود ثمة اية مسرة في حياته ، وهو يرجو كريونت أن يطرده من طيبة ولا يطلب منه غير شيء واحد وهو أن يعنى بالأطفال .

موت أوديب

عن مأساة سوفوكل : « أوديب في كولونا ».

لم يقم كريونت بطرد أوديب من طيبة على الفور ، فعاش بعض الوقت في قصره معزولاً عن الجميع في أحزانه . لكن أهالي طيبة كانوا يخشون ان يجر وجوده بينهم غضب الآلهة على طيبة ، فصاروا يطالبون بالاسراع في طرده من المدينة . ولم يعترض ولداه ايتيوكل وبولينيكس على ذلك القرار فقد كانا يريدان ان ينفردا بحكم المدينة ، فطرد أهالي طيبة الشيخ من مدينتهم واقتسم ولداه السلطة مع كريونت .

خرج أوديب الى المنفى شيخاً محطماً محروماً من النظر . وكان الهلاك المحتوم بانتظاره لو لم تقم ابنته انتيغونا ، الفتاة الباسلة القوية الروح بتكريس حياتها لخدمته ، فرافقته في حياة التشرد وأخذت تقوده من بلد الى بلد . فكانت تسير به برفق عبر الجبال والغابات المظلمة وتقاسمه مصائبه ومخاطر طريقه الوعر .

وبعد تطواف طويل وشاق وصل أوديب الى مدينة أثينا في ايتاكا . ولم تعرف الفتاة الى اين وصلت بأبيها فقد لاحت أمامها أسوار المدينة وبروجها تسبح في ضياء الشمس الصباحية المبكرة ، والى جانبها تخضر غابة من شجر الغار تخللتها أغصان اللبلاب والكرمة . وفي الغابة كانت شجيرات الزيتون الفضية المخضوضرة تتألق من مكان الى آخر وتنطلق من أعماق الغابة زقزقة البلابل المغردة ، وتتساقط مياه الجداول في الوادي الأخضر مصدرة خريراً صاخباً وفي كل مكان تتمايل نجيمات زهر النرجس وتصفّر زهور الشافران العطر . وجلس الشيخ العجوز المحطم تحت شجرة غار في تلك الغابة الخضراء بينما تأهبت انتيغونا لتخرج قليلاً فتسأل عن ذلك المكان . ومر بهما عابر سبيل فقال لهما إن المكان هو

كولون[1] وهو مكان قريب من أثينا وان الغابة التي يجلس اوديب فيها وقف للايومينيدات وان المنطقة من حولها وقف للاله بوسيدون والعملاق بروميثيوس أما المدينة التي ترى من الغابة فهي أثينا ويحكمها البطل الأعظم تيسيوس ابن اينيوس . فلما سمع اوديب ذلك توسل الى ذلك المواطن ان يرسل في طلب تيسيوس لأنه أراد أن يقدم له مساعدة كبرى اذا ما وافق على هذا ان يمنحه الحماية لفترة قصيرة . وكان من الصعب على المواطن ان يصدق ان بامكان ذلك الشيخ العاجز الضرير تقديم العون لملك أثينا المعظّم . فواصل طريقه والشك يملأ قلبه متجهاً الى كولون ليتحدث هناك عن الشيخ الضرير الجالس في الغابة المقدسة والذي يعد تيسيوس نفسه بمساعدة كبيرة .

ولما عرف اوديب انه صار في غابة الايومينيدات المقدسة أدرك ان ساعته الأخيرة قد دنت فاقتربت نهاية مآسيه ، فقد كهن له أبولون منذ زمن بعيد أنه سيموت ، بعد آلام من معانيات قاسية ، وفي الغابة المقدسة للربات المجيدات - ان جائزة كبرى ستمنح لمن يهب الحماية وبينما تقتضي الالكمة ممن يقوم بطرده . وادرك أديب آنذاك بان الرّبات المجيـدات - هن الايومينيدات اللاتي ظللن يطاردنه طيلة حياته دون رحمة ، ويؤمن الآن بأن الراحة والهدوء سيمنحان له.

وفي ذلك الوقت كان أهالي كولون يتسابقون الى غابة الايومينيدات ليعرفوا من الذي اجترأ على اقتحامها ، فأهالي المنطقة لايجرؤون حتى على لفظ أسماء الآلهات المخيفات ولايرفعون أنظارهم الى المذبح القائم هناك . وماكاد أوديب يسمع أصوات أهل كولون حتى طلب من ابنته أن تتوغل في الغابة لكنه عندما سمع أهل المدينة يرمونه بتدنيس المكان خرج اليهم وأسمى نفسه ! فلحق بهم الرغب إذ رأوا أوديب أمامهم . فكل اليونانيين يعرفون مصيره الرهيب ويعرفون الجرائم التي اقترفها على غير علم منه . لا انهم لن يسمحوا له بالبقاء في ذلك المكان خشية اغضاب الآلهة ، فهم يصمّون آذانهم عن ضراعاته وضراعات ابنته ويطالبونها بالاجلاء عن كولون في التو واللحظة . فهل حرم على أوديب أن يجد ملاذاً حتى في أثينا المدينة المقدسة التي طبقت شهرتها آفاق اليونان وعرفت بالمدينة

١ - تبعد كولونا عن أثينا مسافة سبعة كيلو مترات تقريباً .

التي لا تمنع حمايتها من يطلبها . إن اوديب جاء الى هنا على غير ارادة منه وكان يمكن لمجيئه ان يحمل الخير لأهل المدينة ، وأخيراً يسألهم اوديب أن يمهلوه على الأقل حتى وصول تيسيوس ليقضي له بالبقاء أو يحكم عليه بالطرد .

وافق الأهالي على انتظار تيسيوس ، وظهرت في ذلك الوقت مركبة تحمل امرأة ترتدي قبعة فيسالية واسعة الأطراف ، تغطي وجهها . وتتفحص انتيغونا المركبة بأنظارها ويتراءى لها أن المرأة ـ اختها اسمينا . وتقترب المركبة وتزداد انتيغونا امعاناً في من بداخلها فتتعرف على اختها اسمينا وتهتف بصوت عال :

ـ ابتي ، ارى ابنتك اسمينا تدنو منا وستسمع صوتها بعد قليل .

وتقف المركبة فتترجل الفتاة وتجري لتلقي نفسها في أحضان أبيها قائلة :

ـ أبتي ، أبتي ، أيها التاعس . ها أنذا أعانقك أيضاً يا أنتيغونا .

ويفرح أوديب لمجيء ابنته الثانية فقد صارت ابنتاه الى جانبه ، انتيغونا الرقيقة الوفية واسمينا التي مانسيت أباها أبداً والتي تزوده دوماً بأخبار طيبة .

وها هي ذي الآن . لقد لحقت بأبيها لتنقل أشد الأنباء ايلاماً . فولداه بدآ بحكم المدينة معاً ، غير أن الأصغر ايتيوكل تنكر لأخيه وانفرد بالسلطة لوحده وطرد شقيقه الأكبر بولينيكس من المدينة ، فاتجه هذا الى آرغوس حيث استحصل على عون لنفسه ، وهو الآن يقود حملة ضارية ضد طيبة لكي يسترد السلطة أو يسقط قتيلاً دونها . وأضافت أسمينا أن مسقط الوحي في دلفي قد كهن بالنصر لذلك الذي يكون اوديب الى جانبه . وكانت اسمينا على ثقة من أن كريونت الذي يصرف أمور السلطة مع ايتيوكل سيظهر قريباً في ذلك المكان لكي يقبض على اوديب بالقوة ، لكن أوديب لا يريد أن يقف الى جانب هذا او ذاك من ولديه فهو يحنق عليهما انهما آثرا شهوة الحكم على واجبات البنوة ، وهو يرفض أن يمد يد العون الى ولديه اللذين لم يعترضا بكلمة واحدة على طرده من طيبة . لا ، لن يحققا حكم طيبة بعونه . فليبق اوديب في مكانه هذا وليكن حامي أثينا .

وينصح أهالي كولون الشيخ اوديب بأن يقدم قرابين الاسترحام الى الايومينيدات ما دام قد قرر البقاء في أثينا الى الأبد ، فيطلب اوديب ان يقوم أحدهم بتقديم هذه القرابين فهو شيخ ضرير عاجز ، وتنبري اسمينا للقيام بذلك

العمل فتتوغل في داخل الغابة .

ما أن تغيب أسمينا حتى يدنو من الغابة تيسيوس مخفوراً بثلة من حرسه ، وهو يحتفل بأوديب باجلال وتعظيم ويعده بالحماية فهو يعلم ما حل بساحته من محن ويعرف ما قاسى من الآلام . وقد سبق له نفسه ان عانى الكثير من تقلبات الدهر وتصاريف الغربة ، ولهذا لن يحجب حمايته عن ذلك المشرد التاعس اوديب .

يشكر اوديب تيسيوس ويعده خيراً ويقول بان ضريحه سيكون أبداً الحامي الأمين لأثينا .

لكن لم يكن مقدراً لأوديب أن يجد لنفسه الراحة على التو فما أن يغيب تيسيوس حتى يتقدم كريونت بثلة من الجند انه يريد ان يحتاز على اوديب من أجل أن يضمن لنفسه ولايتيوكل النصر على بولينيكس وعلى انصاره ولهذا يحاول ان يستميل اوديب ويقنعه بأن يذهب معه الى طيبة ويعده بأن يهيء له حياة طيبة هناك بين أهله محاطاً بالرعاية الدائمة ، لكن قرار اوديب لا عودة فيه ، ثم هو لايثق بكريونت.ويدرك ما الذي يدفعه الى بذل هذه الوعود . لا لن يذهب معه ولن يهب النصر لاولئك الذين دفعوا به الى كل هذه المآسي .

وأمام إصرار اوديب أخذ كريونت يخاطب بلهجة الوعيد والتهديد وأنه سيرغمه بالقوة على المضي معه الى طيبة ، لكن أوديب لا يأبه للتهديد فهو في حماية تيسيوس وجميع الاثينيين. ولكن كريونت يخبر الشيخ الضرير بأنه قد ألقي القبض على ابنته اسمينا ويهدد بالقاء القبض على الثانية بل ويسارع الى انجاز وعيده فيأمر بالقبض على الفتاة وتذهب ضراعاتها الى الاثينيين عبثاً وعبثاً تبسط ذراعيها نحو أبيها لكنهم يسحبونها رغماً عنها . لقد أصبح أوديب بغير نصير الآن وجردوه من العينين اللتين تبصران من أجله ؛ فيُشهد الايومينيدات على ما نزل به ويلعن كريونت ويدعو عليه بأن ينال المصير الذي يعاني منه هو ويدعو عليه بأن يفقد أطفاله أيضاً . لكن كريونت يقرر ، وقد لجأ الى العنف ، ان يسير به الى النهاية . فيقبض على اوديب ويحاول جره فيقف أهالي كولون الى جانبه لكن عددهم قليل وهم لا يستطيعون أن يواجهوا جند كريونت فيصرخون طلباً للنجاة ويسارع تيسيوس على أصوات صراخهم بحرسه .

أثارت قسوة كريونت وفظاظته غضب تيسيوس ؛ فكيف اجترأ هذا على أن يقبض على اوديب وابنتيه هنا في غابة الايومينيدات ، أم ظن بأن الناس قليل في أثينا أم هو لا يضع اعتباراً لتيسيوس فيحاول استخدام القوة لارغام من هم في حمايته ! أم تعلم في طيبة كيف يكون الاستهتار بالقانون ! لا ! فتيسيوس يعرف أن الاثينيين ينفرون من كل أشكال التسيب وكريونت يلحق العار بمدينته ووطنه ، وعلى الرغم من انه تقدم في السن فهو يتصرف كغرير ذاهب العقل . ويطالب تيسيوس بأن تعاد ابنتا اوديب الى أبيهما ويحاول هذا أن يبرر مسلكه أمام تيسيوس بأنه كان على ثقة ـ حسب قوله ـ من أن أثينا لن تمنح الملجأ لمن قتل أباه وتزوج أمه . الا ان تيسيوس يقف بحزم عند رأيه ويطالب باعادة الفتاتين ، ويقول بانه لن يغادر المكان بعد أن يرى الفتاتين مع أبيهما. وهكذا يخضع كريونت لقرار تيسيوس ويضم الشيخ ابنتيه الى صدره ويشكر ملك اثينا الواسع الروح ويستمطر له بركات الآلهة . أما تيسيوس فيقول له :

ـ أصغ إلي يا أوديب . هنا ، على مذبح بوسيدون وحيث قدمتُ القربان قبيل حضور كريونت يجلس شاب يريد أن يتحدث إليك . فيسأله أوديب :

ـ ولكن من هو؟

ـ لا أدري . شاب وصل من آرغوس . فكّر قليلاً فربما كان لك في آرغوس بعض الأقرباء . وعندما يسمع أوديب بذلك يصيح :

ـ أي تيسيوس . لا تطلب مني أن أتكلم الى هذا الفتى ، فقد فهمت من كلامك انه ولدي البغيض بولينيكس . ان كلماته لا تسبب لي غ ر الشقاء . فيقول تيسيوس .

ـ ولكنه جاء إليك ضارعاً ، ولا يمكن أن تصرفه دون أن تُغضب الآلهة .

ولما سمعت أنتيغونا بأن أخاها بولينيكس في ذلك المكان طلبت من أبيها أن يستمع اليه على الرغم من فادحة خطيئة. وهكذا يوافق الأب على الاستماع إليه فيمضي تيسيوس لاحضاره .

ويظهر بولينيكس والدموع في عينيه . انه يبكي وهو يرى أباه كفيفاً في أسمال المتسوّلين ، شعره الأبيض تتلاعب به الريح وقد ترك الجوع والحرمان المتواصل

آثارهما على وجهه ، الآن فقط أدرك الابن قسوة مسلكه نحو أبيه ، فبسط يديه وصاح :

ـ أبي ، قل لي كلمة واحدة ولا تعرض بوجهك عني ! أجبني ولا تصرفني دون ردّ . وانتما يا أختاي . أقنعاه بالاّ يصرفني عنه دون أن يقول لي شيئاً .

وتطلب أنتيغونا من أخيها ان يخبر أباه بسبب مجيئه فهي على ثقة من أن اوديب لن يترك ابنه دون ردّ .

ويسرد بولينيكس قصة طرده من طيبة وكيف اتجه الى آرغوس وتزوج من ابنة ادراست ووجد لنفسه من ينصره لينتزع الملك من أخيه ، فهو أحق به بحكم السن ثم يمضي في حديثه قائلاً :

ـ أبي ، نحن الذين نتأهب للهجوم على طيبة نستحلفك بحياتك وحياة أطفالك أن تذهب معنا ، ونضرع اليك أن تنسى حقدك وان تساعدنا على ايتيوكل الذي طردني من بلدي وحرمني الملك . فاذا صدقت نبوءة دلفي فالنصر معقود لمن تكون الى جانبه . أعرني سمعك . استحلفك بالآلهة اذهب معي وسأعيدك الى دارك ، أما في الغربة فانت متسول ، متسول مثلي .

لكن أوديب لا يلقي سمعاً لولده ، والضراعات لا تمس قلبه . لقد احتاج ابنه اليه الآن ليحقق النصر على طيبة . ولكن أنسي أنه طرده من طيبة ، الم يجعل منه متشرداً . أليس بفضله يرتدي اوديب هذه الاسمال ؟ لقد نسي الشقيقان واجب الأبوة عليهما ولم تخلص له غير ابنتيه اللتين احاطتاه بالرعاية وعنيتا بطعامه ونظافته ولهذا يصيح بابنه :

ـ لا ، لن أساعدك على تدمير طيبة ، وقبل أن تدخل تلك المدينة ستسقط دونها مضرجاً بدمائك ويسقط شقيقك قتيلاً إلى جانبك . انني استنزل اللعنات على رأسيكما معاً لتتذكرا كيف يعامل الآباء . اغرب عن وجهي ، لا أبالك ، محملاً بلعناتي ! واسقط مجندلاً في المبارزة مع أخيك ، واقتل من طردك من المدينة . إنني ادعو الربات الايومينيدات اللاتي أثرن بينكما الشقاق الذي يكون بين الأشقاء أن يتبعنكما ! اذهب وعوّض جميع أنصارك ، فيا للهبات التي وزعها أوديب مناصفة بين ولديه ! فيصيح بولينيكس :

ـ الويل لي ، أنا التاعس ، فهل من الميسور علي أن أحمل ردّ أبي إلى أصحابي . لا بل علي أن أمضي صامتاً الى مصيري .

وغاب بولينيكس دون أن يتجرأ على طلب الرحمة أو الحماية من أبيه ، وغاب حتى دون أن يسمع ضراعات أنتيغونا إليه بأن يعود الى آرغوس والا يبدأ الحرب التي تنذره وأخاه وأهل طيبة بشر مستطير .

كان يوم اوديب الآخير قد دنا . ففي السماء الصاحية تردد هزيم الرعد وتألقت البروق . وكان الجميع يقفون الى جانب غابة الايومينيدات وقد صعقتهم تلك العلامة من زيوس . هي ذي رعدة جديدة ومن جديد تلألأ البرق الساطع في السماء فارتجف الجميع هلعاً .

أما أوديب فدعا ابنتيه اليه وقال :

ـ ابنتيّ ! ناديا تيسيوس بسرعة ! فهذه العلامات من زيوس تنبئني بانني ماض قريباً في مملكة هاديس الموحشة . لاتبطئا . ارسلا في طلب تيسيوس ، فقد قربت نهايتي .

وما كاد أوديب يفرغ من كلامه حتى تردد هزيم الرعد من جديد وكأنه يؤكد هذه الكلمات . فسارع تيسيوس الى الغابة ولما سمع أوديب صوته صاح به :

ـ يا حاكم أثينا ! لقد أزفت ساعة النهاية فرعود زيوس وبروقه تنبئني بنهايتي؛ أريد أن أموت وقد وفيت بالوعد الذي قطعته لك. سأقودك بنفسي الى المكان الذي أموت فيه ولكن إياك أن تخبر أحداً بمكان ضريحي فهو سيحمي مدينتك خيراً من الدروع والرماح وستسمع مالا أستطيع أن أبوح به هنا ، فاحفظ ذلك السر واكشف عنه في نهاية حياتك لابنك الأكبر وليكشف عنه فيما بعد لابنه . هيا بنا يا تيسيوس ، هيا بنا يا طفلتيّ . والآن سأكون أنا الكفيف دليلكم اذ سيقوم هرمز وبيرسيفونا بهدايتي .

سار تيسيوس وانتيغونا واسمينا وراء أوديب وراح يسير بهم وكأنه يرى طريقه ، فوصل الى مكان ينفتح على منحدر الى مملكة الأشباح الغارقة في الظلام ، وهناك جلس على صخرة ، وضم اليه ابنتيه وهو يستعد للقاء الموت وقال لهما :

ـ طفلتاي ، لن يكون لكما أب بعد اليوم فقد سيطر علي اله الموت تانات وقد تحررتما من واجبات رعايتي الطويلة .

وضمت انتيغونا واسمينا أباهما وهما تبكيان بحرقة . وفجأة ارتفع من الأعماق الأرضية صوت غامض عميق : «هيا أسرع يا أوديب ! ما لك تتلكأ في سيرك !» ولما سمع أوديب الصوت الغامض دعا تيسيوس ووضع في يده يدي ابنتيه ورجاه أن يكون حاميهما . وأقسم تيسيوس على أن ينفذ وصية الشيخ الضرير فأمر أوديب ابنتيه أن تمضيا لأنه ما كان لهما أن تشهدا ما يجري وما كان لهما أن تسمعا السر الذي يكشفه أوديب لاوديسيوس . وذهبت الشقيقتان وما ابتعدتا الا قليلاً حتى التفتا لتلقيا آخر نظرة على أبيهما لكنه كان قد غاب وبقي تيسيوس وحيداً يغطي عينيه بيديه وكأنه رأى أمامه منظراً مخيفاً ، ثم رأتا تيسيوس وقد ركع وأخذ بالصلاة . وهكذا أنهى أوديب حياته الطويلة الحافلة بالشقاء ولم يعرف أحد من الفانين كيف مات وأين يكون ضريحه فقد مضى دون أن يصعّد آهة أو عبارة شكوى . مضى الى مملكة هاديس وغاب في رحابها بصورة لم تقدرلأي واحد من الناس .

سبعة ضد طيبة

عن مأساتي : «سبعة ضد طيبة» لسوفوكل و«الفينيقيات» ليوريبيد

عندما طرد أوديب الكفيف من طيبة تقاسم ولداه السلطة مع كريونت وكان لهما أن يتداولا الحكم فيحكم كل منهما عاماً واحداً ثم يليه أخوه . لكن أيتيوكل لم يشأ أن يقتسم السلطة مع أخيه الأكبر بولينيكس فطرده من طيبة ذات البوابات السبع واستبد بالحكم لوحده . فالتجأ بولينكس إلى آرغوس التي كان يحكمها ادراست .

كان أدراست ينحدر من جنس الاميثاونيين ، وكان البطلان العراف الأعظم ميلامبود ، وبيانثوس ، ولدا اميثاون قد تزوجا من ابنتي الملك بروتيوس وحدث ذلك على الصورة التالية : فقد أغضبت ابنتا بروتيوس الآلهة فأسقطت عليهما الجنون فتوهمت كل من الأختين أنها بقرة وصارتا تجريان في الحقول والغابات المجاورة وتخوران خواراً مجنوناً . وكان ميلامبود يعرف سر شقائهما فعرض أن يعالجهما ويبرئهما مما هما فيه نظير أن يهبه بروتيوس ثلث ملكه فلم يوافق الملك على ذلك فاستفحل المرض واستشرى وانتقل الى بقية النساء ، فذهب بروتيوس الى ميلامبود يسأله العلاج لكن ذلك لم يرض اذ ذاك بثلث المُلْك بل طالب بالثلثين على أن يكون أحدهما له والآخر لأخيه بيانتوس . ولم يكن أمام بروتيوس الا أن يوافق ، فانطلق ميلامبود في جماعة كبيرة من الشبان الى الجبال وبعد جهود كبيرة قبضوا على جميع نساء بروتيوس وبناته الممسوسات وعالجهن الشاب حتى شفين فزوج بروتيوس ابنتيه من الشقيقين ميلامبود وبيانتوس .

ولد لميلامبود ولد أسماه انتيفاغ وولد لأنتيفاغ أويكل وولد لأويكل أمفياراي . أما بانتوس فأنجب تالوس وولد لتالوس أدراست واوريفيلا . وعندما أدرك حفيدا ميلامبود وبيانتوس ـ وهما أدراست وأمفياراي مدارك الرجولة ، شجر

الخلاف بينهما ففر ادراست الى سيكيون[1] الى الملك بوليب ، وهناك تزوج من ابنة الملك وتسلم السلطة على سيكيون ، لكنه لم يمض وقتاً طويلاً هناك بل عاد الى بلاده آرغوس فاصطلح مع امفياراي وزوجه من أخته اوريفيلا . وتبادل الشابان الأيمان على أن تكون اوريفيلا دوماً الحكم بينهما في أي نزاع وأن يخضعا لحكمها دون اعتراض أو جدل . ولم يفكر امفياراي آنذاك بأن قراره هذا سيكون سبباً في هلاكه وهلاك أسرته .

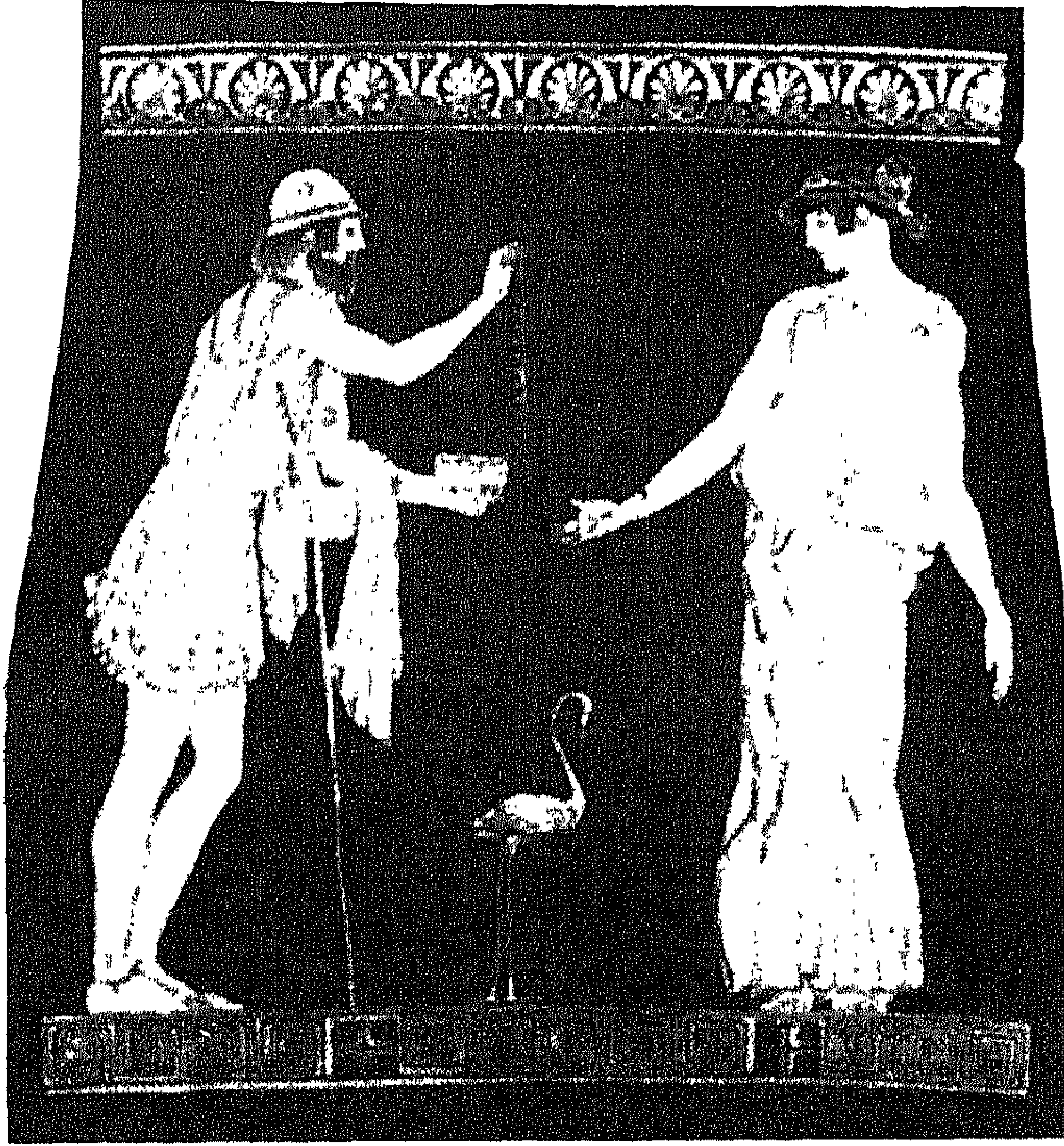
ففي المساء ، وقد تأخر الليل وصل بولينيكس الى قصر أدراست آملاً في عونه ومساعدته . وعند بوابة القصر التقى بولينيكس بالبطل تيديوس ، ابن اوينيوس ، وكان قد قتل في الوطن عمه وولدي عمه وفرّ طلباً للمعونة في آرغوس . واشتعل بين البطلين جدل عنيف ، ولما كان تيديوس ، السريع الغضب ، لا يحتمل أبداً أن يناقش فقد امتدت يده الى سلاحه فامتشق بولينيكس حسامه واشتبك البطلان في القتال . وتعالت ضربات سيفهما على الدروع النحاسية في حلكة الليل واقتتلا كأسدين ضاريين . وسمع ادراست قعقعة السلاح فخرج من قصره . وكم كانت دهشته عظيمة لما رأي الشابين وقد دخلا في صراع دام ، وكان بولينيكس قد طرح على دروعه فروة أسد بينما غطى تيديوس نفسه بجلد خنزير بري . وتذكر ادراست نبوءة قيلت له في مهبط الوحي بدلفي ذات يوم بأنه يزوج ابنتيه لأسد وخنزير فسارع الى الفصل بين المتحاربين وقادهما ضيفين الى قصره . ولم يمض وقت طويل حتى زوجهما ابنتيه فكانت ديبيلا لبولينيكس وآرغيا لتيديوس .

ولما أصهر الشابان إلى أدراست صارا يطلبان منه أن يعيد لهما الملك في بلديهما . فوافق أدراست على تقديم المساعدة ووضع لذلك شرطاً واحداً وهو أن يشارك المقاتل الأعظم والعراف الأعظم أمفياراي في الحملة .

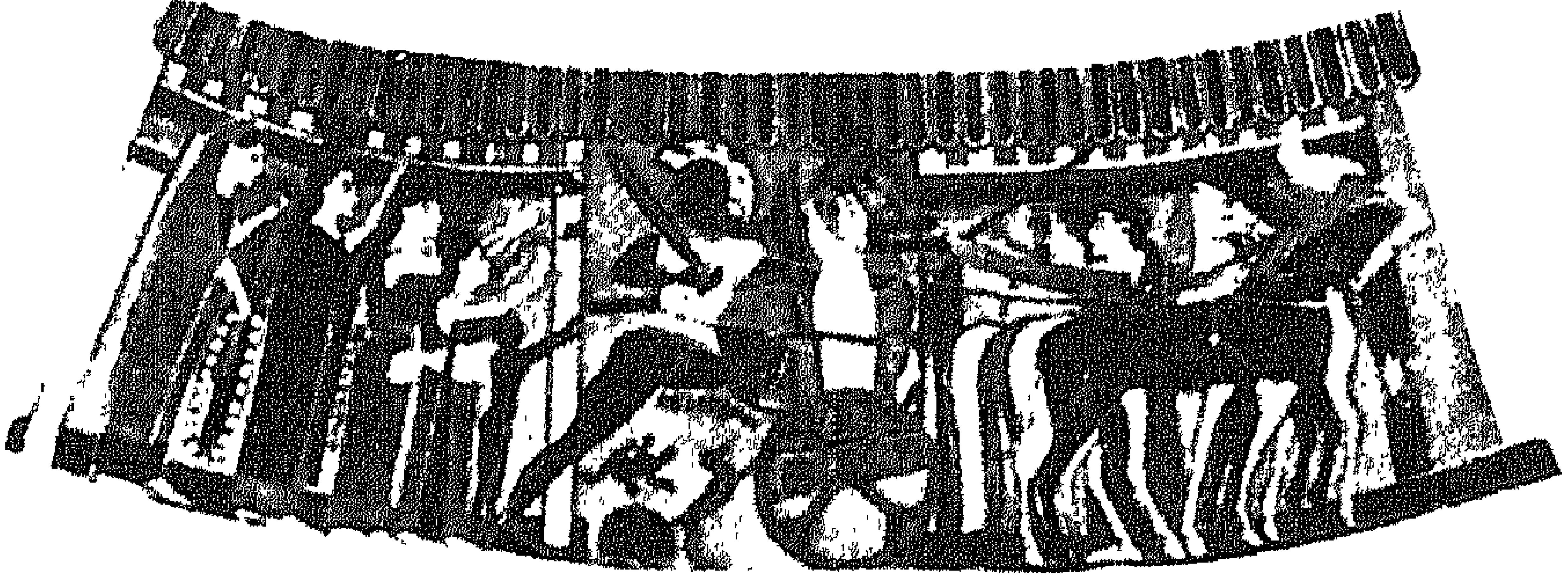
وتقرر أن تبدأ الحملة الأولى على طيبة ذات البوابات السبعة . لكن امفياراي رفض الاشتراك فيها لمعرفته بأن الأبطال يقومون بها ضد ارادة الآلهة .

---

١ ـ مدينة تقع شمال البيلوبونيز على ساحل خليج كورنيث .



بولينيكس يقدم العقد الى اوريفيلا
(رسم على مزهرية)



امفياراي يشترك في الحملة . تظهر في أقصى اليسار اوريفيلا وبيدها العقد .

(رسم على مزهرية من القرن الرابع ق . م)

ولم يكن يرضى ، وهو الأثير الى زيوس وأبولون ، أن يقف ضد مشيئة الآلهة ويعرض نفسه لسخطهم . ورغم كل المحاولات عجز تيديوس عن إقناعه فقد ظل ثابتاً على قراره ، فاشتعل غضب تيديوس وكادت نار العداوة والبغضاء ان تسري بينه وبين أمفياراي لو لم يسارع ادراست الى الإصلاح بينهما . ولجأ بولينيكس الى الحيلة ليقنع البطل المجيد بالاشتراك في الحملة فقرر أن يستميل اوريفيلا الى جانبه لتضغط على أمفياراي وتدفعه الى الاشتراك في الحملة . ولما كان يعرف جشع تلك المرأة وشهوتها الى المال فقد وعدها أن يقدّم إليها العقد الثمين الذي كان ملكاً لهارمونيا ، زوجة قدموس ، أول حاكم على طيبة ، ولانت المرأة للهدية الثمينة وقررت أن يشارك زوجها في الحملة ، ولم يستطع أمفياراي الرفض لأنه كان قد أقسم على الخضوع لقرارات زوجته . وهكذا أرسلت المرأة زوجها إلى هلاك محقق أغراها عليه العقد الثمين فما كانت تدري أن ذلك العقد يحمل المصائب الى من يقتنيه .

وافق كثيرون من الأبطال على الاشتراك في تلك الحملة فكان فيها عدد كبير من أخطاد بروتيوس ، وكان فيها كابانيوس القوي كالآلهة وايتيوكل ، ابن الصيادة أتالانتا الاركادية الشهيرة ، وبارتينوبايوس الفتي الصبوح الوجه وهيبو ميدونت المجيد وكثيرون آخرون ، كما وذهب بولينيكس الى ميكنيا ينشد العون فوافق ملكها على المشاركة في الحملة غير أن زيوس ، مرسل الصواعق ، صرفه عن ذلك بعلامة من علاماته الرهيبة . وهكذا اجتمع جيش عظيم يقوده سبعة من الأبطال يرأسهم جميعاً أدراست ، وكانوا جميعاً يذهبون الى ملاقاة الموت فقد صموا أسماعهم عن نصائح العراف أمغياراي الذي توسل اليهم ألاّ يخرجوا في تلك الحملة . لقد كانوا جميعاً يتقدون برغبة واحدة وهي القتال عند أسوار طروادة .

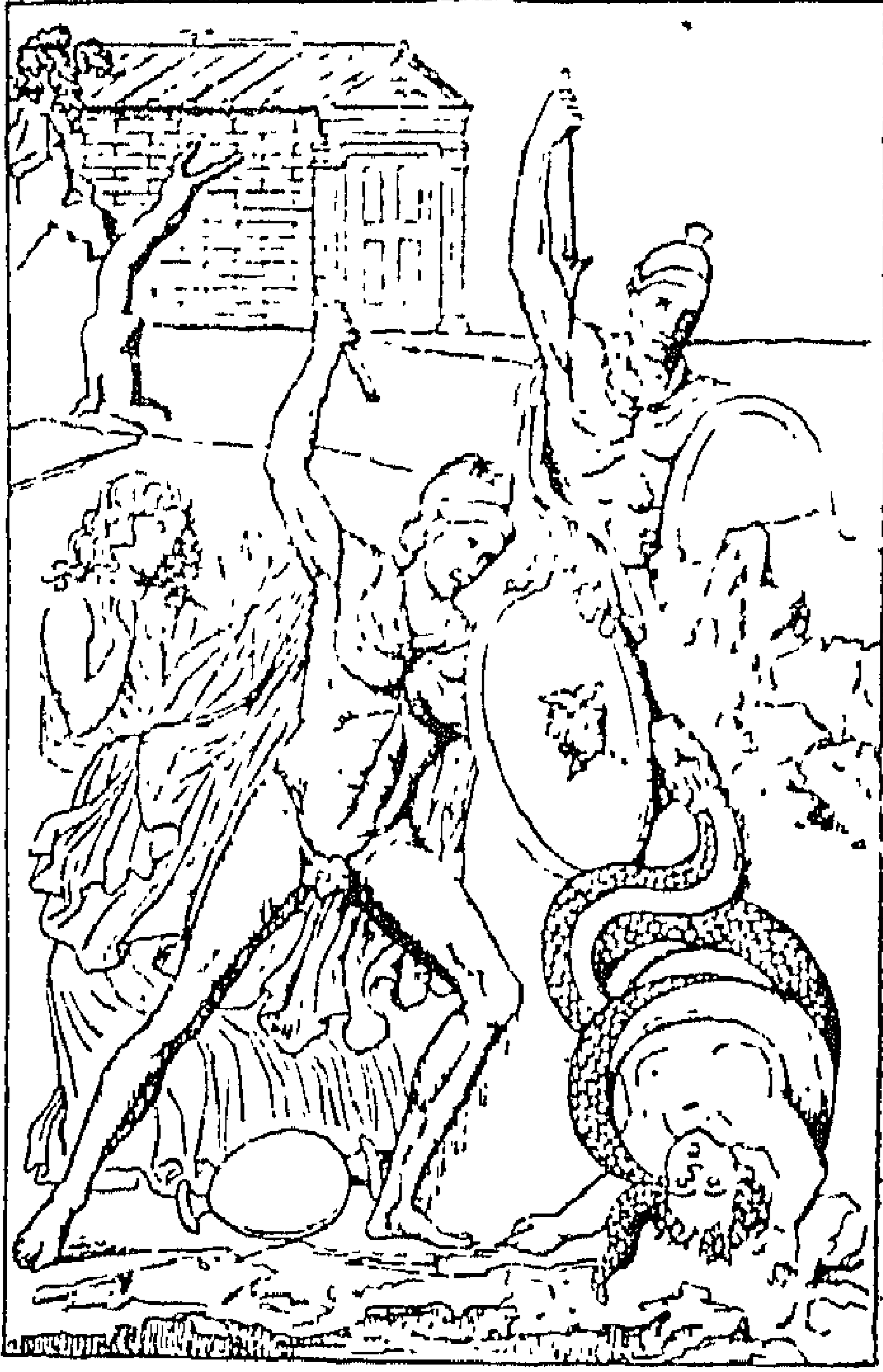
بدأ الجيش الحملة وودع أمغياري أسرته وضم الى صدره بناته وولديه ـ الكميون الطفل وامغيلوخ الذي كان لا يزال رضيعاً في حضن مربيته ؛ وقبيل الوداع استحلف امغياراي ابنه الكميون أن ينتقم من أمه التي أرسلت أباه الى الموت المحقق ، وصعد الى مركبته وهو يعلم أنه يرى أبناءه لآخر مرة . فلما استقر في المركبة التفت بوجهه نحو زوجته اوريفيلا ولوّح فوق رأسها بالسيف مهدداً ولعنها على أنها قضت عليه بالهلاك .

وصلت الحملة بسلام إلى بيميا[1] وهناك نفذ الماء من المحاربين واستبد بهم الظمأ فراحوا يبحثون عن ينبوع من ينابيع الماء ، لكنهم لم يعثروا على واحد منها فقد ردمتها الحوريات بأمر من زيوس لأن الأبطال خرجوا في حملتهم على غير رغبة منه . وأخيراً لقوا هيبسيبيلا ، ملكة ليمنوس السابقة وعلى يديها اوفيلت ، الابن الأصغر لليكروغ ، ملك نيميا . وكانت نساء ليمنوس قد بعنها عبدة لأنها رأفت بأبيها وأنقذته حين قامت النساء هناك بقتل الرجال . فصارت الملكة عبدة عند ليكروغ تقوم على رعاية ولده .

---

١ ـ مدينة في ارغوليدا ، شمال البيلوبونيز .

وضعت هيبسيبيلا الصغير أوفيلت على العشب وذهبت لتري المحاربين النبع المتدفق في الغابة . ولكن ما أن ابتعدت قليلاً عن الصغير حتى خرج من بين الأعشاب ثعبان مهول فالتف عليه حلقات رهيبة . وهرع المحاربون وهيبسيبيلا على صراخه ، وأسرع ليكروغ أيضاً لمساعدتهم ومعه زوجته يوريديكا لكن الثعبان كان قد خنق الطفل فأشهر ليكروغ سيفه وهجم على هيبسيبيلا يريد قتلها لولا أن حماها تيديوس وكان على وشك الدخول في حرب مع ليكروغ لكن ادراست وأمفياراي سارعا إلى وقفه وحالا دون إراقة الدماء . ودفن الأبطال اوفيلت وأقاموا بهذه المناسبة مباريات رياضية عسكرية كانت بداية الألعاب النيمية[1] . وأدرك أمفياراي أن مصرع اوفيلت ما هو إلا علاقة رهيبة لجيشه وأن الموت ينذر بهلاك الجميع فلقب اوفيلت بأرخيمور (المودي الى الهلاك) وكرر محاولاته في إقناع الأبطال بالعدول عن الحملة إلا أنهم واصلوا سعيهم الى حتفهم المحتوم .



مصرع أوفيلت
(رسم نافر من القرن الثاني ق . م)

وبعد أن عبرت الحملة منافذ كيثيرون الغابية وصلت شواطىء آسوب وأدركت أسوار طيبة ذات البوابات السبع . ولم يبدأ الأبطال حصارهم على التو بل آثروا أن يرسلوا تيديوس الى طيبة ليفاوض أهل المدينة . فدخلها ووجد أعيانها قد

١ ـ تقول رواية أخرى أن هرقل هو الذي نظم الألعاب النيمية بعد أن قتل أسد نيميا . انظر الكتاب الأول . هرقل .

أقاموا مأدبة حافلة في قصر ايتيوكل فلم يلقوا لتيديوس أذناً صاغية بل راحوا يهزؤون به ودعوه الى الاشتراك في الحفل فغضب تيديوس غضباً شديداً وعلى الرغم من أنه كان وحيداً وسط الأعداء فقد تحداهم جميعاً الى المصارعة وصرعهم واحداً واحداً تلو الآخر بمساعدة من أثينا فقد كان صفيها فسيطر الغضب على أبناء طيبة وأجمعوا على أن ينزلوا به الهلاك . فأرسلوا خمسين شاباً بقيادة ميونتوس وليكوفون لينصبوا له كميناً ويباغتوه ويقتلوه أثناء خروجه الى قومه . لكن تيديوس تمكن من النجاة من تلك المحنة أيضاً فواجه أعداءه وقتلهم جميعاً ولم يبق الا على ميونتوس ، فقد أطلق سراحه بأمر من الآلهة لكي يخبر الطيبيين بما قام به .

وازداد الحقد والضغائن حدة بين الأبطال القادمين من آرغوس وبين أهالي طيبة . وقدم الأبطال السبعة القرابين لآريس اله الحرب ولجميع آلهة الحروب وللاله تانات . ونقعوا أيديهم معاً في دم الذبائح وأقسموا على أن يدمروا أسوار المدينة أو يرووا ثراها بدمائهم . وأتم الجيش الارغوسي استعداداته للهجوم ووزّع ادراست فرق الجيش وكان على كل من القادة أن يهاجم بفرقته واحدة من البوابات السبع .

أمام بوابة برويتوس وقف البطل تيديوس بفرقته وكان يتقد شهوة الى الدم وصار أقرب الى التنين الهائج ، وكانت ثلاثة أعراف تلوح على خوذته ونقشت على درعه السماء الليلية المغطاة بالنجوم يتألق في وسطها البدر الكامل ـ عين الليل . أما بوابة ايلكترا فوقف أمامها كابانيوس العظيم بفرقته وكان ضخم الجرم شبيهاً بالعمالقة وكان يهدد بأنه سيقتحم المدينة وأنف الآلهةُ راغم وتبجح بأن زيوس مرسل الصواعق أعجز من أن يوقفه عن غايته ، وقد نقش كابانيوس على ترسه صورة بطل عار يرفع مشعلاً في يده . أما ايتيوكل ، حفيد برويتوس فوقف بفرقته مقابل بوابة نيوس ويحمل ترسه علامة متميّزة هي صورة رجل يرقى سلماً نحو برج مدينة محاصرة وقد نقشت في أسفل الصورة عبارة «الاله اريس نفسه لن يسقطني» ، ووقف مقابل بوابة أثينا هيپوميدونت وقد نقشت على ترسه المتألق كالشمس صورة تيفون يطلق من شدقه اللهب وصيحة الحرب التي يطلقها تعبر عن الغضب ونظرات عينيه تهدد كل انسان بالموت . أما بارتينوبايوس الفتى الجميل فحمل

فرقته الى مواجهة بوابة بورياد وكانت قد نقشت على ترسه صورة أبي الهول ممسكاً بأحد الطيبيين في مخالبه . ووقف امفياراي مواجهاً لبوابة هومولويد وكان غاضباً على تيديوس الذي بدأ المعركة فكان ينعته بالقاتل وبمدمّر المدن ونذير الشؤم وخادم الموت ومستشار الشر . كان يمقت الحملة كلها ويشنع على بولينيكس انه قاد جيشاً من الأجانب ليدمر به مدينته ، وكان أمفياراي يعرف بأن الأحفاد سيلعنون المشاركين في هذه الحملة . وكان أيضاً يعرف أنه يهلك في المعركة وأن تراب طيبة سيبتلع جثمانه . ولم يكن ترسه يحمل أية علامة فقد كان منظره أكثر إيحاء من جميع النقوش . أما البوابة الأخيرة ، السابعة فكان يحاصرها بولينيكس وقد نقشت على درعه الهةٌ تقود بطلاً مدججاً بالسلاح وتقول العبارة المحفورة تحت الصورة . «أعيد هذا المحارب منصوراً الى مدينته وإلى ديار آبائه» . وكان كل شيء معداً للهجوم على أسوار طيبة التي لا تقاوم .

واستعد أهالي طيبة للقتال : فوزع ايتيوكل على كل بوابة فرقة من المحاربين بقيادة واحد من مشاهير الأبطال . أما هو فالتزم بحماية البوابة التي تواجهها فرقة شقيقه . وفي مقابل تيديوس وقف البطل المجيد ميلانيبوس ابن استاخوس وهو حفيد واحد من المحاربين الذين نبتوا من أنياب الثعبان الذي قتله قدموس . ولمواجهة كابانيوس أرسل ايتيوكل البطل بوليفونت الذي كانت تحميه أرتيميدا بنفسها . ووقف ميغاريوس ، ابن كريونت بفرقته على البوابة التي كانت تتوقع هجوم برويتيد وأرسل هيبيربيوس ، ابن اوينور ليحمي بوابة هيبوميدونت ووقف البطل أكتور مواجهاً لبارتينوبايوس ووقف في مواجهة أمفياراي الشاب ليسفين وكان شاباً في قواه كهلاً في عقله وخبرته وكان بيريكليمين ، البطل الذي لا يقهر ، ابن بوسيذون ، بين أبطال الطيبيين .

وقبل أن تبدأ المعركة استطلع ايتيوكل العراف تيرسيوس عما تنتهي اليه فوعد تيرسيوس أن يعقد النصر للمدينة في حالة واحدة وهي أن يضحّى للاله أريس (الذي كان ساخطاً لأن قدموس قتل الثعبان الذي كان نذراً له) بمينويكوس ابن كريونت . ولما سمع الفتى مينويكوس بالنبوءة صعد الى سور طيبة ووقف مواجهاً

للمغارة التي عاش فيها ثعبان آريس وطعن صدره بالسيف فهوى صريعاً وضحى بنفسه لينقذ مدينته الحبيبة .

كان كل شيء يبشر بانتصار طيبة على مهاجميها فقد رق قلب آريس وجميع الآلهة لأبناء طيبة الذين يرعون عهد الآلهة وعلاماتهم ، لكن النصر لم يقدر لهم منذ البداية . فعندما خرجوا من وراء أسوارهم ليشتبكوا بالجيش الأرغوسي قرب مذبح أبولون اضطروا للتقهقر تحت ضغط الأعداء وقوتهم فاحتموا بالأسوار من جديد . واندفع الارغوسيون يطاردون المنسحبين وبدأوا يهاجمون الأسوار . أما كابانيوس المتجبر ـ وكان دائم الافتخار بقوته غير العادية ـ فأخذ سلماً وأسنده الى السور وكاد أن يقتحم المدينة من فوقه ؛ لكن زيوس لم يرض أن يدخل أحدهم طيبة على غير ارادة منه فقذف المهاجم بصاعقة من صواعقه فسقط صريعاً وسرت النيران في جسده وهوت جثته الداخنة عن السور عند أقدام الأرغوسيين .

كما سقط بارتينوبايوس الفتي خلال الحصار أيضاً فقد رماه بيريكليمين القوي من على السور بصخرة شدخ بها رأسه فهوى إلى الأرض صريعاً .

تراجع الارغوسيون عن الأسوار وقد اقتنعوا بعجزهم عن اقتحامها ، وفرح أهالي المدينة اذ استوثقوا من مناعة أسوارهم .

آنذاك قرر الطرفان أن على الشقيقين بولينيكس وايتيوكل ان يحسما المعركة بمبارزة ينجلي خلالها من يكون له الحق في حكم المدينة . واستعد الشقيقان ، ولدا أوديب ، للقتال . فخرج ايتيوكل من البوابة يتألق بسلاحه وخرج أخوه من المعسكر الآرغوسي لملاقاته . كان الحقد يتلظى في أعين الشقيقين وكان لا مندوحة من أن يسقط أحدهما صريعاً ، لكن شيئاً آخر هيأته الموبرات ، آلهات المصير . فالمنتقمات الايومينيدات لم ينسين لعنات أوديب ولم ينسين جرائم لايوس ولعنة بيلوبس[1] .

التحم البطلان أشبه ما يكونان بأسدين يصطرعان على فريسة . انهما يتطاعنان وقد احتميا بترسيهما وكل منهما يرقب حركة خصمه بعين تنطق بالكراهية والحقد . ها لقد عثرت رجل ايتيوكل وفقد اتزانه فطعنه أخوه بالرمح وجرحه في فخذه فانبثق الدم غزيراً من الجرح لكن بولينيكس كشف عن كتفه أثناء ذلك فسارع ايتيوكل فطعنه فيها فانحنى سنان الرمح على درع بولينيكس وانكسرت قناته

١ ـ انظر الكتاب الأول ، بيلوبس .

فوقف ايتيوكل لايحمل غير سيفه بيده لكنه أسرع فانحنى على الأرض والتقط بيده حجراً هائلاً ضرب به أخاه فأصاب رمحه وحطم منه القناة . وهكذا وقف الشقيقان ثانية وبيديهما السيفان فقط ، ثم التحما ترساً لترس والدماء تخضب دروعهما . وقام ايتيوكل بخطوة مباغتة الى الخلف ولم يتوقع أخوه ذلك فرفع ترسه ، وفي تلك اللحظة انقض أخوه عليه وأغمد السيف في بطنه فسقط بولينيكس على الأرض والدم يتصبب جدولاً من جرحه الكبير وغشيت عينيه سحابة الموت . فصرخ ايتيوكل صرخة الانتصار واندفع نحو شقيقه القتيل ليجرده من دروعه لكن هذا استجمع آخر ما لديه من قوى ونهض قليلاً وطعن صدر أخيه بالسيف قبل أن تذهب روحه الى مملكة هاديس الكئيبة ، فخرّ ايتيوكل على الأرض كبلّوطة اجتثت من جذورها وهوى فوق جثة أخيه فاختلطت دماء الشقيقين وهي تخضب الأرض وتعلقت أنظار الطيبيين والارغوسيين برعب بالنهاية التي انتهت اليها مبارزة الشقيقين .

ولم يدم السلام بعد ذلك طويلاً بين الفريقين ؛ فقد شجر الشقاق بينهما من جديد وهب الآلهة لحماية أهل المدينة . فسقط في المعركة هيبوميدونت وبرويتيد ؛ أما تيديوس الذي لا يقهر فقد جرحه ميلانيبوس جرحاً قاتلاً ، لكنه ، على الرغم من جرحه ، وجد في نفسه من القوة ما أعانه على الانتقام من خصمه فطعنه بالرمح طعنة ماضية . ولما رأت اثينا ـ بالادا الى صفيّها تيديوس مضرجاً بالدماء ابتهلت الى ابيها زيوس أن يسمح لها بانقاذه بل وبأن تهبه الخلود ، وانحدرت مسرعة الى ميدان المعركة ، لكن حدث آنذاك شيء مرعب : فقد قطع امفياراي رأس ميلانيبوس ورمى به الى تيديوس أثناء احتضاره . وفي سورة الحقد المجنون أمسك تيديوس بالرأس وضرب به الأرض فشجه وصار يلعق مخ عدوه كما يفعل الوحش البري . فارتجفت اثينا لدى رؤية تلك الوحشية والتعطش للدم ، ولم تلبث ان انصرفت عن تيديوس فما كان منه الا ان همس في اثرها آخر ضراعاته ورجاها أن تمنح لابنه الخلود الذي حرمته منه .

وتم النصر للطيبيين على اعدائهم وسقط الجيش المهاجم بأسره عند أسوار المدينة ، وكان امفياراي أيضاً من بين القتلى ، وكان قبل ذلك قد سارع الى الفرار على مركبته التي يقودها باتون فانطلق البطل الجبار بيريكليمين في أثره حتى حاذاه وأشرع رمحه ليطعنه لكن صاعقة من يد زيوس انقضت على امفياراي وتردد قصف الرعد وانشقت الأرض فابتلعت امفياراي ومركبته . ولم ينج من بين الأبطال غير

ادراست فقد انطلق فوق حصانه أريّون السريع كالريح واختبأ في اثينا ومنها قفل عائداً الى آرغوس .

وفرح أهالي طيبة لخلاص مدينتهم ، فدفنوا قتلاهم الذين سقطوا في المعركة وأحاطوهم بآيات الاجلال والتعظيم لكنهم منعوا الدفن عن جميع الأبطال المحاربين الذين جاؤوا من آرغوس رفقة بولينيكس . كما بقي بولينيكس نفسه مطروحاً على الأرض محروماً من الدفن لأنه رفع يده على وطنه .

وعلمت نساء آرغوس وامهات الأبطال فيها بما حل بالرجال فخرجن جميعاً والحزن يمزق قلوبهن واتجهن الى ايتاكا صحبة أدراست ليرجون البطل تيميوس ان يمد لهن يد المساعدة ويحمل أهل طيبة على تسليم جثث القتلى ، وتمكنّ من مقابلة أم تيسيوس في يليفسين ، بالقرب من معبد ديميترا فابتهلن اليها ان تقنع ولدها فيتوسط لتسليم جثث المقاتلين الارغوسيين . وتردد تيسيوس طويلاً قبل أن يوافق على ما طلبته الارغوسيات وادراست . الا ان رسولاً وصل اليه آنذاك موفداً من كريونت ملك طيبة يطالبه بمنع العون عن نساء آرغوس بل وباخراج ادراست من آتيكا .

وغضب تيسيوس لمسلك كريونت ، فكيف يجرؤ هذا على أن يطلب منه مثل ذلك الخنوع والذل . أم ليس له أن يتصرف بنفسه في قراراته . وهكذا خرج تيسيوس بجيش جرار ضد طيبة وأخضعها وأجبر أهلها على تسليم جثث القتلى الذين سقطوا في المعركة من الارغوسيين ، فأقيمت سبع محارق عند يليوفير أحرقت فوقها جثث القتلى . أما جثث القادة فحملت الى يليفسين وأحرقت هناك وحملت الامهات والزوجات رمادهم إلى آرغوس .

ولم يبق في يليفسين غير رماد قتيل واحد هو البطل كابانيوس ذلك أن زيوس قتله بصاعقة من يده فصار جثمانه مقدساً ولهذا أقام الطيبيون محرقة عظيمة ووضعوا فوقها جثمان البطل تمهيداً لاحراقه . وعندما اتقدت الشعلة وأخذت الألسنة النارية تمس الجثمان وصلت الى يليفسين ايوادنا ، زوجة كابانيوس وابنة ايفيت الرائعة . انها لم تحتمل فقدان زوجها الحبيب فارتدت ملابس الدفن الفاخرة وارتقت صخرة عالية كانت تطل على المحرقة ومن هناك ألقت بنفسها في النار الى جوار زوجها .

وهكذا ماتت ايوادنا وانتقلت روحها مع روح زوجها الى مملكة هاديس الموحشة .

انتيغونا

عن مأساة سوفوكل « أنتيغونا »

بعد الانتصار على الارغوسيين أقام أهالي طيبة طقوس الدفن المجيدة لايتيوكل وجميع المقاتلين الذين سقطوا دفاعاً عن المدينة أما بولينيكس فأجمع رأي كريونت والطيبيين على أن يمنعوه ذلك لأنه جرد جيشاً أجنبياً على بلاده ، فبقيت جثته مطروحة في العراء عند بوابة المدينة لتنهشها الوحوش الكاسرة وجوارح الطير . وبهذا قضي على روح صاحبها أن تهيم أبداً دون ان تعرف الهدوء والراحة ؛ في مملكة هاديس الكئيبة .

كانت انتيغونا ، الفتاة الطيبة الرقيقة الاحساس والمفطورة على حب التضحية تتألم ألماً عميقاً بسبب هذه الاهانات التي الحقت بأخيها ، فقررت أن تقوم بدفنه بنفسها على الرغم من كل شيء فلم يرهبها الموت الذي كان يتوعد به كريونت كل من يجرؤ على دفن بولينيكس ويقوم له بمراسم الجنازة . ودعت انتيغونا أختها اسمينا لتذهب معها لكن الفتاة الضعيفة لم تجرؤ على مساعدة اختها خوف اغضاب كريونت بل انها حاولت ان تثني انتيغونا عما انتوته وذكرتها بالمصير الذي انتهت اليه امها وأخواها فهل تريد ان تلحق بهم وتقتل نفسها !

لم تصغ انتيغونا لما قالته أختها فهي مستعدة أن تذهب بمفردها لتؤدي واجب الأخوة ، وان تتحمل مسؤولية كل شيء الا ان يبقى أخوها محروماً من الدفن ، وخرجت الفتاة فانفذت ما أرادته .

وسرعان ما عرف كريونت بأن قراره قد اجترح . فقد أخبره أحد الحراس بأن أحدهم جاء سراً الى جثة بولينيكس فغطاها بالتراب وقام بمراسم الدفن وعصف الغضب بكريونت وهدد الحارس بشديد العذاب اذا لم ينجح هو واصحابه في معرفة الجاني ، وأقسم بزيوس نفسه على ذلك .

ذهب الحراس إلى مكان الجثة فرفعوا عنها التراب وجلسوا فوق هضبة قريبة كي لا تصلهم الروائح العفنة . وفجأة وفي منتصف النهار هبت عاصفة شديدة وأثارت الرياح دوامة من الغبار في الحقل كله فلما انكشفت وجد الحرس فتاة تنحني فوق الجثة وتبكيها بصوت حزين شبيه بصوت طائر خطفت فراخه يد غريبة ، وكانت الفتاة تقدم السكائب لآلهة العالم السفلي عندما قبض الحرس عليها وساروا بها الى كريونت ، وكانت تلك الفتاة ـ انتيغونا .

استقبل كريونت انتيغونا بخطاب غاضب وأمرها أن تعترف بجريمتها . ولم تكن الفتاة تفكر بانكار ما فعلته ، فهي قد خرقت أمر الملك لكنها أجرت أمر الآلهة وارادتهم وأدت واجبها نحو أخيها عندما دفنت جثمانه ، والموت لم يعد يخيفها بل انها تطلبه فحياتها لم تعرف غير الشقاء . وفي سورة الغضب الشديد هدد كريونت أن ينزل عقوبته ليس فقط بانتيغونا بل وباسمينا أيضاً ، لأنه كان على ثقة من أنها قدمت العون لأختها .

عندما سمعت انتيغونا بأن كريونت يريد قتل أختها ارتعدت هلعاً . فهل قدر عليها أن تكون السبب في هلاك أختها ! ومضى العبيد في طلب الأخت ، وها هي ذي قد ظهرت عند عتبة القصر والدموع تنسكب من عينيها حزناً على أختها .

وعندما سألها كريونت عن دورها في ما حدث وجدت الفتاة لديها الشجاعة الكافية لتقتسم مصير أختها بعد أن عرفت أن الموت يتهددها فأخذت ترد بثبات على أسئلة الملك وأعلنت أنها اشتركت في إقامة الطقوس الجنائزية لجثة أخيها .

وتأبى انتيغونا ان تؤخذ اختها بجريرة ذنب لم تقترفه ، غير أن اختها تضرع اليها قائلة :

ـ اختاه ، لا تعرضي عني ، ولاتقولي انني لست جديرة بالموت معك . أم تحسبين للحياة معنى بدونك . لا تحقريني يا أختاه .

فتجيبها أنتيغونا بقولها :

ـ لا ، ليس عليك ان تهلكي معي ولا أن تحملي نفسك جريرة ما لم تقترفه يداك ! سيكون كافياً موتي . انك اخترتِ الحياة واخترتُ الموت .

وتضرع اسمينا الى كريونت أن يرأف بأختها وتذكره بأنه يرسل الى الموت بخطيبة ولده ، لكنه لا يهتز لضراعتها ويرد عليها بانه لايسمح لابنه ان يقترن بمجرمة ، وعليها أن تموت لكي يبطل الموت ذلك الزواج ، ثم يصدر الملك امرهِ بأن تسحب الفتاتان الى القصر وتوضعا تحت الحراسة لكي لا تلوذا بالفرار . وهكذا يسحب الحرس ابنتي اوديب بينما يقف ابناء الشعب واجمين فهم يتعاطفون مع انتيغونا ويدركون ان ما قامت به مأثرة وليس عملاً شريراً وهي على حق عندما قالت لكروينت بأن الشعب ما كان ليدينها على دفنها أخاها لو أن الملك لم يقفل أفواهه ولولا الخوف من كريونت المتعطش للسلطة .

ولما عرف هيمون ابن كريونت بالمصير الذي يتهدد خطيبته يسارع إلى أبيه ويتوسل اليه أن يرأف بأنتيغونا وهو يعرف ان الشعب يشفق على الفتاة البائسة ويسوؤه ان ينزل بها الموت جزاء مسلكها النبيل . ويضرع الفتى الى أبيه أن يكف عن عناده وأن يعترف بخطئه ويصارحه بكل جرأة .

- الجميع في طيبة يرون ان انتيغونا لم تجن ذنباً . أراك يا أبي ميالاً الى الخطأ ، فأنت الذي جرحت قوانين الآلهة .

ويزداد كريونت هياجاً ويظن ان الحب هو الذي دفع بولده الى الدفاع عن أنتيغونا فيصيح به بغيظ وحنق :

- إنك تفكر كعبد خسيس للنساء !

فيجيبه هيمون : - لا ، لكنك لن تراني أبداً أقف الى جانب الشر ، ولهذا وقفت مدافعاً عنك .

غير ان كريونت يصم أذنيه عن سماع كلمات ابنه ، وهو يهتف بأنه اتخذ قراراً نهائياً بانزال القصاص بالجانية .

فيرد هيمون عليه بقوله :

- سيؤدي موتها الى موت شخص آخر .

لكن كريونت لم يعرف حداً لغضبه ، فهو يأمر الجند بأن يحِضروا انتيغونا وأن يقتلوها في القصر ، أمام عيني هيمون ، فيصيح هذا :

ـ لا ، لن تموت أمام ناظري . أما أنت يا أبي فلن تقع عينك علي بعد الآن ، وليكن لك وحدك ان يركبك الجنون بين من يتملقونك ويتزلفون إليك .

وخرج هيمون ، وعبثاً حاول المواطنون تحذير كريونت بأن شراً مستطيراً يكمن وراء خروجه الغاضب ، لكن كريونت لا يتراجع .

وهكذا تسحب انتيغونا الى مصيرها الرهيب . فقد قرر الملك ان يدفنها حية في مغارة اللابداكيين وهكذا تمضي الفتاة في الطريق الأخير الذي قدر عليها أن تمشيه وتتجه منه الى شطآن أخيرونت . انها ستدفن حية في قبرها وستكون حية بين الأموات فلا هي تنتسب للحياة ولا للموت ، لا صديق ليشيعها الى مثواها الأخير ولا أحد يبكيها وهي تقاد إلى المغارة المظلمة حيث لا ترى نور الشمس الساطع بعد الآن .

وما أن ينصرف الجند بانتيغونا حتى يصل العراف الأعمى تيرسيوس الى كريونت يقوده أحد الأطفال . لقد أرسلت الآلهة اليه نذراً شريرة عندما كان يقدم قرابينه . لقد أغضبهم أن تحرم جثة القتيل من الدفن وأن تحمل الطيور والكلاب أشلاءها الممزقة ، لكن كريونت في سورة غضبه يصم أذنيه حتى عن سماع تيرسيوس الذي ينصحه بدفن الجثة ، بل يقول للعراف بأن الجثة ستظل محرومة الدفن حتى ولو قام عقاب زيوس نفسه بحمل أشلائها الى عرش مرسل الصواعق ، ويتهم العراف بأنه قد اشتري بالمال وانه يقدم نصائحه بدوافع مصلحته الذاتية . فيغضب العراف ويصيح بكريونت انه هو المسؤول عن كل شيء ، فقد أهان الآلهة اذ دفن انساناً حياً في أعماق الأرض وأهانها اذ حرم ميتاً من الدفن فأساء بذلك إلى عالمي الأحياء والأموات وجرح نظام الآلهة المقدس ، فهي ستقتص منه دون ريب وتغمر بيته بأحزان مستديمة وان قصاصها سيمتد إلى أغلى الناس على قلبه . فالايرينيات اللاتي لا يعرفن الشفقة سيقتصصن منه فلا منجاة له من الانتقام المريع .

أنزلت كلمات العراف الرعب في قلب كريونت فاستبدل قراره الخاص بحرمان الجثة من الدفن وسارع بنفسه الى حيث كانت مطروحة ليقدّم لها جميع الشعائر الجنائزية ، ثم اتجه بفرقته الى مقبرة اللابداكيين ليخرج انتيغونا من

داخلها . ولكن لقد تأخر الوقت ، فقد جدلت انتيغونا من إزارها حبلاً شنقت به نفسها وركع الفتى هيمون الى جانبها ينتحب على خطيبته الحبيبة . ويتوسل الأب إلى ولده أن يخرج من المقبرة ، لكن هذا يجرد سيفه ويطعن نفسه أمام عيني أبيه .

ويستولي القنوط على الأب بعد أن أضاع ولده الأخير فيبكي بحرقة ولوعة فوق جثته .

وفي ذلك الوقت نقل الرسول النبأ الى يوريديكا زوجة كريونت فاستقبلته بصمت ولم ترسل زفرة حزن واحدة بل دخلت البهو الداخلي لقصرها وهناك قتلت نفسها كما فعل ولدها فأغمدت سيفاً في صدرها . وما أن انتحرت الأم الثاكل حتى وصل كَريونت الى القصر يحمل على ذراعيه جثة وحيده . وهناك كانت بانتظاره أحزان لا حدود لها فهو يعرف بمصير زوجته واذ ذاك تتحطم كبرياء الرجل المتغطرس المشتهي للسلطة وفي أعماق يأسه يدعو الموت ليأتيه ويريحه من آلامه بعد أن أضاع كل من يحب .

حملة الإيبيغون[1]

أخذت عن مصادر مختلفة

مضت عشر سنوات على الحملة السباعية ضد طيبة وأدرك الرجولة أولاد الأبطال الذين سقطوا عند بوابات المدينة ، فقرروا ان يثأروا لهزيمة آبائهم وجردوا من أجل ذلك حملة جديدة شارك فيها ايغيالايوس ابن ادراست ، والكميون ابن امفياراي ، وديوميد ابن تيديوس ، وفيرساندر ابن بولينيكس ، وبروماخ ابن بارتينو بايوس ، وسفينيل ابن كابانيوس وبوليدور ابن هيبوميدونت ، ويورياك ابن مينيستيوس . وانطلقت الحملة في ظروف جديدة إذ حمتها الآلهة ومنحتها البركة وسميت بحملة الايبيغون (وهم الاسم الذي اطلق على الأبطال الذين قادوا الحملة الجديدة على طيبة) .

وكهن مسقط الوحي في دلفي بالنصر للايبيغون شريطة ان يكون بينهم الكميون ابن امفياراي .

وكان فيرساندر ابن بولينيكس ، قد فاتح الكميون بأمر الرحلة وحاول اقناعه بالاشتراك فيها ، فتردد الكميون كثيراً لأنه لم يكن راغباً في الخروج إلى طيبة قبل أن ينجز آخر وصايا والده بالانتقام من أمه التي أرسلت زوجها الى موت محقق . فلم يكن من فيرساندر الا ان لجأ الى مسلك أبيه في استمالة اوريفيلا ، أم الكميون فأغراها بالملابس الثمينة التي كانت لهارمونيا زوجة قدموس والتي حاكتها لها اثنيا ـ بالادا بيديها . واستسلمت اوريفيلا لاغراء الملابس مثلما استسلمت لعقد هارمونيا فألحت على ابنها أن يشارك في الحملة ويصحب أخاه أمفيلوخ معه .

خرجت حملة الايبيغون من آرغوس ولم تكن بالكبيرة العدد ، لكن النصر

---

١ ـ الايبيغون ـ تعني باليونانية «الأحفاد» .

كان يمشي في ركابها . واختير ديوميد ابن تيد يوس رئيساً لها وكان عدلاً لأبيه في البأس والشجاعة . وانطلق الأبطال فرحين تحدوهم رغبة الثأر لآبائهم الأماجيد .

ولما بلغ الأبطال مشارف طيبة استطلعوا كاهن معبد امفياراي في بوتنيا عن نتيجة المعركة فأجابهم بأنه يرى الكميون ، ووريث أمجاد امفياراي وهو ينقض منصوراً على الأعداء ويعقد النصر للايبيغون ، ولكن لا مفر من أن يسقط في القتال البطل ايغيالايوس ابن ادراست الذي قدرت له النجاة في الحملة الأولى .

وأخيراً بلغ الأبطال المدينة ذات البوابات السبع فدمروا الضواحي المحيطة بها . وخرج الطيبيون لملاقاة أعدائهم في السهل المكشوف وعلى رأسهم البطل لاودامانت الشديد المراس ، ابن ايتيوكل وحاولوا إزاحة المحاصرين عن أسوار المدينة ونشبت معركة ضاربة سقط فيها ايغيالايوس برمح لاودامانت الذي لم يلبث أن خر صريعاً في المعركة على يد الكميون وانهزم الطيبون فاحتموا بأسوار مدينتهم المنيعة .

وبدأ أهالي طيبة يفاوضون محاصريهم ، وأخذوا في الوقت نفسه يهجرون المدينة سراً ، وذلك بنصيحة من العراف تيرسيوس ، فأجلوا عن طيبة بزوجاتهم وأطفالهم واتجهوا شمالاً نحو فيساليا . وفي طريق الهجرة توفي العراف تيرسيوس عند نبع الحورية تيلبوذا . كان تيرسيوس من أصدق الناس وفاءً لمدينته وأبناء بلاده فطالما وقف معهم في الشدائد وبذل اليهم المشورة والنصح ومد اليهم يد العون عند الحاجة .

وبعد مسيرة طويلة وصل أهالي طيبة الى هيستيوتيدا في فيساليا واستوطنوها .

وسقطت المدينة المجيدة في أيدي المحاصرين ، وتوزع الايبيغون أسلابها الكثيرة وحملوا أفضل ما في تلك الاسلاب ـ ومن ذلك العرّافة مانتو ـ تقدمة الى مهبط الوحي في دلفي .

وعاد الايبيغون عوداً حميداً إلى بلادهم ، وقام فيرساندر ، ابن بولينيكس بترميم طيبة المهدمة وصار حاكماً عليها .

الكميون

عن «الاوديسية»

عندما عاد الكميون من الحملة على طيبة نفذ ارادة والده امفياراي فثأر له وقتل أمه بيده ، وبينما كانت أمه تلفظ أنفاسها الأخيرة أنزلت اللعنة عليه وعلى البلد الذي يمنحه الملجأ .

غضبت الايرينيات ، ربات الانتقام على الكميون وصرن يطاردنه في كل مكان وحيثما بحث عن ملاذ لنفسه فضرب طويلاً في الأرض يبحث عن الملجأ وعن التطهّر من الدم الذي أراقه الى أن انتهى به المطاف في مدينة بسوفيدا في اركاديا[1] . وهناك طهّره الملك فيغيوس من دنس الجريمة وزوّجه بابنته أرسينويا . وفكر الكميون في أن يستقر في بسوفيدا ، لكن القدر لم يمكنه من ذلك اذ كانت لعنة أمه تطارده . فسيطرت المجاعة والقحط والطاعون على بسوفيدا وخيم عليها شبح الموت فاتجه الكميون الى مهبط الوحي في دلفي وهناك قالت له الوسيطة بان عليه أن يغادر تلك المدينة ويتجه الى اله النهر اخيلوي وهناك فقط يمكنه ان يتطهر من اثمه وأن يجد الملاذ في بلاد لم تكن قد وجدت بعد عندما لعنته أمه . فترك الكميون قصر فيغيوس وزوجته ارسينويا وابنه كليتيوس وذهب الى اخيلوي وفي طريقه الى هناك نزل عند اوينيوس في كاليدونا فلقي منه أجمل ترحيب . كما نزل على الثيسبروتيين[2] لكنهم طردوه من بلادهم خوفاً من اغضاب الآلهة . وأخيراً وصل الى منابع أخيلوي[3] ، وهناك طهره الاله من رجس الدم الذي أراقه وزوجه

---

١ ـ منطقة في الجزء الاوسط من البيلوبونيز .

٢ ـ شعب كان يعيش في ايبيرا في الشمال الغربي من اليونان .

٣ ـ نهر يفصل بين اكارنانيا وايتوليا ، وهما منطقتان في غرب اليونان الوسطى .

من ابنته كالّيرويا ونزل الكميون عند منابع نهر أخيلوي فوق جزيرة تكونت من الرمال والطمي المتراكم . وكانت هي البلاد التي لم تكن قد ظهرت على وجه الأرض عندما تلقى الكميون لعنة أمه .

لكن القدر ظل يلاحق الكميون في ذلك المكان ، فقد علمت كالّيرويا بالعقد النفيس وبالملابس التي حاكتها أثينا بيديها والتي قدمها بولينيكس وابنه فيرساندر هدية الى اوريفيلا ، أم زوجها ، فطالبته بها جميعاً ولم تكن تعلم ان تلك النفائس تحمل الموت الى من يمتلكها . وهكذا عاد الكميون الى بسوفيدا وطلب من فيغيوس ان يسلمه العقد والملابس زاعماً انه سيفي بها نذراً لمعبد ابولون في دلفي لينال غفرانه . وصدق فيغيوس مزاعمه فسلمه النفائس . لكن عبداً لألكميون أطلع فيغيوس على حقيقة الأمر ولمن تسلّم النفائس فغضب الملك واستدعى ولديه برونيوس وأغينور وأمرهما أن يكمنا لصهره عند عودته الى مصب أخيلوي ، فامتثل الشابان لطلب أبيهما وكمنا لألكميون وقتلاه .

وعلمت ارسينويا ، زوجة الكميون الاولى ، بمصرع زوجها ، وكانت لا تزال مقيمة على حبه ، فلعنت . في دوامة حزنها أخويها ، فحملها أخواها الى الملك أغابينور في أركاديا وادعيا بأنها قتلت زوجها وقتلاها بتلك التهمة .

وعلمت كاليرويا بمقتل الكميون ، فصممت على أن تقتص من ولدي فيغيوس ومنه نفسه على مصرح زوجها . ولكن من لها ليقوم بالمهمة لقد كان ولداها أكارنان وأمفوتير لا يزالان في المهد صغيرين فضرعت الى الاله زيوس أن يجعلهما على التو شابين فتيين . وأصغى الاله الى ضراعاتها فنما ولداها وأدركا مدارك الرجال في ليلة واحدة ، فاتجها الى الملك أغابينور في تيغيا وهناك قتلا ولدي فيغيوس ثم انتقلا الى بسوفيدا حيث قتلا الملك فيغيوس نفسه . وهكذا فان الهدايا التي تلقتها اوريفيلا من بولينيكس وفيرساندر جرت الموت على فيغيوس وأسرته كلها .

وبموافقة من الأم أخذ الشابان أكارنان وامفوتير العقد الثمين والملابس النفيسة وقدماها قرباناً لأبولون في دلفي . ولم يستقر الشابان في بلادهما بل انتقلا الى بلاد سميت أكارنانيا ، باسم أكارنان ، وهناك أسسّا مملكة جديدة .



تعريف

بالكتاب والشعراء الذين وردت أسماؤهم في الكتاب

ابن الأثير ـ علي بن محمد : (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ ، ١١٦٠ ـ ١٣٣٣ م) مؤرخ وأديب . عاش في الموصل وتجول في كثير من البلدان . من تصانيفه «الكامل» في التاريخ ، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» وكتب أخرى .

ابن دريد ـ محمد بن الحسن الأزدي : (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ ، ٨٣٥ ـ ٩٣٣ م) من أئمة اللغة والأدب . ولد بالبصرة واتصل بالمقتدر العباسي ، له كتب كثيرة أشهرها «الاشتقاق» ، «المجتبى» ، «أدب الكاتب» وغيرها .

ابن كثير ـ الحافظ ، اسماعيل بن عمر : (٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ ، ١٣٠٢ ـ ١٣٧٣ م) مؤرخ وفقيه ، عاش في دمشق وله مؤلفات عديدة أهمها : «تفسير القرآن الكريم» و «البداية والنهاية» في التاريخ وانتهى فيه الى ٧٦٧ هـ .

ابولونيوس الرودوسي : من شعراء المدرسة الاسكندرانية . ولد في الاسكندرية وتعلم فيها حتى صار واحداً من أكبر علمائها وأمين مكتبتها الشهيرة ، الا ان الاحقاد والحزازات الشخصية انتهت به الى الهجرة الى رودوس فتلقب باسمها . تعد قصيدته «ارغوناوتيكا» اكمل واشهر اثر شعري وصلنا من العهد الهيليني الزاهر (القرن الثالث ق .م)

أرسطو : (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق . م) ولد في ستاغير من أعمال مكدونيا ، وانتقل الى أثينا حيث صار معلم الاسكندر المكدوني . له كثير من الأعمال العلمية في الفلسفة والأخلاق والطبيعة وكتاب «الشعر» أهم أعماله النقدية .

اسخيل (ولد حوالي عام ٥٢٥ ق .م) يعد أب المسرح اليوناني . أحصى له

النقاد تسعين مسرحية حُفظ منها سبعة ومن أشهرها مسرحياته الثلاثية ـ الاوريستيا وتتكون من ـ أغاممون ، حاملات القرابين ، وربات الانتقام ـ وله أيضاً مسرحية «بروميثيوس المصفد» .

افلاطون : ٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق .م أحد كبار مفكري اليونان . تنقل في البلدان كثيراً وزار مصر وليبيا وعاد الى اثينا لينشىء «الاكاديمية» لتعليم الشبيبة . من أهم أعماله «الجمهورية» . .

اوڤيد (٤٣ ق .م ـ ١٨ م) أحد أشهر شعراء الرومان . ينتمي الى اسرة ميسورة الحال وكان والده يعده للمحاماة وقد نجح في دراستها لكنه انصرف عنها الى حياة اللهو والمتعة وهو ما لقي انعكاسه في شعره . من أعماله : «البطلات» ، «فن الهوى» ، «علاج الهوى» ، «التحولات» .

بارمينيد : يوناني من مواطني المستعمرات اليونانية في صقلية . كان من أمهر من قدموا المعلومات الفلسفية عن طريق الشعر . «القرن السادس ـ الخامس ق .م) .

بافسانيوس : شاعر يوناني من القرن الثاني الميلادي . اشتهر بالفخر ببلاده والتغني بأمجادها القديمة التي حاول أن يواجه بها البربرية الرومانية ، وتجلى ذلك خاصة في «وصف هيلّادا» والذي كان شبه دليل سياحي يعرض روائع المناطق اليونانية المختلفة وما فيها من آثار العمارة والفن ومن العادات والتقاليد والأساطير .

بندار «٥١٨ ـ ٤٤٢ ق .م» آخر شعراء الاستقراطية اليونانية . من مواليد طيبة . ظل شديد التأثر بالشعر الديني طيلة حياته . كتب الكثير من قصائد المديح واتسم شعره بالصور الخيالية البهراجة مثلما اعتمد على فخامة الأسلوب .

بلوتارك : (ولد حوالي ٤٦ م وتوفي بعد ١٢٠ م) يوناني من بيوتيا تلقى ثقافة فلسفية في أثنيا وقام بزيارات لروما وعقد فيها صداقات مع عدد من رجال السلطة هناك ، لكنه فضل الإقامة في بلدته الصغيرة هيرونيا حيث أنشأ أكاديمة صغيرة تواصل بقاؤها مئة سنة من بعده . يشمل فهرس مؤلفاته على ٢٢٧ عنواناً بقي منها ١٥٠ كتاباً أهمها ما كتبه المؤلف في السير .

ديودوروس الصقلي : مؤرخ يوناني من صقلية . عاصر يوليوس قيصر واغسطس واشتهر بكتابه المسمى «المكتبة التاريخية» ، ويؤرخ للعصور القديمة حتى حرب القيصر الغالية (٥٨ ق . م)

الطبري - محمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠ هـ ، ٨٣٩ - ٩٢٣ م) مؤرخ ومفسر ، ولد في آمل بطبرستان واستوطن بغداد . من أهم أعماله «أخبار الرسل والملوك» و «جامع البيان في تفسير القرآن» وسوى ذلك من المؤلفات .

سوفوكل (٤٩٦ - ٤٠٦ ق . م) شاعر مسرحي يوناني يعود بأصله الى كولون . لقي كثيراً من التقدير خلال حياته حتى كانوا يقدمون القرابين الى ضريحه بعد وفاته . كتب عدداً كبيراً من المسرحيات بلغت ١٢٣ ومن أشهرها : «أوديب ملكاً» ، «أوديب في كولون» «انتيغونا» و«سبعة ضد طيبة» وسواها .

فرجيل (٧٠ - ١٩ ق . م) شاعر روماني . ولد في قرية بجنوب ايطاليا واتجه الى روما لتعلم الخطابة ففشل في المهنة ، وانصرف الى كتابة الشعر وكان من قصائده «الرعويات» و «الزراعيات» عاصر الحياة السياسية المضطربة لكنه نال حظوة كبيرة عند الاوساط الحاكمة التي شجعته على كتابة ملحمته الخالدة «الاينيادة» التي تعد أكمل ما وصلنا من الآثار الشعرية في العالم القديم .

القزويني - زكريا بن محمد بن محمود (٦٠٥ - ٦٨٢هـ ، ١٢٠٨ - ١٢٨٢م) مؤرخ وجغرافي ، ولد بقزوين ورحل الى الشام والعراق وولي قضاء واسط والحلة أيام المستعصم العباسي . صنف كتباً من أهمها «آثار البلاد وأخبار العباد» و«عجائب المخلوقات» .

لقيان : (حوالي ١٢٠ م - بعد ١٨٥ م) اشهر كتاب العالم القديم على الاطلاق واسلطهم في الهجاء سوري من ساموساطا على الفرات . اجتذبته شهرة العمل الخطابي فرحل الى المدن الايونية في آسيا الصغرى حيث تعلم اليونانية حتى أتقنها . له مؤلفات كثيرة تناول بالسخرية فيها الخطباء والفلاسفة والمؤرخين المأجورين ولم ينج آلهة العهد القديم من هجومه . جمع اسلوبه بين الحوار الفلسفي وعناصر الكوميديا . من اشهر مؤلفاته : «أحاديث الآلهة» «زيوس المفضوح» ، «مجلس الآلهة» و «الديك» .

المسعودي - علي بن الحسين (۰۰۰۰ - ٣٤٦ هـ ، . . . - ٩٥٧ م) مؤرخ رحالة باحث ولد ببغداد وأقام بمصر وفيها توفي. له مؤلفات عديدة منها «مروج الذهب» و «اخبار الزمان ومن ابادة الحدثان» و «التنبيه والاشراف» وسواها .

موسخ : شاعر من العهد الهيليني المتأخر ، ينتمي الى المدرسة الاسكندرانية . اشتهر بالتغني بالطبيعة وتصوير ما فيها من جمال وسحر (منتصف القرن الثاني الميلادي) .

هسيود : تتحدد حياته بصورة تقريبية في نهاية القرن الثامن ق.م وبداية السابع ق.م . هاجر أبوه من آسيا الصغرى واستقر في بيوتيا بالقرب من جبل ربات الفن ، اشتغل هسيود في الزراعة ونظم الكثير من الاناشيد التربوية ومن أهم أعماله «تيوغونيا - أصول الآلهة» و«الأعمال والأيام» .

هوميروس : لم ينته العلماء إلى رأي قاطع حول شخصية هذا الشاعر حتى ان هناك من ينفي وجوده . وقد ترك الشعر اليوناني القديم بيتين يتضمنان تنازع سبع مدن على شرف انتساب الشاعر اليها . وذهب النقاد مذاهب شيء في التأريخ لحياة هوميروس ودار نقاشهم حول فترة تبدأ بالقرن الثاني عشر وتنتهي بالسابع ق . م . ولا تزال هذه «المشكلة الهوميرية» شاغل النقاد حتى الآن وملخّصها - أكان ناظم الالياذة واحداً ام مجموعة من الشعراء . ويكاد النقاد يتفقون على ان نظمها قد اكتمل بين القرنين الثامن والسابع ق .م . أما ناظمها هوميروس فمعلوماتنا عنه قليلة وغير قاطعة بصفة نهائية .

هيرودوت : (٤٨٤ - ٤٢٤ ق .م) ولد في هاليكار ناسوس في كاريا باليونان وخرج منها لأسباب سياسة فأمضى سبع عشرة سنة متنقلاً في البلدان فزار جزر اليونان وآسيا الصغرى ومصر وليبيا واستقر أخيراً في اثينا حيث انصرف الى كتابة «تاريخه» المشهور الذي نال بسببه لقب «أب التاريخ» .

يوريبيد : (٤٨٠ - ٤٠٦ ق .م) شاعر مسرحي يوناني . لم ينل شهرة كبيرة في حياته لكنه أصبح أشهر مسرحيي اليونان بعد وفاته . كتب ٩٢ مسرحية وصلتنا منها ١٩ كاملة ومن أهمها «ميديا» ، «عابدات باخوس» «يفغينيا في تاڤليدا» ، «يفغينيا في اڤليدا . «الفينيقيات» وسواها .

المحتوى

الباب الأول
الآلهة والأبطال
١) الآلهة

٢) الأبطال

الباب الثاني
القصص اليوناني القديم
١) رحلة الآرغو

٢) قصص طروادة

٣) الأوديسية

٤) آغاممنون وابنه أوريست



٥) قصص طيبة




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الدار العربية للكتاب

المقر الرسمي : شارع غومة المحمودي ـ ص. ب : 3185 طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
ـ الهاتف : 30384 ـ 47287 ـ تلكس : 20003 الكتاب

الفرع الرئيسي : 4 ، نهج 7101 ـ المنار 2 ص. ب : 1104 القباضة الأصلية 1000 تونس ـ الجمهورية التونسية
ـ الهاتف : 236600 ـ 236025 ـ تلكس : 14966 كتاب

الثمـــن : 6,300 د.ل ـ 18,900 د.ت